

رَدُّ شُبُهَاتٍ حَوْلَ
عِصْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ

تأليف
دكتور محمد إدريس الشاذلي
مدرس الحديث بكلية أصول الدين بالقاهرة - جامعة الأزهر

قَدَّمَ لَهُ
الأستاذ الدكتور عبد المهيدي عبد الفادر عبد الرازي
مدرس الحديث بكلية أصول الدين بالقاهرة - جامعة الأزهر

مطابع دار الضحيفة

رَدُّ شُبُهَاتٍ حَوْلَ
عَصْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ

فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ

تَأَلَّفَ
د. كُنُوزُ عَمَّادِ السَّيِّدِ الشَّيْبَانِي
مُدِيرُ الْمَدِينَةِ بِكَلْبَةِ أُصُولِ الدِّينِ بِالْقَاهِرَةِ - جَامِعَةُ الْأَزْهَرِ

قَدَّمَ لَهُ
الْأَسَازُ الْأَكْتَرُ / عَبْدُ الْمَهْدِيِّ عَبْدُ الْفَارِغِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
مُدِيرُ الْمَدِينَةِ وَتَعْلُمِهِ بِكَلْبَةِ أُصُولِ الدِّينِ بِالْقَاهِرَةِ - جَامِعَةُ الْأَزْهَرِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٣/١٣٥٧٣

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿محمد رسول الله﴾^(١) هذه عقيدة يؤمن بها العقلاء المنصفون، ويسعد بها العباد الصالحون، جاءت صريحة هكذا في كتاب ربنا عز وجل، وفي سنة نبينا ﷺ، والامة مجمعة عليها سلفاً وخلفاً. فالله سبحانه وتعالى اصطفى محمداً ﷺ نبياً ورسولاً، وأنعم سبحانه وتعالى عليه ﷺ بالكثير من النعم، فعلمه الكثير والكثير، وأعلى قدره، ورفع ذكره، وأقسم بحياته، ولم يناده باسمه مجرداً، وإنما ناداه بلقبه ﴿يأيها النبي﴾^(٢)، و﴿يا أيها الرسول﴾^(٣). وعصمه من كل ما لا يليق به كنبى ورسول، فكان على الحق لا يقول ولا يفعل إلا حقاً، وحفظه من أعدائه، فعلى الرغم من كثرتهم، وتنوع مؤامراتهم، إلا أنهم لم يبلغوا غايتهم من القضاء عليه، أو على دينه، وإنما أعزه الله، وأظهر دينه. إنه رسول الله الذي قال الله فيه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(٤). وقال سبحانه فيه ﷺ: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾^(٥). وقال سبحانه فيه: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾^(٦). وقال سبحانه فيه: ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾^(٧). إنه الرسول الذي علمه الله الكثير من العلوم التي تسعد البشرية في دينها ودنياها، وقال سبحانه: ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾^(٨). وقال سبحانه: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾^(٩). إنه الرسول الذي أوحى إليه الإسلام الدين الخاتم، وأمره أن يبلغه الناس، فرسم المنهج السليم، بالإسلام العظيم، فسعد من اتبعه، وشقي من خالفه، إلا أن مخالفه لم يكتفوا بمجرد بقائهم على ما يريدونه؛ وإنما راحوا يحاربون ويحاربون الإسلام، الذي جاء

(١) الآية ٢٩ من سورة الفتح. (٢) الآية ١ من سورة الأحزاب. (٣) الآية ٤١ من سورة المائدة. (٤) الآية ١٠٧ من سورة الانبياء. (٥) الآية ٥٢ من سورة الشورى. (٦) جزء من الآية ٥٤ من سورة النور. (٧) الآية ١٥٨ من سورة الاعراف. (٨) الآية ١١٣ من سورة النساء. (٩) الآية ١٠٥ من سورة النساء.

به عن ربه سبحانه!! ولم تتوقف حربهم له ﷺ بوفاته، وإنما هم مستمرّون في حربه إلى الآن، ويبدو إلى قيام الساعة!! يحاربون بكل ما يمكن؛ وبكل صنوف العداء والكيد!! وركزوا حربهم الفكرية على عصمته ﷺ، والتي هي: صون الله له ﷺ عن كل ما يخالف الإسلام، فراحوا يدعون أنه ممكن أن تقع منه الزلّة، ويدعون أنه ليس معصوماً!! ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾ (١).

ومن هنا جاء هذا الكتاب الذي ألفه الأخ الدكتور/ عماد السيد الشربيني ليزيح هذه الافتراءات، وليزيل هذه الترهات، وليؤكد للقارئ أن الله سبحانه وتعالى اصطفى رسوله محمداً ﷺ وعصمه، فحفظه في بدنه وعقله، وحفظه فيما يبلغ عن الله عز وجل، وحفظه في فكره واجتهاده، وحفظه في خلقه وهديه، فكان محققاً في كل ما يقول، وفي كل ما يفعل، كان هادياً مهدياً، كان النبي الخاتم، والرسول المصطفى، كان مشمولاً بالعناية الإلهية، جمّله الله بكل الكمالات البشرية، وكمّله بكل الكمالات الخلقية، وأثنى عليه ربنا في كثير من الآيات، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وداعياً إِلَى اللَّهِ يَأْذَنُ بِهِ سِرَاجاً مُنِيراً . وبشرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً . وَلَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (٣).

ولقد جاء الكتاب بفضل الله وتوفيقه يثلج صدور المؤمنين، ويسعد عباد الله الصالحين، وينير الطريق أمام المهتدين.

أسأل الله العلي الكبير أن يجزي المؤلف خير الجزاء، وأن يوفقه وكل العلماء وطلاب العلم، وأن ينفع المسلمين جميعاً بالكتاب والسنة.

وصلِّ اللهمَّ وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين

والحمد لله رب العالمين

١٤٢٤ / ٧ / ٤ هـ

٢٠٠٣ / ٩ / ١ م

أ.د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي

أستاذ الحديث بجامعة الأزهر

(١) الآية ٥ من سورة الكهف.

(٢) الآية ٤ من سورة القلم.

(٣) الآيات ٤٥ - ٤٨ من سورة الاحزاب.

الإهداء

إلى النور الخالد .
إلى من أرجو الله تعالى شفاعته يوم الدين .
بأبى أنت وأمى يا سيدى يا رسول الله!
هل لى أن أستأذن فى أن أطرق
باب خدمتك بإهدائك هذه الرسالة؟

عماد الشربيني

كلمة شكر وتقدير

انطلاقاً من قول الله عز وجل : ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾^(١)، وقول رسول الله ﷺ : "لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"^(٢).

• أحمد الله عز وجل؛ أن جعلني تلميذاً من تلاميذ هذه المدرسة المباركة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وأن منّ عليّ بالبحث في هذا الموضوع الجليل، والحمد لله أولاً وآخراً على عونه وتوفيقه لإتمام هذا البحث، وأسأله عز وجل أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم.

• وأتقدم بجزيل الشكر وعرفان الجميل لوالدي، اللذين شملاني برعايتهما وعطفهما حتى تمكنت من إتمام هذا العمل، أدعو الله عز وجل أن يغفر لهما ويرحمهما، وأن يبارك في دينهما، وبدينهما، وأموالهما، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهما يوم القيامة.

• كما أتقدم بجزيل الشكر وعرفان الجميل، لأستاذي وشيخي الجليل، فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد المهدي عبد القادر، على الرعاية والعناية التي شملني بها، ما أعجزني عن أداء شكره.

وهذا البحث مدين لفضيلته منذ أن كان أطروحة وحتى تمت الموافقة عليه، والبحث وصاحبه ثمرة من ثمرات غرسه المبارك.

وأخيراً : لا أملك إلا أن أدعو الله عز وجل أن يبارك في دينه، وبدينه، وأهلته، وولده، وماله، وأن يجزيه عني وعن الإسلام خير الجزاء.

• ثم إن أجمل الشكر وأحسنه لمشايخي وأساتنتي الأجلاء، بكلية أصول الدين المباركة، على ما قدموا لي من عون على الموافقة على اختيار هذا الموضوع، وعلى ما قدموا لي من توجيهات وإرشادات، وتشجيع دائم، حتى تمكنت من إتمام هذا العمل. وإن استطردت لذكر أسمائهم

(١) الآية ١٤ لقمان.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب البر والصلة، باب في شكر المعروف ٢٥٥/٤ رقم ٤٨١١، والترمذي في سننه كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٢٩٨/٤ رقم ١٩٥٤، وقال : حسن صحيح، وأخرجه أحمد في المسند ٢/٢٥٨، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٣، والبخاري في الأدب المفرد ٣٠٩/١ رقم ٢١٨، والحديث صححه الشيخ أحمد محمد شاكر في تحقيقه للمسند ٢٤٦/١٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لطال بي المقام ولكن مالا يدرك كله، لا يترك جله، فأخص بالذكر منهم؛ فضيلة الأستاذ الدكتور/ عزت عطية أستاذ ورئيس قسم الحديث بالكلية، والأستاذ الدكتور/ مروان شاهين، والأستاذ الدكتور/ بهاء الشاهد، الأساتذة بقسم الحديث بالكلية، فلهم ولسائر مشايخي وأساتنتي مني جزيل الشكر، وصالح الدعاء، وجزاهم الله عن التعلم وأهله خير الجزاء.

• ولا يفوتني أن أنقم بجزيل الشكر، وعرقان الجميل، لكل من كانت له يد عون أو نصيح أو إرشاد، أو توجيه، أو غير ذلك حتى أنجزت هذه الرسالة.

**الله عز وجل أسأل أن يجزى الجميع على، وعن الإسلام خير الجزاء
وأن يوفقهم لما يحبه ويرضاه.**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، شرع لنا ديناً قوياً، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وهو اللطيف الخبير، الحمد لله رب العالمين الذى هدانا وعلمنا، ومن علينا، وتفضل ببلوغ المراد من خدمة سنة سيد المرسلين، التى فسرت الكتاب الكريم، وبينته للناس، وحيأ بوحي، ونوراً بنور، فاكتمل بهما الدين للقويم، والصراط المستقيم.

اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وببذك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، أنت رب العالمين، سبحانه لا نخصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وعصمه فى دينه وخلقه، ليكون أميناً على وحيه، مبيناً لكتابه، خاتماً لأنبيائه ورسله، ولتقوم به الحجة والقدوة على هذه الأمة إلى يوم الدين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله، وصحبه البررة الأوفياء، أئمة الدين، وصفوة الخلق بعد الأنبياء والمرسلين.

ورضى الله عن تبع سنتهم، وسلك طريقهم، واقتفى أثرهم، ونصرهم إلى يوم الدين.

ثم أما بعد

فإن الله تعالى يقول فى كتابه العزيز : ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾^(١) ويقول سبحانه : ﴿وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾^(٢).

إن رب العزة فى هاتين الآيتين ونحوهما، يبين لكافة عباده أنه اختار واصطفى من خلقه أناساً أخياراً، عصمهم فى ظاهرهم وباطنهم، ورضاهم وغضبهم قبل النبوة وبعدها، لما علمه

(١) الآية ٥٩ النمل.

(٢) الآية ١٧ ص

عز وجل فيهم من أنهم سيكونون هداة للخلق يخرجونهم من الظلمات إلى النور، ويهدونهم إلى صراط العزيز الحميد.

وهذا الاصطفاء الذى يتحدث عنه رب العزة، هو اصطفاء وهم لا يزالون فى عالم الغيب لم يخلقوا بعد.

وهو ما يُظهر أن عصمة سيدنا رسول الله ﷺ، وسائر الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - مبنية على إرادة كونية يمتنع معها وقوع المعصية منهم.

ويقول عز وجل : ﴿وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّكَ بَقْرَانٌ غَيْرٌ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١).

ففى قوله : ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ يقدم رب العزة حياة رسوله ﷺ، وسيرته الطاهرة قبل بعثته، دليلاً على عصمته ونبوته. والمعنى فى الآيتين : إني جئتكم بالقرآن عن إذن الله لى فى ذلك ومشيتته وإرادته، والدليل على أنى لست أقوله من عندى ولا افتريته؛ أنكم عاجزون عن معارضته، وأنكم تعلمون صدقى وأمانتى منذ نشأت بينكم إلى حين بعثنى الله عز وجل، لا تنتقدون على شئنا تُعَيِّرُونِي بِهِ. ولهذا قال : ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أى : أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل!

والقارئ لسيرة سيدنا رسول الله ﷺ، لا يشك فى عصمته فقد كانت نشأته ﷺ، منذ ولادته أمه إلى أن بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين، أكمل نشأة، تولاه الله تعالى فأدبه، ورباه فكملمه، ورعاه فحفظه مما كان يغمر حياة قومه من وثنية، وعادات مستبحة، حتى غدا أكمل إنسان فى بشريته، فلم تعرف له فى سيرته هفوة، ولم تحص عليه فيها زلة، بل إنه امتاز بسمو الخلق،

ورجاحة العقل، وعظمة النفس، وحسن الأحداث بين الناس، ثم نبأه الله تعالى وبعثه، فتمت فيه هذه الفضائل وترعرعت حتى أصبحت حياته فريدة في تاريخ هذه الحياة الدنيا.

فمن أين له هذا؟ وهو اليتيم الذي تعرض منذ طفولته لمحنة اليتيم والفقراء وهو الأمي الذي لم يجلس طيلة حياته إلى معلم يتقف عقله! وهو الذي نشأ في بيئة سيطرت عليها الجاهلية سيطرة كاملة في مجال العقيدة والفكر، وفي مجال الأخلاق والسلوك، وطبعت للناس بطابعها البغيض حتى لا تكاد تجد إنساناً يسلم من وراثته البيئية، وعدوى التقاليد الجاهلية الموروثة عن الآباء والأجداد. فكيف نجا سيدنا رسول الله ﷺ من تلك المؤثرات القوية؟

إنك لا تستطيع أن تترك سر كمال عقله وعقيدته وأخلاقه، وبراعته من كل نقائص ومثالب بيئته التي نشأ فيها إلا أن تقول : إنه الإعداد الإلهي للنبوة و﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾^(١) إنها العصمة الربانية التي حفظته ﷺ من بيئة الجاهلية أربعين عاماً لم يصبه أذى من غبارها، فشب أكمل الناس خلقاً وخلقاً.

وشهد له ﷺ بتلك العصمة ربه عز وجل في عشرات الآيات القرآنية منها إجمالاً قوله تعالى : ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾^(٢).

وقوله سبحانه : ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾^(٣) ففي هاتين الآيتين ونحوهما كان التعبير فيها بـ "صاحبكم" تذكيراً وتقريراً بأن كفار مكة أعرف الناس به، فرسول الله ﷺ لم يفارقهم، وهم لم يفارقوه، بل صاحبهم وصحبوه، ولازمهم ولازموه، وهذا يفيد أن كفار مكة في اتهامهم لرسول الله ﷺ بعدم العصمة ووصفه بالضللال والجنون والسحر مكابرون، والدليل حاله قبل نبوته حيث صحبتهم له منذ نشأته بينهم، واعترافهم له بالأمانة والصدق، ورجاحة العقل، والخلق القويم.

(١) جزء من الآية ١٢٤ الأنعام.

(٢) الآية ٤٦ سبأ.

(٣) الآية ٢ النجم.

وإذا طعن كفار قريش قديماً في عصمة رسول الله ﷺ، وتبعهم من لا يعتد بخلافهم من الفضيلية والأزارقة من الخوارج والكرامية وغيرهم، فقد ظهر حديثاً أذبالهم من المنكرين للسنة النبوية، الزاعمين أن رسول الله ﷺ غير معصوم، ويجوز عليه ما يجوز على سائر البشر من الذنوب؛ كما زعموا أن سيرة رسول الله ﷺ الواردة في السنة المطهرة تختلف عنها في سيرته في القرآن الكريم، وأن في الأحاديث المتعلقة بسيرته ﷺ ما يطعن في عصمته، ويشوه شخصيته .

وقد استند هؤلاء المشاغبون في عصمة النبي ﷺ إلى بعض النصوص القرآنية التي قد يتوهم من ظاهرها أن رسول الله ﷺ، كان في ضلال أو غفلة أو شك، وكذلك نصوص ورد فيها بعض التوبيهات الموجهة مباشرة إلى ضمير خطابه ﷺ .

كما استندوا أيضاً إلى بعض الأحاديث التي قد يتوهم من ظاهرها عدم عصمة رسول الله ﷺ في عقيدته وقلبه، وبلاغه للوحى، واجتهاده، وسلوكه وهديه .

وهذا ما دفعنى إلى اختيار موضوع هذه الرسالة : "رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة" وقد هدفت من تسجيله إلى عدة أهداف منها :
أولاً : بيان أن عصمة الأنبياء وعلى رأسهم سيدنا رسول الله ﷺ ضرورة دينية، وأنها سبيل حجية وحى الله تعالى من القرآن والسنة .

ثانياً : أن يكون هذا البحث هادياً لمن تأثر من أبناء الإسلام بشبهات أعداء السنة حول عصمة رسول الله ﷺ، مما يوجب على من عرف الحق أن يأخذ بأيديهم إلى بر الأمان .
ثالثاً : إرادة توطيد إيمان المؤمنين، وتقوية محبتهم لرسول الله ﷺ، ومعرفتهم بمكانته العليا، وحفاوة الله تعالى به في تربيته حتى في الآيات المتشابهات التي يتعلق بها أعداء الإسلام ومقلدوهم من المسلمين، مما يظهر أن ما ورد من ظاهر تلك الآيات مما يمس عصمته غير مراد .

رابعاً : بيان أن سيرة رسول الله ﷺ الواردة في صحيح السنة المطهرة تعتبر في ميزان العقل البشرى والعلمى معجزة، لا تستطيع الأمم جميعها في الحاضر والمستقبل أن تفعل مثلاً، إذ

لم يحفظ لنا التاريخ من بين جميع الأمم، حياة رجل منذ طفولته إلى وفاته، مثملاً حفظه المسلمون عن رسولهم ﷺ بكل دقة، وبكل حب وإخلاص.

خامساً : بيان أن أئمة السيرة ورواتها لم تكن وظيفتهم بصدد أحداث السيرة إلا تثبيت ما هو ثابت منها بمقياس علمي دقيق، يتمثل في قواعد مصطلح الحديث المتعلقة بكل من السند والمتن، وفي قواعد علم الجرح والتعديل المتعلقة بالرواة وتراجمهم؛ ولا تستطيع أى أمة من الأمم في السابق واللاحق أن تأتي بمثل هذا الميزان العلمي، أو حتى تلتزمه في ميدان التطبيق العملي.

سادساً : بيان أن سيرة رسول الله ﷺ لها أهميتها في فهم الإسلام قرآنًا، وسنةً، وحضارةً. سابعاً : بيان أن حملة التشكيك في السيرة العطرة الواردة في السنة النبوية مرض عقلي، ووباء فكري، يصيب الحاقدين، وهو مذهب الذين في قلوبهم مرض، الذين يستهدفون أن يفقد المسلمون الصورة التطبيقية لحياة رسول الله ﷺ، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته، فأحببت أن تكون لى مشاركة فى رد تلك الحملة، وإيقاف زحفها، مع من بذلوا جهوداً فى الدفاع عن السيرة، لحماية حصنها من التهديم والتخريب، راجياً بذلك المثوبة من الله تعالى.

ثامناً : بيان أن الباطل مهما لمع بريقه، وتكاثر من ورائه أناس على تقويته، إلا أنه سرعان ما يخفت هذا اللمعان، ولا يجنى أصحاب هذا الباطل من وراء باطلهم إلا الخيبة والخسران.

وما شأن شرانم البغى قديماً وحديثاً، ومحاولاتهم النيل من سيرة المعصوم ﷺ، وسنته المطهرة، إلا كشأن من قال عنه الأعشى بن قيس :
كناطح صخرة يوماً ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه ألوعل .

خطة البحث :

تتكون خطة البحث فى الموضوع إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة.

أما المقدمة فقد ضمنتها : سبب اختيار الموضوع، وأهميته، وخطة البحث ومنهج البحث فيه .

أما التمهيد فيشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالعصمة، وبيان دلالتها على حجية القرآن الكريم، والسنة النبوية، والافتداء بالنبي ﷺ.

المبحث الثانى : أهمية المسيرة النبوية فى فهم الإسلام قرآناً وسنةً، وحضارةً،
أما الأبواب فهى :

الباب الأول : عصمة رسول الله ﷺ فى عقله وبدنه ودفع الشبهات ويشتمل على فصلين :
الفصل الأول : عصمته ﷺ فى عقله وبدنه كما يصورها القرآن الكريم والسنة النبوية،
ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

المبحث الأول : دلائل عصمته ﷺ فى عقله من خلال القرآن الكريم والسنة
النبوية .

المبحث الثانى : دلائل عصمته ﷺ فى بدنه من خلال القرآن الكريم والسنة
النبوية .

الفصل الثانى : شبه الطاعنين فى سلامة عقله وبدنه والرد عليها ويشتمل على تمهيد
ومبحثين :

المبحث الأول : شبهاتهم من القرآن الكريم على عدم عصمة النبى ﷺ فى عقله
وبدنه والرد عليها، ويشتمل على تمهيد وخمسة مطالب :

المطلب الأول : شبهتهم حول آيات ورد فيها إسناد "الضلال" و"الغفلة" إلى
ضمير خطابيه ﷺ والجواب عنها .

المطلب الثانى : شبهتهم حول آيات ورد فيها إسناد "الذنب" و"الوزر" إلى
ضمير خطابيه ﷺ والجواب عنها .

المطلب الثالث : شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله ﷺ
بتقوى الله عز وجل، ونهيه عن طاعة الكافرين، ونهيه
عن الشرك، والجواب عنها .

المطلب الرابع : شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله ﷺ
بتعرض الشيطان له والجواب عنها .

المطلب الخامس : شبهتهم حول آيات ورد فيها معاتبة رسول الله ﷺ
والجواب عنها .

المبحث الثانى : شبهاتهم من السنة النبوية على عدم عصمة النبى ﷺ فى عقله
وبدنه والرد عليها ويشتمل على تمهيد وخمسة مطالب :

المطلب الأول : شبهة الطاعنين في حديث "شق صدره ﷺ" والرد عليها .

المطلب الثاني : شبهة الطاعنين في حديث "فترة الوحي" والرد عليها .
المطلب الثالث : شبهة الطاعنين في حديث "نحن أحق بالشك من إبراهيم" والرد عليها .

المطلب الرابع : شبهة الطاعنين في حديث "سحر رسول الله ﷺ" والرد عليها .

المطلب الخامس : شبهة الطاعنين في حديث "أهجر" والرد عليها .

الباب الثاني : عصمة رسول الله ﷺ في تبليغ الوحي ودفع الشبهات ويشتمل على فصلين :
الفصل الأول : عصمته ﷺ في تبليغ الوحي كما يصورها القرآن الكريم والسنة النبوية، ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالوحي، وكيفيةه .

المبحث الثاني : دلائل عصمته ﷺ في تبليغ الوحي من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية .

الفصل الثاني : شبهة الطاعنين في الوحي الإلهي والرد عليها ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : شبهات أعداء الإسلام من المستشرقين حول الوحي الإلهي والرد عليها، ويشتمل على تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : شبهة الوحي النفسي والرد عليها .

المطلب الثاني : شبهة أن الوحي عبارة عن أمراض نفسية وعقلية والرد عليها .

المطلب الثالث : شبهة أن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية والرد عليها .

المطلب الرابع : فرية الغرائق والرد عليها .

المبحث الثاني : شبهات أعداء السنة النبوية حول الوحي الإلهي والرد عليها
ويشتمل على تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : شبهة أن مهمة رسول الله ﷺ قاصرة على بلاغ القرآن فقط والرد عليها .

المطلب الثاني : شبهة أن رسول الله ﷺ ليست له سنة نبوية والرد عليها .

المطلب الثالث : شبهة أنه لا طاعة لرسول الله ﷺ إلا في القرآن فقط والرد عليها .

المطلب الرابع : شبهة أن طاعة رسول الله ﷺ تأليه وشرك والرد عليها .

الباب الثالث : عصمة رسول الله ﷺ في اجتهاده ونفع الشبهات ويشتمل على فصلين :
الفصل الأول : عصمته ﷺ في اجتهاده كما يصورها القرآن الكريم والسنة النبوية ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالاجتهاد، وحكمته في حقه ﷺ .
المبحث الثاني : دلائل عصمته ﷺ في اجتهاده من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية .

الفصل الثاني : شبهة أن اجتهاد رسول الله ﷺ يؤيد أن السنة المطهرة ليست كلها وحى والرد عليها .

الباب الرابع : عصمة رسول الله ﷺ في سلوكه وهديه ودفع الشبهات ويشتمل على تمهيد وسبعة فصول :

الفصل الأول : شبهة اختلاف سيرة رسول الله ﷺ في كتب السنة والتاريخ عنها في القرآن الكريم والرد عليها .

الفصل الثاني : شبهة الطاعنين في حديث "خلوة النبي ﷺ بامرأة من الأنصار" والرد عليها .

الفصل الثالث : شبهة الطاعنين في حديثي "نوم النبي ﷺ عند أم سليم وأم حرام" والرد عليها .

الفصل الرابع : شبهة الطاعنين في حديث "طوافه ﷺ على نسائه في ساعة واحدة" والرد عليها .

الفصل الخامس : شبهة الطاعنين في حديث "مباشرة رسول الله ﷺ نساته في المحيض"
والرد عليها .

الفصل السادس : شبهة الطاعنين في حديث "دعوته ﷺ لعائشة رضى الله عنها استماع الغناء والضرب بالدف" والرد عليها .

الفصل السابع : شبهة الطاعنين في حديث "اللهم فأَيُّما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة" والرد عليها .

الخاتمة : وفيها نتائج هذه الدراسة، ومقترحات، وتوصيات، والفهارس العلمية للبحث .

هذا ولم أتعرض لتحرير مبحث أو مطلب إلا بعد أن رجعت إلى ما أمكننى الاطلاع عليه من الكتب المؤلفة فيه كبيرها وصغيرها، فقد يوجد في الصغير ما لا يوجد في الكبير .

ولم أكتب شيئاً إلا بعد أن أعتقد صحته وأطمئن إليه، غير متأثر برأى أحد ممن كتب فيه كائناً من كان، معاصراً أو غير معاصر، ولم أتردد في مخالفته متى تبين لى أنه قد أخطأ، مع بيان وجهة نظرى في ذلك، ومع احترامى له، واعترافى بفضل، وتقديرى لعلمه، واعتقادى أنه "صاحب آيات، وسباق غايات" .

وقد يؤخذ على : أنى قد أطلت في بعض المباحث، أو كررت بعض العبارات، أو أظهرت في محل إضمار، أو غير ذلك. ولكنى قصدت بهذا كله توفية البحث حقه، وإتمام الفائدة، وزيادة الإيضاح، وعدم وقوع الناظر في اللبس .

وإذا كانت الدراسة الموضوعية الصادقة هي تلك التى تعتمد على النصوص والوثائق؛ فقد التزمت هذه الرسالة - إلى حد كبير - بإيرادها كشواهد ودلائل على ما عالجته من ^{فكر ومبادئ} .

منهجى في البحث :

١- كل ما عرضته في الرسالة من شبه ومطاعن أهل الزيغ والهوى قديماً وحديثاً، المتضمنة الطعن في عصمة رسول الله ﷺ، فإننى قرنت ذلك بالرد الحاسم الذى يبين بطلان وزيف تلك الشبه والمطاعن معتمداً فى ذلك على القرآن الكريم والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، وكلام

أهل السنة قديما وحديثا. فإن كان من جهد فى هذه الرسالة فإنما هو ثمرة الوقوف على أكتاف العلماء، ونتاج المربين الذين ربونا صغارا، وحملونا كبارا، والمنة لله وحده، وهو ولى الجزاء، وشكر الله للعلماء بذلهم .

٢- بينت مواضع الايات التى وردت فى الرسالة بذكر اسم السورة، ورقم الآية فى الهامش، مع وضع الآية بين قوسين .

٣- عزوت الأحاديث التى أوردتها فى الرسالة إلى مصادرها الأصلية من كتب السنة المعتمدة، فإن كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، بذكر اسم الكتاب، واسم الباب، وذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث، وأقدم فى التخريج من ذكرت لفظه، مع البيان غالبا لدرجة الحديث من خلال أقوال أهل العلم بالحديث، أو دراستى للسند، إن كان الحديث فى غير الصحيحين، وفيما عدا ذلك اقتصر على ما يفيد ثبوت الحديث أو رده .

٤- اعتمدت فى التخريج من الصحيحين على طبعتى البخارى "بشرح فتح البارى" لابن حجر، والمنهاج "شرح صحيح مسلم" للنووى، لصحة متون الأحاديث فى الشرحين، ولصحة عرضهما على أصول الصحيحين، وتسهيلا للقارئ لكثرة تداول تلك الشروح، وإتماما للفائدة بالاطلاع على فقه الحديث المخرج .

٥- التزمت عند النقل من أى مرجع، أو الاستفادة منه الإشارة إلى رقم جزئه وصفحته بالإضافة إلى ذكر طبعات المراجع فى الفهرست .

٦- عند النقل من فتح البارى، أو المنهاج شرح مسلم للنووى، أنكر رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث الوارد فيه الكلام المنقول، تيسيرا للوصول إلى الكلام المنقول، نظرا لاختلاف رقم الصفحات تبعا للطبعات المتعددة .

٧- اكتفيت فى تراجم الأعلام من الصحابة بذكر مصادر تراجمهم بذكر رقم الجزء والصفحة ورقم الترجمة، ولم أترجم لهم لعدالتهم جميعا، ولم أخالف فى ذلك إلا فى القليل عندما تقتضى الترجمة الدفاع عن شبهة .

٨- ترجمت لكثير من الأعلام الذين جرى نقل شئ من كلامهم، مع ذكر مصادر تراجمهم، بذكر رقم الجزء والصفحة ورقم الترجمة .

٩- شرحت المفردات الغريبة التى وردت فى بعض الأحاديث مستعينا فى ذلك بكتب غريب الحديث، ومعاجم اللغة، وشروح الحديث .

ثم ختمت الرسالة بفهارس سبعة هي :

- ١- فهرس الآيات القرآنية .
- ٢- فهرس الأحاديث والآثار .
- ٣- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- ٤- فهرس الأشعار .
- ٥- فهرس القبائل والبلدان والفرق .
- ٦- فهرس المصادر والمراجع .
- ٧- فهرس الموضوعات التي اشتملت عليها الرسالة .

هذا وإنى - يعلم الله - ما فرطت ولا توانيت، ولا كان منى ميل إلى كسل أو ركون إلى راحة، فإن فاتتني شئ في أثناء الكتابة، أو لم أذكر أمراً كان ينبغي ذكره، أو طراً على سهو أو نسيان، فهذا لأى عمل الإنسان لا يخلو من نقص مهما كانت عنايته. وعذرى في ذلك ان الكمال المطلق لله عز وجل .

ولا أدعى، وليس لى أن أدعى أنى جئت في هذه الرسالة بشئ كان خافياً على العلماء والباحثين، وإنما حاولت بعون الله تعالى، جمع كلام الأئمة بين دفتى رسالة واحدة، حيث تتبعت الدرر المنثورة لشريعتنا الغراء فى بطون الكتب، ونظمتها فى سلك واحد، ولم أجد على قلة إطلاعى من عالج هذا الموضوع بهذه الصورة .

فما كان فى البحث من صواب، فهو من الله عز وجل وبتوقيقه، وما كان من خطأ فمن نفسى، ومن الشيطان، والله برئ منه ورسوله، والله وحده الكمال والعزة والجلال .

وفى الختام : الحمد لله رب العالمين^٧ على عونه وتوقيقه لإتمام هذا البحث حيث سهل لى صعبه وذلل أمامى عقباته .

وإني لأرى لزاما على أن أسجل هنا وافر شكرى وعظيم تقديرى، وصادق دعواتى
لشيخى وأستاذى الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، إذ كان أول
من أشار على بالكتابة فى هذا الموضوع، ثم أحاطه بدقيق ملاحظاته، وكامل متابعاته، وجيل
تصححاته، فى مدة جمعه وتحريره، يقرأه المرة تلو الأخرى، ويضفى عليه كمالاته وجمالاته
الحين بعد الآخر، حتى جاء على هذا النحو الذى هو عليه، والذى أرجو أن يسر قارئيه، ويفيد
طالبيه ومبتغيه؛ فلفضيلته منى جزيل الشكر وصالح الدعاء، جزاه الله عن العلم وأهله خير
الجزاء.

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أقدم شكرى أيضا : لكل من أفادنى من مشايخى وزملائى
بكتاب، أو إرشاد، أو أى نوع من المساعدة.

اللهم تقبل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم، اللهم اجعلنى جندا من جنود كتابك، جندا من
جنود سنة نبيك ﷺ، اللهم لا تجعلنى شقيا ولا محروما، اللهم لا تعذب لسانا يخبر عنك، ولا عينا
تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدما تمشى إلى طاعتك، ولا يدا تكتب حديث رسولك وصفيك
ﷺ. اللهم لا تدخلنى النار، ولا تفضحنى فيها، فقد علم أهلها أنى كنت أذب عن دينك، وأدافع عن
شرعك، وأظهر مكانة وحيك، وأبين عظمة وعصمة نبيك وخليك وصفيك ﷺ.

اللهم اجعلنى وما عملت من عمل صالح فى ميزان أبوى، واغفر لهما، وأكرمهما،
وارحمهما كما ربيانى صغيرا، وألبسهما حلة الكرامة، وشفع فيهما كتابك ونبيك.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا ومولانا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الراجى عفو ربه الغفور

عماد الشربيني

التمهيد

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالعصمة، وبيان دلالتها على حجية القرآن الكريم والسنة النبوية،

والاقتداء بالنبي ﷺ وينقسم إلى ما يلي :

أولاً : التعريف بالعصمة لغة وشرعاً، وبيان مواضعها من حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثانياً : العصمة سبيل حجية القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

ثالثاً : العصمة سبيل الاقتداء بالنبي ﷺ.

المبحث الثاني : أهمية السيرة النبوية في فهم الإسلام قرآناً وسنة وحضارة. وينقسم إلى ما يلي:

أولاً : أهمية السيرة النبوية العطرة في فهم القرآن الكريم.

ثانياً : أهمية السيرة النبوية في فهم السنة النبوية.

ثالثاً : أهمية السيرة النبوية في إثبات أن للمسلمين تاريخاً وحضارة.

المبحث الأول

التعريف بالعصمة، وبيان دلالتها على حجية القرآن الكريم والسنة النبوية، والاقتداء بالنبى ﷺ

وينقسم إلى ما يلى :

أولاً : التعريف بالعصمة لغةً وشرعاً، وبيان مواضعها من حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ثانياً : العصمة سبيل حجية القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة .

ثالثاً : العصمة سبيل الاقتداء بالنبى ﷺ .

أولاً : التعريف بالعصمة لغةً وشرعاً، وبيان مواضعها من حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

أ- المعنى اللغوي :

العصمة وردت في اللغة لعدة معان منها :

- ١- المنع .
- ٢- الحفظ .
- ٣- القلادة .
- ٤- الحبل .

قال صاحب اللسان : "العصمة في كلام العرب المنع، وعصمة الله عبده : أن يعصمه مما

يؤيقه، يقال عصمه، يعصمه، عصما : منعه ووقاه .

وبهذا المعنى جاءت الكلمة في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

قال تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام وابنه : ﴿يَا بَنِي آدَمَ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ . قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين^(١) وقال تعالى على لسان امرأة العزيز : ﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾^(٢) وقال سبحانه في حق سيدنا محمد ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكَ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سَوْءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾^(٤) وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به . فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها . وحسابهم على الله"^(٥) والعصمة القلادة، وفي اللسان أيضاً أصل العصمة : الحبل وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه"^(٦) .

(١) الآيتان ٤٢، ٤٣ هود .

(٢) جزء من الآية ٣٢ يوسف .

(٣) الآية ٦٧ المائدة .

(٤) الآية ١٧ الأحزاب .

(٥) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله... الخ ٢٣٣/١ رقم ٢٠، والبخارى (بشرح فتح الباري) كتاب الجهاد، باب دعاء

النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة... الخ ١٣٠/٦ رقم ٢٩٤٦ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

(٦) لسان العرب لابن منظور ٤٠٣ - ٤٠٥، وينظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٣٣٢، ومختار الصحاح للرازي ص ٤٣٧، والقاموس المحيط للفيروز آبادى ٤/١٤٨، ١٤٩، والمصباح المنير

لأحمد الفيومي ٥٦٦/٢ .

وبالإمعان في هذه المعاني جميعها ترى أنها ترجع إلى المعنى الأول الذى هو "المنع" فالحفظ منع للشئ من الوقوع فى المكروه أو المحذور، والقلاذ تمنع سقوط الخرز منها، والحبل يمنع من السقوط والتردى.

وعلى المعنى الأول دار كلام حذاق المفسرين والأثرين، قال الإمام الطبرى^(١) فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢) قال: "وأصل العصم: المنع، فكل مانع شئنا فهو عاصمه. والممنوع به معتصم به"^(٣) وقال تفسيراً لقوله تعالى: ﴿قَالَ سَأُوْىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٤): يقول سألصير إلى جبل أتحصن به من الماء فيمنعني منه أن يغرقني. ويعنى بقوله (يعصمني) بمنعنى، مثل عصام القرية الذى يشد به رأسهما فيمنع الماء أن يسيل منها^(٥) وفى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سَوْءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾^(٦) قال: من ذا الذى يمنعكم من الله إن هو أراد بكم سوءاً فى أنفسكم^(٧).

فكلام هذا الإمام - رحمه الله تعالى - يدل على أن مادة (عصم) فى القرآن الكريم حيثما وردت بشتى تصريفاتها تدور على المنع والامتناع، وهو أصلها فى الوضع اللغوى. وقال ابن الأثير^(٨): العصمة: المنعة، والعاصم: المانع للهامى، والاعتصام الامتساك بالشئ افتعال منه. ومنه شعر أبى طالب^(٩) يمدح النبى ﷺ:

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبرى، صاحب التفسير الكبير، والتاريخ الشهير، كان من الأئمة المجتهدين، ولم يقلد أحداً، وكان إماماً فى فنون كثيرة منها: التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك، توفى سنة ٣١٠ هـ له ترجمة فى: تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ١٦٢/٢ رقم ٥٨٩، وطبقات المفسرين للدوادى ١١٠/٢ - ١١٨ رقم ٤٦٨، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢٢٢/١ رقم ٢٢.

(٢) الآية ١٠١ آل عمران.

(٣) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٢٦/٤.

(٤) الآية ٤٣ هود.

(٥) جامع البيان ٣٠٩/٦.

(٦) الآية ١٧ الأحزاب.

(٧) جامع البيان ١٣٨/٢١.

(٨) هو المبارك بن محمد الشيبانى الجزرى، يكنى أبا السعادات، ويلقب بمجد الدين، ويعرف بابن الأثير وهو واحد من الأئمة الأعلام فى الحديث والفقه والنحو، قال ابن خلكان: كان فقيهاً محدثاً ورعاً مهيباً من مؤلفاته الغزيرة والنافعة النهاية فى غريب الحديث، وأسد الغابة وغير ذلك مات سنة ٦٠٦ هـ له ترجمة فى: وفيات الأعيان ٢٨٩/٣ - ٢٩١، وشذرات الذهب ٢٢/٥ - ٢٣، وطبقات الفقهاء والشافعيين لابن كثير ٧٧٦/٢، ٧٧٧.

(٩) هو عم رسول الله ﷺ واسمه عبد مناف. مات على دين قومه فى السنة العاشرة من البعثة، ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣٠/٢ نص رقم ٤١٦، والبداية والنهاية ٢٤/٣.

ثمال^(١) الليثامي عصمة للأرامل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

أى يمنعهم من الضياع والحاجة^(٢).

ب- المعنى الشرعى :

عرّف المتكلمون والمحدثون من أهل السنة العصمة فى الشرع بتعريفات بعضها يختلف عن بعض لفظاً إلا أن المعنى واحد، وقد يختلف بعضها لفظاً ومعنى، والاختلاف فى المعنى يعود إلى من سلب اختيار المعصوم فى أفعاله، ومن أوجبه.

وهذه التعريفات وإن اختلفت مناحيها فى التعبير، وتنوعت جوانب تناولها لمعنى عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنها جميعها تنتهى إلى حفظ الله تعالى إياهم من مواقع الذنوب والمخالفات بعد البيعة باتفاق المحققين المحققين، وقبل البعثة على التحقيق.

ولعل من أحسن التعريفات للعصمة وأسلمها ما ذكره صاحب كتاب نعيم الرياض فى شرح الشفا للقاضى عياض بأنها : "لطف من الله تعالى يحمل النبى على فعل الخير، ويزجره عن الشر مع بقاء الاختبار تحقيقاً للابتلاء"^(٣) ومن المستحسن فى تعريفها أيضاً من قال : "هى حفظ الله عز وجل للأنبياء بواطنهم وظواهرهم من التلبس بمتبهمه، ولو نهى كراهة ولو فى حال الصغر مع بقاء الاختبار تحقيقاً للابتلاء"^(٤).

(١) الثمال بالكسر الملجأ والغياث. وقيل هو المظعم فى الشدة. النهاية فى غريب الحديث ٢١٦/١ .
(٢) النهاية فى غريب الحديث ٣/٢٢٥، وينظر : السيرة النبوية لابن هشام ١/٣٥٢، ٣٥٣ نص رقم ٢٧١ .

(٣) نسّم الرياض فى شرح الشفا للقاضى عياض ٣٩/٤، وينظر : التعريفات للجرجاني ص ١٥٠، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٧٧، وفتح الباري ١١/ ٥١٠ رقم ٦٦١١، وشرح العقائد للسعد التفتازاني ١/ ٢٠٠، وشرح المواقف للجرجاني ٨/ ٢٨٠، ٢٨١، والمسامرة بشرح المسامرة لكمال بن الهمام ص ٢٢٧، والنفحات الشاذية فيما يتعلق بالعصمة والسنة النبوية لمحمد الطاهر الحامدي ص ١٨ - ٢٠ .

(٤) شرح الخريدة مع حاشية الصاوى للدردير ص ١٠٤ بتصرف، وينظر : إتحاف المرید شرح جوهرة التوحيد بمأمش حاشية محمد الأمير على جوهرة التوحيد ص ١١٤ .

إن العصمة تعنى حفظ الله تعالى لأنبيائه عن مواجهة الذنوب الظاهرة والباطنة، وأن العناية الإلهية لم تنفك عنهم فى كل أطوار حياتهم قبل النبوة وبعدها، على ما هو المعتمد كما سيأتى تحقيقه، فهى محيطة بهم تحرسهم من الوقوع فى منهى عنه شرعا أو عقلا، وصدق القائل حين قال :

وإذا العناية لاحظتك عيونها *** نم فالمخاوف كلهن أمان

وهذا ما ظهر أثره فى الخارج، فقد كان أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام محفوظى الظواهر والبواطن من التلبس بمنهى عنه ولو نهى كراهة أو خلاف الأولى .
فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والكذب والسرقة، وغير ذلك من المنهيات المستباحة فى الخارج، وم محفوظون فى الباطن من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من منهيات الباطن^(١).

فلم تُعرف لهم زلة، ولا سُجِّلَتْ لهم هفوة^{علم} فى مجتمعاتهم المليئة بالشحناء والعداوة والبغضاء لهم، ولو أن أعدائهم علموا من ذلك شيئا طاروا به فرحا، لينفخوا ما زاع لهم من مكارم الأخلاق، وصالح القول والعمل، كشأن الغوغائيين الذين قال فيهم الشاعر :

إن يسمعوا زلة طاروا بها فرحا *** منى وما علموا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به *** وإن ذكرت بسوء عندهم أنن

فقد كانوا فى غاية التريص لتصيد عثراتهم إن وجوها، فلما أعياهم البحث والانتظار، ويئسوا من العثور على شئ من ذلك، طفقوا يفترون الكذب، ويقولون الزور، فيرمونهم بالسحر تارة، والكهانة أخرى، واللجون حينا، والافتراء حينا آخر، وغير ذلك بما طاب لهم التقوه به مما سجله عليهم القرآن الكريم، وحفظه التاريخ، ولكن سرعان ما كان يكذبهم الواقع، فتبور أقوالهم، وترجع عليهم بالخزى والعار، ويبقى جانب الأنبياء مصونا بالعصمة الإلهية، والعناية الربانية، ليكونوا أطهارا أنقياء قادة الخلق إلى مكارم الأخلاق .

وما كان لهم بذلك من يد لولا العصمة الربانية التى أحاطت بهم قبل نبوتهم وبعدها فمنعتهم من الوقوع فيما لا يحمد مما يكون منفردا للناس عن أتباعهم إلى ما يدعونهم إليهم من الدين والأخلاق الفاضلة^(٢).

(١) ينظر : إتحاف المريد بحاشية الأمير ص ١١٤، وتحفة المريد على جوهره التوحيد للباحورى ص ٧٥ .

(٢) ينظر : أخلاق النبي ﷺ فى القرآن والسنة للدكتور أحمد الحداد ٢/ ٩٩٠، ٩٩١ .

هذا وللعلماء كلام طويل، وتفصيل مستطيل حول العصمة التي رعى الله تعالى بها رسله
أوجزها في الآتي :

ج- مواضع العصمة :

العصمة التي أوجبها الله تعالى لرسله - عليهم الصلاة والسلام - تتعلق بالاعتقادات،
والتبليغ، والأقوال والأفعال، وخص نبينا ﷺ بعصمة بدنه الشريف من القتل .

فقد عصم الله عز وجل أنبياءه ورسله من الوقوع في محظور في الأمور السابقة حتى
أدوا رسالتهم ولحقوا ببارئهم عز وجل .

وعصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في الأمور السابقة ثابتة لهم قبل النبوة
وبعدها في الكبائر والصغائر، عمدها وسرها على الأصح، في ظاهرهم وباطنهم ورضاهم
وغضبهم، وهو ما أدین الله تعالى به، لأن حال الأنبياء قبل النبوة يؤثر على مستقبل دعوتهم بعد
النبوة سلبيًا وإيجابيًا .

وهذا هو الصحيح عندی ويطمئن إليه القلب، وتستريح إليه النفس وهو مذهب كثير من
العلماء المحققين المحققين من أهل الكلام والحديث^(١).

١- قال تعالى : ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا
مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

(١) منهم ابن حزم في الفصل في الملل والنحل ٢/٢٨٥، ٣٢١، والأبي في المواقف في علم الكلام
ص ٣٥٨، ٣٥٩، والجرجاني في شرح المواقف ٨/٢٨٨ - ٢٩٠، وسعد الدين التفتازاني في شرح
المقاصد ٢/١٤٢، ١٤٣، وفخر الدين الرازي في المحصل ص ٢١٩، ٢٢٠ والقاضي عبد الجبار
المعتزلي في شرح الأصول الخمسة ص ٥٧٣، ٥٧٥، والشوكاني في إرشاد الفحول ١/١٦١، وكثير
من المحققين من أهل الحديث منهم القاضي عياض في الشفا ٢/١٤٥، والقسطلاني في المواهب
للدنية، والزرقاني في شرحه على المواهب ٩/٥، ١٤/٧، والأبي في إكمال إكمال المعلم شرح
صحيح مسلم ١/٣١٥، وابن الوزير اليماني في الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم
١/١١٨، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة عقد فصلاً بعنوان "ذكر ما خصه الله عز وجل به من
العصمة وحماه من التدين بدين الجاهلية ١/١٨٥ - ٢١٢، وكذلك فعل البيهقي في دلائل النبوة
أيضاً فقد عقد عنواناً لهذا الموضوع فقال : "باب ما جاء في حفظ الله تعالى رسوله ﷺ في شيبته عن
أقذار الجاهلية ومعائبها... الخ ٢/٣٠ - ٤٢، ومثلها السيوطي في الخصائص الكبرى حيث قال :
"باب اختصاصه ﷺ بحفظ الله إياه في شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية" ١/١٤٨ - ١٥٢ .

(٢) الآية ١٦ يونس.

فهذه الآية الكريمة كانت جواباً من النبي ﷺ على ما طلبه مشركوا مكة من رسول الله ﷺ أن يأتيهم بقرآن غير الذي أتاهم به، لا يكون فيه عيب آلهتهم، أو يبدله من تلقاء نفسه على ذلك الشرط، ليقبلوا منه بعد ذلك دعوته للإسلام.

قال تعالى : ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّمَا يَبْقُرَانِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَىٰ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١).

فكانت حجة رسول الله ﷺ عليهم، أنه عبد مأمور، ورسول مبلغ عن ربه عز وجل وليس إليه تبديل القرآن أو يتقوله من عنده ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَىٰ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ ثم قال محتجاً عليهم في صحة ما جاءهم به "قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به" أي هذا إنما جئكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشينته وإرادته، والدليل على أني لست أقوله من عندي ولا افتريته؛ أنكم عاجزون عن معارضته، وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلسى حين بعثني الله عز وجل لا تتفقدون على شيئاً يُعَيِّرُونِي بِهِ. ولهذا قال : ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي : أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل.

ولهذا لما سأل هرقل^(٢) ملك الروم أباً سفيان^(٣) ومن معه، فيما سأله من صفة النبي ﷺ قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان : لا. وقد كان أبو سفيان إذ ذاك رأس الكفرة وزعيم المشركين ومع هذا اعترف بالحق :
والفضل ما شهدت به الأعداء

(١) الآيتان ١٥، ١٦ يونس.

(٢) هو : ملك الروم، وهرقل اسمه، ولقبه قيصر. وكان له علم في دين النصرانية وهو الذي أرسل إليه النبي ﷺ خطاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، فأراد أن يسلم ولكن الروم أبت عليه فضعف ملكه فلم يسلم.

ينظر : البداية والنهاية ٢٦٧/٤، وفتح الباري ٤٤/١ - ٥٩ رقم ٧.

(٣) هو : صخر بن حرب بن أمية، كان من أشرف قريش، أسلم ليلة الفتح، وشهد حنيناً، والطائف مع رسول الله ﷺ ففقت عينه يومئذ، وفقت الأخرى يوم اليرموك، وهو يقاتل تحت ابنه يزيد. يقاتل ويقول : "يا نصر الله اقترِب" له ترجمة في : أسد الغابة ١٤٤/٦ رقم ٥٩٦٨، والاستيعاب

١٦٧٧/٤ رقم ٣٠٠٥، وتاريخ الصحابة ص ١٣٦ رقم ٦٦٨.

فقال له هرقل : فقد أعرف أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله!!^(١).

وإذا كان الوحي الإلهي في آية يونس السابقة يقدم حياة رسول الله ﷺ وسيرته الطاهرة قبل البعثة دليلاً على نبوته ﷺ^(٢) وهو ما استدل به هرقل على صدقه ﷺ في نبوته، دل ذلك كله وأكد ما سبق ذكره أن حال الأنبياء قبل النبوة يؤثر على مستقبل دعوتهم بعد النبوة سلباً وإيجاباً.

كيف والحال هكذا يختلف في العصمة لهم قبل النبوة!!؟

٢- قال سبحانه : ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾^(٣).

٣- وقال تعالى : ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾^(٤).

٤- وقال تعالى : ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾^(٥).

٥- وقال عز وجل : ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾^(٦).

ففي هذه الآيات الكريمات كان التعبير فيها "بصاحبكم" تذكيراً بأن كفار مكة أعرف الناس به، فمحمد ﷺ لم يفارقهم، وهم لم يفارقوه، بل صاحبهم وصحبوه، ولازمهم ولازموه، وهذا يفيد أن كفار مكة في اتهامهم لرسول الله ﷺ بالضلال والجنون، مكابرون، والدليل حاله قبل نبوته حيث صحبتهم له منذ نشأته بينهم، واعترفهم له بالأمانة والصدق ورجاحة العقل، والخلق القويم^(٧).

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) في عدة أماكن منهما كتاب بدء الوحي ٤٢/١ - ٤٤ رقم ٧، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ٣٤٦/٦ - ٣٤٨ رقم ١٧٧٣ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩٠/٤ .

(٢) ينظر : الرسالة المحمدية لسليمان الندوى ص ٢٣، والمقدمة لابن خلدون ص ١٠٣ .

(٣) الآية ١٨٤ الأعراف .

(٤) الآية ٢ النجم .

(٥) الآية ٢٢ التكويد .

(٦) الآية ٤٦ سبأ .

(٧) ينظر : محمد رسول الله ﷺ محمد صادق عرجون ٢٩١/١، ودلالة القرآن المبين على أن النبي ﷺ أفضل العالمين لعبد الله الغماري ص ١٣٨ .

وما كان كذلك إلا بعصمة الله عز وجل له قبل نبوته^(١) تلك العصمة التي استدل رسول الله ﷺ بحاله فيها على نبوته لما أمر بالبلاغ في قوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢).

٦- فعن ابن عباس رضى الله عنهما^(٣) قال : لما نزلت : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف : يا صباحاه فقالوا : من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال : "أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا : نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً!!، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد".

وفي رواية قال لهم : "أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً!!، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"^(٤).

فالشاهد من الحديث قوله ﷺ : "أكنتم مصدقي؟" وقولهم جواباً : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً : ما جربنا عليك كذباً!!.

حيث استدل رسول الله ﷺ بحاله قبل نبوته من صدقه، وعصمة الله عز وجل له من الكذب، استدل بذلك على صدقه فيما يخبرهم به بعد نبوته، فكانت منهم هذه الشهادة الجماعية بصدقه وانتفاء الكذب عنه لعلمه ﷺ بما قد سيقع من تكذيبهم له عند إخبارهم بأمر الرسالة وصدق رب العزة : ﴿فَاتَّبِعْهُمْ لَا يَكْذِبُونَ﴾ ولكن الظالمين بأيات الله يجحدون^(٥).

(١) ينظر الأدلة على ذلك في مبحث "دلائل عصمته ﷺ في عقله من خلال القرآن والسنة ص ٤٧ .

(٢) الآية ٢١٤ الشعراء.

(٣) صحابي جليل له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٤٠/١ رقم ١٨، وتاريخ الصحابة ص ١٤٨ رقم ٧١٧،

وأسد الغابة ٢٩١/٣ رقم ٣٠٣٧، والإصابة ٣٢٢/١ رقم ٤٧٩٩ .

(٤) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب سورة المسد ٦٠٩/٨ رقم ٤٩٧١، وباب وأنذر عشيرتك الأقربين ٣٦٠/٨ رقم ٤٧٧٠، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب وأنذر

عشيرتك الأقربين ٨٣/٢، ٨٤ رقم ٢٠٨ .

(٥) الآية ٣٣ الأنعام.

وصفوة القول أنه يتمتع وقوع صورة المعصية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل بعثتهم، لا لكونها معصية حقيقية تترتب عليها المؤاخذه والعقاب، بل لأن الله تعالى خلقهم مجبولين على مجانبتها والمنافرة لها، لما علمه جل شأنه من أنهم سيكونون مصابيح الظلام، وهداة الأنعام، يخرجونهم من الظلمات إلى النور، ويرشدونهم إلى صراط العزيز الحميد. فلا تمر بهم طرفة عين إلا وهم مراقبون لحضرته، مشاهدون لعظمته كما تشهد بذلك سوابقهم الحميدة، وتواريخهم المجيدة.

وإذا اتضح هنا صحة ثبوت عصمة الله عز وجل للأنبياء وحفظ بواطنهم وظواهرهم من التلبس بمنهى عنه، ولو نهى كراهة قبل النبوة وبعدها، فالى بيان أن تلك العصمة هى سبيل الإيمان بحجية كل ما يبلغه رسول الله ﷺ عن ربه من الوحي قرآناً وسنة.

ثانياً : العصمة سبيل حجية القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة :

إن عصمة رسول الله ﷺ فى التبليغ لها دلالتها وأهميتها فى حجية كل ما يبلغ عن ربه عز وجل من الوحي سواء كان متلوّاً من القرآن الكريم، أو غير متلوّاً من السنة النبوية المطهرة، ومن هنا ترى علماء الأصول تناولوا العصمة فى مباحث السنة الشريفة، نظراً لشدة التصاقها بها، حيث تتوقف حجية السنة المطهرة، بل والقرآن الكريم أيضاً على عصمة رسول الله ﷺ (١) لأن القرآن الكريم والسنة الشريفة، كلاهما دليل شرعى يجب العمل به، ولا شك أن وجوب العمل به ناتج عن وجوب طاعة الرسول ﷺ الذى صدر عنه ذلك الوحي بنوعيه (القرآن الكريم، والسنة النبوية) ووجوب طاعته ﷺ متوقف على صدقه، وعصمته ﷺ من الكذب (٢) وهذا ما أجمعت عليه الأمة، فقد أجمعوا على عصمته عن أى شئ يخل بالتبليغ، فلا يجوز عليه كتمان الرسالة، والكذب فى دعواها لا بالعمد ولا بالسهو، وإلا لم يبق الاعتماد على شئ من الشرائع (٣) إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين، وتصديق ما جاء به النبى ﷺ، وتجوز شئ من الكذب قاذح فى ذلك، ومشكك فيه، ومناقض للمعجزة التى أيد الله عز وجل بها رسله تصديقاً له فى رسالته، وفى

(١) ينظر : الإحكام لابن حزم ١/١٢٤، والتقرير والتحجير لابن أمير الحاج ٢/٢٢٣، والبرهان للجوينى ١/١٨١، والإحكام للآمدى ١/١٥٦، والمحصول للرازى ١/٥٠١، والبحر المحيط للزركشى ٤/١٦٩، وإرشاد الفحول للشوكانى ١/١٥٩ .

(٢) دراسات أصولية فى السنة النبوية للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى ص ١٩ بتصرف .

(٣) ينظر : الشفا للقاضى عياض ٢/١٤٤، وعصمة الأنبياء ص ٧، والبحر المحيط للزركشى ٤/١٧٤، والإحكام لابن حزم ١/١٢٤، وحجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص ٩٧، ١٠٢، ٢٥١ .

كل ما يبلغه عنه سبحانه، تلك المعجزة القائمة مقام قول الله عز وجل : صدق رسولى فيما يذكر عنى، وهو يقول : إنى رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم، وأبين لكم ما نزل عليكم .

وذلك يستلزم أن كل خبر بلاغى عن رسول الله ﷺ صادق مطابق لما عند الله إجماعاً : فيجب التمسك به .

يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) فكلمة "ينطق" فى لسان العرب تشمل كل ما يخرج من الشفتين قول أو لفظ^(٢) أى ما يخرج نطقه ﷺ عن رأيه، إنما هو بوحى من الله عز وجل^(٣) .

ولقد جاءت الآيتان بأسلوب للقصر عن طريق النفى والاستثناء، والفعل إذا وقع فى سياق النفى دل على العموم، وهذا واضح فى إثبات أن كلامه ﷺ محصور فى كونه وحى لا يتكلم إلا به، وليس بغيره^(٤) .

وفى هذا دليل واضح على عصمته ﷺ فى كل أمر بلغه عن ربه عز وجل، فعن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه^(٥) قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإنى لن أكذب على الله عز وجل"^(٦) .

وتبلغ وحى الله عز وجل كما يكون بالخبر القولى يكون بالفعل والتقرير، وبالأمر والنهى، فإن ذلك كله نوع من البلاغ يستلزم مع حجية جميع أقواله، حجية جميع أفعاله وتقريراته، وأوامره ونواهيه .

فيثبت بذلك حجية قوله ﷺ فى حق القرآن : "هذا كلام الله عز وجل"^(٧) وقوله فى الأحاديث القدسية : قال رب العزة كذا، أو نحو هذه العبارة . وقوله ﷺ : "إلى أوتيت القرآن

(١) الآيتان ٤، ٣، النجم .

(٢) ينظر : القاموس المحيط ٢٧٧/٣، ومختار الصحاح ص ٦٦٦، ولسان العرب ١٠/٣٥٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٨٤، ٨٥ .

(٤) تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص ٥٥ .

(٥) صحابى جليل له ترجمة فى : أسد الغابة ٢/٢٣٢، رقم ١٥٨٠، والاستيعاب ٢/٤٨٩، رقم ٧٢٦، وتاريخ الصحابة ص ٩٧، رقم ٤١٩، وتجريد أسماء الصحابة ١/١٧٣، والإصابة ١/٤٩٥، رقم ٢٥٢٦ .

(٦) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل رأى ٨/١٢٧، رقم ٢٣٦١ .

(٧) ينظر : فى حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص ٢٥، دفعه لافتراض أن القرآن كلام الله لا يثبت بذلك القول .

ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا كل ذي مخلب من الطير، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغنى عنها صاحبها، ومن نزل يقوم فعليه أن يقرؤه، فإن لم يقرؤه فله أن يعاقبهم بمثل قراه".

وفى رواية قال : "ألا هل عيسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه، وما وجدنا فيه حراما حرمناه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله عز وجل" (١) وقوله ﷺ بعد البيان القولى والعملى للصلاة : "صلوا كما رأيتمونى أصلى" (٢) وقوله ﷺ بعد البيان القولى والعملى للحج : "لتأخذوا عنى مناسككم فأتى لا أدري لعلى لا أحج بعد حجتى هذه" (٣) وقوله ﷺ : "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم" (٤) فهذه كلها أخبار معصوم عن الكذب أخذ منها العلماء أن الوحي على رسول الله ﷺ قسمان :

القسم الأول : الكتاب المعجز المتعبد بتلاوته .

والقسم الثانى : ما ليس بكتاب وهو قسمان :

أ- حديث قدسى : وهو ما نزل لفظه (٥) .

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة، باب لزوم السنة ٢٠٠/٤ رقم ٤٦٠٤، ٤٦٠٥ والترمذى فى سننه كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبى ﷺ ٣٧/٥ رقم ٢٦٦٤ وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجه فى سننه المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتفليظ على من عارضه ٢٠/١ رقم ١٢، وابن حبان فى صحيحه (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان) باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلا وأمرًا وزجرا ١٠٧/١ رقم ١٢، والحاكم فى المستدرک ١٩١/١ رقم ٣٧١، وسكت عنه الحاكم والذهبي؛ وصححه الشيخ أحمد شاكر فى هامش الرسالة للشافعى ص ٩٠، ٩١ .

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة ١٣١/١، ١٣٢ رقم ٦٣١، ومسلم (بشرح النووى) كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة ١٨٧/٣ رقم ٦٧٤ من حديث مالك بن الحويرث رضى الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب استحباب رمى حجرة العقبة يوم النحر راكبا ٥٢/٥ رقم ١٢٩٧ من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب توقيفه ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ١٢٠/٨ رقم ١٣٣٧ .

(٥) اختلف العلماء فى ذلك اللفظ، هل هو من عند الله عز وجل، أو هو من عند رسول الله ﷺ مع اتفاقهم على أن معناه من عند الله عز وجل، والقول القائل بأن لفظ الحديث القدسى من عند-

ب- وحديث نبوى : وهو ما نزل معناه، وعبر عنه النبى ﷺ بلفظ من عنده.

فأنت ترى من هذا كله أن عصمة رسول الله ﷺ من الكذب فى الخير البلاغى لها دلالتها وأهميتها فى إثبات حجية القرآن الكريم، وجميع أنواع السنة على الوجه المتقدم^(١).

ثالثاً : العصمة سبيل الاقتداء بالنبى ﷺ :

إذا كانت العصمة فى التبليغ للنبى ﷺ لها دلالتها على حجية كل ما يبلغ من الوحي سواء كان متلوّاً من القرآن الكريم، أو غير متلوّاً من السنة المطهرة، فالعصمة لرسول الله ﷺ فى أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وأوامره ونواهيه، مما هو ليس من باب البلاغ، مما كان فى أمور الدنيا، وأحوال نفسه الشريفة، لها أيضاً دلالتها على الاقتداء به ﷺ .

ومن هنا جرت عادة علماء الأصول قبل كلامهم عن أفعاله ﷺ أن يقدموا عليها للكلام على العصمة؛ لأجل أنه ينبى عليها وجوب التأسي بأفعاله ﷺ^(٢).

وعصمة رسول الله ﷺ من الكبائر والصغائر فى أقواله وأفعاله مما ليس سبيله البلاغ دل عليها القرآن الكريم، والسيرة العطرة، والسنة المطهرة، وإجماع الأمة.

أ- ففى القرآن الكريم تجد شهادة رب العزة لأنبيائه ورسله - عليهم الصلاة والسلام بعصمتهم من الصغائر فى سلوكهم.

= رسول الله ﷺ هو أظهر القولين عندى، لأنه لو كان مترلاً بلفظه لكان له من الحرمة والقدسية فى نظر الشرع ما للنظم القرآنى، إذ لا وجه للفرقة بين لفظين مترلين من عند الله، فكان من لوازم ذلك وجوب المحافظة على نصوصه، وعدم جواز روايته بالمعنى إجماعاً، وحرمة من المحدث لصحيفته، ولا قائل بذلك كله. ينظر : النبأ العظيم للدكتور محمد دراز ص ١١ .

(١) حجية السنة للدكتور عبد الفتى عبد الخالق ص ٩٦، ٢٧٩ - ٢٨٢ بتصرف وتأخير. وينظر : مبحث دلائل عصمته ﷺ فى تبليغ الوحى كما يصورها القرآن الكريم، والسنة النبوية ص ٢٦٠ - ٢٧٨ .

(٢) ينظر : الأحكام للآمدى ١/١٥٦، والبرهان للحويئى ١/١٨١، والمستصطفى للفرزلى ٢/٢١٢، والمحصول فى علم الأصول للرازى ١/٥٠١، والمعتمد فى أصول الفقه ١/٣٤٢، والبحر المحيطة ٤/١٦٩، وإرشاد الفحول ١/١٥٩، وأفعال النبى ﷺ ودلالاتها على الأحكام الشرعية للدكتور عمر سليمان الأشقر ١/١٣٩ - ١٤٠ .

١- قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾^(١) فما كان عز وجل أن يحدث نبيه ﷺ على الاقتداء والأسوة بأنبيائه ورسله إلا وهم معصومون من الصغائر .

٢- وقال سبحانه : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢) ففي تلك الآية الكريمة جعل المولى عز وجل التأسى بنبيه ﷺ
من لوازم رجائه تعالى واليوم الآخر، وما كان سبحانه يجعل الاقتداء بنبيه ﷺ من لوازم
رجاءه تعالى واليوم الآخر، إلا وهو ﷺ معصوم في سلوكه من الصغائر .

٣- وقال عز وجل : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٣) .

٤- وقال سبحانه : ﴿فَأَمْنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ أَلَمْ يَكُنِ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ
وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٤) فقلوه : "فاتبعونى"، "واتبعوه" أى اسلكوا مسلكه، واحذوا حذره
ﷺ فى جميع أموره من قول وفعل .

وجه الاستدلال فى الآيتين أنه تعالى جعل الاقتداء والمتابعة لرسوله ﷺ لازمة من
محبه عز وجل الواجبة، ولازمة للهداية والفلاح فى الدنيا والآخرة. وما تلك الملازمة وسابقتها
إلا شهادة من رب العزة لرسوله ﷺ على عصمته من الصغائر فى كل أقواله وأفعاله .

ب- أما السيرة العطرة : فتشهد أيضاً بعصمته ﷺ من الصغائر فى أحواله كلها حيث لم يعلم
عنه ﷺ الوقوع فى صغيرة ولا الدنو من شئ منها، مع أن سبل النقل عنه ﷺ أحصت كل
حركة من حركاته، وكل قول من أقواله، فما ترك الصحابة رضى الله عنهم فعلاً من أفعاله،
ولا قولاً من أقواله، دق أو جل إلا نقلوه إلينا عنه، حتى أنهم وصفوا يقظته، ونومه، كما
وصفوا حديثه وصمته، وقيامه وجلسه، وسيره وركوبه وترجله وجميع شمائله، إلى غير
ذلك مما هو مدون فى كتب الحديث والمشائى والمغازى والسير، لأنهم كانوا يرون ذلك تبليغاً

(١) الآية ٩٠ الأنعام .

(٢) الآية ٢١ الأحزاب .

(٣) الآية ٣١ آل عمران .

(٤) الآية ١٥٨ الأعراف .

عنه، وقد أمرهم ﷺ بالتبليغ عنه بقوله ﷺ في حجة الوداع : "ألا لبيلغ الشاهد الغائب، فلفل بعض من بيلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه"^(١).

وقولهم ﷺ : "تضر الله امرءاً سمع منا حديثاً؛ فحفظه حتى بيلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه"^(٢) فلو رأى الصحابة - رضى الله عنهم - أو سمعوا منه شيئاً مما أجازره عليه بعض أهل العلم من قربه للصغائر - وحاشاه من ذلك - لما فاتهم نقل ذلك عنه ضمن ما نقلوه من أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته.

ولكنهم رضى الله عنهم لم ينقلوا عنه شيئاً من ذلك - فيما علمنا - ولو رأوا منه شيئاً من ذلك أو علموه عنه لنقلوه إلينا، وعلم عنهم لتوافر دواعى النقل عنه.

فالقول بعصمة رسول الله ﷺ من جميع الذنوب كبيرها وصغيرها، سرها، وجهرها، عمدها وسهوها هو ما أدين الله تعالى به؛ فقد كانت أقواله وأفعاله ﷺ وأحواله كلها تشريعاً تقتضى المتابعة والافتداء، إلا ما ورد الدليل فيها على أنه من خصائصه ﷺ^(٣) أو ما ورد الدليل فيه أنه ليس من جنس ما يشرع لهم الناسى به فيه إلا عند وجود السبب^(٤).

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض ١٨٢/٦ رقم ١٦٧٩، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قال الله تعالى ﴿ووجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ٤٣٣/١٣ رقم ٧٤٤٧ من حديث أبى بكره رضى الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم، باب فضل نشر العلم ٣٢٢/٣ رقم ٣٦٦٠، والترمذى في سننه كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٣٣/٥ رقم ٢٦٥٦ وقال حديث حسن، وابن ماجه في سننه المقدمة، باب من بلغ علماً ٨٤/١ رقم ٢٣٠ من حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه، وللحديث شاهد من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) كتاب العلم، باب دعاء المصطفى ﷺ لمن أدى من أمته حديثاً سمعه ٢٦٨/١ رقم ٦٦.

(٣) نحو نكاحه أكثر من أربع، وكالوصال في الصوم، وأن ماله بعده صدقة لا ميراث، ونحو ذلك من خصائصه ﷺ الكثيرة. إن شئت فانظرها في الخصائص الكبرى للسيوطى والمواهب اللدنية وشرحها للزرقانى ١٤٠/٧ - ١٨٥.

(٤) نحو ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياماً، فخرج إلينا رسول الله ﷺ، فلما قام في صلاة ذكر أنه جنب، فقال لنا : "مكناكم" ثم رجع فاغتسل، ثم خرج إلينا ورأسه يقطر، فكبر فصلينا معه". فالصحابه رضى الله عنهم في هذا الموقف لم ينصرف واحد منهم يفعل فعل النبى ﷺ، لعملهم أن هذا ليس من جنس ما يشرع لهم الناسى به فيه، إلا عند وجوب السبب أهد ينظر : المحقق من علم الأصول لأبى شامة ص ٩٩، ١٠٠، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الغسل، باب إذا ذكر في المسجد أنه جنب خرج ٤٥٦/١ رقم ٢٧٥، ومسلم (بشرح النووى) كتاب المساجد، باب متى يقوم الناس للصلاة ١١٠/٣ رقم ١١٠٦.

ولا يكون لأقواله وأفعاله ﷺ ذلك الوصف التشريعي إلا بالقول بوجوب العصمة لرسول الله ﷺ من الصغائر خلافاً لمن أجازها من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين^(١) تمسكاً منهم بظواهر من القرآن الكريم، وبعض الأحاديث الصحاح التي ذكر فيها ما يشعر بوقوع الخطيئة من بعضهم، وسيأتى الجواب عن ذلك تفصيلاً^(٢) ويكفى في الرد عليهم هنا إجمالاً ما سبق من شهادة القرآن الكريم والسيرة العطرة على عصمته ﷺ من الصغائر، فضلاً عن إجماع الأمة.

ج- إجماع الأمة على عصمته ﷺ من الصغائر :

حكى القاضي عياض^(٣) اتفاق السلف وإجماعهم على أنه لا يصدر عنه ﷺ خبر بخلاف إخباره عنه فقال : "أما ما ليس سبيله البلاغ من الأخبار التي لا مستند لها إلى الأحكام، ولا أخبار المعاد، ولا تضاف إلى وحى، بل فى أمور الدنيا، وأحوال نفسه الشريفة؛ فالذى يجب تنزيه النبى ﷺ عن أن يقع خبره فى شئ من ذلك بخلاف مخبره لا عمداً، ولا سهواً، ولا غلطاً، وأنه معصوم من ذلك فى حال رضاه، وفى حال سخطه، وجده مزحه، وصحته ومرضه، ودليل ذلك اتفاق السلف وإجماعهم عليه، وذلك أنى نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله، والنقة بجميع أخباره فى أى باب كانت، وعن أى شئ وقعت، وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد فى شئ منها، ولا إستثنائات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا"^(٤).

واستدل على ذلك بما جرى لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه^(٥) مع ابن أبى الحقيق اليهودى حين إجلالهم من خبير، حيث احتج عليه عمر رضى الله عنه بقوله ﷺ : "كيف بك إذا

(١) ينظر: جامع أحكام القرآن للقرطبي ١/٣٠٨، والمنهاج شرح مسلم للنووي ٣/٧٢، ٧٣ رقم ٥٧٤ .

(٢) ص ١١١ - ١٨١، ١٨٢ - ٢٤٣ .

(٣) هو : أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، البستي المالكي، إمام حافظ، متمكن فى علم الحديث والأصول، والفقه، والعربية، له مصنفات عدة منها : طبقات المالكية، وشرح مسلم، ومن أجلها الشفا فى حقوق المصطفى ﷺ، مات سنة ٥٤٤هـ، له ترجمة فى : تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/٤٣، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٣٠٤ رقم ١٠٨٣، وطبقات المفسرين للدوادى ٢/٢١ رقم ٣٩٨ والديباج المذهب لابن فرحون المالكي ص ٢٧٠ رقم ٣٥١ .

(٤) الشفا ٢/١٣٥ .

(٥) صحابي جليل له ترجمة فى : أسد الغابة ٤/١٣٧ رقم ٣٨٣٠ والاستيعاب ٣/١١٤٤ رقم ١٨٧٨، وتاريخ الصحابة ص ٢٣ رقم ٢، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٠ رقم ٣، والإصابة ٢/٤٥٦ رقم ٥١٩٥ .

أخرجت من خيبر تعدو بك قلوبك^(١) ليلة بعد ليلة؟! فقال اليهودى : كانت هزيلة^(٢) من أبى القاسم عليه السلام فقال له عمر : كذبت يا عدو الله! فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وإيلاً وعروضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك^(٣).

قال القاضى : "وأيضاً فإن أخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها، ولم يرد فى شئ منها استدراكه عليه السلام لغلط فى قول قاله، أو اعترافه بوهم فى شئ أخبر به .

قال : ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام عما أشار به على الأنصار فى تلقى النخل^(٤) وكان ذلك رأياً لا خبراً" يعنى فلا يدخله الصدق والكنب إلى أن قال : "فانقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف فى قول أو فعل فى وجه من الوجوه لا بقصد، ولا بغير قصد، ولا تسامح فى تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ"^(٥).

قلت وما قاله القاضى عياض هو الذى أدين لله تعالى به فى أحوال رسول الله عليه السلام كلها؛ فقد كانت جميع أقواله وأفعاله المتعلقة بأمر الدنيا، وأحوال نفسه الشريفة تشريعاً تقتضى المتابعة والافتداء، وعلى ذلك سلفنا الصالح من الإيمان بعصمته فى أحواله كلها، ولهذا كانوا يسارعون إلى التأسى به. والأمثلة على ذلك كثيرة ومعلومة منها ما يلى :

(١) القلوص : بفتح القاف، والصاد المهملة : هى الناقة الصابرة على السير، وقيل الشابة، وقيل أول ما يركب من إناث الإبل، وقيل الطويلة القوائم. ينظر القاموس المحيط ٢/٢١٣، ومختار الصحاح ص ٥٤٨؛ والحديث أشار به رسول الله عليه السلام إلى إخراجهم من خيبر، وكان ذلك من إخباره بالمغيلة قبل وقوعها.

(٢) تصغير هزلة، وهى المرة الواحدة من الهزل ضد الجد. القاموس المحيط ٤/٦٨، ومختار الصحاح ص ٦٩٥ .

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الشروط، باب إذا اشترط فى المزارعة إذا شئت أخرجتك ٣٨٥/٥ رقم ٢٧٣٠ .

(٤) يشير إلى ما أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله النبى عليه السلام شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا على سبيل رأى ١٢٨/٨ رقم ٢٣٦٣ من حديث أنس وعائشة رضى الله عنهما أن النبى عليه السلام مر بقوم يلحقون، فقال : لو لم تفعلوا لصلح، قال : فخرج شيصاً - يعنى تمراً رديئاً - فمر بهم فقال : ما لنخلكم؟ فقالوا : قلت : كذا وكذا، فقال : "أنتم أعلم بأمر دنياكم" وسيأتى مزيد من بيان المراد بهذا الحديث فى شبهة أن اجتهاده عليه السلام يؤيد أن السنة النبوية ليست كلها وحى ص ٤١٢ .

(٥) الشفا ٢/١٣٦ بتصرف يسير، وينظر : المنهاج شرح مسلم ٣/٧٣ رقم ٥٧٤ .

١- حرصهم على مضاهاته ﷺ في العبادة، كما في قصة وصاله ﷺ ورغبة بعض الصحابة الوصال نحوه، على ما بين وصاله ﷺ، ووصالهم من الفرق؛ حيث إنه ﷺ إذا واصل يطعمه ربه ويسقيه بخلافهم، ومع ذلك فحرصوا على التأسي به فيه.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما^(١) قالت : "نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا : إنك تواصل. قال : إني لست كهيئتكم، إني يطعمني ربي ويسقيني"^(٢).

٢- ومنها قصة اتخاذه ﷺ خاتماً من ذهب حيث اتخذ الناس خواتيم كذلك، فطرحه النبي ﷺ، فطرح الناس خواتيمهم.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما^(٣) قال : "اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي ﷺ : "إني اتخذت خاتماً من ذهب، فنبدّه، وقال : "إني لن ألبسه أبداً" فنبد الناس خواتيمهم"^(٤).

٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه^(٥) قال : "بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، قال : "ما حملكم على إلقاءكم نعالكم؟" قالوا : رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا، فقال: ﷺ إن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن فيهما قدراً، وقال : إذا جاء أحدكم إلى

(١) لها ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٢٧/١ رقم ١٢، وتاريخ الصحابة ص ٢٠١ رقم ١٠٧٢، وأسد الغابة ١٨٦/٧ رقم ٧٠٩٣، والاستيعاب ١٨٨١/٤ رقم ٣٤٧٦، والإصابة ١٦/٨ رقم ١١٤٦١ .
(٢) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصوم، باب الوصال ٢٣٨/٤ رقم ١٩٦٤، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم ٢٢٩/٤ رقم ١١٠٥ .
(٣) صحابي جليل له ترجمة في : أسد الغابة ٣٣٦/٣ رقم ٣٠٨٢، والاستيعاب ٣٤٠/٣ رقم ١٦٣٠، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٣ رقم ٥٥، والإصابة ٣٤٧/٢ رقم ٤٨٥٢ .
(٤) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) في عدة أماكن منها كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ ٢٨٨/١٣ رقم ٧٢٩٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب اللباس والزينة، باب تحريم الذهب على الرجال ٣١٥/٧ رقم ٢٠٩١ .
(٥) هو سعد بن مالك، صحابي جليل له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٤٤/١ رقم ٢٢، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٧ رقم ٢٦، وأسد الغابة ٤٥١/٢ رقم ٢٠٣٦، والاستيعاب ١٦٧١/٢ رقم ٩٥٨ .

المسجد فليُنظر : فإن رأى في نعليه قذرا أو أذى فليمسحه وليصل فيهما^(١) ويلاحظ هنا في الحديث مسارعة صحابة رسول الله ﷺ إلى متابعتهم ﷺ في خلع نعليه، وهو فعل من أفعال العادة، وفي ذلك أقوى دليل على فهمهم واعتقادهم بعصمة رسول الله ﷺ من الصغائر حتى في أفعاله الجبلية.

٤- ولقد كان من كمال تأسي الصحابة رضي الله عنهم برسول الله ﷺ واعتقادهم بعصمته ﷺ من الصغائر في كل أحواله، شدة حرصهم على تأسيهم به ﷺ حتى في أمور بيته، وذلك باختلافهم في جواز القبلة للصائم^(٢)، وفي طلوع الفجر على الجنب وهو صائم^(٣) فسألوا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فأخبرتهم أن ذلك وقع من النبي ﷺ فرجعوا إلى ذلك، وعلموا أنه لا حرج على فاعله لعصمته.

٥- وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٤) قال : لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ كان يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ^(٥).

٦- ولما وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمام الحجر الأسود يقبله خاطبه بقوله : "لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك"^(٦).

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل ١٧٥/١ رقمي ٦٥٠، ٦٥١، والدارمي في سننه كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعلين ٢٧٠/١ رقم ١٣٧٨، وفيه عمرو بن عيسى أبو نعمة - صدوق - كما قال الحافظ في التقریب ٧٤٢/١ رقم ٥١٠٥ وبقي رجاله ثقات - فالإسناد حسن.

(٢) روى في الصحيح أن عائشة رضي الله عنها سألت عن قبلة الصائم، فقالت : "كان النبي ﷺ يقبل، ويأشُر وهو صائم، وكان أملككم لإربه" أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصوم، بلب المباشرة للصائم ١٧٦/٤ رقم ١٩٢٧، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست مخزمة ٢٣٠/٤ رقم ١١٠٦.

(٣) روى أن مروان بن الحكم أرسل إلى عائشة، وأم سلمة رضي الله عنهما، ليسألتهما عن ذلك، فأخبرتا أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم" أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصيام، باب الصائم يصبح جنباً ١٦٩/٤، ١٧٠ رقمي ١٩٢٥، ١٩٢٦، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٢٣٦/٤ رقم ١١٠٩.

(٤) صحابي جليل له ترجمة في : الاستيعاب ٩٦٣/٣ رقم ١٦٣٣، وأسد الغابة ٣/٣١٠ رقم ٣٠٦٦، وتذكرة الحفاظ ١/٢ رقم ١، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٠ رقم ٢، والإصابة ٢/٣٤١ رقم ٤٨٣٥.

(٥) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس ٢٢٧/٦ رقم ٣٠٩٣.

(٦) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الحج، باب تقبيل الحجر ٥٥٥/٣ رقم ١٦١٠، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود ٢٠/٥ رقم ١٢٧٠.

٧- وجاء رجل يجادل ابن عمر في شأن تقبيل الحجر من أجل الزحمة قائلاً له : رأيت إن زحمت، رأيت إن غلبت؟ فقال له ابن عمر "اجعل "رأيت" باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله" (١) .

٨- ولقد بلغ من كمال امتثال ابن عمر رضي الله عنه لهدى رسول الله ﷺ أنه كان يتأسى به حتى في حركاته وسكناته العادية التي هي من أفعال الجبلية، حيث كان يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان حتى أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقبل تحتها، ويخبر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك (٢) .

٩- ولما حج فأفاض وانتهى إلى المضيق دون المأزمين، أفاخ، وذكر أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذلك المكان قضى حاجته، فهو يحب أن يقضى حاجته (٣) .

١٠- وكان مرة في سفر فمر بمكان فحاده، فسئل : لما فعلت ذلك؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت (٤) .

وكل ذلك له دلالة على عصمته ﷺ من الصغائر، ومن ثم فالعصمة سبيل الاقتداء برسول الله ﷺ .

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

(١) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) في نفس أماكن الحديث السابق برقم ١٦١١ .
(٢) أخرجه البزار في مسنده بإسناد رجاله ثقات، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٥/١ .
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٣١/٢، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٤/١، ١٧٥ .
(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣٢/٢، والبزار في مسنده (كشف الأستار) كتاب العلم، باب اتباع رسول الله ﷺ ٨١/١ رقم ١٢٨، ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٤/١ .

المبحث الثانى

أهمية السيرة النبوية فى فهم الإسلام

قرآناً وسنة وحضارة

وينقسم إلى ما يلى :

- أولاً : أهمية السيرة العطرة فى فهم القرآن الكريم .
- ثانياً : أهمية السيرة الشريفة فى فهم السنة النبوية .
- ثالثاً : أهمية السيرة النبوية فى إثبات أن للمسلمين تاريخاً وحضارة .

أولاً : أهمية السيرة العطرة فى فهم القرآن الكريم :

إن فى دراسة السيرة النبوية الشريفة ما يعين كل مسلم على فهم قوى ودقيق لكتاب الله عز وجل، إذ أن كثيراً من آيات القرآن الكريم إنما تفسرها وتجليها الأحداث التى مرت برسول الله ﷺ، ومواقفه منها فهناك من الآيات القرآنية ما نزلت إثر حوادث طرأت أو مشاكل وقعت أو أسئلة وجهت إلى النبى ﷺ، فجاءت هذه الآيات تحمل الحل أو تبين الحكم، أو تجيب على الأسئلة.

ومما لا يخفى مدى أهمية الوقوف على هذه الأسباب فى التعرف على المعنى الأصوب والأدق للآية، هذا إن لم يتوقف فهم مثل هذه الآيات على معرفة أسبابها، الأمر الذى يترتب على غياب هذه المعرفة وقوع فى الإشكال والتعارض مع غيرها، وقد حصل هذا بالفعل مع بعض الصحابة والتابعين وسواهم كثيراً ممن جاء بعدهم، ومن أمثلة ذلك ما يلى :

١- ما أشكل على عروة بن الزبير رضى الله عنه^(١) أن يفهم فرضية السعى بين الصفا والمروة مع قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾^(٢).

ففى الصحيح عن عروة قال : سألت عائشة رضى الله عنها فقلت لها : أرأيت قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ قال : فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصفا والمروة. قالت : بثما قلت يا ابن أختى؛ إن هذه الآية لو كانت كما أولَّتها عليه كانت : لا جناح عليه ألا يطوف بهما. ولكنها أنزلت فى الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون^(٣) لمناة الطاغية^(٤) التى كانوا يعبدونها عند المشلل^(٥) فكان من أهل يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة. فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا : يا رسول الله! إنا كنا نخرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأُنزل الله عز وجل :

(١) صحابى جليل له ترجمة : فى تاريخ الصحابة ص ١٥٤ رقم ٧٣٨، وأسد الغابة ٢٣٥/٣ رقم ٢٩٤٣، والاستيعاب ٨٩٨/٣ رقم ١٥٣٠، والإصابة ٣٠٦/٢ رقم ٤٦٩٤ .
(٢) الآية ١٥٨ البقرة.

(٣) أى يرفعون أصواتهم بالتلبية عند الحج. ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٢٣٤/٥ .

(٤) اسم صنم، كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، ينظر : المصدر السابق ٣١٣/٤ .

(٥) بضم الميم، وفتح الشين، وتشديد اللام الأولى، وفتحها، موضع بين مكة والمدین ٧٥. ينظر : المصدر نفسه ٢٨٥/٤ .

﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ قالت عائشة : "وقد سن^(١) رسول الله ﷺ الطواف بينهما؛ فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما"^(٢).

وهذه الرواية - كما ترى - تدل على أن عروة مع جلالة قدره وفهمه، فهم من جملة ﴿فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ أن الجناح منفي أيضاً عن عدم الطواف بهما، وعلى ذلك تنتفي الفريضة، وكأنه اعتمد في فهمه هذا على أن نفى الجناح، أكثر ما يستعمل في الأمر المباح.

أما عائشة رضی الله عنها فقد فهمت أن فريضة السعي بين الصفا والمروة، مستفادة من السنة المطهرة، ومن سيرته ﷺ العملية، وأن جملة : ﴿فلا جناح عليه ألا يطوف بهما﴾ لا تتنافى تلك الفريضة كما فهم عروة، إنما الذي ينفيها أن يقال : "فلا جناح عليه ألا يطوف بهما".

وإنما توجه نفى الحرج في الآية عن الطواف بين الصفا والمروة، لأن هذا الحرج هو الذي كان وافرأ في أذهان الأنصار، كما يدل عليه سبب نزول الآية الذي ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها، فتدبر^(٣).

٢- ومن ذلك أيضاً ما تأوله قدامه بن مظعون رضي الله عنه^(٤) وأشكل عليه أنه لا حرج على كل من آمن واتقى وأحسن إذا ما شرب الخمر، وكان والى عمر بن الخطاب على البحرين، وبعد

(١) أي فرض ﷺ بالسنة، وليس مرادها نفى فرضيتها، ويؤيده قولها : "ما أتم الله حج امرئ، ولا عمرته، لم يطوف بين الصفا والمروة" أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الحج، باب ما يفعل بالعمرة، ما يفعل بالحج ٧١٩/٣ رقم ١٧٩٠، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به ٢٥/٥ رقم ١٢٧٧.

(٢) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة، وجعل من شعائر الله ٥٨١/٣ رقم ١٦٤٣، ومسلم في الأماكن السابقة نفسها في الحديث السابق.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني ١١٢/١.

(٤) هو : قدامه بن مظعون القرشي، أخو عثمان بن مظعون، وخال حفصة، وعبد الله، ابني عمر بن الخطاب، وهو من السابقين إلى الإسلام، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ مات سنة ٣٦هـ - له ترجمة في : أسد الغابة ٣٧٥/٤ رقم ٤٢٨٣، والاستيعاب ١٢٧٧/٣ رقم ٢١٠٨، والإصابة ٢٢٨/٣ رقم ٧٠٨٨.

أن استقدمه عمر رضى الله عنه ليقيم عليه الحد لسكره، قال له : يا قدامه إني جالدك، فقال : يا أمير المؤمنين، لئن كان الأمر كما يقولون ما كان لك أن تجلدى. فقال : لم؟ قال : لأن الله تعالى يقول : ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا﴾^(١) فأنما من الذين آمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، شهدت مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد. فقال عمر : ألا تريدون عليه قوله؟ فقال ابن عباس : إن هذه الآيات أنزلت عذرا للماضين، وحجة على الباقين، لأن الله تعالى يقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾^(٢) قال عمر : صدقت^(٣).

ويلاحظ هنا أن الوقوف على سبب النزول هو الذى جلى الموقف لابن عباس، ورفع الإشكال عنها، وسبب نزولها على ما روى عن البراء بن عازب رضى الله عنه^(٤) أنه قال : مات رجل من أصحاب النبي ﷺ قبل أن تحرم الخمر، فلما حرمت الخمر، قال رجال كيف بأصحابنا وقد ماتوا يشربون الخمر؟ فنزلت : ﴿ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا﴾^(٥) فالآية ترفع الجناح عن شربها قبل التحريم. فلا إشكال ولا تعارض.

من أجل ذلك فقد أكد العلماء على الأهمية البالغة لسبب النزول وأنه طريق قوى فى فهم معانى القرآن الكريم^(٦).

(١) الآية ٩٣ المائدة.

(٢) الآية ٩٠ المائدة.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرک ٤/٤١٧ رقم ٨١٣٢ وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه ٩/٢٤٠ رقم ١٧٠٧٦ .

(٤) صحابى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص ٥٥ رقم ٢٧٢، والرياض المستطابة ص ٣٧، وتاريخ الصحابة ص ٤٢ رقم ١٠٣، وأسد الغابة ١/٣٦٢ رقم ٣٨٩ .

(٥) الآية ٩٣ المائدة، والحديث أخرجه الترمذى فى سننه كتاب تفسير القرآن، باب سورة المائدة

٥/٢٣٧ رقم ٣٠٥٠ وقال : حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده ١/٩٧ رقم ٧١٥، وللحديث شاهد من رواية ابن عباس فى سنن الترمذى فى الأماكن السابقة نفسها برقم

٣٠٥٢ وقال : حديث حسن صحيح.

(٦) ينظر : التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبى ٥٨/١، ومناهل العرفان فى علوم القرآن ١/١١٠ .

٣- وإذا رجعت إلى السيرة النبوية لتفهم منها التجسيد الحى للقضية الأولى التى ابتدأ بها أمر الدين، وهى الوحي الإلهى، لرأيت أن السيرة العطرة كانت أقرب وأقوى فى تفسير آيات الوحي من بعض التفاسير التى اتخذت الجانب اللغوى، أو التصوير البيانى، أو التأويل التكليفى.

قال تعالى: ﴿إِنْ سَأَلْتَهُ عَنك قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(١) وقال سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

فإن الذى يخلو ذهنه من السيرة النبوية التى تصور الواقع الذى عاشه رسول الله ﷺ فى التنزيل القرآنى لا يستطيع أن يتصور واقع ما تشير إليه تلك الآيات وغيرها المتكلمة عن الوحي وما فيه، وما يتطلبه تصور ذلك من صفاء وظهر واستعداد وأهلية تجعله على مستوى ما لدى هذه الآيات ليتفاعل معها، وتتفاعل معه فى إطار ما تضمنته من هبات ربانية.

ومما روته كتب السنة النبوية كاشفة عن أحواله ﷺ فى التنزيل القرآنى ما يلى :

١- عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : "كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة"^(٣).

٢- وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه^(٤) قال : "كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتردد له وجهه..."^(٥).

(١) الآية ٥ الزمل.

(٢) الآية ٢١ الحشر.

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب بدء الوحي ٣٩/١ رقم ٥، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة ٤٠٢/٢ رقم ٤٤٨.

(٤) صحابى جليل له ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص ١٩٠ رقم ١٠٠٤، والرياض المستطابة ص ٢٠٧، وأسد الغابة ٣/١٥٨ رقم ٢٧٩١، والاستيعاب ٢/٨٠٧ رقم ١٣٧٢.

(٥) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ فى البرد، وحين يأتيه الوحي ٩٧/٨ رقم ٢٣٣٤.

٣- وعن يعلى بن أمية رضى الله عنه^(١) قال : "وددت لى قد رأيت رسول الله ﷺ وقد أنزل عليه الوحي؟ فقال عمر : تعال أيسرك أن تنتظر إلى النبي ﷺ وقد أنزل الله عليه الوحي؟ قلت : نعم. فرفع طرف الثوب، فنظرت إليه له غطيط^(٢) وأحسبه قال : كغطيط البكر...^(٣) .

٤- وعن عائشة رضى الله عنها قالت : "ولقد رأيته "أى النبي ﷺ" ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد، فيفصم "أى يقلع" عنه وإن جبينه لينتقصد عرفاً^(٤) .

٥- وفى رواية عنها قالت : "إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها"^(٥) .

٦- وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه^(٦) قال : "كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء^(٧) شديدة، وعرق عرفاً شديداً مثل الجمان^(٨) ثم سرى عنه. وكنت أكتب وهو يملأ على، فما أفرغ حتى تكاد رجلى تتكسر من ثقل الوحي، حتى أقول : لا أمشى على رجلى أبداً"^(٩) .

٧- وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : "كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوى^(١٠) النحل، فأنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة فسرى عنه فاستقبل القبلة، ورفع يديه

-
- (١) صحابى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص ٤٠ رقم ١٦٧، والاستيعاب ١٥٨٥/٤ رقم ٢٨١٥، وأسد الغابة ٤٨٦/٥ رقم ٥٦٤٧، والإصابة ٦٦٨/٣ .
- (٢) هو الصوت الذى يخرج مع نفس النائم، وهو تردده حيث لا يجد مساعداً. ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٣٣٥/٣ .
- (٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحج، باب ما يفعل بالعمرة ٧١٨/٣ رقم ١٧٨٩، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب ما يباح للحرم بحج أو عمرة ٣٣٢/٤ رقم ١١٨٠ .
- (٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب بدء الوحي ٢٥/١، رقم ٢٦، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ فى البرد، وحين يأتيه الوحي ٩٧/٨ رقم ٢٣٣٣ .
- (٥) أى ترك وتلصق عنقها بالأرض. ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٢٥٥/١، والحديث رواه أحمد فى مسنده ١١٨/٦، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٥٧/٨ .
- (٦) صحابى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص ١٦ رقم ٢٢، وتجريد أسماء الصحابة ١٩٧/٦، والرياض المستطابة ص ٨٤، وأسد الغابة ٣٤٦/٢ رقم ١٨٢٤ .
- (٧) بضم الباء، وفتح الراء، شدة أذى الحمى وغيرها. ينظر : شرح الزرقانى على المواهب ٤٢٨/١، والنهاية ١١٣/١ .
- (٨) بضم الجيم وهو اللؤلؤ الصغار، وقيل : خرز يتخذ من الفضة مثل اللؤلؤ. النهاية ٢٩١/١ .
- (٩) أخرجه الطبرانى بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات عما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٥٧/٨ .
- (١٠) صوت ليس بالعالى، كصوت النحل ونحوه. النهاية فى غريب الحديث ١٣٣/٢ .

وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا^(١).

٨- وعن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله عنهما^(٢) سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ : "أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس، وهو أشده على فيفصم عنى، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعنى ما يقول"^(٣) وهذه الصلصلة أو الدوى هو صوت الملك بالوحي، ولا تعارض بينهما.

قال ابن حجر^(٤) : "قدوى للنحل لا يعارض صلصلة الجرس، لأن سماع الدوى بالنسبة إلى الحاضرين، كما قال عمر : يسمع عنده كدوى النحل، والصلصلة بالنسبة للنبي ﷺ، فشبهه عمر بدوى النحل بالنسبة إلى السامعين، وشبهه هو ﷺ بصلصلة الجرس بالنسبة إلى مقامه"^(٥).

٩- وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما^(٦) قال : سألت رسول الله ﷺ : هل تحس بالوحي؟ فقال : أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تقبض"^(٧).

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون ٣٠/٥ رقم ٣١٧٣، والنسائى فى سننه الكبرى كتاب الوتر، باب رفع اليدين فى الدعاء ٤٥٠/١ رقم ١٤٣٩، وأحمد فى مسنده ٣٤/١، وصححه العلامة أحمد شاكر رقم ٢٢٣.

(٢) صحابى جليل له ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص ٦٩ رقم ٢٣٩، وأسد الغابة ٦٤٣/١ رقم ٩٧٩، والاستيعاب ٣٠١/١ رقم ٤٤٠.

(٣) هى صوت الحديد إذا حرك، ثم أطلق على كل صوت له طنين. ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٤٣/٣، وفتح البارى ٢٧/١ رقم ٢.

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى). كتاب بدء الوحي ٢٥/١، ٢٦ رقم ٢، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ فى البرد، وحين يأتيه الوحي ٩٧/٨ رقم ٢٣٣٣.

(٥) هو : أحمد بن على بن محمد العسقلانى، أبو الفضل، أصله من عسقلان بفلسطين، ولكنه ولد بالقاهرة، حافظ أهل زمانه، وواحد وقته وأوانه، من مصنفاته النفيسة التى عم النفع بها "فتح البارى بشرح صحيح البخارى" و"الإصابة فى معرفة الصحابة" وغير ذلك مات سنة ٨٥٢هـ له ترجمة فى : الضوء اللامع للسخاوى ٣٦/٢ رقم ١٠٤، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٥٥٢ رقم ١١٩٠، وشذرات الذهب لابن العماد ٢٧٠/٧، والبدر الطالع للشوكانى ٨٧/١ رقم ٥١.

(٦) فتح البارى ٢٧/١ رقم ٢.

(٧) صحابى جليل له ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص ١٥٠ رقم ٧٢١، والاستيعاب ٢٥٦/٣ رقم ١٦٣٦، وأسد الغابة ٣٤٥/٣ رقم ٣٠٩٢، والإصابة ٣٥١/٢ رقم ٤٨٦٥.

فهذه الروايات تبين لك إلى أى مدى يستلزم الوحي الإلهي من استعداد خاص، وتجرد عن عالم البشر، وإلى ما لاقى النبي ﷺ من معاناة أثناء تنزيل الوحي عليه، حتى أن الملامس لجسده الشريف، كان يشعر به كما مر من حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه .

فإذا رجعت للآيات الكريمة والتي نتكلم عن الوحي، تستطيع الآن أن تتفقهها؛ لا فى إعجازها المجرد، وإنما فى هيئة وقعها الحى على صاحب الرسالة ﷺ، ومن عايشه بها من صاحبته رضوان الله عليهم أجمعين .

ولنتظر الان كيف تتناول كتب التفسير للقرآن الكريم آية من تلك الآيات وهى قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(١) بالتفسير والشرح لنرى أى التفاسير أقرب فى تيسير فهم الآية؛ التفسير اللغوى، أو التصوير البيانى، أو التأويل التكليفى، أو التفسير بالمأثور من السنة النبوية، والمسيرة العطرة ؟ .

جاء فى تفسير الألوسى : "قَوْلًا ثَقِيلًا" : هو القرآن العظيم، فإنه لما فيه من التكاليف الشاقة، ثَقِيل على المكلفين، سيما على رسول الله ﷺ، فإنه مأمور بتحملها وتحميلها للأمة. ونحو هذا جاء فى تفسير الكشاف^(٢) .

وقيل : ثَقِيل فى الميزان، وهو اختيار ابن جرير الطبرى^(٣) .

وقيل : ثَقْلَه على الكافرين والمنافقين بإعجازه ووعيده، وقيل غير ذلك^(٤) .

وفى تفسير القرطبى : قَوْلًا ثَقِيلًا : صلاة الليل! أى سنلقى عليك بافتراض صلاة الليل قَوْلًا ثَقِيلًا يتقل حمله، لأن الليل للمنام، فمن أمر بقيام أكثره لم يتهيأ له ذلك إلا بحمل شديد على النفس، ومجاهدة للشيطان فهو أمر يتقل على العبد^(٥) .

(١) الآية ٥ المزمل .

(٢) ١٧٥/٤ .

(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٨٠/٢٩ .

(٤) روح المعاني ١٠٤/٢٩ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٣٧/١٩ .

وفى تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ثقيلًا : أى ثقيل وقت نزوله من عظمته، ثم ساق الروايات السابقة التى تبين أحوال النبى ﷺ وقت نزول الوحي عليه^(١).

ومن كل ما سبق من أوجه التفسير، يتبين لك كيف أن التفسير الذى اعتمد على المأثور من سنة النبى ﷺ، وسيرته العطرة، كان من أقرب وأقوى التفاسير فى تيسير فهم الآية، مع صحة بقية الأوجه الأخرى فى تفسيرها.

وتبدو أهمية السيرة العطرة فى فهم القرآن الكريم من خلال الاستعانة بها فى تقييد مطلق الآيات القرآنية، أو تخصيص عامها؛ وهذه ناحية هامة جدا يترتب عليها كثير من الأحكام الشرعية.

أ- فمثال تخصيص السيرة العطرة لعام القرآن الكريم : قوله تعالى : ﴿لَيَأْتِيَنَّهُمُ الْغَمُّ أَثَرِ الْغَمِّ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٢) فالظاهر من قوله تعالى : "وأرجلكم" الأمر بغسل الرجلين على قراءة النصب عطفًا على قوله تعالى "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم" وهو الواجب أيضا على قراءة الخفض عطفًا على قوله ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ فالمراد بمسح الرجلين غسلهما^(٣).

وقد توهم بعض السلف^(٤) كما توهم الخوارج والروافض أن هذه الآية ناسخة لرخصة المسح على الخفين، وقد روى ذلك عن على بن أبى طالب رضى الله عنه^(٥) ولكنه لم يصح إسناده، ثم الثابت عنه خلافه^(٦).

ودعوى النسخ مردودة بما ورد فى السيرة العطرة من فعله ﷺ بالمسح على الخفين بعد نزول آية المائدة، ويدل على ذلك ما روى عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه^(٧) حيث

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٧٧/٨ .

(٢) الآية ٦ المائدة .

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٤/٣ ، ٤٩ .

(٤) ذهب إلى ذلك ابن شاهين فى كتابه الناسخ والمنسوخ من الحديث ص ١٤٩ - ١٥٤ .

(٥) صحاحى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص ١١ رقم ٥، وأسد الغابة ٨٧/٤ رقم ٣٧٨٩

والاستيعاب ١٠٨٩/٣ رقم ١٨٥٥، والإصابة ٥٠٧/٢ رقم ٥٧٠٤ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ٥٤/٣، وينظر : تلخيص الحبير لابن حجر ٤١٥/١ ، ٤١٦ .

(٧) صحاحى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص ٥٦ رقم ٢٧٥، وأسد الغابة ٥٢٩/١ رقم ٧٣٠، والاستيعاب ٢٣٦/١ رقم ٣٢٢، وتجريد أسماء الصحابة ٨٢/١ .

بال ثم توطأ، ومسح على خفيه. فقيل : أتفعل هذا؟ فقال : نعم، رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ، ومسح على خفيه. قال : إبراهيم^(١) : فكان يعجبهم هذا الحديث لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة^(٢) وهو ما صرح به جرير رضى الله عنه رداً على من تأول أن مسح النبي ﷺ على الخفين قبل نزول المائدة، فأجاب قائلًا : "ما أسلمت إلا بعد نزول المائدة"^(٣).

فإذا كانت آية المائدة نزلت في غزو المريسيع سنة خمس، وقيل سنة ست هجرية، ومسحه ﷺ كان في غزوة تبوك سنة تسع هجرية على ما جاء في رواية المغيرة بن شعبة^(٤) فإن هذا يدل على أن فعله ﷺ محكم وأنه مع الآية الكريمة يخصص عمومها.

قال الإمام النووي^(٥) : "قلو كان إسلام جرير متقدماً على نزول المائدة لاحتتمل كون حديثه في مسح الخفين منسوخاً بآية المائدة، فلما كان إسلامه متأخراً علمنا أن حديثه يعمل به، وهو مبين أن المراد بآية المائدة غير صاحب الخف، فتكون السنة المطهرة مخصصة لعموم الآية"^(٦).

(١) هو إبراهيم بن سويد النخعي، ثقة، لم يثبت أن النسائي ضعفه. له ترجمة في : تقريب التهذيب ٥٧/١ رقم ١٨٤، والثقات للعجلي ص ٥٢ رقم ٢٦، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٩٤ رقم ١٢٩٠.

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين ١٦٦/٢، ١٦٧، رقم ٢٧٢، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصلاة، باب الصلاة في الخفاف ٥٨٩/١ رقم ٣٨٧. (٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين ٣٩/١ رقم ١٥٤، والترمذي في سننه كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين ١٥٦/١ رقم ٩٤، وقال الترمذي : وهذا حديث مفسر، لأن بعض من أنكر المسح على الخفين، تأول أن مسح النبي ﷺ كان قبل نزول آية الوضوء التي في المائدة، فيكون منسوخاً، فذكر جرير في حديثه أنه رآه بمسح بعد نزول المائدة، فكان أصحاب ابن مسعود يعجبهم حديث جرير لأن فيه رداً على أصحاب التأويل المذكور أ ه وينظر : فتح الباري ٥٩٠/١ رقم ٣٨٧.

(٤) فعنه قال : "إن رسول الله ﷺ ذهب لحاجته في غزوة تبوك، قال المغيرة : فذهبت معه بماء، فحساء رسول الله ﷺ، فسكب عليه الماء، فغسل وجهه، ثم ذهب يخرج يديه من كمي جيته، فلم يستطع من ضيق كمي الجبة، فأخرجهما من تحت الجبة، فغسل يديه، ومسح برأسه، ومسح على الخفين" أخرجه مالك في الموطأ كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين ٥٩/١ رقم ٤١، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المغازي، ٧/٧٣١ رقم ٤٤٢١، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين ١٦٨/٢ رقم ٢٧٤، وينظر : فتح الباري ٣٦٨/١ رقم ٢٠٣، وشرح الزرقاني على الموطأ ٩٦/١ رقم ٧٠.

(٥) هو أبو زكريا، يحيى بن شرف الحوارني، الشافعي، كان إماماً حافظاً متفناً، صاحب تصانيف نافعة في الحديث، والفقه، وغيرها "كشرح مسلم" و"شرح المذهب" و"البهائم" وغير ذلك مات سنة ٦٧٦ هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ١٤٧٠/٤ رقم ١١٦٢، وشذرات الذهب ٣٤٥/٥ وطبقات الشافعية لابن كثير ٩٠٩/٢.

(٦) المنهاج شرح مسلم ١٧٠/٢ رقم ٢٧٢.

على أنه قد يقال : قد ثبت في آية المائدة القراءة بالجر. "وأرجلكم" عطفاً على الممسوح وهو الرأس، فيحمل على مسح الخفين كما بينته السيرة النبوية، ويتم ثبوت المسح بالكتاب والسيرة، وهو أحسن الوجوه التي توجه بها قراءة الجر.

وعلى جواز المسح على الخفين في السفر والحضر، سواء كان لحاجة أو لغيرها إجماع من يعتد به في الإجماع، ولا يعتد بإنكار الشيعة والخوارج لتلك الرخصة، ولا بخلافهم في ذلك^(١).

قال الحافظ ابن كثير^(٢) : "وقد ثبت بالتواتر^(٣) عن رسول الله ﷺ مشروعية المسح على الخفين قولاً منه وعملاً^(٤) وقد خالفت الروافض ذلك كله بلا مستند، بل بجهل وضلال، مع أنه ثابت في صحيح مسلم من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٥) مع ما ثبت

(١) ينظر : المصدر السابق في الأماكن السابقة نفسها.
(٢) هو : إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء، الدمشقي، الشافعي، كان عالماً حافظاً فقيهاً، ومفسراً نقاداً، ومؤرخاً كبيراً، من مصنفاته : تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، مات سنة ٧٧٤هـ. له ترجمة في : الدرر الكامنة لابن حجر ٣٧٣/١ رقم ٩٤٤، وطبقات المفسرين للدوادري ١١١/١ رقم ١٠٣، وشذرات الذهب ٢٣١/٦، والبدر الطالع للشوكاني ١٥٣/١ رقم ٩٥.

(٣) قال ابن عبد البر في الاستذكار ٢٣٩/٢ رقم ٢١٩٠ "روى عن النبي ﷺ المسح على الخفين نحو أربعين من الصحابة، ونقل ابن المنذر، والنووي، عن الحسن البصري قال : حدثني سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ أنه كان يمسح على الخفين، كما نقل ابن المنذر عن ابن المبارك أنه قال : ليس في المسح على الخفين عن الصحابة رضي الله عنهم اختلاف، لأن كل من روى عنه منهم إنكاره، فقد روى عنه إثباته" أه ينظر : المنهاج شرح مؤلف ١٧٠/٢ رقم ٢٧٢، والروضة الندية شرح الدرر البهية للقنوجي ٤١/١، ٤٢، وتلخيص الحبير ٤١٥/١، وفتح الباري ٣٦٥/١ رقم ٢٠٢، وشرح الزرقاني على الموطأ ٩٥/١ رقم ٧٠.

(٤) ينظر تفصيل أحكام المسح على الخفين في : نيل الأوطار ١٧٦/١، وسبل السلام ٨٦/١، وفقه السنة للشيخ السيد سابق ٥٧/١.

(٥) يشير إلى ما رواه مسلم عن شريح بن هانئ قال : أتيت عائشة رضي الله عنها أسألها عن المسح على الخفين، فقالت : عليك يا ابن أبي طالب، فسله، فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ فسألناه، فقال : جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر؛ ويوماً وليلة للمقيم" أه أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين ١٧٨/٢ رقم ٢٧٦، وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : "لو كان الدين بالرأي، لكان أسفل الخف أولى من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح ظهر خفيه" أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة، باب كيف المسح ٤٢/١ رقم ١٦٢ وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ٤١٨/١، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار كتاب الطهارة، باب كيف المسح على الخفين ٣٥٢/١ رقم ٤٤٤.

بالتواتر من فعل رسول الله ﷺ على وفق ما دلت عليه آية المائدة، وهم مخالفون لذلك كله، وليس لهم دليل صحيح فى نفس الأمر^(١).

فتأمل كيف كانت أهمية السيرة العطرة فى فهم القرآن الكريم من خلال الاستعانة بها فى تخصيص عام غسل الرجلين فى قوله تعالى "وأرجلكم" بما ورد فى السيرة العطرة من فعله ﷺ بالمسح على الخفين، ورد دعوى نسخ آية المائدة لتلك الرخصة النبوية.

ب- ومثال تقييد السيرة العطرة لمطلق القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢) وهذه الآية الكريمة مطلقة لم تقيّد قطع اليد بموضع محدد، لأن اليد تطلق على الأصابع، والكف، والرسغ، والساعد، والمرفق، والعضد. ولكن السيرة العطرة بينت ذلك، وقيدت القطع بمقدار الكف فقط من يد واحدة. وذلك حينما أتى بسارق إلى النبي ﷺ فقطع يده من مفصل الكف^(٣).

فلولا السيرة العطرة لما استطعنا فهم المراد من الآية الكريمة، ولما استطعنا إقامة الحد على وجهه الصحيح.

والذى أخلص إليه من كل ما تقدم، التأكيد على أن أهمية السيرة النبوية فى تفسير القرآن الكريم، والوقوف من خلالها على فهم أدق وأقرب لآيات القرآن هو أمر فى غاية الجلاء.

وهو وإن كان لا يخلو من الاعتماد عليه كتاب تفسير، إلا أن المطلوب إنما هو التركيز عليه، بحيث لا يطغى الاهتمام بالشكل، والأمور الجانبية على هذا الفحوى والمضمون؛ وهو ما يشاهد فى غالبية كتب التفسير، الأمر الذى أصبح يشكل عبئاً ظاهراً فى تناول أمر هداية القرآن حتى على طلبة العلم والمتخصصين منهم.

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٤/٣ بتصرف يسير.

(٢) الآية ٣٨ المائدة.

(٣) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى كتاب السرقة، باب السارق يسرق أولاً فتقطع يده اليمنى من مفصل الكف ٢٧٠/٨، ٢٧١.

فإن هذه العلوم من لغوية - نحوية، وبلاغية - وغيرها وإن كانت وسائل يستعان بها على فهم القرآن، والوقوف على أسرار بيانه، إلا أنه لا ينبغي أن تكون هي الشغل الشاغل عن الهداية العملية للقرآن، هذه التي سرت روحها في الرعي الأول، فتجرت منها ينابيع العلم والمعارف، ودانت لهم الدنيا بأسرها.

فكيف إذا جاوز الأمر الوقوف على الوسائل إلى قضايا جانبية من القضايا الفلسفية، والأهواء الشخصية، فإنه عند ذلك يبعد كثيراً عن القصد ولا يحقق المطلوب^(١). أهـ

ثانياً : أهمية السيرة العطرة في فهم السنة الشريفة :

لا تَفْ أهمية السيرة النبوية في فهم القرآن الكريم فقط، بل تتعدى تلك الأهمية إلى السنة المطهرة.

فدراسة السيرة تفيدنا في معرفة حقيقة الأوامر والنواهي في السنة النبوية، فقد يرد الأمر أو النهي في السنة النبوية، ولا نعلم هل هذا الأمر على الوجوب، أو على الإرشاد، أو هو منسوخ! ولا نعلم النهي أيضاً هل على التحريم، أو التنزيه، أو هو منسوخ! فتأتي السيرة العطرة لتبين لنا الحكم الدقيق في المسألة.

أ- مثال الأمر : ما ورد في الوضوء مما مسته النار :

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : "توضأوا مما مست النار"^(٢) وفي الباب عن أبي هريرة، وزيد بن ثابت^(٣) وغيرهم.

فالظاهر هنا من قوله ﷺ : "توضأوا" أن الوضوء مما مسته النار واجب، وبه قال جماعة من الصحابة والتابعين^(٤)، ولكن ما ورد في السيرة العطرة من فعله ﷺ يبين حقيقة هذا الأمر، وأنه منسوخ على وجه، ومحمول على الاستحباب لا على الوجوب على وجه آخر؛ يدل على ذلك ما يلي :

(١) ينظر : المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة ٥٤٩/٢ - ٥٦٩، بحث الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم "أهمية السيرة في تفسير القرآن".

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الوضوء، باب الوضوء مما مست النار ٢٧٨/٢ رقم ٣٥٣.

(٣) أخرجهما مسلم (بشرح النووي) في الأماكن السابقة نفسها برقمي ٣٥١، ٣٥٢.

(٤) منهم ابن عمر، وأبي طلحة، وأنس بن مالك، وأبي موسى الأشعري، وعائشة، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة، وعمر بن عبد العزيز، وأبي قلابة، والحسن البصري، والزهري.

- ١- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أكل كتف شاة ثم صلى، ولم يتوضأ^(١) ونحوه عن عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه^(٢).
- ٢- وعن ميمونة زوج النبي ﷺ^(٣) أن رسول الله ﷺ أكل عندها كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ^(٤).
- ٣- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه^(٥) قال : كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما غيرت النار^(٦) وأصل هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه سأل عن الوضوء مما مست النار، فقال : لا، قد كنا زمان النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك من الطعام إلا قليلا، فإذا نحن وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا، ثم نصلى ولا نتوضأ^(٧).

- (١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحيض، باب نسخ الوضوء مما مست النار ٢٨٠/٢ رقم ٣٥٤، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الوضوء، باب من لم يتوضأ من لحم الشاة والسويق ٣٧١/١ رقم ٢٠٧.
- (٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) في الأماكن السابقة نفسها برقم ٣٥٥، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجهاد والسير، باب ما يذكر في السكن ١١٩/٦ رقم ٢٩٢٣.
- (٣) لها ترجمة في : أسد الغابة ٢٦٢/٧ رقم ٧٣٠٥، والاستيعاب ١٩١٤/٤ رقم ٤٠٩٩، وتاريخ الصحابة ص ٢٤٧ رقم ١٣٦٣، والرياض المستطابة ص ٣١٣، ٣١٤.
- (٤) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحيض، باب نسخ الوضوء مما مست النار ٢/٢ رقم ٣٥٦، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الوضوء، باب من مضى من السويق ولم يتوضأ ٣٧٣/١ رقم ٢١٠.
- (٥) صحابي جليل له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٤٣/١ رقم ٢١، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٧ رقم ٢٥، وأسد الغابة ٤٩٢/١ رقم ٦٤٧، والاستيعاب ٢١٩/١ رقم ٢٩٠، والإصابة ٤٥/٢ رقم ١٠٢٢.
- (٦) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما مست النار ٤٩/١ رقم ١٩٢، والترمذي في سننه كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما غيرت النار ١١٦/١، ١١٧ رقم ٨٠ هذا وللشيخ أحمد شاکر رحمه الله تعالى، كلام طيب يرد به على القائلين بأن ابن التكرار لم يسمع هذا الحديث من جابر، فراجع إن شئت في سنن الترمذي في الأماكن السابقة نفسها والحديث أخرجه أيضا : النسائي في سننه الصغرى كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما غيرت النار ١٠٨/١ رقم ١٨٥، والبيهقي في السنن الكبرى، باب ترك الوضوء مما مست النار ١٥٥/١ وابن خزيمة في صحيحه ٢٨/١ رقم ٤٣، وابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) ٤١٦/٣ رقم ١١٣٤، والطبراني في الأوسط ٥٨/٥، ٥٩ رقم ٤٦٦٣.
- (٧) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الأطعمة، باب المنديل ٤٩٢/٩ رقم ٥٤٥٧.

والحديث شاهد من حديث محمد بن مسلمة رضى الله عنه^(١) قال : إن رسول الله ﷺ أكل
آخر أمره لحما، ثم صلى، ولم يتوضأ^(٢).

وعلى ذلك جمهور الصحابة، ففي الموطأ روى موقوفا، مفرقا ومجمعا عن أبى بكر
الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعامر بن ربيعة العنزي،
وابن عباس، رضوان الله عليهم أجمعين - أنهم كانوا لا يتوضئون مما مست النار^(٣).

٤- وروى أن أنس بن مالك رضى الله عنه قدم من العراق، فدخل عليه أبو طلحة، وأبى بن
كعب، فقرب لهما طعاما قد مسته النار، فأكلوا منه. فقام أنس فتوضأ، فقال أبو طلحة، وأبى
بن كعب : ما هذا يا أنس؟ أعراقية؟^(٤) فقال أنس : ليتنى لم أفعل. وقام أبو طلحة، وأبى بن
كعب، فصليا ولم يتوضأ^(٥).

ففى هذه الروايات ما يدل على أن الأمر فى قوله ﷺ : "توضأوا مما مست النار" محمول
على الاستحباب، لا على الوجوب، وهذا قول بعض العلماء الذين ذهبوا إلى الجمع بين
الروايات^(٦).

(١) صحاحي جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص ٣٠ رقم ٩٣، والرياض المستطابة ص ٢٥٨،
٢٥٩، وأسد الغابة ١٠٦/٥ رقم ٤٧٦٨ .

(٢) أخرجه الطبراني فى الكبير، وفيه يونس بن أبى خلده، قال فيه الميثمى فى مجمع الزوائد ٢٥٢/١ لم
أرى من ذكره. قلت : سكنت عنه ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٢٣٨/٩ رقم ١٠٠٢، وأخرجه
ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ من الحديث ص ٩٧ رقم ٩٥، والحازمى فى الاعتبار فى الناسخ
والمنسوخ من الآثار ص ١٦٠، والبيهقى فى السنن الكبرى كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما
مست النار ١٥٦/١ وفى طريقهم أيضا يونس بن أبى خلده. أهـ.

(٣) أخرجه مالك فى الموطأ كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما مسته النار ٥٢/١، ٥٣ أرقام ٢١ -
٢٤، وأخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الطهارة، باب الرخصة فى ترك الوضوء مما غبرت النار
١٦١/١ رقم ٤٨٩، والطبراني فى مسند الشاميين بإسناد حسن كما قال الحافظ فى فتح البارى
٣٧١/١، ٣٧٢ رقم ٢٠٧ .

(٤) أى : أبا العراق استفدت هذا العلم، وتركت عمل أهل المدينة المتلقى عن النبى ﷺ؟ ينظر : شرح
الزرقانى على الموطأ ٧٨/١ رقم ٥٥ .

(٥) أخرجه مالك فى الموطأ كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما مسته النار ٥٤/١ رقم ٢٦ .

(٦) ينظر : شرح الزرقانى على الموطأ ٧٧/١ رقم ٥٣، والمنهاج شرح مسلم ٢٨٠/٢ رقم ٣٥٤، وسبل
السلام ١٠٨/١، وفقه السنة للشيخ سيد سابق ٥٦/١ .

أما الجمهور من العلماء فعلى أن أحاديث الوضوء مما مست النار منسوخة برواية جابر بن عبد الله، ومحمد بن مسلمة، وغيرها من الروايات السابقة المرفوعة والموقوفة^(١).

فتأمل كيف كانت أهمية السيرة العطرة في فهم حقيقة الأمر الوارد في السنة النبوية، وأنه ليس مراداً، إذ هو محمول على الاستحباب على وجه الجمع بين الروايات - على رأى بعض العلماء - ومنسوخ على رأى الجمهور .

ب- ومثال النهى : ما ورد فى النهى عن الشرب قائماً :

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ، أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً : قال : قتادة : فقلنا : فالأكل؟ فقال : ذاك أشر أو أخبث^(٢) ونحوه عن أبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة بزيادة "فمن نسي فليستقئ"^(٣).

فالظاهر هنا من أن هذا النهى النبوى، أن الشرب من قيام حرام، ولاسيما بعد قوله فى رواية أبى هريرة السابقة "فمن نسي فليستقئ" فإن ذلك يدل على التشديد فى المنع، والمبالغة فى التحريم :

ولكن روى فى السيرة العطرة من فعله ﷺ ما يبين حقيقة هذا النهى، وأنه ليس للتحريم :

١- فعن أبى عباس رضى الله عنهما قال : سقيت رسول الله ﷺ من زمزم فشرب قائماً^(٤).

(١) ينظر : المصادر السابقة، مع نيل الأوطار ٢٠٢/١، والمغنى لابن قدامة ١٨٧/١، والاعتبار للحازمى ص ١٥٨ .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائماً ٢١٣/٧ رقم ٢٠٢٤ .
(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووى) فى الأماكن السابقة نفسها برقمى ٢٠٢٥، ٢٠٢٦، وفى رواية عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال لرجل رآه يشرب قائماً : "قئ! قال : لم؟ قال : أحب أن تشرب مع الهر؟ قال : لا . قال : فقد شرب معك شر منه الشيطان" أخرجه الدارمى فى سننه كتاب الأشربة، باب من كره الشرب قائماً ١٦٢/٢ رقم ٢١٢٨، وأحمد فى مسنده ٣٠١/٢، ٢٨٣، والبخارى، ورجال أحمد ثقات كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧٩/٥ .

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب الشرب من زمزم قائماً ٢١٤/٧ رقم ٢٠٢٧، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأشربة، باب الشرب قائماً ٨٤/١٠ رقم ٥٦١٧، وكتاب الحج، باب ما جاء فى زمزم ٥٧٦/٣ رقم ١٦٣٧ .

٢-وروى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أتى باب الرحبة^(١) بماء فشرب قائماً. فقال : إن ناسا يكره أحدهم أن يشرب وهو قائم، وإنى رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتمونى فعلت^(٢).

٣-وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ دخل على أم سليم، وفى البيت قربة معلقة فشرب من فيها وهو قائم، قال : فقطعت أم سليم فم القربة^(٣) فهو عندنا^(٤).

٤-وروى أن كبشة بنت ثابت الأنصارى - وهى أخت حسان بن ثابت رضى الله عنهما لما دخل عليها رسول الله ﷺ، وعندها قربة معلقة، فشرب منها وهو قائم، فقطعت فم القربة تبتغى بركة موضع فى رسول الله ﷺ^(٥).

٥-وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائماً وقاعداً"^(٦).

فهذه الروايات وغيرها تدل دلالة قاطعة على أن أحاديث النهى عن الشرب قائماً تحمل على الاستحباب، والحدث على ما هو أولى وأكمل، وليس النهى للتحريم على ما جزم به ابن حزم، ولا الكراهة^(٧) على ما ذهب إليه البعض^(٨).

(١) الرحبة : بفتح الراء، والمهمله، والموحدة، المكان المتسع، ورحبة المسجد بالحريك وهى ساحة والمراد رحبة للمكوفة بمحلة رحبة المسجد، ينظر : القاموس المحيط ٧٢/١، وفتح البارى ٨٤/١٠ رقم ٥٦١٥.

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأشربة، باب الشرب قائماً ٨٤/١٠ رقم ٥٦١٥ عن الزال بن سيرة رضى الله عنه.

(٣) قطعها فم القربة، فعلته لوجهين أحدهما : أن تصون موضعاً أصابه فم رسول الله ﷺ عن أن يتنذل ويمسه كل أحد، والثاني : أن تحفظه للتبرك به والاستشفاء قلنا ما فعلته للوجهين معاً. ينظر : المنهاج شرح مسلم ٢١٣/٧ رقم ٢٠٢٣.

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده ١١٩/٣، ٤٣١/٦، والترمذى فى الشمائل المحمدية ص ١٢٩ رقم ٢٠٥ وأخرجه الدارمى مختصراً فى سننه كتاب الأشربة، باب الشرب قائماً ١٦٢/٢ رقم ٢١٢٤، وعزاه الهيثمى إلى أحمد والطبرانى وقال فيه البراء بن زيد ولم يضعفه أحد وبقيت رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٧٩/٥.

(٥) أخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الأشربة، باب الشرب قائماً ٣٢٥/٢ رقم ٣٤٢٣، والترمذى فى سننه كتاب الأشربة، باب ما جاء فى الرخصة فى الشرب قائماً ٢٧٠/٤ رقم ١٨٩٢ وقال : حديث حسن صحيح غريب.

(٦) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الأشربة، باب ما جاء فى الرخصة فى الشرب قائماً ٢٦٦/٤ رقم ١٨٨٣، وقال : حسن صحيح، وفى الشمائل المحمدية ص ١٢٦ رقم ١٩٨، وابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ ص ٤٢٢ رقم ٥٨٤.

(٧) قال الأثرم : إن ثبتت الكراهة، حملت على الإرشاد والتأديب لا على التحريم. ينظر : فتح البارى ٨٧/١٠ رقم ٥٦١٧.

(٨) ينظر : نيل الأوطار ١٩٥/٨، وشرح الزرقانى على الموطأ ٣٤٣/٤ رقم ١٧٨٤.

وللحافظ ابن حجر :

إذا رمت شرب فاقعد تفز *** بسنة صفوة أهل الحجاز
وقد صححوا شربه قائما *** ولكنه لبيان الجواز^(١).

فتأمل كيف كانت أهمية السيرة العطرة في حل ما ظاهره التعارض والتناقض من الأحاديث، ببيان حقيقة المراد بالنهي النبوي عن الشرب قائما، وأنه محمول على الاستحباب، والحث على ما هو أولى وأكمل حال الشرب. وليس النهي للتحريم ولا الكراهة. ودليل ذلك كله سيرة رسول الله ﷺ في الشرب قائما أهـ والله أعلم.

ج- أهمية السيرة العطرة في إثبات أن للمسلمين تاريخاً وحضارة :

السيرة النبوية هي مصدر لكل معرفة، وهي مفتاح نهضة المسلمين وحضارتهم، وهي فوق كل هذا الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، والعمل بها حفظ لكيان الإسلام وتقدمه، وتركها هدم لدين الإسلام، وتأخر المسلمين.

فها هو ذا مشرك ينطق بشمول السيرة النبوية العطرة لكل أمور الحياة، معترفاً على نفسه، ومن كل شاكلته؛ بأنهم يحرصون على معرفة تعاليم السيرة. فعن سلمان رضي الله عنه^(٢) أنه قيل له : قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة؟ قال : أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم^(٣).

وانظر إلى قول السائل : "قد علمكم نبيكم كل شيء" تجد أنها تدل على تتبع هؤلاء لأمور السنة النبوية والسيرة العطرة، واعترافهم - مع أهلها - بشمولها لكل أمور الحياة^(٤).

(١) ينظر : شرح الزرقاني على الموطأ ٣٤٣/٤ رقم ١٧٨٤ .

(٢) هو سلمان الفارسي صحابي جليل له ترجمة في : تاريخ الصحابة ص ١١٦ رقم ٥٣٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ٥٦ رقم ٢٧٤، وأسد الغابة ٥١٠/٢ رقم ٢١٥٠، والإصابة ٦٢/٢ رقم ٣٣٦٩ .

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الطهارة، باب الاستطابة ١٥٤/٢ رقم ٢٦٢ .

(٤) السنة النبوية. مكاتبتها. عوامل بقائها. تدوينها. لفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد المهدى عبد القادر ص ٦٦، ٦٧ .

ويقول العلامة المجرى المسلم : محمد أسد (اليوبولنفيس) فى بيان أهمية السيرة العطرة فى تاريخ المسلمين وحضارتهم قال : "لقد كانت السيرة النبوية مفتاحا لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من خمسة عشر قرنا، فلماذا لا تكون مفتاحا لفهم انحلال الحاضر؟

إن العمل بسنة رسول الله ﷺ وسيرته العطرة هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة والسيرة هو انحلال الإسلام، لقد كانت السنة والسيرة الهيكل الحديدى الذى قام عليه صرح الإسلام، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما أفيدهمك بعد أن يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق؟^(١)

إن الطعن فى السيرة العطرة والسنة المطهرة طعن فى حقيقة الإسلام قرآنًا وسنةً، وتاريخًا، وحضارةً!!

لأنه مما لا يخفى أن القرآن الكريم إنما نزل لهداية البشر إلى مصالحهم الدينية والدنيوية، ولهذا بين لهم طريق العمل، وسبل النجاح، وأعلن أن الأمة التى تعمل بهذا القانون تكون لها الخلافة فى الأرض، وتتال من السعادة، والسيادة مالا يزيد عليه، وتكون خير أمة أخرجت للناس. وكل من لم يعمل بهذا القانون يكون نذيلًا مهانًا فى الأرض، وشقيًا فى الدنيا والآخرة.

فإذا سألنا أحد : هل وجدت أمة فى زمن من الأزمان عملت بهذا القانون؟ وهل نالت به ما وعدت؟ ومتى كانت هذه الأمة؟ وكيف كانت طريقة عملها بهذا القانون؟ وأين التاريخ الصحيح لأعمالها؟

نقول له : نعم. وجدت أمة عظيمة عملت بهذا الكتاب الحكيم، واتخذته قانونا أساسيا لها مدة كبيرة، فصدقها الله وعده، وأنعم عليها بالخلافة، والسيادة فى الأرض، وامتد سلطانها إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكانت أمة لا نظير لها فى تاريخ العالم، وتاريخ أعمالهم المجيدة، وطريقة تنفيذهم لأحكام القرآن، وكيفية عملهم بها، كل ذلك ثابت محفوظ بصورة عديمة المثال، فإنه لا يوجد تاريخ لأمة من الأمم يبين عملها وتمسكها فى كل شئونها بقانونها مثل تاريخ هذه الأمة.

(١) الإسلام على مفترق الطرق ترجمة الدكتور عمر فروخ ص ٨٧ بتصرف يسير.

هذه الأمة هي : رسول الله ﷺ، وأصحابه، والتابعون لهم بإحسان، وهذا التاريخ هو السنة النبوية، والسيرة العطرة، فبهما يعلم كيف عمل الرسول وأصحابه بالقرآن، وبهما يعرف أن القرآن قانون قد عمل به، ونجحت أصوله الإدارية، والسياسية، والمدنية، والأخلاقية... الخ وليس هو مجموعة نظريات محتاجة للإثبات بالتجربة والتطبيق!!

وأما إذا عملنا برأى المنكرين للحديث والسيرة العطرة الواردة في السنة، يضيع تاريخ الإسلام الذهبي ولا يقدر أحد أن يثبت أن القرآن قد عملت به أمة من الأمم، ونجحت في تأسيس حكومة إسلامية مطبقة لتعليماته. فهل يرضى المسلمون بهذا؟

لا والله، لا المسلمون يرضون بهذا، ولا العلم، ولا التاريخ يرضيان بهذا!! **﴿أفمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾** (١) أهـ.

والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) الآية ٧٨ النساء. وينظر : تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة سليمان الندوى ص ١٢، ١٣ وقارن بالإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد ص ٩٣ .

الباب الأول

عصمة رسول الله ﷺ في عقله وبدنه

ودفع الشبهات

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : عصمته ﷺ في عقله وبدنه كما يصورها القرآن الكريم والسنة النبوية ويشتمل

على تمهيد ومبحثين :

المبحث الأول : دلائل عصمته ﷺ في عقله من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية .

المبحث الثاني : دلائل عصمته ﷺ في بدنه من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية .

الفصل الثاني : شبه الطاعنين في سلامة عقله وبدنه والرد عليها ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول : شبهاتهم من القرآن الكريم والرد عليها .

المبحث الثاني : شبهاتهم من السنة النبوية والرد عليها .

الفصل الأول

عصمة رسول الله ﷺ في عقله وبدنه كما يصورها

القرآن الكريم والسنة النبوية

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

المبحث الأول : دلائل عصمته ﷺ في عقله من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة .

المبحث الثاني : دلائل عصمته ﷺ في بدنه من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة .

تمهيد

عصمة سيدنا رسول الله ﷺ؛ فى عقيدتنا أصل من أصول الإيمان والإسلام، وهى عقيدة لا تنفك عن شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. والظعن فى هذه العصمة طعن فى هذه الشهادة، ولم لا وهى دليلنا على حجية الوحي الإلهى (قرآناً وسنةً) وهى دليلنا على الاقتداء الشامل برسول الله ﷺ على ما سبق تفصيله^(١).

ومرادى فى هذا الفصل، بيان عصمته ﷺ فى بدنه من القتل، وفى قلبه، وعقيدته من الكفر والشرك، والضلال، والغفلة، والشك، وعصمته من تسلط الشيطان عليه، مع بيان كمال عقله، وخلقه ﷺ، وأنه كما قال فيه ربه عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى إن هو إلى وحي يوحى^(٢) وقال سبحانه: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادَ مَا رَأَىٰ﴾^(٣) وقال عز وجل: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾^(٤).

إن كمال العقل وعصمته من الكفر والشرك والشك، ومن تسلط الشيطان عليه؛ صفة أساسية فى رسل الله عز وجل، وشرط ضرورى من شروط رسالة جميع الرسل؛ وهى جزء من الكمال البشرى الذى كملهم الله عز وجل به، وهو عامل مهم، وسبب قوى من أسباب تبليغ رسالة ربهم إلى أقوامهم.

وإذا كان الكمال العقلى صفة أساسية فى رسل الله عز وجل؛ فإمامهم سيدنا محمد ﷺ. والقارئ لسيرته ﷺ لا يشك فى أنه ﷺ كان أعقل الناس وأذكاهم^(٥).

ولم لا وقد كانت نشأته ﷺ، منذ ولادته أمه إلى أن بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين، أكمل نشأة، تولاه الله تعالى فأدبه ورباه فكملة، ورعاه فحفظه مما كان يغمز حياة قومه من وثنية،

(١) راجع إن شئت ص ١١ - ٢١ .

(٢) الآيات ١ - ٤ النجم .

(٣) الآية ١١ النجم .

(٤) الآية ١٧ النجم .

(٥) ينظر : الشفا ١/ ٦٦ .

وعادات مستنزلة، حتى غدا أكمل إنسان في بشريته، لم يستطع أحد أن يربيه في حياته، أو يزن شبابه بغميزه أو ريبه على كثرة الخصوم، والأعداء المتربصين، فضلا من الله ونعمته، والله ذو الفضل العظيم^(١).

وبذلك الفضل العظيم تحدث المصطفى ﷺ بنعمة ربه عز وجل قائلا "أدبني ربي فأحسن تأديبي"^(٢).

وقد أجمعت الأمة على هذا الأدب الرباني، وأن حياة نبيها ﷺ قبل البعثة، وبعدها أمثل حياة وأكرمها وأشرفها، فلم تُعرف له فيها هفوة، ولم تحص عليه فيها زلة، بل إنه امتاز بسمو الخلق، ورجاحة العقل، وعظمة النفس، وحسن الأحداث بين الناس، ثم نبأه الله وبعثه، فنمت فيه هذه الفضائل وترعرعت حتى أضحت حياته فريدة في تاريخ هذه الحياة الدنيا.

فمن أين له هذا؟ وهو اليتيم الذي تعرض منذ طفولته لمحنة اليتيم، والفقر! وهو الأمي الذي لم يجلس طيلة حياته إلى معلم يتقف عقله! وهو الذي نشأ في بيئة سيطرت عليها الجاهلية، سيطرة كاملة في مجال العقيدة والفكر، وفي مجال الأخلاق والسلوك، وطبعت الناس بطابعها البغيض حتى لا تكاد تجد إنسانا يسلم من وراثته البيئية، وعدوى التقاليد الجاهلية الموروثة عن الآباء والأجداد.

فكيف نجا سيدنا رسول الله ﷺ من تلك المؤثرات القوية؟

إن الإنسان العادي قد يستطيع أن تعاف نفسه شيئا يكرهه ولا يستسيغه بحكم الفطرة السليمة لكن من المحال عقلا أن يعيش في عزلة روحية كاملة، وهجرة نفسية تامة لقومه، فيسلم

(١) ينظر : محمد رسول الله ﷺ لفضيلة الشيخ محمد الصادق عرجون ١٩٥/١ .

(٢) أخرجه ابن السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ص ١، بلفظ "إن الله أدبني وأحسن أدبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال : "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" الآية ١٩٩ الأعراف، قال السنخاوي في المقاصد الحسنة ص ٢٩ رقم ٤٥ وإسناده منقطع فيه من لم أعرفه عن عبد الله أظنه ابن مسعود رضي الله عنه. وذكر له شواهد، وقال عنه : إسناده ضعيف جدا، وإن اقتصر شيخنا - يعني الحافظ ابن حجر - على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه، قال : ولكن معناه صحيح، ونقل عن ابن الأثير نحو ذلك في النهاية في غريب الحديث ٨/١، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ص ١٤، ١٥ ورمز له بالصحة. ونقل في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ص ٤٣ تصحيح أبي الفضل ابن ناصر له، وينظر : فيض القدير للمناوي ٢٢٤/١، والفتاوى الحديثية للسخاوي ص ٢٦٩ - ٢٧١، وكشف الخفاء للعجلوني ٦٢/١ رقم ١٦٤ .

له عقله من الخرافات، وتسلم روحه من الجهالات، ويسلم وجدانه من التلون بشئ يغضب الله عزوجل .

نعم لقد كان فى المجتمع العربى حنيفيون وحدوا الله ودعوا إلى توحيده، وكان هناك كرماء، وكان هناك أوفياء، وكان هناك أناس عرفوا بالعفة والتزهد عن الفواحش، ولكن كان عزيزا جدا أن تجد فى هذه البيئة إنسانا جمع الله فيه كل هذه الصفات وغيرها مثل ما جمع الله ذلك فى النبى محمد ﷺ .

إنك لا تستطيع أن تترك سر كمال عقله وعقيدته وأخلاقه، وبرأته من كل نقائص ومثالب بينته التى نشأ فيها إلا أن تقول : إنه الإعداد الإلهى للنبوة و﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾^(١).

إنها العصمة الربانية! تلك التى حفظته ﷺ، من بيئة الجاهلية أربعين عاما، لم يصبه أذى من غبارها، فشب أكمل الناس خلقا وخلقا، ودلائل تلك العصمة الإلهية متوافرة فى كتاب الله عزوجل، وسيرته العطرة، فإلى بيانها فى المبحث التالى :

(١) جزء من الآية ١٢٤ الأنعام وينظر : المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة ٦٨٦/١ بتصرف، بحث الدكتور أحمد خليل بعنوان "شخصية محمد ﷺ البشر الرسول" مقارنة بالسيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة ٢٣٥/١ - ٢٤٠، والرسالة المحمدية لسليمان الندوى ص ٩٦ .

المبحث الأول دلائل عصمته ﷺ في عقله من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية

تجلت رعاية الله عز وجل وعصمته لرسوله ﷺ في قلبه، وعقيدته من الكفر والشرك، والضلال، والغفلة، والشك، وعصمته من تسلط الشيطان عليه، وهو في عالم الذر، وتحدث الوحي الإلهي (قرآنا وسنة) بذلك بيانا لمنة الله عز وجل على نبيه ﷺ قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(١).

وجه الاستدلال بالآية أنه إذا عهد إلى الأنبياء جميعا وهم في عالم الذر بتبليغ دينه، وتوحيده. دل ذلك على عصمتهم في عقولهم وعقيدتهم، فلا يصدر عنهم ما يخالف ذلك لا قبل النبوة ولا بعدها، ولا يقول بغير ذلك إلا من يرد على الله عز وجل كلامه باصفائهم وعصمتهم!

وقال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٢).

وهذا غاية التكريم من الله عز وجل لنبيه ﷺ بأخذ الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به، وينصروه إن ظهر في زمانهم، وفي ذلك إشارة إلى أنه ﷺ نبي الأنبياء^(٣) وفي السنة المطهرة ما يؤكد الآية الكريمة، فعن ميسرة الفجر رضى الله عنه^(٤) قال : قلت لرسول الله ﷺ متى كنت نبيا؟ قال : «وَأَدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»^(٥).

(١) الآية ٧ الأحزاب .

(٢) الآية ٨١ آل عمران .

(٣) ينظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٥٧/١ .

(٤) صحابي جليل له ترجمة في : تاريخ الصحابة ص ٢٣٧ رقم ١٢٩٥ ، وأسد الغابة ٥/٢٧٢ رقم

٥١٥٤ ، وتجريد أسماء الصحابة ٩٩/٢ ، والاستيعاب ٤/١٤٨٨ رقم ٢٥٨٢ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٦٦٥ رقم ٤٢٠٩ ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه

أحمد في المسند ٥/٥٩ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٢٣ رواه أحمد ، والطبراني ، ورجاله رجال

الصحيح ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١/٨٥٠ ، وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة =

وعن العرياض بن سارية رضى الله عنه^(١) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "إني عبد الله وخاتم النبيين، وأبى منجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمى أمنة التى رأت، وكذلك أمهات المؤمنين يرين، وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته له نوراً أضاعت لها قصور الشام، ثم تلا : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾^(٢).

والشاهد مما سبق أن الله عز وجل اصطفى أنبياءه ورسله وهم فى عالم الذر بتبليغ دينه وتوحيده، وفضل بعض النبيين على بعض، فجعل سيدنا محمداً ﷺ إمامهم، وأخذ منهم الميثاق فى عالم الأزل بالإيمان بنبوته ونصرته.

وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه، ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور، ويجوز عليه ما يناقض عصمته فى عقله وعقيدته من الشرك، أو الشك، أو غيره من الذنوب صغائر كانت أم كبائر فهذا ما لا يجوزُه إلا ملحد^(٣).

وعليه فلا معنى لإثارة الخلاف حول عصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قبل نبوتهم من المعاصى كبائرها وصغائرها من حيث الوقوع أو عدمه، أو من حيث امتناعه سماعاً أو عقلاً!

فعصمة الرسل والأنبياء مبنية على إرادة كونية، وهى اصطفاء الله عز وجل لهم، وعصمتهم من كل ما يخل بهذا الاصطفاء، قبل نبوتهم وبعدها، وهم فى عالم الغيب لم يخلقوا بعد!

= رضى الله عنه أخرجه الترمذى فى سننه كتاب المناقب، باب فضل النبي ﷺ ٥٤٥/٥ رقم ٣٦٠٩ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبى هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والحاكم فى المستدرک ٦٦٥/٢ رقم ٤٢١٠، أخرجه شاهداً لحديث مسرة، وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ٤٨/١ رقم ٨، والبيهقى فى دلائل النبوة ١٣٠/٢ .

(١) صحابى جليل له ترجمة فى : تاريخ الصحابة ١٩٩ رقم ١٠٦٢، وأسد الغابة ١٩/٤ رقم ٣٦٣٠، والاستيعاب ١٢٣٨/٣ رقم ٢٠٢٦، والإصابة ٤٧٣/٢ رقم ٥٥٠١ .

(٢) الآيتان ٤٥، ٤٦ الأحزاب، والحديث أخرجه الحاكم فى المستدرک ٤٥٣/٢، ٦٥٦ رقمى ٣٥٦٦، ٤١٧٥ وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وأحمد فى المسند ١٢٧/٤، وقال الميثمى فى مجمع الزوائد ٢٢٣/٨ رواه أحمد بأسانيد والبخارى بنحوه، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه "الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان" كتاب التاريخ، باب صفته ﷺ وإخباره ١٦٠/٨، وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ٤٨/١ رقم ٩، والبيهقى فى دلائل النبوة ١٣٠/٢ .

(٣) الشفا ١١٠/٢ . بتصرف، وينظر : نسيم الرياض فى شرح الشفا ٤١/٤، ٤٢ .

وإليك نماذج من دلائل عصمة رسول الله ﷺ :

أ- عصمته ﷺ من كيد إبليس وجنوده :

حفظ الله عز وجل عباده المخلصين من كيد إبليس وجنوده فلا سبيل له عليهم كما قال عز وجل : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكُفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾^(١) واعتترف إبليس بعجزه عن الكيد لهم فحكى عنه رب العزة قوله : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غَوِينَ لَهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢).

ولا شك أن أنبياء الله عز وجل ورسله، وعلى رأسهم خاتمهم ﷺ على قمة عباد الله المخلصين الذين عصمهم رب العزة من كيد إبليس وجنوده.

والمراد بعصمة رسول الله ﷺ من الشيطان قال فيها القاضي عياض : "واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان وكفايته منه، لا في جسمه بأنواع الأذى - كالجنون والإغماء - ولا على خاطره بالوساوس"^(٣).

ولا عبرة بمن خرج عن المفهوم السابق لعصمة رسول ﷺ من أعداء الإسلام وأعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة.

وقد دل على المفهوم السابق القرآن الكريم والسنة المطهرة.

أما القرآن الكريم : فقد ورد فيه تعرض الشيطان لبعض الأنبياء في أجسامهم ببعض الأذى، وعلى خاطرهم بالوسوسة، مع عصمة الله عز وجل لهم بعدم تمكن الشيطان من إغوائهم، أو إلحاق ضرر بهم يضر بالدين. قال تعالى : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ أَنِّىْ مَسْنَىٰ الشَّيْطَانُ يَنْصَبُ وَعَذَابٌ﴾^(٤) وقال سبحانه : ﴿فَأَنزَلْنَاهُ الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا

(١) الآية ٦٥ الإسراء.

(٢) الآيتان ٨٢، ٨٣ ص.

(٣) الشفا ١١٧/٢، وشرحه للملا على ٢١٣/٢ .

(٤) الآية ٤١ ص.

كانا فيه^(١) وقال عز وجل : ﴿قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾^(٢) وقال جل جلاله : ﴿وإما ينزغتك من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾^(٣).

وليس فى هذه الآيات الكريمات ونحوها ما يتعارض مع قوله تعالى : ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾^(٤).

أما السنة المطهرة : فقد ورد فيها ما يؤكد ما ورد فى القرآن الكريم من تعرض الشياطين لرسول الله ﷺ فى غير موطن رغبة فى إطفاء نوره، وإماتة نفسه، وإدخال شغل عليه، ولكن كانت عصمة الله عز وجل له حائلة دون تمكن الشياطين من إغواءه، أو إلحاق ضرر به. ومن هذه الأحاديث التى تدل على ما سبق، وأنكرها أعداء السيرة العطرة^(٥) ما يلى :

١- عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه^(٦) قال : قال رسول الله ﷺ : 'ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة، قالوا : وإياك يا رسول الله؟ قال : وإياى. إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم. فلا يأمرنى إلا بخير'^(٧).

وقوله : "فأسلم" برفع الميم وفتحها، روايتان مشهورتان، فمن رفع قال : معناه : أسلم أنا من شره وفتنته. ومن فتح قال : إن القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمناً لا يأمرنى إلا بخير .

(١) الآية ٣٦ البقرة .

(٢) الآية ١٥ القصص .

(٣) الآية ٢٠٠ الأعراف .

(٤) الآية ٤٣ الحجر، وسيأتى الرد بالتفصيل على دعوى التعارض ص ١٣٩ - ١٤٥، ١٩٤ .

(٥) وزعموا أنها موضوعة، دون أن يبينوا لنا بالدليل العلمى علامات وضعها فى السند أو فى المتن، أو حتى وجه التشكيك بها فى النبوة والإسلام؟! ينظر : الصحيح من سيرة النبى الأعظم لجعفر مرتضى العاملى ٣٠٥/٢، وأضواء على السنة لمحمود أبو ريه ص ١٨١، والأضواء القرآنية لصالح أبو بكر ١٤٤/٢، وأبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين ص ١٠٨، والأنبياء فى القرآن لأحمد صبحى ص ٣٣، ١٢٦ ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين لصالح الوردانى ص ٨٣، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالى لأحمد حجازى السقا ص ١١٩ .

(٦) صحابى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص ١٦ رقم ٢١، وتذكرة الحفاظ ١٣/١ رقم ٥، وأسد الغابة ٣٨١/٣ رقم ٣١٨٢، والاستيعاب ٩٨٧/٣ رقم ١٦٥٩، والإصابة ٣٦٠/٢ رقم ٤٩٦٩ .

(٧) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سرياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً ١٧٢/٩ رقم ٢٨١٤، وروى نحوه من حديث عائشة رضى الله عنها فى الأماكن السابقة نفسها برقم ٢٨١٥ .

وصحح الخطابي وغيره رواية الرفع، ورجح عياض والنووي والزرقاني الفتح، لأنه ظاهر الحديث في قوله ﷺ : "فلا يأمرني إلا بخير" ولقوله ﷺ : "فضلت على الأنبياء بخصلتين. كان شيطاني كافراً فأعانتني الله عليه حتى أسلم، قال أبو هريرة راوى الحديث، ونسبت الخصلة الأخرى" (١).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "إن عفريتاً من الجن جعل يفتك" (٢) على البارحة ليقطع على الصلاة. وإن الله أمكنني منه فذعته (٣). فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون، أو كلكم، ثم ذكرت قول أخى سليمان: رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى. فردده الله خاسئاً" (٤).

٣- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه (٥) قال : قام رسول الله ﷺ. فسمعناه يقول : "أعوذ بالله منك" ثم قال : "ألغك بلعنة الله" ثلاثاً. وبسط يده كأنه يتناول شيئاً. فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله! قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك. ورأيناك بسطت يدك. قال : "إن عدو الله، إبليس، جاء بشهاب من نار، ليحطه فى وجهى، فقلت : أعوذ بالله منك. ثلاث مرات. ثم قلت : ألغك بلعنة الله التامة. فلم يستأخر. ثلاث مرات. ثم أردت أخذه، والله! لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة" (٦).

٤- وعن عبد الرحمن بن خنبل رضي الله عنه (٧) لما سئل كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين. قال : تحدت عليه الشياطين من الجبال والأودية، يريدون رسول الله ﷺ، قلل :

-
- (١) رواه البزار، وفيه إبراهيم ابن صرمة، وهو ضعيف كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٢٥/٨، ٢٦٩، ولكن يعضده رواية مسلم السابقة، ينظر : الشفا ١١٨/٢، وشرح الزرقانى على المواهب ٢٦٠/٧، ٢٦١، وشرح الشفا للملاعى ٢١٤/٢، والمنهاج شرح مسلم ١٧٣/٩ رقم ٢٨١٤ .
- (٢) "يفتك" وفى رواية "يفلت" وهما صحيحان. والفتك : الأخذ فى غفلة وخديعة .
- (٣) بذال معجمة، أى خنقته، وفى رواية صحيحة بدال مهملة، أى : دفعته دفعاً شديداً .
- (٤) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان فى أثناء الصلاة والتعوذ منه؛ وجواز العمل القليل فيه ٣/٣٢٢، ٣٣ رقم ٥٤١، والبخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط فى المسجد ١/٦٦٠ رقم ٤٦١ .
- (٥) صحابى جليل له ترجمة فى : أسد الغابة ٦/٩٤ رقم ٥٨٦٥، ومشاهير علماء الأمصار ص ٦٤ رقم ٣٢٢، وتجريد أسماء الصحابة ٢/١٦٣، والاستيعاب ٤/١٦٤٦ رقم ٢٩٤٠ .
- (٦) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان ٣/٣٣ رقم ٥٤٢ .
- (٧) صحابى جليل له ترجمة فى : أسد الغابة ٣/٤٣٩ رقم ٣٢٩٩، والاستيعاب ٢/٨٣١ رقم ١٤٠٦، وتجريد أسماء الصحابة ١/٣٤٦ .

وفيهم شيطان ويده شعلة من نار، يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ، فلما رآهم رسول الله ﷺ فزع منهم، فجاء جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قل، فقال : ما أقول؟ قال : قل : "أعوذ بكلمات الله التامات، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق، وذراً وبرأ، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن" قال : فقالهن، فطفئت نار الشياطين، وهزمهم الله عز وجل^(١).

بالتأمل في الروايات السابقة تجد أن الله عز وجل عصم رسوله ﷺ من قرينه الجنى بإسلامه، فلا يأمر رسول الله ﷺ إلا بخير .

وكذلك عصمه الله عز وجل من سائر شياطين الجن عندما تعرضوا له في غير موطن. منها في الصلاة عندما تعرض له عفريت من الجن، وفي رواية إبليس، وأراد إدخال شغل عليه في الصلاة، فتمكن منه رسول الله ﷺ بخنقه، وهم بربطة في ساريه من سوارى المسجد، حتى يراه أهل المدينة إلا أنه ﷺ تركه، ودفعه دفعا شديدا، وترك ما هم به عندما تذكر دعوة سيدنا سليمان ﴿رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾^(٢) والنتيجة كما جاء في روايات الحديث : عصمة رسول الله ﷺ من هذا العاتى المارد من الجن أو إبليس كما جاء في رواية أبي الدرداء، وردة الله خاسئا .

وكذلك تبين رواية عبد الرحمن بن خنبل عصمة رب العزة لرسوله ﷺ من الشياطين لما تحدت عليه من الجبال والأودية، يريدون حرقه وقتله، حيث نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ يعلمه كلمات إذا قالهن نجا من كيدهم، فقالهن ﷺ، فطفئت نار الشياطين، وهزمهم الله عز وجل .

وهكذا كانت عصمة المولى عز وجل لرسوله ﷺ من الشياطين حتى مرض وفاته الذي لده فيه^(٣) بعض الحاضرين عنده بغير إذنه، ولما سألهم ﷺ عن ذلك قالوا : خشينا أن يكون بك ذات الجنب^(٤) فبين لهم رسول الله ﷺ أن ذات الجنب من الشيطان وهو معصوم منه. قائلا : "إنها

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ١٩١/١ رقم ١٣٧، والبيهقي في دلائل النبوة ٩٥/٧، وأحمد في مسنده ٤١٩/٣، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٧/١٠ إلى أحمد وأبو يعلى والطبراني بنحوه، وقال رجال أحد إسناده أحمد، وأبو يعلى، وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح، وعزاه المنذرى في الترغيب والترهيب ٤٥٧/٢٠ إلى أحمد وأبو يعلى، وقال لكل منهما إسناده جيد محتج به .

(٢) جزء من الآية ٣٥ ص .

(٣) أى جعلوا في جانب فمه دواء بغير اختياره. ينظر : فتح الباري ٧٥٤/٧ رقم ٤٤٥٨، ١٧٦/١٠ رقم ٥٧١٢ .

(٤) ذات الجنب : تطلق بإزاء مرضين : أحدهما حقيقي : وهو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع وينفجر إلى الداخل، وقلما يسلم صاحبها. والآخر : ما يعرض في نواحي الجنب من

من الشيطان، ولم يكن الله عز وجل ليسلطه على^(١).

ب- عصمته ﷺ من الجاهالات :

شب رسول الله ﷺ، يحفظه الله عز وجل، ويعصمه من أقدار الجاهلية ومعائبها، ويتحدث رسول الله ﷺ عن مظاهر عصمة الله عز وجل له في صغره، وقبل النبوة قائلا :

١- "ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهيمون بها إلا مرتين الدهر، كلتاهاما يعصمني الله عز وجل منها، قلت ليلة لفتى من قريش بأعلى مكة في أغنام لأهلنا نرعاها : انظر غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال : نعم فخرجت، فجئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء وضرب دقوف وزمرا، فقلت : ما هذا؟ قالوا : فلان تزوج فلانة، لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوت بذلك الغناء، وبذلك الصوت حتى غلبتني عينى، فما أيقظنى إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت؟ فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقيل لى مثل ما قيل لى، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عينى، فما أيقظنى إلا مس الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي، فقال لى! ما فعلت؟ فقلت : ما فعلت شيئا، قال رسول الله ﷺ: فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته^(٢).

= غليظة تحقن بين الأضلاع التي في الصدر، فتحدث وجعا بين القلب والكبد. وهى من سعى الأسقام، والمراد بذات الجنب في الحديث، التعريف الثاني لها، ولهذا قال ﷺ : "إنها من الشيطان، ولم يكن الله ليسلطه على" والضمير في "إنها" راجع إلى كذبهم، وأثنت باعتبار صنعتهم، ثم نسبته إلى الشيطان لأنه كان بسبب وسوسته لهم بذلك حتى فعلوا ما لم يأذنبهم هناك" ينظر : فتح الباري ٧/٧٥٤ رقم ٤٤٥٨، ١٠/١٧٦، رقم ٥٧١٢ وشرح الشفا للملا على ٢/٢١٧ .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤/٤٤٩ رقم ٨٢٣٥، وقال : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وسكت عنه الحافظ في فتح الباري ٧/٧٥٥ رقم ٤٤٥٨، ١٠/١٨٢ أرقام ٥٧١٩ - ٥٧٢١ وأخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) في عدة أماكن منها كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٧/٧٥٤ رقم ٤٤٥٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب السلام، باب كراهية التداوى باللدود ٧/٤٥٦ رقم ٢٢١٣ .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) كتاب التاريخ، باب ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه قبل أن يوحى إليه ١٤/١٦٩ رقم ٦٢٧٢، والحاكم في المستدرک ٤/٢٧٣ رقم ٧٦١٩ وقال : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه البزار ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٢٦، وصححه جماعة من الأئمة غير من سبق ذكرهم. منهم ابن حزم في الفصل في الملل والنحل ٢/٣٢١، والقاري في شرح الشفا ١/٢٩٩ والشهاب الخفاجي في نسيم الرياض ١/٤٨٣، وابن حجر في المطالب العلية ٤/١٧٨ رقم ٤٢٥٩، وقال : قال البوصيري : رواه ابن إسحاق بإسناد حسن، وابن حبان في صحيحه، ووافق-

وفيما قصه النبي ﷺ عن نفسه من خبر حفظ الله إياه من كل سوء منذ صغره وصدر شبابه، ما يوضح لنا حقيقتين كل منهما على جانب كبير من الأهمية :

الأولى : أن النبي ﷺ كان متمتعاً بخصائص البشرية كلها، وكان يجد في نفسه ما يجده كل شاب من مختلف الميولات الفطرية التي اقتضت حكمة الله أن يجبل الناس عليها. فكان يحس بمعنى السمر واللهو، ويشعر بما في ذلك من متعة، وتحذنه نفسه لو تمتع بشئ من ذلك كما يتمتع الآخرون .

الثانية : أن الله عز وجل قد عصمه مع ذلك عن جميع مظاهر الانحراف، وعن كل ما لا يتفق مع مقتضيات الدعوة التي هياه الله لها، فهو حتى عندما لا يجد لديه الوحي أو الشريعة التي تعصمه من الاستجابة لكثير من رغائب النفس، يجد عاصماً آخر خفياً يحول بينه وبين ما قد تتطلع إليه نفسه مما لا يليق بمن هيأته الأقدار لتنمिम مكارم الأخلاق، وإرساء شريعة الإسلام^(١).

جـ- عصمته ﷺ من التعرى ودفع ما يتوهم عكس ذلك :

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : " لما بنيت للكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان حجارة، فقال العباس للنبي ﷺ : اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة. ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال : "إزارى إزارى" فشد عليه إزاره، وفي رواية : فما روى بعد ذلك اليوم عرياناً^(٢).

وهذه القصة وما فيها من حفظه ﷺ من التعرى قبل النبوة، وردت في غير الصحيح عن ابن إسحاق عن أبيه عن حدثه عن النبي ﷺ قال : "لقد رأيتنى فى غلمان من قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرى ولأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكنى لاكم ما أراه، لكمة وجبعة، ثم قال : شد عليك

= ابن حجر، السيوطى فى الخصائص الكبرى ١/١٥٠، والحديث أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ١٨٦/١ رقم ١٢٨ واللفظ له، وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٣/٢، ٣٤، وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ٢٦٧/٢ من رواية البيهقى، وقال : هذا حديث غريب جداً، وقد يكون عن على بن أبى طالب نفسه، ويكون قوله فى آخره "حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته، مقحماً أمه قلت : ما قاله الحافظ ابن كثير يردده، إخراج الأئمة للحديث مرفوعاً، وتصحيح بعض الأئمة له .

(١) ينظر : فقه السيرة للدكتور محمد البوطى ص ٥٠، ٥١ .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة ٢٦٨/٢ رقم ٣٤٠، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها ٣/٥١٣ رقم ١٥٨٢ .

إزارك قال : فأخذته وشدته على ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزارى على من بين أصحابي^(١).

قال الحافظ ابن كثير : "هذه القصة شبيهة بما فى الصحيح عند بناء الكعبة حين كان ينقل هو وعمه العباس، فإن لم تكن فهي متقدمة عليها كالتوطئة"^(٢).

وقال الإمام السهيلي : "وهذه القصة إنما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بنى الكعبة، فإن صح أنه كان فى صغره، إذ كان يلعب مع الغلمان : فحمله على أن هذا الأمر كان مرتين : مرة فى صغره، ومرة فى أول اكتهاله عند بنى الكعبة"^(٣).

قلت : هذه القصة فى حالة صغره لم تصح سنداً، وإنما هى نفس قصة بنى الكعبة، وإلى هذا مال الحافظ فى الفتح، فيعد أن ذكر روايات بنى الكعبة، وهو عليه السلام فى حالة كبره، والمؤيدة لما فى الصحيحين ذكر رواية الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما^(٤) وهو عليه السلام فى حالة صغره، وقال فيها : "النضر أبو عمر الخزاز" ضعيف، وقد خبط فى إسناده، وفى منته، فإنه جعل القصة فى معالجة زمزم بأمر أبى طالب وهو غلام، وكذا روى ابن إسحاق - إشارة إلى الرواية السابق ذكرها - ثم قال الحافظ : فكأن هذه قصة أخرى، واغتر بذلك الأزرقي فحكى قولاً : أن النبى ﷺ لما بنيت الكعبة كان غلاماً^(٥).

ثم أكد الحافظ أن القصة واحدة فى موضع آخر إذ يقول معقباً على كلام السهيلي السابق على رواية ابن إسحاق قائلاً : قلت : وقد يطلق على الكبير غلام إذا فعل فعل العلماء، فلا يستحيل اتحاد القصة اعتماداً على التصريح بالأولية فى حديث أبى الطفيل رضى الله عنه قال :

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢٣٩/١ نص رقم ١٨، وأخرجه من طريق ابن إسحاق البيهقي فى دلائل النبوة ٣٠/٢، ٣١.

(٢) البداية والنهاية ٢٦٦/٢.

(٣) الروض الأنف ٣١٨/١.

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک ١٩٩/٤ رقم ٧٣٥٦، وقال : صحيح الإسناد، وقال الذهبي : فيه النضر أبو عمر الخزاز ضعفه، وأخرجه الطبراني فى الكبير، وفيه أيضاً النضر أبو عمر، وقد أجمعوا على ضعفه كما قال الهيثمي فى مجمع الزوائد ٥٢/٢، وأخرجه ابو نعيم فى دلائل النبوة ١٩٠/١ رقم ١٣٥ من طريق ابن إسحاق، وفيه أيضاً النضر أبو عمر.

"فبينما رسول الله ﷺ ينقل الحجارة معهم إذ انكشفت عورته، فنودى يا محمد غط عورتك، فذلك فى أول ما نودى، فما رؤيت له عورة قبل ولا بعد"^(١).

فرية على عصمته ﷺ من التعرى والرد عليها :

رغم ما فى هذه القصة الصحيحة من غناية الله عز وجل بحفظ رسوله ﷺ من التعرى؛ إلا أننا نجد بعض أعداء السيرة العطرة الواردة فى السنة المطهرة من يرى فى إثبات هذا الأمر فى سيرة المصطفى ﷺ : "خرافة، وأكذوبة مفضوحة، وشناعة، ليس الهدف منها إلا الحط من كرامة النبي ﷺ والإساءة لمقامه الأقدس"^(٢).

ولست أدري أى خرافة، أو كذب، أو شناعة أو...الخ فى عصمة الله عز وجل لرسوله ﷺ من التعرى عند بناء الكعبة المشرفة؟

إن الشناعة فى نظر الرافضى هى فى تعرى رسول الله ﷺ! دون النفات منه لكيفية تعرى رسول الله ﷺ، وعصمة الله عز وجل منه! إنه يتكلم عن تعرى رسول الله ﷺ فى الرواية، وكأنه ﷺ تعمد ذلك أمام الناس.

إذ يقول بعد أن ذكر بعض النصوص فى حياء رسول الله ﷺ، وأنه كان مصوناً من رؤية عورته، حتى بالنسبة لأزواجه، وأن المشركين كانوا يستقبحون التعرى أمام الناس.

يقول متسائلاً : "فكيف إذن يكشف النبي الأعظم عورته أمام الناس يا ترى؟"^(٣) وأقول له : من أين لك من روايات عصمة رسول الله ﷺ من التعرى عند بناء الكعبة، أنه ﷺ تعمد للتعرى أمام الناس (وحاشاه من ذلك) من أين لك هذا التعمد حتى ولو فى رواية ضعيفة!! وأنى لك هذا، وفى الصحيح ما يبطل افتراءك.

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه ١٠٣/٥ رقم ٩١٠٦، ومن طريقه الحاكم فى المستدرک ١٩٩/٤ رقم ١٩٩ رقم ٧٣٥٧ وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وأحمد فى مسنده ٤٥٤/٥، ٤٥٥، وينظر : فتح الباری ٥١٦/٣ رقم ١٥٨٢، ١٨١/٧ رقم ٣٨٢٩.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم لجعفر مرتضى العاملي ١٦٧/٢، وينظر : الخطوط الطويلة أو دفاع عن السنة لمحمد بن علي الهاشمي ص ١٣.

(٣) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ١٧٠/٢ - ١٧٢، وينظر : دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين لصالح الورداني ص ٢٦٩، ٢٧٠.

فمن أبى الطفيل رضى الله عنه قال : فبينما رسول الله ﷺ يحمل حجارة من أجساد^(١)، وعليه نمرة فضافت عليه النمرة، فذهب يضع النمرة على عاتقه، فيرى عورته من صغر النمرة، فنودى يا محمد خمر عورتك، فلم ير عريانا بعد ذلك^(٢).

فواضح من هذه الرواية، وما فيها معناها من الروايات التى فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ، وهو يحمل الحجارة كان يستر عورته بنمرة، ولكنه وهو يحاول أن يبقى أذى الحجارة على عاتقه، حاول أن يضع طرفا من النمرة على عاتقه، سواء من قبل نفسه أو ينصح عمه العباس له كما جاء فى الصحيح، لا تعارض. إذ النتيجة واحدة وهى : لصغر النمرة، بدت عورته، فسقط مغشيا عليه، وفى الصحيح أيضا فخر إلى الأرض، وكلها بمعنى واحد، ولا تعارض ولا تناقض كما زعم الرافضى مستدلا بذلك على وضع الحديث^(٣).

وفى هذا الغشيان أو السقوط على الأرض، عصمة من الله عز وجل لرسوله ﷺ، إذ الجلوس أستر للعورة، ومعه أى هذا (السقوط) تمكن رسول الله ﷺ من شد إزاره على عورته التى انكشفت بلا تعمد منه، ومع كل ذلك كانت عناية وعصمة ربه عز وجل له إذ نودى : يا محمد خمر عورتك، فلم ير عريانا بعد ذلك" وكل الروايات فى الصحيح وغيره على هذا المعنى!

فأين إذن ما يزعمه الرافضى بأن فى روايات عصمة رسول الله ﷺ، من التعرى حط من كرامته ﷺ، وإساءة لمقامه الأقدس؟ وأين ما يزعمه بأن هذه الروايات نظهره بتعمد كشف عورته أمام الناس؟ وأين أيضا ما يزعمه بأن محاولة علماء أهل السنة للجمع بين هذه الروايات محاولة فاشلة، تأتى على حساب القرآن الذى لا نقده - على حد كذبه - ونزعم أن فيه تحريف، ونسخ لتلاوته، أما البخارى فنقدسه ونجله عن ذلك؟! (٤) أهـ.

(١) بفتح المهملة وسكون الجيم. جبل بمكة، النهاية فى غريب الحديث ٣١/١ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ٤٥٥/٥، وعبد الرزاق فى مصنفه ١٠٣/٥ رقم ٩١٠٦ وفيه عبد الله بن عثمان بن خيثم - صدوق كما قال الحافظ فى التقريب ٥١٣/١ رقم ٣٤٧٧ وبقية رجاله ثقات - فالإسناد حسن.

(٣) ينظر : الصحيح من سيرة النبى الأعظم ٦٩/٢، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٢٦٩، ٢٧٠.

(٤) الصحيح من سيرة النبى الأعظم ١٦٩/٢، وينظر فى الرد على دعوى تقديس البخارى، الباب الرابع فصل "شبهة اختلاف سيرة رسول الله ﷺ فى كتب السنة والتاريخ عنها فى القرآن الكريم والرد عليها" ص ٤٣٥ .

د- عصمته ﷺ من أكل ما ذبح على النصب، ودفع ما يتوهم عكس ذلك :

١- عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، أن النبي ﷺ، لقي زيد بن عمرو بن نفيل^(١) بأسفل بلدح^(٢) قبل أن ينزل عليه ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة^(٣) فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد : إني لست أكل مما تذبحون على أنصابكم ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه^(٤)، ففي الحديث تصريح بعدم أكله ﷺ، مما ذبح على النصب .

- أما ما جاء فى حديث سعيد بن زيد بن عمرو أن رسول الله ﷺ، وزيد بن حارثة^(٥) مر بهما زيد بن عمرو، فدعوه إلى سفرة لهما، فقال : يا ابن أخى إني لا أكل مما ذبح على النصب، فما روى النبي ﷺ بعد ذلك أكل شيئاً مما ذبح على النصب^(٦) .

- وفى حديث زيد بن حارثة رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ وهو مردف إلى نصب من الأنصاب، فذبحنا له شاة، ووضعناها فى التتور^(٧) حتى إذا نضجت، استخرجناها فجعلناها فى سفرتنا، ثم أقبل رسول الله ﷺ يسير، وهو مردف فى أيام الحر، من أيام مكة، حتى إذا كنا بأعلى الوادى لقي فيه زيد بن عمرو - فذكر الحديث مطولا - وفيه : ثم قدمنا إليه يعنى زيد بن عمرو - السفرة التى كان فيها الشواء، فقال : ما هذه؟ فقلنا : هذه شاة ذبحناها لنصب كذا وكذا، فقال : إني لا أكل ما ذبح لغير الله^(٨) .

(١) هو والد سعيد بن زيد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم عمر بن الخطاب، يجتمع هو وعمر فى نفيل، كان يتعبد فى الجاهلية على دين سيدنا إبراهيم الخليل، ويوحى الله تعالى، قال زيد بن حارثة، ومات زيد بن عمرو وأنزل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لزيد : "إنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة" رواه أبو يعلى بإسناد حسن كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤١٧/٩، وزيد له ترجمة فى : أسد الغابة ٣٦٨/٢ رقم ١٨٦٠، وتجريد أسماء الصحابة ٢٠٠/١، والإصابة ٦١٣/٢ رقم ٢٩٢٥ .

(٢) اسم موضع بالحجاز قرب مكة. النهاية فى غريب الحديث ١٥٠/١ .

(٣) طعام يتخذ المسافر، ويحمله فى جلد مستدير. المصدر السابق ٣٣٦/٢ .

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ١٧٦/٧ رقم ٣٨٢٦، وكتاب الذبائح والصيد، باب ما ذبح على النصب والأصنام ٥٤٥/٩ رقم ٥٤٩٩ .

(٥) هو حب رسول الله ﷺ، وأشهر مواليه، كان يدعى زيد بن محمد ﷺ قبل نزول قوله تعالى : «ادعوهم لآبائهم» جزء من الآية ٥ الأحزاب له ترجمة فى : أسد الغابة ٣٥٠/٢ رقم ١٨٢٩، والاستيعاب ٥٤٢/٢ رقم ٨٤٣ .

(٦) أخرجه أحمد فى مسنده ١٨٩/٥ وفيه المسعودى وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤١٧/٩ .

(٧) هو الإناء الذى يخبز فيه. النهاية فى غريب الحديث ١٩٤/١ .

(٨) أخرجه الحاكم فى المستدرک ٢٣٨/٣، ٢٣٩ رقم ٤٩٥٦ وقال : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وأخرجه الطبرانى ورجال الصريح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٢٦/٨، وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ١٨٧/١ رقم ١٣٠، والبيهقى فى دلائل النبوة ٣٤/٢ .

وفي رواية قال : "ما كنت لأكل مما لم يذكر اسم الله عليه"^(١) فليس فى الروايين ما يتعارض مع رواية البخارى السابقة من عصمته ﷺ من أكل ما ذبح للأصنام، لأن قول زيد : "هذه شاة ذبحناها لنُصب كذا وكذا" تعنى الحجر الذى ذبحت عليه الشاة، وليس هذا الحجر بصنم ولا معبود، وإنما هو من آلات الجزار التى يذبح عليها، لأن النُصب فى الأصل حجر كبير. فمنها ما يكون عندهم من جملة الأصنام، فيذبحون له وعلى اسمه! ومنها ما لا يعبد، بل يكون من آلات الذبح، فيذبح الذابح عليه لا للصنم!.

وهذا أكثر ما تحمله العبارة السابقة : أن يكون زيد بن حارثة ذبح شاة، واتفق ذلك للذبح عند صنم، كانت قریش تذبح عنده، لا أنه ذبحها للصنم!

فطن زيد بن عمرو أن ذلك اللحم مما ذبح لصنم، فامتنع لذلك حسماً للمادة، ولم يكن الأمر كما ظن زيد^(٢).

ويكون امتناع النبى ﷺ بعد ذلك عن أكل شئ ذبح على النصب أى الحجر مثل امتناع زيد بن عمرو حسماً للمادة.

هذا ولا يعنى قول زيد بن حارثة : "فما روى النبى ﷺ بعد ذلك أكل شيئاً مما ذبح على النصب" أنه ﷺ قبل ذلك كان يأكل مما ذبح لصنم! كلا! وحاشاه ﷺ من ذلك، ويؤكد ما جاء فى نفس الرواية السابقة من حديث زيد بن حارثة قال : "وكان صنماً من نحاس يقال له أساف أو نائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ وطف معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله ﷺ : "لا تمسه" قال زيد : فطفنا. فقلت فى نفسى لأمنه حتى أنظر ما يقول، فمسحته! فقال رسول الله ﷺ : "ألم تنه؟"^(٣).

(١) أخرجه أبو يعلى، والبخارى، والطبرانى، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤١٨/٩ ورجال أبي يعلى والبخارى، وأحد أسانيد الطبرانى رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث. وينظر : مجمع الزوائد ٢٢٦/٨ .

(٢) ينظر : فتح البارى ١٧٨/٧ رقم ٣٨٢٦، والنهية فى غريب الحديث ٥٢/٥ .

(٣) يراجع : تخريج رواية الحاكم السابقة .

فكيف يعقل إذن أن ينهى رسول الله ﷺ عن استلام الأصنام ثم يذبح لها؟^(١).

أما ما يستشكل من قول زيد بن عمرو : "إني لا أكل مما لم يذكر اسم الله عليه" وهو ما يعنى أنه علم أن الشاة المذبوحة، إنما ذبحت على النصب الذى هو من آلات الذبح، ولم تذبح لصنم، ولكنه مع ذلك امتنع عن الأكل منها، لأنها لم يذكر عليها اسم الله عز وجل، وهو ما يعنى أن رسول الله ﷺ كان أولى بهذه الفضيلة من زيد بن عمرو.

فالجواب : أنه ليس فى الحديث أنه ﷺ أكل منها، وعلى تقدير أن يكون أكل، فزيد إنما كان يفعل ذلك برأى يراه، لا بشرع بلغه، ولا سيما وزيد يصرح عن نفسه بأنه لم يتبع أحداً من أهل الكتابين^(٢).

وهو وإن كان على دين سيدنا إبراهيم، فشرعه على تحريم الميتة، لا تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه، واستمر ذلك حتى جاء الإسلام^(٣).

أما قول بعض خصوم السيرة العطرة : "بأن هذا جواب بارد، لأن فيه إدراك زيد لهذا الأمر الذى وافق فيه نظر الشرع"^(٤).

فأقول له : ولئن نظر الشرع هنا فى إدراكه، وقد جاء النهى عن أكل ما ذبح إلى غير اسم الله عز وجل، بعد المبعث بمدة طويلة، ولم ينقل أن أحداً بعد المبعث كف عن الذبائح حتى نزل قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾^(٥).

(١) سيأتى بعد قليل : بيان المراد مما يفيد ظاهره عكس عصمته من استلام الأصنام.

(٢) ينظر فى ذلك ما أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو ١٧٦/٧ رقم ٣٨٢٧.

(٣) ينظر : فتح البارى ١٧٦/٧ رقم ٣٨٢٧، والروض الأنف ١/٣٨٣.

(٤) الصحيح من سيرة النبی الأعظم ٢/٢٠٣، وينظر : دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٢٦٢، ومساحة للحوار لأحمد حسين يعقوب ص ١١٧.

(٥) الآية ١٢١ الأنعام.

أما زعمه بأن إبراك زيد لذلك دونه ﷺ مما لا يمكن قبوله، أو الالتزام به، لأنه يعنى أن زيدا كان أعقل من النبي ﷺ وأعرف به^(١).

فالجواب : أنه ليس فى إسناده فضيلة لزيد بن عمرو أو لغيره، ما يعود بالنقض على رسول الله ﷺ، ولا ما يثبت تفضيله عليه. إذ من المسلم أنه قد يكون فى المفضول من الخصائص ما ليس للأفضل، ولا يؤثر هذا فى أفضليته، لأن له من الخصائص ما يؤهله لاستحقاق الأفضلية. وهذا بديهى. وإلا فليخبرنا الرافضى، هل الفضائل والمناقب الصحيحة، بل وحتى الضعيفة والموضوعة التى تنسب لمسيدينا على بن أبى طالب، أو غيره من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين تعنى أنه أو أنهم أعقل من سيدنا رسول الله ﷺ وأعرف منه، وأفضل منه؟؟ أهـ.

هـ عصمته ﷺ من الحلف بأسماء الأصنام التى كان يعبدها قومه، ويحلفون بها تعظيماً لها:
جاء فى قصة بحيرا الراهب أنه استحلف النبي ﷺ باللات والعزى حينما لقيه بالشام فى سفرته مع عمه أبى طالب وهو صبي، لما رأى فيه علامات النبوة، فقال بحيرا للنبي ﷺ يا غلام أسالك باللات والعزى إلا أخبرتنى عما أسالك عنه، وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما. فقال له النبي ﷺ : " لا تسألنى باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضت بقضها شيئاً قط"^(٢).

وعن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال : حدثنى جار لخديجة بنت خويلد رضى الله عنها قال : سمعت النبي ﷺ يقول لخديجة : أى خديجة والله لا أعبد اللات أبداً، والله لا أعبد العزى أبداً، قال : فتقول خديجة خل العزى، قال : كانت صنمهم الذى يعبدون، ثم يضطجعون"^(٣).

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٢٠١/٢ - ٢٠٣، وينظر : دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٢٦٢.

(٢) أخرجه ابن إسحاق فى السيرة النبوية لابن هشام ٢٣٦/١ نص رقم ١٧٧، وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ١٧٢/١ رقم ١١٠، والبيهقى فى دلائل النبوة ٢٦/٢ - ٢٩، كلاهما من طريق ابن إسحاق.

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ٢٢٢/٤، ٣٦٢/٥ ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٢٥/٨، وصححه إسناده أيضاً الشيخ محمد شاكر فى هامشه على المسند ١٥/١٤ رقم ١٧٨٧١.

و- عصمته ﷺ من استلام الأصنام، وبيان مراد ما يفيد ظاهره عكس ذلك :

عن زيد بن حارثة رضى الله عنه قال : "وكان صنماً من نحاس يقال له أساف أو نائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله ﷺ : "لا تمسه" قال زيد : فطفتنا. فقلت فى نفسى لأمنه؛ حتى أنظر ما يقول! فمسحته فقال رسول الله ﷺ : "ألم تنه؟" قال زيد : فوالذى أكرمه وأنزل عليه الكتاب، ما استلمت صنماً حتى أكرمه الله بالذى أكرمه، وأنزل عليه الكتاب... الحديث^(١).

أما ما روى ما يفيد ظاهره من استلامه ﷺ الأصنام، فليس ظاهره مراداً على فرض صحة الرواية، كيف والرواية فى ذلك لم تصح.

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : "كان النبی ﷺ يشهد مع المشركين مشاهدهم، قال : فسمع ملكين خلفه، وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله ﷺ. قال : كيف نقوم خلفه، وإنما عهده باستلام الأصنام قبيل؟ قال : فلم يعد بعد ذلك أن يشهد مع المشركين مشاهدهم"^(٢) أى لم يعد رسول الله ﷺ يشهد مع المشركين مشاهدهم التى فيها شئ من الوثنية، وإلا فقد كان يشهد مشاهد الحلف ونحوه، لا مشاهد استلام الأصنام.

قال الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية : "هذا الحديث أنكره الناس على عثمان ابن أبى شيبة فبالغوا، والمنكر منه قوله عن المَلَك "عهده باستلام الأصنام" فإن ظاهره أنه باشر الاستلام، وليس ذلك مراداً، بل المراد أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم"^(٣).

وهذا الرأى ذهب إليه الأئمة : السيوطى فى الخصائص الكبرى^(٤) وابن كثير فى البداية

(١) سبق تخريجه ص ٥٩ .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٥/٢، وأبو يعلى، والحديث فيه عبد الله بن محمد ابن عقيل، ولا

يحتمل هذا من مثله كما قال الميثمى فى مجمع الزوائد ٢٢٦/٨ .

(٣) المطالب العالية ١٧٩/٤ رقم ٤٢٦١ .

(٤) ١٥٢/١ .

والنهاية^(١) والبيهقي في دلائل النبوة^(٢) والهيتمي في مجمع الزوائد^(٣) قائلًا : "رواه أبو يعلى وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، ولا يحتمل هذا من مثله، إلا أن يكون رسول الله ﷺ كان يشهد تلك المشاهد قبل النبوة للإنكار وهذا يتجه، ويفسره ويؤكد رواية زيد بن حارثة السابقة" أهـ بتصرف.

قلت : وأنا مع الأئمة فيما ذهبوا إليه من إنكارهم للحديث، وتفسيرهم لظاهر استلامه ﷺ للأصنام بأن المراد به شهوده ﷺ مشاهد المشركين واستلامهم لأصنامهم، ويؤكد هذا التفسير سيرته العطرة قبل النبوة والتي عصمه ربه عز وجل فيها مما كان عليه المشركون، من أكل ما نبح على النصب، أو الحلف بأسماء الأصنام، وكذلك عصمته من مظاهر لهو الجاهلية، ولو كان من رسول الله ﷺ شئ من ذلك لاحتجوا به في رد دعوته بعد البعثة، ولكن ذلك لم يرد، فدل على عصمته ﷺ منه.

"وأياً كان الأمر فإن حديث جابر منكر، أنكره أحمد بن حنبل جداً، وقال هو موضوع، أو شبيه بالموضوع، وقال الدارقطني : يقال إن عثمان بن أبي شيبة وهم في إسناده وقال القاضي عياض : والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه"^(٤) ورغم حكم أئمة السنة على رواية جابر بالنكارة، إلا أنك تجد بعض الشيعة يحاول أن يوهم قارئه أن علماء السنة يصحونها^(٥).

أما ما زعمه "در منغم" من تقربه ﷺ إلى العزى بشاة بيضاء^(٦) وما ذكره الدكتور هيكل تبعاً له، من أنه ﷺ تمسح بالصفراء^(٧) فكلاهما ادعاء باطل؛ واختلاق من نسج خيال مريض،

(١) ٢٦٨/٢ .

(٢) ٣٦/٢ .

(٣) ٢٢٦/٨ .

(٤) الشفا ١١٤/٢ بتصرف يسير .

(٥) ينظر : الصحيح من سيرة النبي الأعظم لجعفر مرتضى العاملي ٢٠٤/٢ .

(٦) حياة محمد ص ٧٥، وينظر : الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ص ١٣٥، ١٦٠ .

(٧) ينظر : السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة للدكتور محمد أبو شهبة ٢٣٦/١، وحياة محمد لهيكل

ص ١١٧ .

حيث لم يرد لم زعموا ذكر البتة، فى أى من كتب السنة أو السير أو التاريخ أو غيرها. وأنى لهما أن يثبتا ذلك؟! ولماذا اختير الشاة البيضاء؟ أو صنم الصفراء بأعيانهما؟ وإذا كان رسول الله ﷺ يصون لسانه عن مجرد ذكر الأصنام؛ فكيف يقرب القرابين إليها ويتعبد لها؟ سبحانه هذا بهتان عظيم.

ز- من مظاهر عصمته ﷺ شق صدره الشريف :

قال تعالى : ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾^(١) فى هذه الآية الكريمة يبين رب العزة منته على رسول الله ﷺ، بشرح صدره الشريف لإعداده للقيام بعبء الدعوة، وحمل الرسالة، وعصمته من الشيطان الرجيم^(٢).

والاستفهام فى الآية (الم) للتقرير : أى قد شرحنا لك صدرك والشرح هنا فى حقه ﷺ، شرح معنوى وحسى معا.

أما الشرح المعنوى : فهو بالنور الإلهى كما فى قوله تعالى : ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء﴾^(٣) وقوله سبحانه : ﴿فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾^(٤).

أما الشرح الحسى : فقد حدث له ﷺ أربع مرات^(٥) وبه قال كثير من الأئمة :

١- وكانت المرة الأولى : عندما كان ابن أربع سنين من عمره المبارك، وكان القصد منها كما جاء فى الرواية - نزع العلقة السوداء من قلبه، كرامة له من عند ربه عز وجل، تلك العلقة

(١) الآية الأولى الشرح.

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٤٨/٨ بتصرف يسير.

(٣) الآية ١٢٥ الأنعام.

(٤) الآية ٢٢ الزمر.

(٥) وروى شق صدره الشريف مرة خامسة، وهو ابن عشرين سنة فيما قيل ولا ثبت فلا تذكر إلا مقرونة ببيان عدم الثبوت كما قال أئمة الحديث ينظر : شرح الزرقاني على المواهب ٢٨٩/١، ٤٧٢/٥، وفتح البارى ٥٤٩/١ رقم ٣٤٩، ٤٨٩/١٣ رقم ١٥١٧.

التي ولد بها تكملة للخلق الإنساني، لأنها حظ الشيطان من كل البشر، وقد تم بنزعها من قلبه ﷺ، أن نشأ مبرءاً من كل عيب، فنشأ على أكمل أحوال البشر من العصمة من الشيطان، والاتصاف بالمحامد العليا منذ نعومة أظفاره، والتي لا يفوقه فيها غيره^(١).

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه هذه المرة الأولى لشق صدره الشريف مجملة عن أنس بن مالك رضي الله عنه^(٢) أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علة، فقال : هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره^(٣) فقالوا : إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره^(٤)، فالحديث نص صريح على الشق الجسي لصدر رسول الله ﷺ^(٥)، وإخراج جبريل لحظ الشيطان منه، وتطهير لقلبه، فلا يقدر الشيطان على إغوائه إذ لا سبيل له عليه، وهذا دليل على عصمته من كل ما يمس قلبه، وعقيدته، وخلقه، منذ صغره ﷺ.

٢- وقد تكرر شق صدره الشريف للمرة الثانية، وهو ابن عشر سنين وأشهر من عمره الطيب المبارك، وهو سن بداية الكمال، وذلك لقربه من سن التكليف، من أجل أن لا يلتبس بشئ مما

(١) ينظر : الروض الأنف للسيهلي ٢٩١/١، وفتح الباري ٢٤٤/٧ رقم ٣٨٨٧، وشرح الزرقاني على المواهب ٢٨٩/١، ٤٦٨/٥، ٤٦٩، ٦٧/٨ .
(٢) صحابي جليل له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٤٤/١ رقم ٢٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ٤٧ رقم ٢١٥، وأسد الغابة ٢٩٤/١ رقم ٢٥٨، والإصابة ٧١/١ رقم ٢٦٧ .
(٣) أي مرضعته، وأصله العاطفة التي تحن على ولد غيرها فترضعه. ينظر : القاموس المحيط ٧٩/٢، ولسان العرب ٢٧٤١/٤ .

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ ٤٨٨/١ رقم ٢٦١، وابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) ٢٤٢/١٤ رقم ٦٣٣٤، وأحمد في مسنده ١٢١/٣، ١٤٩، ٢٨٨، وأبو نعيم في دلائل النبوة ٢٢١/١ رقم ١٦٨، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١٥٠/١، وللحديث شاهد من حديث حليلة بنت الحارث، أم رسول الله ﷺ، السعدية، التي أرضعته، أخرجه ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام) ٢١١/١ - ٢١٤ رقم ١٦١، وأبو يعلى، والطبراني في الكبير بنحو ٢١٢/٢٤ رقم ٥٤٥ ورجالهما ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٠/٨، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١١٠/١ - ١١٢، والذهبي في تاريخ الإسلام ٤٦/٢ - ٤٨ وقال : هذا حديث جيد الإسناد، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١٣٢/١ - ١٣٦، وأبو نعيم في دلائل النبوة ١٥٥/١ رقم ٩٤ كلاهما من طريق ابن إسحاق .

(٥) خلافاً لمن أنكر ذلك من أعداء الإسلام، وأذياهم من خصوم السنة والسيرة، وسيأتي الرد عليهم ص ١٨٤ - ١٩٦ .

يعاب على الرجال، وحتى لا يكون في قلبه شئ إلا التوحيد، كما كان أيضا شق صدره الشريف هذه المرة توطئة لما بعده عند البعثة الشريفة^(١).

فقد أخرج عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند عن أبي بن كعب رضى الله عنه^(٢) أن أبا هريرة رضى الله عنه كان جريئا على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال : يا رسول الله ما أول ما رأيت في أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسا. وقال : لقد سألت أبا هريرة إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو؟ قال : نعم، فاستقبلاني بوجه لم أراها لخلق قط، وأرواح لم أجد لها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إلى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهم بعضدى، لا أجد لأحدهما مسا، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه؛ فأضجعاني بلا قصر ولا حصر، وقال أحدهما لصاحبه : أفلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري، ففلقها فيما أرى بلا دم، ولا وجع، فقال له : أخرج الغل والحسد، فأخرج شيئا كهينة العلقة ثم نبذها فطرحها، فقال له : أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذى أخرج يشبه الفضة، ثم هز إبهام رجلي اليمنى، فقال : اغد وأسلم، فرجعت بها أغدو رقة على الصغير، ورحمة للكبير^(٣).

٣- وكان المرة الثالثة لشق صدره الشريف عند المبعث، وذلك لإعداد قلبه لتحمل عبء الوحي والرسالة، بقلب قوى فى أكمل الأحوال من التطهير^(٤) فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ نذر أن يعتكف شهرا هو وخديجة بحراء، فوافق ذلك شهر رمضان، فخرج النبي ﷺ ذات ليلة فسمع : السلام عليك، فقال : فظننتها فجأة الجن، فجننت مسرعا حتى دخلت على

-
- (١) ينظر : الروض الأنف ٢٩١/١، وشرح الزرقاني على المواهب ٢٧٩/١، ٤٧١/٥ .
 (٢) صحابى جليل له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ١٧/١ رقم ٦، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٩ رقم ٣١، وأسد الغابة ١٦٨/١ رقم ٣٤، والإصابة ١٩/١ رقم ٣٢ .
 (٣) أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند ١٣٩/٥ وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٢٣/٨ رواه عبد الله بن أحمد ورجاله ثقات، وثقه ابن حبان أنه وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ٢١٩/١ رقم ١٦٦، وللحديث شاهد من حديث عتبة بن عبد السلمي أخرجه أحمد فى مسنده ١٨٤/٤، وإسناده حسن كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٢١/٨، والدارمى فى سننه المقدمة، باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ ٢٠/١ رقم ١٣، والحاكم فى المستدرک ٥٧٥/٢ رقم ٣٩٤٩، وقال : صحيح الإسناد، وقال الذهبي : صحيح على شرط مسلم .
 (٤) ينظر : شرح الزرقاني على المواهب ٢٨٨/١، ٤١٩، ٤٢٠، وفتح الباری ٧/ ٢٤٤ رقم ٣٨٨٧ .

خديجة، فسجنتى ثوباً، وقالت : ما شأنك يا ابن عبد الله؟ فقلت سمعت : السلام عليك، فظننتها فجأة الجن، فقالت : أبشر يا ابن عبد الله، فإن السلام خير، قال : ثم خرجت مرة فإذا بجبريل على الشمس، جناح له بالشرق، وجناح له بالمغرب، قال فهلت^(١) منه، فجئت مسرعاً، فإذا هو بينى وبين الباب، فكلمنى حتى أنست به، ثم وعدنى موعداً، فجئت له فأبطأ على، فلرنت أن أرجع، فإذا أنا به وميكائيل قد سدا الأفق، فهبط جبريل وبقى ميكائيل بين السماء والأرض، فأخذنى جبريل، فاستلقانى لحلاوة القفا، ثم شق عن قلبى، فاستخرجه، ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه، ثم أكفأنى كما يكفأ الأليم، ثم ختم فى ظهرى حتى وجدت مس الخاتم فى قلبى، ثم قال : اقرأ، ولم لك قرأت كتاباً قط، فلم أجد ما أقرأ، ثم قال : اقرأ، قلت ما أقرأ قال ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾^(٢) حتى انتهى إلى خمس آيات منها، فما نسيت شيئاً بعد، ثم وزننى برجل، فوزنته، ثم وزننى بآخر فوزنته، حتى وزننى بمائة رجل، فقال ميكائيل : تبعته أمتته ورب الكعبة، فجعلت لا يلقانى حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله، حتى دخلت على خديجة قالت : السلام عليك يا رسول الله^(٣).

٤- أما المرة الرابعة التى شق فيها صدر النبى ﷺ فكانت ليلة الإسراء والمعراج وذلك تأهباً لمناجاة ربه عز وجل، والمثول بين يديه، واستعداداً لما يلقى إليه من سائر أنواع الفيوضات الإلهية، وما يراه من عظيم الآيات الربانية^(٤).

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان أبو ذر رضى الله عنه^(٥) يحدث أن رسول الله ﷺ قال : فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل عليه السلام، ففرج صدرى، ثم غسله

(١) أى فهبت منه، كما جاء فى رواية الطيالسى فى مسنده ص ٢١٦ رقم ١٥٣٩ .

(٢) الآية الأولى العلق .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ١/٢١٥، ٢١٦ رقم ١٦٣، وأبو داود الطيالسى فى مسنده ص ٢١٥، ٢١٦ رقم ١٥٣٩، وإسناده حسن كما قال الحافظ فى فتح البارى ١/٣٣ رقم ٣، وأخرجه الحارث بن أسامة فى مسنده كما قال الحافظ فى فتح البارى ١٣/٤٨٩ رقم ٧٥١٧ .

(٤) ينظر : شرح الزرقانى على المواهب ٨/٥٠، والبداية والنهاية ٢/٢٥٧ .

(٥) صحابى جليل له ترجمة فى : أسد الغابة ٦/٩٦ رقم ٥٨٦٩، وتجريد أسماء الصحابة ٢/١٦٤، والاستيعاب ٤/١٦٥٢ رقم ٢٩٤٤، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/١٧ رقم ٧ .

بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً. فأفرغها في صدرى، ثم أظبقه. ثم أخذ بيدى، فخرج بى إلى السماء ... الحديث^(١).

والحكمة هنا فى شق صدره الشريف، مع القدرة على أن يمتلئ قلبه إيماناً وحكمة بغسیر شق؛ الزيادة فى قوة اليقين، لأنه أعطى برؤية شق بطنه، وعدم تأثره بذلك، ما أمن معه من جميع المخاوف العادية المهلكة، فكمّل له ﷺ بذلك ما أريد منه من قوة الإيمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه، فلذلك كان ﷺ أشجع الناس، وأعلام حالاً ومقالاً، ولذلك وصف بقوله تعالى : ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾^(٢) وقوله سبحانه : ﴿ما زاغ البصر ما طغى﴾^(٣).

والشاهد فى الروايات السابقة على عصمته ﷺ، أنه قد أنرغ فى صدره الشريف طست ممتلئ حكمة وإيماناً؛ وتجسيد المعنويات فى قدرة الله عز وجل حين... وهذا يوضح عصمته، إنه الذى نزع عقله من صدره، هى حظ الشيطان منه، وأفرغ فى صدره طست الإيمان والحكمة، فكيف يكون عقل هذا شأنه؟ إنه يكون عقله أسمى من كل عقل، وأزكى من كل فهم، ولم لا : وقد نزع منه حظ الشيطان، وملئ قلبه بالحكمة والإيمان والحكمة جامعة لعموم العلوم والمعارف، والإيمان كلمة جامعة لكل ما يرضى الله تبارك وتعالى^(٤).

ح- من مظاهر عصمته ﷺ تكافؤ أخلاقه :

وهكذا نشأ المصطفى ﷺ، محفوظاً ومعصوماً قبل النبوة وبعدها من الشيطان الرجيم، ومعصوماً من كل ما يمس عقيدته بسوء، بل ومن كل ما يمس خلقه، حتى كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعظمهم حلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً حتى سماه قومه "الأمين"^(٥).

(١) أخرجه مسلم (شرح فتح البارى) كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ ٤٨٩/١ رقم ٢٦٣، والبخارى (شرح فتح البارى) كتاب أحاديث الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام ٤٣١/٦ رقم ٣٣٤٢.

(٢) الآية ١١ النجم.

(٣) الآية ١٧ النجم. وينظر : فتح البارى ٢٤٦/٧ رقم ٣٨٨٧، وشرح الزرقانى على المواهب ٦٢/٨.

(٤) ينظر : المدخل إلى السنة النبوية لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ١٧١.

(٥) ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ٢٥٢/١ نص رقم ١٩٧، والروض الأنف ٣٤٦/١، وطبقات ابن سعد ١٤٦/١، ودلائل النبوة للبيهقى ٥٦/٢ - ٦٢، وعيون الأثر لابن سيد الناس ٥٢/١.

وهذا الاسم العظيم "الأمين" يمثل أصدق تمثيل مدح رب العزة له بقوله سبحانه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

وهو اسم يمثل التكافؤ الخلقى في شخصية سيدنا محمد ﷺ أصدق تمثيل؛ وأعنى بالتكافؤ الخلقى : أن أخلاقه ﷺ كلها قبل النبوة وبعدها تتبع من عصمة المولى عز وجل له، فهو الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه، ومن هنا كانت أخلاقه كلها نسيها متفقة، فصهره مثل شجاعته، وشجاعته مثل كرمه، وكرمه مثل حلمه... وهكذا لا تجد له خلقاً فى موضعه من الحياة يزيد أو ينقص على خلق آخر فى موضعه منها، وهذا التكافؤ الخلقى فى وجوده الواقعى فى شخصيته ﷺ معجزة فى الحياة، لأن الإنسان معترك الغرائز، والتكافؤ الخلقى فى الشباب ضرب من المحالات فى متعارف الحياة، فإذا حققه الوجود الواقعى فى شباب سيدنا محمد ﷺ كان وجوده معجزة، ودليل على عصمة رب العزة له، وعنايته به وحفظه من مظاهر الجاهلية، على ما سبق تفصيله.

وكذلك التكافؤ الخلقى فى شخصيته ﷺ بعد النبوة يعد معجزة ودليل على عصمته. لأن التاريخ لم يذكر من النماذج العليا للبشرية من كان هذا التكافؤ الخلقى خليقته العامة سوى المصطفى محمد ﷺ، وإذا ذكر التاريخ غيره من النماذج العليا ذكره عنواناً لتبرير جزئى فى بعض الفضائل والأخلاق. فهذا مثل مضروب فى الصبر، وذاك فى الحلم، وثالث فى الكرم، ورابع فى الشجاعة. وهكذا تتفرق النهايات فى الأخلاق والفضائل فى نماذج متعددة، ولكنها تجتمع متكافئة فى شخصيته ﷺ، وهذا من الإعجاز والعصمة.

وإذا أردت مثلاً على هذا التكافؤ الخلقى فى شخصيته ﷺ فتأمل حاله قبل زواجه من خديجة رضى الله عنها من شطف العيش، وقلة ذات يده، وتأمل حاله بعد زواجه منها، حيث أصبح ﷺ بين عشية وضحاها من أغنياء قريش، وذوى ثرواتها، حيث أصبح غنياً مالها ماله، وثراؤها ثراءه. فهل غير ذلك تكافؤ الخلقى؟!.

كلا! إن سيدنا محمد ﷺ ظل بعد هذا الثراء الغامر، كما كان من ولد ونهد وشب، يعيش فى شطف عيشه؛ لا من قلة المال فى يده، بل لأن خصيصة التكافؤ الخلقى عنده طبعته على

(١) الآية ٤ القلم.

الزهادة فى الحياة المادية المترهلة التى كانت تحياها قريش، وطبعته على التسامى بنفسه عن مطامع الماديين، إذا هبط عليهم الثراء من غير كد ولا تعب.

فحياته ﷺ قبل زواجه من خديجة كانت ثقل من الدنيا، وكذلك كانت حياته بعد زواج خديجة، حياة ثقل من الدنيا وهى ملء يده وهكذا كان آخر حياة شبابه، صورة من أولها^(١).

ولا غرو فى أن يكون رسول الله ﷺ بتلك المثابة من التكافؤ الخلقى، فقد عصمه ربه عز وجل، واصطنعه لنفسه، وأراد منه أن يكون خاتم أنبيائه ورسله إلى الخلق كافة، ولا يقوم بذلك إلا أمين صاحب خلق عظيم، ينال ثقة الناس فيستجيبون له ويؤمنون به.

ط- من مظاهر عصمته ﷺ كمال عقله :

إن كمال العقل وفطنته من أبرز صفات الرسل الذاتية التى منحهم الله تعالى إياها، وهى من لوازم الرسالة الإلهية، والاصطفاء الربانى لها، كما أنها عامل مهم، وسبب قوى من أسباب تبليغ رسالة الرسل إلى أقوامهم، ومعالجتهم بالتربية الحكيمة، والقيادة السليمة وفق طبائعهم وأخلاقهم. قال تعالى : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾^(٢) ووضح من هذه الآية للكرامة التى تبين سبيل الدعوة أنها تعتمد على راحة العقل وفطنته.

فلا بد أن يكون الرسول أكمل الناس عقلاً وفطنة حتى يقهر الحجة على قومه على خير وجه، بحيث تكون ملزمة للخصم كل الإلزام، فإن أمن، وإلا جأله فاستعمل معه أسلوب المعارضة، والمناقضة، وهو فى كل ذلك يسلك مسالك للكرام لا يسئ ولا يغضب^(٣) وقد قص الله

(١) ينظر : محمد رسول الله ﷺ لفضيلة الشيخ محمد الصادق عرجون ٢١١/١ - ٢١٣ بتصرف، ونسبى الإسلام بين الحقيقة والادعاء للدكتور عبد الراضى محمد ص ٤٩، ٢١٢، وأعلام النبوة للماوردي ص ٣٠٩.

(٢) الآية ١٢٥ النحل.

(٣) ينظر : أعلام النبوة للماوردي ص ٨٩، ٣٠٩ بتصرف، والمدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ١٧٢، وأخلاق النبي ﷺ فى القرآن والسنة للدكتور أحمد الحعداد ١٠٣٧/٢.

عز وجل لنا من أحوال فطنة الرسل ما لا ينقض منه العجب، من سرعة البديهة، وإقامة الحجة الصادقة، وذلك كنوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، ويونس، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وإذا ذهبنا لذكر نماذج من فطن الأنبياء في القرآن الكريم، فإن ذلك يفضى بنا إلى الإطالة، ولكن بحسبنا أن نأتى ببعض النماذج من واقع حياة سيدنا محمد ﷺ، لتكون كافية للدلالة على باقى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذ ما يجوز فى حق نبي يجوز فى حق غيره من الأنبياء .

قال القاضى عياض : بعد أن قرر أنه لا مزية فى أنه ﷺ أعقل الناس وأذكاهم وفى نزوة الذرى فى الفطنة، ورجاحة العقل قال : "ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسة العامة والخاصة، مع عجب شمائله، وبديع سيره، فضلا عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع، دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب فيه، لم يمتز فى رجحان عقله، وتقوُّب فهمه لأول بديهة" (١) .

واليك بعض الأمثلة على كمال عقله وفطنته من سيرته العطرة :

أ- سرعة حله للمشاكل المستعصية التى تحار فى حلها العقول الكبيرة الشهيرة وصور ذلك كثيرة منها :

١- حله لمشكلة قريش فى وضع الحجر الأسود الذى تنافست فيه قبائلها، وأرادت كل قبيلة أن تحوز شرف وضعه، وتشتأثر به على غيرها، حتى وصل بها الحال إلى شفا الحرب، حيث قربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة ماء، ثم تعاقبوا هم وبنو عدى على الموت، وأدخلوا أيهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة، فسموا لعقة الدم، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا وتناصفوا، وأشار عليهم أبو أمية بن المغيرة، وكان يومئذ أسن قريش كلها على أن يجعلوا بينهم فيما يختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد - يعنى باب بنى شيبه - فكان أول داخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا، هذا محمدا فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر فقال ﷺ : "هَلُمَّ إِلَى ثَوْبًا، فَآتَى بِهِ، فَاخُذَ الرُّكْنَ

فوضعه فيه بيده، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً. ففعلوه حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ﷺ ثم بنى عليه^(١).

وبذلك رفع ما بينهم من ذلك الخلاف الذى كاد يؤدى برجالهم، والذى حارت فيه عقولهم، وفيهم المشهورون بالعقل والحُكَّة والتَّجربة والسُّود، ومع ذلك بارت فى هذه المشكلة العويصة، حتى خلصهم منها ذو الفطنة النبوية سيدنا محمد ﷺ، وهو يومئذ فى سن الخامسة والثلاثين من عمره ﷺ^(٢) على الرغم من وجود الكبار والكبار جداً، وعلى الرغم من وجود العقلاء والنبلاء جداً، إلا أنه ﷺ هو الذى حل المشكلة، إنه ﷺ الذى ارتضاه الجميع لمكانته، فلما حكم ارتضوا حكمه لعدالته. لم يعترض أحد على شخصه، ولم يعترض أحد على فكره، حتى قال من لا يعرفه! يا عجباً لقوم أهل شرف وعقول، ومن وأموال، عمدوا إلى أصغرهم سنّاً، وأقلهم مالاً، فرأسوه فى مكرمتهم وحرزهم، كأنهم خدم له!!^(٣).

٢- ومثل هذا الحل السريع الحاسم حله ﷺ لمشكلة المهاجرين ﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله﴾^(٤) فوفدوا إلى المدينة لا يملكون شيئاً، فكانوا بذلك فى خطر المجاعة والغربة، مما اقتضى إيجاد حل سريع لهذه المشكلة، وكان رجلها وواحدها رسول الله ﷺ، حيث آخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة والحق، والتوارث، واستمروا على ذلك الحال إلى أن أنزل الله تعالى : ﴿وأولوا الرِّحَام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله﴾^(٥) فنسخت حكم التوارث بين المهاجرين والأنصار^(٦) وبذلك حل النبى ﷺ مشكلة من أكبر المشاكل استعصاء فى الحل.

(١) ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ٢٥٢/١ نص رقم ١٩٧، والروض الأنف ٣٤٦/١، وطبقات ابن سعد ١٤٦/١، ودلائل النبوة لليبهي ٥٦/٢ - ٦٢، وعيون الأثر ٥٢/١، وأصل القصة فى سند أحمد ٤٢٥/٣ من حديث مجاهد عن مولاة السائب بن عبد الله، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٩٢/٣، ٢٢٩/٨، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة، وأخرجه الحاكم فى المستدرک ٦٢٨/١ رقم ١٦٨٣ وقال : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى.

(٢) وهذا رأى ابن إسحاق، وإليه جنح جمهور المؤرخين، ومؤلفى السير والمغازى. ينظر : المصادر السابقة، مع محمد رسول الله ﷺ للشيخ محمد عرجون ١٩٠/١.

(٣) ينظر : المدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ١٦٩.

(٤) جزء من الآية ٨ الحشر.

(٥) جزء من الآية ٧٥ الأنفال.

(٦) ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ١٣٠/٢ نص رقم ٥٤٠، مع الروض الأنف ٣٥٠/٢ ووفاء الوفاء للسهمودى ٢٦٧/١، وعيون الأثر ٢١/١.

٣- كما حل في نفس الوقت مشكلة أخرى هي بمثابة المشكلة الأولى في الأهمية، وهي مشكلة التعايش في المدينة بين طوائف مختلفة : الأوس والخزرج الذي كان بينهما من العداء بسبب ما كان يجري بينهما من الحروب مالا يكاد ينسى والمهاجرين الذين تركوا أوطانهم وأموالهم، وأتوا لنصرة رسول الله ﷺ وجموع يهود التي كانت تسيطر على الحركة الاقتصادية في المدينة باحتكارها التجارة فيها، وتشكيلهم خطراً عظيماً على الدولة الإسلامية الفتية، وهم أيضاً منقسمون على أنفسهم، فبعضهم يوالى الأوس، والبعض الآخر يوالى الخزرج. فكان لابد من إيجاد ثقة كاملة، بين هذه الأطراف المختلفة للتعايش السلمي، والدفاع العام عن عدو مشترك يقدم عليهم من الخارج، يريد المساس بأحد من هذه الطوائف، فكان ذلك بما أجراه النبي ﷺ من عهد مودعة بين هذه الطوائف يرضى جميعها .

وبهذا العهد^(١) قضى رسول الله ﷺ على النزعات الجاهلية، والدسائس اليهودية، وأوجب للجميع الود والإخاء، والتراحم، وإقامة العدل، وما كان لذلك أن يتم لولا هذا العلاج الناجح، من ذي الفطنة العظيمة، والسياسة الحكيمة - صلوات الله وسلامه عليه .

٤- وكم كانت فطنته للكمال تحل من مشاكل عديدة في أسرع وقت وأقصره، فيتحقق بذلك له ولأمته ما يصبون إليه من نصر وسعادة وعز وسيادة، وليس أدل على ذلك من صلح الحديبية! الذي كان آية من الآيات العظيمة، فيه فتح الله عليه مكة دون حرب أو قتل... ومن كان يتصور فتح مكة بهذا السلام العظيم!! والأمتة غير ذلك بنوء عنها الحصر في مثل هذا المقام المقتضى للإيجاز، والإتيان من كل بحر قطرة كالأنموذج لغيره، والتليل على ما سواه .

ب- ومن مظاهر كمال عقله ﷺ وفطنته، سرعة إقامة الحجة على المعارضين وقطع شغبهم وجدالهم بالباطل، فلا يستطيعون مجاراته أو مكابرتة، بل لا يسعهم إلا الإذعان والتسليم، أو النكوص على أعقابهم خاسئين خاسرين، وصور ذلك كثيرة منها :

١- ما جاء عن سعيد بن أبي راشد^(٢) - رحمه الله - قال : رأيت للتوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ (بحمص) وكان جاراً لي شيخاً كبيراً، قد بلغ الغناء أو قرب، فقلت : ألا تخبرني

(١) نص ذلك العهد في السيرة النبوية لابن هشام ١٢٦/٢ نص رقم ٥٣٨، وعميون الأثر ٩٧/١ والروض الأنف للسهيلى ٣٤٦/٢ .

(٢) قال الحفاظ في التهذيب ٢٦/٤، ذكره ابن حبان في الثقات ٢٩٠/٤، وفي التقریب ٣٥٢/١ رقم ٢٣٠٨ مقبول .

عن رسالة هرقل إلى رسول الله ﷺ، ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل؟ قال : بلى... وذكر الحديث وفيه : "فانطلقت بكتابه (أى كتاب هرقل) حتى جئت "بتيوك" فإذا هو جالس بين أصحابه على الماء، فقلت : أين صاحبكم؟ قيل : ها هو ذا، قال : فأقبلت أمشى حتى جلست بين يديه، فناولته كتابى فوضعه فى حجره، إلى أن قال : ثم إنه ناول الصحيفة رجلا عن يساره، فقلت : من صاحب كتابكم الذى يقرأ لكم؟ فقالوا : معاوية. فإذا فى كتاب صاحبه : يدعونى إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين! فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ "سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟!..."^(١).

٢- وجاءت قريش إلى حصين بن عبيد^(٢) وهو من عظماء قريش، فقالوا له : كلم لنا هذا الرجل، يقصدون : رسول الله ﷺ، فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم، فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبى ﷺ، فقال : أوسعوا للشيخ، وعمران^(٣) وأصحابه متوافرون .

فقال حصين : ما هذا الذى بلغنا عنك، إنك تشتم آلهتنا، وتذكرهم، وقد كان أبوك حصينة وخيرا؟ فقال ﷺ : يا حصين، إن أبى وأباك فى النار. يا حصين! كم تعبد من إله؟ قال : سبعا فى الأرض، وواحدا فى السماء. قال : فإذا أصابك الضر من تدعوا؟ قال : الذى فى السماء. قال : فإذا هلك المال من تدعوا؟ قال : الذى فى السماء. قال : فيستجيب لك وحده، وتشركهم معه؟! أراضيته فى الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟ قال : لا واحدة من هاتين. قال : "وعلمت أنى لم أكلم مثله" قال : يا حصين! أسلم تسلم. قال : إن لى قوما وعشيرة فماذا أقول؟ قال : قل : اللهم إنى أستهديك لأرشد أمرى، وزدنى علما ينفعنى. فقالها حصين، فلم يقم حتى أسلم. فقام إليه عمران فقبل رأسه، ويديه، ورجليه، فلما رأى ذلك النبى ﷺ بكى، وقال : بكيت من صنيع عمران، دخلو حصين، وهو كافر، فلم يقم إليه عمران، ولم يلتفت ناحيته، فلم أسلم قضى حقه، فدخلنى من

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند ٤٤١/٣ وأبو يعلى، وإليهما عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٣٦/٨ وقال : رجال أبى يعلى ثقات، ورجال عبد الله بن أحمد كذلك.

(٢) هو والد عمران بن حصين رضى الله عنهما، له ترجمة فى أسد الغابة ٣٤/٢ رقم ١١٨٥، وتجريد أسماء الصحابة ١٣٢/١، والاستيعاب ٣٥٣/١ رقم ٥١٤ .

(٣) عمران هو : ابن حصين الذى يتحدث مع الرسول هنا، إلا أن عمران كان قد أسلم، أما أبوه فقد أسلم فى هذه الجلسة. له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص ٤٨ رقم ٢١٨، وتاريخ الصحابة ص ١٨٣ رقم ٩٤٩، والاستيعاب ١٢٠٨/٣ رقم ١٩٦٩، وأسد الغابة ٢٦٩/٤ رقم ٤٠٤٨ .

ذلك الرقة، فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه : قوموا فشيّعوه إلى منزله، فلما خرج من سدة الباب رآته قريش فقالوا : صبا^(١) وتفرقوا عنه^(٢).

فتأمل كلمة "حصين" الذي نعظمه قريش : "وعلمت أنى لم أكلم مثله" إن هذه الكلمة من هذا الرجل تبين مدى كمال عقله عليه السلام، وأنه يفوق عقل المعظمين من البشر، إنه عقل نبي مصطفى معصوم^(٣).

٣- وعن أبي أمامة رضى الله عنه^(٤) قال : إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله، ائذن لى بالزنا!! فأقبل القوم عليه، فزجروه، وقالوا : مه مه^(٥) فقال صلى الله عليه وآله : أدنه، فدنا منه قريباً. قال : فجلس فقال صلى الله عليه وآله : أتحبه لأمك؟ قال : لا والله، جعلنى الله فداك فقال صلى الله عليه وآله : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. ثم قال صلى الله عليه وآله : أفتحبه لابنتك؟ قال : لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك. قال صلى الله عليه وآله : أفتحبه لأختك؟ قال : لا والله، جعلنى الله فداك. قال صلى الله عليه وآله : ولا الناس يحبونه لأخواتهم، ثم قال صلى الله عليه وآله : أفتحبه لعمتك؟ قال : لا والله، جعلنى الله فداك. قال صلى الله عليه وآله : ولا الناس يحبونه لعماتهم. ثم قال صلى الله عليه وآله : أفتحبه لخالتك؟ قال : لا والله، جعلنى الله فداك. قال صلى الله عليه وآله : ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال : فوضع يده عليه، وقال : اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شئ^(٦).

انتهى الفتى عن هذه الفاحشة، وأصبح لا يلتفت إليها، فقد أقنعه صلى الله عليه وآله إقناعاً تاماً، وردد، وكرر، حتى قبح هذا الفعل فى نظر الرجل، فأبغضه وأبتعد عنه، وهو صلى الله عليه وآله بدعائه له زاد الأمر

(١) أى ترك دينهم، وأسلم لله رب العالمين. ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٣/٣ .

(٢) ذكره ابن حجر فى الإصابة ٨٧/٢، وعزاه لابن خزيمة، وشئ منه عند الترمذى فى سننه كتاب الدعوات، باب بعد باب جامع الدعوات بأربعة أبواب ٤٨٥/٥ رقم ٣٤٨٣ وقال حديث غريب، وفيه حديث عند أحمد فى مسنده ٤٤٤/٤ .

(٣) ينظر : المدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ١٦٥ .

(٤) صحابى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص ٦٥ رقم ٣٢٧، وتاريخ الصحابة ص ١٣٧ رقم ٦٧٥، وأسد الغابة ١٤/٦ رقم ٥٦٩٥، والإصابة ١٨٢/٢ .

(٥) كلمة زجر بمعنى اسكت. النهاية فى غريب الحديث ٣٢١/٤ .

(٦) أخرجه أحمد فى مسنده ٢٥٦/٥، ٢٥٧، وعزاه إليه وإلى الطبرانى فى الكبير وقال رجاله رجال الصحيح الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٢٩/١ .

حسنا فلم يقف عند حد الإقناع، وإنما دعا له - وهو مستجاب الدعوة - فاقتناع الرجل، وهذاه الله، وهكذا النبوة^(١).

والشاهد مما سبق أنه ﷺ لم يغضب، ولم يثر، وإنما كلمه كلاما سهلا غاية السهولة، أقنعه كل الإقناع. وهذا من كمال العقل وفطنته.

٤- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن أعرابيا أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله! إن امرأتى ولدت غلاما أسود، وإنى أنكرته^(٢) فقال له النبي ﷺ هل لك من إبل؟ قال : نعم. قال ﷺ ما ألوانها؟ قال : حمر. قال ﷺ : فهل فيها من أورك^(٣) قال : نعم. قال رسول الله ﷺ : فأتى هو؟^(٤) قال : لعله يا رسول الله يكون نزع عرق له^(٥) فقال له النبي ﷺ وهذا لعله يكون نزع عرق له^(٦).

إنه ﷺ فى هذا الموقف جعل السائل ينطق بالجواب، وضرب له ﷺ مثلا من بينته، وأقنعه أيما إقناع، ولقد كان الرجل منصفا، فما أن ضرب له ﷺ المثل إلا اقتنع. لقد سلم الرجل واعترف أن العرق نزاع، وعليه فلعن عرقا نزع ابنه هذا، كما أن إبله التى فيها جمل يختلف لونه عن بقية الإبل لعله نزع عرق^(٧).

ج- ومن مظاهر كمال عقله وفطنته ﷺ براهينه الساطعة القاطعة التى كان يقيمها على مجادليه ومناظريه من مشركين، وأهل كتاب وغيرهم، وصور ذلك كثيرة أكتفى منها بما يلى :

- (١) ينظر : المدخل إلى السنة النبوية ص ١٦٦ .
- (٢) أى أنكر أن يكون هذا الغلام ابنه، إذ هو أبيض والابن أسود، كما جاء فى رواية أخرى : " وهو حينئذ يعرض بأن ينفيه" أى يدعى أنه ليس ابنه، وإنما جاءت به أمه من زنا!! .
- (٣) الجمل الأورق : هو الذى سواد لونه ليس صافيا .
- (٤) أى : من أين جاء هذا الأورق الذى يختلف لونه عن لون جمالك .
- (٥) أى : يحتمل أن يكون فى آباءه من الإبل ما هو أسود، فأشبهه هذا .
- (٦) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب اللعان ٣٨٥/٥ رقم ١٥٠٠، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاعتصام، باب من شبه أصلا ٣٠٩/١٣ رقم ٧٣١٤ .
- (٧) المدخل إلى السنة النبوية ص ١٦٧ .

١-مجادلته لكفار قريش، وهو ما كان من ابن الزبعرى^(١) الذى سمع بقول الله تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ. لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلَهِةَ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌ فِيهَا خَالِدُونَ. لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٢) فقال : أما والله لو وجدت محمداً لخصمته، فسلوا محمداً! أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة! واليهود تعبد عزيزاً! والنصارى تعبد عيسى ابن مريم! فعجب الحاضرون مما قاله ابن الزبعرى، ورأوا أنه قد خصم رسول الله ﷺ وغلبه، فقال النبى ﷺ: "إن كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرتهم بعبادته" فأنزل الله تعالى تصديقاً لنبيه ﷺ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ عَلَيْهَا مُعَذِّبُونَ. لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ. لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٣).

فانظر إلى هذا الجواب المفحم الذى لم يترك للمجادل مجالاً للتماذى بالباطل، حيث أعلمه أن من نكر لم يأمرهم بعبادتهم، وأنهم إنما يعبدون الشياطين، وأنهم لو أمروهم بذلك أو حبسوا ذلك منهم لكان الحكم عاماً فيهم .

على هذا النحو كانت مجادلة النبى ﷺ للمشركين فى مكة، وأهل الكتاب فى المدينة^(٤) والوفود الواردة من كل نواحي الجزيرة، يجادلوه فيأيده الله، ويقيم الحجة عليهم، وأذكر من ذلك مثلاً ما يلى :

(١) هو عبد الله بن الزبعرى، شاعر قريش فى الجاهلية، كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، ثم عاد إلى مكة، فأسلم واعتذر. مات سنة ١٥ هـ له ترجمة فى : أسد الغابة ٢٣٩/٣ رقم ٢٩٤٦، والاستيعاب ٩٠١/٣ رقم ١٥٣٣ .

(٢) الآيات ٩٨ - ١٠٠ الأنبياء .

(٣) الآيات ١٠١ - ١٠٣ الأنبياء، وينظر : السيرة النبوية لابن هشام ٤٥١/١، ٤٥٢ نص رقم ٣٤٩، والبداية والنهاية لابن كثير ٨٦/٣، ٨٧ نقلاً عن ابن إسحاق .

(٤) ينظر أمثلة على ذلك فى البداية والنهاية ١٧٩/٦، وحوار الرسول ﷺ مع اليهود للدكتور محسن عبد الناظر .

٢- وفد بنى تميم : فلقد قدم عليه أشرافهم، منهم الأقرع بن حابس، وهو من سادات العرب وحكامها^(١) والزبرقان بن بدر التميمي- أحد بنى سعد - وعمرو بن الأهتم. وقالوا لرسول الله ﷺ : جئنا نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، وتمت المغامرة، وفي نهايتها قال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لموتى له^(٢) لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا^(٣).

لقد اعترف الرجل بكمال عقله وفطنته ﷺ، وأنه اختار من أتباعه خطيبا يناسب هذه القبيلة من العرب، ففاق خطيبهم، واختار شاعرا فاق شاعرهم، وما ذلك إلا لكمال عقله وفطنته، وفهمه الدقيق للوافدين عليه، وفهمه الدقيق لآتباعه.

لقد أسلم الوفد^(٤)، وهكذا كل من ورد عليه، يعترف بنبوته، وعصمة المولى عز وجل له، وتأييده في كل أموره^(٥).

وبعد : فقد اتضح لك فيما سبق من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، عصمة سيدنا رسول الله ﷺ من كل ما يمس قلبه وعقيدته بسوء، من التمسح بالأصنام، أو الحلف بها، أو أكل ما ذبح على النصب، ونحو ذلك من مظاهر الكفر والشرك والضلال، والغفلة، والشك، وكذا عصمته من تسلط الشيطان عليه، وعصمته من كل ما يمس أخلاقه بسوء حتى استحقت أن توصف بالعظمة قال تعالى : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾^(٦) وبلغ من عظمة أخلاقه تكافؤها بنسب متفقة، فحلمه مثل رحمته، ورحمته مثل مروءته، الخ، وهو في كل ذلك في

(١) له ترجمة في : أسد الغابة ١/٢٦٤ رقم ٢٠٨، وتاريخ الصحابة ص ٣٨ رقم ٧٣، والاستيعاب ١٠٣/١ رقم ٦٩ .

(٢) أى : أنه ﷺ مؤيد وموفق .

(٣) قصة الوفد ذكرها ابن إسحاق، ومن طريقة غيره، ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ٤/٢٤٢ - ٢٥١ من نص ١٩٣٢ - ١٩٤٢، وطبقات ابن سعد ١/٢٩٣، ٢٩٤، وتاريخ الطبري ٣/١١٥ = والدرر = في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص ٢٥٥، ودلائل النبوة لليهقي ٥/٣١٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٥/٤١، ٤٢ .

(٤) ينظر المصادر السابقة .

(٥) المدخل إلى السنة النبوية ص ١٧٠ بتصرف يسير .

(٦) الآية ٤ القلم .

أول شبابه كآخر حياته. وكذلك اتضح عصمته ﷺ من كل ما يمس عقله بسوء، حتى كان قبل النبوة وبعدها أكمل الناس عقلاً وفطنةً، كما كان ﷺ أكمل الناس إيماناً وخلقاً.

وكذا عصم رب العزة رسوله ﷺ وخصه دون سائر الأنبياء بعصمة بدنه الشريف من القتل، وقد دل على ذلك الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، فإلى تفصيل ذلك فى المبحث التالى.

المبحث الثاني دلائل عصمته ﷺ فى بدنه من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية

المراد بعصمة النبى ﷺ فى بدنه هنا، عصمته من القتل، أما الأمراض والآفات الغير منفرة فلا. لأن رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء والرسل، من البشر. وهم بحسب ظواهرهم يطرأ عليها ما يطرأ على سائر البشر من الآفات والتغيرات والآلام والأسقام.

وهذا كله ليس بنقيصه فيهم لأن الشئ إنما يسمى ناقصاً بالإضافة إلى ما هو أتم منه، وأكمل من نوعه، وقد كتب الله عز وجل على أهل هذه الدار كلها، بأنهم فيها يحيون، وفيها يموتون، ومنها يخرجون. فالمرض والشكوى منه والتداوى، والإحساس بالحر والبرد، وإدراك الجوع والعطش، والغضب والضجر، والتعب والضعف والموت. كل ذلك سمات البشر كلها، والتي لا محيص عنها، وقد جرى على خير خلق الله عز وجل من أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام السمات السابقة، كما ابتلاهم الله عز وجل بضروب من المحن، وذلك من تمام حكمته عز وجل لحكم منها ما يلى :

١- ليتحقق بامتحانهم بشرتهم، ويرتفع الالتباس من أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من

العجائب على أيديهم، ضلال النصارى بعبسى ابن مريم، وضلال اليهود بعزير.

٢- ليظهر شرفهم، ورفعة درجاتهم، كما قال عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ

مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾^(١).

٣- تسلية لأممهم، وتذكرة لهم ليتأسوا بهم فى البلاء، ويستخرجوا حالات الصبر، والرضى،

والشكر، والتسليم، والتوكل ونحو ذلك مما وقع منهم.

٤- فى امتحانهم محو لهفات فرطت منهم أو غفلت سلفت لهم - إن صح التعبير - ليلقوا الله

عز وجل طيبين مهذبين، وليكون أجرهم أكمل، وثوابهم أوفر وأجزل^(٢).

وكل ذلك تحقيقاً لما أجمله القرآن الكريم ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ

وَالصَّابِرِينَ﴾^(٣) وقوله سبحانه ﴿لَيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٤) وهذا ما فصله وبينه النبى ﷺ

فى أحاديث عدة منها ما يلى :

(١) الآية ٣١ محمد.

(٢) الشفا ١٧٨/٢، ٢٠٤ بتصرف، وذكر حكم أخرى للبلاء فى المصدر نفسه ٢٠٧/٢ - ٢١٠.

(٣) الآية ٣١ محمد.

(٤) جزء من الآية ٢ الملك.

١- عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه^(١) قال : قلت : يا رسول الله! أى الناس أشد بلاء قال: "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة"^(٢).

١- وقوله ﷺ قال الله تعالى : "إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك"^(٣).

٢- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة"^(٤).

٣- وعن أبى سعيد الخدرى وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم - حتى الشوكة يشاكها - إلا كفر الله بها من خطاياها"^(٥).

ومن أجل كل ما سبق كانت شدة المرض والوجع بالنبى ﷺ بدليل :

١- عن عائشة رضى الله عنها قال : ما رأيت أحدا أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ^(٦).

(١) صحابى جليل له ترجمة فى : أسد الغابة ٢/٤٥٢ رقم ٢٠٣٨، وتذكرة الحفاظ ١/٢٢١ رقم ٩، والرياض المستطابة ص ٩١، وتجريد أسماء الصحابة ١/٢١٨، والاستيعاب ٢/٦٠٦ رقم ٩٦٣ .
(٢) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الزهد، باب ما جاء فى الصبر على البلاء ٤/٥٢٠ رقم ٢٣٩٨ وقال : حسن صحيح، والنسائى فى سننه الكبرى كتاب الطب، باب أى الناس أشد بلاء ٤/٣٥٢ رقم ٧٤٨١، وابن ماجه فى سننه كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء ٢/٥٠٣، ٤/٥٠٤ رقم ٤٠٢٣، والمحاكم فى المستدرک ١/١٠٠ رقم ١٢١ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وقال : وله شواهد كثيرة.

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٩/٢١٥ رقم ٢٨٦٥ من حديث عياض الجاشعنى رضى الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الزهد، باب ما جاء فى الصبر على البلاء ٤/٥٢٠ رقم ٢٣٩٩ وقال : حسن صحيح.

(٥) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المرضى، باب ما جاء فى كفارة المرض ١٠/١٠٧ رقمى ٥٦٤١، ٥٦٤٢، ومسلم (بشرح النووى) كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ٨/٣٧٢ رقم ٢٥٧٣ .

(٦) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المرضى، باب شدة المرض ١٠/١١٥ رقم ٥٦٤٦، ومسلم (بشرح النووى) كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرضى، ٨/٣٦٩ رقم ٢٥٧٠ .

فتأمل قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ ﴾ إن الخطاب فى هاتين الآيتين موجه من رسول الله ﷺ كما أمره ربه عز وجل إلى قتل الأنبياء والمرسلين من بنى إسرائيل، وتحدى لهم بأوضح بيان، بأنهم وإن وقع منهم قتل الأنبياء من قبل رسول الله ﷺ بإذن الله تعالى، فهم مع رسول الله ﷺ مهما حاولوا قتله، فلم ولن يفلحوا، لأن الله عز وجل عصم بدنه الشريف من القتل، كما عصم قلبه وعقله وخلقَه من كل ما يمسهم بسوء، وخصوصية عصمة بدنه الشريف من القتل مستفادة من الآيتين السابقتين فى تكرار قوله : "من قبل" و"من قبلى" فتأمل .

٣- وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (١) .

روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : "كان النبی ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم : "يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربي عز وجل" (٢) وهذه الآية الكريمة، وإن كانت مدنية النزول على قول الأكثرين من المفسرين، إلا أنها لا تعنى أن خصوصية عصمة رسول الله ﷺ فى بدنه من القتل لم تكن إلا بعد الهجرة النبوية، كلا! لما بلى :
أولاً : لاحتمال تكرار نزول الآية مرة بمكة، وبمرة بالمدينة :

ومن تمسك برواية أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها السابقة، فلا حجة له فيها لاحتمال أن السيدة عائشة لم تخبر عن أمر شهادته، وإنما حدثت عن من شهد الحادثة، وقت نزول الآية فى مكة من الصحابة رضى الله عنهم ويؤيد هذا الاحتمال، الاختلاف فى رفع الحديث ووقفه كما قال الحافظ ابن حجر (٣) وأيضاً : اختلاف ألفاظ روايات حديث عائشة تشير إلى

(١) الآية ٦٧ المائدة .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب تفسير القرآن، باب سورة المائدة ٢٣٤/٥ رقم ٣٠٤٦ وقال : حديث غريب، وحسنه الحافظ فى فتح البارى ٩٦/٦ رقم ٢٨٨٥، وقال : يختلف فى رفعه ووقفه، وأخرجه الحاكم فى المستدرک ٣٤٢/٢ رقم ٣٢٢١ وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، والبيهقى فى دلائل النبوة ١٨٤/٢، وأبو نعيم فى دلائل النبوة ١٩٨/١ رقم ١٥١ من حديث أبي ذر الغفارى رضى الله عنه .

(٣) ينظر : تخريج حديث عائشة السابق .

أنها حدثت أولاً عن أمر سمعته من غيرها، كما في حديث الترمذى - وهذا هو ما ذكرت فيه نزول الآية، وهو محتمل احتمالاً قوياً أن يكون في مكة، فلا حجة فيه لمن يتمسك بمذنية الآية لأنه كما "لا يخفى ليس بنص في المقصود" كما قال الإمام الألوسى في تفسيره^(١).

وهى رضى الله عنها تحدثت مرة أخرى عما رأته وشاهدته، وكانت فيه مع رسول الله ﷺ، بدليل رواية الإمام أحمد "وهى إلى جنبه"^(٢).

ثانياً : يحتمل أن قول رسول الله ﷺ السابق في حديث عائشة - على فرض أن هذا القول كان بالمدينة، إخبار عن حال ثابتة له ﷺ منذ كان بمكة، ولما رأى حرص أصحابه على حمايته، وانتدابهم لحراسته في بلد نزل فيه مهاجراً قبل أن يستقر؛ ذكرهم بأنه لا حاجة له بحراستهم في المدينة أيضاً، لأن الله تعالى قد عصمه منذ كان في شدة الأزمات والشدائد بمكة^(٣).

ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبی ﷺ يحرس، وكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجالاً من بنى هاشم حتى نزلت هذه الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٤) فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه فقال : يا عم إن الله قد عصمنى من الجن والإنس^(٥) وللحديث شاهد من رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلؤه حتى نزلت : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فذهب ليعث معه فقال : يا عم إن الله قد عصمنى لا حاجة لى إلى من تبعث^(٦).

-
- (١) روح المعاني ١٩٩/٦ .
 (٢) أخرجه أحمد في المسند ١٤١/٦، وقال الهيثمى في مجمع الزوائد ١٣٥/٦ في الصحيح طرف منه، ورواه البزار عن شيخه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف أھـ .
 (٣) ينظر : محمد رسول الله لفَضيلة الشيخ محمد عرجون ٤٧٦/٢ .
 (٤) الآية ٦٧ المائدة .
 (٥) أخرجه الطبراني وفيه الضعيف وهو عبد الرحمن وهو ضعيف كما قال الهيثمى في مجمع الزوائد ١٧/٧، وقال ابن كثير في تفسيره ١٤٥/٣ حديث غريب، قلت : يزيل غرابته ما يعضده من الآيات والأحاديث الصحيحة الواردة في معناه أھـ .
 (٦) ذكره ابن كثير والسيوطى في تفسيرهما عن ابن مردويه، وقال ابن كثير : هذا حديث غريب وفيه نكارة، فإن هذه الآية مدنية، وهذا الحديث يقتضى أنها مكية أھـ ينظر : تفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣، والدر المنثور ٢٩٨/٢ .

والحديث شاهد ثانى من رواية أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان العباس عم رسول الله ﷺ فيمن يحرسه، فلما نزلت هذه الآية : **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾** ... الآية، ترك رسول الله ﷺ الحرس^(١) فهذه الروايات السابقة مع معنى الآية الواردة فيها يقتضى أنها نزلت بمكة أيام الشدائد والأزمات التى كانت تعترض رسول الله ﷺ وهو يدعو قومه، فقوله تعالى : **﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾** أى بلغ أنت رسالتى، وأنا حافظك وناصرك، ومؤيدك على أعدائك، ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فإن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك^(٢) والعباس فى حراسته لرسول الله ﷺ على ما جاء فى رواية أبى سعيد الخدرى، هو بلا شك أحد فتيان بنى هاشم الذين كان يبعثهم أبو طالب كل يوم لحراسة رسول الله ﷺ.

وذهب الحافظ ابن حجر فى الفتح^(٣) إلى أن ملازمة العباس لرسول الله ﷺ إنما كانت بعد فتح مكة عدول منه - رحمه الله تعالى - عما تلهمه الآية، ويقتضيه حال الدعوة فى مستهلها من حاجة الرسول ﷺ إلى العصمة من الناس ليتمكن من إيلاغهم ما أمره الله بتبليغهم إياه، واستدلاله على ما ذهب إليه بما ورد فى الأخبار من أن رسول الله ﷺ حرس فى بدر، وفى أحد، وفى الخندق، وفى رجوعه من خيبر، وفى وادى القرى، وفى عمرة القضاء، وفى حنين، وهذا يقتضى عنده نزول الآية متراخية عن وقعة حنين^(٤) غير مسلم به من وجهين :

الوجه الأول : أن ملازمة العباس للرسول ﷺ ومداومته عليها كانت معلومة للناس بمكة قبل الهجرة، فقد كان من لا يعرف شخص رسول الله ﷺ من العرب، ولم يسبق له أن رآه، ويعرف عمه العباس، فإنه يدل على رسول الله ﷺ بأنه الرجل الذى يجلس مع العباس بن عبد المطلب^(٥) ومما يؤكد ملازمة العباس لرسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة أيضاً - وهى بلا ريب ذات هدف سام أهم ما فيها حراسة رسول الله ﷺ،

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ٢١/٤ رقم ٣٥١٠، والصغير ١٤٩/١ وفيه عطية العوفى وهو ضعيف كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٧/٧، ورواه ابن كثير أيضاً فى تفسيره ١٤٤/٣ عن ابن مردويه، والحديث تعضده الآيات والأحاديث.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٤٣/٣ .

(٣) فتح البارى ٢٣٢/١٣ رقم ٧٢٣١ .

(٤) المصدر السابق فى الأماكن السابقة نفسها.

(٥) ينظر : من أمثلة ذلك ما رواه أحمد فى مسنده ٤٦٠/٣ - ٤٦٢، والطبرانى فى الكبير ٨٧/١٩، والبيهقى فى دلائل النبوة ٤٤٤/٢ - ٤٤٦، والطبرى فى تاريخه ٣٦٠/٢، ٣٦١، وابن إسحاق ٨٨، السيرة النبوية لابن هشام ٥٦/٢ نص رقم ٤٤٨ .

من أعدائه - أن العباس لم يترك رسول الله ﷺ وحده في بيعة العقبة الكبرى التي تمت بين رسول الله ﷺ وبين الأنصار، وكان أول متكلم في تلك الليلة، وفيما قاله دليل على أنه كان يحرس رسول الله ﷺ ويمنعه من أذى قومه قال : "يا معشر الخزرج... إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده... فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه، وخاذلوه بعد الخروج إليكم، فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده"^(١).

فحراسات رسول الله ﷺ بمكة من قبل أهله وعشيرته، كانت لأسباب عامة، الغرض منها حماية سيدنا محمد ﷺ وهو منهم في الذروة لرد اعتداء قريش عنه، ومنع طغيانها عليه.

الوجه الثاني : أن حراسته ﷺ بعد الهجرة كانت جميعها لأسباب خاصة. وباستقصاء الأسباب الخاصة لحراسة رسول الله ﷺ في المدينة، تراها :

١- إما في أول مقدمة المدينة كما في حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري أنها قالت : "كان النبي ﷺ سهر، فلما قدم المدينة قال : ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة، إذ سمعنا صوت سلاح، فقال : من هذا؟ فقال : أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك، فنام النبي ﷺ"^(٢).

٢- أو أن تكون أسباب حراسته ﷺ أموراً داخلية خاصة به، كما في حراسة أبي أيوب رضي الله عنه^(٣) لرسول الله ﷺ ليلة بنائه ﷺ بصفية بنت حي بن أخطب رضي الله عنها^(٤) وهو عائد

(١) أخرجه ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام) ٥٨/٢ نص رقم ٤٥٠، وأحمد في مسنده ٤٦٠ - ٤٦٢ ورجاله رجال الصحيح، غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٥/٦، وأخرجه الأئمة الطبراني، والبيهقي، والطبري، ثلاثهم من طريق ابن إسحاق، في الأماكن السابقة نفسها.

(٢) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ٩٥/٦ رقم ٢٨٨٥، ومسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد ١٩٥/٨ رقم ٢٤١٠.

(٣) صحابي جليل له ترجمة في : أسد الغابة ٢٢/٦ رقم ٥٧١٤، والاستيعاب ١٦٠٦/٤ رقم ٢٨٦٦، ومشاهير علماء الأمصار ص ٣٤ رقم ١٢٠، والإصابة ٤٠٥/١.

(٤) لها ترجمة في : تاريخ الصحابة ص ١٣٩ رقم ٦٨١، والاستيعاب ١٨٧١/٤ رقم ٤٠٠٥، وأسد الغابة ١٦٨/٧ رقم ٧٠٦٣، والرياض المستطابة ص ٣١٥، ٣١٦.

من خبير، فقد بين أبو أيوب سبب حراسته لرسول الله ﷺ حين سأله عن حراسته له ﷺ فقال أبو أيوب : "خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباه، وزوجها، وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فحفظتها عليك" فقال رسول الله ﷺ : "اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني" (١).

٣- أو أن تكون وقائع حربية كما في حراسته ﷺ في بدر وأحد والخندق وحنين (٢) وغيرها من المشاهد الحربية.

وهذه جميعها أمور يجب أن يحرس فيها الإمام والقائد، ورسول الله ﷺ كان يعلم قطعاً في هذه الحراسات الخاصة أنه معصوم، ولكنه طلبها أو أقرها تشريعاً لأمنه لتقتدى به في ذلك، ولتعلم الأخذ بالحرز، والاحتراس من العدو، وحراسة السلطان أو القائد خشية القتل، وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر : "وإنما عانى النبي ﷺ ذلك مع قوة توكله، للاستئذان به في ذلك، وقد ظاهر بين درعين مع أنهم كانوا إذا اشتد البأس كان أمام الكل. وأيضاً فالتوكل لا ينافي تعاطي الأسباب، لأن التوكل عمل القلب، وهي عمل البدن، وقد قال ﷺ : "اعقلها وتوكل" (٣).

وقال القرطبي : "ليس في الآية - يعني ﴿وَاللَّهُ يَعْصَمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ - ما ينافي للحراسة، كما أنه ليس في أعلام الله نصر دينه وأظهاره، ما يمنع الأمر بالقتال، وإعداد العدد" (٤).

(١) أخرجه ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام) ٣/٣٤٩ رقم ١٥٧١، والحاكم في المستدرک ٤/٣٠١ رقم ٦٧٨٧ وصححه إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) حديث حراسته ﷺ ليلة حنين أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد، باب فضل الحرس في سبيل الله ١٢/١٣، رقم ٢٥٠١، والنسائي في سننه الكبرى كتاب السير، باب فضل الحرس ٥/٢٧٣ رقم ٨٨٧٠، والحاكم في المستدرک ٢/٩٣ رقم ٢٤٣٣ وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٣) فتح الباری ٦/٩٦، رقم ٩٧، ٢٨٨٠، والحديث أخرجه الترمذی في سننه كتاب صفة القيامة ٤/٥٧٦ رقم ٢٥١٧ وقال : حديث غريب، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/٣٩٠ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وله شاهد من حديث عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه قال :

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله : أرسل راحلي وأتوكل؟ فقال له ﷺ "بل قيدها وتوكل" أخرجه الحاكم في المستدرک ٣/٧٢٢ رقم ٦٦١٦ وسكت عنه، وقال الذهبي : سنده جيد، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٠٣ إلى الطبراني من طرق، ورجال أحدهما رجال الصحيح، غير يعقوب بن عبد الله بن عمرو بن أمية وهو ثقة.

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٦/٢٤٢ - ٢٤٤.

وبهذين الاحتمالين السابقين تبقى مكية الآية قائمة، ومما يؤكد القول بمكيته ما قاله ﷺ لابنته زينب رضى الله عنها^(١) لما قامت تغسل عنه التراب الذى نثره أجد سفهاء قريش، وهى تبكى؛ خاطبها ﷺ : بقوله : "لا تبكى يا بنية، فإن الله مانع أباك"^(٢) فهذا يدل بما لا مجال للريب فيه أنه ﷺ كان على يقين من عصمة الله عز وجل له من جميع ما يكيدون ويدبرون.

وأيضاً فإن القول بمدنية هذه الآية مع ما فى أسلوبها من شدة الأمر بالتبليغ، والتحريض عليه، والتوعد على التقصير فيه، يتنافى مع ما كان عليه رسول الله ﷺ فى المدينة من عزة ومنعة، مكنته من التبليغ ونشر الدعوة بقوة، ونقلها إلى خارج المدينة التى هو فيها سيد الموقف وبيده المبادأة متى أرادها.

بل كيف يتأتى القول أن تنزل عليه آية العصمة من الناس فى المدينة، وهو للعصمة أحوج فى مطلع الرسالة منه عليها فى آخرها؛ وسورة المائدة من آخر القرآن تنزيلاً^(٣).

هذا فى الوقت الذى تأييده ﷺ بالمؤمنين ظاهر فى قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أُيِّدَكَ بِبَنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) فلا معنى لأخباره على القول بمدنية آية العصمة - بعصمته من الناس - وقد عرّفه قبلاً أنه مؤيد بنصره تعالى، وبالمؤمنين.

وتعليل ابن كثير نكارة حديث جابر بن عبد الله فى بعث أبى طالب حُرّاً مع رسول الله ﷺ بأن "هذه الآية مدنية، وهذا الحديث يقتضى أنها مكية"^(٥) غير مسلم به لأن دعواه مدنية هذه

(١) لها ترجمة فى : أسد الغابة ١٣١/٧ رقم ٦٩٦٤، والاستيعاب ١٨٥٣/٤ رقم ٣٣٦٠، والإصابة ٣١٢/٤.

(٢) أخرجه ابن إسحاق مرسلأ عن عروة بن الزبير رضى الله عنه، ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ٢٩/٢، ٣٠ نص رقم ٤١٤، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ١٢٤/١، والطبرى فى تاريخه ٣٤٤/٢، والبيهقى فى دلائل النبوة ٣٥٠/٢ كلاهما من طريق ابن إسحاق عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر، وكذا أورده ابن كثير فى البداية والنهاية ١٢٠/٣، والسهيل فى الروض الأنف ٢٢٣/٢ وللحديث شاهد من حديث عائشة رضى الله عنها أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٥٠، ٣٤٩/٢.

(٣) فتح القدير للشوكانى ٢٦/٢.

(٤) الآية ٧١ الأنفال.

(٥) تفسير القرآن العظيم ١٤٥/٣.

الآية لم يقم عليها دليلاً سوى ما يظهر من أنها موجودة في نظم التلاوة في سورة مدنية. ووجود الآية في سورة مدنية، لا يستلزم كونها مدنية، لأن كثيراً من الآيات المكية، وضعت توقيفاً منه ﷺ في سورة مدنية، وكثيراً من الآيات المدنية وضعت توقيفاً في سورة مكية.

وبهذا أيضاً يُردُّ على الإمام القرطبي فيما ذهب إليه، من أن حديث ابن عباس - الذي سبق أن سقناه - يقتضى مكية هذه الآية، والسورة مدنية بإجماع^(١). فمدنية السورة لا يمنع من وجود آية أو آيات مكيات فيها.

ودعوى أبى حيان فى البحر : "أن مكية هذه الآية يجعلها أجنبية بالنسبة لما قبلها وما بعدها لأنها فى قصة اليهود والنصارى"^(٢) غير مسلمة أيضاً لأن وجود آية بين آيات منسجمة معها فى المعنى منسقة فى الربط والتناسب، لا يلزمه اتحاد زمن نزول هذه الآيات، إذ كثيراً ما تكون الآية مكية، لكنها مناسبة لمعانى آيات مدنية اقتضت وضعها بينها توقيفاً من رسول الله ﷺ^(٣).

"لأن المدار فى سمو نظم القرآن الكريم لم يقم على أساس التوافق الزمنى أو المكانى فى نزول الآيات، وإنما المدار فيه على انسجام المعنى، واتساقه فى نظم التلاوة، ولو تباعد زمن النزول واختلف مكانه، وهذا هو سر التوقيف فى ترتيب الآيات ونظمها فى وضع التلاوة. فلا بدع أن تكون آية أو آيات نزلت فى مطلع الرسالة وشذائدها، ثم وضعت توقيفاً بين آيات نزلت فى أواخر ما نزل من القرآن مادام المعنى فى الآيات منسجماً متسقاً، يأخذ بعضه بحجز بعض، وهذا كثير فى القرآن الحكيم، وهو من دلائل الإعجاز"^(٤).

قلت : ويؤكد مكية الآية، أو تكرار نزولها، وبالتالى خصوصية عصمة النبى ﷺ فى بدنه الشريف من القتل، ما ورد فى القرآن الكريم من آيات كلها مكية تخاطبه ﷺ بأنه محفوظ بعناية الله عز وجل، وسيكفيه المستهزئين من قومه، ومن هذه الكفاية عصمة بدنه الشريف من القتل.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٤٤ .

(٢) البحر المحيط ٣/ ٥٣٠ .

(٣) ينظر : آيات عتاب المصطفى ﷺ فى ضوء العصمة للدكتور عويد المطرقى ص ١٢٤ - ١٣٢ .

(٤) محمد رسول الله ﷺ للشيخ محمد عرجون ٢/ ٤٧٩ .

قال تعالى : ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾^(١) وقال سبحانه : ﴿أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾^(٣) وهذه الآيات الكريمة السابقة كلها مكية، وهى واضحة الدلالة على بيان اختصاص النبي ﷺ بعصمته من القتل .

ولم لا ورب العزة يخاطبه فى شدة المحن والابتلاء فى مكة المكرمة بقوله تعالى : ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ أى اصبر على أذاهم، ولا تبألهم ﴿فإنك بأعيننا﴾ أى بمرأى منا، وتحت كلاءتنا. وما تلك العناية الإلهية إلا خطاب للنبي ﷺ، بأنه معصوم من ربه عز وجل من الناس^(٤) وجاء التأكيد لعصمته ﷺ من الناس، بالأمر الربانى بالمضى فى دعوة، وعدم المبالاة بأعداءه من المشركين، حيث سيكفيهم إياه سبحانه القاتل ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾. إنا كفيناك المستهزئين^(٥) وهذه الآية المكية نظير الآية المدنية على ما ذهب إليه بعض المفسرين : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾^(٦).

فى الآيتين ﴿والله يعصمك من الناس﴾ و﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ خطاب من رب العزة لنبيه ومصطفاه ﷺ بالعصمة من الناس. فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى قوله تعالى : ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ قال : "المستهزئين : الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب أبو زمعة من بنى أسد بنى عبد العزى، والحارث بن غيطل السهمى، والعاص بن وائل السهمى. فأتاه جبريل - عليه السلام فشكاهم إليه رسول الله ﷺ، فأراه أبا عمرو الوليد بن المغيرة، فأوماً جبريل إلى أبجله^(٧) فقال : ما صنعت شيئاً، فقال : كفيته، ثم أراه

(١) الآية ٤٨ الطور .

(٢) الآية ٣٦ الزمر .

(٣) الآية ٣٠ الأنفال .

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٤١٤/٧ .

(٥) الآيتان ٩٤، ٩٥ الحجر .

(٦) الآية ٦٧ المائدة .

(٧) الأجل : عرق فى باطن الذراع، وقيل : هو عرق غليظ فى الرجل فيما بين العصب والعظم. ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٩٨/١ .

الحارث بن غيطل السهمي، فأوماً إلى بطنه، فقال : ما صنعت شيئاً، فقال : كفيته، ثم أراه العاص بن وائل السهمي، فأوماً إلى أخصه^(١)، فقال : ما صنعت شيئاً، فقال : كفيته، فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة، وهو يرش نبلاً له^(٢) فأصاب أبجله فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فعمى، فمنهم من يقول : عمى كذا، ومنهم من يقول : نزل تحت شجرة، فجعل يقول : يا بني لا تدفعون عني، قد هلكت أظعن بشوك في عيني، فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث، فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث بن غيطل، فأخذ الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خروءه^(٣) من فيه، فمات منها، وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً حتى دخل في رجله شبرقه^(٤) حتى امتلأت منها فمات^(٥).

والحديث شاهد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مر النبي ﷺ على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون : هذا الذي يزعم أنه نبي، ومعه جبريل، فغمز جبريل بإصبعه، فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحاً، حتى نتنوا، فلم يستطيع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله : ﴿إنا كفيناك المستهزين﴾^(١).

وصدق رب العزة : ﴿أليس الله بكاف عبده﴾^(٢) بلى كاف عبده!! وقال ﷺ : "إن الله أمرني أن أحرق قريشاً، فقلت رب إذا يئثغوا^(٣) رأسي! فیدعوه خبزة، قال : استخرجهم كما

(١) الأخص من القدم : الموضع الذي لا يلبص بالأرض منها عند الوطء. المصدر السابق ٧٦/٢ .

(٢) النبل : السهام العربية، والمراد أن الرجل الخزاعي يرمى بههم له للتدريب على الرمي. ينظر : النهاية في غريب الحديث ٨/٥ ، ٩ .

(٣) الخزاة بفتح الخاء وكسرها : هو التخلي والقعود للحاجة. النهاية في غريب الحديث ١٧/٢ .

(٤) الشبرق : نبت حجازي يؤكل وله شوك. المصدر السابق ٣٩٥/٢ .

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط ١٧٣/٥ ، ١٧٤ رقم ٤٩٨٦ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٧/٧ رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن عبد الحليم النيسابوري ولم أعرفه، وبقي رجاله ثقات، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣١٦/٢ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ٢٧٠/١ رقم ٢٠٣ وفي الكلي مستروك، وأخرجه ابن إسحاق مرسلًا عن عروة بن الزبير ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ٢٠/٢ رقم ٤٠٧ ، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ٢٦٨/١ رقمي ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٦) الآية ٩٥ الحجر، والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط ١٥٠/٧ رقم ٧١٢٧، وأخرجه البزار بنحوه، وفيه يزيد عن درهم ضعفه ابن معين، ووثقه الفلاس. كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٦/٧ قلت : فالإسناد حسن أهد.

(٧) الآية ٣٦ الزمر .

(٨) الثلغ : الشدخ. وقيل هو ضربك الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى ينشبخ. النهاية ٢١٤/١ .

استخرجوك واغزهم نغزك^(١)، وأنفق فسننق عليك، وأبعث جيشاً نبعث خمسة مثله...^(٢).

وسياق هذا الحديث فى صحيح مسلم يشعر على طوله بأن التحديث به كان بعد الهجرة النبوية، وقد تنبه الإمام القرطبى إلى ذلك، فنزع هذه الجملة من سياق مسلم، ووضعها فى موضعها عند كلامه على آية: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣) باعتبارها مكية^(٤) وهذا هو الصواب عندى، وعند غيرى^(٥) والله أعلم.

وتأكيداً لخصوصية عصمته ﷺ من القتل فى مكة، حتى على فرض مدنية آية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ إليك هذه النماذج :

١- ما نزل فى قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِلَىٰ صُلَىٰ. أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ. أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ. أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ. كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ. فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ. كَلَّا لَا تَطَّعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(٦) فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال أبو جهل : هل يعفر^(٧) محمد وجهه بين أظهركم؟ قال : فقليل نعم. فقال : واللآلئ والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه فى التراب، قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، زعم ليطأ على رقبته، قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه، ويتقى بيديه، قال : فقليل له : مالك؟ فقال: إن بينى وبينه لخندقاً من نار وهولاً، وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ : "لو دنا لاختطفته الملائكة"

(١) أى نعينك.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الجنة، باب الصفات التى يعرف بها أهل الجنة ٢١٤/٩، ٢١٥ رقم ٢٨٦ من حديث عياض بن حمار الجاشعوى رضى الله عنه.

(٣) الآية ٦٧ المائدة.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/٦، ٢٤٤.

(٥) ذهب إلى ذلك فضيلة الشيخ محمد عرجون فى كتابه محمد رسول الله ﷺ ٤٧٨/٢، والدكتور عويد المطرقي فى كتابه آيات عتاب المصطفى ﷺ فى ضوء العصمة ص ١٢٤ - ١٣٢.

(٦) الآيات ٩ - ١٩ العلق.

(٧) العفر هو التراب، والمعنى : أيسجد محمد أمامكم؟ ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٢٣٦/٣.

عضواً عضواً قال : فأنزل الله عز وجل - لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه - ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾. أن رآه استغنى... الآيات (١).

٢- وفي رواية عن أبي عباس رضى الله عنهما قال في قوله تعالى : ﴿سَدِّدْ الزَّيْبَانِيَةَ﴾ قال : قال : أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلى، لأطأن عنقه، فقال النبي ﷺ : "لو فعل لأخذته الملائكة عياناً" (٢) لقد ظن أبو جهل فرعون هذه الأمة أنه يستطيع أن ينال من رسول الله ﷺ، بل ظن أنه يستطيع أن يقتله، لكنه ما إن اقترب من رسول الله ﷺ إلا سلط الله عليه ما أخافه كل الخوف، وأفزع كل الفزع، مما جعله يعود خاسئاً، يجرى إلى الخلف صاغراً، وهكذا يعصم الله عز وجل رسوله ﷺ، ويهين أعداءه (٣).

قال الحافظ ابن حجر : "وإنما شدد الأمر في أبي جهل، ولم يقع مثل ذلك لعقبة بن أبى معيط، حيث طرح سلى الجزور على ظهره ﷺ وهو يصلى" (٤) لأنهما وإن اشتركا فى مطلق الأذية حالة صلاته، لكن زاد أبو جهل بالتهديد، وإبرادة وطء العنق الشريف، وفى ذلك من المبالغة ما اقتضى تعجيل العقوبة لو فعل ذلك، ولأن سلى الجزور لم يتحقق نجاستها، وقد عوقب عقبه بدعائه ﷺ عليه وعلى من شاركه فى فعله فقتلوا يوم بدر" (٥).

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ ليطغى ١٥٣/٩ رقم ٢٧٩٧ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير، باب سورة اقرأ باسم ربك ٤١٣/٥ رقم ٣٣٤٨ وقال : حسن صحيح غريب، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناسية ٥٩٥/٨ رقم ٤٩٥٨، وينظر : السيرة النبوية لابن هشام ٣٧٥/١ نص رقم ٢٨٤ ودلائل النبوة لأبى نعيم ٢٠٨/١ رقم ١٥٨ "ما حدث لأبى جهل حين هم باللقاء ألحجر على الرسول ﷺ، ففيه زيادة".

(٣) المدخل إلى السنة النبوية ص ٢٢٤ .

(٤) ينظر الحديث فى البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الوضوء، باب إذا ألقى على ظهر المصلى قذرة أو جيفة لم تفسد عليه صلاته ٤١٦/١ رقم ٢٤٠، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد باب ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣٩١/٦ رقم ١٧٩٤ من حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

(٥) فتح البارى ٥٩٦/٨ رقم ٤٩٥٨ .

٣- ما نزل في قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(١) فعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ جاءت امرأة أبي لهب^(٢) ورسول الله ﷺ جالس، ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر : لو تتحيت لا تؤذي بك بشئ^(٣) فقال رسول الله ﷺ : "إنه سيحال بيني وبينها" فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، فقالت : يا أبا بكر، هجانا صاحبك. فقال أبو بكر : لا، ورب هذه النبوة ما نطق بالشعر، ولا يتفوه به، فقالت : إنك لمصدق، فلما ولت، قال أبو بكر رضى الله عنه : ما رأيتك؟ قال : "لا، مازال ملك يسترنى حتى ولت"^(٤).

٤- وروى عنه أيضاً قال : "إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ونائلة وإساف، لو قد رأينا محمداً لقمنا إليه قيام رجل واحد، فلم نفارقه حتى نقلته، فأقبلت ابنته فاطمة^(٥) تبكى، حتى دخلت على النبي ﷺ فقالت : هؤلاء الملأ من قومك قد تعاقدوا عليك، لو قد رأوك لقاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دينك، فقال : يا بنيه انتنئى بوضوئى، فتوضأ، ثم دخل المسجد، فلما رأوه قالوا : هاهو ذا، وخفضوا أبصارهم، وسقطت أنقانهم فى صدورهم، وعقروا فى مجالسهم، ولم يرفعوا إليه أبصارهم، ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم، فأخذ حفنة

(١) الآية الأولى المسد.

(٢) هى بنت حرب بن أمية، أخت أبى سفيان والد معاوية، يقال إن اسمها أروى، وتكنى أم جميل، وتلقب بالعوراء، ويقال لم تكن عوراء، وإنما قيل لها ذلك لجمالها. ينظر : فتح البارى ٦١٠/٨ رقم ٤٩٧٣ .

(٣) جاء فى حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها كانت فى يدها "فهر" وهو بالكسر الحجر، وهو قدر ما يملأ الكف. ينظر : القاموس المحيط ١١/٢، وسيأتى تخريج حديث أسماء شاهدنا لحديث ابن عباس .

(٤) أخرجه البزار وأبو يعلى نحوه، وقال البزار حسن الإسناد، وتعبه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٤٤/٧، قائلاً : فيه عطاء بن السائب، وقد اختلط، ووافق البزار فى حسن إسناده، الحافظ فى فتح البارى ٦١٠/٨ رقم ٤٩٧٣، وابن كثير فى تفسيره ٥٣٧/٨، وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ١٩٤/١ رقم ١٤١، وابن أبى شيبه فى مصنفه ٤٩٨/١١ رقم ١١٨١٧، وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها أخرجه الحاكم فى المستدرک ٣٩٣/٢ رقم ٣٣٧٦ وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، والحميدى فى مسنده ١٥٣/١، ١٥٤، رقم ٣٢٣، وللحديث شاهد ثان من حديث زيد بن أرقم رضى الله عنه أخرجه الحاكم فى المستدرک ٥٧٣/٢ رقم ٣٩٤٥، وصحح إسناده على علة فيه بذكر يزيد بن زيد بدلاً من زيد بن أرقم - ووافقه الذهبى .

(٥) لها ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص ٢٠٨ رقم ١١٠٧، وأسد الغابة ٢١٦/٧ رقم ٧١٨٣ والاستيعاب ١٨٩٣/٤ رقم ٤٠٥٧، والإصابة ٣٧٧/٤ .

من تراب، فقال : شأنت الوجوه، ثم حصبهم، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر^(١).

٥- وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرُجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢) قال : تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم : إذا أصبح فاثبتوه بالوثاق - يريدون النبى ﷺ - وقال بعضهم : بل اقتلوه. وقال بعضهم : بل اخرجوه. فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات على بن أبى طالب رضى الله عنه على فراش رسول الله ﷺ تلك الليلة، وخرج رسول الله ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبى ﷺ : فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً رد الله تعالى مكرهم، فقالوا : أين صاحبك هذا؟ قال : لا أدري. فاقفوا أثره، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا فى الجبل فمروا بالغار، فرأوا على بابسه نسج العنكبوت، فقالوا : لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابيه، فمكث فيه ثلاث ليال^(٣).

فتأمل ما فى الروايات السابقة من عصمة المولى عز وجل لرسوله ﷺ من محاولات قتله التى هم بها كفار قريش، فرادى تارة، وجماعات تارة أخرى، والتى كان آخرها جماعة فى مكة، ليلة هجرته إلى المدينة المنورة، حيث رد كيدهم إلى نحورهم، وعادوا إلى ديارهم، كحالهم فى كل مرة يجرون أنيال خزى الله عز وجل لهم.

(١) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ١٩٢/١ رقم ١٣٩، وأحمد فى مسنده ٣٦٨/١، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٢٨/٨ رواه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، وقال الشيخ أحمد شاكر فى حاشيته على المسند بل كلاهما صحيح ٢٢٨/٣ رقمى ٢٧٦٢، ٤٣٨٥، والحاكم فى المستدرک ١٧٠/٣، ١٧١ رقم ٤٧٤٢ وقال : صحيح الإسناد، وسكت عنه الذهبى.

(٢) الآية ٣٠ الأنفال.

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٤٨/١، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٧/٧ رواه أحمد والطبرانى وفيه عثمان بن عمرو الجزرى، وثقة ابن جبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، وحسن إسناد أحمد الحافظ فى فتح البارى ٢٧٨/٧ رقم ٣٩٠٥، وحسنها ابن كثير فى البداية والنهاية ١٧٩/٣ قال بعد أن ذكر رواية أحمد فى مسنده "هذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روى فى قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله عز وجل لرسوله ﷺ" أه وأخرجه ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام) ١٠٠/٢ نص رقم ٥٠٢، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤٦٦/٢ - ٤٦٨.

٦- هذا ولم تكن عصمة المولى عز وجل لرسوله ﷺ في ليلة الهجرة قاصرة على نجاته من بين أيدي صناديد الكفر في مكة، وإنما امتدت عنايته عز وجل ورعايته لرسوله ﷺ، وهو فى طريقه إلى المدينة، وفى غار ثور، كما جاء فى الحديث السابق، من نسج العنكبوت على باب الغار، فكان قولهم : "لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه".

ولم تكن عصمة الله عز وجل لرسوله ﷺ فى غار ثور، قاصرة على العنكبوت، وإنما امتدت إلى الشجرة التى أنبتها الله عز وجل على فهم الغار، تسر رسول الله ﷺ، وصاحبه رضى الله عنه، وإلى حمامتين وحشيتين وقفنا على فم الغار .

فعن أبي مصعب المكي^(١) قال : أدركت أنس بن مالك، وزيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة، رضى الله عنهم، فسمعتهم يحدثون : أن النبى ﷺ ليلة الغار أمر الله سبحانه، شجرة فنبتت على وجه الغار فسترته، وأمر حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار، وأقبل فتیان قريش من كل بطن رجل، بعضهم وحرثاتهم وسيوفهم، حتى إذا كانوا من النبى ﷺ، قدر أربعين ذراعاً جعل بعضهم ينظر فى الغار، فقال : رأيت حمامتين بفم الغار، فعرفت أنه ليس فيه أحد، فسمع النبى ﷺ ما قال؛ فعرف أن الله عز وجل قد درأ بهما، فدعا لهن وسمت^(٢) عليهن، وفرض جزاءهن، ونزلن بالحرم^(٣).

وهذا الحديث على غرابة سنده، فلا غرابة فى منته، وما فيه قليل فى كرامته ﷺ، وجائز فى العقل، مؤيد بمطلق قوله تعالى : ﴿إِلَّا تَتَصَرَّوهْ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ

(١) روى عن زيد بن أرقم، والمغيرة، وأنس، بحديث الغار، وعنه عون، ويقال عوين بن عمرو القيسى، قال العقيلي : مجهول، ذكره فى ترجمة عون. لسان الميزان ١٩/٨ رقم ١٠٦٧٨، والضعفاء الكبير للعقيلي ٤٢٢/٣ فى ترجمة عوين رقم ١٤٦٢، وكذلك الذهبي فى الميزان ٣٠٧/٤ رقم ٦٥٣٥، والجرح والتعديل ٤٤١/٩ رقم ٢٢٢٠ .

(٢) أى ادعى لهن بالبركة - ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٣٥٧/٢ .

(٣) أخرجه ابو نعيم فى دلائل النبوة ٣٢٥/٢ رقم ٢٢٩، والبيهقى فى دلائل النبوة ٤٨١/٢، ٤٨٢، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٢٢٨/١، وفيه زيادة قصة العنكبوت، وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ١٨٠، ١٧٩/٣ وقال رواه ابن عساكر، وذكر إسناده ثم قال : هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه، وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥٣/٦ إلى البزار والطبرانى وقال : فيه جماعة لم أعرفهم، وأخرجه العقيلي فى الضعفاء الكبير ٤٢٢/٣ ترجمة عوين القيسى رقم ١٤٦٢ والحديث يعضده القرآن الكريم على ما ذكرته فى المتن أمه .

عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم^(١) فتأمل ما فى الآية الكريمة من نسبة نصر رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل، وتأيدده ﷺ بجنود لا يراها أحد، تجد أنه لا يوجد ما يمنع أن يكون ما ورد فى الحديث الغريب للسند من الحمامتين الوحشيتين، والشجرة، والعنكبوت من جنود الله تعالى!!

١- وامنتك عصمة الله عز وجل لنبيه ﷺ فى غار ثور إلى أمره عز وجل ملائكته أن تستر نبيه وصاحبه عن أعين المشركين، فكان ﷺ وصاحبه يريان المشركين، والمشركون لا يرونهما. فعن أبى بكر رضى الله عنه قال : كنت مع النبى ﷺ فى الغار، فرأيت آثار المشوكين، قلت يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قممه رأنا، قال ﷺ : "ما ظنك باثنين الله ثالثهما"^(٢) "لا تحزن إن الله معنا"^(٣) وهذا اليقين من النبى ﷺ بعصمة الله عز وجل له، تجلى فى ملائكة الله عز وجل التى سترتهم وهم فى الغار.

فعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها^(٤) : "وظافوا فى جبال مكة حتى انتهوا إلى الجبل الذى فيه رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر : يا رسول الله إن هذا الرجل يرانا - وكان مواجهة- فقال : كلا! إن ملائكة تسترنا بأجنحتهم، فجلس ذلك الرجل يبول مواجهة الغار، فقال النبى ﷺ : "لو كان يرانا ما فعل هذا"^(٥).

وتمتد عناية الله عز وجل وعصمته لنبيه ﷺ من محاولة سراقاة بن مالك^(٦) النبل من رسول الله ﷺ، بالقتل أو الأسر للحصول على الدية التى رصدها كفار قريش (مائة ناقة لمن يأتى

(١) الآية ٤٠ التوبة.

(٢) أخرجه البخارى . بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب ثاني اثنين إذ هما فى الغار ١٧٦/٨، ١٧٧ رقم ٤٦٦٣ .

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الزهد، باب حديث الهجرة ٣٧٣/٩ رقم ٢٠٠٩ .

(٤) صحابية جليلة لها ترجمة فى : أسد الغابة ٧/٧، ٨ رقم ٦٧٠٥، والاستيعاب ٤/١٧٨١ رقم ٣٢٢٦، وتاريخ الصحابة ص ٤٠ رقم ٨٨، والإصابة ٤/٢٢٨ رقم ١٠٧٩٨ .

(٥) أخرجه الطبرانى وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب، وثقة ابن حبان وغيره، وضعفه أبو حاتم وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥٣/٦، ٥٤ - فالإسناد حسن .

(٦) أسلم بعد فتح مكة، وحسن إسلامه، له ترجمة فى : أسد الغابة ٢/٤١٢ رقم ١٩٥٥، والاستيعاب ٢/٥٨١ رقم ٩١٦، وتجرید أسماء الصحابة ١/٢١٠، ومشاهير علماء الأمصار ص ٤٠ رقم ١٧٠، والإصابة ٢/١٩ رقم ٣١٢٢ .

برسول الله ﷺ قتيلاً أو أسيراً وكما جاء على لسان سرافة بعد أن تتبع أثرهم قال : "حتى إذا دنوت منهم، (أى اقترب من ركبته ﷺ) فعثرت بى فرسى، فخررت عنها، فقامت فلمهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام^(١) فاستقسمت بها : أضرهم أم لا ؟ فخرج الذى أكره، فركبت فرسى - وعصيت الأزلام - تقرب بى، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغت الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها، فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان^(٢) ساطع فى السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذى أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسى حتى جنتهم، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقالت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية. وأخبرتهم أخباراً ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزأنى^(٣) ولم يسألانى إلا أن قال : أخف عنا. فسألته أن يكتب لى كتاب أمن^(٤)، فأمر عامر بن فهيرة رضى الله عنه^(٥) فكتب فى رقعة من آدم^(٦) ثم مضى رسول الله ﷺ^(٧) .

(١) الزلّم، والزلّم، واحد الأزلام : وهى القداح التى كانت فى الجاهلية عليها مكتوب الأمر والنهى، افعل ولا تفعل، كان الرجل منهم يضعها فى وعاء له، فإذا أراد سفراً أو زواجا أو أمراً مهماً، أدخل يده فأخرج منها زلماً، فإن خرج الأمر مضى لشأنه، وإن خرج النهى كف عنه ولم يفعله، وهذا ما فعله سرافة إلا أن الزلّم خرج بالنهى عن الإضرار بركب رسول الله ﷺ إلا أنه خالفها. ينظر : النهاية ٢٨١/٢ .

(٢) وكانت تلك القراءة منه ﷺ الدعاء بقوله "اللهم اكفناهم بما شئت" كما جاء فى رواية البيهقى فى دلائل النبوة ٤٨٤/٢، وفى رواية قال ﷺ : "اللهم أصرعه" كما جاء فى حديث أنس عند البخارى (شرح فتح البارى) كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبى ﷺ ٢٩٣/٧، ٢٩٤ رقم ٣٩١١ .

(٣) أى دحان من غير نار، وجمع عثان، عواثن، على غير قياس، ينظر : النهاية فى غريب الحديث ١٦٦/٣، وفتح البارى ٢٨٤/٧ رقم ٣٩٠٦ .

(٤) أى لم يأخذ منى شيئاً، يقال رزأته أرزؤه، وأصله النقص. النهاية ١٩٩/٢ .

(٥) أى كتاباً يكون مودعة، وآية بينه وبين رسول الله ﷺ، كما جاء فى رواية ابن إسحاق، ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ١١٢/٢ نص رقم ٥١٦، والنهاية ٧٠/١ .

(٦) وفى رواية ابن إسحاق أن الذى أمر بالكتابة الصديق رضى الله عنه ينظر : السيرة النبوية لابن هشام المواضع السابقة. وعامر بن فهيرة صحابى جليل له ترجمة فى : أسد الغابة ١٣٤/٣ رقم ٢٧٢٤، والاستيعاب ٧٩٦/٢ رقم ١٣٣٨ .

(٧) هو باطن الجلد الذى يلى اللحم، مختار الصحاح ص ١٠، والقاموس المحيط ٧٢/٤، وفى رواية لابن إسحاق "فكتب لى كتاباً فى عظم أو فى رقعة أو فى خرقة، ثم ألغاهما إلى فأخذته فى كنانتي. السيرة النبوية لابن هشام ١١٢/٢ نص رقم ٥١٦ .

(٨) أخرجه البخارى (شرح فتح البارى) كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٢٨١/٧ رقم ٣٩٠٦، ومن حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فى الأماكن السابقة نفسها برقم ٣٩١١، وأخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب الزهد، باب حديث الهجرة ٣٧٢/٩، ٣٧٣، رقم ٢٠٠٩ من حديث الرء بن عازب رضى الله عنه .

فتأمل كيف عصم رب العزة رسوله ﷺ من محاولة سراقته قتلته أو أسره، ليفوز بالدية التي رصدت من كفار قريش، إذ ما اقترب من ركب رسول الله ﷺ حتى عثرت به فرسه، مرة تلو الأخرى بعد إصراره على تتبع ركبه ﷺ، حتى إذا ما سمع دعاءه ﷺ بأن يصرعه، أو يكفيه إياه بما شاء، إلا وتعتثر به فرسه للمرة الثالثة، حتى أن بدا فرسه في هذه المرة غاصت في الأرض حتى بلغنا الركبتين، وبعد محاولات منه لاستنهاضها، إذ به يرى على يديها أثر دخان من غير نار ساطع في السماء، وهنا أيقن سراقته بأن رسول الله ﷺ محفوظ، ومعصوم منه، كما أيقن في نفس الوقت، أنه نبي الله حقاً، وأن دينه سيظهر، فما كان منه إلا أن سأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاب أمان، فأعطاه إياه، ولم يسأله رسول الله ﷺ سوى أن يقف في مكانه، ولا يترك أحداً يلحق بركبه ﷺ، ففعل سراقته، وهنا تتجلى إرادة المولى عز وجل ومشينته في عصمة رسول الله ﷺ بتغيير حال سراقته "إذ كان في أول النهار جاهداً على رسول الله ﷺ، وكان آخر النهار مسلحة له" (١) أي حارساً له بسلاحه، بل وبلسانه أيضاً كما جاء في رواية ابن سعد : "أنه لما رجع، قال لقريش : قد عرفتم بصرى بالطريق وبالأثر، وقد استيرأت لكم، فلم أر شيئاً، فرجعوا" (٢) وقال أيضاً رضى الله عنه رداً على أبي جهل لما بلغه موقفه هذا، ولامه في تركهم أنشدته :

أبا حكم والله لو كنت شاهداً	***	لأمر جوادى إذ تسبخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمداً	***	نبي وبرهان فمن ذا يقاومه؟!
عليك بكف الناس عنه فإننى	***	أرى أمره يوماً ستبدو معالمه (٣).

وبعد : فهل في كل ما سبق من دلائل حفظ الله عز وجل وعصمته لرسوله ﷺ من محاولات كفار قريش قتلته، شك في عصمته ﷺ من القتل في فترة مكة، حتى على فرض مدنية

(١) كما جاء في حديث أنس عند البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ ٢٩٣/٧، ٢٩٤، رقم ٣٩١١ .
 (٢) الطبقات الكبرى ٢٥٠/٨ .
 (٣) ينظر : الروض الأنف للسيهلى ٣٢٢/٢، ودلائل النبوة للبيهقى ٤٨٩/٢، ودلائل النبوة لأبي نعيم ٣٣٧/٢ رقم ٢٣٧ .

الآية الكريمة : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١)!!!

إن خصوصية عصمة النبي ﷺ في بدنه الشريف من القتل، دلت عليها نصوص القرآن الكريم والسنة في مكة على ما سبق، وفي المدينة أيضاً.

وإليك نماذج من كفاية الله عز وجل وعصمته لرسوله ﷺ من مؤامرات أعدائه لقتله أو النيل منه، في المدينة المنورة :

١- ما حدث بعد غزوة بدر الكبرى من محاولة عمير بن وهب^(٢) قتل النبي ﷺ، وكنتمه ذلك سراً بينه وبين صفوان بن أمية^(٣) على أن يؤدي عنه صفوان كَيْفَهُ، ويعوله في أهله وعياله، ولا ينقسمهم شيئاً ما بقوا، فلما قدم عمير المدينة، ودخل على رسول الله ﷺ وكان ابنه "وهب" وقع أسيراً يوم بدر، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : أرسله يا عمر، أدن يا عمير، فدنا، ثم قال : انعموا صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ : "قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة" فقال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحدث عهد، قال : "فما جاء بك يا عمير؟" قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال : "فما بال سيف في عنقك" قال : قبضها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال : "أصدقني ما الذي جئت له؟" قال : ما جئت إلا لذلك، قال : "بلى قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فنكرت ما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت : لولا دين على، وعيال عندي، لخرجت حتى أقتل محمداً : فتحمل لك صفوان بن أمية، بديتك، وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك" قال عمير : أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم أن ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني

(١) الآية ٦٧ المائدة .

(٢) أسلم وحسن إسلامه، له ترجمة في : أسد الغابة ٤/ ٢٨٨، ٢٨٩ رقم ٤٠٩٦، والاستيعاب ١٢٢١/٣ - ١٢٢٣ رقم ١٩٩٧، والإصابة ٣٦/٥ رقم ٦٠٧٣، وتاريخ الصحابة ص ١٣٥ رقم ٦٦٠ .

(٣) أسلم وحسن إسلامه، له ترجمة في : أسد الغابة ٣/ ٢٤ رقم ٢٥١٠، والاستيعاب ٧١٨/٢ رقم ١٢١٤، والإصابة ١٨٧/٢ رقم ٤٠٩٣ .

للإسلام، وسأقضى هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: "فقهوا أخاكم فى دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره" ففعلوا^(١).

فتذكر ما فى القصة السابقة، من يقين رسول الله ﷺ بعصمته من القتل، بعد أن أخبر عمير بما كان بينه وبين صفوان من اتفاق على قتله ﷺ، وإعلامه بأن الله عز وجل حائل بينه، وبين ما جاء من أجله.

٢- وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رجلاً من محارب يقال له غورث بن الحارث قال لقومه: اقتل لكم محمداً، فقالوا: كيف تقتله؟ قال: أفنك به، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيفه فى حجره، فقال: يا محمد انظر إلى سيفك هذا، قال: نعم، فأخذه واستله وجعل يهزه ويهم، فيكبته الله، فقال: يا محمد أما تخافنى؟ قال: لا، وما أخاف منك؟ قال: أما تخافنى، وفى يدى السيف؟ قال: لا، يمتنعى الله منك، ثم أغمد السيف، وردّه إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل ﴿لَا يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾^(٢).

٣- وقيل فى سبب نزول هذه الآية، ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن عمرو بن أمية الضمري^(٣) حين انصرف من بئر معونة^(٤) لقي رجلين كلابيين معهما أمان من رسول

(١) أخرجه ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام) ٣٣٩/٢، ٣٤٠ نص رقم ٨٢٧ من حديث عروة بن الزبير مرسلًا، والقصة أخرجه الطبراني فى الكبير ٥٦/١٧، ٥٧ عن عروة أيضا وعن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلًا، وإسناده جيد كما قال الميثمى فى مجمع الزوائد ٢٨٦/٨، ٢٨٧، وأخرجها أيضا البيهقى فى دلائل النبوة ١٤٧/٣-١٤٩، وينظر: الإصابة فى معرفة الصحابة لابن حجر ٣٧/٥.

(٢) الآية ١١ المائدة، والحديث أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ١٩٥/١ رقم ١٤٥ من طريق ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام) ١٨٧، ١٨٦/٣ رقم ١٣٣٢، وفى سنده عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة فى عصره ومفتيها، كان زاهداً ثم أحدث فتركه الأئمة مات سنة ١٤٣هـ وقيل ١٤٤هـ، له ترجمة فى: الضعفاء للنسائى ص ١٨٤ رقم ٤٦٩، والضعفاء لأبى نعيم ص ١١٨ رقم ١٦٤، وتاريخ بغداد ١٦٦/١٢ رقم ٦٦٥٢، ووفيات الأعيان ١٣٠/١ رقم ٤٧٦، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب غزوة ذات الرقاع ٤٩٠/٧، ٤٩١ رقمى ٤١٣٥، ٤١٣٦، ومسلم (بشرح النووي) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف ٣٨٩/٣ رقم ٨٤٣، والحاكم فى المستدرک ٣١/٣ رقم ٤٣٢٢ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

(٣) صحابى جليل له ترجمة فى: أسد الغابة ١٨١/٤ رقم ٣٨٦٢، والرياض المستطابة ص ٢١٤، ٢١٥.

(٤) مكان فى الطريق الداخلى بين مكة والمدينة. معجم البلدان ١٥٩/٥، وسرية بئر معونة، وتعرف أيضاً بسرية القراء كانت فى صفر سنة ٤هـ. ينظر البداية والنهاية ٧٣/٤، والسيرة النبوية لابن هشام ١٦٤/٣ نص رقمى ١٢٩٥، ١٢٩٦.

الله ﷺ، فقتلها ولم يعلم أن معها أماناً من النبي ﷺ، ففداهما رسول الله ﷺ ومضى إلى بنى النضير، ومعه أبو بكر وعمر وعلى، فتلقوه بنو النضير فقالوا: مرحباً يا أبا القاسم؛ ماذا جئت له؟ قال: رجل من أصحابي قتل رجلين من كلاب معهما أمان مني، طلب مني ديتهما، فأريد أن تعينوني، قالوا: نعم والحب لك والكرامة يا أبا القاسم، أقعد حتى نجمع لك، فقعد رسول الله ﷺ تحت الحصن، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وعلى بين يديه، وقد توامر بنو النضير أن يطرحوا عليه حجراً^(١)، وقال بعض أهل العلم: بل ألقوه، فأخذه جبرئيل عليه السلام، وأخبر النبي بما توامر الفسقة، وما هموا به، فقام رسول الله ﷺ واتبعه أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾^(٢)، وفي رواية عن عروة بن الزبير زاد: "وأمر رسول الله ﷺ بإجلانهم، لما أرادوا برسول الله ﷺ، فلما أخذهم بأمر الله وأمرهم أن يخرجوا من ديارهم، فيسيروا حيث شاؤوا، قالوا: أين تخرجنا، قال ﷺ: إلى الحشر"^(٣).

فتأمل ما في حديث جابر من عصمة المولى عز وجل لنبيه ﷺ من الإعراب حيث أغمد السيف ورده هو بنفسه إلى رسول الله ﷺ بعد أن أخذ يراجع رسول الله ﷺ في قتله، فما الذى أحوجه إلى مراجعته مع احتياجه إلى الحظوة عند قومه بقتله؟!

إن مراجعة الأعرابي لرسول الله ﷺ في الكلام، دليل على أن الله عز وجل منعه، بدليل ما ورد في الحديث من تلويحه بالسيف، فيكبته الله .

(١) جاء في مغازى الواقدي ص ٢٨٢، وسيرة ابن إسحاق، أن الذى هَمَّ بإلقاء الحجر (عمرو بن جحاش بن كعب النضيرى) ينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ٤٩١/٢ رقم ٤٢٧، والسيرة النبوية لابن هشام ١٧٠/٣ نص رقم ١٣٠٨ .

(٢) الآية ١١ المائدة، والحديث أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ٤٨٩/٢ رقم ٤٢٥، وابن جرير الطبرى في تاريخه ٥٥٢، ٥٥١/٢، وابن إسحاق أورده معضلاً (السيرة النبوية لابن هشام) ١٧٠/٣ نص رقم ١٣٠٨، والبيهقى في دلائل النبوة ٣٥٤/٣، وابن عبد البر في الدرر في اختصار المغازى والسير ص ١٦٥، ١٦٤ وابن كثير في البداية والنهاية ٧٦/٤ ثلاثهم عن ابن إسحاق .

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ٤٩١، ٤٩٠/٢ رقم ٤٢٦ مرسلًا عن عروة . وينظر السيرة النبوية لابن هشام ١٧٢/٣ نص رقم ١٣١٣، وشرح الزرقانى على المواهب ٥١٠/٢، ٥٢٩-٥٣٣ .

وفى جوابه ﷺ "يمنعنى الله منك" إشارة إلى ذلك، ولذلك لما أعاد الأعرابى كلامه، لم يزدہ ﷺ على ذلك الجواب، وفى ذلك غاية التهكم، وعدم المبالاة به، وفى ذلك دليل على قوة صبره وشجاعته، ويقينه بعصمة المولى عز وجل له.

وفى حديث ابن عباس بيان لعصمة رسول الله ﷺ من محاولة يهود بنو النضير قتله ﷺ، كما فعل أسلافهم مع أنبيائهم سابقاً، ولكن عصمة رب العزة، سواء بتلقى جبريل الحجر قبل أن يقع عليه ﷺ، أو بإخباره بمؤامرتهم، وبما هموا به، وقيامه ﷺ قبل أن يلحقوا الحجر. ففى تلك القصة تأكيد لخصوصية عصمته ﷺ فى بدنه الشريف من القتل، كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمَنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١) فقله "من قبل" بيان لخصوصية عصمته فى بدنه من القتل لأن اليهود وإن وقع منهم قبله ﷺ قتل أنبياءهم بإذن الله تعالى، إلا أنهم مع رسول الله ﷺ، لم ولن يفلحوا فى قتله مهما حاولوا، بدليل الآية الكريمة، وهو ما أكدته السنة المطهرة كما فى هذه القصة، وكما فى الحديث التالى.

٤- عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن امرأة يهودية^(٢) أتت رسول الله ﷺ بشاه مسمومة، فأكل منها. فجئ بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردت لأقتلك. قال: "ما كان الله عزوجل ليسلطك على ذاك" قال: أو قال ﷺ: "على" قالوا ألا نقتلها؟ قال: لا^(٣)، قال: فما زلت أعرفها فى لهوات^(٤) رسول الله ﷺ^(٥).

ففى قوله ﷺ "ما كان الله ليسلطك على ذاك" أو قال: "على" فيه بيان عصمته ﷺ من الناس كلهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٦) وهى معجزة لرسول الله ﷺ فى

(١) الآية ٩١ البقرة.

(٢) هى زينب ابنة الحارث، امرأة سلام بن مشكم، كما فى السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٤٦ نص رقم ١٥٦٦.

(٣) وذلك قبل موت بشر بن البراء من تلك الأكلة المسمومة، فلما مات بشر بن البراء من ذلك سلمها لأوليائه فقتلوا قصاصاً. قال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث، أن رسول الله ﷺ قتلها. ينظر: المنهاج شرح مسلم ٧/٤٣٤ رقم ٢١٩٠، وفتح البارى ٧/٥٦٩ رقم ٤٢٤٩، ١٠/٢٥٧ رقم ٥٧٧٧.

(٤) جمع لهاة، وهى اللحامات فى سقف أفصى الفم. النهاية فى غريب الحديث ٤/٢٤٣.

(٥) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب السلام، باب السم ٧/٤٣٣ رقم ٢١٩٠، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين ٥/٢٧٢ رقم ٢٦١٧.

(٦) جز من الآية ٦٧ المائدة.

سلامته من السم المهلك لغيره، وفي إعلام الله تعالى له بأنها مسمومة، وكلام الشاة له، فقد

جاء في غير مسلم، أنه ﷺ قال: "ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة" (١).

٥- وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه (٢) أنه كان مع رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بفرس له يقودها عقوق (٣) ومعها مهرة لها يتبعها فقال: من أنت؟ فقال: "أنا نبي" قال: ما نبى؟ قال "رسول الله" قال: متى تقوم الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: "غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله" قال: أرني سيفك، فأعطاه النبي ﷺ سيفه، فهزه الرجل ثم رده عليه، فقال رسول الله ﷺ: "أما أنك لم تكن تستطيع الذى أردت" (٤) زاد الطبراني فى روايته، ثم قال رسول الله ﷺ: "إن هذا أقبل، فقال آتية فاسأله، ثم أخذ السيف، فأقتله، ثم أغمد السيف" (٥).

فتأمل يقين رسول الله ﷺ بعصمته من القتل، إذ أخبره ربه عز وجل بحال الرجل القادم عليه، وأنه سيسأل رؤية سيفه ﷺ ليقتله به، ومع ذلك عندما يأتى الرجل يعطيه النبي ﷺ السيف عندما سأله، ويهز الرجل السيف محاولاً قتل رسول الله ﷺ، ولكن يكتبه الله ويمتنعه، فلا يملك إلا رد السيف إلى رسول الله ﷺ ويخبره بما كان فى نفسه من نية قتله ﷺ، وأنه لم يكن يستطيع ذلك، لعصمة الله له ﷺ.

٦- وعن جعدة بن خالد بن الصمة رضى الله عنه (٦) قال: شهدت النبي ﷺ وأتى برجل، فقيل يا رسول الله، هذا أراد أن يقتلك، فقال له النبي ﷺ: لم تراع، لم تراع (٧) لو أردت ذلك لم يسلطك الله على قتلى (٨).

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الديات، باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات، أبقاد منه ١٧٤/٤ رقم ٤٥١٢ وفيه خالد بن خلص الحمصى - صدوق - كما قال الحافظ فى التقريب ٢٥٧/١ رقم ١٦٢٩ وبقية رجاله ثقات - فالإسناد حسن؛ وأخرجه ابن إسحاق فى السيرة النبوية لابن هشام ٣٤٦/٣ نص رقم ١٥٦٦ .

(٢) صحابي جليل له ترجمة فى: أسد الغابة ٥١٧/٢ رقم ٢١٥٥، والاستيعاب ٦٣٩/٢ رقم ١٠١٦، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٨ رقم ٨٠، والإصابة ٦٦/٢ رقم ٣٣٧٤ .

(٣) أى حامل، يقال عقت له فرسه، أى: حملت. النهاية فى غريب الحديث ٢٥١/٣ .

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک ٤٩/١ رقم ١٤ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى .

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٠/٧ ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٢٧/٨ .

(٦) صحابي جليل له ترجمة فى: الاستيعاب ٢٤١/١ رقم ٣٢٦، وأسد الغابة ٥٣٧/١ رقم ٧٥٠، ونجريد أسماء الصحابة ٨٤/١ .

(٧) كلمة تقال عند تسكين الروح تأنيساً، وإظهاراً للرفق بالمخاطب أهد فتح البارى ٤٧٢/١٠ رقم ٦٠٣٣ .

(٨) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ١٩٤/١ رقم ١٤٣، وأحمد فى مسنده ٤٧١/٣، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٢٦/٨ رواه أحمد والطبرانى باختصار ورجاله رجال الصحيح غير أبى إسرائيل الجشمى وهو ثقة، وأخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة ٥٣٨، ٥٣٧/١ رقم ٧٥٠ .

٧- وعن فضالة بن عمير الليثي رضى الله عنه^(١) قال: أردت قتل النبي ﷺ، وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنوت منه، قال رسول الله ﷺ: "الفضالة؟" قلت: نعم! فضالة يا رسول الله، قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قلت: لا شيء، كنت أذكر الله عز وجل، فضحك النبي ﷺ ثم قال: "استغفر الله" ثم وضع يده على صدرى، فسكن قلبى، فوالله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب إلى منه^(٢) نعم: هكذا النبوة يقين بعظمة الله تعالى وحفظه، وعلم بالغيب، ورحمة وسكن، وهداية للعصاة.

٨- وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه^(٣) قال: كنت أخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به، وعمار^(٤) يسوقه، أو أنا أسوقه، وعمار يقوده، حتى إذا كنا بالعقبة^(٥)، فإذا أنا بأتى عشر راكباً، قد اعترضوه فيها، قال: فأنبهت رسول الله ﷺ بهم، فصرخ بهم فولوا مدبرين، فقال لنا رسول الله ﷺ، هل عرفتم القوم؟ قلنا: لا، يا رسول الله، كانوا مثلثين، ولكننا قد عرفنا الركائب، قال: هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، وهل تدرون ما أرادوا؟ قلنا: لا، قال: أرادوا أن يزحموا رسول الله ﷺ فى العقبة، فليقوه منها. قلنا: يا رسول الله أولا تبعث إلى عشائركم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟ قال: لا، أكره أن تحدث العرب بينها: أن محمداً قاتل بقوم، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم، ثم قال: اللهم ارمهم بالديبيلة^(٦). قلنا: يا رسول الله! وما الديبيلة؟ قال: شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك^(٧).

(١) أسلم وحسن إسلامه، له ترجمة في: أسد الغابة ٤/٣٤٧ رقم ٤٢٣٣، والاستيعاب ٤/١٢٦٣ رقم ٢٠٨٣، والإصابة ٥/٢١١ رقم ٧٠١٥.
(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية ٤/٤٠، ٤١ نص رقم ١٦٩٢، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٤/٣٠٦، وابن عبد البر في الدرر في اختصار المغازي ص ٢٢٢ كلاهما نقلا عن ابن هشام.
(٣) صحاح جليل له ترجمة في: تاريخ الصحابة ٧٣ رقم ٢٦٧، والرياض المستطابة ص ٤٩، ٥٠، وأسود الغابة ١/٧٠٦ رقم ١١١٣، والاستيعاب ١/٣٣٤ رقم ٤٩٢.
(٤) هو عمار بن ياسر صحابي جليل له ترجمة في: الرياض المستطابة ص ٢١١-٢١٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ٥٤ رقم ٢٦٦، والاستيعاب ٣/١١٣٥ رقم ١٨٦٣، وأسود الغابة ٤/١٢٢ رقم ٣٨٠٤.
(٥) واحدة عقبات وهى الجبال، والمراد مكان مرتفع. ينظر: مختار الصحاح ص ٤٤٤، والقاموس المحيط ١/١٠٦.
(٦) هى خراج ودمل كبير تظهر فى الجوف فتقتل صاحبها غالباً. النهاية فى غريب الحديث ٢/٩٤.
(٧) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/٢٦٠، ٢٦١، والطبراني في الأوسط ٨/١٠٢ رقم ٨١٠٠، وفيه عبد الله بن سلمة، وثقة جماعة، وقال البخارى لا يتابع على حديثه، وفي الصحيح بعضه. كذا قال الميمنى في مجمع الزوائد ١/١٠٩، ١١٠.

والحديث شاهد صحيح أخرجه أحمد في مسنده عن أبي الطفيل رضي الله عنه^(١).
وأصل هذه القصة أخرجه الإمام مسلم في صحيحه مختصرة عن حذيفة رضي الله عنه
عن النبي ﷺ قال : "في أمتي اثنا عشر منافقاً، لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها، حتى يلج
الجمال في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة. سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم
من صدورهم"^(٢) وكان حذيفة رضي الله عنه على علم بأسمائهم من رسول الله ﷺ دون غيره من
الصحاب^(٣)، ولما سئل رضي الله عنه : "كيف عرفت المنافقين، ولم يعرفهم أحد من أصحاب
رسول الله ﷺ أبو بكر ولا عمر؟ قال : إني كنت أسير خلف رسول الله ﷺ، فنام على راحلته،
فسمعت ناساً منهم يقولون : لو طرحناه عن راحلته، فاندقت عنقه فاسترحنا منه، فسرت بينه
وبينهم، وجعلت أقرأ وأرفع صوتي، فانتبه النبي ﷺ، فقال : من هذا؟ فقلت حذيفة، قال : من
هؤلاء خلفك؟ قلت : فلان وفلان حتى عددت أسماءهم، قال : وسمعت ما قالوا؟ قلت : نعم،
ولذلك سرت بينك وبينهم، فقال : إن هؤلاء فلاناً وفلاناً، حتى عدد أسماءهم، منافقون، لا تخبرن
أحدًا"^(٤)، وفيهم أنزل قوله تعالى : ﴿يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا
بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا يُنَالُونَ﴾^(٥).

إن في تلك الآية الكريمة يمتن رب العزة على نبيه ومصطفاه ﷺ بعصمته من مؤامرة
نفراً من المنافقين هموا بقتله ﷺ، وهو عائد من تبوك في طريقه إلى المدينة، بطرحه من فوق
عقبة في الطريق، وقد جمعهم رسول الله ﷺ وهم اثنا عشر منافقاً، وأخبرهم بقولهم، وبما هموا
به من قتله، ولكنهم حلفوا بالله ما قالوا، وتركهم رسول الله ﷺ وتجاوز عنهم، حتى لا يقال إن
محمدًا يقتل أصحابه، بعد أن أظهره الله عز وجل على أعدائه، ولكن مع ذلك لحقتهم لعنة الله في

(١) مسند أحمد ٤/٥٣٣، ٤/٥٤٤ ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٥/٦

وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٠/١ .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٣٧/٩ رقم ٢٧٧٩ .

(٣) ولهذا كان رضي الله عنه يقال له "صاحب السر الذي لا يعلمه غيره" ينظر : تفسير القرآن العظيم ١٢٣/٤، وزاد المعاد ٥٤٨/٣ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ٥٢٨/٢ رقم ٤٥٦، والطبراني في الكبير وفيه : بحال بن سعيد وقد
اختلط، وضعفه جماعة، كذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٩/١، قلت : ولكنه توبع؛ حيث أصل
حديثه في صحيح مسلم وغيره .

(٥) الآية ٧٤ التوبة، وسبب النزول، أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢٥٨/٥، ٢٥٩، عن ابن إسحاق،
ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية ١٨/٥ .

الدنيا، وموتهم شر مئة بالديبيلة، وفي الآخرة لهم عذاب جهنم، جزاء نفاقهم وما همو به من قتله
ﷺ، ولم ينالوا ذلك لعصمة رب العزة له ﷺ.

وبعد : فما نكر من هذه النماذج الصحيحة في عصمته ﷺ من القتل، غنى عن غيره
مما لم ينكر من الصحيح، أورد ضعيفاً.

وإذا تقرر هنا في هذا الفصل تفصيل دلائل عصمته ﷺ في عقله وبدنه من خلال القرآن
الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، فقد حان الآن بيان شبهات الطاعنين في سلامة عقله
وبدنه والرد عليها، فإلى تفصيل ذلك في الفصل التالي.

الفصل الثاني

شبه الطاعنين في سلامة عقله وبدنه والرد عليها

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

المبحث الأول : شبهاتهم من القرآن الكريم والرد عليها :

ويشتمل على تمهيد وخمسة مطالب :

المطلب الأول : شبهتهم حول آيات ورد فيها إسناد "الضلال" و"الغفلة" إلى ضمير خطابه ﷺ والجواب عنها .

المطلب الثاني : شبهتهم حول آيات ورد فيها إسناد "للذنب" و"الوزر" إلى ضمير خطابه ﷺ والجواب عنها .

المطلب الثالث : شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله ﷺ بنقوى الله عزوجل، ونهيه عن طاعة الكافرين، ونهيه عن الشرك والجواب عنها .

المطلب الرابع : شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله ﷺ بتعرض الشيطان له والجواب عنها .

المطلب الخامس : شبهتهم حول آيات ورد فيها معاتبة رسول الله ﷺ والجواب عنها .

المبحث الثاني : شبهاتهم من السنة النبوية والرد عليها :

ويشتمل على تمهيد وخمسة مطالب :

المطلب الأول : شبهة الطاعنين في حديث "شق صدره" ﷺ والرد عليها .

المطلب الثاني : شبهة الطاعنين في حديث "فترة الوحي" والرد عليها .

المطلب الثالث : شبهة الطاعنين في حديث "نحن أحق بالشك من إبراهيم" والرد عليها .

المطلب الرابع : شبهة الطاعنين في حديث "سحر رسول الله ﷺ" والرد عليها .

المطلب الخامس : شبهة الطاعنين في حديث "أَمْجَر" والرد عليها .

تمهيد

ثبت فيما سبق ثبوتاً قطعياً من خلال القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، عصمة سيدنا رسول الله ﷺ قبل النبوة وبعدها من كل ما يمس قلبه وعقيدته بسوء، من التمسح بالأصنام، أو الحلف بها، أو أكل ما ذبح على النصب أو نحو ذلك من مظاهر الكفر، والشرك، والشك، والضلال والغفلة، وكذا عصمته ﷺ من تسلط الشيطان عليه، وعصمته من كل ما يمس عقله وخلقه بسوء؛ ومن ظن بأن الله تعالى يمكن أن يُقَرَّر على نبيه ﷺ، عكس ذلك بعد اصطفاؤه فقد ظن السوء بربه. أعوذ بالله تعالى من الخزي والخذلان، وسوء الخاتمة والمنقلب.

وكما ظهر قديماً من يطعن في عصمة الأنبياء ممن لا يعتد بخلافهم من الأزرقعة، والكرامية، والرافضة وغيرهم فقد ظهر حديثاً أنبياءهم من المنكرين لسنة المعصوم ﷺ وسيرته العطرة الواردة فيها، ومن عجيب أمر هؤلاء الأنبيال تحمسهم لفكرة أن الأنبياء غير معصومين، أكثر من أسلافهم، إذ تجرأوا على أنبياء الله عز وجل بجعلهم أقل مرتبة من سائر البشر، وحال لسانهم يقول : الأنبياء أناس يخطئون كما يخطئ عامة الناس، بل إن الله قد يتوب على عامة الناس، ولا يتوب عليهم، وليس أدل على ذلك من زعم بعضهم أن "وصف الأنبياء بالعصمة المطلقة تأليه لهم، وأنهم معرضون للوقوع في أعظم الذنوب وهو الشرك الأكبر، وأنهم سيحاسبون أمام الله يوم القيامة"^(١) ومن هنا زعموا أن طاعة رسول الله ﷺ تأنيه وشرك^(٢) وتجراً بعضهم على كتاب الله عز وجل زاعماً : "أن القرآن الكريم لم يعتبر النبي ﷺ معصوماً"^(٣) بل ويذهب إلى أن الاعتقاد بعصمة الأنبياء في الإسلام دخيل عليه من النصرانية إذ يقول : "تخلت فكرة عصمة الأنبياء، إلى الفكر الإسلامي نقلاً عن الفكر المسيحي الذي يؤمن بأن المسيح اقنوم "صورة" لله، وأنه لذلك لا يمكن أن يخطئ، لأنه معصوم بطبيعته من الوقوع في الخطأ"^(٤) متجاهلاً أن حقوق الأنبياء واحدة لا تختلف أبداً، فما يجب في حق واحد منهم يجب كذلك في حق الجميع، وما يستحيل في حق واحد منهم يستحيل كذلك في حق الجميع، لأنهم متساوون فيما يجب لهم، وما

(١) الأنبياء في القرآن الكريم لأحمد صبحي ص ٣٠، ٤٠، ٧٤ وينظر : القرآن والحديث والإسلام لرشاد

خليفة ص ٨ - ١٠، ومشروع التعليم والتسامح لأحمد صبحي وغيره ص ٢٨٦ .

(٢) سيأتي تفصيل تلك الشبهة والرد عليها ص ٣٧٧ .

(٣) الإسلام السياسي للمستشار العشماوى ص ٨٦ .

(٤) أصول الشريعة للعشماوى ص ١٤٣، وقارن بكتابة معالم الإسلام ص ١٤٨ حيث أثبت عصمته ﷺ .

يستحيل عليهم بمقتضى قوله تعالى : ﴿لَا نَفِرُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رِسَالِهِ﴾^(١) وقوله سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يَفِرُّوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) وقوله عز وجل : ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرِّسَالِ﴾^(٣) ومن هنا كان الدفاع عن عصمة نبينا ﷺ دفاع عن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

والمتتبع للمروجين لفرية عدم عصمة الأنبياء، يهون عليه أنه يجدهم جميعاً من أصحاب المنافع والشهوات، أو من أصحاب الأغراض، وأرباب الهوى .

وقد استند هؤلاء المشاغبون في عصمة النبي ﷺ إلى بعض النصوص القرآنية والنبوية التي قد يتوهم من ظاهرها أن رسول الله ﷺ كان في ضلال أو غفلة قبل نبوته، أو فسى شك، وتأثير للشيطان، عليه بعد البعثة، وكذلك نصوص وردت فيها بعض التنبيهات الموجهة مباشرة إلى رسول الله ﷺ في القرآن الكريم^(٤) وهذه التنبيهات قد تبدو في الظاهر وكأنها تمس عصمته ﷺ، فأخذوا يلون تلك النصوص، ويحملونها من المعاني ما لا تحتل، إلا أنهم لن يستطيعوا بهذه الحيلة أن يضلوا الأمة .

وسوف أعرض لهذه النصوص والتنبيهات، وأبين التوجيه الصحيح لها بما يبين الحق، ويصحح الفهم، ويزيل ما يقع من الوهم إن شاء الله تعالى، آملاً منه عز وجل التوفيق والهداية إلى ما فيه السداد، وحسن الأدب في بيان المراد. فإلى بيان ذلك في المبحثين التاليين .

(١) جزء من الآية ٢٨٥ البقرة .

(٢) الآية ١٥٢ النساء .

(٣) الآية ٩ الأحقاف .

(٤) ينظر : الأعلان العظيمان لجمال البناء ٢٣٢ حيث استدلل بتلك التنبيهات على عدم عصمة الأنبياء .

المبحث الأول

شبهاتهم من القرآن الكريم على عدم عصمة النبي ﷺ فى عقله وبدنه والرد عليهما

تمهيد :

إن الذى يتتبع القرآن الكريم، ويتقصى آياته العظيمة، ويمعن النظر فيه، ينتهى منه إلى رصيد ضخم، وثروة لا حدود لها، من النشاء الحلو، والمديح الطيب، والتتويه الذى ليس قبله ولا بعده، برسول هذه الإنسانية، وسيد هذا الكون، حتى وكأنه بلغ قمة النشاء، وغاية المديح، وكل ذلك تجده حتى فى الآيات المتشابهات التى استدلت بها خصوم السنة المطهرة والسيرة العطرة.

إن مما يشرح الصدر، ويبهج النفس أن المتتبع للآيات المتشابهات التى استدلتوا بها على عدم عصمتهم ﷺ، يرى أنها واردة فى مقام المنّة على رسول الله ﷺ، وبيان عظيم مكانته وفضله عند ربه عز وجل فى الدنيا والآخرة، بأعظم ما يكون البيان.

ويرى بوضوح وجلاء أن كل آية من تلك الآيات تأتى بنوع من الترفق برسول الله ﷺ فى الخطاب طمأنة لقلبه الطاهر، وتنادى بأن ما ورد من ظاهر تلك الآيات مما يمس عصمته ﷺ غير مراد، وتنادى بأن ما صدر منه من خطأ فى الاجتهاد، ووجه إلى الأخذ بالأصوب منه فيما يستقبل من حوادث، لم تؤثر على شئ من عصمته، ولا مما ناله من شرف القرب، والرضا عليه من الله عز وجل، مما يمكن أن يقال فيه : إنه مسح بيد الرحمة على القلب الطاهر الرحيم، الذى جعله رب العزة هدى ورحمة للعالمين.

ومن هنا من يتأمل ما استدلت به أعداء الإسلام من آيات قرآنية على عدم عصمته ﷺ، لا يستطيع إلا أن يقرر بأنها افتراءات أطلقوا عليها اسم أدلة وبراهين... وقد لا يصل القارئ إلى هذا التقرير، إلا بعد أن يتأمل جيداً، ويرجع إلى النصوص، ويمحصها بدقة فيخرج بنتيجة حاسمة، وحكم نهائى، بأن ما زعموه أدلة وحججاً وبراهين، إنما هى من نفخ الشيطان وهمزته ونفته، سولها لهم الشيطان، وحسنها فى قلوبهم، ودفعهم بأن يقولوا أنها حجج قرآنية.

وسوف نناقشها فقرة فقرة، وننقضها لبنة لبنة، حتى يقتنعوا أن ما زعموه من أدلة هي السراب الباطل الذي يحسبه الضمآن ماءً.

إنى أقول ذلك ومعى تأكيداً له شواهد من التاريخ، والنقل الثابت من الكتاب والسنة، وإجماع الأمة على عصمته ﷺ من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها من كل ما يمس قلبه وعقيدته وخلقه وعقله بسوء، ومبرهنات في نفس الوقت أن رسول الله ﷺ أجل وأعلى، وأرفع وأقدس من أن تتأله الشبه.

فإلى بيان ذلك من خلال استعراض شبهاتهم والرد عليها في المطالب التالية.

المطلب الأول

شبهتهم حول آيات ورد فيها إسناد "الضلال" و"الغفلة" إلى ضمير خطابه ﷺ والجواب عنها

احتج المشاغبون الذاهبون إلى نفى العصمة عن رسول الله ﷺ في قلبه وعقيدته قبل البعثة وبعدها، بما ورد من آيات أسند فيها "الضلال" و"الغفلة" إلى ضمير خطابه ﷺ، وحملوها على الكفر في حقه ﷺ كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾^(١) وقوله عز وجل: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾^(٢) وقوله سبحانه: ﴿لَنَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾^(٣).

ويجاب عن ما سبق بما يلي :

أولا : حمل أعداء الإسلام، وأعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة كلمتي "الضلال" و"الغفلة"، في الآيات على الكفر والغى والفساد! وهذا تعسف باطل في تأويل الآيات، ومرفوض من وجوه:

الأول : أنه قبل النبوة لم يكن هناك شرعا قائما حتى يوصف المنحرف عنه بالضلal.

الثاني : ما ثبت بإجماع الأمة قاطبة من عصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر^(٤).

الثالث : ما ثبت بالتواتر عن حال النبي ﷺ في نشأته قبل النبوة من عصمة ربه عز وجل له من كل ما يمس عقيدته وخلقه بسوء على ما سبق تفصيله^(٥).

(١) الآية ٥٠ سبأ.

(٢) الآية ٧ الضحى.

(٣) الآية ٣ بروج و ينظر : ممن قال بهذه الشبهة، الإسلام بدون حجاب (كتاب مسئل من شبكة الإنترنت) ص ٣٥ - ٣٧، والأنبياء في القرآن لأحمد صبحي منصور ص ٢٣، ٣٠ - ٨٠، ١٢٦، ومشروع التعليم والتسامح لأحمد صبحي وغيره ص ١٣٧، ١٥٢، وجريدة الدستور عدد ١٩٩٧/١٢/٣١ وجريدة الميدان العدد ٢٨٩ مقالان لأحمد صبحي منصور، وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص ١٥٥.

(٤) ينظر ص ١١٧.

(٥) ص ٤٤ - ٧٩، وينظر : خواطر دينية لعبد الله الغماري ص ١٧٨، ١٧٩.

ثانياً : إن تأويل أعداء الإسلام للآيات يرفضه القرآن الكريم، حيث وردت فيه كلمة "الضلال" مراداً بها أكثر من معنى، منها ما يلي :

١- ضلال بمعنى الكفر في نحو قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾^(١).

٢- ضلال بمعنى النسيان في نحو قوله تعالى : ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(٢) أي أن تتسى إحدى المرأتين، فتذكر إحداهما الأخرى.

٣- ضلال بمعنى الغفلة في نحو قوله سبحانه على لسان سيدنا موسى عليه السلام لفرعون : ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾^(٣).

٤- ضلال بمعنى المحبة في نحو قوله عز وجل على لسان أولاد سيدنا يعقوب : ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أُمِينَا مِنْهُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٤) أي في حب مبین ليوسف، وهو المشار إليه في قوله تعالى على لسانهم أيضاً : ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيمِ﴾^(٥) وكذلك قوله سبحانه على لسان نسوة المدينة : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٦) أي حب مبین ليوسف عليه السلام.

ولما كان الضلال في لسان أهل اللغة : العدول عن الطريق المستقيم، وضده الهداية، كان كل عدول ضلال، سواء كان غمداً أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، ومن هنا صح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما، ولذلك نسب الضلال إلى الأنبياء، وإلى الكفار، وإن كان بين الضالين بون بعيد^(٧).

(١) الآية ٦٢ يس، وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٧٠/٦، ٥٧١ .

(٢) جزء من الآية ٢٨٢ البقرة .

(٣) الآية ٢٠ الشعراء، وينظر : الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان ص ٢٩٧ - ٢٩٩ .

(٤) الآية ٨ يوسف .

(٥) الآية ٩٥ يوسف .

(٦) الآية ٣٠ يوسف .

(٧) ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٣٣٣، ٣٣٤، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٧ .

وعلى الوجهين الثالث والرابع تفسر آية : ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ ونحوها، ويكون المعنى على الوجه الرابع : ووجدك محباً للهداية فهداك إليها، ويشهد لصحة هذا الوجه والتأويل ما يلي :

أ- ما صح من سيرة رسول الله ﷺ قبل النبوة، وتحننه في غار حراء طلباً للهداية، حتى نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي^(١).

ب- أن من أسماء المحبة عند العرب "الضلال" قال الشاعر :

هذا الضلال أشاب منى المفراقا *** والعارضين ولم أكن متحققا
عجباً لعزة في اختيار قطيعتى *** بعد الضلال فحبها قد أخلفا^(٢).

قال الإمام الزرقاني^(٣) : وهذا أى الوجه الرابع، وتأويل الضلال بمعنى المحبة منقول عن قتادة، وسفيان الثوري، فلا يضر عدم وجوده فى الصحاح وأتباعه، فاللغة واسعة^(٤)، وقال الدكتور عبد الغنى عبد الخالق : وهذا قول حسن جداً^(٥) ويكون المعنى على الوجه الثالث : ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ أى وجدك غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة، فهداك أى فأرشدك.

والضلال هنا : بمعنى الغفلة كقوله تعالى : ﴿لا يضل ربى ولا ينسى﴾^(٦) أى لا يغفل ولا يسهو جل جلاله عن شئ فى السماوات والأرض وما فيهن^(٧) وقال تعالى فى حق نبيه ﷺ : ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾^(٨) أى لم تكن تدرى القرآن، والشرائع وما فيها من قصص الأنبياء، فهداك الله

(١) ينظر : حديث تحته فى غار حراء فى صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب بدء الوحي ٣٠/١ رقم ٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٧/٢٠.

(٣) هو : محمد بن الشيخ عبد الباقي الزرقاني، أبو عبد الله، الإمام الفقيه، الفهامة المتفنن، المحدث، الرواية المسند، المؤلف المتقن، من مؤلفاته النافعة : شرح الموطأ، وشرح المواهب اللدنية للقسطلاني، وغير ذلك. مات سنة ١١٢٢ هـ له ترجمة فى : شجرة النور الزكية للشيخ محمد مخلوف ٣١٨/١، ٣١٩.

رقم ١٢٣٧.

(٤) شرح الزرقاني على المواهب ١١/٩، وينظر : الشفا ١١٢/٢، ١١٣.

(٥) حجية السنة ص ١١٢.

(٦) الآية ٥٢ طه.

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٩١/٥، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٤٠٥.

(٨) الآية ٣ يوسف.

عز وجل إلى ذلك، وهو معنى قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نَوْراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

والغفلة في حق الأنبياء لا جهل فيها، لأن الجاهل لا يسمى غافلاً حقيقة لقيام الجهل به، فصح أن ضلال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غفلة لا جهل^(٢) وقد روى هذا التأويل والوجه بعينه عن ابن عباس، وجماعة من المفسرين، وجماعة من أهل التأويل^(٣).

وقيل : الضلال في الآيات بمعنى التحير، ولهذا كان ﷺ يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه، ويتشرع به؛ حتى هداه الله إلى الإسلام^(٤) وهذا التأويل قريب من الوجه السابق.

وبقيت وجوه أخرى من التأويل ذكرها أهل العلم^(٥) وأقواها ما اكتفيت بذكره.

لما ما استكلوا به من قوله ﷺ على ما حكاه عنه القرآن الكريم : ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾^(٦) وزعمهم بأن نسبة الضلال إلى نفسه ﷺ يعني أنه غير معصوم منه حتى بعد النبوة، فلا حجة لهم في التعلق بظاهر هذه النسبة! لأن نسبة الضلال إلى نفسه ﷺ جاءت منه على جهة الأدب مع ربه عز وجل، وهكذا الأنبياء جميعاً إذا مسهم ضر نسبوه إلى الشيطان على جهة الأدب مع الحق جل جلاله، لئلا ينسبوا له فعلاً يكره، مع علمهم أن كلاً من عند الله تعالى، قال الخليل عليه السلام : ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ﴾^(٧) وقال الخضر عليه السلام : ﴿فَأُردتْ أَنْ أُعِيبَهَا﴾^(٨) أي

(١) الآية ٥٢ الشورى.

(٢) ينظر : تزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لعلى السبتي ص ١١٢، ١١٣، والشافا ١١٤/٢ .

(٣) ينظر : تفسير المنار ٢٠٨/١٢، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ٦٢٤/١٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٦/٢٠، وفتح القدير ٧٦٣/٤، وعصمة الأنبياء للرازي ص ٩٢، ٩٣ .

(٤) الشفا ١١٢/٢، وينظر : شرح الشفا للقاري ٢٠٥٠/٢ تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ص ١١١، ١١٢ .

(٥) ينظر : شرح الزرقاني على المواهب ٨/٩ - ١٤، والشفا ١١٢/٢ - ١١٤، ومفاتيح الغيب للرازي ٤٥١/٨، ٤٥٢ .

(٦) الآية ٥٠ سبأ .

(٧) الآية ٨٠ الشعراء .

(٨) جزء من الآية ٧٩ الكهف .

السفينة، مع أن فعله كان بأمره عز وجل كما قال عز وجل على لسانه : ﴿وَمَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي﴾^(١) وقال موسى عليه السلام : ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾^(٢) وقال نبينا ﷺ : "والخير كله في يديك، والشر ليس إليك"^(٣) يعنى : ليس إليك يضاف الشر وصفاً لا فعلاً، وإن كان الفعل كله من عند الله عز وجل كما قال : ﴿وَإِنْ تَصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تَصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^(٤).

أما الشرط فى الآية ﴿إِنْ ضَلَلْتَ﴾ فلا يقتضى الوقوع ولا الجواز، فالضلال لا يقع منه ﷺ، ولا يجوز أن يقع منه، لا قبل النبوة ولا بعدها، بمقتضى عصمة الله عز وجل له، ألا ترى كيف قال الله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾^(٥) والمعنى : لولا ما عصمناه ورحمناه، لأتى ما يذم عليه، على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع.

وكذلك قوله تعالى : ﴿لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وَما يُضْلَوْنَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَما يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٦) والمعنى : لولا فضل الله عليك يا رسول الله، بالعصمة ورحمته إياك، لهمت طائفة منهم أن يضلوك، على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع، بدليل بقية الآية : ﴿وَما يُضْلَوْنَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَما يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٧) وقال تعالى : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتُخَذَّكَ خَلِيلًا﴾ فهذه الآية كسابقتها من جملة الآيات المادحة لرسول الله ﷺ، لا أنها من المتشابهات.

(١) جزء من الآية ٨٢ الكهف .

(٢) جزء من الآية ١٥ القصص .

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النسي ﷺ، ودعاؤه بالليل ٣/٣٠٩ رقم ٧٧١ من حديث على ابن أبى طالب رضى الله عنه .

(٤) الآية ٧٨ النساء، وينظر : المنهاج شرح مسلم ٣/٣١٧ رقم ٧٧١ .

(٥) الآية ٤٩ القلم .

(٦) الآية ١١٣ النساء .

(٧) ينظر : تنزيه الأنبياء لعلى السبكي ص ١١٩ .

ومعناها : "لولا وجود تثبيتنا إياك، لقد قاربت أن تميل إليهم شيئاً يسيراً من أدنى الميل، لكن امتنع قرب ميلك وهواك لوجود عصمتنا وتثبيتنا إياك" (١).

فتأمل كيف بدأ بنبأته وسلامته بالعصمة، قبل ذكر ما عتبه عليه، وخيف أن يركن إليه، على فرض الإمكان لا على فرض الوقوع. وتأمل كيف جاء في أثناء عتبه - إن كان ثم عتب - براءته ﷺ، وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته صلوات الله وتسليمه عليه (٢).

وصفوة القول : أن ما استدل به من آيات على عدم عصمته ﷺ لا حجة لهم فيها لأن تلك الآيات الكريمة هي في حقيقة الأمر واردة في مقام المنة على رسول الله ﷺ، ومع تلك المنّة يستحيل ما استدلوا به على عدم عصمته ﷺ وتأمل معي آية سباً : ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (٣) فهل مع منّة النبوة، ونزول وحى الله تعالى إليه يكون ضلال؟ هل يعقل هذا؟ وكذلك آية يوسف : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ (٤) فهل مع منّة الوحي، ونزول القرآن عليه يجوز في حقه ﷺ غفلة جهل، سواء قبل النبوة أو بعدها؟! وكذلك ما استدلوا به من آية الضحى : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ تجدها آية كريمة وردت في سورة عظيمة أقسم رب العزة في أولها بالضحى، والليل إذا أقبل بظلامه، على أنه ما ترك نبيه ﷺ، وما أبغضه، وهذا من كمال عنايته عز وجل في رد ما قال المشركون للنبي ﷺ، ثم أخذ رب العزة يعدد في ضمن نفي التوديع والقلی : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (٥) نعمه على حبيبه ومصطفاه في الدنيا والآخرة، وأمرأ له بأن يحدث بها قال تعالى : ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ. وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ. أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ. فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٦) فتأمل كيف وردت آية ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ في معرض الثناء

(١) شرح الشفا للقارى ٦٨/١ بتصرف يسير.

(٢) الشفا ٣٠/١، وينظر : شرح الزرقاني على المواهب ٥١/٩ .

(٣) الآية ٥٠ سبأ.

(٤) الآية ٣ يوسف.

(٥) الآية ٣ الضحى.

(٦) الآيات ٤ - ١١ الضحى.

والمدح، والمنة عليه ﷺ بنعم لا تعد ولا تحصى. فهل يعقل أن يكون مراداً بالضلال فى هذا المقام ضلال الكفر والفساد!! كيف وقد عصمه رب العزة من ذلك قبل نبوته، وهو ما تشهد به سيرته العطرة، على ما سبق تفصيله فى مبحثى الفصل الأول دلائل عصمته فى عقله وبدنه من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ كما شهد رب العزة بعصمته من الضلال بعد نبوته فى قوله تعالى : ﴿مَا ضل صابحكم وما غوى﴾^(١) مع تأكيد النفى بالقسم بقوله عز وجل : ﴿والنجم إذا هوى﴾^(٢).

وتأمل دلالة كلمة "صابحكم" فى قوله ﴿مَا ضل صابحكم وما غوى﴾ ولم يقل : محمد، أو رسول الله، أو نحو ذلك. تأكيداً لإقامة الحجة على المشركين بأنه صاحبهم، وهم أعلم الخلق به، وبحاله، وأقواله، وأعماله، منذ نشأته بينهم بالأمانة، والصدق ورجاحة العقل، والخلق القويم، وأنهم لا يعرفونه بكذب، ولا غى، ولا ضلال فى العقيدة أو الأخلاق، وبالجمل : لا ينقمون عليه أمراً واحداً قط، وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل : ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون﴾^(٣) وقال سبحانه : ﴿أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون﴾^(٤).

هذا وفى القسم بالنجم، إشارة إلى أنه ﷺ يهتدى به كما يهتدى بالنجم، ومن يهتدى به، وحث رب العزة على الاقتداء به، يستحيل فى حقه الضلال .

إن الآية الكريمة ﴿مَا ضل صابحكم وما غوى﴾ مسوقة لتبرئته ﷺ مما رماه به المشركون قديماً من الضلال والغى، وهى أيضاً مسوقة لتبرئته ﷺ مما رماه به أنياله حديثاً من تفسير الضلال والغفلة، بالكفر والفساد. فوجب أن يكون النفى عاماً فى الضلال والغى قبل النبوة وبعدها .

وهو ما يدل عليه اللفظ العربى، ويقتضيه سياق الآية، إذ من المعلوم فى اللفظ العربى أن الفعل إذا ما وقع فى سياق النفى أو الشرط، دل على العموم وضعاً بلا نزاع .

(١) الآية ٢ النجم .

(٢) الآية الأولى النجم .

(٣) الآية ١٦ يونس .

(٤) الآية ٦٩ المؤمنون، وينظر : شرح الزرقانى على المواهب ٤٥٧/٨ بتصرف .

زد على هذا أن الأفعال بمنزلة النكرات، والنكرة تعم، فكانه قال : ما صدر منه ﷺ ضلال لا في عقيدة ولا في خلق لا قبل النبوة ولا بعدها^(١).

والمفسرون حين عمووا الآية في جميع الضلال قبل النبوة وبعدها، قالوا بما يدل عليه اللفظ العربي دلالة وضعية لغوية، وبما يقتضيه سياق الآية، وبما تشهد به سيرته ﷺ من كمال عقله وخلقه قبل النبوة وبعدها، وعصمته في قلبه وعقيدته من الكفر والشرك، والشك، والضلال، والغفلة، على ما سبق تفصيله^(٢) أهـ.

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

(١) ينظر : شرح الزرقاني على المواهب ٤/٩ .
(٢) يراجع : ص ٤٧ - ٧٩، وينظر : دلالة القرآن المبين على أن النبي ﷺ أفضل العالمين للأستاذ عبد الله الغماري ص ١٣٨، ١٣٩ .

المطلب الثانى

شبهتهم حول آيات ورد فيها إسناد "الذنب" و"الوزر" إلى

ضمير خطابه ﷺ والجواب عنها

مما استدل به الطاعنون فى عصمة النبى ﷺ، وزعموه أدلة على جواز الكبائر والصغائر عنه ﷺ، قبل النبوة وبعدها، ما ورد فى القرآن الكريم من آيات أسند فيها "الذنب" و"الوزر" إلى ضمير خطابه ﷺ، كقوله تعالى : ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك﴾^(١) وقوله سبحانه : ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾^(٢) وقوله عز وجل : ﴿ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك﴾^(٣).

ويجاب عن ما زعموا بما يلى :

أولاً : إن ظاهر ما استدلوا به على عدم عصمته ﷺ، لا حجة لهم فيه، لأن ظاهره غير مراد، لمن تفكر فى سياق الآيات التى ورد فيها كلمتى : "الذنب، والوزر" .

وهو سياق يظهر منه الله عز وجل على رسوله ﷺ، وبيان عظيم مكانته وفضله عند ربه عز وجل فى الدنيا والآخرة، مما يؤكد أن ظاهر ما يطعن فى عصمته غير مراد، وإنما هو فى حقيقة الأمر من جملة ما يمدح به ﷺ. وتأمل معنى قوله تعالى : ﴿ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك﴾ إنها آية كريمة وردت بين منتين :

الأولى : شرح الصدر فى قوله تعالى : ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾^(٤) شرحاً حسياً ومعنوياً، ليسع مناجاة الحق، ودعوة الخلق جميعاً، وليكون موضع التجليات ومهبط الرحمات^(٥).

والثانية : رفع ذكره فى قوله تعالى : ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾^(٦) رفعاً بلغت قمته فى الشهادة التى لا يكون الشخص مسلماً إلا إذا نطق بها، فضلاً عن قرن اسمه ﷺ باسمه عز وجل فى

(١) الآية ٥٥ غافر .

(٢) الآية ٢ الفتح .

(٣) الآية ٣ الشرح، وأصحاب هذه الشبهة هم أنفسهم أصحاب الشبهة السابقة، ينظر مصادرهم السابقة ص ١١٣ .

(٤) الآية الأولى الشرح .

(٥) يراجع : روايات شق صدره الشريف، ودلالات ذلك على عصمته وكمال عقله وخلقه ومكانته عند ربه عز وجل ص ٦٤ - ٦٨ .

(٦) الآية ٤ الشرح .

الأذان، والإقامة، والتشهد فى الصلاة، وفى خطب الجمعة، والعديد، وفى خطبة النكاح، وجعل الصلاة والتسليم عليه ﷺ عبادة على المسلمين^(١).

وتأمل معى أيضاً ما استدلوا به من قوله تعالى : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ إن سياق الآية مع ما قبلها وما بعدها تجدها لا تحتل إلا وجهاً واحداً، وهو تشريف النبى ﷺ، من غير أن يكون هناك ذنب، ولكنه يريد أن يستوعب فى الآية جميع أنواع النعم الأخروية والدنيوية : أما الأخروية فشيئان :

١- سلبية وهى غفران الذنوب، وإن لم يكن للمخاطب ﷺ ذنب، ولو لم يذكر غفرانها لكان فى ذلك ترك استيعاب جميع أنواع النعم.

٢- وثبوتية وهى لا تنتهى أشار إليها رب العزة بقوله تعالى : ﴿وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ﴾^(٢) وجميع النعم الدنيوية شيئان أيضاً :

١- دينية أشار إليها بقوله تعالى : ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(٣) أى يثبتك على دين الإسلام.

٢- ودنيوية وهى قوله تعالى : ﴿وَيُنْصِرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾^(٤) أى نصرأ لا ذل معه وقدم النعم الأخروية على الدنيوية، وقدم فى الدنيوية الدينية على غيرها تقديمأ للأهم فالأهم فانتظم بذلك تعظيم قدر النبى ﷺ بإتمام أنواع نعم الله عليه المتفرقة فى غيره، ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذى عظمه وفخمه بإسناده إليه بنون العظمة، وجعله خاصأ بالنبى ﷺ بقوله لك^(٥) فهل يعقل فى مقام المنة هذا، أن يكون المراد بالذنب والوزر ظاهرهما؟!

ثانياً : إن هذه الألفاظ التى يتعارض ظاهرها مع العصمة تحتل وجوهاً من التأويل :

١- تخريجها على مقتضى اللغة بما يناسب سياقها فى الآيات، فالوزر فى أصل اللغة الحمل والنقل^(٦) قال تعالى : ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(٧) أى أثقالها، وإنما سميت الذنوب

(١) ينظر : شرح الزرقانى على المواهب ٣٠٩/٨ - ٣١٣، والشفا ١٩/١، ٢٠.

(٢) جزء من الآية ٢ الفتح.

(٣) جزء من الآية ٢ الفتح.

(٤) الآية ٣ الفتح.

(٥) ينظر : المواهب اللدنية وشرحها للزرقان ١٩/٩، ٢٠، والخصائص الكبرى للسيوطى ٤٤٩/٢،

٤٥٠، والشفا ٤٨/١، ٤٩، وعصمة الأنبياء للرازى ص ١٠٩.

(٦) ينظر : النهاية فى غريب الحديث ١٥٦/٥، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٩٣.

(٧) جزء من الآية ٤ محمد.

بأنها أوزاراً لأنها تتنقل كاسبها وحاملها، وإذا كان الوزر ما ذكرناه، فكل شيء أثقل الإنسان وغمه وكده، وجهده، جاز أن يسمى وزراً، تشبيهاً بالوزر الذى هو النقل الحقيقى .

وليس بمتنع أن يكون الوزر فى الآية ثقل الوحى، كما قال عز وجل : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(١) وعبء التبليغ، وثقل الدعوة، حيث كان الاهتمام بهما يقض مضجعه، حتى سهلها الله تعالى عليه، ويسرهما له، ويقوى هذا التأويل، سياق الآية الواردة فى مقام الامتحان عليه ﷺ وقوله عز وجل : ﴿فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٢) والعسر بالشدائد والغموم أشبه، وكذلك اليسر بتفريج الكرب، وإزالة الغموم والهموم أشبه^(٣) .

فإطلاق الوزر من باب الاستعارة التصريحية كما هو معلوم . وفى قراءة ابن مسعود وحللتنا عنك وقرئ^(٤) والوقر الحمل، وهذه القراءة تؤيد ما قررناه^(٥) .

٢- أن "الوزر" و"الغفران" فى الآيتين مجازاً عن العصمة، والمعنى : عصمتك عن الوزر الذى أنقض ظهرك، لو كان ذلك الذنب حاصلًا، كما قال عز وجل : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وَما يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَما يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٦) وقوله عز وجل : ﴿وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُواكَ عَلَى الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا . وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾^(٧) والمعنى : لولا عصمتنا ورحمتنا لأتيت ما تنم عليه، على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع على ما سبق شرحه^(٨) .

(١) الآية ٥ المزل .

(٢) الآيتان ٥، ٦ الشرح .

(٣) ينظر : تزيه الأنبياء للموسى ص ١١٤، ١١٥ بتصرف، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٥٢/٨، ومفاتيح الغيب للرازى ٣٢/٤، وشرح الزرقانى على المواهب ١٥/٩، ١٦، وخواطىر دينية لعبد الله الغمارى ص ١٧٨، وعصمة الأنبياء فى الكتاب والسنة والرد على الشبهات السواردة عليها لمحمد الناجى ص ٢٨٧، ٢٨٨ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٤٤٥/١٠ رقم ١٩٣٩٠ .

(٥) ينظر : دلالة القرآن المبين لعبد الله الغمارى ص ١٧٢ .

(٦) الآية ١١٣ النساء .

(٧) الآيتان ٧٣، ٧٤ الإسراء .

(٨) ص ١١٧ .

تسمى رب العزة العصمة "وضعا" على سبيل المجاز، وإنما عبر عنها به، لأن الذنب ينقل الظهر بعقابه، وبالتدريج عليه في حالة التوبة منه. والعصمة لكونها تمنع وقوع الذنب، تريح صاحبها من ثقل عقابه، ومن ثقل الندم عليه، فعبر عنها بالوضع لذلك^(١).

ويشهد لصحة هذا القول : سيرة النبي ﷺ قبل النبوة، من عصمة رب العزة له ﷺ من كل ما يمس قلبه وعقيدته بمسوء، من أكل ما ذبح على النصب، والحلف بأسماء الأصنام التي كان يعبدها قومه، واستلامها، وكذا عصمته من كل ما يمس خلقه بمسوء، من أقذار الجاهلية ومعايبها، من اللهو، والتعري، وكذا تشهد سيرته ﷺ بعد النبوة، من عصمة رب العزة له ﷺ مما عصمه به قبل النبوة، ومن أن يضلّه أهل الكفر، وأنى لهم ذلك وقد نفاه الله تعالى : ﴿وَمَا يَضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢) كما عصمه ربه عز وجل من أن يفتنوه عن الوحي أو النقول عليه، ولو حدث شيء من ذلك، لوقع عقاب ذلك، الوارد في قوله سبحانه : ﴿إِذَا لَأَذْنُكَ أَلْزَمْتَكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾^(٣) وقوله عز وجل : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^(٤).

فهل نقل إلينا ولو بطريق ضعيف أن رب العزة عاجله بالعقوبة في الدنيا مضاعفة؟ أو تخلى عن نصرته؟

الإجابة بالقطع لا، لم ينقل إلينا، وهو ما يؤكد أن الخطاب في آيات الشرط ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تُبَيِّنَ لَكَ﴾ و﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ونحو ذلك، على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع، وتعبير آخر الشرط في تلك الآيات لا يقتضى الوقوع ولا الجواز.

وإذا صح تسمية العصمة "وضعا" في قوله تعالى : ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾^(٥) مجازا، صحح أيضا إطلاق المغفرة كناية عن العصمة في قوله تعالى : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

(١) خواطر دينية لعبد الله الغماري ص ١٧٨ .

(٢) الآية ١١٣ النساء .

(٣) الآية ٧٥ الإسراء .

(٤) الآيات ٤٤ - ٤٧ الحاقة .

(٥) الآية ٣ الشرح .

ذنبك وما تأخر^(١) إذ الغفر السر والغطاء^(٢) والمعنى فى الآية : ليعصمك الله فيما تقدم من عمرك، وفيما آخر منه .

قال الإمام السيوطى^(٣) : " وهذا القول فى غاية الحسن، وقد عد البلغاء من أساليب البلاغة فى القرآن؛ أنه يكتفى عن التخفيفات بلفظ المغفرة، والعفو، والتوبة، كقوله تعالى عند نسخ قيام الليل : ﴿لَعَلَّكُمْ أَنْ لَنْ تَحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(٤) وعند نسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى قال سبحانه : ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾^(٥) وعند نسخ تحريم الجماع ليلة الصيام قال عز وجل : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾^(٦) .

ووجه إطلاق المغفرة كناية عن العصمة : أن العصمة تحول بين الشخص وبين وقوع الذنب منه، والمغفرة تحول بين الشخص وبين وقوع العقاب عليه، فكفى عن العصمة بالمغفرة بجامع الحيلولة؛ لأن من لا يقع منه ذنب، لا يقع عليه عقاب .

واختيرت هذه الكناية - أعنى الاستعارة - لأن المقام مقام امتنان عليه ﷺ، ثم المعنى بعد هذا : ليظهر الله عصمتك للناس، فيروا فيك حقيقة الإنسان الكامل، ويلمسوا منك معنى الرحمة العامة، لا تبطرك عزة الفتح، ونشوة النصر، فلا تنتقم، ولا تنتشى، ولكن تغفوا وتغفر^(٧) . ولهذا دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح مطاطناً رأسه حتى كاد يمس مقدمة رحله، وهو راكب على بعيره تواضعاً لله عز وجل^(٨) . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: دخل رسول الله

(١) الآية ٢ الفتح .

(٢) ويروى فى ذلك عن شريح بن عبيد الحضرمى "ووضعنا عنك وزرك" قال : وغفرنا لك ذنبك، أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٣٤٤٥/١٠ رقم ١٩٣٨٩، وينظر : القاموس المحيط ١٠/٢، والنهاية فى غريب الحديث ٣/٣٣٥ .

(٣) هو : عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطى، جلال الدين، كان إماماً حافظاً بارعاً، ذا قدم راسخة فى علوم شتى، فكان مفسراً، محدثاً، فقيهاً، أصولياً، لغوياً، مؤرخاً، له مؤلفات بلغت نحو مستمئة مصنف منها : الأشباه والنظائر فى القواعد الفقيهية، والأشباه والنظائر فى العربية، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور، والجامع الكبير والصغير، مات سنة ٩١١هـ له ترجمة فى : حسن المحاضرة للسيوطى ١/٣٣٥ رقم ٧٧، وشذرات الذهب ٥١/٨، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٣، والبدر الطالع للشوكانى ١/٣٢٨ رقم ٢٢٨ .

(٤) جزء من الآية ٢٠ المزمل .

(٥) جزء من الآية ١٣ المجادلة .

(٦) جزء من الآية ١٨٧ البقرة، وينظر : الدر المنثور ٦/٣٦٣ .

(٧) دلالة القرآن المبين ص ١٣٢، وخواطير دينية ص ١٧٦، ١٧٧ كلاهما لعبد الله الغمارى وينظر : فيض البارى على صحيح البخارى للكشميرى ٤/٢٣٣ .

(٨) ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ٤/٢٥ نص رقم ١٦٦٨ .

ﷺ مكة يوم الفتح وذهبه على رحله متخشعاً^(١) وفي نفس الوقت كان يرجع^(٢) في تلاوته، وهو على مشارف مكة سورة الفتح^(٣) وهذا يعنى أنه ﷺ كان مندمجاً في حالة من العبودية التامة لله تعالى، شكراً له عز وجل، على هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى، ولهذا كان ﷺ يكثّر من الاستغفار والعبادة شكراً لله سبحانه على ذلك، وليس كما يفهم أعداء الإسلام، وخصوصاً السنة المطهرة أنه استغفار لذنبه^(٤) لأن الاستغفار ليس خاصاً بالذنوب، بل له حكم كثيرة، على رأسها : شكر الله عز وجل على نعمه، ولذا جاء الأمر به للنبي ﷺ شكراً لله عز وجل بنصره على أعدائه، وفتح مكة له، قال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾^(٥) وامتلئ النبي ﷺ لهذا الأمر الإلهي كما جاء في حديث عائشة رضى الله عنها قالت : "كان رسول الله ﷺ يكثّر من قول : "سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه" قالت : فقلت : يا رسول الله! أراك تكثّر من قول : "سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه؟" فقال : أخبرني ربي أنى سأرى علامة في أمتى، فإذا رأيته أكثر من قول : سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه. فقد رأيته" إذا جاء نصر الله والفتح - فتح مكة - ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً^(٦).

وعصمته ﷺ من الذنب فيما تقدم من عمره، وفيما أخر منه، من أعظم النعم التي قام النبي ﷺ بشكرها، بالاستغفار، والقيام بين يدي الله عز وجل حتى تورمت قدماه.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤٩/٣ رقم ٤٣٦٥ وصححه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي، وقال الزرقاني في شرحه على المواهب ٤٣٤/٣ سنده جيد قوى، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦٩، ٦٨/٥ .

(٢) الترجيع : ترديد القراءة، ومنه ترجيع الأذان، وكان ترجيعه ﷺ بعد الصوت في القراءة نحو : آء، آء، آء. ينظر : النهاية في غريب الحديث ١٨٥/٢، وفتح الباري ٤٤٨/٨ رقم ٤٨٣٥ .

(٣) ينظر الحديث في صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) في عدة أماكن منها كتاب التفسير، باب "إننا فتحنا لك فتحاً مبيناً" ٤٧/٨ رقم ٤٨٣٥، ومسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة ٣٣٩/٣ رقم ٧٩٤ من حديث عبد الله بن المغفل رضى الله عنه .

(٤) ينظر : الأنبياء في القرآن لأحمد صبحي منصور ص ٣٥، ٤٨، ٤٠، ٤٥ .

(٥) سورة النصر كلها .

(٦) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ٤٣٨/٢ رقم ٤٨٤، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب سورة إذا جاء نصر الله ٦٠٥/٨ رقم ٤٩٦٧ .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ، إذا صلى، قام حتى تقطر رجلاه، قالت عائشة : يا رسول الله! أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : "يا عائشة! أفلا أكون عبدا شكورا" (١) والمعنى : "أن المغفرة سبب لكون التهجّد شكرا فكيف أتركه؟" (٢).

وعلى ما تقدم فقوله تعالى : ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ونحوها من الآيات مرادا بها الحث على دوام الاستغفار والشكر لله عز وجل، على ما أنعم عليه من العصمة. وأقول : إذا لم يسلم الخصم بما سبق من تأويل آيات الذنب والوزر الواردة في حقه ﷺ، وأخذ بها على ظاهرها، فليبين لنا حقيقة الذنب والوزر الذي ارتكبه رسول الله ﷺ، سواء قبل النبوة أو بعدها؟!

إنه إن كان ثمّ ذنب فلن يخرج عن ترك الأولى، كما قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين (٣) وترك الأولى ليس بذنب، لأن الأولى وما يقابله مشتركان في إباحة الفعل، والمباحات جائز وقوعها من الأنبياء، وليس فيها قبح في عصمتهم ومنزلتهم، لأنهم لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات (٤) مما يتقوون به على صلاح دينهم، وضرورة دنياهم، وما أخذ على هذه السبيل للتحق طاعة، وصار قرينة (٥).

قلت : وكيف يتخيل صدور الذنب في حقه ﷺ، وقد عصمه ربه عز وجل في قوله وفعله وخاطبه بقوله سبحانه : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٦) وقال عز وجل : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (٧). "ومن تأمل إجماع الصحابة على اتباعه ﷺ والتأسي به في كل ما يقوله ويفعله من قليل أو كثير،

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ١٧٨/٩ رقم ٢٨٢٠، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" ٤٤٨/٨ رقم ٤٨٣٧.

(٢) ينظر : فتح الباري ٢٠/٣ رقم ١١٣٠.

(٣) أى : كلما ترقى في درجة عد ما قبلها سيئة، وهذا قول سعيد الخراز، كما رواه ابن عساكر في ترجمته، ولم أعثر عليها في مختصر التاريخ، ينظر : شرح المواهب للزرقاني ١٩/٩.

(٤) قال أبو الحسين المعتزلي : "ولا يجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام كثير من المباحات القادحة في التعظيم، الصارفة عن القبول" ينظر : المعتمد في أصول الفقه ٣٤٢/١.

(٥) الشفا ١٤٧/٢ بتصرف.

(٦) الآيتان ٣، ٤ النجم.

(٧) الآية ٢١ الأحزاب.

أو صغير أو كبير، ولم يكن عندهم في ذلك توقف ولا بحث، حتى أعماله في السر والخلوة، يحرصون على العلم بها، وعلى اتباعها، علمَ بهم ﷺ أو لم يعلم، ومن تأمل أحوال الصحابة معه ﷺ استحى من الله تعالى أن يخطر بباله خلاف ذلك^(١).

ثم إن حقيقة الذنب في اللغة ترجع إلى كل فعل يُستَوْخَمُ عِقَابَهُ كما فسره الراغب في مفرداته^(٢). وشرعاً : يرجع الذنب إلى مخالفة أمر الله تعالى أو نهيه.

وهو أمر نسبي يختلف باختلاف الفعل والفاعل، وقصد الفاعل، فليست المخالفة من العالم كالمخالفة من الجاهل، وليست المخالفة الواقعة عن اجتهاد، كالمخالفة التي لا تقع عن اجتهاد، وليست المخالفة الواقعة بالقصد والتعمد، كالمخالفة الواقعة بالنسيان.

ومن هنا تختلف الذنوب ومسئولياتها بالنسبة للفاعل، والحوادث. وعلى ضوء ذلك نفهم معاني الآيات التي ورد فيها إسناد الذنب إلى رسول الله ﷺ مضافاً إلى ضمير خطابه ﷺ^(٣).

وصفة القول، أن يقال : إما أن يكون صدر من رسول ﷺ ذنب أم لا ! فإن قلنا : لا، امتنع أن تكون هذه الآيات إنكاراً عليه، وقدحاً في عصمته. وإن قلنا : إنه صدر عنه ذنب - وحاشاه الله من ذلك - فقوله تعالى : ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ وقوله سبحانه : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ يدل على حصول العفو^(٤) وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الإنكار عليه ! فثبت أنه على جميع التقادير يمتنع أن يقال : إن قوله تعالى ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ﴾ وقوله سبحانه : ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾، يدل على كون رسول الله ﷺ مذنباً، أو غير معصوماً. وهذا جواب شاف كاف قاطع. وما فوق مقام رسول الله ﷺ مقام أم.

(١) وهذا رد الإمام السبكي على الزمخشري في تفسيره الآية ٢ الفتح بأن المراد : جميع ما فسر منك. الكشاف ٣٣٣/٤. وينظر : المواهب اللدنية للقسطلاني وشرحها للزرقاني ٢١/٩، ٢٢.

(٢) ص ٢٠٣.

(٣) ينظر : آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة للدكتور عويد المطرفي ص ١٠٨.

(٤) وهذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره، كما قال ابن كثير في تفسيره ٣١٠/٧، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : من خصائصه ﷺ أنه أخبره الله تعالى بالمغفرة، ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، ويدل له قولهم في الموقف : "نفسى، نفسى، نفسى" جزء من حديث طويل أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب "ذرية من حملنا مع نوع إنه كان عبداً شكوراً" ٢٤٧/٨، ٢٤٨ رقم ٤٧١٢، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ٥٥/٢ - ٥٧ رقم ١٩٤ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه. وينظر : شرح الزرقاني على المواهب ٢٥٩/٧، ويدل أيضاً على أن الإخبار بالمغفرة من خصائصه قوله ﷺ : "فضلت على الأنبياء بست لم يعطهن أحد كان قبلى. غفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر، وأحللت لى الغنائم... الحديث" أخرجه البزار وسنده جيد كما قال الميثمى فى مجمع الزوائد ٢٦٩/٨، ووافقه السيوطى فى الخصائص الكبرى ٣٣٦/٢، من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

المطلب الثالث

شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله ﷺ بتقوى الله عز وجل ونهييه عن طاعة الكافرين، ونهييه عن الشرك والجواب عنها

زعم أعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة أن رسول الله ﷺ غير معصوم من الذنوب كبائرهما وصغائرها، قبل النبوة وبعدها، ودليلهم ما ورد في القرآن الكريم من آيات تخاطب رسول الله ﷺ بتقوى الله عز وجل، وتنهاه عن طاعة الكافرين والمنافقين والكاذابين، كما تنهاه عن التكذيب بآيات الله عز وجل، وتحذره من الشك فيما أنزل عليه، ومن الوقوع في الشرك؛ ومن الآيات التي استشهدوا بها على ما زعموا ما يلي :

- ١- قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾^(١).
- ٢- وقوله سبحانه : ﴿فَلَا تَطْعِ الْمَكْذِبِينَ. وَدُو لَوْ تَدَّهَن فَيَدْهَنُونَ. وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾^(٢).
- ٣- وقوله عز وجل : ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٣).
- ٤- وقوله : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِیَحْبُطُنَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤).
- ٥- وقوله : ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥).

(١) الآية الأولى الأحزاب.

(٢) الآيات ٨ - ١٠٠ القلم.

(٣) الآية ٩٤ يونس.

(٤) الآية ٦٥ الزمر.

(٥) الآية ٩٥ يونس، وينظر : ممن قال بهذه الشبهة، نيازي عز الدين في كتابه، إنذار من السماء ص ١٧٤، ١٧٦، ١٨٢، ٤٣٧، ودين الرحمن المدخل إلى الحقيقة ص ٢٢٣، وأحمد صبحي منصور في كتابه الأنبياء في القرآن دراسة تحليلية ص ٤٠، ٤١، ٤٤، ومشروع التعليم والتسامح لأحمد صبحي وغيره ص ١٣٧، والإسلام بدون حجاب (كتاب مستل من شبكة الإنترنت) ص ٣٧، وجريدة الدستور عدد ١٩٩٧ / ١٢ / ٣١ مقال لأحمد صبحي منصور.

ويجاب عن ما سبق بما يلي :

أولاً : لا حجة للخصوم فى التعلق بظاهر الآيات التى استشهدوا بها على عدم عصمته ﷺ لِمَ صح من سيرته ﷺ - أنه كان أتقى وأخشى خلق الله عز وجل، وما كذب بآيات ربه تعالى، ولا شك فيما أنزل عليه، ولا أشرك بالله طرفة عين أو أقل منها، ولا أطاع أحداً من الكافرين، أو المنافقين، أو الكاذبين. ومن زعم خلاف ذلك فليبينه لنا، فالأصل براءة الزمة حتى يثبت العكس، وهذه قاعدة أصولية، تحدد الأصل فى كل شئ، وهى تعنى أن كل منهم برئ حتى تثبت إدانته... فالمتهم بالشرك أو الشك، أو باى ذنب آخر هو برئ منه، حتى تثبت إدانته بما اتهم به بالدليل الشرعى!

فهل من دليل شرعى على ما افتروه على رسول الله ﷺ من عدم عصمته؟! ولكن أنسى لأعداء الإسلام، وخصوم السنة المطهرة بدليل شرعى بعد شهادة القرآن الكريم له بالخشية والخوف من الله تعالى فى غير ما آية. منها :

- ١- قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١).
- ٢- وقوله سبحانه : ﴿وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّا بَقْرَانٌ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَقِلَّ مَا يَكُونُ لى أَنْ أَبَدْلَهُ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِى إِنِ اتَّبَعِ إِلَّا مَا يَوْحَىٰ إِلَىٰ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

وهذا وإن كان أمراً من الله عز وجل أن يقول ذلك، فهو أيضاً تقرير لحقيقة حاله ﷺ، ووصف له فى المعنى بتلك الصفة الإيمانية العليا.

وفى الآية أيضاً شهادة له ﷺ بأنه ما أطاع أهل الكفر فى أهوائهم؛ وقد كان أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام كلهم بمحل الخشية والخوف من الله تعالى، كما وصفهم بذلك بقوله : ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً﴾^(٣) وخوفهم ليس خوف معصية وإساءة، وإنما هو خوف إعظام وتبجيل.

(١) الآية ١٥ الأنعام.

(٢) الآية ١٥ يونس.

(٣) الآية ٣٩ الأحزاب.

ونبيينا محمد ﷺ هو سيد الأنبياء وخاتمهم وأفضلهم، فهو معهم على ذلك الخلق، وتشمله هذه الآية شمولاً أولياً، لأنها فى صدر الحديث عنه، فهى شهادة قرآنية إلهية له ﷺ بهذا الخلق العظيم^(١).

وقد دعم هذه الشهادة، الشواهد الكثيرة من الأحاديث الشريفة من واقع حياته ﷺ، ومن تلك الشواهد قوله ﷺ : "ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصغره؟ فوالله إنى لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية"^(٢) وفى رواية قال : "أما والله إنى لأتقاكم الله وأخشاكم له"^(٣).

وفى الإخلاص لله عز وجل، شهد له بذلك القرآن الكريم حيث قص قوله ﷺ وهو يخاطب أهل الكتاب : ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾^(٤) فهو ﷺ يخبر عن نفسه بأنه مخلص لله تعالى فى دينه وعبادته، وهو الصادق الأمين، وقد أقره القرآن الكريم على ذلك، فحكى مقالته على سبيل الإقرار والاعتماد والإشادة، مما يدل على أن هذا الخلق العظيم قد كان مستحكماً فيه ﷺ فى كل أحواله، كما هو شأنه فى كل خلق عظيم، وما جاء فى قوله تعالى : ﴿إِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٥) فالشرط فى الآية لا يقتضى الوقوع ولا الجواز على ما سيأتى تفصيله بعد قليل. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى تفسير الآية : لم يشك النبى ﷺ ولم يسأل" وعامة المفسرين على هذا، وقالوا : وفى السورة نفسها ما دل على هذا التأويل، قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦)

(١) ينظر : المنهاج شرح مسلم للنووى ١١٨/٨ رقم ٢٣٥٦ .

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ٥٢٩/١٠

رقم ٦١٠١، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله وشدة خشيته ١١٧/٨

رقم ٢٣٥٦ من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الصيام، باب أن القبلة فى الصوم ليست محرمة ٢٣٣/٤، ٢٣٤

رقم ١١٠٨ من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٤) الآية ١٣٩ البقرة .

(٥) الآية ٩٤ يونس .

(٦) الآية ١٠٤ يونس، وينظر : التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوى المجلد ١٣٩/٧، ١٤٠ .

فهذا تقرير لحقيقة حاله ﷺ، وشهادة له بأنه ما شك فيما أنزل إليه، ولا سأل أهل الكتاب، وكان من عباد الله المؤمنين المخلصين .

وفى إخلاصه فى عبادته لله تعالى يقول عز وجل : ﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنَسْكَى وَمَحْيَاى وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) فهذا القرآن الكريم يلقن النبى ﷺ أن يعلن للملأ هذه الحقيقة الكامنة فيه لما علمها الله تعالى منه .

وقد كان ﷺ يطبق هذا التوجيه القرآنى، فكان يقول عند قيامه إلى الصلاة "وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما، وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين. لا شريك له، وبذلك أُمِرْتُ وأنا أول المسلمين"^(٢) .

فهل بعد كل هذه الشهادات، يصح قول أعداء الإسلام، وخصوم السيرة العطرة أن رسول الله ﷺ غير معصوم من الشرك والشك؟!!

ثانياً : الأوامر والنواهي الواردة فى القرآن الكريم فى حق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، هى أوامر ونواهي إرشاد وإعلام على جهة الوصية والنصيحة، وهى أحد دلائل العصمة، فوجودها لا يخل بالعصمة بناء على ما تقدم فى تعريف العصمة، فى بقاء الاختيار فى أفعالهم تحقيقاً للائبلاء^(٣) .

ثالثاً : لله عز وجل أن يؤدب أنبياءه وأصفياه، ويطلبهم بالنكير والقطمير من غير أن يلحقهم فى ذلك نقص من كمالهم، ولا غض من أقدارهم، حتى يتمحصوا للعبودية لله عز وجل .

ألا ترى كيف نهى الله تعالى رسول الله ﷺ عن النظر لبعض المباحات فقال : ﴿لَا تَمْدَن عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ

(١) الآيتان ١٦٢، ١٦٣ الأنعام .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء فى صلاة الليل ٣٠٩/٣ رقم ٧٧١ من حديث على رضى الله عنه .

(٣) يراجع ص ٥، ٦ .

للمؤمنين. وقل إني أنا النذير المبين^(١) مع قوله تعالى في مقام آخر : ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾^(٢).

فتأمل كيف أن الله عز وجل لم يحرم التمتع بالزينة، وأكل الطيبات إذا كانت من كسب الحلال، ومع ذلك نهى رسول الله ﷺ عن النظر إلى زينة الحياة الدنيا، وهي من المباحات، فكيف يحرم النظر إليها؟! "إن ذلك ما هو إلا لأن الله تعالى أخذ الأنبياء بمثاقيل السدر لقربهم عنده، وحضورهم، وتجاوز عن العامة أمثال ذلك، فإن الزلة على بساط الآداب، ليست كالذنب على الباب، كما لا يخفى على أولى الألباب، ممن قالوا : حسنات الأبرار سيئات المقربين"^(٣).

وتأمل قوله ﷺ يوم فتح مكة : "إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين"^(٤) يعنى : الإشارة بالعين فى الأوامر حتى يفصح بها، والإشارة بالعين فى الأوامر مباحة لغير الأنبياء، لكن نهى عنها الأنبياء تنزهاً وتأكيذاً لرفع الالتباس"^(٥).

إن رب العزة يأمر رسوله ﷺ بما يشاء، وإن استحال تركه، نحو قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾^(٦) وقوله سبحانه : ﴿فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر﴾^(٧) وقوله عز وجل : ﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله﴾^(٨) وقد كان ﷺ من أتقى

(١) الآيتان ٨٨، ٨٩ الحجر.

(٢) الآية ٣٢ الأعراف.

(٣) شرح الشفا للقارى ٦٩/١، ويراجع ص ١٢٧.

(٤) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الحدود، باب الحكم فىمن ارتد ١٢٨/٤ رقم ٤٣٥٩، وفى كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام ٥٩/٣ رقم ٢٦٨٣، وصحح إسناده ابن تيمية فى الصارم المسلول ص ١٠٩، وأخرجه النسائى فى سننه كتاب تحريم الدم، باب الحكم فى المرتد ١٠٥/٧ رقم ٤٠٦٧، والبيهقى فى سننه كتاب الجزية، باب الحربى إذا لجأ إلى الحرم، وكذلك من وجب عليه الحد ٢١٢/٩ والحاكم فى المستدرک ٤٧/٣ رقم ٤٣٦٠ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٥) تنزيه الأنبياء لعلى السبى ص ٨٤، ٨٥، وينظر : الخصائص الكبرى للسيوطى ٤١٤/٢.

(٦) جزء من الآية الأولى الأحزاب.

(٧) الآيتان ٩، ١٠ الضحى.

(٨) الآية ١٠٩ يونس.

وأخشى خلق الله عز وجل^(١) وما قهر يتيماً، وما نهر سائلاً، وإنما كان مثلاً أعلى للبذل والعطاء حتى شهد له ربه عز وجل بذلك بقوله : ﴿فَلا أقسم بما تبصرون. وما لا تبصرون. إنه لَقول رسول كريم﴾^(٢) وهو ما شهدت به سيرته العطرة قبل أن يأتيه وحى الله تعالى وبعده.

فقد وصفته خديجة رضى الله عنها بقولها : "إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل"^(٣) وتكسب^(٤) المعدوم، وتقرى الضيق، وتعين على نوائب الحق"^(٥) فهي تصفه بهذه الصفات البالغة عظمة وخطورة، التي كان عليها قبل بعثته ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء أمته، ولا قد أضفت عليه النبوة زيادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله؟! لا جرم أن كرمه ﷺ بعد ذلك سيكون بالغاً ذروة الذرى فى كرم الأنبياء وسائر البشر، وهو ما دلت عليه الدلائل النقلية الكثيرة منها ما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : "ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال : لا"^(٦) وهو ما يؤكد ما سبق من أن رب العزة يأمر نبيه ﷺ بما شاء، وإن استحال عليه تركه، ومَن عنده خلاف ذلك فليأتنا به!؟

كما أن رب العزة ينهى رسوله ﷺ عما يشاء، وإن لم يكن وقوعه منه كما قال تعالى : ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾^(٧) أى لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه، لأنه طمع لا يليق بك، بل اعط لربك، واقصد به وجهه^(٨) وهكذا كان خلقه ﷺ.

(١) يراجع الشواهد على ذلك ص ١٣٠ - ١٣٢ .

(٢) الآيات ٣٨ - ٤٠ الحاقة .

(٣) هو الثقل من كل ما يتكلف من عيال ونحوهم. النهاية فى غريب الحديث ١٩٨/٤ .

(٤) بضم أوله، وكسر ثانيه، كما هي إحدى روايات الحديث، وهو الأوجه فى ضبطها كما رجحه النووى فى شرح مسلم ٤٨١/١ رقم ٢٥٢، ومعناها : تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك .

(٥) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب بدء الوحي ٣٠١/١ رقم ٣، ومسلم (بشرح النسوى) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٤٧٤/١ رقم ٢٥٢ .

(٦) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ٤٧٠/١ رقم ٦٠٣٤، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط، فقال : لا ٧٩ / ٨ رقم ٢٣١١ .

(٧) الآية ٦ المدثر .

(٨) المواهب اللدنية للسفطان وشرحها للزرقانى ١٤٤/٧، ١٤٥ .

وقال سبحانه : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(١) وما كان طردهم ﷺ من مجلسه، وما كان من الظالمين أى ممن ظلمهم بطردهم، لأنه لم يقع منه ذلك .

فعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : كنا مع النبى ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبى ﷺ : اطرده هؤلاء لا يجترئون علينا، قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل، وبلال ورجلان لست أسميهما. فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع. فحدث نفسه. فأنزل الله عز وجل : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٢).

وهذا أصح ما روى فى سبب نزولها. وعند الحاكم فى مستدركه جاء هذا الحديث عن سعد أيضاً ولم يذكر فيه ما جاء فى رواية مسلم من قول سعد "وقع فى نفس النبى ﷺ ما شاء الله أن يقع. فحدث نفسه، فنزلت الآية".

وإنما الذى جاء فى حديث الحاكم أن سعداً قال : "نزلت هذه الآية فى خمس من قريش أنا وابن مسعود فيهم، فقالت قريش للنبى ﷺ : لو طردت هؤلاء عنك جالسناك! تنهى هؤلاء دوننا، فنزلت ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾... إلى قوله... ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾^(٣) ولا يخلو هذا من الإشعار الذى أشعر به حديث مسلم فى كلام سعد، وإن كان حديث مسلم أصرح فى الإشعار من حديث الحاكم .

ولعل حديث الحاكم دخله شئ من الاختصار، أو أن حديث مسلم روى بالمعنى فدخله شئ من التفصيل .

(١) الآية ٥٢ الأنعام .

(٢) الآية ٥٢ الأنعام، والحديث أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ١٩٩/٨ رقم ٢٤١٣ .

(٣) الآيتان ٥٢، ٥٣ والحديث أخرجه الحاكم فى المستدرک ٣٦٠/٣ رقم ٥٣٩٣ وقال : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذمى .

وحديث سعد - عند مسلم - صريح في أن العتاب في الآية وقع على ما حدث به النبي ﷺ نفسه. وهذا على فرض التسليم به لا يقدح في عصمته ﷺ، لأن همه ﷺ بذلك كان ابتغاء مرضاة الله تعالى، برضاء إسلام قومه، وذلك لا يضر في نفس الوقت أصحابه رضي الله عنهم لعلمه ﷺ بأحوالهم ورضاهم بما يرضاه^(١) وإلا فما ورد على لسان سعد من همه ﷺ بالاستجابة لاقتراحهم لا حجة فيه، فقد أخبر بحسب ظنه، وأخبر عن أمر لا يعلمه إلا علام الغيوب المطلع على أسرار قلوب خلقه.

ويؤكد أن الإخبار عن هذا لهم بحسب ظن الراوى، وأن رسول الله ﷺ ما كان ليطردهم، ما أنزل عليه ﷺ من قبل آية الأنعام، مما جاء على لسان نوح عليه السلام جواباً على مثل اقتراح كفار قريش. قال تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي آرَاقِمُ قَوْمًا يَجْهَلُونَ. وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

وهذا ما تؤكد الروايات السابقة، وشواهدا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه^(٣) وخياب رضي الله عنه^(٤) حيث لم يرد في شيء منها أن رسول الله ﷺ طرد أحداً من أصحابه في مجلسه.

بل الروايات جميعها على أنه بمجرد اقتراح أهل الشرك على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم يوماً يجلسون معه دون الفقراء والعبيد، نزلت الآية جواباً على اقتراحهم أو سؤالهم، بنهيهم ﷺ عن ذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٥).

(١) ينظر: شرح الزرقاني على المواهب ٣٢/٩.

(٢) الآيتان ٢٩، ٣٠ هود.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤/٤٢٠، والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٠، ٢١.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء ٢/٥٤٤، ٥٤٥ رقم ٤١٢٧ وسنده صحيح كما قال البوصري في مصباح الزجاجة ٣/٢٧٦، ٢٧٧ رقم ١٤٦٢، وقال ابن كثير بعد أن أورده من رواية ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٢٥٥، وهذا حديث غريب، فإن هذه الآية مكية، والأقرع بن حابس، وعيينه، إنما أسلما بعد الهجرة بدهر. قلت: يحتمل أن يكون الأقرع وعيينه نزلًا بمكة، وكانا ممن قال به كفار قريش، فلا غرابة أم والله أعلم.

(٥) الآية ٥٢ الأنعام.

وهذه مِنَّةٌ من الله عز وجل على رسوله ﷺ، حيث عاتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد العثرات الصورية، وأدب نبيه ﷺ بأشرف الآداب، وأجل الأخلاق، وعاتبه إن كان ثمَّ عتاب - قبل وقوعه ليكون بذلك أشدَّ انتهاء عن المخالفة، ومحافظة لشرائط المحبة، وهذه غاية العناية والرعاية في العصمة^(١).

وإذا تقرر أن الله عز وجل ينهى رسوله ﷺ عما يشاء وإن لم يكن وقوعه منه، علمت الجواب الرابع عن هذه الشبهة وهو :

رابعاً : الأوامر والنهي السابقة في حقه ﷺ لا تقتضى الوقوع ولا الجواز فقوله تعالى : ﴿لَنْ أَسْرِكَ لِيُحِبِّطَنَّ عَمَلُكَ﴾^(٢) كقوله عز وجل : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾^(٣) وقوله سبحانه : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٤) وقوله : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٥) وقوله : ﴿وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٦) وقوله : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾^(٧) وقوله : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾^(٨) وقوله : ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٩) فكل هذا شرط، والشرط لا يقتضى الوقوع ولا الجواز، إذ لا يصح ولا يجوز على رسول الله ﷺ، أن يشرك، ولا أن يدعو من دون الله أحداً، ولا أن يخالف أمر ربه عز وجل، ولا أن يتقول على الله ما لم يقل، أو يفترى على الله شيئاً، أو يضل، أو يختم على قلبه، أو يشك .

(١) شرح الشفا للقرارى ٦٩/١، وينظر : آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة ص ٢١٥ - ٢١٧ .

(٢) الآية ٦٥ الزمر .

(٣) الآية ١٠٦ يونس .

(٤) جزء من الآية ٢٤ الشورى .

(٥) جزء من الآية ٦٧ المائدة .

(٦) الآية ١١٦ الأنعام .

(٧) الآية ٨١ الزخرف .

(٨) الآيات ٤٤ - ٤٦ الحاقة .

(٩) الآية ٩٤ يونس .

فمثال هذه الآيات إن كانت الخمسة زوجاً كانت منقسمة بمتساويين^(١) أى أن الشرط فى الآيات السابقة فى حقه عز وجل، وفى حقه ﷺ، وحق غيره، معلق بمستحيل، فكما لا تنقسم الخمسة على متساويين، فكذلك الشرط فى الآيات السابقة لا يكون منه ﷺ، لا وقوعاً ولا جوازاً.

خامساً : وقيل فى الجواب عن الآيات التى معنا، أن الخطاب فى الظاهر فيها للنبي ﷺ والمراد بها غيره، إذ هو معصوم من مخالفة الأوامر، وارتكاب النواهي الواردة فى الآيات، ومستحيل عليه فعلها، لعصمة الله عز وجل له، وإنما هذا إيهام لغيره من المسلمين، أن الرسول ﷺ، وهو رسول رب العالمين، ذو المنزلة الرفيعة، والمقام الأسمى عند الله عز وجل، إن افترض وقوع ذلك منه، فإن الله تعالى يجازيه على ما فرط، فكيف إذا فعل ذلك أحد من المؤمنين؟! فسيلقى عقابه من باب أولى، وذلك أيضاً إيضاح لقدرة الله عز وجل، وأنه عدل، ولا يحابى أحداً من خلقه فليس أحد من المشركين بمأمن من عذابه تعالى حتى ولو كان نبياً، وهنا يفهم المؤمنون عامة، هذه الحقائق، فيرتدعون عن المعاصي والذنوب والآثام، خوفاً منه تعالى وخشية، مادام سبحانه لا يستثنى أحداً من عذابه، إن أشرك.. حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - ولكنهم لا يشركون لعصمة الله عز وجل لهم^(٢).

ومن ظن بأن الله تعالى يمكن أن يُقَدَّرَ على الأنبياء، وعلى خاتمهم ﷺ ارتكاب الكبائر من الكفر والشرك والشك أو نحو ذلك، فقد ظن السوء بربه، أعوذ بالله تعالى من الخزي والخذلان، وسوء الخاتمة والمنقلب أهـ.

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

(١) ينظر : التفسير الكبير للرازي ١٢/١٧٠، والبحر المحيط لأبي حيان ٨٦/٤ .

(٢) ينظر : نوال المني في إثبات عصمة أمهات وأزواج الأنبياء من الزن للشيخ محمد نسيب الرفاعي

المطلب الرابع

شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله ﷺ
بتعرض الشيطان له والجواب عنها

زعم أعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة أن رسول الله ﷺ غير معصوم من الشيطان، واستدلوا على ذلك بآيات ورد فيها مخاطبة النبي ﷺ بتعرض الشيطان له بالسوسة، وتسيبه في سهوه، نحو قوله تعالى : ﴿وإما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾^(١) وقوله عز وجل : ﴿وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾^(٢) وقوله سبحانه : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾^(٣).

ويجاب عن ما سبق بما يلي :

أولاً : التعلق بظاهر الآيات السابقة على عدم عصمة رسول الله ﷺ من الشيطان لا حجة فيه لهم، إذ لم يسلط الشيطان على رسول الله ﷺ، وعلى سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بأكثر من التعرض لهم، دون أن يكون له قدرة على إلحاق أى ضرر يضر بالدين .

وعصمة سيدنا رسول الله ﷺ من كيد إبليس وجنوده هو وسائر الأنبياء، ثابتة لهم بكتاب الله عز وجل، فهم على رأس عباد الله المخلصين الذين لا سلطان للشيطان عليهم لقوله : ﴿إن

(١) الآية ٢٠٠ الأعراف .

(٢) الآية ٦٨ الأنعام .

(٣) الآية ٥٢ الحج، ومن قال بهذه الشبهة : جعفر مرتضى العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم ١٨٠/٥، ١٨٢، وعبد الحسين شرف الدين في كتابه أبو هريرة ص ٩٦ - ١٠٠، وأمر محمد قزويني في كتابه الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ص ٣٦٩، وصالح الورداني في كتابه أهل السنة شعب الله المختار ص ٦٥ - ٦٨، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٢٥٨، ٢٦٧، وأحمد حسين يعقوب في كتابه مساحة للحوار ص ١١٩، وهؤلاء الشيعة أنكروا السهو والنسيان في حقه ﷺ، وزعموا أنه قادم في النبوة، وأن الأحاديث الواردة في ذلك أخبار آحاد روتها الناصية يعنون (أهل السنة) فلا يصح الاعتماد عليها للاعتقاد، لأنه يكون من اتباع الظن "أهـ" وفي مقابلهم استدل بالسهو في حقه ﷺ على عدم عصمته أحمد صبحي منصور في كتابه الأنبياء في القرآن ص ٣٤، ٣٥، وغيره ممن سبق ذكرهم في المطلب الثالث ص ١٢٩ .

عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا^(١) وقد تقدم تفصيل عصمته ﷺ من الشيطان الرجيم فى قلبه وعقيدته وخلقه منذ الصغر بنزع العلقة السوداء - حظ الشيطان - من قلبه ﷺ وعلى هذا إجماع الأمة، كما قال القاضى عياض : "واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبى ﷺ من الشيطان وكفايته منه، لا فى جسمه بأنواع الأذى، ولا على خاطره بالوساوس"^(٢).

وهو بذلك يبين حقيقة العصمة من للشيطان، وأنها لا تتعارض مع تعرض الشيطان لخاطره ﷺ بالوساوس.

واستدل القاضى على ذلك بحديث ابن مسعود مرفوعاً : "ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة، قالوا : وإياك يا رسول الله؟ قال : وإيسى، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم. فلا يأمرنى إلا بخير"^(٣).

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بتصدى الشياطين له فى غير موطن رغبة فى إطفاء نوره، وإماتة نفسه الشريفة، وإدخال شغل عليه، إذ يسو من إغوائه فانقلبوا خاسرين، كتعرضه له فى صلاته فأخذه النبى ﷺ وأسر^(٤) وقد سبق ذكر نماذج من هذه الأحاديث^(٥) التى تتفق فى ظاهرها مع الآيات التى استدل بها خصوم الميرة العطرة على عدم عصمته ﷺ من الشيطان، دون أن يفهموا حقيقة ظاهر هذه الآيات، وهو : أن المراد بقوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٦) أى يتعرض لك الشيطان بأذى وسوسة - إذ النزغ أذى الوسوسة، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، يكفى أمرك، ويكون سبب تمام عصمتك^(٧)، إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له، ولم يجعل له قدرة عليه^(٨) وهو ما أكدته الأحاديث المشار إليها.

(١) الآية ٦٥ الإسراء.

(٢) الشفا ١١٧/٢.

(٣) سبق تخريجه ص ٥٠.

(٤) سبق ذكره وتخريجه ص ٥١.

(٥) يراجع ص ٥٠ - ٥٢.

(٦) الآية ٢٠٠ الأعراف.

(٧) على ما سبق فى تعريف العصمة من بقاء الاختيار للنبي المعصوم فى أقواله، وأفعاله تحقيقاً للابتلاء. يراجع ص ٥ وما بعدها.

(٨) ينظر : الشفا ١٢٠/٢، والمواهب اللدنية وشرحها للزرقانى ٩/ ٣٢، ٣٣.

ثانياً : ما يتوهم من قدرة الشيطان على النبي ﷺ حيث أسند النسيان بسبب الشيطان إلى ضمير خطابه ﷺ في قوله تعالى : ﴿وإما ينسinek الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾^(١).

فليس في الآية دليل على تسلط الشيطان على النبي ﷺ، لأن فعل الشيطان في هذا النسيان، لا يعدو أكثر من شغل خاطره ﷺ وتذكيره أكثر فأكثر بحرصه على إسلام قومه، مع شدة كفرهم وعنادهم، وطعنهم في آيات الله عز وجل، فيكون شغله وتذكيره بهذا الحرص، سبباً في نسيان الإعراض عنهم حتى يخوضوا في حديث غير حديث القرآن الكريم، وهذا ما يقتضيه سياق الآية الكريمة : ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسinek الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾^(٢) كما أن هذا المعنى هو ما يقتضيه واقع حال النبي ﷺ في دعوته.

والنسيان في هذه الحالة لا طلب عليه في الشرع، ولا ذم بالإجماع، كما أنه لا يتعارض مع عصمته ﷺ.

فالسهو والنسيان من الأنبياء في الأفعال البلاغية، والأحكام الشرعية جائز في حقهم، وهو ظاهر القرآن الكريم، والسنة النبوية، وهو مذهب جمهور العلماء من الفقهاء والمتكلمين^(٣).

وفرقوا بين ذلك، وبين السهو في الأقوال البلاغية : فأجمعوا على منعه، كما أجمعوا على امتناع تعمد، لقيام المعجزة على الصدق في القول، ومخالفة ذلك بتأقضها.

أما السهو في الأفعال البلاغية، فغير مناقض لها ولا قاذح في النبوة، بل غلطات الفعل، وغفلت القلب من سمات البشر، كما قال ﷺ : "إما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني"^(٤) وحالة النسيان والسهو هنا - في الأفعال البلاغية - في حقه ﷺ سبب إفادة

(١) الآية ٦٨ الأنعام.

(٢) الآيتان ٦٧، ٦٨ الأنعام.

(٣) ولم يخالف في ذلك إلا الشيعة وغيرهم ممن سبق ذكرهم هامش ص ١٣٩ .

(٤) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان ٦٠٠/١

رقم ٤٠١، ومسلم (بشرح النووي) كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له ٦٣/٣

رقم ٥٧٢ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

علم، وتقرير شرع، كما قال ﷺ : "إِنِّي لَأُنْسِي، أَوْ أُنْسَى لَأُسْنُ" (١) أى : إنما أدفع إلى النسيان لسوق الناس بالهداية إلى طريق مستقيم، وأبين لهم ما يحتاجون أن يفعلوا إذا عرض لهم النسيان (٢).

وهذه الحالة زيادة له فى التبليغ، وتماز عليه فى النعمة، بعيدة عن سمات النقص، وأغراض الطعن، فإن القائلين بتجويض ذلك يشترطون أن الرسل لا تقر على السهو والغلط، بل ينهون عليه، ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح، وقبل انقراضهم على قول الآخرين.

وأما ما ليس طريقه البلاغ، ولا بيان الأحكام من أفعاله ﷺ، وما يختص به من أمور دينه، وأنكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه. فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها، ولحوق الفترات، والخفلات بقلبه، وذلك مما كلفه من مقاساة الخلق، وسياسات الأمة، ومعاونة الأهل، وملاحظة الأعداء، ولكن ليس على سبيل التكرار، ولا الاتصال، بل على سبيل الندور (٣) كما قال ﷺ : "إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله، فى اليوم مائة مرة" (٤) وفى رواية : "فى اليوم أكثر من سبعين مرة" (٥).

"والغين" بالغين المعجمة الغيم، والمراد هنا ما يتغشى القلب من السهو الذى لا يخلو منه البشر (٦) وذكر العلماء عدة أقوال فى البراد بالحديث منها ما يلى :

(١) أخرجه مالك فى الموطأ كتاب السهو، باب العمل فى السهو ١٠٠/١، رقم ٢، قال ابن عبد البر لا أعلم هذا الحديث روى عن النبي ﷺ مسنداً ولا مقطوعاً، من غير هذا الوجه، وهو أحد الأحاديث الأربعة التى فى الموطأ، التى لا توجد فى غيره مسنده ولا مرسله. ومعناه صحيح فى الأصول. وقال الحافظ فى فتح البارى ١٢٢/٣ رقم ١٢٢٩ هذا الحديث لا أصل له، فإنه من بلاغات مالك، التى لم توجد موصولة بعد البحث الشديد، وقال الشوكانى فى نيل الأوطار ١٠٩/٣، وهو أحد الأحاديث الأربعة التى تكلم عليها فى الموطأ.

(٢) لسان العرب ١٣/٢٢٥، والقاموس المحيط ٢٣٣/٤، والمعجم الوسيط ٤٥٥/١.

(٣) الشفا ١٥٠/٢، ١٥١، وينظر : فتح البارى ١٢١/٣ رقم ١٢٢٩، والبحر المحيط فى أصول الفقه ١٧٣/٤، ١٧٤.

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الذكر، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ٢٨/٩ رقم ٢٧٠٢ من حديث الأغر المزنى رضى الله عنه.

(٥) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الدعوات، باب استغفار النسي ﷺ فى اليوم والليلى ١٠٤/١١ رقم ٦٣٠٧ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٦) النهاية فى غريب الحديث ٣٦٢/٣.

١- قال القاضي عياض : المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذى كان شأنه الدوام عليه، فإذا افتر عنه أو غفل عد ذلك ذنباً، واستغفر منه .

٢- أن الغين همه بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالها بعده، فيستغفر لهم، وسببه اشتغاله بالنظر فى مصالح أمته وأمورهم، ومحاربة العدو ومداراته، وتأليف المؤلفه، ونحو ذلك فيشتغل بذلك عن عظيم مقامه، فيراه ذنباً بالنسبة إلى عظيم منزلته. وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات، وأفضل الأعمال، فهي نزول عن على درجته، ورفيع مقامه من حضوره مع الله تعالى ومشاهدته ومراقبته وفراغه مما سواه، فيستغفر لذلك .

٣- أن الغين هو السكينة التى تغشى قلبه، لقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ (١) ويكون استغفاره إظهاراً للعبودية والافتقار، وملازمة الخشوع وشكراً لما أولاه (٢).

٤- أن الغين حاله خشية وإعظام، والاستغفار شكرها، ومن ثم قيل : خوف الأنبياء والملائكة خوف إجلال وإعظام، وإن كانوا آمنين عذاب الله تعالى .

٥- أن الغين ليست حالة نقص فى حاله ﷺ، بل هو كمال أو نعمة كمال ومثال ذلك : بجفن العين حين يسبل ليدفع القذى عن العين مثلاً، فإنه يمنع العين من الرؤية، فهو من هذه الحيثية نقص، وفى الحقيقة هو كمال. فهكذا بصيرة النبي ﷺ متعرضة للأغيرة النائرة من أنفاس الأغيار، فدعت الحاجة إلى الستر على حدة بصيرته صيانة لها، ووقاية عن ذلك (٣).

قلت : والأقوال السابقة معناها محتمل، وجائزة فى حقه ﷺ، ولا تنافض عصمته. أهـ.
والله أعلم.

وأما قوله حين نام عن الصلاة يوم الودى لما عاد من خبير أو من الحديبية و بطريق تبوك روايات (٤) : "فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان" (٥) وفى رواية قال ﷺ : "إن هذا واد به شيطان" (٦).

(١) الآية ٢٦ التوبة.

(٢) المنهاج شرح مسلم للنووى ٢٩/٩، ٣٠ رقم ٢٧٠٢، والشفا ١٠٦/٢، ١٠٧ .

(٣) ينظر: فتح البارى ١٠٤/١١، ١٠٥ رقم ٦٣٠٧، وشرح الزرقانى على المواهب ١٣١/٧ - ١٤٠ .

(٤) شرح الزرقانى على المواهب ٣٥/٩، وينظر : فتح البارى ٥٣٤/١ رقم ٣٤٤، والمنهاج شرح مسلم ٢٠٢/٣ رقم ٦٨٠ .

(٥) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة ١٩٧/٣ رقم ٦٨٠ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٦) أخرجه مالك فى الموطأ، كتاب الصلاة، باب النوم عن الصلاة ٤٥/١ رقم ٢٦ مرسلًا من حديث زيد بن أسلم .

فهذا الحديث ليس فيه ذكر لتسلط الشيطان عليه ﷺ، ولا وسوسته له، ولا يصح الطعن في عصمة النبي ﷺ بمقتضى ظاهر هذا الحديث، لأنه ﷺ بين على من تسلط الشيطان بقوله ﷺ : "إن الشيطان أتى بلالاً، وهو قائم يصلي، فأضجعه، فلم يزل يهدئه^(١) كما يهدأ الصبي حتى نام"^(٢)، فظهر من ذلك أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي، إنما كان على بلال الموكل بمراقبة طلوع الفجر ليوقظهم، كما جاء في حديث أبي هريرة السابق، أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر، سار ليلة، حتى إذا أدركه الكرى^(٣) عرس^(٤) وقال لبلال : "اكلاً^(٥) لنا الليل" فصلى بلال ما قدر له، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه. فلما تقارب الفجر، استند بلال إلى راحلته مواجهة الفجر، فغلبت بلالاً عيناه، وهو مستند إلى راحلته. فلم يستيقظ رسول الله ﷺ، ولا بلال، ولا أحد من أصحابه، حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً^(٦).

فإن قيل : كيف نام النبي ﷺ عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس مع قوله ﷺ : "إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي"^(٧) فجوابه من وجهين :

١- أحدهما وأشهرهما : أنه لا منافاة بينهما، لأن القلب إنما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والألم ونحوهما، ولا يدرك طلوع الفجر وغيره مما يتعلق بالعين، وإنما يدرك ذلك بالعين، والعين نائمة، وإن كان القلب يقظان.

٢- أنه ﷺ كان له حالان : أحدهما ينام فيه القلب، وصادف هذا الموضع. والثاني : لا ينام، وهذا هو الغالب من أحواله. وهذا التأويل ضعيف، والصحيح المعتمد هو الأول^(٨).

(١) أى يسكنه وينومه، من هدأت الصبي إذا وضعت يدك عليه لينام، وروى "يهدده" من هدهدت الأم ولدها لينام، أى حركته. ينظر : شرح الزرقاني على الموهب ٣٦/٩، والنهاية في غريب الحديث ٢١٩/٥.

(٢) أخرجه مالك في الأماكن السابقة نفسها.

(٣) الكرى : بفتح الكاف، النوم، وقيل : النعاس. النهاية في غريب الحديث ١٤٧/٤.

(٤) التعريس : نزول المسافر آخر الليل، نزلة للنوم والاستراحة. المصدر السابق ١٨٦/٣.

(٥) أى راقب واحفظ واحرس لنا وقت الفجر لتوقظنا. المصدر نفسه ١٦٨/٤.

(٦) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب المساجد، باب قضاء الفائتة ١٩٦/٣ رقم ٦٨٠، وينظر : رواية أبي قتادة في صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب مواقيت الصلاة، باب الآذان بعد ذهاب الوقت ٧٩/٢ رقم ٥٩٥.

(٧) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره ٤٠/٣ رقم ١١٤٧، ومسلم (بشرح النووي) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ ٢٧٠/٣ رقم ٧٣٨ من حديث عائشة رضی الله عنها.

(٨) قاله النووي في المنهاج شرح مسلم ٢٠٣/٣ رقم ٦٨٠، ووافقه ابن حجر في فتح البارى ٥٣٦/١ رقم ٣٤٤.

وقريب من الأول، من قال : إن القلب قد يحصل له السهو في اليقظة لمصلحة التشريع، ففي النوم بطريق الأولى، أو على السواء^(١) ويؤيد ذلك ما جاء في رواية أبي قتادة رضي الله عنه^(٢) قال : "جعل بعضنا يهمس إلى بعض! ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟ ثم قال : أما لكم في أسوء؟ ثم قال : أما إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يصل الصلاة، حتى يجئ وقت الصلاة الأخرى. فمن فعل ذلك فليصلها حتى ينتبه لها. فإذا كان الغد فليصلها عند وقتها"^(٣).

والكلام فيما سبق من ظاهر تسلط الشيطان على بلال، موجه إلى أن جملة : "إن هذا واد به شيطان" تنبيهاً على سبب النوم عن الصلاة، وهو تنويم الموكل بحراسة الوقت.

أما عن جعلنا جملة : "إن هذا واد به شيطان" تنبيهاً عن سبب الرحيل عن الوادي، وعلة لترك الصلاة به، على ما جاء في رواية مالك في الموطأ^(٤) فلا اعتراض بهذا الحديث على عدم عصمة رسول الله ﷺ من الشيطان^(٥) أهـ.

والله تبارك وتعالى اعلم

(١) قاله ابن المنير، ينظر : فتح الباري ٥٣٦/١ رقم ٣٤٤ .

(٢) هو الحارث بن ربيع السلمي الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل له ترجمة في : أسد الغابة ٢٤٤/٦ رقم ٦١٧٣، والاستيعاب ١٧٣١/٤ رقم ٣١٣٠، وتاريخ الصحابة ص ٦٩ رقم ٢٤١ .

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب المساجد، باب قضاء الفائتة ١٩٧/٣ رقم ٦٨١، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب مواقيت الصلاة، باب الأذان بعد ذهاب الوقت ٧٩/٢ رقم ٥٩٥ .

(٤) فبعد قوله ﷺ : "إن هذا واد به شيطان" قال زيد بن أسلم : فركبوا حتى خرجوا من ذلك الواد، ثم أمرهم أن يتزلقوا ويتوضؤوا، وأمر بلالاً أن ينادي بالصلاة أو يقيم، فصلى رسول الله ﷺ بالناس الحديث أخرجه مالك في الموطأ كتاب وقوت الصلاة، باب النوم عن الصلاة ٤٥/١ رقم ٢٦ .

(٥) ينظر : شرح الزرقاني على المواهب ٣٦/٩، ٣٧، والشفا ١٢٢/٢ .

المطلب الخامس

شبهتهم حول آيات ورد فيها معاتبة رسول الله ﷺ
والجواب عنها

مما استدل به الطاعنون في عصمة النبي ﷺ وزعموه أدلة على صدور وجواز الكبائر والصغائر من الذنوب عنه ﷺ. ما ورد في القرآن الكريم من آيات ظاهرها عتاب رسول الله ﷺ نحو قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يُزَكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى. أَمَّا مَنْ اسْتَقْنَى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى. وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى. وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَغْشَى. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾^(١) وقوله سبحانه : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ. تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢) وقوله عز وجل : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(٣) وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤) وقوله : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾^(٥).

ويجاب عن ما سبق إجمالاً بما يلي :

-
- (١) الآيات ١ - ١٠ عبس.
 - (٢) الآيتان ٦٧، ٦٨ الأنفال.
 - (٣) الآيات ٣٧ - ٣٩ الأحزاب.
 - (٤) الآية الأولى التحريم.
 - (٥) الآية ٤٣ التوبة، ومن قال بهذه الشبهة، در منغم في حياة محمد ص ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٢٨، ومونتجمري وات في محمد في المدينة ص ٤٣٤، ٥٠٢، وغوستاف لوبون في حضارة العرب ص ١١٢، وكارل بروكلمان في كتابيه تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٦٧، وتاريخ العرب ص ١٦٦، وجولد تسيهر في العقيدة والشرعية في الإسلام ص ١٤٣، ومجهول صاحب كتاب الإسلام بدون حجاب مستل من شبكة الإنترنت ص ٢٧، ونيازي عز الدين في إنذار من السماء ص ١٧٩ - ١٨٢، وجمال البنا في الأصول العظيمة ص ٢٣٢، وأحمد صبحي منصور في كتابيه لماذا القرآن ص ٤٠، والأنبياء في القرآن دراسة تحليلية ص ٥٣، وغيرهم من سيأتي ذكرهم ص ١٧١ .

أولاً : إن عتاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الوارد في القرآن الكريم، هو في الظاهر عتاب، وفي الحقيقة كرامة وقربة لله عز وجل، وتنبية لغيرهم ممن ليس في درجتهم من البشر، بمواخذتهم بذلك، فيستشعروا الحذر، ويلتزموا الشكر على النعم، والصبر على المحن، والتوبة عند الزلة^(١).

ثانياً : أن الله تعالى أن يعتب أنبياءه وأصفياه، ويؤدبهم، ويطلبهم بالنقير والقطمير من غير أن يلحقهم في ذلك نقص من كمالهم، ولا غض من أقدارهم، حتى يتمحصوا للعبودية لله عز وجل^(٢).

ثالثاً : أن غاية أقوال الأنبياء وأفعالهم التي وقع فيها العتاب من الله عز وجل لمن عاتبه منهم، أن تكون على فعل مباح، كان غيره من المباحات أولى منه في حق مناصبهم السنية.

رابعاً : المباحات جائز وقوعها من الأنبياء، وليس فيها قدح في عصمتهم ومنزلتهم، فهم لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات، مما يتقون به على صلاح دينهم، وضرورة دنياهم، وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة، وصار قربة^(٣).

خامساً : أنه ليس كل من أتى ما يلام عليه يقع لومه، فاللوم قد يكون عتاباً، وقد يكون نمأً، فإن صح وقوع لومه، كان من الله عتاباً له لا نمأً، إذ المعاتب محبوب^(٤) والمذموم مدحور، فاعلم - رحمك الله - صحة التفرقة بين اللوم والذم قال الشاعر :

لعل عتبك محمود عواقبه *** فربما صحت الأجسام بالعلل^(٥).

إذا ذهب العتاب فليس ود *** ويبقى الود ما بقى العتاب^(٦).

سادساً : أن العتاب فيما قيل أنه عوتب عليه رسول الله ﷺ، إنما كان على ما حكم فيه رسول الله ﷺ بالاجتهاد، والاجتهاد محتمل الخطأ، فكان تصحيح الخطأ في اجتهاده من الله عز وجل، بتوجيهه ﷺ إلى الأخذ بالصواب فعاد الحكم بذلك إلى الوحي.

سابعاً : عدم ورود نهى عما عوتب فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حتى يكون عتابهم ثم نم.

(١) الشفا ١٧١/٢ بتصرف.

(٢) يراجع : ص ١٣٢ - ١٣٧ .

(٣) يراجع : ص ١٢٧ .

(٤) أى مظنة للحبور، وهو السرور. النهاية في غريب الحديث ٣١٦/١ .

(٥) البيت للمتنبي في ديوانه (بشرح العكبري) ٨٦/٣ .

(٦) البيت في الأمثال والحكم للرازي ص ١٠٣ ولم ينسبه، وينظر : تزيه الأنبياء لعلى السبكي ص ١١٨،

ثامناً : إنه ما من آية ظاهرها عتاب رسول الله ﷺ إلا وهى واردة فى مقام المنة على رسول الله ﷺ، وبيان عظيم فضله ومكانته عند ربه عز وجل بأعظم ما يكون البيان .

وإليك التفصيل :

١- ما استدلوا به من قوله تعالى : ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾^(١).

هذه الآية بحسب الأسلوب العربى، تفيد تكريم النبى ﷺ وتعظيمه، خلافاً لمن وهم، ففهم منها عتابه أو تأنيبه، لأن النبى ﷺ لم يخالف أمراً ولا نهياً، فيستوجب ما فهمه ذلك الواهم .

فرسول الله ﷺ لما عزم على الخروج إلى تبوك، استأذنه بعض المنافقين فى التخلف، لأعذار أبدوها، فأذن لهم فيه لسببين :

أحدهما : أن الله لم يتقدم إليه فى ذلك بأمر ولا نهى .

ثانيهما : أنه لم يرد أن يجبرهم على الخروج معه، فقد يكون فى خروجهم على غير إرادتهم ضرر .

فأنزل الله تعالى : يبين له أن ترك الإنذن لهم كان أولى، لما يترتب عليه من انكشاف الصادق من الكاذب، فيما أبدوه من الأعذار، واستفتح رب العزة ما أنزله بجملة دعائية. هى قوله : ﴿عفا الله عنك﴾ على عادة العرب فى استفتاح كلامهم بهذه الجملة، أو بقولهم : غفر الله لك، أو جعلت فداك، أو نحوها يقصدون تكريم المخاطب؛ إذا كان عظيم القدر، ولا يقصدون المعنى الوصفى للجملة^(٢).

ولو بدأ رب العزة حبيبه ومصطفاه بقوله : ﴿لم أذنت لهم﴾ لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام، لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه، ثم قال له : لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق فى عذره من الكاذب؟

(١) الآية ٤٣ التوبة .

(٢) دلالة القرآن المبين على أن النبى ﷺ أفضل العالمين ص ٦٨ بتقدم وتأخير، وينظر : خواطر دينية ص ٤٣، ٤٤ كلاهما لعبد الله الغمارى، وشرح الزرقانى على المواهب ٤٠/٩ - ٤٢، والشفا ١٥٩، ١٥٨/٢ .

وفى هذا من عظيم منزلته عند الله مالا يخفى على ذى لب، ومن إكرامه إياه وبره به، ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب.

فليتأمل كل مسلم! هذه الملاحظة العجيبة فى السؤال من رب الأرباب، المنعم على الكل، المستغنى عن الجميع، ويستثير ما فيها من الفوائد.

وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب (وهل سمعتم بمعاتبته أحسن من هذا إن كان ثم عتب) وأنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب، وهكذا فى أثناء عتبه برأته، وفى طى تخويفه تأمينه وإكرامه^(١). إن قوله تعالى: ﴿لَمْ أَذْنَبْ لَهُمْ﴾ غاية ما يمكن أن يدعى فيها أن تكون دالة على أنه ﷺ ترك الأولى والأفضل، وقد بينت أن ترك الأولى ليس بذنب، وقد يقول أحدنا لغيره إذا ترك الذنب، لم تركت الأفضل، ولم عدلت عن الأولى، ولا يقتضى ذلك إنكاراً، ولا ذنباً^(٢).

أما قول بعضهم: إن هذه الآية تدل على أنه وقع من الرسول ذنب، لأنه تعالى قال: ﴿عفا الله عنك﴾ والعفو يستدعى سابقة ذنب، وأن الاستفهام فى قوله تعالى: ﴿لَمْ أَذْنَبْ لَهُمْ﴾ استفهام بمعنى الإنكار^(٣).

فهذا قول من يجهل لغة العرب فى استفتاح كلامهم بهذه الجملة ونحوها يقصدون بها تكريم المخاطب، إذا كان عظيم القدر، وتحاشيا عن جعل الاستفهام أول كلام للمعظم. وليس "عفا" هنا فى الآية بمعنى "غفر" أى ستر، وترك المؤاخذه بل بمعنى: لم يلزمك شيئا فى الآن، كما قال ﷺ: "إني قد عفوت عنك عن صدقة الخيل والرفيق، ولكن هاتوا ربع العشر من كل أربعين درهما، درهمين^(٤)".

(١) الشفا ٢٨/١، ٢٩، ٣٠ بتصرف، وقارن بشرح الزرقاني على المواهب ٤٠/٩.

(٢) ينظر: تزيه الأنبياء لعلى الحسين الموسوى ص ١١٤ بتصرف.

(٣) سيأتى بعد قليل التعرف بهم، ورد الأئمة عليهم.

(٤) أخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الزكاة، باب زكاة الورق والذهب ٥٥٩/١ رقم ١٧٩٠، وأبى داود فى سننه كتاب الزكاة، باب زكاة السائمة ١٠١/٢ رقم ١٥٧٤، والترمذى فى سننه كتاب الزكاة، باب ما جاء فى زكاة الذهب والورق ١٦/٣ رقم ٦٢٠ وقال: حديث صحيح، والنسائى فى سننه الصغرى كتاب الزكاة، باب زكاة الورق ٣٧/٥ رقم ٢٤٧٧ من حديث عيسى بن أبى طالب رضى الله عنه.

ولم تجب عليهم زكاة فى خيل ورقيق قط، أى : لم يلزمكم ذلك، فليس معناه : إسقاط ما كان واجباً، ولا ترك عقوبة هنا فتأمل^(١).

وصفوة القول : أن يقال : إما أن يكون صدر عن رسول الله ﷺ ذنب أم لا؟ فإن قلنا : لا! امتنع على هذا التقدير أن يكون قوله "لم أذنت لهم" إنكاراً عليه. وإن قلنا : إنه صدر عنه ذنب - وحاشاه الله من ذلك - فقوله عز وجل : ﴿عفا الله عنك﴾ يدل على حصول العفو، وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الإنكار عليه.

فثبت أنه على التقديرين المذكورين، يمتنع أن يقال : إن قوله : ﴿لم أذنت لهم﴾ يدل على كون الرسول منبياً، وهذا جواب شاف كاف قاطع.

وعند هذا يحمل قوله : ﴿لم أذنت لهم﴾ على ترك الأولى والأكمل، بل لم يعد هذا أهل العلم معاتبة، وغلطوا من ذهب إلى ذلك^(٢) كالإمام الزمخشري^(٣) فقد أساء الأدب فى التعبير - مع جلاله علمه - عن بيان العتاب - فى زعمه - فقال : إن قوله تعالى : ﴿عفا الله عنك﴾ كناية عن الجنابة، لأن العفو رادف لها، ومعناه : أخطأت وبئس ما فعلت^(٤).

وقد استغواه فى هذا التعبير السئ سلفه الجبائى^(٥) الذى يرى أن أذن رسول الله ﷺ للمستأذنين من المنافقين بالقعود عن الخروج معه إلى غزوة تبوك كان قبيحاً، ووقع صغيراً^(٦).

(١) ينظر : المواهب اللدنية وشرحها للزرقانى ٤١/٩، ٤٢، والشفاء ١٥٨/٢، وشرح السيوطى على النسائى، وحاشية السندى ٣٧/٥ رقم ٢٤٧٧.

(٢) المواهب اللدنية وشرحها للزرقانى ٤٢/٩، ٤٣، وينظر : زاد المسير لابن الجوزى ٤٤٥/٣، ونسيم الرياض ١٧٨/٤، وتفسير القرطبى ١٥٤/٨.

(٣) هو : أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، معتزلى، نحوى، مفسر، يلقب بجمار الله، مجاورته بمكة زماناً، من مصنفاته : الكشف عن حقائق التنزيل، والفايق فى غريب الحديث. مات سنة ٥٣٨هـ - له ترجمة فى : طبقات المفسرين للدوادى ٣١٤/٢ رقم ٦٢٥، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٤٨ رقم ١٤٧، وإشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي اليماني ص ٣٤٥ رقم ٢١٠، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١٦٨/٥ - ١٧٤ رقم ٧١١.

(٤) الكشف ١٩٢/٢.

(٥) هو : أبو على، محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائى، ينسب إلى جى - من قرى البصرة - كان من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام فى عصره، وإليه تنسب الطائفة الجبائية، من آثاره : التفسير الكبير، والأصول، وغير ذلك مات سنة ٣٠٣هـ. له ترجمة فى : طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٧، ٥٧، ٦٨، ولسان الميزان ٣٢٠/٦ رقم ٧٧٨٣، والبداية والنهاية ١٣٤/١١، وسير أعلام النبلاء ١٤/١٨٣ رقم ١٠٢، والأعلام ٢٥٦/٦.

(٦) مجمع البيان للطبرسى المجلد الثالث ٦٨/١٠.

فالزمخشري - رحمه الله - مقلد في سوء الأدب لشيخ شيوخ المعتزلة، وقد تابع البيضاوي^(١) الزمخشري في جفوة التعبير في هذا الموضع من تفسيره^(٢).

وقد علق أبو حيان^(٣) - رحمه الله تعالى في البحر، على هذا المسلك من التفكير والتعبير فقال : "وكلام الزمخشري في تفسير قوله ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ مما يجب إطراحه، فضلاً عن أن يذكر فيرد عليه"^(٤) قال الألوسي^(٥) : "وكم لهذه السقطة في الكشف من نظائر"^(٦).

٢- وأما قوله تعالى : في أسارى بدر : ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾^(٧) فليس في هذه الآية الكريمة وما بعدها إلزام ذنب لرسول الله ﷺ، لتصديرها بجملة "ما كان لنبي" وهذا الأسلوب المكون من "كان" المنفية بـ "ما" الآتي بعدها لام الجود، تأكيداً لتقوية النفي فيها قد ورد في القرآن الكريم، وكلام العرب على وجهين، كما قال المفسرون، وأهل المعاني^(٨).

(١) هو : عبد الله بن عمر بن محمد، أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، كان إماماً علامة، عارفاً بالفقه، والتفسير، والأصليين، والعربية، والمنطق، نظاراً صالحاً، متعبداً زاهداً شافعيًا، من مصنفاته : أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وشرح الكافية لابن الحاجب وغير ذلك مات سنة ٦٨٥ هـ له ترجمة في : طبقات المفسرين للدودي ٢٤٨/١ رقم ٢٣٠، وطبقات الشافعية للسبكي ١٥٨/٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٣٢٧/١٣ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٦٩/٣ .

(٣) هو : محمد بن يوسف بن علي، أثير الدين، أبو حيان، الغرناطي، من كبار العلماء بالعربية والتفسير، والحديث، من مؤلفاته : البحر المحيط في التفسير، والتذكرة في العربية، وغير ذلك مات سنة ٧٤٥ هـ. له ترجمة في : ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني الدمشقي ص ٢٣، وطبقات الشافعية لابن السبكي ٣١/٦، وشذرات الذهب ١٤٥/٦، والرسالة المستطرفة للكشكاش ص ١٠١، وطبقات المفسرين للدودي ٢٨٧/٢ رقم ٦٠٨ .

(٤) البحر المحيط ٤٧/٥ .

(٥) هو : محمود شكرى بن عبد الله بن شهاب الدين، محمود الألوسي، الحسيني، أبسو المعالي، عالم بالأدب والدين، والتاريخ، ومن الدعاة إلى الإصلاح، من مصنفاته : روح المعاني، ومختصر التحفة الإثني عشرية، مات بغداد سنة ١٣٤٢ هـ، له ترجمة في الأعلام للزركلي ١٧٢/٧، ١٧٣ .

(٦) روح المعاني ١٠٩/١٠ .

(٧) الآية ٦٧ الأنفال .

(٨) تفسير القرطبي ٢٧٤/٨، وفتح القدير للشوكاني ٤١٠/٢ .

الوجه الأول : النفى كما هو ظاهر أسلوبها كقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِئُوا شَجْرَهَا﴾^(١) وقوله : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾^(٢) وهذا هو الأصل فى معنى هذا الأسلوب، لأن تأكيد فعل الكون بلام الجحود هو "أبلغ لفظ يستعمل فى النفى"^(٣) ومعناه انصباب النفى على ما قبل اللام وما بعدها نفياً مطلقاً "يشمل جميع الحالات المعنوية التى يتضمنها الكلام"^(٤).

وبفقد هذا التركيب معنى زائداً على نفى مجرد الفعل، وهو نفى التهيؤ للفعل المنفى عنه وإرادته والصلاحية له، كما أوضح ذلك أبو حيان وغيره^(٥).

ولا شك أن نفى التهيئة والإرادة للفعل أبلغ من نفى الفعل، لأن نفى الفعل لا يستلزم نفى إرادته، ونفى التهيئة والصلاح والإرادة للفعل تستلزم نفى الفعل، فلذلك كان النفى مع لام الجحود أبلغ^(٦).

أما الوجه الثانى : من وجهى استعمال هذا الأسلوب فى القرآن الكريم، فهو النهى الضمنى عن أن يقع متعلق الخبر، كقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾^(٧).

وقد جعل منه بعض العلماء آية بحثنا هذا ﴿وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾^(٨) ومعنى الآية على الوجه الأول : أن الله عز وجل يبرئ نبيه ﷺ، وينزهه ساحته عن أن يكون له تهيئة وقصد فى أخذ الأسرى، وإنهاء المعركة قبل الإثخان فى الأرض.

والمعنى على الوجه الثانى : نهيه ﷺ عن أن يكون له أسرى قبل الإثخان فى الأرض، والمبالغة فى إضعاف قوة العدو، ولا يستلزم هذا النهى وقوع المنهى عنه من المخاطب، لجواز

(١) جزء من الآية ٦٠ النمل.

(٢) جزء من الآية ١٤٣ البقرة.

(٣) أسرار التكرار فى القرآن لمحمود بن حمزة الكرمانى ص ٩٩ .

(٤) النحو الواقى لعباس حسن ٢٩٩/٤ .

(٥) البحر المحیط ٤٢٦/١، وينظر : مغنى اللبيب لابن هشام ٢١١/١ .

(٦) البحر المحیط ٤٢٦/١ .

(٧) جزء من الآية ٥٣ الأحزاب .

(٨) الآية ٦٧ الأنفال. وينظر : البحر المحیط ٥١٨/٤، وروح المعاني للألوسى ١٠٩/٤، والأنصاف لابن

المنير مہامش الكشف ٤٧٦/١ .

أن يكون وقوع المنهى عنه، كان ممن له صلة تبعية بالمخاطب، ويؤيد هذا أن "التكثير - أى تكثير نبي فى قوله "ما كان لنبي" إيهاما فى كون النفى لم يتوجه عليه معينا"^(١) تلطفًا به ﷺ، وإشارة إلى أن هذا سنة من سنن الله تعالى مع أنبيائه وبيانا لأنه لم يكن ﷺ متوجه القصد، إلى أن يكون له أسرى قبل الإثخان فى العدو، وإكثار القتل، والجراح فيه، وعلى ذلك يكون الخطاب - فى ظاهره - موجها لرسول الله ﷺ مع هذا التلطف الذى يبرئ سماعته ﷺ مما يوجب العتاب، ويكون الخطاب - فى حقيقته - موجها إلى الذين أسرعوا فى إنهاء المعركة، وأخذ الغنائم والأسرى بمجرد ظهور طلائع النصر، ولم يصبروا حتى يكثر القتل فى العدو كسرا لشوكتهم. وقد نزه الله تعالى نبيه ﷺ عن إرادة شئ من الدنيا بتوجيه الكلام بطريق الأفراد فى أول الكلام فى قوله "ما كان لنبي" الذى أخرج مخرج الغيبة، مع أن المقصود به هو النبي ﷺ، إلى الجمع فى قوله : ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ الذى قصد به بعض الصحابة، ممن تجرد غرضه لعرض الدنيا وحده، والاستكثار منها، وليس المراد بهذا النبي ﷺ ولا عليه أصحابه رضى الله عنهم^(٢).

وهذا يدل على أن النبي ﷺ لم يدر بخلده، أن ينهى المعركة قبل الإثخان فى العدو ليأخذ الأسرى، ويغنم أصحابه المغانم، ويؤكد ما رواه ابن إسحاق فى سيرته : "ولما وضع القوم أيديهم يأسرون، ورسول الله ﷺ فى العريش"^(٣) وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله ﷺ متوحشا السيف فى نفر من الأنصار، يحرسون رسول الله ﷺ، يخافون عليه كرة العدو، ورأى رسول الله ﷺ فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس، فقال له رسول الله ﷺ لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم؟ قال : أجل، والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال"^(٤).

وهذا يدل على أن النبي ﷺ لم ينكر على سعد بن معاذ ما رأى فى وجهه من كراهية ما يصنع القوم، فاستفسره عن ذلك، فقال له : "والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم؟" فقال سعد :

(١) البحر المحيط ٥١٨/٤ .

(٢) الشفا ١٥٩/٢، والمواهب اللدنية وشرحها ٤٦/٩، ٤٧ .

(٣) هو : كل ما يستظل به. النهاية فى غريب الحديث ١٨٧/٣ .

(٤) أخرجه ابن إسحاق فى السيرة النبوية لابن هشام، ٢٩٠/٢ نص رقم ٧٥٣، وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ٢٨٤/٣ نقلا عن ابن إسحاق .

أجل يا رسول الله، وعال سعد ذلك بأن هذه وقعة فى الإسلام نصر الله فيها المسلمين على أعدائهم من المشركين، فكان الإثخان فى القتل أحب إليه من استبقاء الرجال. وفيه دلالة على أن المعاتب عليه عدم الإثخان فى القتل، والإسراع إلى الغنيمة، لا أخذ الفداء، لأن سعداً أبان عن رأيه قبل الاستشارة فى أخذ الفداء، وهذا كالصریح فى أن أخذ الفداء من الأسرى لا عتاب عليه، وقد بين الله تعالى هذا بقوله ﴿لَوْلَا كِتَابُ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسْكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١) فإنه تعالى لعظيم فضله، وبالع رحمته، منع عذابه العظيم عن المؤمنين المجاهدين يوم بدر، الذى استحقوه بما مالت إليه أنفسهم من الإسراع فى جميع الغنائم، قبل إكثار القتل فى عدوهم.

وهذه الآية للكرامة : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) كما هو ظاهر منها لا تمنع الأسر، وأخذ الفداء نهائياً، ولكنها تقرر أنهما لا يكونان إلا بعد الإثخان فى الأرض بظهور المسلمين على أعدائهم.

وهى لا تتنافى مع آية سورة محمد ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِنَّا فِدَاءٌ﴾^(٣) فلا زيادة فى حكم هذه الآية، على آية الأنفال، لأن كلتا الآيتين متوافقتان فإن كلتيهما تدلان على أنه لا بد من تقديم الإثخان ثم بعده أخذ الفداء^(٤) فلا نسخ إذن كما يزعم البعض.

ولكن بعض الصحابة رضى الله عنهم حين اشتغلوا بجمع الغنائم قدموا عرض الدنيا على الآخرة فخالفوا ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى لهم من عظيم الظهور وقوة الشوكة .

أما للكتاب المذكور فى قوله تعالى : ﴿لَوْلَا كِتَابُ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسْكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فقد أدى إيهامه إلى اختلاف العلماء فيه على أقوال كثيرة أوصلها الشوكانى^(٥) إلى

(١) الآية ٦٨ الأنفال

(٢) الآية ٦٧ الأنفال

(٣) الآية ٤ محمد

(٤) التفسير الكبير للرازى ٢٠٢/١٥

(٥) هو : محمد بن على بن محمد الشوكانى، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، من مؤلفاته : فتح القدير فى التفسير، وإرشاد الفحول فى أصول الفقه، مات سنة ١٢٥٠ هـ له ترجمة فى : البدر الطالع للشوكانى ٢١٤/٢ - ٢٢٥ رقم ٤٨٢، والفتح المبين لعبد الله المراكشى ١٤٤/٣ - ١٤٥، والرسالة المستطرفة للكتانى ص ١٥٢، ومعجم المؤلفين للحالة ٥٣٣/١١ .

سنة أقوال، لعل أرجحها وأقربها إلى المعقول، وأولاهما بالقبول هو : ألا يعذب الله أحداً إلا بعد أن يقدم إليه أمراً أو نهياً فيخالف ما قدمه الله إليه^(١).

والمعنى : لولا أنه سبق منى أن لا أعذب أحداً إلا بعد النهي لعذبتم على ما أخذتم من الفداء. إذ لو كان منهياً عنه محرماً لاستحقوا بمخالفته العذاب، فالمراد بالكتاب : حكم الله الذى كتبه وقدره، وهذا التفسير ينفى أن يكون أمر فداء الأسارى معصية لعدم النهي^(٢).

وفى الآية بيان لما كان مسطوراً فى غيبه تعالى من إحلال الغنيمية، وتطبييها لعبادة المؤمنين من هذه الأمة، وهذا كان من خصائصه ﷺ على سائر الأنبياء فكانه قال : "ما كان أخذ الفداء لنبي غيرك" وهو ما أكدته ﷺ بقوله : "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى، أحلت لى الغنائم، ولم تحل لأحد قبلى - الحديث"^(٣).

فقال الله تعالى تطيبا لنفوس أولئك المجاهدين ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤) وهذا كله ينفى الذنب والمعصية، لأن من فعل ما أحل الله لم يعص^(٥).

أما ما روى فى أسباب نزول آيات بحثنا، من مشاورة رسول الله ﷺ أصحابه فى أمر أسرى بدر، واختياره ﷺ لراى أبى بكر ومن معه القائلين بقبول الفداء، من الأسرى تقوية لجيش المسلمين على الكفار بالفداء، ورجاء أن يهديهم الله تعالى للإسلام لو أن يخرج من أصلابهم بعد وقعة بدر من يؤمن بالله، ويهتدى بهداه، ثم بكاهه ﷺ وصاحبه أبى بكر شفقة لأجل ما عرض عليه ﷺ من عذاب أصحابه لأخذهم الفداء، ونزول الآيات بذلك^(٦) فليس فى ذلك ما يفيد أصلاً

(١) فتح القدير ٢/٣٢٥، ٣٢٦ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٣٤، وروح المعاني للألوسى ١٠/٣٤، والبحر المحيط لأبى حيان ٤/٥١٩ .

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ جعلت لى الأرض مسجد وطهوراً ١/٦٣٤ رقم ٤٣٨، ومسلم (بشرح النووى) كتاب المساجد، ٣/٥ رقم ٥٢١ من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

(٤) الآية ٦٩ الأنفال .

(٥) الشفا ٢/١٥٩، ١٦٠ .

(٦) ينظر الحديث فى صحيح مسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة ٦/٣٢٧ رقم ١٧٦٣ من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

بأن النبي ﷺ أشار بأخذ الفداء، وإنما شاور أصحابه، فأشارت الكثرة منهم بأخذ الفداء، وهم الذين عوتبوا بقوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(١) فلما خرج إليهم بعد المشاورة قال لهم: ﴿أَنْتُمْ عَالَّةٌ، فَلَا يَبْقِيَنَّ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبَةٍ عُنُقٍ﴾^(٢).

وهذه المشاورة مأمور بها النبي ﷺ كما يدل على ذلك صريح حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام يوم بدر إلى النبي ﷺ، فقال: "خير أصحابك فى الأسرى إن شاعوا فى القتل، وإن شاعوا فى الفداء، على أن يقتل منهم فى العام المقبل مثلهم، فقالوا: الفداء ويقتل منا"^(٣).

ومن هنا يظهر جلياً أن النبي ﷺ لم يختار أخذ الفداء ولا حبذه، بل دليل ما رواه البخارى من قوله ﷺ فى أسارى بدر: "لو كان المطعم بن عدى^(٤) حياً، ثم كلمنى فى هؤلاء الننتى^(٥) لتركتهن له"^(٦).

وهذا يدل على أن لا عتاب على أخذ الفداء لعزم رسول الله ﷺ على ترك الأسرى، وإطلاقهم بدون فداء، فيما لو كان المطعم بن عدى حياً، وكلم رسول الله ﷺ فيهم.

(١) جزء من الآية ٦٧ الأنفال.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٨٣/١، والحاكم فى المستدرک ٢٤/٣ رقم ٤٣٠٤ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى، وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨٧/٦ إلى أحمد وأبى يعلى والطبرانى وقال: وفيه أبو عبيدة ولم يسمع من أبيه ولكن رجاله ثقات أهد، من حديث ابن مسعود رضى الله عنه.

(٣) أخرجه النسائى فى سننه الكبرى، كتاب السير، باب قتل الأسرى ٢٠٠/٥ رقم ٨٦٦٢، والترمذى فى سننه كتاب السير، باب ما جاء فى قتل الأسارى والفداء ١١٤/٤ رقم ١٥٦٧ وقال: حديث حسن غريب، وعن أبى عبيدة مرسل فى الطبقات الكبرى لابن سعد ١٤/٢.

(٤) هو المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف، دخل رسول الله ﷺ مكة فى جواره مرجعه من الطائف، وبات رسول الله ﷺ فى بيته ليلة دخوله مكة، وفى الصباح خرج رسول الله ﷺ، ومعه المطعم بن عدى، وبنوه السبعة فظاف رسول الله ﷺ بالبيت، وهم محتبون بحمائل سيوفهم فى المطاف لحمايته، فلما انصرف رسول الله ﷺ انصرفوا معه وأعلن ذلك فى قريش. وقد توفى المطعم بن عدى بعد هجرة رسول الله ﷺ بيسير وهو على دين قومه، وخبر ذلك فى البداية والنهاية لابن كثير ١٣٥/٣، ١٣٦.

(٥) يعنى أسارى بدر، وأحدهم: نمن كزمن وزمى، سماهم ننتى لكفرهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس﴾ جزء من الآية ٢٨ التوبة، وينظر: النهاية فى غريب الحديث ١٢/٥.

(٦) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فرض الخمس، باب ما من النبى ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس ٢٨٠/٦ رقم ٣١٣٩، وفى كتاب المغازى ٣٧٥/٧ رقم ٤٠٢٤ من حديث جابر بن مطعم رضى الله عنه.

كما يؤخذ أيضاً من حديث تخيير جبريل في أمر الأسرى، أن أخذ الفداء، لا عتاب عليه، إذ لو كان أخذ الفداء موضع مؤاخذه، ما جاء جبريل عليه السلام بالتخير بينه، وبين القتل، لأنه لا يخير بين جائز مطلق، وبين مؤاخذه عليه. وبالتالي فهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه، لكن بعض الصحابة مال إلى أضعف الوجهين، في حين كان الأصلح غيره من الإثخان في القتل، فعوتبوا على ذلك، وتبين لهم ضعف اختيارهم، وتصويب اختيار غيرهم، وكلهم غير عصاة ولا مذنبين^(١).

ويؤيد أنه لا عتاب على رسول الله ﷺ في أخذ الفداء، أنه ﷺ سبق أن فادى الحكم بن كيسان^(٢) وعثمان بن عبد الله بن المغيرة^(٣) اللذين أسرتهما سرية عبد الله بن جحش الأسدي رضي الله عنه^(٤) حين أرسله رسول الله ﷺ ومعه ثمانية من المهاجرين - إلى وادي نخلة بين مكة والطائف لرصد عير قريش - وذلك قبل غزوة بدر الكبرى بأكثر من شهرين، فالتقوا بهم في آخر يوم من رجب، من السنة الثانية من الهجرة، فغنموا العير، واقتادوا معهم الأسيرين إلى المدينة، فوقف رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وقال أهل الكفر: استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وأكثروا في ذلك، فرد الله عليهم قولهم فأنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٥)﴾.

-
- (١) الشفا ١٦٠/٢، وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير ٢٨٩/٦.
(٢) قدم به أسيراً على رسول الله ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بدر معونة، شهيداً. له ترجمة في: أسد الغابة ٥٤/٢ رقم ١٢٢٦، والاستيعاب ٣٥٥/١ رقم ٥٢٢.
(٣) ذهب حين فدى إلى مكة، فمات بها كافراً. السيرة النبوية لابن هشام ٢٥٩/٢ نص رقم ٧٠٩ والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص ١٠١.
(٤) صحابي جليل له ترجمة في: تجريد أسماء الصحابة ٣٠٢/١، وتاريخ الصحابة ص ١٦٠ رقم ٧٧٧، وأسد الغابة ١٩٤/٣ رقم ٢٨٥٨، والاستيعاب ٨٧٧/٣ رقم ١٤٨٤.
(٥) الآية ٢١٧ البقرة.

فقبل رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وأخذ الغنيمة، وهى أول غنيمة غنمها أصحاب رسول الله ﷺ فى الإسلام^(١) ولم يعاتب الله تعالى أحداً على شئ من ذلك، فلو كان الفداء ممنوعاً لعتب^(٢).

وعلى ذلك فلا عتاب لسيدنا رسول الله ﷺ فى فداء الأسرى يوم بدر لعدم العتاب على أخذه، وأخذ الغنيمة، فيما سبق هذه الغزوة أولاً، هذا بالإضافة إلى أن اختيار أخذ الفداء يوم بدر، وقع من الصحابة رضى الله عنهم كما فى حديث تخيير جبريل عليه السلام .
على أن بعض الأئمة من الذين يرون أن فى الآية عتاباً، أخذاً بظاهر رواية مسلم المشار إليها^(٣) رجحوا رأى الصديق رضى الله عنه بأخذ الفداء .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وقد اختلف السلف فى أى الرايين كان أصوب؟ فقال بعضهم: كان رأى أبى بكر لأنه وافق ما قدر الله فى نفس الأمر، ولم استقر الأمر عليه، ولدخول كثير منهم فى الإسلام، إما بنفسه، وإما بذريته التى ولدت له بعد الواقعة، ولأنه وافق غلبة الرحمة على الغضب، كما ثبت ذلك عن الله تعالى فى حق من كتب له الرحمة"^(٤) قالوا: وأما بكاء النبى ﷺ، فإنما كان شفقة لنزول العذاب، لمن أراد بذلك عرض الدنيا، ولم يرد ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، وغيره من عليّة أصحابه^(٥) هـ . والله أعلم .

٣- وأما قوله تعالى: ﴿عسى وتولى. أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنتعه الذكرى أما من استغنى. فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى﴾^(٦).

أولاً: هذه الآيات نزلت فى ابن أم مكتوم الأعمى^(٧) أتى رسول الله ﷺ، فجعل يقول: يا رسول الله أرشدنى، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٥٥-٢٥٩ نص رقم ٧٠٥-٧٠٩، ودلائل النبوة للبيهقى ٣/١٧-١٩، والدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر ص ١٠٠، ٩٩، وتاريخ الطبرى ٢/٤١٠-٤١٣ .

(٢) ينظر: الشفا ٢/١٦٠، ١٦١، وشرح الزرقان على المواهب ٩/٤٩، ٥٠ .

(٣) يراجع: ص ١٥٥ .

(٤) فتح البارى ٧/٣٧٧ رقم ٤٠٢٢ .

(٥) ينظر: زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣/١١١ .

(٦) الآيات ١-١٠ عس .

(٧) هو: عمرو بن قيس بن زائدة، صحابى جليل له ترجمة فى أسد الغابة ٤/٢٥١ رقم ٤٠١١، والاستيعاب ٣/١١٩٨ رقم ١٩٤٦ .

عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول: بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزلت "عبس" وتولى^(١).

فهذا أصبح ما روى في سبب نزول الآيات، والزعم بأن هذا السبب لا يصح، والقصة مَفْتَعَلَة، لأن عائشة الراوية لها لم تتركها^(٢)، قول مردود بما يلي :

أ- أن مرسل الصحابي مما يعلم أنه لم يحضره لصغر سنه أو تأخر إسلامه، حكمه على المذهب الصحيح، الوصل المقتضى للاحتجاج به، لأن غالب رواية الصغار من الصحابة عن صحابة مثلهم، وكلهم عدول، ورواية صغار الصحابة عن غيرهم نادرة، فإذا رويها بينها، وحيث أطلقوا فالظاهر أنها عن الصحابة وأكثر ما رواه الصحابة عن التابعين ليس أحاديث مرفوعة بل إسرائيليّات أو حكايات أو موقوفات، والقول بأنه لا يحتج بمرسل الصحابي قول ضعيف .

ب- اتفاق أهل الحديث على أن الصحابي الذي شاهد الوحي والتزيل إذا فسر شيئاً من آي القرآن، أو أخبر عن آية نزلت في كذا، كان له حكم المرفوع المسند، وقيد بعضهم بما إذا كان التفسير مما لا مجال فيه للاجتهاد، ولا يقال من قبل الرأي^(٣).

ج- اتفاق السلف، وجمهور المفسرين على أن فاعل "عبس وتولى" هو رسول الله ﷺ^(٤) كما أجمعوا على أن هذه الآيات نزلت في ابن أم مكتوم^(٥).

ثانياً : مع صحة سبب نزول الآيات، فليس فيها إثبات ذنب لرسول الله ﷺ، بل الآيات إعلام من الله تعالى لرسوله ﷺ، بأن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى، وأن الصواب والأولى، كان لسو كشف له حال الرجلين، لاختار الإقبال على الأعمى لأنه ﴿جاءك يسعى. وهو يخشى﴾

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٥٨/٢ رقم ٣٨٩٦ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والترمذی في سننه كتاب التفسير، باب سورة عبس ٤٠٢/٥ رقم ٣٣٣١ وقال: حديث غريب، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) ينظر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم لجعفر مرتضى العاملي ١٥٧/٣، والخطوط الطويلة أو الدفاع عن السنة لمحمد بن علي الهاشمي ص ١٣ .

(٣) ينظر: فتح المغيث للسخاوي ١٧٠، ١٧١، والتبصرة والتذكيرة للعراقي ١٥٦/١، وتدريب الراوي ٢٠٧/١، والأحكام للآدمي ١١٢-١١٨، وإرشاد الفحول للشوكاني ٢٥٨-٢٦٤ .

(٤) ينظر : روح المعاني للألوسي ٣٩/٣٠، وفتح الباري لابن حجر ٥٦٠/٨ رقم ٤٩٣٧ .

(٥) ينظر : فتح القدير للشوكاني ٣٨٢/٥، وجامع الأحكام للقرطبي ٢١١/١٩ .

والإعراض عن الكافر، وتوهين أمره لأنه استغنى عن الإسلام بكفره، ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَزْكِي﴾ أى ليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالإسلام، والمراد : لا يبلغ بك الحرص على إسلامهم أن تعرض عن أسلم، بالاستغفال بدعوتهم، إن عليك إلا البلاغ.

وفعل النبى ﷺ لما فعل من العبوس والإعراض، وتصديه لذلك الكافر، كان طاعة لله عزوجل، وتبليغاً عنه، واستمالة للكافر، رجاء إسلامه، كما شرعه الله له بالتبليغ، ومن لين الجانب لمن يدعو، وبالتالي لا معصية ولا مخالفة لله عز وجل^(١).

وقد كان ابن أم مكتوم يستحق التأديب والزجر، لأنه وإن فقد بصره، كان يسمع مخاطبة رسول الله ﷺ لأولئك الكفار، وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه ﷺ بشأنهم، فكان إقدامه على قطع كلامه ﷺ بعد سماعه، إيذاءً له ﷺ وذلك معصية عظيمة.

فثبت أن فعل ابن أم مكتوم كان ذنباً ومعصية، وأن الذى فعله رسول الله ﷺ كان هو الواجب المتعين، سواء كان ابن أم مكتوم مسلماً فى ذلك الوقت، كما هو رأى الجمهور، أو لم يكن أسلم بعد، على ما ذهب إليه السهيلي^(٢) فى الروض الأنف ورجحه قائلاً : مع أنه - أى الأعمى - لم يكن آمن بعد، ألا تراه يقول : ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي﴾^(٣) ولو كان قد صح إيمانه وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول الله ﷺ، وكذلك لم يكن ليخبر عنه ويسميه بالاسم المشتق من العمى، دون الاسم المشتق من الإيمان والإسلام، ولو كان 'دخل فى الإيمان من قبل - والله أعلم - وإنما دخل فى الإسلام بعد نزول الآية ويدل على ذلك قوله للنبى ﷺ : "يا محمد استكننى"^(٤)، ولم

(١) الشفا ١٦١/٢ بتصرف.

(٢) هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن أصبغ، أبو القاسم، السهيلي، الأندلسي، المالكي، حافظ، كان عالماً بالعربية، واللغة، والقراءات، بارعاً فى ذلك، جامعاً بين الرواية والدراسة، عالماً بالتفسير، وصناعة الحديث، حافظاً للتاريخ، من مصنفاته : الروض الأنف فى شرح السيرة، ومسألة السرقى عور الدجال، وغير ذلك ما سنة ٥٨١هـ له ترجمة فى : طبقات المفسرين للدوادى ٢٧٢/١، رقم ٢٥٧ وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٣٤٨/٤، رقم ١٠٩٩، والديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٤٦ رقم ٣١٨.

(٣) الآية ٣ عبس.

(٤) بياض بين نونين أى : أشر لى إلى موضع قريب منك أجلس فيه. شرح الزرقان على الموطأ ١٩/٢ رقم ٤٧٧، والحديث أخرجه مالك عن عروة بن الزبير مرسلًا فى كتاب القرآن، باب ما جاء فى القرآن ١٨٠/١ رقم ٨.

يقول "يا رسول الله استدنى" مع أن ظاهر الكلام يدل على أن الهاء في لعله يزكى، عائدة على الأعمى لا على الكافر، لأنه لم يتقدم له ذكر بعد، و(لعل) تعطي الترجى والانتظار، ولو كان إيمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترجى والانتظار للتركى والله أعلم^(١).

أما قوله تعالى : ﴿أَوْ يَذَّكَّرْ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾^(٢) فهو معطوف على قوله "يزكى" الواقع خبراً لحرف الرجاء "لعل" فهو من مدخول الرجاء معه على معنى : أن قوله : "لعله يزكى" يدل على أنه يراد منه التطهر بالإيمان^(٣) ولعل هذا القول هو مستقى كلام السهيلي في اختياره عدم إيمانه حين مجيئه إلى رسول الله ﷺ.

قلت : في كلا الحالتين إسلامه وعدمه وقتئذ، فليس في الآيات إثبات ذنب له ﷺ، وإنما الذنب والمعصية ما فعله ابن أم مكتوم على ما سبق شرحه. وإن كان ثمَّ عتاب موجه إلى رسول الله ﷺ، فهو بسبب عمى ابن أم مكتوم حيث استحق مزيداً من الرفق به، ولذا ذكره الله في كتابه بوصفه المشتق من العمى، بيان لعذره فيما واجه به رسول الله ﷺ من تكرير القول عليه، وسبب في أحقية التلطف به والعطف عليه، وأنه جاءه يسعى، أى يمشى مع عجزه، إشارة لذلك، وللصفح عنه^(٤) وبيان أن عجزه هذا مما له مدخل في العتاب، الذى جاء بأحسن ما يكون بعدم التصريح بذكر الفاعل للفعلين الماضيين (عبس وتولى) تلطفاً برسول الله ﷺ عن المفاجأة بهذا الخطاب المشعر بالشدة.

وذهب البعض إلى أن المقصود بالآيات شخص آخر غير النبى ﷺ، وهذا يردده ما فى الآيات من قوله تعالى : ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾^(٥) وقوله : ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾^(٦) فإن ظاهره أن هذا التصدى والتلهى من قبل من يهيمه هذا الدين، فيتصدى لهذا، ويتلهى عن ذلك!

(١) الروض الأنف للسهيلي ١٥١/٢، ١٥٢ .

(٢) الآية ٤ عبس .

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري ٥٢/٣٠ .

(٤) المواهب اللدنية للقسطلاني وشرحها للزرقاني ٣٩/٩، ٤٠، وقال بنحو قولهما ذلك من الشيعة الإمامية السيد الأمين في كتابه الأعيان، وقال بقوله : هاشم معروف الحسيني في كتابه سيرة المصطفى ﷺ ص ١٩٣ قائلاً : "والذى أراه أن ما ذكره السيد الأمين مقبول ومعقول، ولا يتناق مع مقام النبى ﷺ ولا مع عصمته كما ذكره السيد رحمه الله" أهـ. قلت : وكفى بهذا رداً على من أنكر سبب نزول هذه الآيات ممن هو على مذهبهم. يراجع ص ١٥٩ .

(٥) الآية ٦ عبس .

(٦) الآية ١٠ عبس .

والقول بأن التصدى كان لأهداف أخرى دنيوية، أو أن التصدى للدعوة كان من غيره
 ﷺ (١) قول ضعيف يردده ما فى الآيات من كاف الخطاب التى للتعظيم فى قوله تعالى : ﴿وَمَا
 يدريك لعله يزكى﴾ (٢) وقوله سبحانه : ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِي﴾ (٣) وقوله عز وجل : ﴿وَأَمَّا
 من جاءك يسعى﴾ (٤) فهل جاء مثل هذا الخطاب لغير رسول الله ﷺ؟! .

وهل فيمن يتصدى للدعوة أو غيرها أيام النبوة من يسعى إليه غير رسول الله ﷺ؟! .
 وقال شارحا الشفاء، الشهاب الخفاجي، وعلى القارى فى شرحيهما ردا على من قال، إن فاعل
 "عيس" هو الكافر. قال الخفاجي : "وهو قول فى غاية الضعف، بعيد عن السياق الذى عليه
 المفسرون أنه النبى ﷺ" (٥) وقال على القارى : "وهذا التأويل مخالف لظاهر التنزيل، بل كاد فى
 مقام النزاع أن يكون مخالفا للإجماع" (٦) .

وبالجملة : ففى هذه القصة ما يشعر بأن اجتهد رسول الله ﷺ فى حديثه مع الكافر
 ليستميله إلى الإيمان، رجاء أن يؤمن بإيمانه عدد ممن يتبعه، كان غير متمش مع طبيعة. الهداية
 الإلهية، التى عليه ﷺ أن يعرضها على الناس دون أن يبخل نفسه حرصا على إيمانهم فجاءت
 الآية الكريمة تصحح هذا الاجتهاد، وتبين الطريق للدعاة إلى الله تعالى الذن يرثون دعوة رسول
 الله ﷺ، وتبليغ رسالته ونهجه فى إيصالها إلى جميع الناس، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
 ويتصحح هذا الاجتهاد، يعود حكم اجتهداه ﷺ إلى وحى الله تعالى، وإن كان ثم عتاب فهو على
 أمر اجتهدى وقع على خلاف الأولى، لا على ذنب، كما أن المعاتب محبور كما سبق (٧) أهـ .
 والله أعلم .

٤- وأما قوله تعالى فى قصة زيد عن حارثة رضى الله عنه : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ
 وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا

(١) ينظر : الصحيح من سيرة النبى الأعظم لجعفر مرتضى العاملى ١٦١/٣، ١٦٢ .

(٢) الآية ٣ عبس .

(٣) الآية ٧ عبس .

(٤) الآية ٨ عبس .

(٥) نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض ١٨٧/٤ .

(٦) شرح الشفاء لعلى القارى ٢/٢٩٠، ويراجع ما سبق ص ١٧٩ تأكيداً لذلك .

(٧) يراجع : ص ١٤٧، وينظر : آيات عتاب المصطفى ﷺ فى ضوء العصمة والاجتهاد ص ٢٨٦، ٢٨٧ .

يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أديانهم إذا قضوا منهم وطراً وكان أمر الله مفعولاً^(١).

إن هذه الآية الكريمة ذكر فيها كلاماً من بعض الذين تصدوا لتفسير القرآن الكريم، وتحملوا أمانة تجلية معانيه، وهو كلام لا يليق بمنصب النبوة، ولا بالعصمة، اتخذ فيما بعد منطلقاً لضجيج أهوج، وصيحات هستيرية تطعن فى السنة النبوية وأهلها من أعدائها^(٢) وترمى بالنقيصة، وعدم العصمة أكمل الناس خلقاً، وأحمدهم سيرة.

من ذلك أقوال وآراء تضمنتها تفاسير الطبرى، والزمخشري، والنسفى، ومن هنا نحوهم حول الآية الكريمة.

فقد ذكرت هذه التفاسير : أن نبينا ﷺ رأى زينب بنت جحش رضى الله عنها^(٣) وهى تحت زيد بن حارثة، على حالة جعلت قلبه يتعلق بها، ويود لو فارقتها زيد فيتزوجها، وخشى أن يقول الناس، أمر ابنه بطلاق امرأته، ونكحها حين طلقها، والله أحق أن يخشاه من الناس^(٤) وفى هذا طعن على نبينا ﷺ، فتح الباب لأعداء الإسلام قديماً وحديثاً من المبشرين والمستشرقين الذين أطلقوا العنان لخيالهم، وهم يتحدثون عن تاريخ رسول الله ﷺ فى هذا الموضوع، والذى اتخذوا منه دعامة للطعن فى نبوته، وعصمته ﷺ^(٥).

والجواب :

لا حجة لهم فى التعلق بظاهر الآية، ولا بالآراء التى قيلت فى تأويلها ولا سند لها بل هى باطلة لوجوه :

(١) الآية ٣٧ الأحزاب .

(٢) ينظر : الصحيح من سيرة النبي الأعظم لجعفر مرتضى العاملى ١/١٩٩، وسيرة المصطفى ﷺ لهاشم معروف الحسينى ص ٤٥٣ .

(٣) هى زوج النبي ﷺ، وابنة عمه النبي ﷺ، وأول نساء رسول الله ﷺ لحقوقاً به كما أخبر ﷺ، وتوفيت سنة ٢٠هـ لها ترجمة فى : أسد الغابة ٧/١٢٦ - ١٢٨ رقم ٦٩٥٥، والاستيعاب ٤/١٨٤٩ رقم ٣٣٥٥، والرياض المستطابة ص ٣١٤، ٣١٥ .

(٤) ينظر : جامع البيان للطبرى ١٠/٢٢، والكشاف للزمخشري ٣/٤٢٧، ٤٢٨، والنسفى ٣/٦٧، وتفسير الجلالين ص ٥٥٥، ونوادر الأصول للحكيم الترمذى ١/٧٠٤ - ٧٠٦ الأصل رقم ١٤٧، ومع المفسرين والمستشرقين فى زواج النبي ﷺ بزینب دراسة تحليلية للدكتور زاهر الألعلى ص ٩ - ٢١ .

(٥) يراجع : مصادرهم السابقة ص ١٤٦ .

الوجه الأول : أنه ليس فى الآية ما يدل على أن رسول الله ﷺ صدر منه فى هذه الواقعة مذمة، ولا عاتبه الله على شئ منه، ولا ذكر أنه عصى أو أخطأ، ولا ذكر استغفار النبى ﷺ منه، ولا أنه اعترف على نفسه مخطئاً، وأنه لو صدر عنه زلة لوجد من ذلك شئ، كما فى سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت عنهم زلة - إن صح التعبير - أو ترك مندوب .

الوجه الثانى : أنه ذكر فى القصة بصريح القرآن الكريم : ﴿ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له﴾^(١) ونفى الحرج عن النبى ﷺ تصريح بأنه لم يصدر منه نسب البتة، كما أن نفى الحرج رد على من توهم من المنافقين نقصاً فى تزويجه ﷺ امرأة زيد مولاه، ودعيه الذى كان قد تبناه^(٢) .

الوجه الثالث : أنه تعالى ذكر الحكمة والعلة من زواجه ﷺ من زينب رضى الله عنها بقوله : ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها كيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهم وطراً﴾^(٣) ولم يقل : إني فعلت ذلك لأجل عشقك! أو نحو ذلك .

الوجه الرابع : قوله تعالى : ﴿زوجناكها﴾ ولو حصل فى ذلك سوء لكان قدحاً فى الله تعالى، وهو ما يؤكد أنه لم يصدر منه ﷺ نيب البتة فى هذه القصة .
الوجه الخامس : أنه لو كان ما زعموه صحيحاً، لكان قوله ﷺ لزيد كما حكى القرآن الكريم ﴿أمسك عليك زوجك﴾ نفاقاً، لأنه أظهر بلسانه خلاف ما يضمرة فى نفسه! لكن الله عز وجل عصم نبيه ﷺ من ذلك .

الوجه السادس : أن رسول الله ﷺ لم يكن يرى زينب للمرة الأولى، فهى بنت عمته، ولقد شاهدها منذ ولدت، وحتى أصبحت شابة، أى شاهدها مرات عديدة، فلم تكن رؤيته لها مفاجأة، كما تصور القصة الكاذبة! ولو كان رسول الله ﷺ يحمل أى ميل نحو زينب رضى الله عنها لتقدم بزواجها، وقد كان هذا أملاً، وأمل أخيها حين جاء ﷺ يخطبها منه، فلما صرح لهما بزيد، أبيا، فأنزل الله تعالى : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة

(١) الآية ٣٨ الأحزاب .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦ / ٤٢٢ .

(٣) جزء من الآية ٣٧ الأحزاب .

إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم^(١) فقالا :
رضينا بأمر الله ورسوله^(٢) وكانت هذه الآية توطئة وتمهيدا لما ستقرره الآيات التالية
لها من حكم شرعى يجب على المؤمنين الانصياع له، وامتناله والعمل به، وتقبله بنفس
راضية، وقلب مطمئن، وتسليم كامل .

الوجه السابع : أن ما أخفاه النبي ﷺ، وأبداه الله تعالى هو : أمره بزواج زينب ليطل حكم
التبني، هذا ما صرحت به الآية، لا شئ آخر غيره، قال تعالى : ﴿فلما قضى زيد
منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم
إذا قضوا منهن وطرا﴾^(٣).

فكيف يعدلون عن صريح القرآن الكريم إلى روايات لا زمام لها ولا خطام؟^(٤) وليس فى
هذا الإخفاء ما يعاب عليه ﷺ أصلا، وإلا لكان ذنبا تجب منه التوبة، وليس فى الآية الكريمة ما
يشعر بشئ من ذلك .
وعليه فالإخفاء هو غاية العقل، وعين الكمال، لأن ذلك إنما كان سرا بينه وبين خالقه
عزوجل، لم يأمره بإذاعته قبل أوانه، فكتمانه فى الحقيقة، قبل مجئ وقته هو الكمال الذى لا ينبغي
غيره .

(١) الآية ٣٦ الأحزاب .

(٢) فعن قتادة رحمه الله قال : خطب النبي ﷺ زينب بنت عمته، وهو يريد بها لزيد، فظنت أنه يريد بها
لنفسه، فلما علمت أنه يريد بها لزيد أبت، فأنزل الله تعالى : ﴿وما كان لمومن ولا مؤمنة ... الآية﴾
فرضيت وسلمت. رواه الطبراني بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع
الزوائد ٩١/٧، ٩٢، وهكذا قال مجاهد، ومقاتل بن حيان، وابن عباس : إنما نزلت فى زينب بنت
جحش حين خطبها رسول الله ﷺ لمولاه زيد بن حارثة، فامتعت ثم أجابت. ينظر : رواية الطبراني
فى مجمع الزوائد ٩١/٧، ٩٢، وجامع البيان للطبري ٩/٢٢ - ١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن
كثير ٤١٧/٦، وشرح الزرقاني على المواهب ١٦٧/٧ .

(٣) جزء من الآية ٣٧ الأحزاب .

(٤) قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره ٤٢٠/٦ "ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم، ما هنا أى فى تفسير قوله
تعالى ﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه﴾ آثارا عن بعض السلف أحينا أن يضرب عنها صفحا لعدم
صحتها فلا نوردها" أهـ وقال الحافظ ابن حجر فى فتح الباري ٣٨٤/٨ رقم ٤٧٨٧ "ورود آثار
أخرى أخرجه ابن أبي حاتم، والطبري، ونقلها كثير من المفسرين، لا ينبغي التشاغل بها، والذى
أوردته منها هو المعتمد" والحافظ يشير إلى رواية السدى التى أخرجه ابن أبي حاتم، والتى سيأتى
ذكرها قريبا فى الهامش. أهـ .

ويوضح هذا ويبينه ما وقع منه ﷺ في قصة عائشة رضي الله عنها، حين أتاه جبريل عليه السلام، قبل أن يتزوجها بأمد بعيد، بصورتها على ثوب من حرير، وقال له : "هذه امرأتك"، وقد عرفها رسول الله ﷺ يقيناً، ولم يشك في أنها ستكون من أزواجه الطاهرات، ومع ذلك فقد ترك هذا الأمر سراً مكتوماً بينه وبين ربه، وقال : "إن يك هذا من عند الله يمضه"^(١) أى أنه من الله ولا بد، فلا تتركه إلى أن يجئ وقته الموعود، فلما جاء هذا الوقت أظهره الله تعالى، وثم ما أراد عزوجل .

إن ليس في الإخفاء المذكور منقصة، ولا خيانة للوحي، كلا، بل لو أنه ﷺ كان قد أذاع هذا السر المكنون، والأمر المصون، لكان ذلك هو الخروج عن دائرة الحزم والكمال .

وهنا نصل إلى أصح المحاصل في قصة زينب رضي الله عنها، وهو : أن الله تعالى قد أعلم نبيه ﷺ أنها ستكون من أزواجه، فلما شكاه له زيد، وشاوره في طلاقها، ومفارقتها، قال له على سبيل النصيحة والموعظة الخالصة "أمسك عليك زوجك واتق الله" أى واتق الله في شكواك منها^(٢) واتهامك لها بسوء الخلق، والترفع عليك، لأنه شكاه منها ذلك، وأخفى رسول الله ﷺ في نفسه ما كان أعلمه الله به من أنه سيتزوجها، مما الله مبدية، ومظهره بتمام التزويج، وطلاق زيد لها^(٣).

(١) قيل : التردد هنا في : هل هي رؤيا وحى على ظاهرها وحقيقتها، أو هي رؤيا وحى لها تعبير؟ وهذا هو المعتمد في تأويلها. ينظر : فتح الباري ٨٨/٩ رقم ٥١٢٥، والحديث في صحيح مسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها ٢١٧/٨ رقم ٢٤٣٨، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب النكاح، باب النظر إلى المرأة قبل التزويج ٨٦/٩ رقم ٥١٢٥ .

(٢) ينظر : السنن الكبرى للبيهقي ١٣٨/٧ .

(٣) فعن السدي الكبير (إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة) قال : بلغنا أن هذه الآية : ﴿وَتَخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أمة بنت الحارث عبد المطلب، عمه رسول الله ﷺ، فأراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه بعد أمها من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجته، وأن يتقى الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه، ويقولوا : تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبني زيدا" أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٣٧/٩ رقم ١٧٦٩٦ وقد أثني الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٨٤/٨ رقم ٤٧٨٧، على رواية السدي هذه دون غيرها من التي أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، وقال الحافظ في رواية السدي : هي أوضح سياقاً، وأصح إسناداً، من التي ائتمسب الترمذي الحكيم في تحسينها من رواية ابن أبي حاتم عن علي بن زيد بن جدعان الضعيف، يقول الحافظ : وكأنه أى الحكيم الترمذي لم يقف على تفسير السدي الذي أورده أمه .

ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(١) أى لابد لك أن تتزوجها، ويوضح هذا أيضاً أن الله عز وجل لم يبد من أمره ﷺ معها غير زواجه لها، فدل أنه الذى أخفاه ﷺ مما كان أعلمه به ربه عز وجل.

وبهذا القول : الذى تعطيه التلاوة من أن الذى أخفاه النبى ﷺ هو إعلام الله له أنها ستكون زوجة له بعد طلاقها من زيد، قال به جمهور السلف، والمحققون من أهل التفسير، والعلماء الراسخون كابن العربى والقرطبى^(٢) والقاضى عياض^(٣) والقسطلانى فى المواهب والزرقانى فى شرحها^(٤) وغيرهم^(٥) ممن يعنون بفهم الآيات القرآنية وفقهاها، وتنزيه الرسل عما لا يليق بهم من الروايات البعيدة عن منطق الحق والواقع.

بقى فى القصة : قوله تعالى : ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(٦) فليس مرد هذه الخشية عند رسول الله ﷺ رهبة شئ يحول بينه وبين تبليغ رسالته من قريب أو بعيد، ولا يصح أن يفهم منها أنه ﷺ لم يكن يخشى الله تعالى، بدليل ما ورد فى القرآن الكريم فى أكثر من آية الشهادة له ﷺ بالخشية والخوف قال تعالى : ﴿قُلْ إِنِّىْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّىْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٧) وقوله عز وجل : ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٨) وهذه الآية الكريمة تشمل ﷺ شمولاً أولياً لأنها فى صدر الحديث عنه^(٩) ومن هنا فالخشية فى آية بحثنا ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ مردها إلى شدة حيائه ﷺ، فقد كان يتحرج حياءً من بيان ما قد اطلعه الله عليه، مما سيؤول إليه أمر زينب رضى الله عنها، لأن الناس كانوا يعدون ذلك أمراً كبيراً، ولكن لما كان شرعاً محكماً، كان لابد من بيانه.

(١) أحكام القرآن لابن العربى ١٥٣١/٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩٠/١٤، ١٩١ .

(٣) الشفا ١٩١/٢ .

(٤) شرح الزرقانى على المواهب ١٧٠/٧ .

(٥) ينظر : روح المعانى للألوسى ٢٣/٢٢، ٢٤، وحاسن التأويل للقاسمى ١٣/٤٨٦٤ - ٤٨٧٧، وآيات عتاب المصطفى ﷺ فى ضوء العصمة والاجتهاد ص ٢٤٣، ٢٤٤ .

(٦) جزء من الآية ٣٧ الأحزاب .

(٧) الآية ١٥ الأنعام .

(٨) الآية ٣٩ الأحزاب .

(٩) يراجع تفصيل ذلك ص ١٣٠ - ١٣٢ .

أما ما ارتضاه كثير من المفسرين فى معنى الخشية بأنها : مجرد خوفه من قالة المنافقين، وطعنهم فى ذاته الكريمة بقولهم: تزوج زوجة ابنه، أى من تبنائه^(١). فهذا التأويل تـردده سيرته العطرة مما تعلم وعرف فى تاريخ تبليغه الرسالة على مدى مدة الإقامة فى مكة - ثلاثة عشر عاماً - وما مضى من مدة قدومه ﷺ المدينة إلى حين وقوع قصة زيد وزينب، وهى قد وقعت فى السنة الثالثة أو الرابعة من الهجرة، من مناهضة الكفر والشرك والوثنية، وطغيان ملأ قريش وعتوهم وفجور سفهائهم من مواقف حفظها تاريخ السيرة النبوية العطرة من صبر على البلاء، ومجابهة الأعداء فى وقائع وأحداث كثيرة تدل قطعاً على أن النبى ﷺ ما كان فى حياته المباركة يخشى أحداً غير الله تعالى، ولا يقيم وزناً لأقوال الناس فيه، وأفعالهم معه، وفى مهاجره ﷺ لقى من أعداء الإسلام اليهود والمنافقين وبقايا المشركين ما لا يقل فى عنفونه وعتوه، عن فجور مشركى مكة، فلم يحفل به، ولا خشى أحداً من الناس، ولو لم يكن من صور صبره ﷺ على سفاهة السفهاء، وقالة السوء من أعدى أعداء الإسلام المنافقين واليهود إلا صبره فى قصة الإفك^(٢) وعدم المبالاة بتقول المتقولين، وافتراء المفترين، لكفاه ﷺ ذلك فى مواقف الفخر بالاعتصام بالله، وأفراده وحده بالخشية منه دون خشية أحد من خلقه.

والذى أرتضيه فى المراد بالخشية فى قوله تعالى : ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ هو ما أشار إليه ابن حزم^(٣) فى كتابه الفصل فى الملل والنحل : "أنه ﷺ خشى ضرر الناس، ووقوعهم فى الهلاك

(١) فعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما تزوج ﷺ زينب، قالوا تزوج حليمة ابنه، فتزل : ﴿لما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليماً﴾ الآية ٤٠ الأحزاب، والحديث أخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير، باب سورة الأحزاب ٣٢٨/٥ رقم ٣٢٠٧ وقال: حديث غريب. وينظر : فتح البارى ٣٨٤/٨ رقم ٤٧٨٧، والسيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة للدكتور محمد أبو شعبة ٢٩٧/٢، ٢٩٨ .

(٢) القصة أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب ﴿لولا إذا سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين...﴾ الآية ٣٠٦/٨ رقم ٤٧٥٠، ومسلم (بشرح النووى) كتاب التوبة، باب حديث الإفك - ١١٥/٩ رقم ٢٧٧٠ من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٣) هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى، أبو محمد، عالم الأندلس فى عصره، وأحد أئمة الإسلام، روى ابنه أبو رافع أن مصنفات والده بلغت الأربعمائة، من أشهرها : الإحكام فى أصول الأحكام، والفصل فى الملل والنحل، مات سنة ٤٥٦هـ له ترجمة فى : لسان الميزان لابن حجر ٧٢٤/٤ رقم ٥٧٨٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٩١/١٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١١٤٦/٣ رقم ١٠١٦، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ٤٣٥ رقم ٩٨١، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣٢٥/٣ رقم ٤٤٨.

بسبب إساءة ظنهم به، وبسط ألسنتهم فيه بالسوء^(١) كما وقع له ﷺ، أنه كان واقفا مرة مع زوجته صفية بنت حي بن أخطب رضى الله عنها، ليلا، فمر عليه رجلان من أصحابه، فلما أبصراه واقفا معها أسرعا فى المشى، فقال لهما رسول الله ﷺ، "على رسلكما، إنها صفية بنت حي" فقالا : سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما ذلك^(٢) فقال النبى ﷺ : "إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وقد خشيت^(٣) أن يقذف فى قلوبكما شيئا"^(٤) فالخشية كانت من سوء الظن، والإشاعات الكاذبة التى قد تؤثر على بعض ضعفاء الإيمان، أو تقف عقبة فى سبيل تبليغ الرسالة، فيستغلها الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وهذا هو المعقول اللائق بعظيم منزلته ﷺ، وإلا فمجرد الخوف من قالة الناس، وخشية الطعن منهم، مما يجب أن ينزه عنه مقام النبوة الأسمى، فإنه أى خوف الناس، لا ينشأ إلا من حب المحمدة والثناء، والحرص على الجاه عند الناس، وحسن الأحذوثة بينهم، وهذا مما يترفع عنه آحاد الأتقياء، فضلا عن سيد الأنبياء، وعلى ذلك فليست قصة زينب المذكورة، مسوقة مساق العتاب له ﷺ، كما توهمه المفسرون، وإنما سبقت فى الحقيقة لبيان كماله وحزمه ﷺ، وشدة شففته على الناس، وحرصه على سلامتهم من الأذى، كما يومئ إليه قوله تعالى قبل هذه القصة ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٥) فإن إعطاء النبى ﷺ هذا المنصب العظيم، وإحلاله هذه المنزلة الرفيعة، التى جعلت رأيه فوق رأى الجميع، بحيث لا يكون لمؤمن ولا مؤمنة الخيرة فى شئ ما، بعد قضائه ورأيه ﷺ، يدل على دلالة ظاهرة على أن هذه القصة، وهى قصة زينب المذكورة، إنما ذكرت هنا كالتعليل لاستحقاقه ﷺ ما ذكر، فلا بد حينئذ أن يكون

(١) الفصل فى الملل والنحل ٢/٣١٢ .

(٢) أى : عظم عليهما توضيح الرسول ﷺ لهما، لأنه ﷺ فوق الشك .

(٣) ليس فى هذه الروايات ما يشير إلى أنه ﷺ ظن بهما سوءا، لم تقرر عنده من صدق إيمانهما، ولكن خشى عليهما أن يوسوس لهما الشيطان، ذلك لأنهما غير معصومين، فقد يفضى بهما ذلك إلى الهلاك، فبادر إلى إعلامهما حسما للمادة، وتعلما لمن بعده إذا وقع له مثل ذلك، فهذه الخشية كانت من قبيل الرحمة والإحسان إلى المؤمنين ليحفظ ﷺ إيمانهم أم . ينظر : فتح البارى ٤/٣٢٨ رقم ٢٠٣٥ .

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ٤/٣٢٦ رقم ٢٠٣٥، ومسلم (بشرح النووى) كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رأى خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول : هذه فلانة ليدفع ظن السوء به ٧/٤١١ رقم ٢١٧٥ .

(٥) الآية ٣٦ الأحزاب .

مضمونها مدحا له ﷺ، وتنزيها له عن جميع الأغراض والحظوظ النفسية، فما قيل من أنه ﷺ أبصرها فتعلق قلبه بها وأخفاه، فهو قول باطل كما قال بعض العلماء، لا يلتفت إليه، وإن جلي ناقلوه، فإن أدنى الأولياء لا يصدر عنه مثل هذا، وكذلك لا يجدى فيه الاعتذار، بأن ميل القلب غير مقدور، فإنه هنا أيضا مما يجب صيانة النبي ﷺ وعصمته عنه، ويرد هذا القيل : أن الله سبحانه وتعالى لم يبدئه، أى لم يبد الميل القلبى كما زعمتم، وإنما أبدى نكاحه إياها نسخا لما كان عليه الجاهلية من تحريم أزواج الأدعياء^(١).

فإن قيل : فما تصنع بقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ فإنه يدل على معاتبة النبي ﷺ، بأنه خشى الناس، ولم يخش الله الأحق بالخشية؟

فالجواب : بأن ظاهر الآية غير مراد، وإنما المعنى : والله أحق أن تخشاه، أى : جدير بأن تخشاه كما فعلت يا رسول الله، وذلك لأن خشية ضرر الناس، وتوقى هلاكهم على ما وقع منه ﷺ فى قصة صفية بنت حى السابقة، إنما نشأت من مراقبته لله تعالى، وقيامه بحق الرعاية التى جعلها الله تعالى له عليهم، فهو فى الواقع إنما خشى الله فى الناس، فجاء قوله عز وجل : ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ تعريضا له ﷺ على ما فعل، وإخبارا بأن الله تعالى جدير بأن يخشاه مثلك يا رسول الله فى عبادته، بأن يقيم أسباب الضرر والهلاك، ويحرص على هدايتهم وسعادتهم فى الدارين.

قلت : وهذا الوجه الأخير من أحسن ما تنزل عليه الآية الكريمة، لأنه اللائق بما جبل عليه رسول الله ﷺ من الرأفة والرحمة، وبما كان فى المسلمين من حنناء الإسلام، الذين لم تعمق جذور الإيمان فى قلوبهم بعد، فخشى رسول الله ﷺ عليهم ذلك^(٢). أهـ

٥- أما قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) ففهم البعض من هذه الآية، أن تحريمه ﷺ على نفسه ما أحله الله له ابتغاء مرضاة أزواجه، أنه ارتكب ذنبا، وبالتالي فهو غير معصوم !

(١) الأدعياء : هم الذين ينسبون إلى غير آبائهم.

(٢) ينظر : الفحات الشذية فيما يتعلق بالعصمة والسنة النبوية لحمد الطاهر الحامدى ص ٦٦ - ٦٨، وآيات عتاب المصطفى ﷺ فى ضوء العصمة والاجتهاد ص ٢٤٠ - ٢٤٧، وخواطر دينية لعبد الله الغمارى ص ٤٥، ٤٦، والشفاء ١٨٨/٢ - ١٩١، وعصمة الأنبياء للرازى ص ١٠٠ - ١٠٤، ومحمد رسول الله لفَضيلة الشيخ عرجون ٤٣٨/٢ - ٤٤١، وتنزيه الأنبياء لعلى السبكي ص ٥٠ - ٦٣، وعصمة الأنبياء للدكتور محمد أبو النور الحديدي ص ٤٥٣ - ٤٦٦.

(٣) الآية الأولى التحريم.

قال أحمد صبحي منصور^(١) : "إن تحريم الحلال، اعتداء على حق الله تعالى في التشريع، والله تعالى يقول في ذلك : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾"^(٢).

وأحمد صبحي منصور فيما أطلقه في حق رسول الله ﷺ تقول واقتراء، والنبى ﷺ منه براء، وتعليقه بما علل به، تصيد لزلة من زلات أحد المفسرين الأعلام هو الزمخشري؛ إذ قال في تفسيره : "كان هذا ما حرمة الرسول على نفسه من ملك اليمين أو العسل زلة منه، لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله، لأن الله عز وجل، إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله، فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة"^(٣).

قلت : وعد الزمخشري رحمه الله، ظاهر التحريم في الآية زلة لرسول الله ﷺ، وتعليقه بما علل به، زلة من الزمخشري نفسه .
وإليك تفصيل ذلك في الجواب :

أولاً : قبل دفع هذه الشبهة، وما قاله الزمخشري، وتبعه فيه خصوم السنة المطهرة، والسيرة العطرة، أنكر سبب نزول هذه الآية، حيث يوضح سبب النزول حقيقة ما حرمة رسول الله ﷺ على نفسه مما كان حلاله .

فأقول : وردت روايات في صحيحى البخارى ومسلم، وتقيد أن ما حرمة ﷺ على نفسه هو العسل، كذلك وردت روايات أخرى تقيد أن ما حرمة ﷺ على نفسه هو وطء جاريته مارية رضى الله عنها^(٤). فلنذكر كلا منهما، لنعرف من الموازنة بينهما أيهما أصح، ولنعرف أيضاً أيهما أكثر توافقاً وانسجاماً مع ألفاظ هذه الآية، والآيات بعدها .

(١) أحمد صبحي منصور، تخرج في الأزهر الشريف، وحصل على العالمية في التاريخ من الجامعة، وتسيراً من السنة النبوية، زاعماً أن السنة عمل شيطان، ورواها مجرمون خونة، فثيرأت منه الجامعة، سافر إلى أمريكا، وعمل مع المتنبئ رشاد خليفة، يحاضر بالجامعة الأمريكية بمصر، ومدير رواق ابن خلدون الثقافي بالمقطم، من مؤلفاته : الأنبياء في القرآن دراسة تحليلية، والمسلم العاصي، وعذاب القبر والتعبان الأقرع، والقرآن وكفى، وغير ذلك ينظر : قصته هو ورشاد خليفة في كتابي : مسيلة في مسجد توسان، والدفاع عن السنة - الجزء الأول من سلسلة الإسلام واستمرار المواجهة، كلاهما لفضيلة الدكتور طه حبيشى .

(٢) الآية ٨٧ المائدة، وينظر : الأنبياء في القرآن دراسة تحليلية ص ٥٣، والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين، ص ٢٩١، وحوار ومناقشة كتاب عائشة لهشام آل قطيط ص ١٧٨، ١٩٠ - ١٩٢، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين لصالح الورداني ص ٩٥ - ٩٧، ١١٧، ١١٨ .

(٣) الكشف ٤/٤٥٠ .

(٤) هي : مارية القبطية، مولاة رسول الله ﷺ، وسريته، وهي أم ولده إبراهيم ابن سيد ولد آدم ﷺ، أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية، لها ترجمة في : أسد الغابة ٢٥٣/٧ رقم ٧٢٧٦، والاستيعاب ٤/١٩١٢ رقم ٤٠٩١ .

أ- حديث العسل :

روى مسلم فى صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن النبى ﷺ كان يمشى عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً. قالت : فتواطنت أنا وحفصة^(١) أن أيتنا ما دخل عليها النبى ﷺ، فلنقل : إني أجد منك ريح مغافير^(٢) أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما، فقالت ذلك له. فقال : بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له" فنزل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾... إلى قوله : "إن تتوبا (لعائشة وحفصة) وإذا أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثاً، لقوله : بل شربت عسلاً"^(٣).

وفى رواية للبخارى : "فلن أعود له، وقد حلفت، لا تخبرى بذلك أحداً"^(٤) وقد روى مسلم فى صحيحه روايتين، أحدهما السابقة، والى تفيد أن التى سقت الرسول ﷺ العسل، زينب بنت جحش، وأن المتظاهرتين عليه هما عائشة وحفصة رضى الله عنهما .
والرواية الثانية تفيد أن التى سقته العسل هى حفصة، وأن المتظاهرات عليه من نسائه، سودة وعائشة وصفية رضى الله عنهن^(٥) والحديث الأول الذى فيه أن المتظاهرتين عائشة وحفصة رضى الله عنهما أرجح^(٦) لما يلى :

١- لأنه يتوافق مع لفظ الآية : ﴿وإن تظاهرا عليه﴾^(٧) فإنه بالثبوت.

- (١) هى : حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، وزوج النبى ﷺ، توفيت سنة ٤١ هـ، وقيل غير ذلك. لها ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص ٨٣ رقم ٣٣٩، والرياض المستطابة ص ٣١٢، وأسد الغابة ٦٧/٧ رقم ٦٨٥٢، والاستيعاب ١٨١١/٤ رقم ٣٧٩٧ .
- (٢) يفتح الميم، وبغين معجمة، وفاء بعدها ياء، واحدها مُغْفَرٌ وهو : صمغ حلو كالأنطاف، وله رائحة كريهة منكرة، ينضحه شجر يقال له : العرفط، يكون بالحجاز ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٣٣٦/٣ .
- (٣) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق ٣٣٠/٥ رقم ١٤٧٤ .
- (٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها كتاب التفسير، باب سورة التحريم ٥٢٤/٨ رقم ٤٩١٢ .
- (٥) ينظر : صحيح مسلم (بشرح النووى) فى الأماكن السابقة نفسها مع صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الطلاق، باب لم تحرم ما أحل الله لك ٢٨٧/٩ رقم ٥٢٦٨ .
- (٦) وهو رأى القاضى فى إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢٩/٥ رقم ١٤٧٤، واختاره النووى فى المنهاج شرح مسلم ٣٣٤/٥ رقم ١٤٧٤، وابن حجر فى فتح البارى ٢٨٩/٩ رقم ٥٢٦٦، وابن كثير فى تفسيره ١٨٧/٨ .
- (٧) جزء من الآية ٤ التحريم .

٢- ولأنه يتفق مع الحديث الذى رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما بسندهما عن ابن عباس رضى الله عنهما، أنه سأل عمر رضى الله عنه عن المرأتين اللتين نزلت فيهما الآية : ﴿وإن تظاهرا عليه﴾ فما أتم سؤاله حتى قال عمر : هما عائشة وحفصة رضى الله عنهما^(١).

ب- حديث مارية رضى الله عنهما :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : "إن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة، وحفصة حتى حرما فأنزل الله عز وجل : ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم﴾^(٢).

وعن عمر رضى الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ بأم ولده مارية فى بيت حفصة، فوجدته حفصة معها، فقالت له : تدخلها بيتى، ما صنعت بى هذا من بين نساءك إلا من هوانى عليك، فقال : لا تذكرى هذا لعائشة، فهى على حرام إن قريبتها، قالت حفصة : وكيف تحرم عليك وهى جاريتك، فحلف لها لا يقربها، فقال النبى ﷺ، لا تذكرىه لأحد، فذكرته لعائشة، فألى لا يدخل على نسائه شهرا، فاعتزلهن تسعا وعشرين ليلة : فأنزل الله تعالى : ﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾^(٣).

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب وإذا أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا والباب الذى يليه ٥٢٦/٨، ٥٢٧ رقمى ٤٩١٤، ٤٩١٥، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الطلاق، باب الإيلاء واعتزال النساء ٣٣٩/٥ رقم ١٤٧٩ .

(٢) الآية الأولى التحريم، والحديث أخرجه النسائى فى سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب الغيرة ٢٨٦/٥ رقم ٨٩٠٧، وفى كتاب التفسير، باب سورة التحريم ٤٩٥/٦ رقم ١١٦٠٧، وسنده صحيح كما قال الحافظ فى فتح البارى ٢٨٨/٩ رقم ٥٢٦٦، والحاكم فى المستدرک ٥٣٥/٢ رقم ٣٨٢٤ وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى .

(٣) أخرجه الدارقطنى فى سننه كتاب الطلاق والخلع والإيلاء ٤١/٤، ٤٢ رقم ١٢٢، قال العظيم آبادى فى التعليق المغنى ٤١/٤ فيه عبد الله بن شعيب هو أبو سعيد أخبارى علامة لكنه واه، قال الحاكم ذاهب الحديث، وكذا حاله فى لسان الميزان ٤٣٩/٢ رقم ٤٣٧٨، وأخرجه الهيثمى بن كليب فى مسنده بنحوه عن عمر بسند صحيح كما قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره ١٨٦/٨، وينظر : فتح البارى ٥٢٥/٨ رقم ٤٩١١ .

والحديث شواهد أخرى^(١) بمجموعها يتبين أن للقصة أصلاً، كما قال الحافظ ابن حجر، وزاد أحسب لا كما زعم القاضي عياض أن هذه القصة لم تأت من طريق صحيح^(٢) وغفل - رحمه الله - عن طريق النسائي التي سلفت، فكفى بها صحة^(٣).

وهناك أقوال أخرى غير ما سبق في أسباب نزول آية التحريم، ولكن ضعفها العلماء لإرسالها وشذوذها^(٤) ولهذا استبعدت ذكرها.

ويبقى معنا قولان : الأول : وهو تحريم العسل، والثاني : وهو تحريم مارية أما القول الأول : فهو إن كان أقوى من جهة رواية الشيخين له، ورجحه بعض الأئمة على ما سبق قريباً، إلا أن القول الثاني : أكثر موافقة لألفاظ الآيات، ومال إلى ترجيحه ابن الجوزي^(٥) في تفسيره، وأسنده إلى بعض أئمة السلف والأكثرين من المفسرين، وإلى هذا الترجيح مال جمال الدين القاسمي في تفسيره حيث قال : "والذي يظهر لي هو ترجيح روايات تحريم الجارية في سبب نزولها وذلك لوجوه : منها : أن مثله يبتغى به مرضاة الصرات^(٦) ويهتم به لهن. ومنها : أن

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه البيهقي في سننه كتاب الخلع والطلاق، باب من قال لامرأته أنت علي حرام ٣٥١/٧، والطبراني في الكبير ٨٦/١١ رقم ١١١٣٠، والبخاري بإسنادين رجالهما رجال الصحيح غير بشر بن آدم الأصغر وهو ثقة، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٦/٧، وعن قتادة مرسلًا، أخرجه أبو داود في المراسيل، كتاب النكاح، باب ما جاء في الحرام ص ٩٤ رقم ٢٥٤، وعن مسروق مرسلًا أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٤٣٨/١ رقم ٦٧٠٧، وإسناده صحيح كما قال الحافظ في فتح الباري ٥٢٥/٨ رقم ٤٩١١، وعن زيد بن أسلم مرسلًا، أخرجه الطبراني بسند صحيح كما قال الحافظ في الفتح ٢٨٨/٩ رقم ٥٢٦٦.

(٢) ينظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢٩/٥ رقم ١٤٧٤، والمنهاج شرح مسلم ٣٣٥/٥ رقم ١٤٧٤.

(٣) تلخيص الحبير ٤٤٧/٣ رقم ١٥٩٥، وكذا قال في الفتح ٥٢٥/٨ رقم ٤٩١١.

(٤) ينظر : فتح الباري ٢٨٩/٩ رقم ٥٢٦٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٧/٨، وأحكام القرآن لابن العربي ١٨٣٣/٤.

(٥) هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في الحديث والتاريخ، له نحو ثلاثمائة مصنف منها : زاد المسير في التفسير، والمنظوم في تاريخ الملوك والأمم. مات سنة ٥٩٧هـ - له ترجمة في : البداية والنهاية لابن كثير ٣١/١٣، وطبقات المفسرين للداودي ٢٧٥/١ رقم ٢٦٠، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٣٤٢/٤ رقم ١٠٩٨، والذيل على طبقات الخنابلية لابن رجب ٣٩٩/١، والنجوم الزاهرة لابن تغري ١٧٤/٦.

(٦) يقصد بالصرات الزوجات، وإن كانت السرية ليست ضرة بالمعنى الشرعي، وإنما هي ضرة في الواقع النفسى لهن.

روايات شرب العسل لا تدل على أنه حرمه ابتغاء مرضاتهن بل فيه أنه حلف لا يشربه أنفة من ربحه^(١).

ولا مانع من القول بعد كل هذا بأن الآية نزلت بعد القصتين، فاقترصر بعض الرواة على إحداهما، والبعض الأخرى على نقل الأخرى. قال الحافظ في فتح الباري: "وطريقة الجمع بين هذا الاختلاف، الحمل على التعدد، فلا يمتنع أن تكون الآية نزلت في السببين معاً"^(٢).

قلت: وأياً كان السبب، فإن ما أطلقه الزمخشري، وتابعه فيه خصوص السنة النبوية، والسيرة العطرة، في حق النبي ﷺ تقول واقتراء، والنبي ﷺ مما أطلقوه براء، وذلك أن تحريم ما أحله الله على وجهين:

الوجه الأول: اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه، فهذا بمثابة اعتقاد حكم التحليل فيما حرمه الله عز وجل، وكلاهما محذور لا يصدر من المتسمين بسمة الإيمان، وإن صدر! سلب للمؤمن حكم الإيمان.

والزمخشري كلامه محمول على هذا المحمل، ومعاذ أن يعتقد رسول الله ﷺ تحريم ما أحله الله له... وما هذه من الزمخشري إلا جراءة على الله ورسوله؛ تابعه فيها بعض أدعياء العلم على ما سبق.

الوجه الثاني: الامتناع عما أحله الله عز وجل، وهو المعنى الأصلي لمادة "حرم" في اللغة^(٣) وقد ورد التحريم بهذا المعنى في القرآن الكريم في آيات منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ﴾^(٤) أى منعنا موسى المراضع، أن يرتضع منهن إلا من قَبْلَ أمه^(٥).

٢- وقوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾^(٦) أى منعه من دخولها.

(١) محاسن التأويل ١٦/٥٨٥٥.

(٢) فتح الباري ٢٨٩/٩، ٥٢٦٦، ٥٢٥/٨، رقم ٤٩١٢.

(٣) فحرمه، وتحريمه، وحرماناً، وأحرمه، أى منعه. والمحروم: الممنوع عن الخير، ومن لا ينمي له مال، ومنه الصيام إحرام، لامتناع الصائم عما يفسد صومه ينظر: معجم مقاييس اللغة ٤٥/٢، والقاموس المحيط ٩٣/٤، ومختار الصحاح ص ١٣٢، والنهاية في غريب الحديث ٣٥٨/١.

(٤) الآية ١٢ القصص.

(٥) جامع البيان للطبري ٤٠/٢٠.

(٦) الآية ٧٢ المائدة.

٣- وقوله سبحانه : ﴿كُلِ الطَّعَامَ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(١) أى إلا ما امتنع عنه سيدنا يعقوب عليه السلام عنه من قبل نفسه .

والامتناع عما أحله الله قد يكون مؤكداً باليمين مع اعتقاد حله، وهذا مباح صرف، وحلال محض .

وعلى هذا الوجه الثانى تحمل آية التحريم، والتفسير الصحيح، والحديث الصحيح بعضه فإن النبى ﷺ فى العسل قال : "فلن أعود له، وقد حلفت". وفى مارية عندما قالت حفصة، كيف تحرم عليك وهى جاريتك حلف لها لا يقربها .

فالتحريم منه ﷺ كان امتناعاً عن العسل أو مارية، وهو امتناع أكده باليمين، مع اعتقاده حله، ولذا نزلت الآيات وفيها الحث على التحلل من يمينه، والتكفير عنه، قال تعالى : ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾^(٢) وهذا المقدار مباح، والمباحات جائز وقوعها من الأنبياء، وليس فيها قدح فى عصمتهم^(٣) .

وإنما قيل له ﷺ : ﴿لَمْ تَحْرَمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾^(٤) رفقاً به، وشفقة عليه، وتتويهاً لقدره بحيث لا يجب له أن يضيق على نفسه فى سبيل إرضاء أى شخص، فيكون معنى الآية على هذا، وقد صدرت بندائه بوصف النبوة تشریفاً لمكانه، وتعظيماً لمقامه، يا أيها النبى لم تمنع نفسك وتحرمها من الاستمتاع بما أحله الله لك، مما لك فيه رغبة ومتعة وسرور، تبتغى بذلك مرضاة أزواجك؟ وهن أحق أن يسعين فى رضاك ليسعدن ! .

وهذا القيد ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ هو محط العتاب فى الحقيقة، وليس مجرد منعه ﷺ نفسه من المتعة بالمباح، محلاً للعتاب، لأنه ﷺ كثيراً ما منع نفسه من بعض المباحات، التى ينعم بها الناس، ولاسيما فى مجال المتعة الجسدية، زهداً فى الدنيا وبعداً عنها، ولم يحظر عليه ذلك، ولم يعاتبه الله تعالى على شئ من ذلك كله .

(١) الآية ٩٣ آل عمران .

(٢) الآية ٢ التحريم .

(٣) تراجع ما سبق ص ١٢٧، ١٤٧ .

(٤) جزء من الآية الأولى التحريم .

إذن في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ مَنَّةٌ وتعظيم من الله عز وجل لرسوله ﷺ برفع الحرج عليه، في الامتناع عن شيء ليرضى أزواجه، إذ هنَّ وسائر المؤمنين أحق أن يسعوا في مرضاته ليسعن، قال تعالى : ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (١).

فتأمل كيف أن صلاته ﷺ مأمورا بها ليرضى هو، لا ليكفر الله عنه سيئاته، ولا ليرضى عليه، وحينئذ فلا كلفة عليه فيها، لأن فيها شهوده لربه الذي هو قرّة عينه، كما قال ﷺ : "وجعت قرّة عيني في الصلاة" (٢) فانظر : إلى هذا الخطاب اللطيف المشعر بأنه ﷺ حبيب رب العالمين، وأفضل الخلق أجمعين، حيث قال له ربه : ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ ولم يقل : لعلّي أَرْضَىٰ عنك، ونحو ذلك (٣).

ومن هنا جعل رب العزة رضاه عن خلقه، مقترناً برضا حبيبه ومصطفاه ﷺ عنهم، حيث أتبع رضا نبيه لرضاه سبحانه مباشرة، كما دل عليه قوله تعالى : ﴿يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُ أَحَقُّ أَنْ يَرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٤) فوجد عز وجل الضمير في "يرضوه" مع أن الظاهر بعد العطف بالواو التشية؛ لأن إرضاء الرسول ﷺ لا ينفك عن إرضاء الله تعالى، كما قال عز وجل : ﴿مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٥) فلتلازمهما جعلاً كشيء واحد، فعاد إليهما الضمير المفرد (٦) وإذا كان الله تعالى قد جعل إرضاء رسوله ﷺ إرضاءً له، وطاعته طاعة له، فذلك دليل على كمال رضاه عنه في الدنيا قبل الآخرة، وليس أدل على ذلك

(١) الآية ١٣٠ طه.

(٢) أخرجه النسائي في سننه الصغرى كتاب عشرة النساء، باب حب النساء ٦١/٧ رقم ٣٩٣٩، وأحمد في مسنده ١٢٨/٣، ١٩٩، ٢٨٥، والحاكم في المستدرک ١٧٤/٢ رقم ٢٦٧٦ وصححه على شروط مسلم، ووافقه الذهبي، وعزاه العراقي في تخریج الإحياء ٣٥/٢ إلى النسائي والحاكم وقال : إسناده جيد، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى ٨٧/٧ .

(٣) ينظر : دلالة القرآن المبين على أن النبي ﷺ أفضل العالمين لعبد الله الغمارى ص ٩٢ .

(٤) الآية ٦٢ التوبة.

(٥) الآية ٨٠ النساء.

(٦) روح المعاني للألوسى ١٢٨/١٠ .

من مسارعة ربه لمرضاته ﷺ كما قال : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّينَكَ قِبْلَةً نَرْضَاهَا﴾^(١) وقوله سبحانه : ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٢).

فتأمل هذا الخطاب، وقارنه بخطاب موسى عليه السلام لربه ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(٣).

وهذه المسارعة في مرضاته ﷺ لاحظتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لما أنزل الله تعالى : ﴿تَرْجَى﴾^(٤) من تشاء منهم وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك^(٥) قال عائشة قلت : "ما أرى ربك إلا يسارع في هواك"^(٦) أى ما أرى الله إلا موجوداً لما تريد بلا تأخير، منزلاً لما تحب وتختار وترضى^(٧) وإنما جاء التعبير بالهوى هنا، بدافع الغيرة، وحاشاها رضى الله عنها أن تعنى حقيقة اللفظ!

وبعد : أليس فيما سبق تأكيد لما فى آية التحريم من منة وتكريم وتعظيم لرسول الله ﷺ، وشفقة عليه، ورفقاً به، بحيث لا يجب عليه أن يمتنع عن شئ مباح له من أجل مرضاة أزواجه، إذ هن وسائر الأمة كافة أحق أن يسعوا فى مرضاته ليسعدن فى الدنيا والآخرة؟! وإذا افترض أن فى الآية إنكاراً عليه، ودليل على أنه صدر منه ذنب - عصمه الله من ذلك - فقله تعالى فى

(١) جزء من الآية ١٤٤ البقرة.

(٢) الآية ٥ الضحى.

(٣) الآية ٨٤ طه.

(٤) حاصل ما نقل فى تأويل "ترجى" أقوال : أحدها تُطْلَق وتُمنسك، ثانيها : تعتزل من شئت منهم بغير طلاق، وتقسم لغيرها؛ ثالثها : تقبل من شئت من الواهبات، وترد من شئت والحديث يؤيد هذا الأخير، والذى قبله، واللفظ محتمل للأقوال الثلاثة، وظاهر ما حكته عائشة رضى الله عنها من استئذانه أنه لم يرج أحداً منهم، بمعنى أنه لم يعتزل، وهو قول الزهرى : "ما أعلم أنه أرجأ أحداً من نسائه" وعن قتادة : "أطلق له أن يقسم كيف شاء، فلم يقسم إلا السوية" ينظر : فتح البارى ٣٨٦/٨ رقم ٤٧٨٨.

(٥) الآية ٥١ الأحزاب.

(٦) بداية الحديث، قالت عائشة : كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول : أذهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى : ﴿تَرْجَى من تشاء منهم﴾... الآية والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب ترجى من تشاء منهم... ٣٨٥/٨ رقم ٤٧٨٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرهما ٣٠٥/٥ رقم ١٤٦٤.

(٧) ينظر : فتح البارى ٣٨٦/٨ رقم ٤٧٨٨.

ختام الآية «والله غفور رحيم» يدل على حصول الغفران، وبعد حصول الغفران، يستحيل أن يتوجه الإنكار عليه!

بمعنى : أنه يمتنع أن يقال أن قوله «لم تحرم ما أحل الله لك» دليل على كون الرسول مذنباً! وإذا صح أن في الآية عتاب، فهو وارد بأحسن ما يكون العتاب من تعظيم المولى عز وجل لنبيه ﷺ، حيث ناداه وخاطبه في هذا المقام بوصف النبوة في أكثر من موطن في القصة بدأ من أولها، قال تعالى : «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك»^(١) وقوله سبحانه : «وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً»^(٢) ولكن أنى يكون العتاب؟ وأنى يصح افتراضه، مع ما ورد في القصة من قوله عز وجل : «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما»^(٣) إن في الآية بيان لمن أذنب، ولمن يستحق العتاب والتأديب، من نسائه اللاتي تظاهرن عليه ﷺ، وأفشين سره، إنهن بالتظاهر، وإفشاء السر، آذين رسول الله ﷺ، والتوبة من ذلك واجبة في حقهن، لأن قلوبهن قد مالت عن الحق، كما تدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه «زأغت قلوبكما»^(٤) وعلى هذا فإن قوله «فقد صغت قلوبكما» ليس جواب الشرط، وإنما هو دليله وتعليقه.

والمعنى على هذا : إن تتوبا إلى الله، وترجعا عن مغاضبة رسول الله ﷺ، وإيذائه بالتظاهر عليه، وإفشاء سره، فالتوبة حق واجب عليكم، لأن قلوبكما قد زأغت ومالت عن الحق في مغاضبة رسول الله ﷺ وإيذائه.

ويمكن أن تحمل الآية على فهم آخر، يأتي من حمل قوله تعالى : «فقد صغت قلوبكما» على معنى أنها مالت إلى الحق، وهو ما وجب من مجانبة ما يسخط رسول الله^(٥) وندمت على ما كان منها، من مغاضبة النبي ﷺ، وإيذائه.

والمعنى على هذا : إن تتوبا إلى الله، وترجعا عن مغاضبة النبي ﷺ، وتتدما على ما كان منكما، فقد مالت قلوبكما إلى الحق، ومصالحة النبي ﷺ ومرضاته، وأن ما كان منكما من مغاضبة، وإيذاء لم يكن صادراً عن قلوبكما، وإنما هو فورة غضب، ونار غيرة.

(١) الآية الأولى التحريم.

(٢) الآية ٣ التحريم.

(٣) الآية ٤ التحريم.

(٤) روح المعاني ٢٨ / ١٥٢ .

(٥) محاسن التأويل ١٦ / ٥٨٦٣ .

ويؤكد هذا قوله تعالى : ﴿وإن تظاهروا عليه﴾^(١) أى إن استمررتما على المغاضبة، والإيذاء، وتعاونتما عليه ﷺ، فإن الله ناصره بقوته القاهرة، وخواص ملائكته، وعامتهم، وصالح المؤمنين، وهذا كالمقابل لقوله : ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾.

ثم تطف الله تعالى بنبيه ﷺ إظهاراً لحفاوته به، وإعلاء لمقامه، بما زاد فى تأديب الزوجات الطاهرات، متمشياً مع أسلوب الزجر والتهديد فقال : ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات فانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً﴾^(٢) أى جامعات للكمال فى إسعاده ﷺ حساً ومعنى، فلا يعصين له أمراً، ولا يخالفن له نهياً، يعملن على إسعاده، وإدخال السرور عليه، بما يفرغ قلبه من حمل أُنقال الزوجية إلى القيام بواجبه الأعظم، وهو تبليغ رسالته، وتعليم أمته، وإعطاؤها الأسوة الحسنة به، لتكون كما أرادها الله تعالى خير أمة أخرجت للناس^(٣).

وكل ما سبق تأكيد على أن قوله تعالى : ﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾ ليس إنكاراً عليه، ولا عتاباً له على ذنب، بل تكريمه وتعظيمه على نحو ما سبق فى قوله تعالى : ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾^(٤) ونحو ما يقول الإنسان منا لعزير عليه، ضيق على نفسه فى شئ، والله حرام عليك فعل كذا، والمراد : إظهار مكانته، وفضله، وشرفه، إذ كيف يفعل هذا الأمر الذى فيه مشقة عليه، مع عظم مكانته، والمراد "حرام عليك ظلم نفسك" وليس المراد تأثيم المخاطب المعظم بنحو هذه العبارة، وهذا غاية ما يمكن أن يدعى فى قوله ﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾ أن تكون دالة على أنه ﷺ ترك الأولى والأفضل بالنسبة لمقامه العظيم، وترك الأولى فى المباح ليس بذنب فى حقه ﷺ.

(١) جزء من الآية ٤ التحريم.

(٢) الآية ٥ التحريم.

(٣) ينظر : آيات عتاب المصطفى ﷺ فى ضوء العصمة والاجتهاد للدكتور عويد المطرفى ص ٢٦٣ -

٢٧٩ .

(٤) الآية ٤٣ التوبة، ويراجع ص ١٤٨ .

وبعد : فقد تضمن الكتاب العزيز من التصريح بجليل رتبته ﷺ، وتعظيم قدره، وعلو منصبه، ورفعة ذكره، ما يقضى بأنه جمع أقصى درجات التكريم، ويكفى أن تجد هذا التصريح بعظيم مكانته وفضله عند ربه عز وجل في الدنيا والآخرة، حتى في الآيات المتشابهات التي استدل بها أعداء الإسلام، وخصوم السنة المطهرة، والسيرة العطرة، على نحو ما سبق تفصيله في هذا المبحث الذي وصلنا إلى نهايته الآن، وسوف أنتقل بإذن الله تعالى، إلى شبهاتهم على عدم عصمته في عقله من السنة المطهرة والرد عليها في المبحث التالي، فإلى بيان ذلك .

المبحث الثاني

شبهاتهم من السنة النبوية على عدم عصمة النبي ﷺ فى عقله وبدنه والرد عليها

ويشتمل على تمهيد وخمسة مطالب :

المطلب الأول : شبهة الطاعنين فى حديث "شق صدره ﷺ" والرد عليها .

المطلب الثانى : شبهة الطاعنين فى حديث "فترّة الوحي" والرد عليها .

المطلب الثالث : شبهة الطاعنين فى حديث "نحن أحق بالشك من إبراهيم" والرد عليها .

المطلب الرابع : شبهة الطاعنين فى حديث "سحر رسول الله ﷺ" والرد عليها .

المطلب الخامس : شبهة الطاعنين فى حديث "أهجر" والرد عليها .

تمهيد

بعد أن تحايل أعداء الإسلام، وأعداء السنة والسيرة العطرة، على بعض آيات من القرآن الكريم، ليحوروا معانيها، ويستدلوا بهذا التحوير على عدم عصمة سيدنا رسول الله ﷺ في قلبه، وعقيدته، وخلقّه، تجدهم هنا باسم السنة ونصوصها يستشهدون بها أيضاً على إنكار حجتها، وإنكار مصدريتها التشريعية، في تحديد شخصية وسيرة رسول الله ﷺ، بزعم أن فيها أحاديث صحيحة يفيد ظاهرها - في نظرهم - عدم عصمته ﷺ ويشوه سيرته، وهذا رأى الشيعة ممن تغالوا في فهم العصمة.

وفريق آخر يشترك مع سابقه في إنكار حجية السنة، وإنكار مصدريتها التشريعية في فهم سيرة رسول الله ﷺ، إلا أنه في نفس الوقت يستشهد من ظاهر نصوص السنة والسيرة ما يفيد في زعمه ودعواه بعدم عصمته ﷺ في قلبه وعقيدته.

وهكذا عكس المشاغبون القضية، ونظروا في السنة المطهرة والسيرة العطرة فما وافق دعوهم منها قبلوه، واعترضوا به على منازعهم، واحتجوا به مع وضعه أو ضعف دلالته على ما يزعمون.

وهذا العمل مع جهالته، أخطر منطق عكسي في التدليل على فساد الشئ بمادته، نصاً وأسلوباً.

لأنه إذا كان من الخطأ والخطر قبول الأحاديث الباطلة والموضوعة، وعزوها إلى رسول الله ﷺ، فمتله في البطلان رد الأحاديث الصحيحة الثابتة، بالهوى، والعجب، والتعالم على الله ورسوله، وسوء الظن بالامة، وعلمائها، وأئمتها، في أفضل أجيالها وخير قرونها.

إن قبول الأحاديث المكذوبة يدخل في الدين، وفي سيرة رسول الله ﷺ ما ليس منها.

أما رد الأحاديث الصحيحة، فيخرج من الدين، ومن سيرة النبي ﷺ ما هو منها. ولا ريب أن كليهما مرفوض مذموم، قبول الباطل، ورد الحق.

ولأعداء الإسلام، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، شبهات على عدم عصمة رسول الله ﷺ في قلبه وعقيدته، بنوها على أحاديث مكذوبة، وضعيفة، وأخرى صحيحة مع ضعف دلالتها على ما احتجوا به.

وسوف أذكر تلك الشبهات مع الرد عليها في المطالب التالية، فإلى بيان ذلك، سائلاً المولى عز وجل التوفيق والسداد.

المطلب الأول

شبهة الطاعنين في حديث "شق صدره ﷺ"

والرد عليها

يذهب أعداء الإسلام من المستشرقين، وأنبيالهم من أعداء السنة المطهرة إلى إنكار الشق الحسى لصدر رسول الله ﷺ^(١) فيبعض المستشرقين مثل "نيكولوسون" يرجعه إلى حالة عصية كانت تتنابه ﷺ في فترات متقطعة^(٢) بينما تجد "موير" يوافقه ويزيد عليه أنها لم تؤثر في شخصيته، معللا ذلك بحسن تكوينه وسلامة أعضائه، ونجد أن "شبرنجر" يؤيدهما أيضا ويتلمس مخرجا لظهور هذه الحالة عنده، فيعللها بأنها مورثة له عن أمه بسبب الرؤيا التي كانت تراه أثناء حملته... وما هي إلى من قبيل الخرافات^(٣) وهو يقصد أن أمه آمنة كانت مصابة بداء الصرع، يدلنا على وجوده عندها تلك الرؤيا المتكررة لها أثناء حملها له، وليس لها نصيب من الحق، وقد ورث هذا الصرع منها.

أما "درمنغم" فإنه يعزو شرح الصدر إلى أمر معنوى يشير إلى مغزى فلسفى نهبت إليه سورة "الشرح" فيقول: "إنها نشأت من قول الله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٤) وأن هذه العملية أمر باطنى قام على تطهير ذلك القلب وتوسيعه ليتلقى رسالة الله عن حسن نية، ويبلغها بإخلاص تام، ويحتمل عبثها الثقيل، وأن أسطورة شق الصدر ذات مغزى فلسفى لما تشير إليه تلك الدرنه السوداء من الخطيئة الأولى التى لم يعف منها غير مريم وعيسى، ولما يدل عليه تطهير القلب من معنى الورع الصوفى"^(٥).

وقد تأثر بهذا الفكر الاستشراقى أعداء السنة المطهرة والسيرة العطرة من القرآنيين، والرافضة.

(١) سبق ذكر الروايات في ذلك وتخريجها ص ٦٤ - ٦٨ .

(٢) تاريخ أدب العرب ص ١٤٧، ١٤٨ .

(٣) دائرة المعارف ٦٣٠/٢ مادة آمنة. وينظر: الاستشراق في السيرة لعبد الله النعيم ص ٣٩، ٦٠، والرسول في كتابات المستشرقين لنذير حمدان ص ١١٢، ١٣٤، ومقالة في الإسلام لجرجس سال ص ٤٩، ومحمد رسول الله لآتين دينيه ص ٨٥، والظاهرة القرآنية للملك بن نبي ص ٧٦ .

(٤) الآية الأولى الشرح.

(٥) حياة محمد لدر منغم ص ٤٨ .

يقول محمود أبو ريه^(١) مصرحاً بهذا التأثير قائلاً : "من شاء أن يستزيد من معرفة الإسرائيليات، والمسيحيات وغيرها في الدين الإسلامي، فليرجع إلى كتب التفسير والحديث والتاريخ، وإلى كتب المستشرقين أمثال جلدتسيهر" وفون كريمر وغيرهما، فقد نقلت لهما من هذه الإسرائيليات والمسيحيات أشياء كثيرة"^(٢).

ويقول طاعناً في حديث شق الصدر قائلاً : "إن حديث شق الصدر يأتي مؤيداً لحديث البخاري : "ما من بنى آدم مولود إلا يمسسه الشيطان حين يولد فيسهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها، ثم يقول أبو هريرة : واقرعوا إن شئتم ﴿وَأَنى أَعِيذُهَا بِكَ وَذُرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾"^(٣).

ويقول : "وبذلك لم يسلم من طعن الشيطان أحد غيرهما من بنى آدم أجمعين، حتى الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم، وخاتمهم محمد ﷺ فانظر واعجب! ولم يبقوا عند ذلك بل كان من رواياتهم أن النبي ﷺ لم ينج من نخسة الشيطان إلا بعد أن نقت الطعنة إلى قلبه، وكان ذلك بعملية جراحية تولتها الملائكة بآلات جراحية مصنوعة من الذهب! ونصت هذه الروايات أن صدره صلوات الله عليه قد شق وأخرجت منه العلقة السوداء! وحظ الشيطان كما يقولون، وكان هذه العملية لم تنجح فأعيد شق صدره... وإن هذه العملية الجراحية لتشبه من بعض الوجوه عملية صلب السيد المسيح عليه السلام، وإنما ذكروا ذلك لكي يغفر الله خطيئة آدم التي احتملها هو وذريته من بعده إلى يوم القيامة، وأصبحت في أعناقهم جميعاً، وتتص العقيدة المسيحية أنه لا يظفر بهذا الغفران إلا من يؤمن بعقيدة الصلب .

ولئن قال المسلمون لإخوانهم المسيحيين : ولم لا يغفر الله لأدم خطيئته بغير هذه الوسيلة القاسية التي أزهقت فيها روح طاهرة بريئة، هي روح عيسى عليه السلام بغير ذنب؟ قيل لهم :

(١) محمود أبو ريه : كاتب مصرى كان منتسباً إلى الأزهر في صدر شبابه، فلما انتقل إلى مرحلة الثانوية الأزهرية أعياه أن ينجح فيها، أكثر من مرة، فعمل مصححاً للأخطاء المطبعية بجريدة في بلده، ثم موظفاً في دائرة البلدية حتى أحيل إلى التقاعد، من مصنفاته التي طعن فيها في السنة المطهرة والسيرة الواردة فيها. أضواء على السنة، وقصة الحديث الحمدي، وشيخ المضرة (أبو هريرة) ينظر : السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي ص ٤٦٦ .

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص ١٩١ .

(٣) الآية ٣٦ آل عمران والحديث أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) في عدة أماكن منها كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى واذكر في الكتاب مريم ٥٤١/٦ رقم ٣٤٣١، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام ١٣١/٨ رقم ٢٣٦٦ .

ولم لم يخلق الله قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما خلق قلوب إخوانه من الأنبياء والمرسلين - نقياً من العلقه السوداء، وحظ الشيطان بغير هذه العملية الجراحية التي تمزق فيها صدره وقلبه مواراً عديدة! (١) ومما يؤسف له تأثر بعض كتاب المسلمين بهذا الفكر الاستشراقي ومنهم الدكتور محمد حسين هيكل (٢) حيث يقول في كتابه حياة محمد : "لا يطمئن المستشرقون، ولا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى قصة الملكين هذه، ويرونها ضعيفة السند، فالذي رأى الرجلين في رواية كُتِّب السيرة إنما هو طفل لا يزيد على سنتين إلا قليلاً، وكذلك كانت سن محمد يومئذ" (٣).

ويجاب عن الشبهات السابقة بما يلي :

أولاً : رواية شق صدر رسول الله ﷺ ثابتة صحيحة رويت في مصادر عدة بطرق صحيحة لا يسع العقل المدرك إنكارها .
ثانياً : المستشرقون ومن تابعهم في إنكارهم لشق الصدر لا يستندون إلى علم أو منطق سليم .
وإليك التفصيل .

أما مستند إنكار "موير" و"نيكولسون" و"شبرنجر" فيمكن في : أن ما حدث لرسول الله ﷺ إنما كان ضرباً من نوبات الصرع التي كانت تتعاده بين الحين والحين، وهو ما زعموه أيضاً في حالات نزول الوحي عليه (٤) بهدف إنكار نبوته! لكن المتأمل في معجزة شق الصدر يجد أن هناك بوناً شاسعاً بينه وبين الصرع، فإن نوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مر به أثناءها، بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاماً، ولا يذكر شيئاً مما صنع أو حل به خلالها، ذلك أن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطيل .

(١) أضواء على السنة ص ١٨٥ - ١٨٧ وقال بقوله السيد صالح أبو بكر في الأضواء القرآنية ٣٣/٢، ١٣٣، وينظر : دين السلطان لنيازي عز الدين ص ٤٥٥، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي لأحمد حجازي السقا ص ١١٧، والبيان القرآن لمصطفى كمال المهدوي ٦٣٧/٢، ٦٥١، وتبصير الأمة بحقيقة السنة لإسماعيل منصور ص ٧٠٥، والصحيح من سيرة النبي الأعظم لجعفر مرتضى العاملي ٨٣/٢ - ٩٠، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين لصالح الورداني ص ٢٤٨ .
(٢) محمد حسين هيكل : كاتب مصري. من رواد المدرسة العقلية الحديثة، تأثر فيما كتب عن السنة وسيرة النبي ﷺ بالمستشرقين. من مؤلفاته : حياة محمد .

(٣) حياة محمد ص ١٠٤ وينظر : تفسير محمد عبده ٢٩١/٣، ٢٩٢، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٢٩٢/٣، ومجلة المنار المجلد ١٠/١٦٦، والمجلد ١٩/٥٣١، ٥٣٢، وفقه السيرة ص ٦٥، والسنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص ١١٨ كلاهما للشيخ محمد الغزالي، والنبي محمد ﷺ لعبد الكريم الخطيب ص ١٩٤ - ١٩٧، وأسئلة حرجه لعبد الرازق نوفل ص ١٦٦ .

(٤) سيأتي إن شاء الله تعالى الجواب عن ذلك في الباب الثاني ينظر : ص ٢٨٩ .

هذه أعراض الصرع كما يثبتها العلم، ولم يكن ذلك ليصيب رسول الله ﷺ، بل كانت تنتبه حواسه المدركة في تلك الأثناء تنبهاً لا عهد للناس به، وكان يذكر كل ما يطرأ عليه بدقة فائقة، بدليل قوله ﷺ لما سئل عن كيفية إتيانه الوحي قال : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال... (١) .

هذا بالإضافة إلى أن قصة شق صدره الشريف تحدث به الأطفال الذين كانوا في صحبته إبان حدوثها، ومن البعيد، بل ومن المستحيل أن يتفق الأطفال على اختراع حادثة لا أساس لها، وذلك لطهرهم وصفاء سريرتهم ونقاها على أن رسول الله ﷺ تحدث بها أيضاً بعد الرسالة على ما جاء في رواية مسلم عن أنس بن مالك، وتصريحه بأنه كان يرى أثر المخيط في صدره ﷺ! .

وكذلك جاء التصريح بقصة شق الصدر صريحاً على لسان رسول الله ﷺ على ما جاء في رواية عبد الله بن أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، وكذلك جاء التصريح بالشق ليلة الإسراء والمعراج على ما جاء في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه .

أما ما زعمه "موير" من عدم تأثير النبوة فيه لحسن تكوينه فإنه دس خبيث، وطعن مردود، مؤداه إنكار شق صدره لإنكار نبوته، متزاعاً بما هو مقرر عند المسلمين من كمال هيئته وحسن تكوينه ﷺ، وليس في الروايات ما يساعد على زعمه وافترائه .

إذ كيف يجتمع حسن التكوين، وحدث الصرع؟ إنها قضية من المضحكات المبكيات على عقله الكليل المتناقض! .

وأما ما زعمه "شبرنجر" من أن رسول الله ﷺ كانت له حالات عصبية تنتابه، وأنه ورثها عن أمه بسبب الرؤيا التي كانت تراها أثناء حملها، وما هي إلا من قبيل الخرافات! يكذبه ما سبق من أن أعراض الصرع ما كان ليصيب رسول الله ﷺ منها شيء .

وحمله سبب الصرع، على رؤيا آمنة يكذبه أيضاً ما ثبت في الصحيح من تأكيد ﷺ لرؤيا أمه، في قوله ﷺ : "إني عبد الله وخاتم النبيين وأبى منجدل في طينته، وسأخبركم عن

ذلك، أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمى آمنة التى رأت، وكذلك أمهات المؤمنين يرين...^(١).

وإذا كان "شبرنجر" يعتبر رؤيا أم رسول الله ﷺ، من قبيل الخرافات، فهل يعتبر أيضاً رؤيا أم موسى من قبيل الخرافات؟ والواردة فى قوله تعالى : ﴿وَأَوْحِينَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).

إن أم رسول الله ﷺ آمنة، كان من أعقل الناس، وأصحهم بديناً، ومن زعم خلاف ذلك من المستشرقين فعليه الدليل، ولا دليل! لأن الحق المؤيد بالأدلة القاطعة. أن أم رسول الله ﷺ كانت مؤمنة بعصمة ابنها (محمد بن عبد الله ﷺ) من الشيطان، وأنه سيكون له شأن، وكان هذا بناءً على أمارات تحدثت بها حليلة السعدية عندما تخوفت على رسول الله ﷺ لما بلغها قصة شق صدره الشريف مع الغلمان.

قالت لها : "أفتخوفت عليه الشيطان؟ قالت حليلة : قلت نعم، قالت آمنة : كلا! والله ما للشيطان عليه من سبيل^(٣) وإن لابنى شأنًا! أفلا أخبرك خبره، قالت : قلت : بلى، قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء لى به قصور بصرى من أرض الشام، ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف، ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته، وإنه لو اضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك، وانطلقى راشدة"^(٤).

أما ما ادعاه "درمنغم" من أن قصة شق الصدر لا تستند إلا إلى الآية الكريمة وأنه عمل روحى خالص، فإن الدليل ليس هو الآية فقط، وإنما الدليل على وقوع شق الصدر على جهة الحس، إنما هو الروايات المتواترة والمتكاثرة، التى ذخرت بها كتب السنة كما أسلفنا، وحسبك بمصدرها أحد الصحيحين (مسلم) فلا سبيل إلى التشكيك فى وقوع القصة بعدها، وخاصة أنها جاءت مؤكدة ومفسرة للآية الكريمة ﴿وَأَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٥).

(١) سبق تخريجه ص ٤٨ .

(٢) الآية ٧ القصص، وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٣٢/٦ .

(٣) وفى دلائل النبوة لأبى نعيم بلفظ "لا تخافى هذا، فإن ابني هذا معصوم من الشيطان" أمه .

(٤) لفظ ابن إسحاق فى (السيرة النبوية لابن هشام) من حديث حليلة بنت الحارث السعدية. وقد سبق

تخريجه ص ٦٥ .

(٥) الآية الأولى الشرح .

وإن كانت دعوى المفكرين من المستشرقين، ومن لف لفهم من المسلمين، بأن حياة الرسول ﷺ حياة إنسانية رفيعة، فلا معنى لمثل هذا الحادث بالنسبة له!! فإننا نقول لهم : إن الحياة الإنسانية الرفيعة لا تتعارض والمعجزات الحسية للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولماذا ينكر هذا على سيد ولد آدم، ولا ينكر على غيره ممن سبقه من الأنبياء ممن ظهرت على أيديهم خوارق العادات كموسى وعيسى عليهما السلام، ولم يقل أحد من أهل العلم إن ذلك كان مجافياً لحياتهما الإنسانية الرفيعة؟.

وقصة شق الصدر لا تخالف العقل أيضاً من جهة كونها تمت دون إراقة دم، والتأمت دون آلات طبية، فإن العلم الحديث يؤيد ذلك ويصدق، فقد اخترعت آلات للجراحة تجعل الجرح يلتئم بدون سيلان دم من جسم المريض، كما وجد بعض الأودية تمنع سيلان الدم بمجرد بثها على الجرح، والطبيب لا يدعى أنه يفعل الأشياء الخارقة، وإنما يعتقد أن ذلك قد تم بعلم مدروس له قواعده وأصوله. كيف وقد تم زرع بعض الأجسام المنقولة من ميت أو صحيح إلى آخر مريض، ويزاول حياته الطبيعية بعد أن برأ وعافاه الله وزال عنه المرض؟ وإذا جاز ذلك في حق البشر وهو من جملة ما خلق الله عز وجل، أيستبعد ذلك على الخالق جل جلاله؟.

أما ما ادعاه الدكتور هيكل وغيره : بأن قصة شق الصدر ضعيفة السند، ولم يقم عليها دليل قطعى من الكتاب أو السنة^(١) أو أن هذه القصة مأخوذة عن أهل الجاهلية، ومفتعلة ومختلقة^(٢).

فهو نقد هزيل، لأنه نقد عام دون بيان الضعف من جهة السند، كيف وقد وردت قصة شق الصدر في صحيح مسلم وغيره من كتب السنة كما بينا^(٣) حتى قال الخافظ في الفتح عن شق الصدر ليلة الإسراء إنه تواترت الروايات به^(٤).

(١) على حد قول عبد الكريم الخطيب في كتابه النبی محمد ﷺ ص ١٩٦، وينظر : سيرة المصطفى ﷺ لهاشم معروف الحسيني ص ٤٥ .

(٢) على حد زعم الشيعة جعفر مرتضى العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٨٩/٢ .

(٣) راجع إن شئت ص ٦٤ - ٦٨ .

(٤) فتح الباري ٢٤٤/٧ رقم ٣٨٨٧ . وينظر : الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للسيوطي ص ٦٤ رقم ٩٤، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص ١٣٣ رقم ٢٦١، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادات في نظم المتناثر لعبد العزيز الغماري ص ٢٢١ .

وهؤلاء الطاعنون بذلك أدخلوا أنفسهم في ميدان هم ليسوا من فرسانه فحالفهم الخطأ، وخالفهم الصواب، لأن رواية قصة شق الصدر - كما عرفت آنفاً - رواها أئمة الحديث، وجهاذته العارفون بكل دقائقه، وما يتصل به من تمحيص المرويات، ودراسة أحوال رجالها، وما يتصل بذلك من قواعد علم الجرح والتعديل وغيرها. وأهل كل فن هم أعلم به من غيرهم! وقد ثبت صحة هذه القصة سنداً ومقتاً، وأنها خالية من كل مطعن حسب قواعد علم الحديث وأصوله، مما يضطر العقل إلى قبولها والتسليم بها، وأحاديث شق الصدر رواها الخلف عن السلف في كل الطبقات منذ حدوثها إلى الآن، وهذا هو المعول عليه في قبول الحديث أو رده^(١) وليس اتباع الهوى والغرض دون دليل أو برهان، وإذا ثبت ذلك فاعلم أنه لا يشذ عن الإقرار بحدوثها إلا كل مكابر يجافى الحق وأهله، وطرائق البحث الجاد المستقيم في صادق الأخبار.

أما قول الدكتور هيكل : إن الذى رأى الرجلين فى رواية كتاب السيرة إنما هو طفل لا يزيد على سنتين إلا قليلاً، وكذلك كانت سن محمد يومئذ.

فهو ادعاء ينقصه الدليل، والأرجح والأصح عند العلماء أنها كانت بعد إتمامه الأربع منى السنين، وهو سن أجاز علماء الحديث فيه صحة تحمل الطالب للحديث مادام مرتفعاً عن حال من لا يعقل فهماً للخطاب، ورداً للجواب ونحو ذلك طبقاً لمعايير خاصة حول الإدراك والتمييز والضبط تتفق مع ما هو ملاحظ فى واقع الأطفال من النباهة، وقوة الحافظة^(٢).

وإذا كان مقبولاً ممن سوى المصطفى ﷺ فى مثل سنه، وهم بلا ريب فى أدنى درجات التعلل بالنسبة له، أفلا يجوز ذلك لمن لو وزن بأمنته كلها لرجحها ﷺ؟.

وحتى لو كان سن رسول الله ﷺ ومن معه من الغلمان ممن شهدوا قصة شق الصدر لا يزيد على سنتين إلا قليلاً كما يزعم الدكتور هيكل؛ أليس رسول الله ﷺ صرح بالتحديث بها بعد

(١) وليس الاعتماد على رواية ابن إسحاق فى السيرة النبوية، ووصفه بأنه حديث مضطرب السند، لا يؤخذ به، كما قال عبد الكريم الخطيب فى كتابه النبى محمد ص ١٩٦؛ ومع ذلك فليست رواية ابن إسحاق التى اعتمد عليها عبد الكريم الخطيب مضطربة السند كما يزعم. فقد ساق ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية ٢/ ٢٥٦ : إحدى روايات ابن إسحاق، وهى فى السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢١٥ رقم ١٦٢، وقال معقباً عليها "وهذا إسناد جيد قوى". وينظر اعتماد جعفر مرتضى العاملى فى كتابه الصحيح من سيرة النبى الأعظم ٢/ ٨٩، ٩٠ على رواية الأصفهاني فى كتابه الأغاني ٣/ ١٨٨ - ١٩٠ فى رده قصة شق الصدر.

(٢) ينظر : فتح المغيث للسخاوى ٢/ ٦، وتدريب الراوى ٢/ ٤.

البعثة؟! أليس في هذا التصريح بعد البعثة دليل على أن ذلك وحى من الله عز وجل إليه بما حدث له في صغره من عناية الله عز وجل به وعصمته؟!.

أليس في التحديث بها بعد وحى الله عز وجل إليه دليل على صحة القصة ووجوب قبولها، حتى ولو كان رسول الله ﷺ ومن شهدا في الصغر دون سن التمييز؟!.

وأختم الرد على الدكتور هيكل ومن شايه بما قاله فضيلة الشيخ محمد عرجون : قال : "ولا عبرة بعدم اطمئنان المستشرقين، وجماعة "العقلانيين" من الباحثين المعاصرين إلى القصة ووقوعها، فلو لم يكن في رواياتها إلا رواية الشيخين البخارى ومسلم لكانت فى أعلى مرات الصحة من ناحية السند .

وأما غمز القصة بطفولية النبى ﷺ، واستعظام ما حدث به على سنه فى الرواية، فهذا من قبيل الإيهام المضلل، لأن تحديد السن لم تتفق عليه الروايات!.

على أننا نسأل عبيد الاستشراق والمستشرقين، ما قولكم فى رواية البخارى وهى صريحة فى أن القصة وقعت بعد النبوة ليلة الإسراء؟ والحديث معكم فى وقوع القصة لافى زمانها ومكانها، لأن ذلك تحقيق تاريخى لا يضير البحث ألا تؤمنوا به، وكيف يستعظم تحدته ﷺ على سنه، والأمر كله من قبيل الإعجاز؟ على أن تحدته كان وهو نبى رسول، إذ سئل من بعض أصحابه فأجاب بما جاء فى الرواية.

والذى يعنى البحث أن قصة شق الصدر حادث كونى، ومعجزة عجيبة وقعت لنبينا محمد ﷺ، وجاءتنا بها الروايات الصحيحة الثابتة، ولا يردها تشكيك مستشرق، ولا مستغرب، ولا متعوقل ولا متعالم^(١).

أما من حمل شرح الصدر على الأمور المعنوية من المستشرقين فظاهر من جردهم وإنكارهم، أما من حمّله على ذلك من المسلمين، فإن صاحب السيرة الهاشمية يقول رداً عليهم : "وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحمّله على الأمر المعنوى، وإلزام قائله القول بقلب الحقائق، فهو جهل صريح، وخطأ قبيح، نشأ من خذلان الله تعالى لهم وعكوفهم على العلوم الفلسفية، وبعدهم عن دقائق السنة"^(٢).

(١) محمد رسول الله ﷺ ١٥٠/١ .

(٢) ينظر : سبل الهدى والرشاد ٨٩/٢ .

ولا شك أن ذلك ينسحب على كل منكر له في القديم والحديث. عصمنا الله من ذلك.

أما مقارنة محمود أبو ربه بين قصة شق الصدر، وحديث نخس الشيطان كل مولود. فلا وجه لهذه المقارنة، لأن شق الصدر لم يكن لإزالة أثر النخسة كما زعم، وإنما كانت لتطهير القلب من شيء يخلق لكل إنسان بمقتضى أنه خلق ليبتلى.

أما تكراره فذلك كان لمقصود مناسب لوقت وقوعه، فالمقصود أولاً، غير المقصود ثانياً، وثالثاً، ورابعاً. على نحو ما فصل سابقاً^(١) وبالتالي لا وجه لسؤال أعداء السيرة العطرة، لماذا تكررت هذه العملية أربع أو خمس مرات في أوقات متباعدة؟!؟

كما أنه لا وجه للمقارنة بين شق الصدر والصلب لما يلي :

أولاً : لأن شق الصدر أمر حق وممكن، وثابت بالأسانيد الصحيحة المؤكدة للآية الكريمة ﴿الْم نشرح لك صدرك﴾^(٢) والصلب أمر باطل، وفيه مخالفة للعقل والنقل، وقد نفاه القرآن نفياً باتاً، قال تعالى : ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٣).

ثانياً : شق صدر رسول الله ﷺ لم يؤلمه البتة على ما زعمه أعداء السنة والسيرة^(٤) وإنما شق صدره الشريف على ما جاء في الحديث : "أخذ كل واحد من الملكين بعضه، ولا يجد ﷺ لأحدهما مساً، واضجعا بلا قصر ولا حصر، وهوى أحدهما إلى صدره الشريف ففلقها، ورسول الله ﷺ لا يرى دماً، ولا وجعاً"^(٥) وهذا كله بخلاف الصلب!

(١) راجع إن شئت ص ٦٤ - ٦٨ وينظر : الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة لعبد الرحمن اليمان ص ١٣٦ .

(٢) الآية الأولى الشرح .

(٣) الآيتان ١٥٧، ١٥٨ النساء .

(٤) ينظر : أضواء على السنة لمحمود أبو ربه ص ١٨٧، والصحيح من سيرة النبي الأعظم لجعفر العاملي

٨٧/٢ .

(٥) راجع إن شئت رواية عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند والسابق ذكرها ص ٦٦ .

ثالثاً : شق صدره ﷺ على ما جاء فى الروايات الصحيحة ليس لتكفير ذنبه ولا ذنب غيره، وهذا بخلاف خرافة صلب المسيح!

أما قول محمود أبو ريه تبعاً لآسياده من المبشرين والمستشرقين قال : "ولئن قال المسلمون... ولم لا يغفر الله لآدم خطيئته بغير هذه الوسيلة القاسية... قيل لهم : ولم لم يخلق الله قلب رسول الله الذى اصطفاه كما خلق قلوب إخوانه المرسلين؟".

قيل له : أما المسلمون فلا يقولون ما زعمت، وإنما يقولون : كيف يذنب آدم عليه السلام وهو عبد من عبيد الله، فيعاقب الله عيسى عليه السلام! وهو عند زاعمى ذلك "ابن الله الوحيد" بتلك العقوبة القاسية التى تألم لها عيسى بزعمهم أبلغ الأكم، وصرخ بأعلى صوته "إيلى إيلى، لم شبقتنى" أى إلهى إلهى لم تركتنى؟ وقد قال الله عز وجل : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَيَرُدُّهُنَّ إِلَىٰ بَإْسِهِ ۚ وَإِلَىٰ عِزِّهِ مُرْجَعُ كُلِّ فاعِلٍ ۚ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (٢) وغير ذلك من الآيات التى تبطل الأساس الذى قامت عليه خرافة صلب المسيح!

ثم أين العلم : أن قلوب سائر المرسلين لم تخلق كما خلق قلب محمد ﷺ؟ فقد تكون خلقت سواء، وخص سيدنا رسول الله ﷺ بهذا التطهير، أو طهرت أيضاً بهذه الوسيلة أو غيرها، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

أما ما ادعاه محمود أبو ريه من أن بعض القساوسة المسيحيين : "اتكأوا على حديث نخس الشيطان كل مولود حين يولد، وقصة شق الصدر فى إثبات عقيدة من عقائدهم الزائفة، وهذا فى زعمه دليل على بطلان الحديث وقصة شق الصدر وردهما (٤).

فهذا ادعاء واتكاء باطل، والتبعية فى هذا الادعاء والاتكاء على من حرف الحديث عن موضعه، وحمله على غير محامله الصحيحة.

(١) الآية ٣٣ لقمان.

(٢) الآية ٣٨ النجم.

(٣) جزء من الآية ٦٦ آل عمران. وينظر : الأنوار الكاشفة ص ١٣٧، والروض الأنف للسهيلى ٢٩٣/١.

(٤) ينظر : هامش أضواء على السنة ص ١٨٦، وحياة محمد للدرمنجم ص ١٣١.

فالحديث صحيح رواية، ودراية، وليس في معناه ما يدعو إلى رده عند المحققين، لأنه لا يخالف عقلاً ولا نقلاً. بل الحديث استجابة لدعاء أم السيدة مريم حيث قالت كما حكى القرآن عنها: ﴿وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾^(١) وبالتالي فالحديث جاء تأكيداً وبياناً للآية الكريمة، كما جاء على لسان راوى الحديث أبو هريرة رضى الله عنه.

كما أن الحديث ليس كما توهم مخالفاً لقوله تعالى: ﴿قل رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين. قال هذا صراط على مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾^(٢).

ولا مخالفاً أيضاً لما ثبت من عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الشيطان الرجيم لأن الذي يقتضيه ظاهر الحديث. أن إبليس - عليه لعنة الله - مُمْكَنٌ من مس كل مولود عند ولادته، لكن عباد الله المخلصين لا يضرهم ذلك المس أصلاً، واستثنى من المخلصين مريم وابنها، فإنه ذهب يمس على عادته، فحيل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص^(٣)، ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين من أنبياء الله عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

وليس في إسناد خصوصية لعيسى عليه السلام، أو لغيره من الأنبياء، ما يعود بالنقص على إخوانه الأنبياء، ولا ما يثبت تفضيله عليهم، إذ من المسلم به أنه قد يكون في المفضل من الخصائص ما ليس للأفضل، ولا يؤثر هذا في أفضليته، لأن له من الخصائص ما يؤهله لاستحقاق الأفضلية^(٤).

هذا ولا يلزم من وقوع المس إضلال الممسوس وإغواءه، فإن ذلك ظن فاسد، فكم تعرض الشيطان للأنبياء بأنواع الإفساد والإغواء، ومع ذلك عصمهم الله عز وجل، بعدم تمكنه من إغوائهم، أو إلحاق ضرر بهم بضر بالدين؛ وتأمل قوله تعالى في حق سيدنا أيوب عليه السلام: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب﴾^(٥) وقوله سبحانه

(١) الآية ٣٦ آل عمران.

(٢) الآيات ٣٩ - ٤١ الحجر.

(٣) الذي سأل عنه محمود أبو ربه. ينظر: أضواء على السنة ص ١٨٨.

(٤) ينظر: دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص ٨٦.

(٥) الآية ٤١ ص.

فى حق سيدنا آدم وزوجته : ﴿فَازِلْهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرِجْهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾^(١) وقوله عز وجل فى حق سيدنا موسى عليه السلام : ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾^(٢) وقوله تعالى لسيدنا رسول الله ﷺ : ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) وقوله ﷺ : "إن عفريتاً^(٤) من الجن جعل يفتك^(٥) على البارحة ليقطع على الصلاة. وإن الله أمكننى منه فذعته^(٦)... الحديث^(٧) .

فكل هذا لا يتعارض مع حديث (نخس الشيطان كل مولود) ولا مع قوله تعالى ﴿إِنِّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ لأن معناه والله أعلم : "أن تسلط على إغوائهم الإغواء اللزوم، لأن الكلام فيه لتقدم قوله : ﴿لَاغُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. وهذا لا يناقئ أن يسلط على بعضهم لإغواء عارض، أو لإلحاق ضرر لا يضر بالدين^(٨) .

هذا ولا يلزم من ظاهر حديث (نخس الشيطان كل مولود) أن تمتلئ الدنيا صراخاً وغياطاً كما توهم الزمخشري^(٩) لأن الحديث إنما جعل ذلك عند الولادة فحسب، وأما بعدها فلا! ولو حكمنا المشاهدة، فما من مولود إلا ويستهل صارخاً أو باكياً، وإنكار ذلك مكابرة^(١٠) .

أما زعم محمود أبو ريه : أن ذلك النخس أو المس لو وجد لبقى أثره، ولو بقى أثره لزم الصراخ والبكاء. فنقول : أرأيتم إذا ختن الطفل فتألم وبكى، أيستمر الألم والبكاء!!!؟

أما ما ذكره محمود أبو ريه : عن الرازى وغيره^(١١) أن الخبر على خلاف الدليل لأن الشيطان إنما يدعو إلى الشر من يعرف الخير والشر، والصبي ليس كذلك، كما أنه يلزم منه تمكن

(١) الآية ٣٦ البقرة.

(٢) الآية ١٥ القصص.

(٣) الآية ٢٠٠ الأعراف.

(٤) العفريت : العاتى المارد من الجن.

(٥) "يفتك" وفى رواية "يفلت" وهما صحيحان. والفتك : الأخذ فى غفلة وخديعة.

(٦) بذال معجمة أى خنقته، وفى رواية صحيحة بدال مهملة : أى دفعته دفعا شديداً.

(٧) سبق ذكره كاملاً وتخريجه ص ٥١ .

(٨) ينظر الأنوار للكاشفة لعبد الرحمن اليمان ص ١٣٨ .

(٩) وتوقف فى صحة الحديث بنظر : الكشف ١/٣٥٦، ٣٥٧ .

(١٠) ينظر : دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ص ٨٧ .

(١١) كالقاضى عبد الجبار المعتزلى. ينظر : أضواء على السنة ص ١٨٨، وجامع البيان عن تأويل آى

القرآن ٤٠٩/٢ .

الشیطان من إهلاكهم... فأقول : ومن قال إن النخسة دعاء إلى الشر؟ بل إن كانت للإيلام فقط، فذلك من خبث الشیطان، مَكَّن منها، كما مَكَّن مما أصاب به سيدنا أيوب عليه السلام، وكما يُمْكِن الكفار من قتل المسلمين حتى الأنبياء، ونجح أطفالهم. وإن كانت النخسة لإحداث أمر من شأنه أن يورث القلب قبولاً ما للوسوسة بعد الكِبَر، فهذا لا يستدعي معرفة الخير والشر في الحال. والتمكين من هذا كالتمكن من الوسوسة والتزيين، وذلك من تمام أصل البلاء. ولا يلزم من تمكنه من هذا النخس أن يفعل أكثر من ذلك من إهلاك الصالحين، وإفساد أحوالهم كما زعم أعداء العنة والسيرة العطرة، لأنه لا يتمكن إلا إن مكَّنه الله تعالى، فإذا مكَّنه الله تعالى من أمر خاص، فمن أين يلزم تمكنه من غيره؟!!^(١)

ولعله بعد هذا العرض، ومناقشة المستشرقين وأضرابهم قد تبين لك الثقة الكاملة في ثبوت الشق الحسى لصدر رسول الله ﷺ في المرة الأولى مدعماً بالدليل الصحيح، وأيضاً فيما تبعه من تكرره في سن العاشرة وأشهر، وعند البعثة، وفي ليلة الإسراء والمعراج، مدعماً بالأدلة في أصح كتب الصحيح كما بينا في موضعه مما سبق.

هذا وقد أنكر صحة وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ابن حزم وعباض، وادعيا أنها تخطيط من "شريك" وليس كذلك فقد ثبت هذا أيضاً في الصحيحين من غير طريق "شريك"^(٢).

قال الحافظ ابن حجر : "جميع ما ورد من شق الصدر، واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يحجب التسليم له، دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القسرة، فلا يستحيل شيء من ذلك"^(٣) ويؤيده الحديث الصحيح. أنهم كانوا يرون أثر المخطط في صدره ﷺ^(٤) أهـ.

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

(١) ينظر : الأنوار الكاشفة ص ١٤٩ .

(٢) قاله الحافظ العراقي في أول شرحه لتقريبه، طرح التثريب في شرح التقريب ١٨/١ .

(٣) وقال بنحو ذلك هاشم الحسینی بعد أن شكك في أسانيد هذه القصة. ينظر كتابه سيرة المصطفى ﷺ ص ٤٥ .

(٤) فتح الباری ٢٤٥/٧ رقم ٣٨٨٧، والمواهب اللدنية وشرحها للزرقانی ٥٠/٨، ٥١، وينظر : الفصول الزكية في سيرة خير البرية للدكتور عبد الموجود عبد اللطيف ص ١٤٢ - ١٥٠ .

المطلب الثانى

شبهة الطاعنين فى حديث "فترة الوحي"

والرد عليها

روى البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت : "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبيب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة^(١) فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو فى غار حراء، فجاءه الملك، فقال : اقرأ. قال : ما أنا بقارئ. قال : فأخذنى فغطنى^(٢) حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال : اقرأ. قلت : ما أنا بقارئ. فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال : اقرأ. فقلت : ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال : ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم﴾^(٣) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملونى زملونى فزملوه^(٤) حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى. فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل^(٥) وتكسب المعدوم^(٦) وتقري الضيف، وتعين على نوائب^(٧) الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرءا تنصر فى الجاهلية، فيكتب بالعبرانية ما شاء الله أن

(١) هى : خديجة بنت خويلد، أول نساء رسول الله ﷺ، ولم يتزوج عليها فى حياتها قط، رزق حبها، ورزق منها جميع ولده، عدا إبراهيم رضى الله عنه، وكانت وزيرة صدق له ﷺ، تفرج همومه، وتنفس كربيه، ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة أبى طالب بثلاثة أيام، ولذلك سمى هذا العام بعام الحزن. لها ترجمة فى : أسد الغابة ٨٠/٧ رقم ٦٨٧٤، والاستيعاب ١٨١٧/٤ رقم ٣٣١١، وتاريخ الصحابة ص ٩٢ رقم ٣٩٠، والإصابة ٢٨١/٤ .

(٢) الغط : العصر الشديد، والكبس، ومنه الغط فى الماء، الغوص. النهاية فى غريب الحديث ٣/٣٣٥ .
(٣) الآيات ١ - ٣ العلق .

(٤) أى : لقوه : يقال : تزل بثوبه إذا التف فيه. النهاية ٢٨٣/٢ .

(٥) بالفتح : الثقل من كل ما يتكلف، والكل : العيال، والمراد : من يستقل بأمره، كما قال الله تعالى : ﴿وهو كل على مولاه﴾ جزء من الآية ٧٦ النحل ينظر: النهاية ١٧٢/٤، وفتح البارى ٣١/١ رقم ٣ .

(٦) بضم أوله : هو الفقير، والمراد تعطى الناس مالا يجدونه عند غيرك. النهاية ١٧٣/٣ .

(٧) النوائب : جمع نائبة، وهى الحادثة، وإنما قالت : نوائب الحق، لأن النائبة قد تكون فى الخير، وقد تكون فى الشر، وهى كلمة جامعة لما تقدم من أوصاف، ولغيرها .

الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى^(١) فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة : يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً^(٢) ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك رسول الله ﷺ أو مخرجي هم؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك، أنصرك نصرأ مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي^(٣).

وفى هذا الحديث الموصول زيادة في آخره رواها الإمام عبد الرزاق عن معمر عن الزهري بلاغاً قال : "وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً، كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل، لكى يلقي منه نفسه، تبدى له جبريل فقال : يا محمد، إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، ونقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له : مثل ذلك"^(٤).

-
- (١) مات قبل أن يؤمر رسول الله ﷺ بالبلاغ سنة ١٢هـ له ترجمة في: أسد الغابة ٤١٦/٥ رقم ٥٤٦٥ .
 (٢) يعني : شاباً قوياً، حتى أبلغ في نصرتك وحمایتك، وأصل الجذع : من أسنان الدواب، وهو ما كان منها شاباً قوياً، وهو هنا استعارة. ينظر : النهاية ٢٤٣/١ .
 (٣) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب بدء الرحي ٣٠/١، ٣١ رقم ٣، وفي كتاب التفسير، باب سورة العلق ٥٨٥/٨ رقم ٤٩٥٣، وأرقام ٤٩٥٥ - ٤٩٥٧ مختصراً، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٤٧٤/١، ٤٧٥ رقم ٢٥٢، والحاكم في المستدرک ٢٠٢/٣ رقم ٤٨٤٣، وقال : صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولم يذكره الذهبي في التلخيص، ولا يخفى أن الشيخين قد أخرجاه، ولكن من غير طريقه، وأحمد في مسنده ٢٢٣/٦، والطيالسي في مسنده ص ٢٠٦ رقم ١٤٦٧، ص ٢١٥، ٢١٦ رقم ١٥٣٩، وحسن إسناده الحافظ في فتح الباري ٣٣/١ رقم ٣، قلت : فيه رجل مبهم قد سماه أبو نعيم في دلائل النبوة ٢١٥/١ رقم ١٦٣ حيث أخرج الحديث عن أبي عمران عن (يزيد بن بابنوس) عن عائشة، وابن بابنوس هو الرجل المبهم في سند الطيالسي، وهو حسن الحديث، ذكره ابن حبان في ثقات التابعين ٥٤٨/٥، وقال ابن حجر : مقبول، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والنسائي في السنن، والترمذي في الشمائل، ينظر : تهذيب التهذيب ٣١٦/١١، وتقريب التهذيب ٣٢١/٢ رقم ٧٧٢٢، والحديث أخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٢٩/١، ١٣٠، وابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام) ٣٠٢/١ - ٣٠٥ نصي رقم ٢٣٠ - ٢٣١ .
 (٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٢١/٥ - ٣٢٣ ومن طريقه أحمد في مسنده ٢٣٢/٦، ٢٣٣، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ٣٦٨/١٢ رقم ٦٩٨٢، وابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) كتاب الوحي ١١٩/١، ١٢٠، وأبو نعيم في دلائل النبوة ٢١٣/١ - ٢١٥ رقم ١٦٢ .

بهذه الرواية وزيادتها، طعن أعداء السنة والسيرة العطرة قديماً وحديثاً فى المحدثين زاعمين أن فى هذه الرواية طعن فى نبوة رسول الله ﷺ وعصمته. فقديماً قالوا : كيف يجوز للنبي أن يرتاب فى نبوته حتى يرجع إلى ورقة، ويشكو الخديجة ما يخشاه، وحتى يوفى بسذرة جبل ليلقى منها نفسه على ما جاء فى رواية معمر؟^(١).

وحديثاً : لم يخرج أعداء السنة والسيرة عن طعون أسلافهم قديماً. إذ يقول : عبد الحسين شرف الدين الموسوى^(٢) ترا - يعنى حديث بدء الوحي - نصاً فى أن رسول الله ﷺ كان - والعياذ بالله - مرتاباً فى نبوته بعد تمامها، وفى الملك بعد مجيئه إليه، وفى القرآن بعد نزوله عليه، وأنه كان من الخوف على نفسه فى حاجة إلى زوجته تشجعه، وإلى ورقة الأعمى الجاهلى....^(٣).

ويقول جعفر مرتضى العاملى^(٤) "كيف يجوز إرسال نبي يجهل نبوة نفسه، ويحتاج فى تحقيقها إلى الاستعانة بامرأة، أو نصرانى؟ ألم تكن هى فضلاً عن ذلك النصرانى أجدر بمقام النبوة من ذلك الخائف المرعوب الشاك؟ ثم كيف يتناسب ذلك مع كونه أراد أن يلقي نفسه من شواق الجبال"^(٥).

ويجيب عن الشبهات السابقة بما يلى :

أولاً : الحديث الذى طعنوا فيه - بدون الزيادة - صحيح سنداً ومتناً، وفى أعلى درجات الصحة، باتفاق البخارى ومسلم وغيرهما على إخرجه من رواية عائشة رضى الله عنها، ولا يقدح فى سند الحديث، وصحة متنه، أن عائشة رضى الله عنها لم تترك القصة، لما يلى :

(١) حكاه عنهم الإمام الإسماعيلى، على ما نقله عنه الحافظ فى فتح البازى ١٢/٣٧٧ رقم ٦٩٨٢ .
(٢) شيعى إمامى، ولد فى الكاظمية ببغداد سنة ١٢٩٠هـ. من مؤلفاته : أبو هريرة، والنص والاجتهاد، مات سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م. ترجم له : محمد صادق الصدر فى مقدمة كتاب النص والاجتهاد ص ٥ - ٣٩ .

(٣) النص والاجتهاد ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٤) كاتب شيعى، إمامى، معاصر، من مؤلفاته : الحياة السياسية للإمام الرضا، والصحيح من سيرة النبی الأعظم ﷺ، نال به جائزة الكتاب الأول فى مجال كتابة السيرة من الجمهورية الإسلامية بإيران لعام ١٤١٣هـ والكتاب يرفض فيه صاحبه سيرة رسول الله ﷺ الواردة فى السنة المطهرة، كما يطعن فى طول الكتاب البالغ عشر مجلدات فى كل منقبة لصحابة رسول الله ﷺ، واردة فى السنة والسيرة .

(٥) الصحيح من سيرة النبی الأعظم ٢/٢٩٨، وينظر : دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين لصالح الوردانى ص ٢٤٥ - ٢٤٨، والأضواء القرآنية لصالح أبو بكر ١٢٤/٢ - ١٢٧، ودفاع عن السنة لمحمد الهاشمى ص ٤٣، وحياة محمد لدرمنغم ص ٦٥، ٨٦، والرسول حياة محمد للمستشرق بودلى ص ٥٧ - ٦٣، والظاهرة القرآنية للملك بن نبي ص ٩٤ .

أ- لأن مرسل الصحابي حكمه على المذهب الصحيح، الوصل المقتضى للاحتجاج به^(١).
ب- السيدة عائشة رضی الله عنها لم تنفرد برواية حديث بدء الوحي، فللحديث شاهد من حديث جابر بن جابر عبد الله رضی الله عنه، وهو أيضاً لم يشهد هذه القصة، ولكنه فى روايته بصرح بالتحديث عن بدء الوحي وفترته سماعاً من رسول الله ﷺ^(٢) مما يؤكد صحة مرسل عائشة، حيث لا يبعد سماعها تلك القصة من رسول الله ﷺ أو ممن سمعها منه ﷺ، وهو يحدث بها، كما سمعها جابر وصرح بذلك. ومما يؤكد صحة سماعها رضی الله عنها من رسول الله ﷺ حديثاً، ما ورد فى الحديث من قوله (فغطني حتى بلغ منى الجهد) فهنا فى الكلام التفات، حيث انتقل الكلام من حكاية عائشة، إلى حكاية رسول الله ﷺ، عن نفسه، مما يؤيد صحة إرسالها، وأنه موصول من أوله إلى آخره.

ثانياً : الزيادة الواردة فى سند حديث عائشة رضی الله عنها غير ثابتة عن رسول الله ﷺ، ولم يقل شيئاً منها، ولا فعلها، فهى لا تصح سنداً ولا متناً لما يلى :

أ- فالما الدليل على عدم صحة هذه الرواية سنداً فهو ما ورد فى الرواية ذاتها إذ فيها "حزن النبي ﷺ، فيما بلغنا..." والقائل "فيما بلغنا" هو الإمام الزهرى^(٣) وهو أعلم الحفاظ، ولكن لا يقبل ما رواه من غير سند! فعن يحيى بن سعيد القطان^(٤) قال : مرسل الزهرى شر من مرسل غيره، لأنه حافظ، وكلما قدر أن يسمى سمي! وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه^(٥) وهذه الزيادة من هذه القبيل، حيث أنها منقطعة قد رواها الزهرى بلاغاً، وهو من صغار

(١) سبق تفصيل ذلك ص ١٥٩ .

(٢) سيأتى ذكر الرواية وتخرجها قريباً.

(٣) على ما ذهب إليه الحفاظ ابن حجر، وتبعه فى ذلك السيوطى، والقسطلانى، خلافاً للقاضى عياض، حيث جزم بأن البلاغ من قول معمر، ينظر : فتح البارى ١/ ٣٧٦ رقم ٦٩٨٢، والمواهب اللدنية للقسطلانى وشرحها للزرقانى ١/ ٤٠٢ قلت : سواء كان هذا البلاغ من قول معمر أو الزهرى فهو غير مسند، وهذا مطعن فيه من جهة السند، فلا وجه لقبوله، لأن البلاغ من قبيل المنقطع وهو مستن أنواع الضعيف .

(٤) هو : يحيى بن سعيد بن فروخ، التميمى، أبو سعيد القطان البصرى، أحد الأئمة الأعلام، ثقة، حافظ، متقن، كان رأساً فى العلم والعمل، مات سنة ١٩٨ هـ له ترجمة فى : تقريب التهذيب ٣٠٣/ ٢ رقم ٧٥٨٤، والكاشف ٢/ ٣٦٦ رقم ٦١٧٥، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٩٢ رقم ١٢٧٨، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٣١ رقم ٢٦٨ .

(٥) ينظر : تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٨ رقم ٩٧، وتدريب الراوى ١/ ١٩٦، ٢٠٥ .

التابعين، وجل روايته عن كبار التابعين، وأقلها عن صغار الصحابة^(١) فكيف بالكبار منهم، لاسيما من شهدوا بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ^(٢) وعلى ذلك فلا سند يعتمد عليه، ولعل الإمام البخارى وغيره ممن أخرج هذه الزيادة أرادوا بذلك التنبيه إلى مخالفتها لما صح من حديث بدء الوحي الذى لم تذكر فيه هذه الزيادة، وخصوصاً أن البخارى لم يذكر هذه الزيادة فى بدء الوحي، ولا التفسير، وإنما ذكرها فى التعبير على ما سبق فى التخرىج.

ويؤيد ما سبق، أن الأئمة الحفاظ يذكرون عقب هذه الزيادة حديث جابر الصحيح فى فترة الوحي إلى الزهرى بنفس السند الذى يروونه عنه فى حديث عائشة الأول، ويفهم من صنيعهم ذلك: أن الزهرى نفسه كان يحدث بحديث جابر عقب حديث عائشة.

ففى مصنف الإمام عبد الرزاق بعد فراغه من حديث عائشة : قال معمر، قال الزهرى، فأخبرنى - حرف الفاء هذا يفيد العطف على رواية سابقة، والتعقيب بأخرى لاحقة، وذلك فى مجلس واحد - أبو سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ، وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال فى حديثه : "بينما أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسى، فإذا الذى جاعنى بحراء جالساً على كرسى بين السماء والأرض، فجئْتُ^(٣) منه رعباً، ثم رجعت، فقلت : زملونى، زملونى، وثنونى، فأنزل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ إلى ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(٤).

وكذلك الإمام البخارى ذكر حديث عائشة المتقدم فى بدء الوحي عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها إلى قولها : ثم لم ينشب ورقة أن توفى، وفتر الوحي، ثم قال

(١) ينظر : تقريب التهذيب ٢٥/١ المقدمة.

(٢) وفى هذا رد على الإمام الزرقانى فى رده على القاضى عياض بأن هذا البلاغ ضعيف، قائلاً : هذا البلاغ ليس بضعيف، كما ادعى عياض متمسكاً بأنه لم يسنده، لأن عدم إسناده، لا يقدر فى صحته، بل الغالب على الظن أنه بلغه عن الثقات أهد وما قاله الإمام الزرقانى : فرض احتمال، لا يثبت، ولا يقوم على قدم صحيحة، ومجرد الاحتمال كاف لرده وعدم قبوله، ويرده أيضاً ما قاله يحيى بن سعيد القطان. ينظر : شرح الزرقانى على المواهب ٤٠٣/١، والشفاء ١٠٤/٢، ومحمد رسول الله لفضيلة الشيخ عرجون ٣٨٦/١ - ٣٩٤ .

(٣) فى بعض الروايات (فجئت) بثلاثة بدل الهمزة، ومعناها : فرغت منه، وخفت، وذعرت، وقيل : معناه : قلعت من مكان. ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٢٣١/١، ٢٢٥ .

(٤) الآيات ١-٥ المدثر، وينظر : مصنف عبد الرزاق ٣٢٣/٥، ٣٢٤، ودلائل النبوة لأبى نعيم ٢١٣/١ - ٢١٥ رقم ١٦٢ .

عقبة : قال ابن شهاب : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال... فذكر الحديث بنحو رواية عبد الرزاق، غير أنه زاد في آخره : "فحمى الوحي وتتابع"^(١).

قال الحافظ ابن حجر : قوله : (قال ابن شهاب : وأخبرني أبو سلمة) إنما أتى بحرق العطف، ليعلم أنه معطوف على ما سبق، كأنه قال : أخبرني عروة بكذا، وأخبرني أبو سلمة بكذا، وأخطأ من زعم أن هذا معلق، وإن كانت صورته صورة التعليق، ولو لم يكن في ذلك إلا ثبوت الواو العاطفة، فإنها دالة على تقديم شيء عطفته - وهو حديث عائشة المتقدم - ثم قال ابن شهاب - أي بالسند المذكور - وأخبرني أبو سلمة بخبر آخر، وهو حديث جابر عن فترة الوحي^(٢).

وكذلك فعل الإمام أحمد في مسنده، مع أنه قد جمع في مسنده مرويات كل صحابي على حده، دون الالتزام بالوحدة الموضوعية للأحاديث، لكنه لما روى حديث عائشة المتقدم عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، قال : فذكر حديثاً^(٣) لعله يشير إلى حديث جابر الذي أخرجه قبل ذلك في المسند^(٤).

وكذلك صنعا مسلم، وابن حبان في صحيحيهما عقب إخراجهما لحديث عائشة رضى الله عنها^(٥) فدل هذا كله، على أن ابن شهاب الزهري كان يحدث بالحديثين معاً، كما روى عنه غير واحد مما سبق بيانه، وأن الصواب في رواية حديث عائشة بدون تلك الزيادة، كما أخرجه مسلم، والبخاري في بعض مواضعه، وغيرهما^(٦).

(١) صحيح البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب بدء الوحي ٣٧/١ رقم ٤، وفي كتاب التفسير، باب سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق ٥٨٥/٨، ٥٨٦ رقمي ٤٩٥٣، ٤٩٥٤، وأخرجه في مواطن أخرى من صحيحه، ينظر : تفسير سورة المدثر ٥٤٥/٨ - ٥٤٧ أرقام ٤٩٢٢ - ٤٩٢٥، وفي كتاب الأدب، باب رفع البصر إلى السماء ٦١١/١٠ رقم ٦٢١٤ .

(٢) فتح الباري ٣٧/١ رقم ٤ .

(٣) المسند ٢٣٢/٦، ٢٣٣ .

(٤) ينظر المسند ٢٣٢/٣، ٢٣٣ .

(٥) ينظر : صحيح مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٤٧٦/١ رقم ٢٥٥، وصحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) كتاب بدء الوحي، باب ذكر القدر الذي جاور المصطفى ﷺ بحراء عند نزول الوحي عليه ١٢١/١، ١٢٢، وينظر : الإتيان في علوم القرآن ٧٤/١ - ٧٦ نصوص أرقام ٢٧٩ - ٢٨٢، وهذا الجمع أولى من تضعيف الإمام النووي ومن تبعه لحديث جابر رضى الله عنه أهـ. ينظر : المنهاج شرح مسلم ٤٨٥/١ رقم ٢٥٧، ومحمد رسول الله ﷺ محمد عرجون ٣٨٩/١ .

(٦) يراجع تخريج الحديث ص ١٩٨ .

ب- أما الدليل على عدم صحة هذه الزيادة متناً فهو ما يلي :

١- معارضتها لأصل من أصول الإسلام، وهو عصمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام
بمعنى : حفظ الله ظواهرهم وبواطنهم، وتفكيرهم وخواطرهم، وسائر أعمالهم، حفظاً كاملاً،
فلا يقع منهم قط ما يشكك في نبوتهم ورسالاتهم، وهذا البلاغ المعمرى أو الزهرى، لم يبق
لعصمة النبي ﷺ مكاناً في مدة الحزن اليأس التي تقول أقصوصة هذا البلاغ إنه ﷺ مكثها
وهو يغدو مراراً كي يتردى من شواهِق الجبال، ولاسيما على مذهب من يرى أن مدة فترة
الوحي - وهى مدة الحزن اليأس - قد طالبت إلى ثلاث سنوات، أو سنتين ونصف سنة، أو
سنة أشهر، وفى هذا البلاغ الضعيف تصريح بأن صاحبه يذهب مذهب من يرى طول مدة
فترة الوحي^(١) لأن ما ذكر فيه من الغدو مراراً لكى يلقى بنفسه من ذرا الشواهِق يقتضى
طول المدة، ولاسيما مع تمثّل جبريل له وقوله : أنا جبريل، وأنت رسول الله حقاً، أكثر من
مرة.

٢- يتعارض هذا البلاغ مع ما يجب أن يكون عليه النبى ﷺ من رسوخ الإيمان بنبوته، وكمال
اليقين برسالاته، ولا شك أن ما جاء فى هذا البلاغ، من تبدى جبريل عليه السلام للنبى ﷺ
كلما أوفى بنزوة جبل لكى يلقى منها نفسه، وقوله له : يا محمد : أنت رسول الله حقاً، فإذا
طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بنزوة جبل تبدى له جبريل عليه السلام،
فقال مثل ذلك - يصور مدى ما بلغه ذلك الحزن اليأس - فى زعم قائله - من نفس النبى
ﷺ حتى جعله يتشكك فى تبدى جبريل له، وفى إخباره أنه رسول الله حقاً، فالنبى ﷺ -
كما تصرّح به عبارة هذا البلاغ - لم يكد يسكن جأشه لتبدى جبريل له وإخباره أنه رسول
الله حقاً حتى يعود إلى عزيمته فى إلقاء نفسه من ذرا شواهِق الجبال، فيتبدى له جبريل مرة
أخرى، ويقول له : يا محمد، أنت رسول الله حقاً.

فأين سكون جأشه الذى أحدثه فى نفسه تبدى جبريل له، وإخباره أنه رسول الله حقاً؟.

وأيّن رسوخ إيمانه برسالة ربه التى شرفه بها قبل فترة الوحي، وأنزل عليه فى أول
مراتب وحيها فى غار حراء قرآناً يتلى، حتى يعود عن عزيمته لإلقاء نفسه من ذرا شواهِق
الجبال إذا طالّت عليه فترة الوحي؟!.

(١) القول بطول مدة فترة الوحي، قول ضعيف على ما سيأتى هامش ص ٢١٢ .

٣- إن ما تضمنه هذا البلاغ الضعيف يشمل أمرين :
أحدهما : ظاهر محسوس، يمكن مشاهدته، والحكم بوجوده أو عدم وجوده بمقتضى إمكان مشاهدته حساً .

ثانيهما : باطن محجوب فى داخل النفس، لا يمكن معرفته إلا بإخبار صاحبه الذى دار فى نفسه، أو إخبار من أظهرهم عليه بنقل ثابت عنه. فذهاب النبى ﷺ إلى أعالي الجبال وشواهدا التى ألف الصعود إليها فى أزمان خلواته وتطلعاته للتفكر فى عجائب آيات الله الكونية، وبدائع ملكوته، أمر محسوس، يمكن الحكم عليه برؤيته ومشاهدته، ولا حرج فى أن يكون النبى ﷺ قد حزن فى فترة الوحي اشتياقاً لأنوار الشهود الروحاني الأعلى الذى كان يغمره فى أوقات نزول الوحي، ونزول آيات القرآن المبين، حزناً كان يغدو منه إلى نرا الجبال التى كانت مأنس روحه، تطلعاً إلى آفاق أشواقه لشهود تجليات أمين الوحي جبريل عليه السلام الذى سبق له أن تجلى فى آفاقها بصورته الملائكية الروحانية العالية .

وكون هذا الذهاب إلى نرا شواهد الجبال لقصد التردى منها ليقفل نفسه - كما هو نص عبارة البلاغ الضعيف - أمر باطن محجوب بأستار الضمير فى حنايا النفس، لا يعلمه، ولا يطلع عليه إلا الله علام الغيوب، وإلا صاحبه الذى دار فى حنايا نفسه، وعزم على تحقيقه عملياً، وإلا من يظهره عليه صاحبه العليم به، بأخبار منه إليه، وكل ذلك لم يثبت !

وما روى عن ابن عباس من قوله : " مكث النبى ﷺ أياماً بعد مجئ الوحي لا يرى جبريل، فحزن حزناً شديداً حتى كان يغدو إلى ثبير^(١) مرة، وإلى حراء أخرى، يريد أن يلقى نفسه^(٢) غير مسلم من وجوه .

أ- أن حديث ابن عباس من رواية الواقدي^(٣)، وهو معروف بالضعف، لا يقبل الجهابذة من المحدثين روايته إلا إذا اعتضدت بروايات الثقات .

(١) اسم جبل معروف عند مكة. النهاية فى غريب الحديث ٢٠٢/١ .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ١٣١/١ .

(٣) هو : محمد بن عمر بن واقد الواقدي، قاضى العراق، رغم دقته فى المغازى وإمامته فيها إلا أنقىم ضعفه فى الحديث، قال الذهبي : الواقدي وإن كان لا نزاع فى ضعفه، فهو صادق اللسان، كبير القدر، وقال : ابن حجر : متروك مع سعة علمه، من أشهر مؤلفاته : المغازى، والردة، مات سنة ٢٠٧ هـ له ترجمة فى : لسان الميزان ٥٣١/٩ رقم ١٥٦١٥، والكاشف ٢٠٥/٢ رقم ٥٠٧٨، والمجروحين لابن حبان ٢/٢٩٠، وتقريب التهذيب ١١٧/٢ رقم ٦١٩٥، وتهذيب الكمال للمزى ١٨/٢٦ رقم ٥٥٠١ .

ب- إذا صح سند الحديث إلى ابن عباس رضى الله عنهما، فهو اجتهاد لا يعلم معتمده، فى أمر لا سبيل إلى معرفته إلا بإخبار من النبى ﷺ، ولم يثبت هذا الإخبار، فالحديث موقوف على ابن عباس، فيكون فى منزلة بلاغ الزهرى، كما يؤخذ من كلام ابن حجر^(١) يجب رفضه كرفض بلاغ الزهرى، وإبطاله كإبطاله، ولعل هذا الحديث الضعيف فى سنده، الباطل فى متنه ونصه، هو مستند بلاغ الزهرى، والزهرى إمام موثق، فلا حرج على البخارى فى إلحاق بلاغه بجامعه من جهة توثيق السند، على أن البخارى لم يلحقه بجامعه إلا فى موضع واحد فقط من مواضع حديث بدء الوحي، وهى متعددة فيه بالإسناد نفسه مقروناً بإسناد آخر نارة، وغير مقرون نارة أخرى، ولم يرد فى تلك المواضع ذكر لهذا البلاغ الضعيف إلا فى كتاب (التعبير) بلاغاً لا تأصيلاً.

ثالثاً : ثبت فى الصحيح من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ تحدث عن فترة الوحي، ولم يرد فى كلامه ﷺ كلمة واحدة، تشعر بما جاء فى هذا البلاغ الضعيف، حتى ولو مجرد حزن لحق به تأسفاً على هذه الفترة.

هذا مع أنه لا نرى حرجاً فى أن يكون النبى ﷺ قد اعتراه شئ من الحزن فى مدة فترة الوحي، لانقطاع أنوار الشهود الروحي، ولا نرى حرجاً فى أن النبى ﷺ كان يغدو إلى ذرا الجبال تطلعاً لتجليات أمين الوحي الذى عهد لقاءه فى هذه الذرا، وهذا أمر فطرى وطبيعى، فالإنسان إذا حصل له خير أو نعمة فى مكان ما، فإنه يحب هذا المكان، ويلتمس فيه ما افتقده، فلما فتر الوحي: صار ﷺ يكثر من ارتياد قمم الجبال، ولا سيما حراء، رجاء أنه إن لم يجد جبريل فى حراء، فليجده فى غيره، فراه راوى هذه الزيادة وهو يرتاد قمم الجبال، فظن أنه يريد أن يلقى بنفسه، وقد أخطأ الراوى المجهول فى ظنه قطعاً.

وليس أدل على ضعف هذه الزيادة وتهافتها من أن جبريل عليه السلام كان يقول للنبى ﷺ كلما أوفى بذروة جبل : "يا محمد إنك رسول الله حقاً" وأنه كرر ذلك مراراً، ولو صح هذا لكانت مرة واحدة تكفى فى تثبيت النبى ﷺ وصرفه عما حدثته به نفسه كما زعموا^(٢).

(١) ينظر : فتح البارى ٣٧٦/١٢ رقم ٦٩٨٢ .

(٢) ينظر : محمد رسول الله ﷺ لفَضيلة الشيخ محمد عرجون ٣٨٧/١ - ٤٠٠، والسيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شعبة ٢٦٦/١، والمعين الرائق من سيرة خير الخلائق للدكتور سعيد صوابى ص ٢٥٠ - ٢٥٩، وهناك أقوال أخرى فى تأويل الزيادة البلاغية إن شئت أنظرها فى : الشفا ١٠٤/٢، ١٠٥، وفتح البارى ٣٧٧/١٢ رقم ٦٩٨٢، وشرح الزرقانى على المواهب ٤٠٣/١ .

رابعاً : ما يشكل ظاهره فى الحديث الموصول - لعائشة رضى الله عنها - من ارتياب وشك من رسول الله ﷺ فى نبوته - كما زعموا - مستشهدين على ذلك بقوله ﷺ لخديجة "لقد خشيت على نفسى" وزعمهم شكواه ﷺ لخديجة، ورجوعه إلى ورقة بن نوفل... هذا الإشكال لا وجه لهم فيه، كما أن هذه الكلمة : "لقد خشيت على نفسى" فى ذاتها لا تضير عصمة رسول الله ﷺ، ولا نبوته شيئاً.

والذين ذكروا هذه الكلمة فى رواياتهم قد أدوا أمانة العلم، ولا سبيل عليهم، إنما السبيل على الذين تقحموا متخربين فى تفسير المراد من الخشية، حتى زعم بعضهم فى تفسيرها، وبيان المراد منها، بما كان ويكون أمضى سلاح فى يد أعداء الإسلام، وأعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة.

وما قيل فى تفسير الخشية من كلام لا يليق، ولا ينبغى أن يدون فى سيرة المعصوم ﷺ قد أبطله بعض حذاق الأئمة، وحق له أن يبطل^(١).

أما ما زعمه أعداء السنة المطهرة من أن ظاهر هذه العبارة "لقد خشيت على نفسى" يفيد ارتياب وشك رسول الله ﷺ فى نبوته، فهذا من تخرصاتهم، ويرده سياق الحديث الذى وردت فيه هذه العبارة، وقبل بيان ذلك أقول : إن الله عز وجل إذا اصطفى أحداً لنبوته أو رسالته يخلق فيه علماً ضرورياً بنبوته بحيث لا يبقى له قلق ولا اضطراب، كما يظهر من قصة سيدنا موسى عليه السلام، حين توجه إلى جبل الطور بسيناء ليأتى بقبساً أو يجد على النار هدى.

ومعلوم أنه لم يكن مراقباً عما يصنع به، ولا منتظراً بما يكلف به، إذ ناداه ربه عز وجل من شاطئ الوادى الأيمن : ﴿إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِى الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾^(٢) وأمره أن يذهب إلى فرعون إنه طغى، فلما سمعه موسى عليه السلام، ألقى عليه فى ساعته تلك من اليقين، والإذعان بنبوته، ما هون عليه الدعوة لمثل فرعون الباغى الطاغى، ولم يشك فى نبوته كجناح بعوضة، إلا أنه كان بشراً، خلق من ضعف، ولذا خاف من عصاه حين صار جانا - حية عظيمة - لما أمره ربه عز وجل، بالقاءها من يده، قال تعالى : ﴿وَمَا تَكُ بِبِيمِينِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هِىَ عَصَاى أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىْ فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى.

(١) ينظر : فتح البارى ٣٣/١ رقم ٣، ومحمد رسول الله لمرجون ٣٠٤/١، ٣٣٨ .

(٢) الآية ١٢ طه .

قال ألقها يا موسى. فألقاها فإذا هي حية تسعى. قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴿(١)﴾.

وقال سبحانه : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلِيٌّ مُدْبِرٌ وَلَمْ يَعْقِبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا بِسَوْءٍ فَاتَى غُفُورٌ رَحِيمٌ﴿(٢)﴾.﴾.

وبمقتضى بشريته أيضاً خاف من القتل، كما حكى القرآن الكريم على لسانه : ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون﴾﴿(٣)﴾ ومن هنا شكى إلى ربه عن ضعفه، وسأله أن يجعل أخيه ردةً يصدقها، ويكون عوناً له فإنه كان أفصح لساناً، قال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون. وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون﴾﴿(٤)﴾.

ولم يكن هذا الخوف شكاً منه أو إعراضاً عما أمره الله عز وجل به - والعياذ بالله - بل إظهاراً لضعف جبل عليه الإنسان .

فإذا لم يشك من كان نبي بدون تمهيد، ولا سابقة خبر، فكيف بمن مهد له تمهيداً، ومـرن تمريناً في النوم واليقظة؟ .

فالتمهيد كان منذ صغره وشبابه، من شق صدره، ونهيه عن التعري، وعصمته من كل مظاهر الجاهلية التي سبق تفصيلها﴿(٥)﴾ والتمرين في النوم بالرويا التي كان لا يراها إلا وتجيء مثل

(١) الآيات ١٧ - ٢١ طه .

(٢) الآيتان ١٠، ١١ النمل .

(٣) الآية ١٤ الشعراء .

(٤) الآيتان ٣٣، ٣٤ القصص .

(٥) يراجع : ص ٤٧ - ٧٩ .

فلق الصبح الذى لا شك فيه، وفى اليقظة كان التمرين على الوحي والنبوة بسلام الحجر عليه،
وسماع الصوت، ورؤية الضوء.

فعن جابر بن سمرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : "إني لأعرف حجراً بمكة
كان يسلم عليّ، قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن" (١).

وجاء التصريح بصيغة التسليم برسول الله ﷺ فى حديث عائشة رضى الله عنها (٢) وحديث
على بن أبى طالب رضى الله عنه إذ يقول : "كنت مع النبى ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها،
فما استقبله جبل ولا شجر، إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله" (٣) وعنه ﷺ قال : "يا
خديجة إني أسمع صوتاً، وأرى ضوءاً، وإني أخشى أن يكون بى جنن، فقالت : لم يكن الله
ليفعل بك ذلك يا عبد الله..." (٤).

وكل هذا التمهيد والتمرين على النبوة قبل التنبؤ يستحيل معه أن يشك رسول الله ﷺ فى
نبوته ورسالته بعد التنبؤ - حتى لو فتر الوحي - وهنا نصل إلى تفسير الخشية.

تفسير الخشية فى قوله (لقد خشيت على نفسى) :

ورد فى سياق حديث (بدء الوحي) ما يعين على فهم صحيح ودقيق لقوله ﷺ : "لقد
خشيت على نفسى" ويرد تخريصات أعداء الإسلام، وأعداء السيرة العطرة، فى أن ظاهر هذه
العبارة يفيد ارتياب وشك من رسول الله ﷺ فى نبوته ورسالته.

(١) أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبى ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل
النبوة ٤١/٨ رقم ٢٢٧٧.

(٢) سبق ذكره وتخريجه ص ٦٦، ٦٧، وينظر : شرح الزرقاني على المواهب ٤٠٨/١.

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب المناقب، باب آيات إثبات نبوة النبى ﷺ وما قد خصه الله عز وجل
به ٥٥٣/٥ رقم ٣٦٢٦، وقال : حديث غريب، وأخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب ما أكرم
الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن ٢٥ / ١ رقم ٢١، ورواه البزار فى مسنده (كشف
الاستار) كتاب المناقب، باب تسليم الحجر والشجر عليه ١١٦/٣ رقم ٢٣٧٣، وقال الهيثمى فى
مجمع الزوائد ٢٥٩/٨ رواه البزار عن شيخه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد فى المسند ٣١٢/١، ٢٩٤ من حديث ابن عباس متصلاً ومرسلاً، والطيبراني بنحوه،
ورجال أحمد رجال الصحيح، كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٥٥/٨.

١- وأول ما يعين على بيان حقيقة المراد من الخشية فى سياق الحديث قوله : "حتى فجئته الحق"^(١) بكسر الجيم أى بغتة الأمر الحق، وهو الملك جبريل عليه السلام بالوحى .

وهذه الجملة فى الحديث، تفيد أن رسول الله ﷺ تعرض وهو فى غار حراء للمفاجأة، وتحققت ثلاثة مرات متواليات :

الأولى : فى دخول الملك عليه ﷺ مختلاه ومتعبده، دون تمهيد يشعر النبى ﷺ بأن أحداً سيدخل عليه فى الغار .

الثانية : فى رؤيته للملك جبريل عليه السلام على صورته الملائكية، وقد سد الأفق .

الثالثة : فى أمره بالقراءة عقب دخوله عليه مباشرة، وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب!

وفى كل ذلك نوع من المفاجأة الباغية المؤثرة على الطبيعة البشرية بما يهز كيانها هزاً يقم عليها الرعب والفرع .

ومن هنا كان خوف وفزع النبى ﷺ خوفاً وفزعاً بشرياً رجف منه فؤاده، وسائر جسده، وظهرت على بشريته آثاره، حتى هدأت نفسه، فتلقى رسالة ربه متنبئاً، مغموراً بأنوار شهود العزة الإلهية فى يقين لا يداخله أدنى شك فى اصطفائه رسولاً بعد اجتباؤه نبياً من الصالحين .

٢- وثانى ما يعين على تفسير الخشية قوله : "فغطى حتى بلغ منى الجهد" فهذه العبارة تبين مدى الشدائد التى صحبت رسول الله ﷺ فى هذا اللقاء المفاجئ .

إذ صحب مع دخول الملك عليه فى متعبده، دون تمهيد، ورؤيته للملك فى صورته الملائكية، وأمره بالقراءة، صحب كل ذلك مع ما فيه من شدة شدائد أخرى، إذ غطه الملك ثلاث مرات، والغط : العصر الشديد، وحبس النفس، وكأنه أراد ضمنى وعصرنى، أو أراد غمنى، ومنه الخنق، ويدل عليه رواية أبو داود الطيالسى "فأخذ بحلقى"^(٢). وفى كل مرة من هذا الغط بلغ من رسول الله ﷺ "الجهد" مبلغه وغايته حتى ظن بنفسه الموت^(٣).

(١) لفظ رواية البخارى فى كتاب التفسير، يراجع تخريج الحديث ص ١٩٨

(٢) يراجع تخريج حديث بدء الوحى ص ١٩٨ .

(٣) ينظر : فتح البارى ٣٣/١ رقم ٣، ومحمد رسول الله لمحمد عرجون ١/ ٢٦٤ .

٣- وثالث ما يعين على فهم قوله "لقد خشيت على نفسي" نزول الوحي عليه بأوائل سورة "العلق" وحالات النبي ﷺ وقت نزول الوحي عليه كلها شدة، فهي حالات خاصة تتغلب فيها روحانيته على بشريته، ليتصف بصفة الملك، ليقع بينهما التناسب والتجانس، ويتم التلقى على أكمل وجه وأثبتته .

يقول الإمام ابن حجر : "وهي حالة يؤخذ فيها النبي ﷺ عن حال الدنيا من غير موت، فهو مقام برزخي، يحصل له عند تلقى الوحي، ولما كان الرزخ العام ينكشف فيه للميت كثير من الأحوال، خص الله عز وجل نبيه ﷺ ببرزخ في الحياة، يلقي إليه فيه وحيه المشتمل على كثير من الأسرار" (١) .

ويدل على شدة الوحي أثناء نزوله على رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة منها :

١- حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : "كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة، وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ثم سرى عنه. وكنت أكتب وهو يملئ على، فما أفرغ حتى تكاد رجلى تتكسر من ثقل الوحي، حتى أقول : لا أمشي على رجلى أبداً" .

٢- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سألت رسول الله ﷺ، هل تحس بالوحي؟ فقال: أسمع صلاصلاً ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسي تقبض" وغير ذلك من الروايات السابق ذكرها (٢) وهي روايات تبين لنا إلى أي مدى لاقى النبي ﷺ من شدة أثناء تنزيل الوحي عليه حتى أن الملامس لجسده الشريف، كان يشعر به كما مر من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، وحتى أنه ﷺ بصرح بأنه ما من مرة يوحى إليه إلا ظن أن نفسه تقبض! .

فإذا كانت الروايات السابقة تبين لنا حاله ﷺ بعد مزاوالات ومعاهدات بالوحي، فما ظنك بحاله إذا نزل عليه الوحي لأول مرة، وهو غير ممارس لتلك الأهوال ولا حامل لهذه الأثقال؟! .

(١) فتح الباري. ١٢/ ٣٧٤ رقم ٦٩٨٢ .

(٢) يراجع : ص ٢٦ - ٢٨ .

إن كل ما سبق من دخول الملك على رسول الله ﷺ في متعبده دون تمهيد، وتجلي الملك له، وقد سد الأفق، وغطه ﷺ حتى بلغ منه الجهد، وأمره بالقراءة مع أميته، ونزل الوحي عليه، وهو ما لو أنزل على الجبال لتصدعت من خشية الله.

كل ذلك جعله يرجف فؤاده، ويخشى على نفسه، لا لريب عرضه، أو هول هالسه، بل لضعف فطر عليه الإنسان. نعم وحق لرسول الله ﷺ أن يرجف ويخشى، كيف وقد كان هذا أول معاملة اعترته! وفكر في نفسك لو اعتراك ما اعتراه ﷺ كيف يكون حالك؟!.

ومما يؤكد ما سبق من تفسير الخشية قوله ﷺ: «بينما أنا أمشي، إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت، فقلت: زملوني»^(١) وهذا الحديث وإن كان في واقعة أخرى، لكن ما جاء فيه من قوله: «فرعبت منه» قرينه قوية على أن خشيته ﷺ على نفسه كانت مما رأى من المفاجآت السابق ذكرها، فضلاً عن شدة الوحي التي اعترته لأول مرة، وهو في غار حراء، وكلها أمور تضعف عن حملها فطرة البشر. فالخوف والخشية، لا يصادم الإذعان والإتقان بشئ أصلاً، لأنه في بنية البشر، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٢).

وكما جاز لموسى عليه السلام أن يخاف من عصاه حين صار شعباناً، ولم يصادم ذلك إيمانه، جاز لرسول الله ﷺ أيضاً أن يخشى عند رؤية الملك بهيئته الملائكية، وغطه، وشدة الوحي، فكل ذلك ليس بأقل من عصا موسى عليه السلام^(٣).
وكما هو معلوم فإن النبوة لا تمنع الأعراض البشرية التي لا تنافي العصمة، وسيدنا رسول الله ﷺ ثبتت له النبوة قطعاً قبل مفاجأة الغار، وقبل فترة الوحي^(٤).

(١) سبق تخريجه ص ١٩٨، ٢٠١.

(٢) الآية ٢٨ النساء.

(٣) ينظر: حاشية البدر الساري إلى فيض الباري لمحمد بدر ٢٦/١، ٢٧.

(٤) معنى فتور الوحي: ضعفه، وتأخر مجيئه مدة من الزمان، ولذا عبر رسول الله ﷺ عن تواصله وتواليه بقوله: (فحمى الوحي وتتابع) وذلك في نهاية حديث جابر المتقدم قال الحافظ ابن حجر: (فحمى الوحي) أى جاء كثيراً، وفيه مطابقة لتعبيره عن تأخره بالفتور، إذ لم ينته إلى انقطاع كلشى، حتى يوصف بالضد وهو اليرد، وقوله: وتتابع، تأكيد معنوى، ويحتمل أن يراد بجمي: قوى، وتتابع: أى تكاثر، وفي بعض الروايات: وتواتر، وهو بجي الشئ يتلو بعضه بعضاً من غير تخلل، وليس المراد بفترة الوحي المقدرة... ما بين نزول «اقرأ» و«يا أيها المدثر» عدم مجي جبريل إليه، بل تأخر نزول القرآن فقط. ينظر: فتح الباري ٣٦/١ - ٣٨ رقم ٣.

فإذا روى أنه فرع من هول المفاجأة، وما حف بها، فلا يجوز قط أن يقال : إنه فرع
فرعاً أذهله عن مقام نبوته فلم يتمكن من التأمل، وخشى على نفسه أن يكون كاهناً أو أن يكون به
جنن .

كما لا يجوز قط أن يقال عنه : إنه حزن على فتور الوحي حزناً أخرجه عن عصمة
النبوة والرسالة، وحمله على محاولة قتل نفسه .

ففترة الوحي طالبت أو قصرت^(١) شأن من شئون الله تعالى التي ينفرد بحكمتها فهي كانت
لطفاً من الله تعالى لنبيه ﷺ ورحمة به، ليستجم من عناء ما لاقى من روع المفاجأة، وشدة الغط،
وشدة الوحي، لاستفراغ بشريته ليزداد تشوقاً وتشوقاً إلى تتابع الوحي، وتقوية لروحانيته على
احتمال ما يتوالى من الله عز وجل إليه، حتى يتم استعداده لتبليغ رسالته إلى الخلق كافة بصبر
وقوة، ويقين لا يدانيه يقين في أن الله عز وجل، سيتم عليه نعمته .

ويشهد لصحة تفسير الخشية بما سبق ذكره، رجوعه ﷺ إلى مكان تحنثه في غار
حراء^(٢)، بعد ما لاقاه من الشدائد السابق ذكرها .

فهل في منطق العقل أن يكون رسول الله ﷺ خشى على نفسه ما تخرص به
المتخرصون، ثم يسرع إلى العودة إلى المكان الذي لقي فيه ما خشيه على نفسه في زعم
المتخرصين؟

إن بدهاة العقل تأبى أن تقبل ذلك، وتتادى بأن أي إنسان توجس خفية من شر حادث وقع
له في مكان لا يمكن أن يعود إليه، وفي سرعة، وهو يملك الاختيار والإرادة، وبالتالي فعودة
رسول الله ﷺ لنفس المكان الذي لقي فيه ما خشيه على نفسه، دليل قاطع على ثباته ﷺ،
ورباطة جأشه، واطمئنانه وبقينه بفوزه برسالة ربه وأنه لم يشك قط ولو للحظة واحدة في نبوته،
ولا في أن ما جاءه هو جبريل عليه السلام، ومنه وحى الله تعالى .

(١) كانت هذه الفترة على الراجح أياماً على ما رواه ابن سعد في طبقاته ٣١/١ عن ابن عباس رضي الله
عنهما، أما أن يقضى رسول الله ﷺ ثلاث سنين، أو سنتين ونصف سنة من عمر الدعوة الإسلامية
من غير وحى ودعوة، فهذا مالا تقبله العقول، ولا يدل عليه نقل صحيح. ينظر : فتح الباري
٣٦/١، ٣٧ رقم ٣، وعمدة القاري ٥٥/١، ٥٦ وشرح الزرقاني على المواهب ٤٤١/١، والسيرة
النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة ٢٦٤/١ .

(٢) دل على العودة حديث جابر السابق ص ٢٠١، وكذلك حديث عائشة أيضاً في الزيادة البلاغية
الضعيفة .

فكل ذلك يؤكد أن الخشية من الموت من شدة الرعب (من المفاجآت التي توالى عليه ﷺ في هذا اللقاء على ما سبق تفصيله) هو أدنى الأقوال بالصواب في تفسير الخشية، وأسلمها من الارتياب كما قال الحافظ ابن حجر^(١) وهو ما أقول به وأرجحه، بدليل سياق الحديث على ما سبق شرحه، وبدليل قوله ﷺ يعد تتابع نزول الوحي عليه : "فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسى تقبض"^(٢) فهو نص صريح فى خشيته على نفسه من الموت، من شدة الوحي، وهو أحد المفاجآت التي توالى عليه فى هذا اللقاء .

كما لا يمنع أن تكون خشيته ﷺ على نفسه من الموت على أيدي كفار قريش، إذا بلغهم رسالة ربه عز وجل، ويشهد لصحة هذا قوله ﷺ : "...وإن الله أمرنى أن أحرق قريشاً. فقلت رب! إذا يئثلغوا رأسى فيدعوه خبره. قال : استخرجهم كما استخرجوك"^(٣) .

إن خوف رسول الله ﷺ على نفسه من الموت من شدة الرعب، وشدة نزول الوحي عليه، ومن أن يقتله قومه، جعله يرجع بما حملت نفسه الكريمة من آثار ذلك كله، إلى بيته، وزوجته الأمانة، وزيرة الصدق، ومأنس الوفاء، يبدي لها ما تعرض له فى غار حراء، من محن وشدائد تذيب رواسى الجبال، فكان من فراستها ورجاحة عقلها، أن أقسمت على أن الله تعالى لن يخزيه، وأكدت ذلك بلفظ التأبيد (كلا والله ما يخزيك الله أبداً) واستدلت على ما أقسمت عليه بأمر استقرائى، فوصفته بأصول مكارم الأخلاق (إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) .

خامساً : بقى الجواب عن ما يزعمه أعداء السنة المطهرة من استنكار لتخفيف الزوجة على زوجها، إذا ألمت به محنة وشدة، وكذلك استنكار لطلب عين اليقين .

إذ زعموا أن فى إخبار رسول الله ﷺ لزوجته ما حدث له، ثم ذهابهم إلى ورقة بن نوفل، منقصة لرسول الله ﷺ، ودليل فى زعمهم على ارتيابه فى نبوته، ومنقبة لزوجته خديجة

(١) ينظر : فتح البارى ٣٣/١ رقم ٣، ومحمد رسول الله لفضيلة الشيخ محمد عرجون ٣٤٤/١ حيث رد

ترجيح الحافظ ابن حجر .

(٢) يراجع : ص ٢١٠ .

(٣) سبق تخريجه ص ٩١، ٩٢ .

وورقة وأنهما أحق بالنبوة منه^(١). وهذا لعمرى لمنطق معكوس إذ كيف ينكر عاقل دور الزوجة عامة فى تخفيف الآلام عن زوجها، وخاصة دور خديجة العظيمة فى تخفيف آلام رسول الله ﷺ منذ أول يوم أرسل إليه فيه، حتى نتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بموتها وموت عمه أبو طالب، ونالت قريش من أدبته ﷺ ما لم تكن تطمع به فى حياتهما^(٢) وما ذلك إلا لأن مواقفها من رسول الله ﷺ، من أشرف المواقف التى تحمد لامرأة فى الأولين والآخرين.

ويدل على ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : "كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام، فأدركتنى الغيرة، فقلت : هل كانت إلا عجوزاً، فقد أبدلك الله خيراً منها، فغضب، حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال : "لا والله ما أبدلنى الله خيراً منها، آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستتنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقتنى الله منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء" قالت عائشة : فقلت فى نفسى، لا أنكرها بسينة أبداً^(٣).

وأصل الحديث فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : "ما غرت على أحد من نساء النبى ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتهما، ولكن كان النبى ﷺ يكثر ذكرها، وربما نبج الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبيعنها فى صدائق خديجة، فربما قلت له : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة؟! فيقول : "إنها كانت وكانت، وكان لى منها ولد" وفى رواية مسلم : "إنى قد رزقت حبها"^(٤).

فتأمل قوله ﷺ : "لا والله ما أبدلنى الله خيراً منها، آمنت بى إذ كفر الناس.. إلخ إنها كلمات من جوامع الكلم تبين عظيم دورها فى تخفيف آلام الدعوة وشدائدها عن رسول الله ﷺ، كما أن فى الحديث بيان لعظم فضلها، وإلى أى مدى عرف لها النبى ﷺ قدرها ومنزلتها فى حياتها، وحفظ لها ودها وعهدها بعد وفاتها، فرضى الله عنها وأرضاها، وجزاها بفضله وكرمه عن دينه ونبيه، خير وأوفر الجزاء.

- (١) يراجع : ما قاله عبد الحسين شرف الدين، وجعفر مرتضى العاملى ص ١٩٩ .
 (٢) ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ٢٩/٢ نص رقم ٤١٣، والروض الأنف للسهيلى ٢٢٣/٢ .
 (٣) أخرجه أحمد فى مسنده ١١٧/٦، ١١٨ بإسناد حسن كما قال الهيمى فى مجمع الزوائد ٩/٢٢٤ .
 (٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبى ﷺ خديجة وفضلها ١٦٦/٧ رقم ٣٨١٨، ومسلم (بشرح النووى) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة ٢١٤/٨ رقم ٢٤٣٥ .

وإذا كان دورها في الدعوة الإسلامية لا ينكره عاقل، فلا وجه لاستنكار أعداء السنة المطهرة، تخفيفها عن رسول الله ﷺ بعد عودته من غار حراء ولا سيما ورسول الله ﷺ، عاد إليها وعليه آثار الروع والمشقة، رأتها على وجهه وجسده الشريف، كما كان يراها فيما بعد صحابة رسول الله ﷺ، على ما ورد في حالات نزول الوحي عليه.

وليس في روايات الحديث ما يحاول زعمه أعداء السنة والسيرة العطرة، من أن رسول الله ﷺ اشتكى لخديجة (شكوى من يرتاب في نبوته ورسالته والعياذ بالله).

وإنما إذا صح التعبير أن يكون من رسول الله ﷺ شكوى، فهي شكوى من زوج لزوجته، يريد أن تخفف عنه ما لاقاه من رعب وفزع وشدة في هذا اللقاء الذي عاد منه إلى بيته، ولا تزال آثاره على سائر جسده الذي يرجف مما جعله يقول : "زملوني، زملوني" أو "ثرونى، ثرونى" والمعنى واحد، وكأنه ﷺ يقول : غطوني بما أدا به حتى يذهب عني أثر الرعب والرجفة عن سائر جسدي^(١) تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها "فزملوه حتى ذهب عنه الروع" وهو بفتح الراء أى الفزع، وأما الذى بضم الراء فهو موضع الفزع من القلب^(٢).

وتأمل ما جاء فى الحديث من قوله ﷺ : "يا خديجة مالى؟" وهو استفهام تعجبى، أى : أى شئ ثبت لى، حتى حصل ما حصل، وأخبرها الخبر، وما عانى فيه، حتى ظن أن نفسه تقبض من شدة الفزع والرعب، من هول المفاجأة، ومن معاناة نزول الوحي عليه، وهو ما عبر عنه بقوله : "لقد خشيت على نفسى".

فأين الشكوى التى يزعمها أعداء السيرة العطرة؟ وإذا كانت شكوى فأين ما فيها مما يفيد فى زعمهم أنه شك وارتاب فى نبوته؟ إنه مجرد "إخبار من زوج لزوجته لموقف شديد حدث له يريد أن تخفف عنه آثاره! فأى استنكار فى ذلك؟!

وقد أدت الزوجة خديجة رضى الله عنها دورها باطمئنان زوجها والتخفيف عنه بأعظم الكلمات على ما سبق شرحه قريباً.

وأرادت أن تزداد يقيناً فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل ابن عمها وكان امرأاً تنصر فى الجاهلية، واشتهر عنه فى مكة من العلم بما فى التوراة والإنجيل، وتباشير الأخبار والرهبان، بما

(١) ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٩٥/٢، ٢٨٣، وفتح البارى ٨/٥٩٠ رقم ٤٩٥٣ .

(٢) فتح البارى ٨/٥٩٠ رقم ٤٩٥٣ .

جاء فى الكتابين من أوصاف نبي آخر الزمان، وأن وقته قد أظلم، فلما أخبره ﷺ بما رأى، قال ورقة (هذا الناموس الذى أنزل على موسى) وتمنى ورقة أن يعيش حتى يدرك انتشار الإسلام، ليكون جندياً من جنود الله، يجاهد فى ظل لواء النبي ﷺ فى سبيل إعلاء كلمة الله ولكنه أدركته منيته، فلم يلبث بعد بعث النبي ﷺ إلا قليلاً، ثم توفى، وفتر الوحى، هذا كل ما تفيدته قصة ذهابه ﷺ وزوجته إلى ورقة بن نوفل.

فهل فيها ما يزعمه الخصوم من ارتياب رسول الله ﷺ فى نبوته؟

وأنى لهم هذا الزعم، وكل ما فى الحديث أن ورقة، سأل رسول الله ﷺ، عما رأى قائلاً: "يا ابن أخى ماذا ترى؟" فأخبره ﷺ خبر ما رأى "إذن لم يسأله ورقة عما يشك فيه؛ ولم يقل له رسول الله ﷺ إنى أشك فى كذا، وإنما كل ما فى الأمر، سؤال عما حدث له، وإخبار منه ﷺ لهذا الحدث.

وما كان من جواب ورقة لرسول الله ﷺ إلا بيان بأن ما رآه هو أمين وحى الله تعالى الذى أنزل على موسى عليه السلام، وهنا ازداد رسول الله ﷺ نوراً إلى نور يقينه، لما يعلمه من مكانه ورقة فى العلم والمعرفة بما فى التوراة والإنجيل من المبشرات ببعث رسول الله ﷺ قد أظلم الحياة مخرجه.

فهل فى طلب عين اليقين استكثار؟ لا سيما وأن النبوة، من المغيبات تبقى فيها أمور تتردد النفس فى تفاصيلها، ولا يكون هذا التردد فى المتعلقات التى لا تدخل فى الإيمان، ألا ترى إلى قوله تعالى فى سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحيائه عز وجل للموتى ﴿أَوَلَمْ تَوْمَنْ قَالَ بلى ولكن ليظمنن قلبي﴾^(١) أى الإيمان حاصل بالمرة، ولكن إحيائك غيب، فأريد أن أرى الغائب شاهداً لأزيل به ما يبقى فى الغيب، وسماه طمأنينة، وبالتالي سؤاله عليه السلام لم يخالف إيمانه، بل أكدّه.

وكذلك الحال مع ذهاب رسول الله ﷺ إلى ورقة، كل ما فيه طلب عين اليقين؛ ولا يعنى ذهابه أنه شك فى نبوته عما يزعم الرافضة، بدليل أن رسول الله ﷺ لم يعقب على كلام ورقة إلا بقوله: "أو مخرجى هم؟" ولم يعقب ﷺ على قوله "هذا الناموس الذى أنزل على موسى" لأنه

ﷺ كان على يقين بأنه ملك من عند ربه عز وجل، نزل عليه بوحى الله تعالى، فلم يزدہ ﷺ هذا الجواب إلا يقيناً على يقينه، وإلا لو كان فى شك - لجاء - ما يشير إلى ذلك، تعقياً واستفسار منه ﷺ لورقة، وإنما لم يعقب ولم يستفسر ﷺ عن ذلك ليقينه بذلك، وإنما جاء التعقيب والاستفسار على قول ورقة "ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك" ففى هذا الكلام شئ جديد على رسول الله ﷺ، فيستفسر "أو مخرجى هم" وكأنه عليه الصلاة والسلام يقول : كيف يخرجونى، وأنا جئت لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وكيف يخرجونى من حرم الله، وجوار بيته، وبلدة آبائى من عهد إسماعيل عليه السلام؟

فيأتى الجواب من ورقة : نعم! أى هم مخرجوك، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرأ مؤزراً.

ولعل حكمة المولى عز وجل اقتضت أن تكون ما أخذت رسول الله ﷺ من المخافة، وما غشيته من الخشية والرغبة كلها ألقيت عليه تكويناً، ليرجع إلى من جعلها الله عز وجل سكناً، وترجع به إلى ورقة، فيشيع خبر نبوته من قبلهم... ويصير بهذا الطريق دليلاً محكماً على أن محمداً ﷺ نبي صادق، حتى شهد به شاهد من أهله، (خديجة) وشهد به ورقة الذى كان يعرف حال الأنبياء، ليكون حجة على أهل الكتاب، وعلى المشركين الذين يقدرون علم ومكانه ورقة بالمبشرات.

وهكذا يقدر المولى عز وجل لأنبيائه ورسله أموراً، ويلقيها عليهم تكويناً لمصالح لا يعلمها إلا هو^(١) أهـ.

والله تبارك وتعالى اعلى واعلم

(١) ينظر : حاشية البدر السارى إلى فيض البارى لمحمد بدر ٢٧/١ - ٢٩ بتصرف.

المطلب الثالث

شبهة الطاعنين في حديث "تحن أحق بالشك من إبراهيم"

والرد عليها

روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
"تحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿رب أرني كيف تموتى قال أولم تؤمن قال
بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾" (١).

هذا الحديث طعن فيه أعداء السنة والسيرة قديماً من أهل الأهواء والبدع، وزعموا أن فيه
طعناً فى عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٢) وتابعهم حديثاً أذيانهم إذا يقول عبد الحسين
شرف الدين الموسوى : "إن الظاهر من قوله : "تحن أحق بالشك من إبراهيم" ثبوت الشك لرسول
الله ﷺ، ولسائر الأنبياء، وأنهم جميعاً أولى به من إبراهيم، ولو فرض عدم إرادة الأنبياء جميعاً
فإرادة رسول الله ﷺ مما لا بد منها...، والحديث نص صريح فى أنه أولى بالشك" (٣).

ويجاب عن ما سبق بما يلى :

أولاً : إجماع الأمة على عصمة أنبياء الله عز وجل ورسله، من الكفر والشرك، والشك، ومن
تسلط الشيطان عليهم، وأن تلك العصمة صفة أساسية فيهم، وشرطاً ضرورياً من شروط
الرسالة، كما أنها جزء من الكمال البشرى الذى كملهم الله عز وجل به، حتى يبلغوا رسالة
ربهم إلى أقوامهم، وقد سبق تفصيل ذلك فى حقه ﷺ من خلال القرآن والسنة (٤).
ثانياً : اتفاق علماء المسلمين على أن ظاهر الشك فى قوله ﷺ : "تحن أحق بالشك من إبراهيم"
ليس مراداً، كما أنه ليس فى ظاهر هذا القول اعتراف بالشك، بل نفيه عن نفسه ﷺ، وعن

(١) جزء من الآية ٢٦٠ البقرة، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأنبياء، باب قول
الله تعالى : ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ ٤٧٣/٦ رقم ٣٣٧٢، وفى كتاب التفسير، باب ﴿وإذ قال
إبراهيم رب أرني كيف تموتى﴾ ٤٩/٨ رقم ٤٥٣٧، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان،
باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة ٤٦٠/١ رقم ٢٣٨، وكتاب الفضائل، باب فضائل إبراهيم
الخليل عليه السلام ١٣٤/٨ رقم ٢٣٧١ .

(٢) حكاه عنهم الإمام ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث ص ٩١، ٩٢ .

(٣) أبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين ص ٩٠، وينظر : الصحيح من سيرة النبي الأعظم لجعفر مرتضى
العاملى ٢٠/١، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء، والمحدثين لصالح الوردانى ص ٣١٦ .

(٤) يراجع : ص ٤٧ - ٧٩ .

إبراهيم وسائر أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، إذ ما يجوز في حق واحد منهم
يجوز في حق الجميع.

يقول الحافظ ابن كثير : قوله ﷺ : "نحن أحق بالشك من إبراهيم" ليس المراد هاهنا
بالشك ما قد يفهمه من لا علم عنده، بلا خلاف^(١).
وقال الإمام على القارى^(٢) : "ليس في قوله ﷺ : "نحن أحق بالشك من إبراهيم" اعترافاً
منه بالشك لهما، بل نفى لأن يكون إبراهيم عليه السلام شك"^(٣).

ثالثاً : إن سبب قوله ﷺ "نحن أحق بالشك من إبراهيم" على ما جاء في الحديث ما ذكره ﷺ من
قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتِ قَالَ
أُولَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾^(٤) وهذه الآية وما بعدها قد يسبق إلى بعض
الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك، فأراد ﷺ نفى هذا الشك عن سيدنا إبراهيم، وإبعاد
للخواطر الضعيفة أن تظن هذا به عليه السلام.

ويؤكد ذلك أنه ليس في سؤال سيدنا إبراهيم عليه السلام ما يدل على أنه شك، إذ السؤال
وقع بـ "كيف" الدالة على حال شيء موجود مقرر عند السائل والمسئول، كما تقول : كيف علم
فلان؟ فكيف في الآية، سؤال عن هيئة الإحياء، لا عن نفس الإحياء، فإنه ثابت مقرر لدى سيدنا
إبراهيم عليه السلام^(٥) وهو ما شهد به رب العزة لسيدنا إبراهيم رداً على سؤاله، بقوله عز وجل :
"أولم تؤمن" والاستفهام هنا تقريرى للمنفى، وهو الشك، كأنه قال له : أأنت مؤمناً بالبعث؟ فكان
جوابه عليه السلام بـ "بلى" لإثبات المنفى وهو الشك، والمعنى : أنا مؤمن بالبعث كما علمت ما
في قلبي، لكنني أريد أن يطمئن قلبي بروية الكيفية فقط، واعتبر بذلك.

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٤٦٥، ٤٦٦ .

(٢) هو : أبو الحسن، على بن محمد سلطان المروى، المعروف بالقارى، نزيل مكة، فقيه حنفى، من
صدور العلم في عصره، من مؤلفاته : تذكرة الموضوعات، وشرح الشفا، وغيره ذلك، مات بمكة
المكرمة ١٠١٤هـ له ترجمة في : الرسالة المستطرفة للكتاني ص ١٥٣، والأعلام للزركلى ١٢/٥ .

(٣) شرح الشفا للقارى ١/١٧٦، وينظر : الشفا ٢/٩٨ .

(٤) جزء من الآية ٢٦٠ البقرة .

(٥) فتح البارى ٦/٤٧٥ رقم ٣٣٧٢، وينظر : تزيه الأنبياء لعلى السبتي ص ٩٦ .

فما شك إبراهيم عليه السلام، ولم يكن لديه أى شبهة فى قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، إذ لم يقل الله تعالى : أنتستطيع أن تحى الموتى؟ وإنما أراد أن يرى الهيئة، كما أننا لا نشك فى وجود الفيل، والتمساح، والكسوف، وزيادة النهر، ورسول الله ﷺ، ثم يرغب من لم يرى ذلك منا، فى أن يرى كل ذلك، ولا يشك فى أنه حق، لكن ليرى العجب الذى يتمثله فى نفسه، ولم تقع عليه حاسة بصره قط^(١).

فواضح فى السؤال والجواب، أنه عليه السلام، لم يسأل لشك أو شبهة أو تردد وهذا ظاهر من سؤاله، إذ لم يقل الله تعالى : هل تقدر أن تحى الموتى، أم لا تقدر؟.

وهذا يشبه قولك لرسام كبير : دعنى أنظر إليك وأنت ترسم لوحة، أو لخطاط فنان : خط أمامى لكى أرى كيف تخط مثل هذه الخطوط الجميلة.

فليس فى مثل هذا الطلب أى ناحية تعجيزية، بل هو تعبير عن الافتتان بفنّه الجميل، واعتراف به، ولهفة على رؤية دقائق فنّه، وسعادة كبيرة فى تأمل كيفية ظهور لوحة رائعة، مرحلة مرحلة. أجل : فالسؤال كان حول كيفية الإحياء، وليس حول إمكانيةه أو عدم إمكانيةه^(٢). قلت : وكيف يشك من وصفه ربه عز وجل فى كتابه بقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾^(٣) وقوله سبحانه : ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مُلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمَوْقِنِينَ﴾^(٤) والرشد، والإيقان، اسمى مراتب العلم الذى لا يصح معه شك أو حتى شبهة!.

وكيف يصح الشك، وقد وصفه ربه تعالى بقوله : ﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٥) فبين رب العزة كما ترى أنه جاء ربه بقلب سليم، وإنما أراد به، أنه كان سليماً من الشك، وخالصاً للمعرفة واليقين، ثم ذكر المولى عز وجل، أنه عاب قومه على عبادة

(١) ينظر : الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ٢/٢٩٢ .

(٢) ينظر : النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية لمحمد كولن ٢/١٨٦، وفى ظلال القرآن لسيد قطب

٣٠٢، ٣٠١/١ .

(٣) الآية ٥١ الأنبياء .

(٤) الآية ٧٥ الأنعام .

(٥) الآية ٨٣ الصافات .

الأصنام فقال تعالى : ﴿ماذا تعبدون. أيفكاً آلهة دون الله تريدون﴾^(١) فسمى عبادتهم بأنها إفك وباطل، ثم قال سبحانه : ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾^(٢) وهذا قول عارف بالله تعالى غير شك! .

فكيف يكون قوله ﴿رب أرني كيف تحي الموتى﴾^(٣) شك في البعث وإحياء الموتى؟! .
الحديث حجة لنا لا علينا :

ومن هنا كان قوله ﷺ : "نحن أحق بالشك من إبراهيم" حجة لنا إذ فيه نفى للشك عن سيدنا إبراهيم عليه السلام، وعن نفسه ﷺ، وهذا من أحسن الأقوال وأصحها وأرجحها عندى فى معنى قوله ﷺ، "نحن أحق بالشك من إبراهيم" فكأنه ﷺ يقول : إن الشك مستحيل فى حق إبراهيم عليه السلام، فإن الشك فى إحياء الموتى لو كان منطوقاً إلى الأنبياء، لكنت أنا أحق به من إبراهيم، لأن ما يجوز فى حق واحد من الأنبياء يجوز فى حقهم جميعهم، وقد علمتم أنى لم أشك، فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشك! .

أو أراد ﷺ بقوله : "نحن أحق بالشك من إبراهيم" أن يقول : إن هذا الذى تظنونته شكاً، أنا أولى به، ولكنه ليس بشك، وإنما هو طلب لمزيد اليقين .

وهذا الكلام مما جرت به العادة فى المخاطبة، لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئاً، قال : مهما أردت أن تقوله لفلان فقله لى، ومقصوده ﷺ لا نقل ذلك .

وإنما خص إبراهيم عليه السلام، لكون الآية قد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة، منها احتمال الشك، وإنما رجح إبراهيم عليه السلام على نفسه ﷺ، تواضعاً وأدباً، أو قبل أن يعلم ﷺ أنه خير وسيد ولد آدم عليه السلام^(٤) .

هذا : وقيل غير ذلك من الأقوال فى توجيه قوله ﷺ : "نحن أحق بالشك من إبراهيم" لكنها أقوال ضعيفة^(٥) ومن هنا اقتصرنا على ذكر ما سبق منها، لكونها أصحها، وأوضحها، وأرجحها أهـ .

والله تعالى أعلى وأعلم

(١) الآيتان ٨٥، ٨٦ الصافات .

(٢) الآية ٨٧ الصافات .

(٣) جزء من الآية ٢٦٠ البقرة .

(٤) ينظر : المنهاج شرح مسلم ٤٦١/١ رقم ٢٣٨، وفتح البارى ٤٧٥/٦ رقم ٣٣٧٢، وفيض البارى ٣٥/١، وتزوية الأنبياء لعلى الحسين الموسوى ص ٢٧ .

(٥) ينظر : فتح البارى ٤٧٥/٦، ٤٧٤، ٤٧٥ رقم ٣٣٧٢، وعصمة الأنبياء للدكتور محمد أبو النور الحديدى ص ٢٧٧ - ٢٨٣ .

المطلب الرابع

شبهة الطاعنين في حديث "سحر رسول الله ﷺ" والرد عليها

روى البخارى ومسلم : عن عائشة رضی الله عنها قالت : "سحر رسول الله ﷺ يهودى من يهود بنى زريق، يقال له : لبيد بن الأعصم^(١) قالت : حتى كان رسول الله ﷺ، يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة، دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا. ثم دعا. ثم قال : يا عائشة! أَسْعَرَتِ أَنْ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتَهُ فِيهِ؟ جَاعَنِي رَجُلَانِ^(٢) فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي، لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي، لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي : مَا وَجَعَ الرَّجُلُ؟ قَالَ : مُطْبُوبٌ^(٣) قَالَ : مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ : لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ قَالَ فِي أَى شَيْءٍ؟ قَالَ فِي مُشْطٍ^(٤) وَمُشَاطَةٍ^(٥) قَالَ : وَجِبَ^(٦) طَلْعَةَ ذَكَرٍ، قَالَ : فَاَيْنَ هُوَ؟ قَالَ : فِي بَنَرِ ذِي أَرْوَانَ^(٧) قَالَتْ : فَاتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَنْسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَائِشَةُ! وَاللَّهِ! لَكُنْ أَمَاءُهَا نَقَاعَةَ الْحَنَاءِ، وَلَكُنْ نَخْلُهَا رَعُوسَ الشَّيَاطِينِ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا أَحَرَقْتَهُ؟^(٨) قَالَ : لَا. أَمَا أَنَا فَقَدْ عَافَيْتِي اللَّهَ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فِدْفَنْتُ^(٩).

- (١) رجل من المنافقين، وهو أصلاً من الخزرج، وأسلم نفاقاً، وكان حليفاً لليهود. فتح البارى ٢٣٦/١٠ رقم ٥٧٦٣.
- (٢) أى ملكان فى صورة رجلين، دل على ذلك ما جاء فى مسند أحمد ٦٣/٦ "أثنى ملكان" وكان ذلك مناماً.
- (٣) أى مسحور، كنى بالطب عن السحر، تفاؤلاً بالبرء، كما كُنُوا بالسليم عن اللديغ. النهاية ١٠١/٣.
- (٤) بضم الميم، ويجوز كسرها، هو الآلة المعروفة التى يسرح بها شعر الرأس واللحية. فتح البارى ٢٣٩/١٠ رقم ٥٧٦٣.
- (٥) هى : الشعر الذى يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط. النهاية ٢٨٤/٤.
- (٦) بالجيم والباء، وفى رواية : بالجيم والفاء، وهما بمعنى واحد، وهو الوعاء الذى يكون فيه ثمرة النخلة، سواء النخلة الذكر أو الأنثى، ولهذا قيده فى الحديث بأنه كان من نخلة ذكر، وهو الذى يكون فيه اللقاح. المنهاج شرح مسلم ٤٣٢/٧ رقم ٢١٨٩، والنهاية ٢٢٧/١.
- (٧) وفى رواية "أذروان" وكلاهما صحيح، وهى بئر بالمدينة فى بستان بنى زريق. النهاية ١٤٨/٢.
- (٨) وفى رواية : قلت يا رسول الله فأخبره، وكلاهما صحيح، فطلبت أن يخرج به ثم يحرقه، وقد أخرجه البخارى، وأمر به فدفن، أما جوابه ﷺ بـ "لا" فهى نفى لاستخراج ما حواه الجف من السحر، لما فى ذلك من إشاعة الضرر على المسلمين من تذكر السحر أو تعلمه، وشيوعه والحديث فيه، أو إيذاء فاعله، فيحمله ذلك، أو يحمل بعض أهله ومحبيه والمتعصبين له من المنافقين وغيرهم على سحر النلس وأذاهم، وانتصاهم لمناكدة المسلمين بذلك، وهذا من باب ترك مصلحة لخوف مفسدة أعظم منها. ينظر : المنهاج شرح مسلم ٤٣٣/٧ رقم ٢١٨٩، والسروض الأنف ٣٧٣/٢، وفتح البارى ٢٤١/١٠، ٢٤٥، رقمى ٥٧٦٣، ٥٧٦٥.
- (٩) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب السلام، باب السحر ٤٢٩/٧ رقم ٢١٨٩، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر ٢٤٣/١٠ رقم ٥٧٦٥، وباب السحر ٢٤٦/١٠ رقم ٥٧٦٦، وفى كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾

أنكر هذا الحديث بعض المبتدعة قديما على ما حكاه عنهم غير واحد من الأئمة قال الإمام النووي : "وقد أنكر بعد المبتدعة هذا الحديث بسبب أنه يحط من مقام النبوة وشرفها، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع"^(١) وتابع المبتدعة طعنا في الحديث أذيلهم من الرافضة، ودعاة اللادينية .

يقول أحمد صبحي منصور : "اتهام الرسول بالسحر أو بأن بعضهم سحره فيه تشكيك في الرسالة، وطعن في الدين"^(٢) ويفقد المصادقية في أى قول أو فعل يصدر منه، ومنه يدخل باب الشك في الإسلام جملة وتفصيلا، ويتعارض مع قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٣).

ويقول صالح الورداني^(٤) : "وتأتى قضية السحر لتؤكد لنا مدى هامشية شخصية الرسول ﷺ في نظر أهل السنة، ومدى إهمال الوحي له، حتى أن بعض السحرة يسحرونه ويسيطرون عليه، فيفعل الشيء ولا يفعله، أو يتخيل فعل الشيء، وهذا يعنى أن الساحر قد هيمن على الرسول نفسيا، ومن الممكن أن يقول على لسانه ما يشاء. ومرة أخرى يطرح السؤال : أين دور الوحي...؟"^(٥).

= والإحسان ٤٩٤/١٠ رقم ٦٠٦٣، وفي كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣٨٥/٦ رقم ٣٢٦٨، وفي كتاب الدعوات، باب تكرير الدعاء ١٩٦/١١ رقم ٦٣٩١ .

(١) المنهاج شرح مسلم ٤٣٠/٧ رقم ٢١٨٩، وينظر : تأويل مختلف الحديث ص ١٦٤، والروض الأنف ٣٧١/٢، والشفاء ١٨١/٢ .

(٢) لماذا القرآن ص ١٠٩ - ١١١ .

(٣) الآية ٨ الفرقان، وينظر : قراءة في صحيح البخارى ص ٣٦، والأنبياء في القرآن كلاهما لأحمد صبحي منصور ص ٢٠٦ - ٢٠٩ .

(٤) كاتب مصرى معاصر، يزعم أن ما كان عليه من مذهب أهل السنة والجماعة، زيف وتضليل، وخداع، وأن ما عليه الشيعة الإمامية الإثنا عشرية، هو الحق والصواب، فتشيع لهم، وكتب كتابه: الخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة، وطعن في كل معتقدات أهل السنة والجماعة، سواء عقيدتهم في: القرآن أو السنة أو الرسول أو الصحابة أو الحكام أو... الخ ينظر : كتابه أهل السنة شعب الله المختار، الذى شبه فيه أهل السنة باليهود، ووجه الشبه في نظره الكذب في كل من أهل السنة بأنهم الطائفة الناجية، واليهود بأنهم شعب الله المختار، ومن مؤلفاته الخطيرة غير ما سبق، دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين .

(٥) أهل السنة شعب الله المختار ص ٦٨، ٧٠، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٢٥٨، ٢٦٨ كلاهما لصالح الورداني، وينظر: أضواء على السنة لمحمود أبو ريه ص ٣٧٨، والأضواء القرآنية- للسيد = صالح أبو بكر ٢/٢٢٠، ٢٨٧، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص ١٩٤، وعلم السحر

وتأثر بتلك الطعون من علماء المسلمين الإمام محمد عبده^(١) وتابعه على ذلك من سار على طريقته من علماء المسلمين، وقال بقولهم بعض أدعياء العلم.

قال الإمام محمد عبده رحمه الله : "نعلم أن البخارى أصدق كتاب بعد كتاب الله، وأنا لا أشك أن البخارى سمع هذا من أساتذته، والبخارى يشترط فى أحاديثه المعاصرة واللقاء، إلا أننى أرى أن هذا لم يحدث مع النبى ﷺ، وإن كان قد دس من الإسرائيليات إلى مشايخ البخارى الذين أخذ منهم، وإلا فإننا إن قد صدقنا أن النبى ﷺ، قد سحر فقد صدقنا كلام الظالمين الذى حكاه القرآن عنهم، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٢) وإن صدقنا أن النبى ﷺ قد سحر، فقد كذبنا الله سبحانه وتعالى القائل فى كتابه الحكيم : ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾^(٣) وقال عز وجل : ﴿فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا﴾^(٤) ثم قال : وأما الحديث على فرض صحته فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد، وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد، لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن المظنون على أى حال، فلنا بل علينا أن نفوض الأمر فى الحديث، ولا نحكمه فى عقيدتنا، ونأخذ بنص الكتاب، وبديل العقل، فإنه إذا خولط النبى ﷺ فى عقله - كما زعموا - جاز عليه

=صالح أبو بكر ٢٢٠/٢، ٢٨٧، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالى ص ١٩٤، وعلم السحر بين المسلمين وأهل الكتاب ص ١٠٦ كلاهما لأحمد حجازى السقا، والسنة ودورها فى الفقه الجديد لجمال البنا ص ٢٣٧، ومساحة للحوار ص ١١٨، والمواجهة مع رسول الله ﷺ ص ٢٥٩ كلاهما لأحمد حسين يعقوب.

(١) هو : محمد بن عبده بن حسن خير الله، إمام فقيه، مفسر، متكلم، أديب لغوى، كاتب صحافى سياسى، له باع الطويل فى مجال الإصلاح العلمى، والاجتماعى، ولكنه مع هذا كان قليل البضاعة فى الحديث، وكان يرى فى الاعتماد على المنطق والبرهان العقليين، خير سلاح للدفاع عن الإسلام، ومن هذين العاملين، وقعت له آراء فى السنة ورواها، وفى العمل بالحديث، والاعتداد به، ما صرح أن يتخذه مثل محمود أبو ريه، وأحمد صبحى منصور، والسيد صالح أبو بكر، وغيرهم من أعداء السنة، تكأة يتكئون عليها، فى تشكيكهم وطعنهم فى السنة المطهرة. من مؤلفاته : رسالة التوحيد، وشرح نهج البلاغة، وغير ذلك مات سنة ١٩٠٥م، له ترجمة فى : السنة ومكانتها فى التشريع للدكتور السباعى ص ٣٠، والسنة بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم للدكتور عبد الموجود عبد اللطيف ص ٢٣٦، والمجددون فى الإسلام لعبد المتعال الصعدي ص ٥٣٤، وتاريخ الأستاذ لرشد رضا ١/١٦، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير للدكتور فهد الرومى ١٢٤ - ١٨٧ .

(٢) الآية ٨ الفرقان .

(٣) الآية ٢١٢ الشعراء .

(٤) الآية ٩ الجن .

أن يظن أنه بلغ شيئاً، وهو لم يبلغه، أو أن شيئاً نزل عليه، وهو لم ينزل عليه، والأمر هنا ظاهر لا يحتاج إلى بيان. ثم ختم كلامه قائلاً : أحب أن أكذب البخارى، من أن أنسب إلى رسول الله ﷺ، أنه سحر^(١).

ويجاب عن الشبه السابقة فيما يلى :

أولاً : إن الحديث صحيح، وثابت بأصح الأسانيد فى أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل فقد رواه الشيخان فى صحيحهما، ولا يصح لنا أن نقول بصدق البخارى ثم نكذب شيوخه، فإن ما يجرى على شيوخه، يجرى عليه، ولا يصح لنا أن نكذب البخارى وروايته، اعتماداً على رأى ليس له من حظ فى توثيق الأخبار، وإقرار الحقائق من قريب أو بعيد، ولو أننا سلمنا جدلاً بصدق معطيات العقل، لأتينا على كثير من السنة، بل وعلى كثير من آيات القرآن الكريم نفسه^(٢).

ثانياً : قول الإسناد الإمام : بأن الحديث على فرض صحته فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد، لأنها لا تقيد إلا الظن، قول غير صحيح، لأن الحق الذى ترجحه الأدلة الصحيحة، أن الحديث الصحيح، مقطوع بصحته، ويفيد العلم اليقيني النظرى، سواء كان فى أحد الصحيحين أم فى غيرهما، وهذا العلم اليقيني نظرى برهانى، لا يحصل إلا للعالم المتجر فى الحديث العارف بأحوال الرواة والعلل، المميز بين صحيحه وسقيمه، وغثه وثمينه، وأصيله ودخيله، أما من ليس من أهل هذا الشأن، فإن هذه القرائن ولو كثرت، لا تفيدهم علماً، فمثلم لا يعتد به فى هذا المقام، ولا تبنى عليه هنا الأحكام^(٣).

هذا مع العلم بأن التفرقة بين العقائد والأحكام فى العمل بخبر الواحد، لا تعرف عن أحد من الصحابة، ولا عن أحد من التابعين، ولا من تابعهم، ولا عن أحد من أئمة الإسلام، وإنما تعرف عن رموس أهل البدع ومن تبعهم.

(١) تفسير جزء عم ص ١٨٠ - ١٨٣، وينظر : مجلة المنار المجلد ١٢/ ٦٩٧، والمجلد ٢٩/ ١٠٤، وغيرهم من ذكرهم عبد المجيد محمد صالح فى كتابه : صواعق الحق المرسلة على الجنين والكهان والسحرة ص ١٢٠ - ١٦٥ .

(٢) ينظر : السنة النبوية بين دعاء الفتنة وأدعاء العلم للدكتور عبد الموجود عبد اللطيف ص ٢٣٩ .

(٣) ينظر : اختصار علوم الحديث لابن كثير بشرح الباعث الخيث للأستاذ أحمد محمد شاكر ص ٣٠، ومقاصد الحديث فى القدم والحديث للدكتور مصطفى التازى ٥٥/٢ .

يقول الإمام ابن دحية^(١) : "وعلى قبول خبر الواحد الصحابة والتابعون وفقهاء المسلمين، وجماعة أهل السنة، يؤمنون بخبر الواحد، ويدينون به في الاعتقادات"^(٢).

ثالثاً : قول الأستاذ الإمام عن حديث السحر : وعلى أى حال، فلنا بل علينا أن نفوض الأمر فى الحديث، ولا نحكمه فى عقيدتنا، ونأخذ بنص الكتاب، وبدليل العقل. فهذا كلام خطير جداً يفتح ثغرة ضد الثابت الصحيح من السنة، كما يفتح مجالاً لقالة السوء فى الصدام بين الكتاب والسنة، والأمر ليس كذلك، بينما حدد لنا رسول الله ﷺ فى حديثه الصحيح : "إنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ"^(٣) كما أن الأستاذ الإمام بجعله الأخذ بالكتاب، وبدليل العقل فقط، ترك فرصة للهجوم عليه، مما دفع تلميذه محمد رشيد رضا^(٤) إلى القول : بأن الأستاذ الإمام كان ضعيفاً فى الحديث، كما أنه

(١) هو : أبو الخطاب، عمر بن الحسن بن دحية، الأندلسي، المحدث، يلقب بذي النسيين، نسبة إلى دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ، وإلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، كان بصيراً بالحديث معتمداً به، معروفاً بالضبط، له حظ وافر من اللغة. من مصنفاته : الابتهاج فى أحاديث المعراج، والعلم المشهور فى فضائل الأيام والشهور، وغير ذلك مات سنة ٦٣٣ هـ له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٠ رقم ١١٣٦، ولسان الميزان ٥/ ١٦٣ رقم ٦٠٨٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٨ رقم ٤٩٧، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٤/ ٢٠٢ رقم ١١٥ .

(٢) الابتهاج فى أحاديث المعراج ص ٧٨، وللإستزادة ينظر : البحر المحيط فى أصول الفقه للزركشى مسألتي إثبات أسماء الله بأخبار الآحاد، وإثبات العقيدة بخبر الآحاد ٤/ ٢٦١، ٢٦٢، ومختصر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية ٢/ ٥٧٨، والسنة المفترى عليها للمستشار البهنساوى ص ١٦٨، ١٧٢، وفتوى الشيخ محمد رشيد رضا "أحاديث الآحاد يحتج بها فى العقائد" مجلة المنار المجلد ١٩/ ٣٤٢، والمدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدي عبد القادر ص ٢٩١، والحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام للألبانى ص ٤٥ - ٦٥ .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرک ١/ ١٧١ رقم ٣١٨، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال فى إسناده عكرمة، واحتج به البخارى، وابن أبي أويس، واحتج به مسلم، وسائر رواة متفق عليهم، ثم قال: وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه فى الموضع السابق، ووافقه الذهبي، وقال: وله أصل فى الصحيح. يشير إلى ما رواه جابر بن عبد الله مرفوعاً "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله" جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحج، باب حجة النبی ﷺ ٤/ ٤٣١ رقم ١٢١٨، والاختصار على الرخصة بالكتاب هنا : لأنه الأعظم والأهم، وفيه تبيان كل شئ إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما فى الكتاب عملوا بكل ما أمرهم النبي ﷺ به لقوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ جزء من الآية ٧ الحشر، وينظر : فتح الباري ٥/ ٤٢٥ رقم ٢٧٤٠ .

(٤) هو : محمد رشيد بن علي رضا، البغدادي الأصل، الحسين النسب، صاحب مجلة المنار، وتفسير المنار، والروحى المسمى، وغير ذلك من مؤلفاته، وهو أحد رواد المدرسة العقلية الحديثة، كان فى أول أمره متأثراً بوجهة شيخه محمد عبده، وكان مثله فى أول الأمر قليل البضاعة من الحديث،

وحتى الآن محل نقد من رجال السنة، مما جرهم إلى التهجم عليه، وعلى أفكاره، بينما أبان هو عن هدفه من ذلك وجعله محدداً في قوله : "وقد قال الكثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة، ولا ما يجب لها، أن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صحح فليزِم الاعتقاد به".

ويبدو أن الأستاذ الإمام قد أبدى بعض التراجع عن هذه الفكرة عندما قال : "ثم إن نفى السحر عنه لا يستلزم نفى السحر مطلقاً" مع أنه قد أقر سابقاً بأن السحر إما حيلة وشعوذة، وإما صناعة علمية خفية، يعرفها بعض الناس، ويجهلها الأكثرون... إلى أن قال : أن السحر يتلقى بالتعليم، ويتكرر بالعمل فهو أمر عادي قطعاً بخلاف المعجزة، ثم يجعل بعد ذلك نفى السحر بالمرة ليس بدعة، لأن الله تعالى لم يذكره ضمن آية ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكِتَابُهُ وَرَسُولُهُ لَا تَفَرُّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(١) ويجعل سحر سحرة فرعون ضرباً من الحيلة ويستدل بقوله تعالى : ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾^(٢) وما قال أنها تسعى بسحرهم.

مع أن أقوى دليل يمكن أن ترد به على الأستاذ الإمام قوله تعالى : ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) فكيف غاب عن الأستاذ الإمام النظر في هذه الآية، وكيف كان يمكن له أن يفسرها على خلاف ما هي عليه من إثبات حقيقة السحر لا كونه تخيلاً أو وهماً.

=أمره متأثراً بوجهة شيخه محمد عبده، وكان مثله في أول الأمر قليل البضاعة من الحديث، قليل المعرفة بعلومه، ولكنه كما قال الدكتور السباعي: "منذ أن استلم لواء الإصلاح بعد وفاة الإمام محمد عبده، وأخذ يخوض غمار الميادين الفقهية والحديثية وغيرهما، وأصبح مرجع المسلمين في أنحاء العالم في كل ما يعرض لهم من مشكلات، كثرت بضاعته من الحديث وخبرته بعلومه، حتى غدا آخر الأمر حامل لواء السنة وأبرز أعلامها، مع بعض المآخذ عليه في بعض فتاويه الحديثية، مات سنة ١٩٣٥م له ترجمة في : الأعلام للزركلي ٣٦١/٦، والسنة ومكانتها التشريعية للدكتور السباعي ص ٣٠، والمجددون في الإسلام لعبد المتعال الصعدي ص ٥٣٩، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي ص ١٧٠، ومحمد رشيد رضا وجهوده في السنة للدكتور يوسف عبد المقصود، مخطوط بكلية أصول الدين بالقاهرة رقم ١٢٦٦ .

(١) الآية ٢٨٥ البقرة.

(٢) الآية ٦٦ طه.

(٣) الآية ١١٦ الأعراف.

وهل يأمر رب العزة بالاستعاذة من وهم وتخيل فى قوله : ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ﴾^(١) وهو يعنى بالنفثات السواحر إذا رقين ونفثن فى العقد؟^(٢) .

أما الحديث فقد ثبت فى صحيح البخارى، وهو مرجع أساسى للسنة، فلو شككنا فى حجية الثابت فى البخارى، فكيف يقبل الناس بعد ذلك حديثاً ورد فى كتب الصحاح أو فى رواية عن غير البخارى؟! .

وما دفع الأستاذ الإمام من عاطفة تنزيه مقام النبوة أو محاولة إظهار الإسلام بمظهر لا يكون فيه موضع اتهام من أعداء الإسلام، أو محاربة السحر كخرافة، بعد أن توسع الناس فى عمل أشياء تتنافى مع عظمة الإسلام، وإنكاره لمظاهر الكهانة والسحر والشعوذة .

وهذه إن جاز أن تكون دوافع الأستاذ الإمام فلا يجوز أن تكون بحيث تصادم الثابت الصحيح، وهو الذى كثيراً ما وقف عند الثابت عن المعصوم ﷺ لا يتعداه، ولا يحاول تأويله، ويسلم به تسليم معتقد لما جاء به، حيث لا مجال للعقل فيه .

ثم ما هو الدافع؛ لأن يتأثر الأستاذ الإمام بالمعتزلة فى ذلك، ويحاكى رأيهم، وهو الذى كثيراً ما نعى على التقليد والمقلدين، وكان أولى به أن يأخذ برأى الإمام ابن قيم الجوزية، عندما قال فى هذا الشأن : "وأما قولكم أن سحر الأنبياء ينافى حماية الله لهم، قيل لكم : إنه سبحانه كما يحميهم، ويصونهم، ويحفظهم، ويتولاهم، يبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم، ليستوجبوا كمال كرامته، وليتأسى بهم مَنْ بَعْدَهُمْ من أممهم، إذا أودوا من الناس، فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء، صبروا، ورضوا، وتأسوا بهم"^(٣) .

ومن أجل ذلك أثبت علماء الإسلام هذا الحديث، وأوجدوا له مخرجاً يتفق مع سلامة النسبة إليه، ومع مكانة النبوة، وعصمته ﷺ، فقالوا :

(١) الآية ٤ الفلق .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٥٥/٨ .

(٣) تفسير المعوذتين لابن قيم الجوزية ص ٤١، وينظر : الإمام محمد عبده ومنهجه فى التفسير للكتور عبد الغفار عبد الرحيم ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

أولاً : الزعم بأن الحديث يحط من منصب النبوة، ويشكك فيها، وفي عصمة الأنبياء، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، هذا الذى ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل؛ لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته، وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل^(١).

ثانياً : أن سحر الرسول ﷺ، يرفع من مقام النبوة وشرفها، ولا يحط من شأنها، ولا يتعارض مع عصمته ﷺ، فالرسول ﷺ لم يكن معصوماً من الأمراض، فلقد كان يأكل، ويشرب، ويمرض، كما قالت عائشة رضى الله عنها "إن رسول الله ﷺ كان رجلاً مسقماً، وكان أطباء العرب يأتونه فأتعلم منهم"^(٢) وكانت تجرى عليه كل النوااميس المعتادة التى أودعها الله فى ولد آدم، وليس فى السحر على الهيئة الواردة ما ينقص من قدره وعصمته كإمام لسائر الأنبياء والمرسلين، مادام السحر على قواه البدنية^(٣).

قال القاضى عياض : "وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده، وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله فى الحديث : "حتى يظن أنه يأتى أهله ولا يأتين" ويروى : "يخيل إليه" بالمضارع كلها : أى يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتين، ولم يتمكن من ذلك كما يعترى المسحور.

قلت : وهذا مثل ما يعترى الرجل السليم قوى البدن، المحطم للأرقام القياسية فى رفع الأثقال، يظن تحطيم رقم قياسى أعلى، وعند محاولة الرفع لا يستطيع، ومثل ذلك أيضاً الإنسان فى حالة النفاهة من المرض، يظن أن به قدرة على الحركة، وعندما بهم بذلك لا تحتمله قدامه.

قال القاضى عياض : وكل ما جاء فى الروايات من أنه يخيل إليه فعل الشئ ولم يفعله ونحوه، فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس فى ذلك ما يدخل لبسا.

(١) النهاج شرح مسلم للنوى ٤٢٩/٧ رقم ٢١٨٩ .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرک ٢١٨/٤ رقم ٧٤٢٦ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى صحيح على شرط البخارى ومسلم.

(٣) يراجع ما سبق فى المراد بعصمته ﷺ فى بدنه ص ٨٠ - ٨٢، وينظر : السحر والسحرة والوقاية من الفجرة لتاج الدين نوفل ص ٢٩، ٦٣، ٦٤ .

على تبليغه أو شريعته، أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا^(١) فلا مطعن لأهل الضلالة^(٢) ثم إنه لم يثبت، بل ولم يرد أنه ﷺ تكلم بكلمة واحدة في أثناء مدة السحر تدل على اختلال عقله ﷺ، ولا أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به، ومن نفى فعله بالدليل ولا دليل^(٣) وكل هذا يوضح كيف أخطأ خصوم السنة والسيرة العطرة في تفسير السحر، وأنه أثر على عقله ﷺ - عصمه الله من ذلك .

ثالثاً : أن عصمة الرسول ﷺ الواردة في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٤) العصمة هنا المراد بها عصمته ﷺ من القتل، والاعتقال، والمكائد المهلكة، فضلاً عن عصمته من الغواية، والهوى، والضللال، وعدم الوقوع في المعاصي والمنكرات، ولا يدخل في العصمة هنا عصمته من الأمراض كما سبق أن ذكرت، بل الأنبياء جميعاً غير معصومين من المرض غير المنفر، فهم جميعاً تجرى عليهم كل النواميس المعتادة التي أودعها الله في ولد آدم، وعلى ذلك فالآية ليست على عمومها، ولو كانت على عمومها ما استطاع أحد أن يخطئ في حقه ﷺ، ولا أن يناله بأذى، وهام يخطئون في حقه ﷺ كثيراً، بوصفه بالجنون والكهانة، والسحر، وينالون منه في المعارك بكسر ربايعته، وشج رأسه، وهذا يدل على أن الآية في عصمته من القتل، والغواية، والضللال، ولا تعارض بينهما وبين شخص يسحره^(٥).

رابعاً : أن القول بأن الحديث معارض للقرآن الكريم، ويصدق المشركين في قولهم : ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٦) مردود بأن المشركين كانوا يقولون إن محمداً بشر، وأنه فقير، وأنه لا يعلم الغيب، فهل نكذبهم في ذلك؟! .

(١) سيأتي تفصيل أدلة عصمته في تبليغ الرحي ص ٢٦٤ - ٢٧٨ .

(٢) الشفا ١٨٠/٢ - ١٨٣ بتصرف .

(٣) أقوال في هذا المعنى أنظرها في : فتح الباري ٢٣٧/١٠ رقم ٥٧٦٥ .

(٤) الآية ٦٧ المائدة .

(٥) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٧/٢ - ٧٩، والروض الأنف للسهيلى ٣٧١/٢، ودفع الشبهات عن السنة للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ٩٠، والإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير للدكتور عبد الغفار عبد الرحيم ص ٢٥٩ .

(٦) الآية ٨ الفرقان .

ثم إننا نعلم يقيناً، أن الكفار لا يريدون بقولهم هذا، أن يثبتوا لرسول الله ﷺ ما أثبتته هذا الحديث، وهو أن فلاناً من اليهود سحره بضعة أيام، فأدركه شئ من التغير، وخيل إليه أنه يفعل بعض الشئ، وهو لا يفعله، ثم أن الله شفاه من ذلك، هم لا يريدون هذا، بل يريدون أن ما يصدر عن رسول الله ﷺ، إنما يصدر عن خيال وجنون، وأنه لم يوح إليه شئ، فإذا آمننا بما دل عليه الحديث لم نكن مصدقين للمشركين في دعواهم، فمفهوم الحديث شئ، ودعواهم شئ آخر .
خامساً : زعمهم أن السحر من عمل الشياطين، وصنع النفوس الشريرة الخبيثة، أما من تحصن بعبادة الله كالأنبياء، فليس للشيطان، ولا للشريين عليهم من سلطان، قال تعالى : ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(١).

هذا الزعم مردود عليهم بما ورد في القرآن الكريم من آيات تثبت تعرض الشيطان للأنبياء بأنواع الإفساد والإغواء، ومع ذلك عصمهم الله عز وجل بعدم تمكنه من إغوائهم، أو إلحاق ضرر بهم يضر بالدين، وتأمل قوله تعالى : في حق سيدنا أيوب عليه السلام ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾^(٢) وقوله سبحانه في حق سيدنا آدم وزوجته : ﴿فَازْلَمَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾^(٣) ومن هنا لا يلزم من وقوع السحر في حق الأنبياء، إضلالهم وإغوائهم، فإن ذلك ظن فاسد، وتأمل قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ. قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَىٰ. قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ. وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾^(٤) فقد صرحت الآيات بأن سحر أولئك السحار، قد أوقع نبي الله موسى في التخيل، حتى تغيرت أمامه الحقائق، فحسب الحبال حيات، والساكنات متحركات، وعندما أوجس في نفسه من ذلك خيفة، كانت عصمة ربه له بالوحي إليه بعدم الخوف لأنه رسول الله حقاً، وعليه إلقاء ما في يمينه يعني عصاه فإذا هي ﴿تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ

(١) الآية ٤٢ الحجر .

(٢) الآية ٤١ ص .

(٣) الآية ٣٦ البقرة .

(٤) الآيات ٦٥ - ٦٩ طه .

ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى» فتأمل ما فى الآيات من إثبات السحر للأنبياء مع عصمتهم من آثاره المضرة بدعوتهم .

وهكذا يتضح أن الحديث لا يتعارض مع أى آية من القرآن الكريم، بل آيات القرآن الكريم تؤيده نحو قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد إذا حسد^(١) فهذه السورة وسورة الناس، واللّتين تسميان بالمعوذتين، نزلتا فى قصة سحره ﷺ، كما جاء من حديث ابن عباس^(٢) ومن حديث عائشة أيضا ففيه من الزيادة أنه "وجد فى الطلعة تمثالا من شمع، تمثال رسول الله ﷺ وإذا فيه إبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة، فنزل جبريل بالمعوذتين، فكلما قرأ آية انحلت عقدة، وكلما نزع إبرة وجد لها ألما، ثم يجد بعدها راحة"^(٣) حتى قام رسول الله ﷺ، كأنما نشط من عقال، أى من حبل كان مربوطا به .

وهنا قد يرد سؤال : إذا كانت عصمة الله وعنايته أحاطت رسول الله ﷺ فلم أثر فيه

السحر ؟

والجواب : لتعلم الأمة كيف تعالج نفسها من السحر، إذا وقع لواحد من أبنائها شئ من

السحر، وهو علاج من أربعة أمور وردت فى الحديث :

الأول : الصبر على البلاء، ابتغاء الأجر والثبوة الواردة فى قوله ﷺ : "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه، وولده، وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة"^(٤) وكذلك الأنبياء يبتلون ابتغاء أجر البلاء وهو فى حقهم لرفعة درجاتهم، وإظهارا لشرفهم، كما قال عز وجل : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٥) وفى الحديث عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله! أى الناس أشد بلاءا قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن

(١) سورة الفلق كلها .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ١٥٣/٢، وسنده منقطع كما قال الحافظ فى تلخيص الحبير ١١٠/٤ رقم ١٧٢٣، وكذا فى فتح البارى ٢٣٦/١٠ رقم ٥٧٦٣، وأخرجه ابن مردويه موصولا من طريق عكرمة عن ابن عباس، كما قال السيوطى فى الدر المنثور ٧١٧/٦ .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٩٢/٧ - ٩٤ وسنده ضعيف كما قال الحافظ فى تلخيص الحبير وفى فتح البارى فى الأماكن السابقة نفسها، وأخرجه ابن مردويه كذا فى الدر المنثور ٧١٧/٦ .

(٤) سبق تخريجه ص ٨١ .

(٥) الآية ٣١ محمد .

كان دينه صلباً أشد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة^(١) ومن هنا صبر رسول الله ﷺ على سحره يحسب أجر ذلك عند الله تعالى .

الثانى : كثرة الدعاء، ففي الحديث الذى معنا صبر ﷺ فترة، ثم دعا، ودعا، ودعا. وفى هذا تعليم للأمة، أنه للمبتلى منها عليه بكثرة الدعاء، فإنه ببركة الدعاء، يفرج الله عنه ما هو فيه، قال تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢) وقال ﷺ : "لا يرد القضاء إلا الدعاء"^(٣) .

الثالث : الرقية، وذلك بقراءة سورتي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٤) ففي بعض روايات هذا الحديث على ما سبق قريباً أنه ﷺ، رقى بهاتين السورتين، وكلما رقى بآية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، وشفى بفضل الله تماماً . وفى سورتي الفلق والناس واللّتين تسميان بالمعوذتين، فيهما يقول ﷺ : "ما سأل سأل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيز بمثلهما"^(٥) .

الرابع : النشرة^(٦) وهى مباحة، وهذه الإباحة مستفادة من قول عائشة رضی الله عنها : "هلا تنشرت" ولم ينكر عليها ﷺ قولها . وذكر الإمام البخارى عن سعيد بن المسيب^(٧) بأنه سئل عن النشرة للذى يؤخذ عن أهله، فقال : لا بأس! لم ينه عن الصلاح، إنما نهى عن الفساد، ومن استطاع ان ينفع أخاه فليفعل^(٨) .

(١) سبق ترجمته ص ٨١ .

(٢) الآية ٦٠ غافر .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء ٣٩٠/٤ رقم ٢١٣٩ وقال : حديث حسن غريب، من حديث سلمان، وللحديث شاهد من حديث ثوبان رضى الله عنه أخرجه الحاكم فى المستدرک ٦٧٠/١ رقم ١٨١٤ وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى .

(٤) السورتان الفلق، والناس .

(٥) أخرجه النسائى فى سننه الصغرى كتاب الاستعاذة ٥٣/٨ رقم ٥٤٣٨، وفى سننه الكبرى نفس الكتاب ٤٣٧/٤ رقم ٧٨٣٨، وأحمد فى مسنده ١٤٦/٤، والحاكم فى المستدرک ٥٨٩/٢ رقم ٣٩٨٨ وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى . من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه .

(٦) بضم النون : ضرب من الرقية والعلاج، سميت نشرة، لأنه ينشر بها عن المريض، ما خاومه من الداء، أى : يكشف ويزال. النهاية ٤٦/٥، ويحتمل أن يكون من النشر بمعنى الإخراج، فيوافق رواية من رواة بلفظ "أفلا أخرجته" ويكون المراد بالمرخرج، ما حواه الجف، لا الجف نفسه، فيتأيد الجمع المقدم ذكره هامش "أفلا أخرجته" ينظر : فتح البارى ٢٤٦/١٠ رقم ٥٧٦٥ .

(٧) أحد العلماء الأثبات، الفقهاء الكبار، قال ابن المدينى: لا أعلم فى التابعين أوسع علماً منه. مات سنة ٩٤ هـ له ترجمة فى: تقريب التهذيب ٣٦٤/١ رقم ٢٤٠٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ٨١ رقم ٤٢٦ .

(٨) الروض الأنف ٣٧٣/٢، وينظر : فتح البارى كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر ٢٤٣/١٠ رقم ٥٧٦٥ .

ومن الناس من كره النشره على العموم، ونزع بحديث خرجه أبو داود مرفوعاً "هو من عمل الشيطان"^(١).

قال الحافظ ابن حجر : "ويجاب عن الحديث، بأنه إشارة إلى أصلها، ويختلف الحكم بالقصد، فمن قصد بها خيراً كان خيراً، وإلا فهو شر"^(٢) وقال الإمام السهيلي : النشره من عمل الشيطان، هذا والله أعلم في النشره التي فيها الخواثم والعزائم، وما لا يفهم من الأسماء العجمية^(٣).

وبعد : فإن حديث سحر رسول الله ﷺ، لا يتعارض مع عصمته ﷺ ولا يشكك في النبوة، كما أنه لا يمثل ثغره في السنة والسيرة العطرة، وإنما يمثل نقطة مشرقة، إنه سحر، لكنه لم يخرج عن دائرة الصواب، بل كان في أعلى درجات الاستقامة والهداية، وهذا يدل على أن السحر لم يؤثر في قواه ﷺ العقلية، ولا في درجته الإيمانية، وإنما كان مؤثراً في أداء الجسم، وهذا لا علاقة له بالرسالة والوحي، والعصمة، ومع أنه أمر جسدي، فإن الرعاية الإلهية قد شملته، وتولاه الله بالحفظ، وسلمه سبحانه وشفاه، بعد أن أطلعه عز وجل على المكيدة التي صنعها له لبيد بن الأعصم في السحر، فذهب إلى حيث قد طوى الرجل أمشاطه، وأسباب سحره، فأبطل ﷺ كل ذلك.

وهكذا فأنت ترى أن هذا الحديث دليل إكرام وعصمة من الله عز وجل لرسوله ﷺ أكثر من كونه دليل أذى قد أصابه في جسمه، أو أى جانب يتعلق ببشريته^(٤) أهـ.

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطب، باب النشره ٦/٤ رقم ٣٨٦٨، وأحمد في مسنده ٢٩٤/٣ من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه، وحسن إسناده الحافظ في فتح الباري ١٠/٢٤٤ رقم ٥٧٦٥.

(٢) فتح الباري ١٠/٢٤٤ رقم ٥٧٦٥.

(٣) الروض الأنف ٢/٣٧٣.

(٤) ينظر : دفع الشبهات عن السنة للدكتور عبد المهدي عبد القادر ص ٨٨ - ٩٦، ومشكلات الأحاديث وبيانها للقصيمي ص ٤٨ - ٥٨، والسحر بين الحقيقة والخيال للدكتور أحمد ناصر الحمد ص ١١٢ - ١٢٦، وفقه السيرة للدكتور محمد البوطي ص ٣٤٢.

المطلب الخامس

شبهة الطاعنين في حديث "أهجر"

والرد عليها

روى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما حضر رسول الله ﷺ ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، فقال النبي ﷺ : "هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده" فقال عمر : إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت فاختلفوا ، فمنهم من يقول : قريوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول : ما قال عمر . فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ ، قال عليه الصلاة والسلام : قوموا ، وكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ ، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، من اختلافهم ولغظهم^(١) .

هذا الحديث طعن فيه الرافضة ، بما جاء في بعض رواياته من قول بعض الحاضرين "أهجر" وزعموا كذباً نسبة هذه اللفظة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأنه بقوله "أهجر" ورفع شعار "حسبنا كتاب الله" تجاوز حد الأدب مع رسول الله ﷺ ، وطعن في شخصه الكريم ، واتهامه بالتخريف والهذيان ، كما زعموا أن تبرير الفقهاء لموقف عمر تشويه لرسول الله ﷺ ، وحط من قدره وشخصه ، ومكانته العالية ، ومساس بعصمته ورسالته^(٢) .

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الوصية ، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوص فيه ١٠٠/٦ رقم ١٦٣٧ ، والبخارى (بشرح فتح البارى) في عدة أماكن هي : كتاب العلم ، باب كتابة العلم ٢٥١/١ رقم ١١٤ ، وكتاب الجهاد ، باب جوائز الوفاء ١٩٦/٦ رقم ٣٠٥٣ ، وكتاب الجزية ، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ٣١٢/٦ رقم ٣١٦٨ ، وكتاب المغازى باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٧٣٨/٧ رقمى ٤٤٣١ ، ٤٤٣٢ ، وكتاب المرضى ، باب قول المريض : قوموا عني ١٣١/١٠ رقم ٥٦٦٩ ، وكتاب الاعتصام ، باب كراهية الاختلاف ٣٤٧/١٣ رقم ٧٣٦٦ ، وأحمد في مسنده ٢٩٣/١ ، ٣٢٤ ، ٣٥٥ ، والبيهقى في دلائل النبوة ١٨١/٧ - ١٨٣ ، والطبرانى فيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات كما قال الهيثمى في مجمع الزوائد ٢١٥/٤ ، وللحديث شاهد من رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : إن رسول الله ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلون بعده ، ولا يضلون ، وكان في البيت لغط ، فتكلم عمر بن الخطاب ، فرفضها رسول الله ﷺ "أخرجه أبو يعلى في مسنده ، ورجاله رجال الصحيح ، كما قال الهيثمى في مجمع الزوائد ٢١٤/٤ ، ٢١٥ ، وأخرجه أحمد في مسنده ٣٣٦/٣ .

(٢) ينظر : دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين لصالح الوردانى ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٤٥ .

يقول : أحمد حسين يعقوب^(١) : "أول من اتهم رسول الله ﷺ بالهجر، ورفع بوجهه شعار "حسبنا كتاب الله" هو عمر بن الخطاب، حيث حضر هو وثلة من حزبه ليطمئنوا على الوضع الصحي لرسول الله، ومن المؤكد أن شخصا ما أخبر عمر بأن الرسول سوف يكتب وصية تلك الليلة، فأحضر عمر عددا كبيرا من حزبه ليحول بين الرسول، وبين كتابة وصيته كما أقر عمر بذلك. وما أن قال الرسول : "قربوا كتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا" حتى تصدى له عمر بن الخطاب، فقال فوراً دون أن يسأل عن مضمون الكتاب : "حسبنا كتاب الله، إن رسول الله قد هجر" وبدون تروى صاح الحاضرون من حزب عمر فقالوا : القول ما قاله عمر!! إن رسول الله يهجر، واستغرب الحاضرون من غير حزب عمر، وصعقوا من هول ما سمعوا، فقال عفويًا : قربوا يكتب لكم رسول الله، وكان الحاضرون من حزب عمر يشكلون الأكثرية، لأنهم أعدوا للأمر عدته فصاح عمر وأعوانه : "حسبنا كتاب الله إن الرسول يهجر" واختلف الفريقان وتنازعوا، وصدم عمر وحزبه خاطر النبي، فقال النبي للجميع : "قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع، وما أنا فيه خير مما تدعونني إليه" ولقد أصاب ابن عباس عندما سمى ذلك اليوم بيوم الرزية!!!^(٢).

ويجاء عن الشبهات السابقة بما يلي :

أولاً : نسبة القول بـ "أَهْجَرَ" إلى الفاروق عمر بن الخطاب، لا دليل عليه، إذ جميع روايات هذا الحديث تنفي هذه الكلمة إلى عمر رضى الله عنه. وإنما الذي جاء على لسان عمر فى جميع الروايات : قال ابن عباس : "فقال عمر : إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله"^(٣).

(١) كاتب أردني معاصر، يعمل في مهنة المحاماة، انتقل من المذهب السنّي إلى المذهب الشيعي، الذى يطمع أصحابه في السنة النبوية، وأهلها، من مؤلفاته : نظرية عدالة الصحابة، والنظام السياسى في الإسلام، والمواجهة مع رسول الله ﷺ وآله.

(٢) المواجهة مع رسول الله ﷺ وآله ص ٢٦١، وينظر : نظرية عدالة الصحابة ص ٢٨٧، كلاهما لأحمد حسين يعقوب، والمرجمات لعبد الحسين شرف الدين ص ٣٣١، وحوار ومناقشة كتاب عائشة لهشام آل قطيط ص ٩١، والصحيح من سيرة النبي الأعظم لجعفر مرتضى العاملي ١/ ٥٧، ٥٨، ومنع تدوين الحديث أسباب ونتائج لعلى الشهرستانى ص ٣٠٠، وسيرة المصطفى ﷺ لهاشم معروف الحسينى ص ٦٩٦، ٧٠٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/ ١١٤، ١٢/ ٧٩.

(٣) ينظر : تخريج حديث بحثنا، روايات البخارى أرقام ١١٤، ٤٤٣٢، ٥٦٦٩، ٧٣٦٦، وطريق من رواية مسلم رقم ١٦٣٧، وأحمد في مسنده ١/ ٣٢٤، ودلائل النبوة لليهقى ٧/ ١٨٣.

أما لفظ "أَهَجَرَ" فجاءت جميع الروايات بنسبتها إلى بعض الحاضرين في بيت رسول الله ﷺ دون تحديد لأشخاصهم، قال ابن عباس: "فقالوا ما شأنه؟ أهجر! استفهموه"^(١).

فأين إذن ما يزعمه الرافضة من نسبة هذه الكلمة إلى سيدنا عمر رضي الله عنه؟

إنه لا وجود لهذه النسبة إلا في أذهانهم المريضة، وقلوبهم الممثلة حقدا على صحابة رسول الله ﷺ!!

ثانياً: ليس في كلمة "أَهَجَرَ" ما يعارض عصمة رسول الله ﷺ في عقله، وفي الوحي وتبليغ الرسالة، حال صحته، وحال مرضه يبين ذلك ضبط الكلمة المبين حقيقة المراد منها وهو سلب الهجر لا إثباته، وحاصل هذا الضبط فيما يلي:

أ- إثبات همزة الاستفهام، وبفتحات عليها، "أَهَجَرَ" على أنه فعل ماض، والكلمة في هذه الحالة، على سبيل الاستفهام الإنكارى على من توقف في امتثال أمره ﷺ، بإحضار الكتف والدواة. فكان قائلها قال: كيف تتوقف في امتثال أمره ﷺ، أنظن أنه ﷺ كغيره يقول الهذيان فى مرضه، امتثل أمره، وأحضره ما طلب فإنه لا يقول إلا الحق.

وهذا الضبط والمراد به، هو أحسن الأجوبة، وأرجحها عند الحافظ ابن حجر، والقرطبي فى توجيه هذه الكلمة^(٢) وهو ما أرجحه أيضاً.

ب- وضبطها بعضهم: "أَهَجَرَأ" بضم الهاء، وسكون الجيم، والتتوين، والكلمة فى هذه الحالة راجعة إلى المختلفين عند رسول الله ﷺ وقائلها خاطبهم بها، والمراد: جئتم باختلافكم عند رسول الله ﷺ، وبين يديه هَجَرَأً وَمُنْكَرَأً من القول^(٣).

وهذا الضبط الثانى والمراد به، تثبته الروايات، وما جاء فيها من كثرة لغتهم ولغوهم.

ثالثاً: اتفق العلماء على أنه لا يصح أن تكون هذه الكلمة "أهجر" إخباراً، لأن الهَجَرَ بالضم، ثم السكون، من الفحش أو الهذيان، والمراد به هنا: ما يقع من كلام المريض الذى لا ينتظم،

(١) ينظر: تخريج حديث بحثنا، روايات البخارى أرقام ٣٠٥٣، ٣١٦٨، ٤٤٣١، وطريق مسن رواية

مسلم رقم ١٦٣٧، وأحمد فى مسنده ٣٥٥/١، والبيهقى فى دلائل النبوة ١٨١/٧.

(٢) فتح البارى ٧/٧٣٩ رقم ٤٤٣٢، وينظر: فيض البارى على صحيح البخارى للكشميرى ١٤٦/٤.

(٣) ينظر: المصادر السابقة فى الأماكن نفسها، والشفاء ١٩٣/٢، وشرحه للقرارى ٣٥٣/٢.

ولا يعتد به لعدم فائدته^(١). ووقوع ذلك من النبي ﷺ مستحيل في حقه، لأنه معصوم ففى صحته ومرضه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٢) ولقوله ﷺ: "فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه (أى من فمه الشريف فى حال غضبه، ورضاه، وكذا صحته ومرضه)، إلا حق"^(٣).

وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى فى الحديث "هجر" أو "يهجر"^(٤) وهى محمولة عند أهل العلم على وجهين :

الوجه الأول : حذف ألف الاستفهام، والتقدير أهجر؟

ويؤيد صحة هذا الحمل، أنه لو احتمل من بعض الصحابة أنه قال تلك الكلمة، إخباراً عن حال رسول الله ﷺ، أو عن شك عرض له فى عصمة رسول الله ﷺ حال مرضه، لوجد من ينكره عليه من كبار الصحابة، بل من رسول الله ﷺ نفسه رداً عن عصمته، ولو ثبت الإنكار من الصحابة أو الرسول، لنقل إلينا، ولا نقل! وهو ما يؤكد صحة هذا الحمل.

الوجه الثانى : فى المراد بظاهر رواية "هجر" و"يهجر" هو حملها على ما جاء فى الرواية الثانية من قول الفاروق عمر : "إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع" ويكون قائل "هجر" أو "يهجر" لم يضبط لفظه، وأجرى الهجر، مجرى شدة الوجع، لأنه ينشأ منه، لا أنه اعتقد أنه ﷺ يجوز عليه الهجر، وإلا وجد من ينكر عليه كما سبق.

هذا وقيل غير ذلك من الأقوال فى توجيه كلمة "هجر" و"يهجر" فاقترنت على ما سبق لكونه أرجح عندى من غيره^(٥).

وعلى ما سبق فليس فى قول القائل "أَهْجَرَ" أى كان قائلها، كما أنه ليس فى قول عمر رضى الله عنه : "إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع" ما يتعارض مع عصمة رسول الله ﷺ، ولا ما يشوه شخصيته، ويحط من قدره كما يزعم الرافضة! لأن قائل "أَهْجَرَ" أو "أَهْجَرًا" كان القول

(١) النهاية فى غريب الحديث ٢١٣/٥، وينظر : فتح البارى ٧/٧٣٩ رقم ٤٤٣٢ .

(٢) الآية ٣ النجم.

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب العلم، باب فى كتاب العلم ٣/٣١٨ رقم ٣٦٤٦، وأخرجه أحمد فى مسنده ٢/١٦٢، ١٩٢، والحاكم فى المستدرک ١/١٨٧ رقم ٣٥٩ وقال على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وسيأتى ذكر قصة الحديث ص ٢٧٧ .

(٤) ينظر : تخريج حديث بخشنا، رواية البخارى رقم ٣٠٥٣، وطريق من رواية مسلم رقم ١٦٣٧، وأحمد فى مسنده ١/٣٥٥ .

(٥) ينظر : الشفا ٢/١٩٣، وفتح البارى ٧/٧٤٠ رقم ٤٤٣٢ .

منه سلباً للهجر لا إثباته، وإنكاراً منه على من توقف في امتثال أمره ﷺ، وإنكاراً أيضاً على المختلفين بين يديه ﷺ، وما أحدثوه بحضرته من لغط ولغو. ولو حملت الكلمة من قائلها، على الإخبار بحاله عليه الصلاة والسلام لوجد من ينكر على قائلها، وعلى رأسهم رسول الله ﷺ ينكر ذلك، ولنقل إلينا، ولا نقل! مما يؤكد أن قائل "أهجر" قصد بها سلب الهجر عن رسول الله ﷺ، لا إثباته كما يزعم الرافضة!

رابعاً : اتفق قول العلماء - سوى الرافضة - على أن قول عمر "إن رسول الله، قد غلبه الوجع، عندكم القرآن، حسبنا كتاب الله" رد على من نازعه، لا على أمر النبي ﷺ.

كما أن العلماء عدو قوله : من قوة فقهه، ودقيق نظره، ومن موافقاته للوحى، قصد منه التخفيف عن رسول الله ﷺ، حين رآه قد غلب عليه الوجع، وشدة الكرب، وقامت عنده قرينه بأن الذى أراد كتابته، ليس مما لا يستغنون عنه، إذ لو كان من هذا القبيل، لم يتركه عليه الصلاة والسلام، لأجل اختلافهم ولغطهم، لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

كما لم يترك ﷺ تبليغ غيره بمخالفة من خالفه، ومعاداة من عاداه، وفى تركه عليه الصلاة والسلام، الإنكار على عمر إشارة إلى تصويبه ﷺ رأيه^(٢).

قلت : وهذا عندى من أقوى ما يتمسك به فى الرد على الرافضة ومن قال بقولهم، لأن ترك رسول الله ﷺ الإنكار على عمر، هو إقرار منه ﷺ بتصويب رأيه، ويأخذ هذا الإقرار حكم المرفوع المسند.

ويؤيد صحة ما سبق، من صحة رأى عمر، وأن أمره ﷺ بالكتابة لم يكن على مسيل الوجوب، ما جاء فى نفس الحديث من وصيته عليه الصلاة والسلام بثلاث قال : "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم"^(٣) وسكت عن الثالثة أو قال الراوى : فنسيتها^(٤).

(١) الآية ٦٧ المائدة.

(٢) ينظر : دلائل النبوة للبيهقى ١٨٤/٧، ١٨٥، وفتح البارى ٧٤٠/٧ رقم ٤٤٣٢.

(٣) قال العلماء : هذا أمر منه ﷺ، بإجازة الوفد، وضيافتهم، وإكرامهم، تطيباً لنفوسهم، وترغيباً لغيرهم من المؤلفلة قلوبهم ونحوهم، وإعانة على سفرهم، قال القاضى عياض : قال العلماء : سواء كان الوفد مسلمين أو كفاراً، لأن الكافر إنما يفد غالباً فيما يتعلق بمصالحنا ومصالحهم^(١) أه ينظر :

المنهاج شرح مسلم ١٠٥/٦ رقم ١٦٣٧، وفتح البارى ٧٤١/٧ رقم ٤٤٣٢.

(٤) ينظر : تخريج حديث بحثنا ص ٢٣٥.

فهذا يدل على أن الذي أراد أن يكتبه ﷺ، لم يكن أمرا متحتما، لأنه لو كان مما أمر بتبليغه، لم يكن يتركه لوقوع اختلافهم، ولعاقب الله عز وجل، من حال بينه وبين تبليغه، ولبلغه لهم لفظا، كما أوصاهم بإخراج المشركين وغير ذلك.

وقد عاش عليه الصلاة والسلام بعد هذه المقالة أياما، وحفظوا عنه أشياء لفظا، فيحتمل أن مجموعها ما أراد أن يكتبه ويبعد مع كل هذا أن يكون أمره ﷺ بالكتابة على الوجوب ويتركه! كما يبعد كل البعد، بدليل ما سبق، ما يزعّمه الرافضة من الوصية لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه، بالخلافة من بعده عليه الصلاة والسلام، وزعمهم أن عمر رضى الله عنه، حال بين رسول الله، وبين كتابة تلك الوصية^(١).

قال الإمام المازري^(٢) : "وإنما جاز للصاحبة الاختلاف في هذا الكتاب، مع صريح أمره ﷺ لهم بذلك، لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب، فكأنه ظهرت منه عليه الصلاة والسلام قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتم، بل على الاختيار، فاختلف اجتهدهم، وصمم عمر رضى الله عنه، على الامتناع، لما قام عنده من القرائن، بأنه ﷺ قال ذلك من غير قصد جازم، وعزمه ﷺ على الكتابة كان إما بالوحي، وإما بالاجتهاد، وكذلك تركه ﷺ الكتابة إن كان بالوحي فبالوحي، وإلا فبالاجتهاد أيضا، وفيه حجة لمن قال بالرجوع إلى الاجتهاد في الشرعيات"^(٣) وهو ما ينكره الرافضة على صحابة رسول الله ﷺ^(٤).

قلت : وفي كلا الحالتين العزم على الكتابة وتركها، سواء كان بالوحي، أو بالاجتهاد، فيه إقرار من رسول الله ﷺ لرأى عمر رضى الله عنه، فيأخذ حكم المرفوع المسند، وهو دليل على صحة موقف الصحابة رضى الله عنهم من اختلافهم في الكتاب، مع صريح أمره ﷺ.

(١) ينظر : مصادر الشيعة السابقة ص ٢٣٦ .

(٢) هو : محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، أبو عبد الله، من فقهاء المالكية، كان محدثا، فقيها، أصوليا، أدبيا، وله دراية بالطب، من مصنفاته : المعلم بفوائد شرح مسلم، وإيضاح المحصول من برهان الأصول، وغير ذلك مات سنة ٥٣٦ هـ له ترجمة في : الديباج المذهب ص ٣٧٤ رقم ٥٠٨، وشذرات الذهب ١١٤/٤، والوافي بالوفيات ١٥١/٤، وشجرة النور الزكية ١٢٧/١ رقم ٣٧١ .

(٣) فتح الباري ٧/٧٤٠ رقم ٤٤٣٢، وشرح الزرقاني على المواهب ١٠٦/١٢، ١٠٧ .

(٤) ينظر : منع تدوين الحديث أسباب ونتائج لعلي الشهرستاني ص ٨٥، ومعالم المدرستين لمرتضى العسكري المجلد ٢/٦٧، وركبت السفينة لمروان خليفات ص ٢٣٣، ٢٩٥، وتأملات في الحديث عند السنة والشيعة لوكريا عباس داود ص ٤٨ - ٦٢، والشيعة هم أهل السنة للدكتور محمد التيجاني

ص ٢٧، ٢٨، ٣١ .

قال الإمام القرطبي^(١) : "واختلاف الصحابة رضى الله عنهم، فى هذا الكتاب كاختلافهم فى قوله ﷺ : "لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة"^(٢) فتخوف ناس فوات الوقت فصلوا، وتمسك آخرون بظاهر الأمر فلم يصلوا، فما عنف ﷺ أحد منهم، من أجل الاجتهاد المسوغ، والمقصد الصالح"^(٣).

وعلى ما سبق من اختلاف الصحابة رضى الله عنهم، فى فهم أمره ﷺ، ثم إقراره ﷺ لهذا الاختلاف فى فهمهم لأمره، يرد على زعم الرافضة، ومن قال بقولهم، فى أن اختلاف الصحابة، فى أمر رسول الله ﷺ بالكتابة، سوء أدب منهم، مع رسول الله ﷺ!!!.

لأنهم رضوان الله عليهم أجمعين، كانوا يراجعونه ﷺ فى بعض الأمور قبل أن يجزم فيها بتحريم، كما راجعوه يوم الحديبية، فى كتاب الصلح بينه وبين قريش^(٤). فأما إذا أمر عليه الصلاة والسلام بالشئ أمر عزيمة، ولا قرينة تصرفه عن ذلك، فلا يراجع فيه أحد منهم^(٥).

خامساً : زعم الرافضة أن فى قول عمر : "حسبنا كتاب الله" دعوى منه للاكتفاء به عن بيان السنة، زعم لا دليل عليه، لأن سيدنا عمر رضى الله عنه لم يرد بقوله هذا، الاكتفاء به عن بيان السنة المطهرة، بل قال ما قاله لما قام عنده من القرينة، على أن الذى أراد ﷺ كتابته مما يستغنى عنه، بما فى كتاب الله عز وجل، لقوله تعالى : ﴿لَمَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٦) حيث لا تقع واقعة إلى يوم القيامة، إلا وفى الكتاب، أو السنة ببيانها نصاً أو دلالة.

(١) هو : محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى، الخزرجى، المالكى، القرطبي، من كبار المفسرين، والمشهورين بالصلاح والتعب، وله مؤلفات كثيرة عظيمة منها : تفسيره، جامع أحكام القرآن، وغيرها توفى سنة ٦٧١هـ له ترجمة فى : طبقات المفسرين للسيوطى ص ٧٩ رقم ٨٨، وطبقات المفسرين للدوادى ٦٩/٢ رقم ٤٣٤، والديباج المذهب ص ٤٠٦ رقم ٥٤٩، وشجرة النور الزكية ١٩٧/١ رقم ٦٦٦.

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ٤٧١/٧ رقم ٤١١٩، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقدم أهم الأمرين المتعارضين ٣٤٠/٦ رقم ١٧٧٠ من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

(٣) فتح البارى ٢٥٢/١، ٢٥٣ رقم ١١٤.

(٤) ينظر : قصة الحديث فى صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الصلح، باب كيف هذا ما صالح فلان ابن فلان... ٣٥٧/٥ رقم ٢٦٩٨، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية ٣٧٦/٦ رقم ١٣٨٣ من حديث البراء رضى الله عنه.

(٥) المنهاج شرح مسلم ١٠٣/٦ رقم ١٦٣٧، وفتح البارى ٢٥٢/١ رقم ١١٤.

(٦) جزء من الآية ٣٨ الأنعام.

وفى تكلف النبي ﷺ فى مرضه من شدة وجعه، كتابة ذلك مشقة ومن هنا رأى عمر، الاقتصاد على ما سبق بيانه إياه نصاً أو دلالة تخفيفاً عليه ﷺ، ولئلا ينسد باب الاجتهاد على أهل العلم والاستنباط، وإلحاق الفروع بالأصول، وقد كان سبق قوله ﷺ : "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر" (١).

وهذا دليل على أنه ﷺ وكل بعض الأحكام إلى اجتهاد العلماء، وجعل لهم الأجر على الاجتهاد، فرأى عمر رضى الله عنه الصواب تركهم على هذه الجملة، لما فيه من فضيلة العلماء بالاجتهاد، مع التخفيف عن رسول الله ﷺ، وفى تركه عليه الصلاة والسلام الإنكار على عمر، دليل على استصوابه رضى الله عنه رغم أنف الرافضة (٢).

ولا يعارض ذلك قول ابن عباس رضى الله عنهما : إن الرزية كل الرزية ... السخ لأن عمر كان أفتقه منه قطعاً، هذا مع اعترافنا بأنه حبر الأمة، وترجمان القرآن، وأعلم الناس بتفسير كتاب الله وتأويله، ولكنه أسف على ما فاته من البيان بالتصحيح عليه، لكونه أولى من الاستنباط، لاسيما وقد بقى ابن عباس حتى شاهد الفتن (٣). أهـ.

وبعد :

فقد استبان لك أيها الناظر بما سبق؛ عصمة رسول الله ﷺ، فى بدنه من الصرع (٤) وفى عقله وقلبه من الكفر (٥) والشرك والضلال والغفلة (٦) والشك، والفحش، ومن تسلط الشيطان عليه (٧)

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ١٣ / ٣٣٠ رقم ٧٣٥٢، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ٦ / ٢٥٤ رقم ١٧١٦ من حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه .

(٢) ينظر : المنهاج شرح مسلم ١٠٣ / ٦ رقم ١٦٣٧ بتصرف .

(٣) فتح البارى ٧ / ٧٤٠ رقم ٤٤٣٢، وشرح الزرقانى على المواهب ١٠٧ / ١٢، ١٠٨ .

(٤) الطعن فى عصمته فى بدنه، والزعم بأنه كان يصرع سبق الرد على هذه الفرية فى المطلب الأول من هذا المبحث ص ١٨٤، وسيأتى الرد على وصف حالته ﷺ، أثناء الوحي بأنها صرع، فى شبهات المستشرقين حول الوحي الإلهي ص ٢٨٩ .

(٥) حديث استلامه ﷺ الأصنام سبق الجواب عنه ص ٦٢ .

(٦) حديث "إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله..." سبق الجواب عنه ص ١٤٢ .

(٧) حديث (فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان) سبق الجواب عنه ص ١٤٣ .

واستحالة ذلك ونحوه عليه شرعاً وإجماعاً، ونظراً وبرهاناً وعصمته فيما سبق قبل النبوة وبعدها، وفي كل حالاته من رضى وغضب، وجد ومزح.

وما استدل به أعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة من أحاديث يفيد ظاهرها عدم عصمة رسول الله ﷺ في عقله وبدنه لا تفيدهم في دعواهم، لأن ما استدلوا به من أحاديث، منها ما هو ضعيف، وموضوع لا يحتج به، ومنهما ما هو صحيح ولكن تضعف دلالته على ما احتجوا به، على ما سبق تفصيله في المطالب السابقة أـ.

والله تبارك وتعالى اعلى واعلم

الباب الثانى

عصمة رسول الله ﷺ فى تبليغ الوحي

ودفع الشبهات

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : عصمته ﷺ فى تبليغ الوحي كما يصورها القرآن الكريم والسنة النبوية .

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالوحي، وكيفية .

المبحث الثانى : دلائل عصمته ﷺ فى تبليغ الوحي من خلال القرآن الكريم
والسنة النبوية .

الفصل الثانى : شبه الطاعنين فى الوحي الإلهى والرد عليها ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : شبهات أعداء الإسلام من المستشرقين حول الوحي الإلهى والرد عليها
ويشتمل على تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : شبهة الوحي النفسى والرد عليها .

المطلب الثانى : شبهة أن الوحي عبارة عن أمراض عقلية ونفسية والرد عليها .

المطلب الثالث : شبهة أن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية والرد عليها .

المطلب الرابع : فرية الغرائق والرد عليها .

المبحث الثانى : شبهات أعداء السنة المطهرة حول الوحي الإلهى والرد عليها ويشتمل
على تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : شبهة أن مهمة رسول الله ﷺ، قاصرة على بلاغ القرآن فقط
والرد عليها .

المطلب الثانى : شبهة أن رسول الله ﷺ، ليست له سنة نبوية والرد عليها .

المطلب الثالث : شبهة أنه لا طاعة لرسول الله ﷺ إلا فى القرآن فقط والرد
عليها .

المطلب الرابع : شبهة أن طاعة رسول الله ﷺ، تأليه وشرك والرد عليها .

الفصل الأول

عصمته ﷺ في تبليغ الوحي كما يصورها

القرآن الكريم والسنة المطهرة

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالوحي، وكيفية.

المبحث الثاني : دلائل عصمته ﷺ في تبليغ الوحي من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

تمهيد

الوحي الإلهي : هو كلمة الله عز وجل إلى عباده ليخرجهم من الظلمات إلى النور وهو أصل الدين، إذ يتعلق بكتاب الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ والوحي في الإسلام ثابت محفوظ بحفظ الله تعالى، والأمة مهيأة لخدمة نصوصه كما تقتضيه ظروف الحياة العلمية لها .

والوحي : أهم عنصر يميز شخصية النبي أو الرسول، وأكبر الدعائم التي تركز عليها حقيقة النبوة .

وقد دلت نصوص الكتاب الكريم، والسنة الشريفة، والسيرة العطرة على عصمة سيدنا محمد ﷺ، في تبليغ وحى الله تعالى إلى الأمة، وانعقد إجماع علماء الأمة على ذلك .

إلا أنه يوجد في كل أمة، وفي كل زمان ومكان، من يطعن في عصمة رسول الله ﷺ في تبليغ وحى الله تعالى؛ من أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين، ومن أنبيالهم المتسترين بعباءة القرآن الكريم ممن يسمون أنفسهم (القرآنيون) .

أما المستشرقون : فشبهاتهم حول الوحي الإلهي قائمة على إنكار نبوة سيدنا رسول الله ﷺ، إذ لم تكن لدى معظمهم القناعة العلمية ولا الإيمان الراسخ بهذه النبوة، وبخاصة أولئك الذين جمعوا بين الاستشراق والتبشير، وألبسوا أفكارهم أردية كنسية متطرفة، فقد نشأوا على أديان أخرى، ونفذوا بشئ من العداء لهذه الشخصية النبوية الكريمة، ودفعوا دفعاً مقصوداً للإيقاع بنبوته، وحملوا حملاً مغرضاً لتجريدته من صفاتها، وعلى رأسها صفة العصمة .

فزعوا تارة، أن الوحي الذي جاء به رسول الله ﷺ أمر ذاتي من داخل نفسه الصافية، وعقله العبقري .

وتارة ثانية، يزعمون أنه عبارة عن أمراض عقلية ونفسية، وهم بذلك يتناقضون مع أنفسهم؛ إذ كيف يجتمع الضدان، صفاء النفس، والعقل العبقري، مع الإصابة بالأمراض النفسية والعقلية؟! وتارة ثالثة، يزعمون أن الوحي الذي جاء به رسول الله ﷺ مقتبس من اليهودية

والنصرانية، أو أنه وحى شيطاني بناءً على فرية الغرائق، وهذه الطعون في الوحي الإلهي، هي رأى معظم المستشرقين الذين يدرسون ظاهرة الوحي والنبوة، ويخلطون عن عمد بين النبوة والعبقرية، ومعاني البطولة، ومعاني الرسالة، إذا استثنينا أولئك المستشرقين الذين ينحون بتفكيرهم نحو المادية والعلمانية، وينكرون الوحي كله جملةً وتفصيلاً ويهاجمون النبوات كلها بما فيها نبوة موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

أما أعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة، ممن هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا ففاقت شبهاتهم حول الوحي الإلهي، شبهات أعداء الإسلام، إذ أعلنوا صراحة الكفر بالشرط الثاني من الوحي الإلهي وهو سنة رسول الله ﷺ، وسيرته العطرة الواردة في سنته الشريفة.

وهم فيما يزعمون يتسترون بعباءة القرآن الكريم، وفاق تسترهم كل حد، إذ تجرأوا على كتاب ربهم عز وجل، ففسروه وأولوه بما يأتي في النهاية صراحة بردهم على الله عز وجل كلامه، وتطاولهم عليه عز وجل من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

إذ رسموا من خيالهم المريض صورة لدور رسول الله ﷺ في رسالته - وهو أمر لا يملك منه أحد شئ سوى الخالق - تساعدهم فيما يكفرون به من سنة رسول الله ﷺ.

فزعموا أن دور النبي ﷺ في رسالته قاصراً على بلاغ كتاب الله عز وجل فقط، وأنه ليست له سنة نبوية، وأن طاعته ﷺ الواردة في القرآن الكريم، تعني الطاعة لكتاب الله عز وجل، وتتنحصر فيها، ولم يقف إفكهم عند هذا الحد، إذ زعموا أن القول بطاعة رسول الله ﷺ شرك وتأليه له ﷺ، وأن من يقول بطاعته فقد كفر وأشرك بربه!.

وقبل تفصيل تلك الشبهات والرد عليها، أرى لزماً على تأصيل المسألة أولاً: وذلك بالتعريف بالوحي، وكيفية، ثم تفصيل دلائل عصمته ﷺ في تبليغ الوحي الإلهي من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة. فإلى تفصيل ذلك في المبحثين التاليين :

المبحث الأول التعريف بالوحي لغة، وشرعاً، وكيفياته

أولاً : التعريف بالوحي :

أ- من حيث اللغة :

ذكر غير واحد من علماء هذا الشأن أن أصل الوحي فى الأسلوب العربى، معناه :
الخفاء، والسرعة، والإشارة.

فالواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم فى خفاء إلى غيرك، فكل ما
ألقيته إلى غيرك حتى علمه، فهو وحي كيف كان. وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز
والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة بعض الجوارح، وبالكتاب، والرسالة
والإلهام.

وأوحى وحي لغتان يقال : وحيث إليه الكلام، وأوحيت، ووحى، وحيأ وأوحى. لكن
أوحى بالهمزة أفصح من - وحي - بدونها. ولذلك جرى استعمال القرآن على ما هو الأفصح
فى الفعلين أه بتصرف^(١).

وقد استعمل القرآن الكريم الوحي بمعناه اللغوى، وهو : الإعلام الخفى السريع، ويتناول
الوحي بهذا المعنى عدة أنواع كما جاءت فى القرآن الكريم :

١- الإشارة السريعة على سبيل الرمز كما فى قوله تعالى : ﴿فخرج على قومه من المحراب
فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيّاً﴾^(٢) وكما فى قوله تعالى : ﴿قال رب اجعل لى
آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾^(٣).

(١) ينظر : لسان العرب ٤/١٢٦، والقاموس المحيط ٤/٣٩١، ومعجم مقاييس اللغة ص ١٠٨٥، وتاج
العروس ١٠/٣٨٤ - ٣٨٦، ومختار الصحاح ص ٧١٣، والأشباه والنظائر فى القرآن الكريم لمقاتل
سليمان ص ١٦٨، ١٦٩، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٥٨٦ - ٥٨٨ .

(٢) الآية ١١ مريم.

(٣) الآية ٤١ آل عمران.

٢-الإلهام الغريزي للإنسان^(١) ومنه ما يطلق عليه إلهام الخواطر، وهو ما يلقيه الله تعالى فسى روع الإنسان السليم الفطرة، الطاهر الروح، كما فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتْ إِلَى الْخَوَارِيجِ أَنْ آمَنُوا بى وَبِرَسُولِى قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

٣-الإلهام الغريزي للحيوان أو ما يطلق عليه بعض العلماء الأمر الكونى كالوحي إلى النحل، وذلك كما فى قوله تعالى : ﴿وَأَوْحِ رَبِّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^(٣).

ومما يشير إلى هذا المعنى أيضا قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾^(٤) ويدخل تحت ذلك كل الأوامر الكونية للجملات وغيرها.

٤-وسوسة الشياطين كما فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيَجَادُلُوكُمْ وَإِنْ أُطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٥).

(١) اشتهر لدى الكثيرين أن الوحي إلى أم موسى عليهما السلام الوارد فى قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذْهَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ آية ٧٠ القصص، هو من هذا القبيل - أعنى الإلهام. أى من قبيل الحقيقة اللغوية. وعللوا قولهم هذا، بأنه لو قلنا إن الوحي إليها كان من قبيل الحقيقة الشرعية - أى كان بواسطة ملك - يلزم عليه أن تكون نبيا. والمقطوع به أنه لم تكن كذلك. أه كلامهم والحق : أن هذا الكلام خلاف التحقيق حسبما صرح بذلك الإمام القرطبي فى تفسيره ٢٥٠/١٣، والشيخ أبو حيان فى تفسيره ١٠٥/٧ - ١٠٨، وشيخنا الدكتور إبراهيم خليفة فى منه المنان ١٥٢/٢، وحثهم فى ذلك، أن ما جاء فى الآية من الأمر بالإلقاء والوعد بأنه سيرجع إليها وسيكون من المرسلين، لا يأتى ذلك من قبل الإلهام، كما أنه لا يلزم من إرسال الملك إلى أحد، ضرورة كونه نبيا، فقد جاء الملك إلى السيدة مريم، وإلى الأقرع، والأبرص، والأعمى، وقصتهم فى الصحاح، ولم يقل أحد نبوة هؤلاء، وفوق ذلك كله، فإن الجمع عليه أن النبى لا يكون إلا ذكرا قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِىَ إِلَيْهِمْ﴾ آية ٤٣ النحل، وعليه فالراجح أن الوحي إليها لم يكن إلهاما، وإنما كان بواسطة ملك. أه.

(٢) الآية ١١١ المائدة.

(٣) الآية ٦٨ النحل.

(٤) الآيتان ١١، ١٢ فصلت.

(٥) الآية ١٢١ الأنعام.

وهذه الأقسام كلها ليست هي المرادة من اصطلاح الوحي فى علوم القرآن والسنة إذ المراد : الوحي الشرعى الذى جاء إلى أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام .

ب- معناه الشرعى :

- ١- قال الحافظ ابن حجر : هو الإعلام بالشرع^(١) .
- ٢- وعرفه الأستاذ الإمام محمد عبده بقوله : هو عرفان يجده الشخص^(٢) من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة^(٣) .
- ٣- وعرفه البعض بأنه كلام الله المنزل على النبى الموحى إليه^(٤) .

وبالنظر فى هذه التعريفات نلاحظ أنها جاءت متنوعة تبعا لتتوع الاعتبارات، فمن نظر إلى المعنى المصدري عرفه بالتعريف الأول، ومن نظر إلى المعنى الحاصل بالمصدر، عرفه بالثانى، ومن نظر إلى الموحى به، عرفه بالثالث، وهو المختار عندى. والله أعلم.

ثانيا : كفيات الوحي :

هذه الكفيات ذكرها غير واحد من العلماء^(٥) وهى بتصرف واختصار، على النحو التالى:
إحداها : الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه ﷺ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي للرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل

(١) فتح البارى ١/١٤٠، كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .
(٢) لا أوافق على كلمة (الشخص) لأن الوحي المعرف هو الوحي الشرعى، والوحي الشرعى خاص بالأنبياء، فلا يجوز أن يطلق على الأنبياء هذا التعريف بكلمة (الشخص) لأن الشخص أعم فيدخل فى ذلك الإلهام إلى غير الأنبياء، اللهم إلا إذا كان الشيخ محمد عبده يعرف الوحي من جهته العامة، فلا يكون ذلك تعريفا للوحي الشرعى .

(٣) رسالة التوحيد ص ٥٨ .

(٤) عمدة القارى شرح صحيح البخارى لبدر الدين العيني ١/١٥٠، وينظر : مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقان ١/٦٤، والوحي فى الإسلام وأهميته فى الحضارة الإنسانية للدكتور رؤف شلى ص ٢٩، ٣٠ .

(٥) ينظر على سبيل المثال : زاد المعاد لابن قيم الجوزية ١/٧٨ - ٨٠، وشرح الزرقانى على المواهب اللدنية ١/٤٢٠ - ٤٣٧، ودلائل النبوة لليهقى ٧/٥٢ - ٥٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٠ - ٢٢، والإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١/١٢٧ فقرة رقم ٥٤٦، والسيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للدكتور أبى شهبة ١/٢٦٩ - ٢٧١، والمدخل إلى السنة للدكتور عبد المهدى ص ٦٥ - ٧٠ .

فلق الصبح - الحديث^(١) وواضح من قولها رضى الله عنها : "أول ما بدئ به ... من الوحي الرؤيا الصالحة" أن الرؤيا الصالحة، كيفية من كفيات الوحي، وقد جاء ذلك مصرحاً به، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : "رؤيا الأنبياء وحى"^(٢).

ويبدوا هذا واضحاً فى رؤيا سيدنا إبراهيم عليه السلام فى المنام ذبح ولده إسماعيل عليه السلام، قال تعالى : ﴿قَالَ يَا بَنِي إِبْرَاهِيمَ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾^(٣).

وتجده أيضاً فى رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام، والتي تحققت بعد سنوات، قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَايْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٤) وتحققها قصة القرآن الكريم فى قوله عز وجل : ﴿وَرَفَعَ أَبَوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾^(٥).

وفى حق سيدنا رسول الله ﷺ قص القرآن الكريم نماذج من الرؤى وقعت بعد النبوّة منها على سبيل المثال :

١- قوله تعالى : ﴿إِذْ يَرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٦) ففى غزوة بدر الكبرى واجه المسلمون المشركين فى أول واقعة حربية حاسمة، وكان المشركون ضعف عدد المسلمين، وقد وقعت رؤيا لرسول الله ﷺ شاهد فيها المشركين قلة قليلة فأخبر أصحابه يومئذ بذلك،

(١) سبق تخريجه ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٣٢٢١/١٠ رقم ١٨٢٣١ وهو من جمع المحقق إذ هذا من القدر المفقود، وأخرجه موقوفا على ابن عباس، الحاكم فى المستدرک ٤٦٨/٢ رقم ٣٦١٣ وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والطبراني بإسناد رجاله ثقات سوى شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مرزوق فهو ضعيف كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٧٦/٧، ومع صحة وقفه فله حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الراى .

(٣) الآية ١٠٢ الصافات، وفى تفسير هذه الآية قال عبيد بن عمير بن قتادة : "إن رؤيا الأنبياء وحى" أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الوضوء، باب التخفيف فى الوضوء ٢٨٧/١ رقم ١٣٨ .

(٤) الآية ٤ يوسف .

(٥) الآية ١٠٠ يوسف .

(٦) الآية ٤٣ الأنفال .

فكان تنبيها لهم، وكانت تلك الرؤيا مناما كما صرح بذلك القرآن، فلا حاجة إلى تأويل بعضهم أنه رآهم بعينه التي ينام بها^(١).

٢- وقال عز وجل : ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لِنَدْخُلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾^(٢).

فقد أخبر الرسول ﷺ صحابته في العام السادس للهجرة برؤيا حق شاهد فيها المسلمين داخلين المسجد الحرام في أمن تام مؤدين المناسك ولما سار المسلمون، ووصلوا إلى الحديبية^(٣) لم يشك جماعة منهم أن الرؤيا النبوية تتحقق عامهم هذا... وحين وقع ما وقع من صلح الحديبية تساءل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال : أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال : بلى، أفأخبرتكم أنا نأتية العام؟ قال قلت : لا. قال : فإتكم آتية ومطوف به^(٤).

وفعلا ففي العام السابع، وفي ذى القعدة أدى الرسول والمسلمون عمرة القضاء، ودخلوا مكة معتمرين ملبين بعد سبع سنين طوال حرموا خلالها من رؤية الكعبة المشرفة. ثانيها : الإلهام والقذف فى القلب من غير رؤية، بأن يلقى الله أو الملك الموكل بالوحي فى قلب نبيه ما يريد، مع تيقنه أن ما ألقى إليه من قبل الله تعالى.

وهذه الكيفية هى المرادة من قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾^(٥) إذ يقابلها إجمال بقية الكيفيات فى قوله سبحانه : ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسُلُ رَسُولًا فَيُوحِي بآذَنِهِ مَا يَشَاءُ﴾^(٦) وبهذا قال أكثر المفسرين^(٧).

(١) على ما حكاه ابن جرير فى تفسيره ٥٧٠/١٣، وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣/٤ .

(٢) الآية ٢٧ الفتح .

(٣) اسم قرية قريبة من مكة، سميت بئر فيها. النهاية فى غريب الحديث ١/٣٣٧ .

(٤) جزء من حديث طويل، أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الشروط، باب الشروط فى الحرب والمصالحة مع أهل الحرب... إلخ ٣٩٠/٥ رقمى ٢٧٣١، ٢٧٣٢، ومسلم (بشرح النسوى) كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية فى الحديبية ٦/٣٧٧ رقم ١٧٨٥ .

(٥) الآية ٥١ الشورى .

(٦) جزء من الآية ٥١ الشورى .

(٧) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٢٠٣/٧، ٢٠٤، والكشاف ٤٧٥/٣، ٤٧٦، وأنوار التنزيل ٨٥/٥،

وجامع البيان ٢٨/١١، ٢٩، ومفاتيح الغيب ١٨٧/١٤ - ١٩١ .

ومن هذه الكيفية حديث ابن مسعود : أن رسول الله ﷺ قال : "ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا أمرتكم به، ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه، ولا يستبطن أحد منكم رزقه، إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس، واجملوا في الطلب، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله، فإن الله لا ينال فضله بمعصية"^(١).

ثالثها : تكليم الله نبيه بما يريد من وراء حجاب، ولذلك صورتان :

الأولى : إما في اليقظة : وذلك مثل ما حدث لسيدنا موسى عليه الصلاة قال تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٢) ومثل ما حدث لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وهو ما عبر عنه العلماء بقولهم : أن يكلمه الله كفاحاً - أى مواجهة، حيث فرض الله عليه هناك الصلاة، وهو ما يدل عليه قوله تعالى : ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾^(٣).

الثانية : وإما في المنام : كما في حديث معاذ رضى الله عنه^(٤) أن النبي ﷺ تأخر عنهم ذات غداة فخرج عليهم وصلى وتجاوز في صلاته، فلما سلم قال : "كما أنتم على مصافكم"، ثم أقبل إلينا فقال : "إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة"^(٥) إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربى عز وجل في أحسن صورة، فقال : يا محمد أتدري فيم يختصم المלא الأعلى، قلت : لا أدري يا رب... الحديث^(٦).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥/٢ رقم ٢١٣٦ أخرجه شاهداً الحديث جابر برقم ٢١٣٤ وقال : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأخرجه الشافعي في الرسالة ص ٩٣ فقرة رقم ٣٠٦ عن المطلب بن حنطب، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٦/١٠، ٢٧، عن أبي أمامة، وأخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه ٢٧٠/١ رقم ٢٧٢ من طريق الشافعي، وهو إسناد مرسل كما صرح بذلك البيهقي في السنن الكبرى ٧/٧٦٠.

(٢) الآية ١٦٤ النساء.

(٣) الآية ١٠ النجم.

(٤) هو معاذ بن جبل، صحابي جليل له ترجمة في : أسد الغابة ١٨٧/٥ رقم ٤٩٦٠، ومشاهير علماء الأمصار ص ٦٣ رقم ٣٢١، والاستيعاب ١٤٠٢/٣ رقم ٢٤١٦، والإصابة ٤٢٦/٣ رقم ٨٠٥٥.

(٥) المراد : ما بين صلاة الغداة وهي الصبح، وطلوع الشمس. النهاية في غريب الحديث ٣١١/٣.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٢٤٣/٥، والترمذي في سننه كتاب التفسير، باب سورة ص ٣٤٣/٥ رقم ٣٢٣٥ وقال : حسن صحيح، سألت البخاري عن هذا الحديث، فقال : هذا حديث حسن صحيح، وعن ابن عباس في سنن الترمذي في الأماكن السابقة نفسها رقمي ٣٢٣٣، ٣٢٣٤، وفي المسند ٣٦٨/١، وعن جابر بن سمرة أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٣٠٢/١ رقم ٤٦٥، وعن بعض أصحاب النبي ﷺ في المسند ٦٦/٤، ٣٧٨/٥، وقال في الجامع الأزهر ١٣/١ رجاله ثقات.

رابعها : إرسال الملك، ولذلك ثلاث حالات :

الحالة الأولى : أن يتمثل له الملك في صورة رجل، والأصل في ذلك نزول الملائكة على سيدنا إبراهيم عليه السلام ضيفاً مكرمين، وقدم لهم عجلًا حنيذًا، ولم يعرف أنهم ملائكة إلا حين أفصحوا له عن حقيقة أمرهم، قال تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَغْلَامٍ عَليمٍ﴾^(١) وأتى الملائكة لوطاً عليه السلام في صورة شباب بهي جميل المنظر قال سبحانه : ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾^(٢).

وبعث الله إلى مريم البتول جبريل عليه السلام في صورة بشر سوي يبشرها باصطفائها واصطفاء وليدها، قال عز وجل : ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٣).

وانطلاقاً من هذه الحقيقة كان جبريل عليه السلام يتنزل على سيدنا محمد ﷺ، ويتمثل لى في صورة رجل، بحيث يراه النبي ﷺ وحده ويتكلم به بما أراد فيعنى عنه ما يقول، ويدل على ذلك قوله ﷺ، لما سئل كيف يأتيك الوحي؟ قال : "وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعنى ما يقول"^(٤).

وقد يظهر الملك المتشكل في صورة رجل للعيان، فيراه الناس ويسمعون كلامه للنبي ﷺ، كما في حديث جبريل المشهور الذى سأل فيه النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة، ففي نهايته قال ﷺ : يا عمر! أتترى من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال : فإتبه

(١) الآيات ٢٤ - ٢٨ الذاريات .

(٢) الآيتان ٧٧، ٧٨ هود .

(٣) الآية ١٧ مريم .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٨ .

جبريل أتاكم يعلمكم دينكم^(١). وعن ابن عمر قال : "وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية"^(٢).

الحالة الثانية : أن يأتي جبريل في صورته التي خلقه الله عليها، وهذه الصورة نادرة وقليلة، ولا يراها إلا النبي ﷺ وحده، لأن غيره لا يطيق ذلك بل ربما النبي ﷺ كان لا يطيق ذلك، ولا سيما في أول مرة وقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته الملائكية التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، كل جناح قد سد الأفق. مرتين :

المرة الأولى : كانت في الأرض، يشير إلى ذلك ما أخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : أى وهو يحدث عن فترة الوحي، بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت، فقلت دثروني، وصبوا على ماء بارد، وأنزل الله على ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾... الآيات^(٣). وأشار إلى هذه الصورة أيضا قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾^(٤).

المرة الثانية : كانت في السماء عند سدرة المنتهى ليلة المعراج. وإليها أشار قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(٥).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ قال : أى ابن مسعود، إنه أى رسول الله ﷺ رأى جبريل له

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان... الخ ١٧٧/١ - ١٧٩ رقم ١، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام... الخ ١٤٠/١ رقم ٥٠، وفي كتاب التفسير، باب إن الله عنده علم الساعة ٣٧٣/٨ رقم ٤٧٧٧.

(٢) هو : دحية بن خليفة الكلبي، أسلم قديما، وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها خلا بدر، وكان من أجمل الناس، توفي في خلافة معاوية، له ترجمة في : الاستيعاب ٤٦١/٢ رقم ٧٠١، وأسد الغابة ١٩٧/٢ رقم ١٥٠٧، ومشاهير علماء الأمصار ص ٧٢ رقم ٣٨٠، والإصابة ٤٧٣/١ رقم ٢٣٩٥، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ١٠٧/٢ وذكر الحافظ في الإصابة ٣٨٥/٢ أن النسائي أخرجه أيضا بإسناد صحيح، وأخرجه ابن سعد في ترجمة دحية ٢٥٠/٤، وإسناده، وإسناد أحمد صحيح كما قال فضيلة الدكتور عبد المهدى في المدخل إلى السنة ص ٦٨.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٠١ واللفظ للبخاري.

(٤) الآية ٢٣ التكاوير.

(٥) الأيتان ١٣، ١٤ النجم.

ستمائة جناح^(١) وفي رواية أخرى عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال ﷺ : رأيت جبريل عليه السلام عند السدرة له ستمائة جناح يتداسثر منها تهاوليل الدر^(٢)، وكون النبي ﷺ رأى جبريل على صورته الملائكية مرتين، ذلك ما أشار إليه ما ثبت في الصحيحين عن عائشة مرفوعا : لم أره على صورته التي خلق عليها إلا مرتين^(٣) وفي رواية "مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد"^(٤) له ستمائة جناح قد سد الأفق^(٥) وهي رواية مبينة لما روى مختصرا في الصحيحين .

والحالة الثالثة : من حالات إرسال الملك : أن يأتي جبريل على صورته الملائكية لكنه في هذه الحال لا يرى، أي أنه يأتي خفية فينبليس بالنبي ﷺ ويتغشاه. لكن يصحب مجيئه شدة يراها صحابة رسول الله ﷺ وذلك في نحو مجئ الملك بصوت صلصلة الجرس، فيوحى إليه بما شاء الله وحيه، وقد دل على ذلك قوله ﷺ لما سئل كيف يأتيك الوحي؟ قال : "أحياتا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده على فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال" وفي رواية سئل ﷺ هل تحس بالوحي؟ فقال : "أسمع صلاصلا، ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض" .

وعن عائشة رضی الله عنها قالت : "ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه لينتفصد عرقا"^(٦) .

(١) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب فكان قاب قوسين أو أدنى ٤٧٦/٨ رقم ٤٨٥٦، وفي البابين بعده رقمي ٤٨٥٧، ٤٨٥٨، وأخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب ذكر سدرة المنتهى ٦/٢ رقم ٢٨٢ .

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى كتاب التفسير، باب سورة النجم، تفسير قوله تعالى : ولقد رآه نزلة أخرى ٤٧٣/٦ رقم ١١٥٤٢ .

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب معنى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ وهل رأى النبي ربه ليلة الإسراء ٧/٢ رقم ٢٨٧، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التفسير، باب سورة النجم ٤٧٢/٨ رقم ٤٨٥٥ .

(٤) موضع بأسفل مكة، معروف من شعابها. ينظر : النهاية ٣١٢/١، وشرح الزرقاني على المواهب ٤٢٩/١ .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير، باب سورة النجم ٣٦٧/٥ رقم ٣٢٧٨، وفي باب سورة الأنعام رقم ٣٠٦٨ وقال : حديث حسن صحيح .

(٦) سبق تخريج الأحاديث السابقة ص ٢٧، ٢٨ .

وبالجملة : الوحي بجميع هذه الكيفيات يصحبه علم يقينى ضرورى من رسول الله ﷺ، بأن ما ألقى إليه حق من عند الله تعالى، وليس من خطرات النفس، ولا نزغات الشيطان، وهذا العلم اليقينى لا يحتاج إلى مقدمات، وإنما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع والعطش ونحوهما .

وحى الله إلى أنبياءه قرآن وسنة :

الوحي المنزل على النبى الموحى إليه بناء على التعريف الثالث للوحي، بأنه كلام الله المنزل على النبى الموحى إليه. نوعان : كتاب، وسنة. قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْتَصِرْنَ قَالَ أَلْقَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(١) ويقول رب العزة فى حق آل إبراهيم عليهم السلام ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٢) ويقول عز وجل فى حق عيسى عليه السلام : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تَكْلِمَ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذَا عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٣) وقال تعالى فى حق سيدنا محمد ﷺ : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعْظِمُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥).

وهذا يدل على أن الوحي إلى رسول الله ﷺ قسمان :

القسم الأول : الكتاب المعجز المتعبد بتلاوته، وكيفية الوحي فى هذا القسم تكون بقطة بواسطة جبريل عليه السلام .

(١) الآية ٨١ آل عمران .

(٢) الآية ٥٤ النساء .

(٣) الآية ١١٠ المائدة .

(٤) الآية ١٦٤ آل عمران .

(٥) الآية ٢٣١ البقرة .

القسم الثاني : الحكمة^(١) والمراد بها هنا السنة المطهرة قال تعالى : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾^(٢) فالتلاوة هنا المرة بعد المرة، والمتلو هنا شينان، أولهما : آيات الله في كتابه، وثانيهما : الحكمة وهي : صنف آخر من الوحي المتلو، ولا يكون ذلك إلا السنة النبوية المطهرة^(٣) وكيفية الوحي في هذا القسم ينقسم إلى قسمين :
القسم الأول : توقيفي، أوحى الله تعالى بمعناه إلى رسول الله ﷺ وعبر عنه الرسول ﷺ بالفاظ من عنده، وهذا القسم هو الأعم الأغلب من السنة النبوية، ويدخل في هذا القسم الحديث القدسي^(٤).

أما القسم الثاني : توقيفي، وهو ما قاله الرسول ﷺ باجتهاده مما يعلم أنه من شرع الله تعالى، فإن وافق قوله أو فعله مراد الله تعالى، فالأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ، وإن كان الأمر يحتاج إلى تصحيح أو توضيح. أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ بذلك^(٥) كما في حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ، أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطايي؟ فقال له رسول الله ﷺ : نعم، إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، ثم قال رسول الله ﷺ كيف قلت؟ قال : أرأيت إن قتلت في سبيل الله، أتكفر عني خطايي؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك^(٦).

-
- (١) الحكمة في اللغة تطلق على عدة معان منها : العلم، والفقه، والعدل، والحلم، والنبوة، ينظر : لسان العرب ١٢/١٤٠، ١٤١، والقاموس المحيط ٤/١٠٠، والمعجم الوسيط ١/١٩٠، وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ٢/٤٩٠ .
- (٢) الآية ٣٤ الأحزاب .
- (٣) ينظر : الرسالة للإمام الشافعي ص ٧٨، ٧٩ فقرات رقم ٢٥٢ - ٢٥٧، والفقيه والمتفقه للخطيب ١/٢٥٨ رقم ٢٥٦، ومختصر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية ٢/٥١١، والمداخل إلى السنن للبيهقي حيث نقل بأسانيده عن الحسن، وقتادة، ويحيى بن أبي كثير أنهم قالوا : الحكمة هي السنة النبوية، وسيأتي مزيد من تفصيل ذلك عند الجواب عن شبهة أن رسول الله ﷺ ليست له سنة ص ٣٣٩ .
- (٤) يراجع : ما سبق في العصمة سبيل حجية القرآن والسنة ص ١٣، ١٤ .
- (٥) وهو ما يسميه الأحناف بالوحي الباطني. ينظر : أصول السرخسي ٢/٩٠ .
- (٦) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الأمانة، باب من قتل في سبيل الله كفر عنه خطاياؤه إلا الدين ٧/٣٥ رقم ١٨٨٥ .

فتأمل استدراك الوحي من خلال جبريل، لم اجتهد فيه رسول الله ﷺ بزيادة الدين في جوابه ﷺ.

وهذا القسم الاجتهادي التوفيقي هو الأقل في السنة الشريفة، ويدخل في هذا القسم ما صدر من رسول الله ﷺ على سبيل العادة والطبيعة وأقره الله تعالى عليها، كشؤونه في طعامه وشؤابه ولباسه، وجلوسه ونومه، وما ماثل ذلك، فإن ذلك كله بعد تقرير الله عز وجل له، يكون بمنزلة الوحي حجة على العباد ما لم يقم دليل على خصوصيته بالنبي ﷺ^(١).

"وذلك يدل على أن كل ما أخبر به رسول الله ﷺ من خبر فهو كما أخبر، وهو حق وصدق مطابق لما عند الله إجماعاً، فيجب التمسك به، لأنه من وحي الله تعالى إليه، وسواء علينا أنبنى على هذا الوحي في التكليف حكم أم لا، لا يفرق في ذلك بين ما أخبر به الملك عن الله تعالى، وبين ما نفث في روعة وألقى في نفسه، أو رآه رؤية كشف وإطلاع على مغيب على وجه خارق للعادة، أو اجتهد في أمر أو نهى أو حكم وأقر عليه، فذلك معتبر يحتج به، ويبنى عليه في الاعتقادات والأعمال جميعاً، لأنه ﷺ، مؤيد بالعصمة فيما نقل إلينا من وحي الله تعالى"^(٢).

وقد قامت دلائل الكتاب والسنة على عصمته ﷺ في نقل هذا الوحي وتبليغه إلى الناس، وهذا هو مضمون المبحث الثاني فإلى بيان ذلك.

(١) وسيأتى مزيد من تفصيل ذلك في الجواب عن شبهة أن اجتهاده ﷺ في الشريعة يؤيد أن السنة النبوية

ليست كلها وحي ص ٤١٢ .

(٢) الموافقات للإمام الشاطبي ٤/٤٥٦ بتصرف، المسألة العاشرة (ما كشف عن المغيبات للرسول فهو

حق) .

المبحث الثانى

دلائل عصمته ﷺ فى تبليغ الوحي من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة

إن مهمة الرسل الأولى التى كلفهم الله عز وجل بها إلى الأمم ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، هى التبليغ الذى أوجبه الله تعالى عليهم بمقتضى اصطفايتهم للرسالة التى حملهم إياها، فيجب عليهم التبليغ، ويستحيل عليهم أى شئ يخل به ككتمان الرسالة، والكذب فى دعاها، وتصور الشيطان لهم فى صورة الملك وتلبسه عليهم فى أول الرسالة وفيما بعدها، وسلطه على خواطرم بالوساوس، لا على وجه العمد، ولا على وجه السهو، ولا فى حال الرضى أو السخط، والصحة أو المرض، ويجب على المسلمين اعتقاد ذلك فيهم.

ولقد دلت نصوص القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والمسيرة العطرة على عصمة نبيينا محمد ﷺ فى هذا الجانب، وانعقد إجماع الأمة على ذلك وقبل تفصيل ذلك، أرى لزماً على بيان مجالات البلاغ الذى أمر الله عز وجل به رسوله ﷺ، وشهادة الله تعالى لنبيه ﷺ بأداء واجب البلاغ على أكمل وجه.

مجالات البلاغ الذى أمر الله تعالى به رسوله ﷺ :

والبلاغ الذى أمر الله به رسوله ﷺ عام وشامل لكل ما تحتاج إليه البشرية فى عاجلها وأجلها، ودنياها وآخرها، سواء كان ذلك بوحي القرآن، أو وحي السنة، فشمّل ذلك إبلاغ القرآن، وإبلاغ السنة، إذ كل ذلك مما أنزله الله عليه من أمر الدين، كما أفاد ذلك عموم الاسم الموصول (ما) فى الآية الكريمة : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١) كما عمم من أراد تبليغهم حيث حذف المفعول الأول لبلاغ، ليعم الخلق المرسل إليهم، والتقدير : بلغ جميع ما أنزل إليك من يحنّاج إلى معرفته من أمر الدين الموحى به إليك^(٢).

(١) الآية ٦٧ المائدة.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦٠/٦ بتصرف.

وقد قام رسول الله ﷺ بذلك البلاغ كله على وجه الكمال والتمام من يوم أن أنزل الله تعالى الرسالة، وكلفه بالبلاغ، بصدر سورة المدثر، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ﴾^(١) فإنه من حينئذ قام بإبلاغ القرآن، وإبلاغ السنة على حد سواء، لا يألو في ذلك جهدا ولا يدخر وسعا، حتى أتم الله له الدين وقمع به المشركين والمبطلين.

تبليغه القرآن الكريم :

أما تبليغه ﷺ القرآن فقد قام بذلك استجابة لقوله تعالى : ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٢) أى : لتبلغه الناس وتتلوه على مهل لتكون ألفاظه ومعانيه أثبت في نفوس السامعين^(٣).

فقام بذلك حق القيام، فكانت له به عناية خاصة في تعليمه وإذاعته ونشره، فهو يقرؤه لهم على مكث لو عده العاد لأحصاءه، ترتيلا كما أمر الله، ويسمعهم إياه في الخطب، والصلاة، وفي الدروس والعظات والدعوة والإرشاد، وفي الفتوى والقضاء، ويدارسهم إياه فيسمع منهم ويسمعون منه، ومن لم يكن حاضرا لديه كأهل البلاد المختلفة، أرسل إليهم بعثات القراء ليعلموهم إياه ويفقهونهم به، كما هو معلوم من رسالته وسيرته وسننه^(٤).

وقبل ذلك كله كان لا يكاد ينفك عنه الوحي حتى يقرأه على الناس ويدعو كتبة الوحي فيكتبوه ثم يحفظ في بيته ليكون وثيقة لحفظه، وحفظ أصحابه كما هو مبين في مظانه من كتب السنة والسيرة المشرفتين^(٥).

(١) الآيتان ١، ٢ المدثر.

(٢) الآية ١٠٦ الإسراء.

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم ١٢٥/٥، والتحرير والتنوير ٢٣١/١٥.

(٤) ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد الزرقاني ٢٤٠/١، والبرهان للزركشي ٢٣٣/١.

(٥) ينظر : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ٦٢٧/٨ وباب

كاتب النبى ﷺ ٦٣٨/٨، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٣٣/١ - ٢٤١، والإتقان في علوم

القرآن للسيوطي ١٦٠/١ - ١٧٦ نص رقم ٧٤٥ وما بعدها، ومناهل العرفان في علوم القرآن

لمحمد الزرقاني ٢٤٠/١ - ٣٣٧.

تبليغه ﷺ للسنة الشريفة :

وأما تبليغه ﷺ للسنة، فما كان أقل شأنًا من إبلاغ القرآن، بل كان مسائراً له ففى كل أطوار البلاغ على حد سواء، لأن السنة هى : من الوحي الذى أنزل على النبي ﷺ، كما قال الله تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾^(١) وقال عز وجل : ﴿وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾^(٢).

ولذلك كانت سنته ﷺ واجبة الطاعة والامتثال ككلام الله تبارك وتعالى، كما ألزم الله تعالى بقوله : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^(٣) إلى غير من الآيات الكثيرة التى توجب طاعته ﷺ كما توجب طاعة الله تبارك وتعالى^(٤).

فهذا كان النبي ﷺ يعنى بإبلاغ السنة كما يعنى بإبلاغ القرآن، بل إن إبلاغه السنة كان أوسع دائرة من حيث إنه لا يمتضى عليه حال من الأحوال، إلا وهو محتاج إلى أن يبين ما يستجد فيه من حكم أو موعظة أو قصة أو مثل، إذ القرآن يعنى بجوامع الأمور، وأصول التشريع، وقواعد الأحكام، ويتولى رسول الله ﷺ بيان دقائق الأخبار وتفاصيل الأحوال فى كل الأحيان والأحوال، بل غالبه مجمل أوكل الله بيانه إلى نبيه محمد ﷺ بقوله : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾^(٥) وقد كان عليه الصلاة والسلام يبين القرآن الكريم على الدولم، والدليل على هذا محسوس ملموس؛ إذ هذه سنته ﷺ التى بلغت مثلث الآلاف من الأحاديث، والمدونة فى دواوين السنة، لم تترك صغيرة ولا كبيرة من أمر الدين إلا وتناولتها بالتفصيل والبيان، حتى بلغ من بيانه ﷺ، أن أخبر أصحابه بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

فمن عمرو بن أخطب الأنصارى رضى الله عنه^(٦) قال : "صلى رسول الله ﷺ يوماً الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى

(١) الآيتان ٣، ٤ النجم.

(٢) الآية ١١٣ النساء.

(٣) الآية ٧ الحشر.

(٤) سيأتى تفصيل هذه الآيات فى الرد على شبهة أنه لا طاعة لرسول الله ﷺ ص ٣٦٤ .

(٥) الآية ٤٤ النحل.

(٦) صحابى جليل له ترجمة فى : أسد الغابة ١٧٧/٤ رقم ٣٨٥٤، والاستيعاب ١١٦٢/٣ رقم ١٨٨٩،

وتجريد أسماء الصحابة ٣٩٩/١، والرياض المستطابة ص ٢٣٧ .

حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن إلى يوم القيامة، قال : فأعلمنا أحفظنا^(١).

ومن هذا الحديث تعلم مدى تبليغه ﷺ للسنة، حيث كان ذلك البيان كله فى مجلس واحد، فما بالك ببقيّة المجالس فى سائر الأيام؟!.

ثم إنه ﷺ لم يكتف بذلك، بل كلف كل من يسمع عنه شيئاً أن يبلغه إلى من وراءه ليعم بلاغه الأمة فى كل زمان ومكان، ليعملوا بما بلغهم من سنته فى كل ما كلف به بنو الإنسان من أمور الدين والدنيا.

فقال عليه الصلاة والسلام : "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"^(٢) ورغبهم عليه الصلاة والسلام فى ذلك وشجعهم عليه بقوله : "تضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه"^(٣).

وهكذا أدى رسول الله ﷺ، واجب التبليغ تارة بالعبارة، وتارة بالكتابة، وتارة بالحدث على إبلاغ من لم يبلغه، لا يألو جهداً، ولا يدخر وسعاً فى إيصال رسالة الله التى حملها إلى كل من يستطيع إيصالها إليه، تنفيذاً لواجب البلاغ الذى تحمله بمقتضى رسالته، وتنفيذاً لأوامر الله تعالى فى ذلك، كقوله سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٤) فبلغ البلاغ المبين منذ أن بعثه الله تعالى إلى أن أتاه اليقين، وقد شهد له بالعصمة فى هذا البلاغ القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وإجماع الأمة، وإليك تفصيل تلك الشهادات.

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة

٢٤٣/٩ رقم ٢٨٩٢ .

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ٥٧٢/٦ رقم

٣٤٦١ من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنه

(٣) سبق تخريجه ص ١٦ .

(٤) الآية ٦٧ المائدة .

أولاً : دلائل عصمته ﷺ في تبليغ الوحي من القرآن الكريم والعقل :

جاءت آيات في القرآن الكريم تثبت عصمته ﷺ وصدقه في كل ما يبلغ عن الله تعالى، وهذه الآيات تتضمن أيضاً أدلة عقلية على صدقه ﷺ. من هذه الآيات ما يلي :

أ- قول الله تعالى : ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(١) وقوله سبحانه : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾^(٢) والذى جاء بالصديق كما يدل عليه سياق هذه الآية هو نبينا محمد ﷺ، وقد شهد لما جاء به من عنده سبحانه (قرآناً وسنة) سماه صدقاً، ويلزم من صدق ما أتى به، صدقه هو في نفسه، إذ لا يأتي بالصدق إلا كامل الصدق، وذلك مما لا جدال فيه حيث كان صدقه معلوما منذ حداثة سنه، وشهد له بذلك أعداؤه قبل أصدقائه، فإن الأعداء من الكفرة والمشركين لم يكونوا يشكون يوماً في صدقه، كما قال عز وجل ﴿فَاتِّهِمُوا لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(٣) وكما كانوا يشهدون له بذلك في مواقف مختلفة، تقدم ذكر بعضها^(٤).

وإذا كانت الآيات السابقة شهادات حسية على صدقه في كل ما يبلغ عن ربه، فهناك شهادات معنوية على صدقه ﷺ تتمثل في تأييد الله عز وجل له ﷺ بالمعجزات المنزلة منزلة قوله عز وجل : "صدق عبدي فيما يبلغ عني" ومن هذه المعجزات : القرآن الكريم، وانشقاق القمر، وتسبيح الحصى، وحنين الجذع، وتكثير الطعام، والإخبار بمغيبات كثيرة^(٥) وتأييده له بالنصر على الأعداء، على قلة جنده وضعف عدته في معركة إثر معركة، ولقاء بعد لقاء، وكل ذلك منزل منزلة قول مرسله تبارك وتعالى : "صدق عبدي فيما يبلغ عني".

إذ أن تأييده بذلك كله، وهو يدعى أنه مرسل من عند ربه، وهو على مسمع من ربه سبحانه ومراى، وهو جل شأنه لا يزال يؤيده بكل ذلك : دليل على كمال صدقه، وعصمته في كل ما يبلغه من قرآن وسنة، إذ لو كان بخلاف ذلك لما أيده، ولفضح أمره للملأ، كما هي سنته سبحانه فيمن حاولوا الكذب عليه.

(١) جزء من الآية ٢٢ الأحزاب .

(٢) الآية ٣٣ الزمر .

(٣) الآية ٣٣ الأنعام .

(٤) يراجع : ص ٨ - ١٠، وينظر : ٢٧٠ - ٢٧٨ .

(٥) ينظر : دلائل النبوة لأبي نعيم ٣٢٥/٢ - ٥٧٢، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/٦ - ٥٥٢ والخصائص الكبرى للسيوطي ٧٨/١ - ٤٤٣، ٣/٢ - ٢٩٦، ومعجزات الرسول ﷺ، التي ظهرت في زماننا للدكتور عبد المهدي عبد القادر .

ب- وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^(١) . فهذه الآيات دليل صدقه وعصمته فى تبليغه الوحي (قرآناً وسنة) بدليل التمانع، فقد امتنع أخذه سبحانه لنبيه ﷺ بتلك الصفة، لامتناع نقوله عليه، وامتناع القول عليه يعنى الصدق والعصمة فيما يقول ويبلغ عن ربه .

قلت : وفى الآيات دلالة على أن القرآن الكريم، والسنة المطهرة من عند الله تعالى وهو استدلال بما هو مقرر فى الأذهان، من أن الله عز وجل لا يقرر أحداً على أن يقول عنه كلاماً لم يقله .

أى : لو لم يكن القرآن والسنة منزلين من عندنا، ومحمد ادعى أنهما منا، لما أقرناه على ذلك، ولعلنا بإهلاكه . فعدم هلاكه ﷺ دال على أنه لم يقل على الله ما لم يقله عز وجل، لأن "لو" حرف امتناع، لامتناع، فامتنع ذلك من الله عز وجل، لامتناع سيدنا محمد ﷺ عن هذه الأشياء .

قال الحافظ ابن كثير : بعد أن فسر هذه الآيات : "والمعنى فى هذا بل هو صادق بار راشد، لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات، والدلالات القاطعات"^(٢) .

وبالجملة : فالآيات من جملة مدحه، ودليل عصمته فى البلاغ لوى الله تعالى، إذ فيها القسم على تصديقه بجميع الموجودات، وأنه لا يمكنه الافتراء عليه^(٣) قال تعالى : ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تَبْصِرُونَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ . وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) .

ج- وقال سبحانه : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(٥) فكلمة "ينطق" فى لسان العرب، تشمل كل ما يخرج من الشفتين قول أو لفظ^(٦) أى : ما يخرج نطقه ﷺ عن رأيه، إنما هو بوحى من الله عز وجل^(٧) .

(١) الآيات ٤٤ - ٤٧ الحاقة .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٤٥/٨، وينظر : الكشف ٦٠٧/٤، والتحرير والتنوير ١٤٤/٢٩ .

(٣) شرح الزرقانى على المواهب ٥٣/٩ .

(٤) الآيات ٣٨ - ٤٣ الحاقة .

(٥) الآيتان ٣، ٤ النجم .

(٦) ينظر : القاموس المحيط ٢٧٧/٣، ومختار الصحاح ص ٦٦٦، ولسان العرب ٣٥٤/١٠ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٨٤/١٧، ٨٥ .

ولقد جاءت الآيتان بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، والفعل إذا وقع في سياق النفي دل على العموم، وهذا واضح في إثبات أن كلامه ﷺ محصور في كونه وحياً لا يتكلم إلا به وليس بغيره^(١) وفي هذا دليل واضح على عصمته ﷺ، في كل أمر بلغه عن ربه من كتاب وسنة، فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه، ولا يقول إلا ما أمر به فبلغه إلى الناس كاملاً من غير زيادة ولا نقصان، وهذه شهادة وتركيبية من الله عز وجل لنبيه ورسوله ﷺ في كل ما بلغه للناس من شرعه تعالى.

د- وقال عز وجل : ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلاً ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾^(٢) فهذه الآيات من جملة الآيات المادحة للمصطفى ﷺ، والشهادة بعصمته في كل ما يبلغ عن ربه عز وجل. وحكم "كاد" في الآيات حكم سائر الأفعال، فمعناها : منى إذا صاحبها حرف نفي، وثابت إذا لم يصحبها، فإذا قيل كاد زيد يبكي، فمعناه : قارب البكاء، فمقاربة البكاء ثابتة، وإذا قيل : لم يكذبك، فمعناه : لم يقارب البكاء، فمقاربته منفية، ونفسه منتف انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة^(٣) والشرط في الآيات على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع، والمعنى : لولا ثبوت تثبتنا إياك، لقد قاربت أن تميل إليهم شيئاً يسيراً من أدنى الميل، لكن امتنع قرب ميلك وهواك لوجود تثبتنا إياك.

فتأمل كيف بدأ بثباته وسلامته بالعصمة، قبل ذكر ما عتبه عليه، وخيف أن يركن إليهم، على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع. وتأمل كيف جاء في أثناء عتبه - إن كان ثم عتب - براعته، وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته.

وبالجملة : فسياق الآيات بين واضح في أن رسول الله ﷺ لم يركن إليهم أبداً، وإلا لأنزل الله به من العقوبة ما ذكره في هذه الآيات، وحيث إن رسول الله لم يقع له شيء من ذلك، فلم يعذبه ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات، ولم يتخلى عنه طرفة عين، كما تشهد بذلك

(١) ينظر : تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص ٥٥، والمدخل

إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ٤٧، ٤٨ .

(٢) الآيات ٧٣ - ٧٥ الإسراء.

(٣) شرح الزرقاني على المواهب ٥٢/٩ .

سيرته العطرة، دل ذلك على أنه ﷺ، لم يتقول على ربه ما لم يقله، ولم يفتر شيئاً من عند نفسه، وبهذا تثبت عصمته في كل ما بلغه عن ربه من وحى الله تعالى قرآنًا وسنة .

قال القاضي عياض: "في الآية دليل على أن الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيت به كاده به الكفار، ورأوه من فتنته، ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته ﷺ وهو مفهوم الآية" (١). هـ- وقال سبحانه: ﴿مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ (٢).

قال الإمام القسطلاني (٣): "يعنى: من أطاع الرسول لكونه رسولاً مبلغاً إلى الخلق أحكم الله فهو في الحقيقة ما أطاع إلا الله... وهذه الآية من أقوى الأدلة على أن الرسول ﷺ معصوم في جميع الأوامر والنواهي، وفي كل ما يبلغه عن الله، لأنه لو أخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة لله، وأيضاً وجب أن يكون معصوماً في جميع أحواله، لأنه تعالى أمر بمتابعته في قوله تعالى: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبَى الْأُمِّيَّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾" (٤) والمتابعة عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير، فثبت أن الانقياد له في جميع أقواله وأفعاله، إلا ما خصه الدليل، طاعة له، وانقياد لحكم الله تعالى" (٥).

و- ليس أدل على عصمة رسول الله ﷺ في تبليغ وحى ربه، من تبليغه حتى ما يمس جنبه العظيم، من العتاب الذي كان يوجهه الله تعالى إليه، كما هو مقتضى تأديب الله تعالى له ﷺ الدال عليه ما روى عنه ﷺ من حديث ابن مسعود رضي الله برفعه: "أدبني ربي فأحسن تأديبي" (٦) وذلك كما في قوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ

(١) الشفا ١٢٩/٢ وينظر: محمد مفخرة الإنسانية لمحمد فتح الله كولن ٢٢٥/٢ .

(٢) الآية ٨٠ النساء .

(٣) هو أحمد بن محمد بن علي القسطلاني، المصري، الشافعي، الإمام الحافظ، العلامة، الحجة، الرحالة، الفقيه، المقرئ، المسند، من مؤلفاته النافعة: عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية، مات سنة ٩٢٣ له ترجمة في: الضوء اللامع للسخاوي ١٠٣/٢، ١٠٤، والبدر الطالع للشوكاني ١٠٢/١، ١٠٣، ومعجم المؤلفين لكحالة ٨٥/٢، والرسالة المستطرفة للكتان ص ٢٠٠ .

(٤) الآية ١٥٨ الأعراف .

(٥) المواهب اللدنية وشرحها للزرقاني ٥٠٥/٨، ٥٠٦ .

(٦) سبق تخريجه ص ٤٥ .

لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم^(١) وقوله سبحانه : ﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾^(٢) إلى غير ذلك من آيات العتاب التى سبق ذكرها والجواب عما يشكك من ظاهرها فى عدم عصمته عليه السلام^(٣) .

فآيات العتاب فى القرآن الكريم ما كان ليتفوهه النبى ﷺ بها لولا كمال عصمته فى البلاغ وكمال أمانته فيه، لأن كتمان ذلك فى نظر العقول البشرية متر على النفس الشريفة، واستيفاء لحرمة آرائه، ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانها، ولذلك قال أنس بن مالك رضى الله عنه : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً، لكتم هذه الآية ﴿وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾^(٤) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : "من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، والله يقول : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾"^(٥) ولقد صدق أنس، وصدقت عائشة رضى الله عنهما، وبراً، فما أدق استنباطهما فى الدلالة على عصمة رسول الله ﷺ فى بلاغه وحى الله إلى الناس!

ز - وقال تعالى : ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾^(٦) ففى هذه الآية الكريمة يزكى رب العزة نبيه، ويشهد له بالعصمة فى بلاغ الوحي، فقوله "بضنين" قرأت بالظاء، أى : ما هو على ما يخبر به من الوحي إليه، وغيره من الغيوب، بمتهم، وقرأت بالضاد "بضنين" من الضن : وهو البخل، أى : لا يبخل بالتعليم والتبليغ^(٧) بل يبذله لكل أحد، كما قال قتادة : كان القرآن

(١) الآية الأولى التحريم .

(٢) جزء من الآية ٣٧ الأحزاب .

(٣) تراجع ص ١٤٨ - ١٨١ .

(٤) الآية ٣٧ الأحزاب، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء ٤١٥/١٣ رقم ٧٤٢٠، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان" باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ ٩/٢ رقم ٢٨٨ من حديث عائشة .

(٥) الآية ٦٧ المائدة، والحديث أخرجه مسلم (بشرح النووى) فى الأماكن السابقة نفسها برقم ٢٨٨، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب يا أيها الرسول بلغ الخ ٨/ ١٢٤ رقم ٤٦١٢، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك﴾... الخ ١٣/٥١٢ رقم ٧٥٣١ .

(٦) الآية ٢٤ التكوين .

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ٥/ ٢٩٠، ٢٩١ .

غيبا، فأنزله الله تعالى على محمد، فما ضن به على الناس، بل نشره وبلغه، وبذله لكل من أراد، قال الحفاظ ابن كثير : وكلاهما متواتر، ومعناه صحيح^(١).

ح- وقال سبحانه : ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ فَأَمَّا أَنْتَ يَا مُلُومٌ﴾^(٢) فهذه شهادة من رب العزة لنبيه ﷺ بالبلاغ المبين وعصمته فيه، حيث أباح لنبيه الإعراض عن المشركين، وأخبر أنه غير ملوم فى إعراضه عنهم، وما ذاك إلا لأنه أدى لهم الرسالة، وبذل معهم غاية الجهد، بحيث إنهم اعترفوا بذلك فى قولهم كما حكاه رب العزة عنهم : ﴿أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِنْ كَانَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾^(٣).

قال الإمام الزمخشري : قولهم إن كاد ليضلنا دليل على فرض مجاهدة رسول الله ﷺ، فى دعوتهم، وبذل قصارى الوسع والطاقة فى استعطافهم، مع عرض الآيات والمعجزات عليهم، حتى شاربوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام، لولا فرط لجاحهم، واستمساكهم بعبادة آلِهَتِهِمْ^(٤).

وبعد : فهذه شهادات من الله عز وجل لرسوله ﷺ بعصمته فى أداء واجب البلاغ على أكمل وجه (وكفى بالله شهيدا) ولم يكتف عز وجل لحبيبه محمد ﷺ بهذه الشهادات، بل لقد أضاف إليها شهادة أخرى بأسلوب آخر، حيث قال جل شأنه : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٥) فإن كمال الدين لا يكون إلا بالتبليغ لجميع أحكامه، وما أوحى الله إليه من كتاب وسنة، وعصمته فى هذا البلاغ.

ومع ما شهد الله له بالعصمة فى بلاغ الوحى، فإنه عليه الصلاة والسلام أحب أن تشهد له أمته بذلك فاستتطقها بذلك فى أعظم المحافل، وذلك فى يوم عرفه فى حجة الوداع، حيث قال لهم فى خطبته العظيمة ذلك اليوم : "وَأَنْتُمْ تَسْأَلُونِ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ، وَأَدْبَيْتَ، وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِأَصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٦٢/٨، وينظر : النبأ العظيم للدكتور محمد دراز ص ٢٤ - ٢٧ .

(٢) الآية ٥٤ الزاريات .

(٣) الآيتان ٤١، ٤٢ الفرقان .

(٤) الكشاف ٩٣/٣ .

(٥) جزء من الآية ٣ المائدة .

اشهد، ثلاث مرات^(١) فشهد له خير قرون هذه الأمة وهم صحابته رضوان الله عليهم^(٢) وفى حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه^(٣) فى قصة الكسوف قال ﷺ : يا أيها الناس، إنما أنا بشر، ورسول الله، فأذكركم الله إن كنتم تعلمون إني قصرت عن شيء من تبليغ رسالات ربي لما أخبرتموني! قال : فقام الناس فقالوا : نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وقضيت الذى عليك^(٤).

فهكذا كانت سناء أخلاقه ﷺ العظيمة تحمله على أن يتحسس من أصحابه أن يخبروه إن وجدوا منه ﷺ نقصيرا فى واجب البلاغ، وذلك لكمال خشيته لله عز وجل وأمانته فيما أؤتمن عليه، وإلا فإنه يعلم أنه المعصوم عن ذلك، فإن كان جانب البشرية منه يجوز له التقصير، فلإن واجب العصمة تمنعه منه، ويدفعه إلى كمال البلاغ.

ثانيا : دلائل عصمته ﷺ فى تبليغ الوحي من خلال السنة المطهرة والسيرة العطرة :

الدلائل على صدق رسول الله ﷺ فى كل ما يخبر به عن الله تعالى من الوحي وعصمته

فيه من خلال السنة والسيرة كثيرة منها :

أ- حاله ﷺ قبل النبوة، فصدقه عليه الصلاة والسلام مع الناس دليل على صدقه فيما يخبر به عن ربه؛ إذ لا يترك إنسان الكذب على الناس ثم يكذب على الله تعالى .

وهذا القياس العقلى قد استخدمه هرقل، وهو يسأل أبا سفيان بن حرب أثناء رحلة تجارية بالشام، عن أحوال النبى ﷺ وصفاته فكان مما سأل عنه : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان، قلت : لا . (فاستخلص هرقل النتيجة المنطقية لهذا، وهى أن محمدا ﷺ صادق فى دعواه الرسالة، وفى كل ما يخبر به عن الله تعالى) قائلا : إنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله^(٥). وقد شهد له ﷺ بالصدق، الأعداء والأصدقاء على السواء .

(١) جزء من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى بيان حجة النبى ﷺ. أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحج، باب حجة النبى ﷺ ٤/٤٢٩، ٤٣٢ رقم ١٢١٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/١٤٢ .

(٣) صحابى جليل له ترجمة فى أسد الغابة ٢/٥٥٤ رقم ٢٢٤٢، والاستيعاب ٢/٦٥٣ رقم ١٠٦٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ٤٩ رقم ٢٢٣، والرياض المستطابة ص ١٠٧، ١٠٨ .

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک ١/٤٧٨، ٤٧٩ رقم ١٢٣٠ وقال : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي .

(٥) سبق تخريجه ص ٩ .

فمن شهادات الأعداء ما يلي :

١- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف : يا صباحاه، فقالوا : من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال : "أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا : نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً!! وفى رواية : ما جربنا عليك كذباً!! قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"^(٢).

هكذا يعترف له قومه أجمعون بالصدق، وعدم عثرهم على ما يناقض هذا الخلق منه، وهم وإن لم يكونوا قد ناصبوه العداء آنذاك، إلا أن هذه الشهادة وغيرها ظلت قائمة لا ينازعون فيها، ولم يسحبوها حينما جاهرهم بالدعوة وناصبوه العداء، وقد حرصوا بعد ذلك على صد الناس عن الإيمان كل الحرص، وبذلوا كل جهد، غير أنهم لم يقدروا أن ينالوا من صدقه وأمانته وعفاقه.. حتى قال أبو طالب فى لاميته المشهورة التى قالها إبان المقاطعة التى ضربوها عليه وعلى قومه بنى هاشم، لعدم كفهم رسول الله ﷺ عن دعوته، أو تخليهم عنه، قال لهم منكرأ بحاله وأخلاقه :

لقد علموا أن ابننا لا مكذب *** لدينا ولا يعنى بقول الأباطل^(٣).

فهم يعلمون هذه الحقيقة حقاً، ولكن تعاموا عنها، وأعماهم الباطل والكبر والعناد، كما قال الله تعالى : ﴿وَجَدُوا بِهَا وَاسْتِيفَاتْنَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾^(٤) وكما قال عز وجل : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَكَ لَكِنِ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(٥) ومما روى فى ذلك تفسيراً للآية الأخيرة.

٢- أن الأخنس بن شريف سأل أبو جهل، وقد خلا كل منهما بالآخر يوم بدر، فقال : يا أبا الحكم، أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قریش أحد غيرى وغيرك يسمع كلامنا، فقال أبو جهل : ويحك، والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذ ذهب

(١) الآية ٢١٤ الشعراء.

(٢) سبق تحريجه ص ١٠ .

(٣) السورة النبوية لابن هشام مع الروض الأنف ٢/ ٢٨ .

(٤) الآية ١٤ النمل.

(٥) الآية ٣٣ الأنعام.

بنو قصى باللواء، والحجابه، والسقاية، والنوبة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فذلك قوله تعالى :
﴿فَاتِمْ يَكْذِبُونَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ : قال : "آيات الله يا محمد :
محمد ﷺ" (١).

١- وعن علي بن أبي طالب قال : قال أبو جهل للنبي ﷺ ، قد نعلم يا محمد أنك تصل الرحم
وتصدق الحديث، ولا تكذبك ولكن نكذب الذى جئت به، فأنزل الله عز وجل : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ
لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٢).

٢- ومن شهادات الأعداء لرسول الله ﷺ بالصدق، شهادة أمية بن خلف عندما قال له سعد بن
معاذ، إني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك قال : إياي؟ قال : نعم. قال : والله ما يكذب
محمد إذا حدث، وقد تحقق ذلك يوم بدر حيث اشترك فى الغزوة، ورآه المسلمون فقتلوه شر
قتلة (٣).

٣- ومن ذلك أيضاً شهادة النضر بن الحارث فى قوله : "يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر
ما ابتليتم بمثله، ولقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، وأصداكم حديثاً، وأعظمكم
أمانة، حتى إذا رأيتم فى صدغيه (٤) الشيب، وجاءكم بما جاءكم قلتم : ساحراً! لا والله ما هو
بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم : كاهن! لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا
الكهنة وحالهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم : شاعر! لا والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر،
وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم : مجنون! لا والله ما هو بمجنون، لقد
رأينا الجنون، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، ثم قال لهم، يا معشر قريش، انظروا
فى شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم" (٥) فهذا كلام النضر بن الحارث الذى كان

(١) أخرجه ابن جرير فى تفسيره جامع البيان ١٨١/٧ عن السدى الكبير، وذكره ابن كثير فى تفسيره
٢٤٦/٣، ٢٤٧ معزواً إليه، ويعضد هذه الرواية، حديث علي بن أبي طالب المذكور بعده أمه.

(٢) الآية ٣٣ الأنعام، والحديث أخرجه الحاكم فى المستدرک ٣٤٥/٢ رقم ٣٢٣٠ وصححه على شرط
الشيخين، وتعقبه الذهبي بأنهما لم يخرجنا لناجية بن كعب الأسدى، رواية عن علي شينا، وهو ثقة،
كما قال الحافظ فى تقريب التهذيب ٢٣٦/٢ رقم ٧٠٩١، وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب
التفسير، باب سورة الأنعام ٢٤٣/٥ رقم ٣٠٦٤، وتعقبه بنحو كلام الذهبي أمه.

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام ٧٢٧/٦ رقم
٣٦٣٢، وكتاب المغازى، باب ذكر النبي ﷺ من يقتل بيد ٣٢٩/٧ رقم ٣٩٥٠، وفى طريقة قتله،
يراجع من نفس المصدر، كتاب الوكالة، باب إذا وكل المسلم حربياً فى دار الحرب ٥٦٠/٤ رقم
٢٣٠١.

(٤) الصدغ : ما بين العين والأذن، ويسمى الشعر المتدلى فى هذا الموضع صدغاً. مختار الصحاح
ص ٣٥٩، والمصباح المنير ٣٥٩/١.

(٥) أخرجه ابن إسحاق فى السيرة النبوية لابن هشام ٣٧٦/١ نص رقم ٢٨٥، والبيهقى من طريقه فى
دلائل النبوة ٢٠١/٢ عن ابن عباس رضى الله عنهما.

شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذى رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة. وكذا قال غيره كلاماً نحو ذلك من إثبات صدق النبي ﷺ، وكماله الخلقى والخلقى، كالوليد بن المغيرة^(١) وعتبة بن ربيعة^(٢) وغيرهما.

ومن شهادات الصحابة رضی الله عنهم بصدقه ﷺ ما يلي :

١- قول خديجة رضی الله عنها فى قصة بدء الوحي، حيث قالت له ﷺ وهى الخبيرة به : كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق^(٣).

فهذه شهادة من خبر أخلاقه وسير أحواله ﷺ، ولا ينبئك مثل خبير، ولذلك كانت مثل هذه الشهادات على صدقه ﷺ من أقرب الناس إليه تعد من أبغ الدلائل على صدق دعواه ﷺ الرسالة، وعصمته فى بلاغ الوحي، وكانت تلك الشهادات محل نقه أعدائه.

قال الكتاب المستشرق الإنجليزى (هـ جى ويلز) : "إن من أرفع الأئمة على صدق محمد كون أهله وأقرب الناس إليه يؤمنون به، فقد كانوا مطلعين على أسراره، ولو شكوا فى صدقه لما آمنوا به"^(٤).

٢- ومن أقوال الصحابة رضی الله عنهم عن صدقه ﷺ وعصمته فى بلاغ الوحي، ما كان يعبر عنه ابن مسعود رضی الله عنه بقوله : "حسبنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق" : "إن أحذكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك... الحديث"^(٥).

٣- وكذا كان يقول أبو هريرة رضی الله عنه، كقوله : "سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق ﷺ، صاحب هذه الحجرة يقول : "لا تنزع الرحمة إلا من شقى"^(٦).

(١) ينظر : دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٢٠٠ .

(٢) ينظر : المصدر السابق ٢/ ٢٠٣ .

(٣) سبق ترجمته ص ١٩٨ .

(٤) الإسلام والرسول فى نظر منصفى الشرق والغرب لأحمد بن حجر آل بوطامى ص ١٣٢ .

(٥) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ١٨/٦٤١٨ رقم ٣٣٣٢، ومسلم (بشرح النووي) كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمى فى بطن أمه ٨/ ٤٤٠ رقم ٢٦٤٣ .

(٦) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأدب، باب الرحمة ٤/ ٢٨٦ رقم ٤٩٤٢، والترمذى فى سننه كتاب البر، باب ما جاء فى رحمة الناس ٤/ ٢٨٥ رقم ١٩٢٣ وقال : حديث حسن .

٤- وكذلك ما كان من أبى بكر رضى الله عنه من التصديق الكامل بكل ما يقوله النبى ﷺ منذ أول دعوته، حتى شهد له بذلك ﷺ بقوله : "إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر : صدق، وواسأتى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لى صاحبى؟ مرتين..."^(١).

وبالجملة : فقد كانت هيئته ﷺ تدل على مبلغ مكانته من الصدق، ودليلاً كافياً على صدق دعواه الرسالة، وعصمته فى كل ما يبلغه من وحي الله عز وجل، يعرفه بذلك كل من صفت فكرته، وتجرد عن الأنانية كما كان من الحبر عبد الله بن سلام رضى الله عنه^(٢) فإنه ما إن رآه عند مقدمة المدينة حتى استيقن صدقه كما قال : "لما قدم النبى ﷺ المدينة انجفل^(٣) الناس إليه، وقيل قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، فجنث فى الناس لأنظر إليه، فلما استبينت وجه رسول الله ﷺ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شئ تكلم به أن قال : "أيها الناس : أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلون الجنة بسلام"^(٤).

فلم يسعه بعد ذلك غير أن يعلن إسلامه، ويتبرأ من كيد يهود وعنادهم ففعل ذلك مقتعاً مختاراً، ولقد أجاد عبد الله بن راحة رضى الله عنه حيث قال :

لو لم تكن فيه آيات مبينة *** لكان منظره ينبيك بالخبر^(٥).

فانظر إلى حكاية الصحابة رضى الله عنهم عن صدقه ﷺ حيث يسمونه بالصادق المصدق، أى الصادق فى نفسه، المصدق أى المعصوم فيما يجئ به عن ربه عز وجل، ويرون صدقه وعصمته ينبئ عنه مظهره وجواره، قبل أن تنبئ عنه أقواله.

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبى بكر بعد النبى ﷺ ٢٢/٧ رقم ٣٦٦١.

(٢) ابن الحارث الإسرائيلى، ثم الأنصارى الخزرجى بالولاء، كان أحد أحبار يهود، شهد شهادة الحق ولم يكابر أو يعاند، ونزل فى فضله آيات من كتاب الله تعالى منها قوله تعالى : ﴿وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم﴾ جزء من الآية ١٠ الأحقاف، وقوله : ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ الآية ٤٣ الرعد، وشهد له النبى ﷺ بالجنة وهو حى، توفى سنة ٤٣هـ له ترجمة فى : أسد الغابة ٢٦٥/٣ رقم ٢٩٨٦، والاستيعاب ٩٢١/٣ رقم ١٥٦١، وتذكرة الحفاظ ٢٦/١ رقم ١٢.

(٣) أى : ذهبوا مسرعين نحوه. النهاية فى غريب الحديث ٢٧٠/١.

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب القيامة، باب منه ٥٦٢/٤ رقم ٢٤٨٥ وقال حديث صحيح، وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الإقامة، باب ما جاء فى قيام الليل ٤١٩/١ رقم ١٣٣٤، والحاكم فى المستدرک ١٤/٣ رقم ٤٢٨٣ وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٥) ديوان عبد الله بن رواحه ص ٩٤.

ب- من دلائل عصمته ﷺ في نقل الوحي، ما ثبت من أخباره وآثاره، وسيره وشمائله، المعنى بها، المستوفاة تفاصيلها، ولم يرد في شيء منها تداركه ﷺ لخبر صدر عنه، رجوعاً عن كذبة كذبها أو اعترافاً بخلف في خبر أخبر به، ولو وقع منه شيء من ذلك لنقل إلينا. وإن الصحابة رضوان الله عليهم قد اتفقوا على أنه لم يصدر عن النبي خبر بخلاف الواقع في أي أمر من الأمور، ولم يثبتوا عن حاله عند ذلك، هل وقع فيها سهواً أم لا، ولم يتوقفوا حتى يتأكدوا إن كان ذلك جداً أو هزلاً، لأنه عليه الصلاة والسلام صادق معصوم في كل ذلك عندهم، كل الصدق، وكل العصمة.

قال القاضي عياض : "ودليل ذلك اتفاق السلف، وإجماعهم عليه، وذلك أنا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أقواله، والثقة بجميع أخباره في أي باب كانت، وعن أي شيء وقعت، وأنه لم يكن لهم توقف، ولا تردد في شيء منها ولا استنبات عن حاله عند ذلك، هل وقع فيها سهو أم لا" (١) وقد استدل على ذلك بما جرى لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مع ابن أبي الحقيق اليهودي، حين أجلاه من خيبر، حيث احتج عليه عمر رضي الله عنه، بقوله ﷺ : "كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوبك ليلة بعد ليلة؟" فقال اليهودي : كانت هذه هزيلة من أبي القاسم ﷺ فقال له عمر : كذبت يا عدو الله! فأجلاه عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وإيلاً وعروضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك" (٢).

قلت : فثبت عن يقين عصمته ﷺ في بلاغ وحى الله من كتاب وسنة إلى الناس، ولا يجوز عليه خلف فيما أخبر به من الوحي، لا بقصد، ولا بغير قصد، ولا في حال الجد والهزل، ولا في حال الصحة والمرض أو أي حال كان.

ج- ومما يشهد بعصمته ﷺ في بلاغ الوحي، وأنه لا يقول إلا حقاً سواء في الرضى والغضب، والصحة والمرض "فترة الوحي في قصة الإفك" لقد كانت تنزل برسول الله ﷺ نوازل من شأنها أن تحفره إلى القول، وكانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم بحيث لو كان الأمر إليه، لوجد له مقالاً ومجالاً، ولكنه كانت تمضى الليالي والأيام تتبعها الليالي والأيام، ولا يجد في شأنها وحياً من قرآن أو سنة يقرؤه على الناس.

(١) الشفا / ١٣٥، ١٣٦.

(٢) سبق تخريجه ص ١٨.

ألم يرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه عائشة رضى الله عنها، وأبطأ الوحى، وطال الأمر والناس يخوضون، حتى بلغت القلوب الحناجر، وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس : "إنى لا أعلم عنها إلا خيراً" ثم إنه بعد أن بذل جهده فى التحرى والسؤال، واستشارة الأصحاب، ومضى شهر بأكمله، والكل يقولون ما علمنا عليها من سوء، لم يزد على أن قال آخر الأمر : "يا عائشة، أما إنه بلغنى كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله"^(١).

هذا كلامه ﷺ بوحى ضميره، وهو كما ترى كلام البشر الذى لا يعلم الغيب إلا بوحى ربه، وكلام الصديق المتثبت الذى لا يتبع الظن، ولا يقول ما ليس له به علم.

على أنه ﷺ، لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل صدر سورة النور معلناً براءتها، ومصدراً للحكم المبرم بشرقها وطهارتها. فماذا كان يمنعه، لو أن أمر الوحى إليه، أن يقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل، ليحمى بها عرضه، ويذب بها عن عرينه، وينسبها إلى الوحى الإلهى لتقطع السنة المتخربين؟ ولكنه ما كان ليزر الكذب على الناس، ويكذب على الله، قال تعالى : ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾^(٢).

د- هذا حاله ﷺ فى أفعاله يشهد بصدقه وعصمته فى كل ما يبلغ عن ربه عز وجل، ومن أقواله ﷺ على عصمته فى بلاغ وحى الله عز وجل من كتاب وسنة ما يلى :

١- حديث طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه وجاء فيه قوله ﷺ : "إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإنى لن أكذب على الله"^(٣) والحديث نص على عصمته ﷺ من الكذب فيما يخبر به عن الله تعالى.

(١) ينظر قصة الحديث فى : صحيح البخارى (شرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً الآية ٣٠٦/٨ رقم ٤٧٥٠، ومسلم (شرح النووى) كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف ١١٥/٩ رقم ٢٧٧٠.

(٢) الآيات ٤٤ - ٤٧ الحاقة، وينظر : النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٢٠ - ٢٤ بتصرف يسير.

(٣) سبق تخريجه ص ١٢٠.

٢- حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا : أكتب كل شئ تسمعه؟ ورسول الله ﷺ بشر بئلكم فى الغضب والرضى؟! قال : فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأولماً بأصبعه إلى فيه، فقال : "أكتب فواللذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا الحق" (١).

٣- حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : "إنى لا أقول إلا حقاً" قال بعض أصحابه : فإنك تداعبنا يا رسول الله. قال : "إنى لا أقول إلا حقاً" (٢).

ثالثاً : من دلائل عصمته ﷺ فى تبليغ الوحى، إجماع الأمة :

أجمع أهل الملل والشرائع كلها على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أى شئ يخل بالتبليغ، فلا يجوز عليهم التحريف، ولا الكذب قليلة وكثيرة، سهو وعمده، فكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة، وإلا لم يبق الاعتماد على شئ من الشرائع، ولما تميز لنا الغلط والسهو من غيره، ولاختلط الحق بالباطل، واستدلوا لذلك بأنه لو جاز عليهم النقول والافتراء فى ذلك عقلاً، لأدى إلى إبطال المعجزة القاطعة بصدقهم؛ وإبطال المعجزة محال، فالكذب فى التبليغ وعدم العصمة فيه، محال أيضاً (٣).

يقول القاضى عياض : "قامت الدلائل الواضحة بصفة المعجزة على صدقه ﷺ وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار بشئ منها بخلاف ما هو به (٤) والكلام هنا ليس خاصاً بالنبي ﷺ، بل وغيره من الأنبياء كذلك، إذ لا فرق بينهم فى واجب التبليغ. واستدل القاضى على ذلك بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص السابق ذكره قريباً، ثم قال: فإذا قامت المعجزة على صدقه وأنه لا يقول إلا حقاً، ولا يبلغ عن الله تعالى إلا صدقاً، وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له : صدقت فيما تذكر عنى، وهو يقول : إنى رسول الله إليكم،

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٨ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٤٠/٢، ٣٦٠، والترمذى فى سننه كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى المزاج ٣١٤/٤ رقم ١٩٩٠ وقال : حسن صحيح .

(٣) المواقف للإيجى وشرحها للجرحاني ٢٦٣/٨ بتصرف، وينظر : الإرشاد لإمام الحرمين ص ٣٥٧، وإكمال إكمال المعلم للأبى ١٥٩/٦، ونسيم الرياض فى شرح الشفا للخفاجى ١١٧/٤، وعصمة الأنبياء للرازى ص ٧، والشفا للقاضى عياض ١٤٤/٢، والبحر المحيط للزركشى ١٧٤/٤، والإحكام لابن حزم ١٢٤/١، والنبوات لابن تيميه ص ٣٣٤، ٣٣٥، والانتصار والرد على ابن الراندى للخطايط ص ١٤٧، ومحمد رسول الله ﷺ لمحمد عرجون ١٣٠/٢ - ١٣٢ .

(٤) أى : بخلاف الواقع .

لأبلغكم ما أرسلت به إليكم، وأبين لكم ما نزل عليكم، فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أى وجه كان، قال : فلو جوزنا عليه الغلط والسهو في بلاغ الوحي، لما تميز لنا الغلط والسهو من غيره، ولاختلط الحق بالباطل، فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص، فتنزيه النبي ﷺ، عن ذلك كله واجب برهاناً وإجماعاً^(١).

وبعد : إذا تقرر لك هنا في هذا الفصل، عصمته ﷺ في تبليغ الوحي، من خلال القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، وإجماع الأمة، فقد حان الوقت لبيان شبه الطاعنين في الوحي الإلهي من أعداء الإسلام، وأعداء السنة المطهرة والرد عليها، فإلى بيان ذلك في الفصل التالي.

(١) الشفا ١٢٣/٢، ١٢٤ بتصرف، وينظر من نفس المصدر ١٣٦/٢، ١٣٧ .

الفصل الثانى

شبه الطاعنين فى الوحي الإلهى والرد عليها

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : شبهات أعداء الإسلام من المستشرقين حول الوحي الإلهى والرد عليها ويشتمل

على تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : شبهة الوحي النفسى والرد عليها .

المطلب الثانى : شبهة أن الوحي عبارة عن أمراض نفسية وعقلية والرد عليها .

المطلب الثالث : شبهة أن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية والرد عليها .

المطلب الرابع : فرية الغرائيق والرد عليها .

المبحث الثانى : شبهات أعداء السنة المطهرة حول الوحي الإلهى والرد عليها ويشتمل على تمهيد

وأربعة مطالب :

المطلب الأول : شبهة أن مهمة رسول الله ﷺ، قاصرة على بلاغ القرآن فقط والرد

عليها .

المطلب الثانى : شبهة أن رسول الله ﷺ، ليست له سنة نبوية والرد عليها .

المطلب الثالث : شبهة أنه لا طاعة لرسول الله ﷺ، إلا فى القرآن فقط والرد عليها .

المطلب الرابع : شبهة أن طاعة رسول الله ﷺ تأليه وشرك والرد عليها .

المبحث الأول شبهات أعداء الإسلام من المستشرقين حول الوحي الإلهي والرد عليها

تمهيد :

إن من أهم الأمور، بل من أعظمها خطراً أمر الوحي والنبوة، الذى أطلق المستشرقون لعقولهم الأعنة بالخوض والطنع فيه مستهدفين بذلك الإسلام كله، لأنهم يعلمون أن القدح فى نبوته ﷺ، والنيل منها يؤدى إلى انهيار صرح الإسلام، إذ الوحي هو الأساس الذى ينبنى عليه الدين، فإذا فقد، فقد الدين .

ومن هنا كثفوا حملاتهم، وزادوا هجماتهم، يحملهم الحقد، وتدفعهم البغضاء، والعداء السافر، يصدرون عن أحكام مغرضة، وأقوال جائرة، مجافين طرق البحث العلمى النزيه :
﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾^(١).

لقد كان عدم التصدى بنبوته ﷺ هو القاعدة التى انطلقوا منها فى بث كل شكوكهم ومطاعنهم فى بقية جوانب الإسلام. ولقد ركز المستشرقون جل جهودهم فى التشكيك فى الوحي إلى النبى ﷺ، فى الوقت الذى يوقنون فيه بصدق وقوعه لغيره من الأنبياء السابقين، وهم بذلك لا يدرون أنهم يخربون بيوتهم، قبل أن يخربوا بيوت غيرهم، إذ الوحي إلى النبى محمد ﷺ، لا يختلف فى شئ عن الوحي إلى غيره من الأنبياء السابقين من حيث الوقوع!

والمستشرقون فى بذلهم قصارى جهدهم لنفى الوحي عن رسول الله ﷺ، يحاولون نفى العصمة وسلبها عن رسول الله ﷺ، ويزعمون بأن ما جاء به نتاج بشرى، وليس من عند الله تعالى، ولذا حاولوا أن يفسروا الوحي وكيفياته، تفسيرا يؤدى بهم إلى هذا الزعم الجائر، والضلال المبين؛ ولكن الباطل مهما لمع بريقه، وتكاثر من ورائه أناس على تقويته، إلا أنه سرعان ما يخفت هذا اللمعان، ولا يجنى أصحاب هذا الباطل، من وراء باطلهم إلا الخيبة والخسران، علماً

(١) الآية ٣٢ التوبة .

بأن ما أثاروه من شبه لا يعدو فى حقيقته، كونه فتات موائد الجاهلية الأولى، فهم لم يستحدثوا هذه الشبه، وليس لهم فيها من عمل إلا إثارتها مجدداً، وصدق رب العزة : ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(١) وقال عز وجل : ﴿أَتَوْاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾^(٢). ورغم أن شبهات أعداء الإسلام من المستشرقين حول الوحي الإلهى، مردود عليها فى القديم والحديث، من علماء أجلاء - جزاهم الله خيراً إلا أنى لم أر بأساً بذكر عمدة هذه الشبهات، التى طعنوا بها فى عصمة رسول الله ﷺ فيما أنزل عليه من الوحي، وإظهار الردود عليها .

فبالى بيان ذلك فى المطالب التالية .

(١) جزء من الآية ١١٨ البقرة .

(٢) الآية ٥٢ الذاريات .

المطلب الأول

شبهة الوحي النفسى والرد عليها

زعم بعض المستشرقين أن الوحي الذى جاء به رسول الله ﷺ، أمر ذاتى من داخل نفسه الصافية، وخیاله الواسع، وعقله المتوقد الذى أدرك به الحق من الباطل، والحسن من القبيح، والخير من الشر. هذا فى الوقت الذى يصف فيه بعضهم على ما سيأتى فى الشبهة التالية الحالة التى كانت تعتري رسول الله ﷺ عند تلقى الوحي بحالة الصرع. فكيف يجتمع الصرع مع النفس الصافية، والخیال الواسع، والعقل المتوقد ذكاء؟!.

يقول المستشرق بروكلمان^(١) مصورا لنا الوحي النفسى الذى يزعمه هو ومن قال بقوله : "بينما كان بعض معاصرى النبى، كأمية بن أبى الصلت^(٢)، شاعر الطائف، وهى بلدة بحذاء مكة، يكتفون بوحداية عامة، كان محمد يأخذ بأسباب التحنث^(٣) والتنسك^(٤) ويسترسل فى تأملاته حول خلاصة الروحي، ليالى بطولها فى غار حراء^(٥) قرب مكة لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج فى نفسه هذا السؤال، إلى متى يمدهم الله فى ضلالهم، مادام هو عز وجل قد تجلى، آخر الأمر، للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت فى نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة، ولكن حيائه الفطرى حال بينه وبين إعلان نبوته

(١) هو : كارل بروكلمان، مستشرق ألماني، تعلم اللغة العربية، وكان عالما بتاريخ الأدب العربى، وعضو المجمع العربى. مات سنة ١٩٥٦م من آثاره : تاريخ الأدب العربى، وتاريخ الشعوب الإسلامية، وغيرها. له ترجمة فى : الإعلام للزركلى ٢١١/٥، ٢١٢، والمستشرقون الألمان تراجمهم، جمع صلاح الدين المنجد ص ١٥٣، ١٦٢.

(٢) هو : أمية بن عبد الله بن أبى الصلت بن أبى ربيعة بن عوف الثقفى، شاعر جاهلى من أهل الطائف، فى شعره حكم، اطلع على الكتب القديمة، وقد لقي النبى ﷺ، ولم يؤمن به، مات سنة ٥٥هـ على خلاف فى ذلك، له ترجمة فى : البداية والنهاية ٢٠٥/٢ - ٢١٣، والإصابة ١٢٩/١ - ١٣٠، والأعلام ٢٣/٢.

(٣) التحنث : هو التبعد من الحنث وهو الإثم، أى يفعل فعلا يخرج به من الإثم والحرَج. ينظر : الفائق فى غريب الحديث للزمخشري ٢٧٢/١، والنهاية لابن الأثير ٤٣٢/١.

(٤) التنسك : هو التبعد، من النسك وهو الطاعة والعبادة، وكل ما يتقرب به إلى الله تعالى. ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٤١/٥، ومختار الصحاح ص ٦٥٧.

(٥) حراء : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال. ينظر : معجم البلدان للحموى ٢٣٣/١، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفى الدين البغدادى ٣٨٨/١.

فترة غير قصيرة، ولم تتبد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الخارقة في غار حراء. ذلك بأن طائفاً تجلى له هنالك يوماً، هو المَلَك جبريل، على ما تمتلئه محمد في ما بعد، فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهداية الأمة، وآمنت زوجه في الحال برسالته المقدسة، وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التي ناداه فيها الصوت الإلهي وتكاثرت. ولم نكد هذه الحالات تنتفضى حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحى من عند الله^(١).

وبالتأمل في هذه المزاعم، ترى أنها مع طعنها في الوحي المنزل على رسول الله ﷺ تطعن في عصمته فيما بلغه من الوحي عن ربه عز وجل.

ويجب عن هذه المزاعم بما يلي :

أولاً : هذا الذى يروجه الملحدون اليوم باسم - الوحي النفسى - زاعمين أنهم بهذه التسمية، قد جاءونا برأى علمى جديد، وما هو بجديد، وإنما هو الرأى الجاهلى القديم، لا يختلف فى جملته ولا فى تفصيله، فقد صور أهل الجاهلية من قبل، للنبي ﷺ، رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق، فهو إذن شاعر، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى كثيراً على حواسه، حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه؛ وما ذاك الذى يراه ويسمعه إلا صورة أخلبته ووجد آثاته، فهو إذن الجنون أو أضغاث الأحلام؛ فأى جديد ترى فى هذا كله؟ أليس كله حديثاً معاداً يضاهون به قول جهال قريش؟! وهكذا كان الإحاد فى ثوبه الجديد صورة منسوخة بل ممسوخة منه فى قديمه^(٢).

ثانياً : إن صورة الوحي النفسى كما صوروه مبنية على وجود معلومات وأفكار مدخرة فى العقل الباطن، وأنها تظهر فى صورة رؤى ثم تقوى فيخيل لصاحبها أنها حقائق خارجية.

وإنى أتساءل : هل كان الدين الذى جاء به خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام بعقائده وتشريعاته فى العبادات والمعاملات، والحدود، والجنايات، والاقتصاد، والسياسة، والأخلاق والآداب، وأحوال السلم والحرب، مركزاً أو مدخراً فى نفسه ﷺ؟!.

هذا ما تتكره العقول بداهة، لأن ما جاء به ﷺ وما بلغه من وحى الله فى العقائد: يعتبر مناقضاً لكل ما كان سائداً فى العالم حينئذ، من عقائد، كالوثنية، والمجوسية، والتأليه، والتثليث،

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٦، وينظر : آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره للدكتور عمر بن إبراهيم ٣٨٢/١، ومناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية لجماعة من العلماء ٢٦/١، ٢٢٨، والاستشراق فى السيرة النبوية لعبد الله الأمين ص ٣٩ .

(٢) النبأ العظيم للدكتور محمد دراز ص ٨٤ هامش بتصرف .

والصلب، وإنكار البعث، واليوم الآخر، وكذلك جاء النبي ﷺ بتشريعات ما عرفت في الشرائع السابقة سماوية، وغير سماوية.

واشتمل الوحي الإلهي الذي بلغه المصطفى ﷺ سواء قرآناً أو سنة، على أسرار في الكون والأنفس والآفات، ما كانت تخطر على بال بشر قط ولم يظهر تأويلها إلا بعد تقدم العلوم والمعارف في العصر الأخير، فكيف تكون هذه الأسرار من داخل نفس النبي ﷺ، وهي لم تخطر له على بال^(١).

ثالثاً : ليس كل ما في الوحي الإلهي (قرآناً وسنة) مما يستنبطه العقل والتفكير ومما يدركه الوجدان والشعور.

ففي الوحي جانب كبير من المعاني الثقيلة البحتة التي لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقى والتعليم، أو المعاصرة.

ومن هذه الجوانب. ما جاء في الكتاب والسنة، من أنباء ما قد سبق، وما فصله من تلك الأنباء، على وجهه الصحيح كما وقع؟.

أيقولون إن التاريخ يمكن وضعه - أيضاً - بإعمال الفكر، ودقة الفراسة؟ أم يخرجون إلى المكابرة العظمى فيقولون : إن محمداً قد عاصر تلك الأمم الخالية، وتنتقل فيها قرناً قرناً، فشهد هذه الوقائع مع أهلها شهادة عيان أو أنه ورث كتب الأولين، فعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين في علم دقائقها؟.

إنهم لا يسعهم أن يقولوا هذا ولا ذاك، لأنهم معترفون مع العالم كله بأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن من أولئك ولا هؤلاء. قال تعالى : ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾^(٢). وقال سبحانه : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾^(٣).

(١) المدخل لدراسة القرآن للدكتور محمد أبو شهبة ص ٩٩، ١٠٠.

(٢) الآية ٤٩ هود.

(٣) الآية ٤٨ العنكبوت.

فسيدنا محمد ﷺ، كان رجلاً آمياً، نشأ بين قوم أميين أربعين سنة من عمره، لم تظهر عليه فيها أمارات من علوم ومعارف تقارب ما جاء به القرآن والسنة، ثم يطلع علينا بين عشية وضحاها فيكلمنا بما لا عهد له به، ويبدى لنا من أخبار تلك القرون الأولى ما أخفاه أهل العلم في كتبهم، وحجبه عن الناس. أفى مثل هذا يقول الجاهلون إنه استوحى عقله واستلهم ضميره؟

رابعاً : لقد بين الله تعالى، أن الوحي أمر خارج عن نفس النبي ﷺ وليس نابعاً من داخلها، بل حمله جبريل عليه السلام من عند الله إليه، كما قال سبحانه : ﴿وَأَنزَلْنَاهُ لَتَنزِيلٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(١).

فحامل الوحي ملك منفصل عن ذات محمد ﷺ، ليس خيالاً فيها، وله من الصفات ما بينها الله في قوله : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذُو قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾^(٢).

خامساً : إن النبي ﷺ لم يكن يستشرف النبوة، وما كان يرجوها، ولم يطمع في حصولها له، بل لم يرد في الأخبار الصحيحة أنه ﷺ يرجو أن يكون هو النبي المنتظر الذي يتحدث عنه علماء اليهود والنصارى قبل البعثة، ولو ثبت ذلك عنه لما ترك المحدثون تدوينه، وقد دونوا ذلك عن أمية بن أبي الصلت، لما كان يتوقع أن يكون نبياً.

وقد جاء في القرآن نفى ذلك عنه ﷺ، في قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾^(٣) فما كان ﷺ يظن أن الوحي قبل إنزاله عليه، ينزل عليه، وإنما أنزله الله رحمه به وبالعباد، فهو نعمة من الله وفضل^(٤).

(١) الآيات ١٩٢ - ١٩٥ الشعراء.

(٢) الآيات ١٩ - ٢٥ التكويد.

(٣) الآية ٨٦ القصص.

(٤) ينظر : الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ص ١٢٣، ١٢٤، ونبوة محمد ﷺ في القرآن لحسن ضياء

الدين العتر ص ٢٢٥، والإسلام والمستشرقون لنبعة من العلماء ص ٢٠٨، وتفسير القرآن العظيم

لابن كثير ٢٧١/٦.

وأما اختلاؤه ﷺ وتعبده في الغار عام الوحي، فلا شك في أنه كان عملاً كسبياً مقوياً لذلك الاستعداد الوهبي، وعصمة ربه له بالعزلة وعدم مشاركة المشركين في شيء من عباداتهم ولا عاداتهم، ولكنه لم يكن يقصد به الاستعداد للنبوة، لأنه لو كان لأجلها لاعتقد حين رأى الملك أو عقب رؤيته حصول مأموله، وتحقق رجائه، ولم يخف منه على نفسه!

وإنما كان الباعث لهذا الاختلاء والتحنث، اشتداد الوحشة من سوء حال الناس في عقائدهم وأخلاقهم، والهرب منها، إلى الإنس بالله تعالى والرجاء في هدايته إلى المخرج منها^(١).

سادساً : إن الوحي الذي حدث للنبي ﷺ هو حدث إلزامي فجائي طارئ لا يمكن إحضاره واجتلابه، وبالتالي لا يمكن دفعه ورده.

ومن أوضح الأدلة على ذلك، ما يعتريه من أعراض جسدية لا سيطرة له عليها، كاحمرار وجهه، وتتابع أنفاسه، وسماع غطيط منه، وما يتقاطر منه من عرق في اليوم الشديد البرد، وتقل جسمه، وما يسمعه الصحابة عند وجهه من صوت كدوى النحل، وقد سبق ذكر الأحاديث الدالة على ذلك^(٢).

ومما يدل على ذلك أيضاً، ما انتابه ﷺ من أحوال نفسية تمثلت في خوفه من ملك الوحي في مبدأ أمره، كما جاء في قوله ﷺ : "لقد خشيت على نفسي" وقوله : "رملوني رملوني، حتى ذهب عنه الروح"^(٣) وفي رواية قال : "فإذا الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، فجنثت منه رعباً"^(٤).

وهذه الأعراض والشدائد كانت لا تعتريه ﷺ إلا في فترات وجيزة وبرهات متقطعة، وذلك عند نزول الوحي عليه.

والدليل على أنه ﷺ، لا قدرة له على إحضار الوحي وجلبه، فتور الوحي، وانقطاعه عنه، فترة من الزمن حتى شق ذلك عليه وأحزنه، وأقض مضجعه، ثم جاءه جبريل بعد ذلك بقوله تعالى : ﴿وَالضُّحَى﴾ والليل إذا سجي. ما ودعك ربك وما قلى^(٥).

(١) الوحي المحمدي ص ١٣١، ١٣٢ بتصرف.

(٢) يراجع : ص ٢٦ - ٢٩ .

(٣) سبق تخريجه ص ١٩٨ .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٠١ .

(٥) الآيات ١ - ٣ الضحى.

ومن ذلك ما روى عندما أبطأ جبريل عليه السلام، فى النزول على رسول الله ﷺ، ثم نزل^(١) فقال : رسول الله ﷺ، يا جبريل! ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت : ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا﴾^(٢) ومن ذلك أيضاً، فترة الوحى فى قصة الإفك، على ما سبق شرحه فى عصمته ﷺ فى تبليغ الوحى^(٣).

سابعاً : النبوة ليست أمراً كسبياً يناله المرء بسعيه وكسبه، ولا تخضع لجهد فكبرى، أو ترقى روحى وأخلاقى، ولا تتال بالقيم الدنيوية، ولا الاعتبارات المادية، فليست باباً مفتوحاً يلج من خلاله من سمت نفسه، أو عظم إشراقه، بل هى اصطفاء إلهى يختص به من يشاء من عباده. قال تعالى : ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾^(٤) وقال سبحانه : ﴿والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾^(٥) وقد حكى الله عن المشركين عندما قالوا : ﴿وقولوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾^(٦) أجابهم رب العزة بقوله : ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾^(٧).

وقد جعل الله تعالى النبوة فى محمد ﷺ، كما جعلها فى الرسل قبله، واصطفاه لذلك؛ فأى غرابة وعجب فى ذلك؟

(١) ينظر : الآثار المروية فى ذلك عن عكرمة، ومجاهد، وابن عباس، فى جامع البيان للطبري ١٦/١٧، وقد ذكرها ابن كثير فى تفسيره ٥/٢٤٤ .
(٢) الآية ٦٤ مريم، والحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التوحيد، باب قوله تعالى : ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ ٤٤٩/١٣ رقم ٧٤٥٥، وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٦/٣٥٢ رقم ٣٢١٨، وكتاب التفسير، باب ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾ ٨/٢٨٢ رقم ٤٧٣١ من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

(٣) يراجع : ص ٢٧٥ .

(٤) جزء من الآية ١٢٤ الأنعام .

(٥) الآية ١٠٥ البقرة .

(٦) الآية ٣١ الزخرف .

(٧) الآية ٣٢ الزخرف .

إن قدح بروكلمان ومن شايعه في إثبات الوحي لمحمد ﷺ، وعصمته فيما بلغ، هو قدح في ديانتهم وفي رسوله الذي يؤمن به، فما قاله هنالك في إثبات الوحي، يلزمه أن يقوله هنا، إذ لا فارق بين الوحيين^(١) ولكن لعل بروكلمان يرى كما يرى غيره من أهل ملته، أن الوحي هو حلول روح الله في روح الموحى إليه. ولأجل ذلك ألخوا رسولهم، وهذا تعريف خاطئ للوحي، وقول فاسد، بل هو كفر وإلحاد، فالحق لا يحل في غيره، ولا يحل فيه غيره^(٢).

وهكذا ترى أن ما زعموه من فرية الوحي النفسي، إن هذا إلا اختلاق كان مبعثه الحقـد على الإسلام والمسلمين وإرادة إبطال عصمته ﷺ فيما بلغ من الوحي ولكن ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣) أم.

والله تبارك وتعالى أعلم

(١) ينظر : نبوة محمد ﷺ في القرآن لحسن ضياء الدين العتر ص ١٦٦، ١٧٠ .

(٢) ينظر : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية لجماعة من العلماء ٢٧/١ .

(٣) الآية ٣٢ التوبة .

المطلب الثاني

شبهة أن الوحي عبارة عن أمراض نفسية وعقلية

والرد عليها

زعم بعض المستشرقين أن النبي ﷺ، كان مصابا ببعض الأمراض العقلية النفسية التي أثرت عليه تأثيرا بالغا ونتاج من ذلك ما ادعى أنه وحي من الله .

قال جولد تسبير^(١) : 'وفى خلال النصف الأول من حياته اضطرت مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارا أخذ يجترها في قرارة نفسه، وهو منطو في تأملاته أثناء عزلته، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة، والتي يلمح فيها أثر حالته المرضية، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين'^(٢) ولكن ما حقيقة هذه الأمراض، وما نوعيتها؟ يجيب على ذلك عدد من المستشرقين مع تباین تشخيصاتهم .

زعم شبرنجر^(٣) وجوستاف فايل^(٤) وغيرهم أنه كان مصابا بحالات من الصرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله، ويظل ملقى على أثرها بين الجبال لمدة طويلة، يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم، ويتصبب عرقا، ويقل جسمه^(٥) وتعتبره التشنجات، وتخرج منه الرغوة، فإذا أفلق ذكر أنه أوحى إليه، وتلا على أتباعه ما يزعم أنه وحي من الله^(٦) .

(١) مستشرق مجرى يهودى، رحل إلى سورية وفلسطين ومصر، ولازم بعض علماء الأزهر، له تصانيف باللغات الألمانية، والإنجليزية، والفرنسية، ترجم بعضها إلى العربية، قال الدكتور السباعى : عرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، وهو من محررى دائرة المعارف الإسلامية، كتب عن القرآن والحديث، ومن كتبه : تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى، والعقيدة والشرعة فى الإسلام، وغير ذلك مات سنة ١٩٢١م له ترجمة فى : الأعلام للزركلى ٢٨٤/١، والاستشراق للدكتور السباعى ص ٣١، ٣٢، وآراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره للدكتور عمر إبراهيم ١/١٦١، ١٦٢ .

(٢) العقيدة والشرعة فى الإسلام ص ١١٢ .

(٣) هو : ابن كرسنوفر شبرنجر، مستشرق نمسوى، يجيد كثيرا من اللغات، له إلمام بالأدب الشرقى مات سنة ١٨٩٣م، من آثاره : حياة محمد، وقد نشر بعض الكتب العربية مثل : الإصابة فى تمييز الصحابة، والإتقان فى علوم القرآن، له ترجمة فى : الأعلام ٨/٢، والمستشرقون لنجيب العقيقى ٢/٦٣٢، ٦٣١/٢ .

(٤) مستشرق ألماني، له كتاب مدخل تاريخى نقدى إلى القرآن، مات سنة ١٨٨٩م. ينظر : آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره ١/٢٢٩ .

(٥) ينظر : آراء المستشرقون حول القرآن وتفسيره ١/٣٩٨ .

(٦) الإسلام والمستشرقون لنخبة من العلماء ص ٢٠٢ .

وبعضهم اعتبرها حالة هستيريا، وتهيجاً عصبياً، يظهر عليه أثرها في مزاجه العصبى القلق، ونفسه كثيرة العواصف بشكل غامض، حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار، وقد هزل على إثرها جسمه، وشحب لونه، وخارت قواه^(١).

ويذهب بعضهم إلى أنه نوع من الهوس^(٢) قائلاً : "ونرى محمداً الناقد الناظر من الناحية العلمية من ذوى الهوس، كما هو شأن أكثر مؤسسى الديانات"^(٣) وبالتأمل فى هذه الافتراءات ترى أنها مع طعننا فى الوحي المنزل على رسول الله ﷺ، تطعن فى عصمته فى عقله وبدنه.

ويجب عن هذه الافتراءات من عدة وجوه :

أولها : أن المستشرقين هنا فيما يزعمون كالبيغوات يرددون شبهة إخوانهم أعداء الأنبياء والرسل الذين جعلوا ما يحصل لأنبياء الله مثل الذى يحصل للمجانين والسحرة، كما قال تعالى : ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ. اتَّوَاصُوا بِهِ بِأَهْلِ هُمْ قَوْمٍ طَاغُوتٍ﴾^(٤) وهى عين الغرية التى رمت بها قريش رسول الله ﷺ، فبرأه الله مما قالوا، بقوله سبحانه : ﴿فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مُجْنُونٍ﴾^(٥) أرأيت كيف يردد المستشرقون شبهة عفا عنها الدهر، وطوتها السنون، وبين الله فسادها قبل خمسة عشر قرناً من الزمن، ثم جاعوا يلو كونها ويندنون بها تشويهاً للإسلام، وتشكيكاً فى عصمة رسول الله ﷺ فى عقله وبدنه.

ثانيها : إجماع الأمة على عصمة رسول الله ﷺ، وسائر الأنبياء قبله من سائر الأمراض المنفرة، فرسول الله ﷺ، وكافة الرسل قبله، قد اشتهروا بالتعقل والنباهة والفتنة قبل النبوة وبعدها.

-
- (١) مقدمة القرآن لمونتجمرى وات ص ١٧، ١٨، ومقدمة القرآن لبلى ص ٢٩، ٣٠، وينظر : سيرة الرسول ﷺ فى تصورات الغربيين للدكتور محمود زقزوق ص ٢٠.
- (٢) الهوس : بالتحريك، طرف من الجنون، ويرادفه المس. ينظر : مختار الصحاح ص ٧٠١، والقاموس المحيط ٢٥٨/٢.
- (٣) حضارة العرب لجوستاف ليون ص ١٢٦، ١٢٧، وينظر : الوحي القرآنى فى المنظور الاستشراقى. ونقده للدكتور محمود ماضى ص ١٠٩، ١٢٣.
- (٤) الآيتان ٥٢، ٥٣ الذاريات.
- (٥) الآية ٢٩ الطور.

لقد كان ﷺ، أكمل الرجال عقلاً، وأشدّهم فطنة، وأصوبهم قولاً، وأحكمهم فعلاً. وقد تحدّى الله المشركين الذين عرفوه وعاشوه وخبروا حاله أن يثبتوا عليه جنوناً أو اختلال عقل، وذلك فى قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أُعْطِمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلّٰهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَىٰ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(١).

ففى قوله ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ﴾ أى جنون. مستأنف منبه لهم على أن ما عرفوه من راحة عقله كاف فى ترجيح صدقه؛ والتعبير عنه ﷺ بـ (صاحبهم) للإيماء أن حاله معروف مشهور بينهم، لأنه نشأ بين أظهرهم معروفا بقوة العقل، ورزانة الحلم، وسداد القول والفعل^(٢).

فالآية الكريمة تقول لهم : "ما هو ذا تاريخ محمد ﷺ وأحاديثه، وسننه، وأدابه، وأخلاقه، وشريعته، تحت أنظاركم فانظروا وتفكروا من غير هوى ولا عصبية فى جوانب ذلك كله، واستخرجوا منه - ولن تستطيعوا - ما يقيم عوج دعاواكم، وأفك أباطيلكم، ولكنكم علمتم أن محمداً ﷺ معصوم بعصمة الله عز وجل، الذى أرسله ليقوض بنيان الكفر والنفاق، ويهدم صوح الإلحاد.

وبالجملة : فإن دلائل عصمته ﷺ فى عقله وبدنه، يشهد بها كتاب الله والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، على ما سبق تفصيله^(٣).

ثالثها : أن ثمة فرقاً واضحاً بين صور الوحي الذى كان يتلقاه النبى ﷺ وبين أعراض مرض الصرع الذى زعمه هؤلاء المستشرقون غير المنصفين فصور الوحي قد وقفت عليها من قبل عند الحديث عن كفياته بما لم أر بك حاجة إلى إعادة الحديث عنها هنا.

وأما أعراض مرض الصرع، فهو كما جاء فى كتاب "الموسوعة العربية الميسرة" أن يرى المريض شبحاً، ويسمع صوتاً أو يشم رائحة ويعقب ذلك وقوع المريض صارخاً على الأرض، وفاقداً وعيه ثم تملكه رعدة تشنجية تتصلب فيها العضلات، وقد يتوقف فيها التنفس

(١) الآية ٤٦ سبأ.

(٢) محاسن التأويل للقاسمى ١٤ / ٤٩٦ .

(٣) اراجع : ص ٤٧ - ٧٩ ، ٨٠ - ١٠٧ .

مؤقتاً... ويعقب النبوة خور في القوى، واستغرق في النوم يصحو منه المريض خالي الذهن من تذكر ما حدث له... الخ^(١).

فإذا كان هذا هو الثابت علمياً، فهو بخلاف أمر رسول الله ﷺ، فلا يظهر عليه شيء مما ذكر من أعراض هذا المرض عند نزول الوحي عليه، بل يظل في تمام وعيه، وكامل قوته العقلية، قبل وأثناء وبعد الوحي، كما قال ﷺ، لما سأل : كيف يأتيك الوحي؟ قال : "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال"^(٢).

وقد كان جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي ﷺ في صورة الرجل فيحادثه أمام جمع من الحضور وهم يشاهدون ذلك كما ثبت في حديث جبريل المشهور الذي سأل فيه النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان...^(٣). وكما جاء في حديث ابن عمر من إتيان جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ، في صورة الصحابي الجليل حذيفة الكلبى^(٤).

لقد عاش النبي ﷺ طيلة حياته في صحة نفسية وعصبية وعقلية دائمة، لم يطرأ عليه أي خلل في عقله أو أعصابه في يوم من الأيام، بل كان عليه الصلاة والسلام بشهادة القرآن والسنة والتاريخ، وديعاً صبوراً حليماً، بل كان عظيم الصبر، واسع الحلم، فيسح الصدر حتى أنه ﷺ، وسع الناس جميعاً ببسطه وخلقه.

وكان شجاعاً مقداماً، سليم الجسم، صحيح البدن، حتى إنه صار عركانة^(٥) المشهور بشجاعته فصرعه^(٦).

(١) الموسوعة العربية الميسرة ليوسف إلياس سركيس حرف الصاد، مادة صرع.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٨ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢٥٥ .

(٤) سبق ذكره تخريجه ص ٢٥٥ .

(٥) هو : ركانة بن يزيد بن هاشم القرشي المطلي، كان من مسلمة الفتح، وكان من أشد الناس، وهو الذي سأل رسول الله ﷺ أن يصارعه قبل إسلامه، فصرعه مرتين أو ثلاثاً، مات في أول خلافة معاوية سنة ٤٢ هـ، له ترجمة في : الاستيعاب ٥٠٧/٢ رقم ٨٠١، وأسد الغابة ٢/٢٩٣ رقم ١٧٠٨، وتجريد أسماء الصحابة ١/١٨٦ .

(٦) الحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب اللباس، باب العمامة ٥٥/٤ رقم ٤٠٧٨، والترمذي في سننه كتاب اللباس، باب العمامة على القلانس ٢١٧/٤ رقم ١٧٨٤ وقال حديث حسن غريب، والحاكم في المستدرک ٣/٥١١ رقم ٥٩٠٣ وسكت عنه، وحذفه الذهبي من التلخيص، وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ٢/٣٩٤ رقم ٢٩٩، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/٢٥٠ .

وكان يثبت في الميدان حتى يفر الشجعان، ويفزع الخلق، ويشد الأمر ويقول كما حدث في غزوة حنين، وقد انقشع عنه أصحابه : "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب" ^(١) ويقول "إلى أيها الناس، هلم إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله" ^(٢) ولا يزال كذلك حتى ينصره الله في المعركة.

وبالجملة : كان كمال عقله وخلقه ^(٣) مضرب الأمثال لعصمة الله له على ما سبق تفصيله ^(٤).

ولكل منصف أن يتساءل : هل يتفق هذا المرض وما هو معروف عن النبي ^(٥) من أنه كان أمة وحده، في أخلاقه، وثباته، وحلمه، وسلامة جسمه وقوة بنيانه؟.

ثم كيف يتفق ذلك الداء العضال الذي أعيا الأطباء، وما انتدب له رسول الله ^(٦) من تكوين شמוש أبيه، وتربيتها على أسامي نواميس الهداية وقوانين الأخلاق، وقواعد النهضة والرقى، مع أنها أمة صحراوية النفوس، صخرية الطباع؟!

أضف إلى ذلك أنه نجح في هذه المحاولة المعجزة، إلى درجة جعلت تلك الأمة، بعد قرون واحد من الزمان، هي أمة الأمم، وصاحبة العلم، وربّة السيف والقلم.

فهل المريض المتهوس الذي لا يصلح لقيادة نفسه يتسنى له أن يقوم بهذه القيادة العالمية الفائقة، ثم ينجح فيها هذا النجاح المعجز المدهش؟.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم ^(٧).

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب قول الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَا أَعَجَبْتُمْ كَثَرَتُمْ﴾ الآية ٦٢٢/٧ رقم ٤٣١٥ ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد، باب غزوة حنين ٣٥٦/٦ رقم ١٧٧٦ من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٧٦، وابن إسحاق في السيرة النبوية لابن هشام ٧٨/٤ نص رقم ١٧٤٥ والبيهقى في دلائل النبوة ١٢٧/٥، والبخارى وأبو يعلى - وفيه ابن إسحاق وقد صرح بالسماع في رواية أبى يعلى، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح كما قال الهيثمى في مجمع الزوائد ١٨٠/٦ والحديث من رواية جابر رضى الله عنه.

(٣) يراجع ص ٦٩ - ٧٩ .

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقانى ١/٨١، ٨٢ بتصرف، وينظر : النبى محمد ^(٨) لعبد الكريم الخطيب ص ١٣٩، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور أبى شهبة ١/٢٧٤ .

يقول المستشرق ماكس مايرهوف^(١) : «أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبى أو بدء الصرع، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره، ليس فيه شئ يدل على هذا، كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول»^(٢).

رابعها : لو كان النبي ﷺ مصاباً بمرض الصرع، لذكر ذلك أصحابه الذين لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا نقلوها عنه، أو ذكره أعداؤه في ذلك العصر، هؤلاء الذين كانوا يترصدون بالنبي ﷺ الدوائر، ويودون أن يظفروا منه ولو بشئ نذر يسير يعبرونه به.

اليس هم القائلون : «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»^(٣) فأقصى ما عابوه فيه - كما ترى - أنه فقير ومثله في نظرهم لا يحق أن يكون نبياً.

فلو كان ﷺ مريضاً بالصرع كما زعم هؤلاء الحاقدون، لوجد أعداؤه في ذلك فرصة سانحة للطعن عليه، لكن ما حدث ممن خلصت ضمائرهم بعض الوقت، وكانوا مع أنفسهم صادقين قبل ما يطرأ عليهم من إرهاب فكرى من أمثال الوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث الذى نفى في إشارة بليغة عن رسول الله ﷺ وما جاء به، السحر، والكهانة، والشعر، والجنون، حيث أنهم يعلمون علم اليقين حقيقة هذه الألفاظ، واعترف النضر بن الحارث بإقرار صناديد قريش، أن رسول الله ﷺ وما جاء به، بعيدان كل البعد عن حقيقة الألفاظ السابقة^(٤).

وهنا يحق لنا أن نتساءل : إذا لم يذكر لنا التاريخ أن النبي ﷺ أصيب بهذا النوع من الأمراض المنفرة؛ فليأتنا أعداء الإسلام بما يكذب ذلك؟ ولكن أنى لهم ذلك! اللهم إلا ما كان من هؤلاء المأفونين من المستشرقين الذين زعموا هذا الزعم بناء على تصورهم للحالة التى كانت تعتريه عند نزول الوحي عليه، وهى حالة واحدة من حالات متعددة كان يأتيه عليها الوحي كما علمت، وبينها وبين ما تصوره عنها بعد المشرقين.

(١) مستشرق ألماني، من كبار أطباء العيون العالميين، وفي طليعة مؤرخي الطب العربى، تعد اكتشافاته فيه، وكتابته عنه، بالفرنسية والإنجليزية والألمانية، مرجعاً دقيقاً وأميناً، سكن مصر، وانتخب نائباً لرئيس المعهد المصرى، والجمعية الطبية المصرية. توفى بالقاهرة سنة ١٩٤٥م. له ترجمة في : المستشرقون الألمان تراجمهم (ص ١٤١ - ١٤٤)، والأعلام للزركلى ٢٥٦/٥، ٢٥٧.

(٢) ينظر : الإسلام والرسول في نظر منتصفى الشرق والغرب لأحمد بوطامى ص ١٦٢.

(٣) الآية ٣١ الزخرف.

(٤) يراجع : نص كلام النضر بن الحارث ص ٢٧٢.

وأتساءل أيضاً : هل الذين آمنوا برسول الله ﷺ منذ خمسة عشر قرناً، واتبعوا الدين الذى جاء به من قادة الفكر على امتداد العصور؛ كلهم أغبياء مغرورون، لم يميزوا بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والصحة والمرض، والكمال والنقص؟! .

خامسها : ثم ما رأى هؤلاء الطاعنين وفيهم من ينتمى إلى بعض الأديان فى أنهم لا ينالون من نبوة وعصمة سيدنا محمد ﷺ وحده؛ وإنما ينالون من جميع أنبياء الله ورسله الذين كانت لهم كتب أو صحف، أوحى بها من عند الله سبحانه .

فهل تطيب نفوس المقرين بالأديان منهم أن يخربوا بيوتهم قبل أن يخربوا بيوت غيرهم؟ فما رأيهم فيما جاء فى كتب العهد القديم والجديد، من إichاءات ونبوءات؟ .

وهل يقولون فى وحى نبي الله موسى وعيسى عليهما السلام ما يقولون فى وحى نبيينا محمد رسول الله ﷺ؟ .

إن الرسول ﷺ، ليس بدعاً من الرسل فى باب الوحى، إنه أوحى إليه كما أوحى إليهم، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (١) .

اللهم إن هذا الطعن لا يقول به إلا أحد رجلين : إما رجل مخرف، وإما رجل مخرب مدمر يريد هدم الأديان (٢) .

قلت : فلا نبينا ﷺ، ولا أحد من إخوانه من الأنبياء أصيب بمثل هذه الأمراض المنفرة، لعصمة ربهم لهم (٣) وإنما المرضى - حقيقة - هم أعداؤهم من كل أمة. أهـ .

والله تعالى أعلى وأعلم

(١) الآية ١٦٣ النساء .

(٢) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة ١/٢٧٨، ٢٧٩ .

(٣) يراجع ما سبق فى المراد بعصمة الأنبياء فى بدعهم ص ٨٠ .

المطلب الثالث

شبهة أن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية

والرد عليها

لقد زعم المستشرقون أن الوحي انبثق في الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية ولكن محمد كیفه تكيفاً بارعاً وفقاً لمتطلبات شعبه الدينية^(١) ويرشح لنا جولد تسيهر كيف تم له ذلك، وكيف أصبحت تعاليم اليهودية والنصرانية، وحيّاً تبناه محمد ﷺ، فيقول: "قتبشير النبی العباس ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثر بها تأثراً عميقاً، لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإحساء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيّاً إلهياً، فأصبح بإخلاص على يقين بأنه أداة لهذا الوحي"^(٢).

وقد وصل الأمر ببعضهم وهو ما حكاه فيليب حتى، أن زعموا أن الإسلام برمته بدعة نصرانية أكثر منه ديناً جديداً^(٣).

ولم يخف جولد تسيهر قوله في أن النبي ﷺ قد تتلمذ على رهبان النصراني مثل ورقة بن نوفل، وبحيرا، ونسطورا، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، المسيحي الأصل، وأخبار اليهود مثل عبد الله بن سلام، الذين كانوا أساتذة له^(٤) وكيف تم الاتصال بأولئك؟

يرى بروكلمان أن ذلك تم من خلال رحلاته، والذين عاشوا معه بعد إسلامهم^(٥).

(١) ينظر: تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ص ٦٩، ومقالة في الإسلام لجرجيس سال ص ١١، وحياء محمد لدر منغم ص ١٢٥، ١٢٦، والاستشراق في السيرة لعبد الله النعيم ص ٣٨، والفكر الإسلامي نقد واجتهاد للدكتور محمد أركون ص ١٣٧، والإسلام بدون حجاب، بحث مستل من شبكة الإنترنت لمؤلف مجهول ص ١١.

(٢) العقيدة والشرعية في الإسلام ص ٥، ٦.

(٣) تاريخ العرب ١٧٦/١.

(٤) العقيدة والشرعية ص ١٣، ١٤، وحياء محمد لدر منغم ص ١٢٥، ١٢٦، ودائرة المعارف الإسلامية ترجمة أحمد الشنتاوي وغيره المجلد ٢٣٢/٨، والاستشراق في السيرة النبوية لعبد الله محمد الأمين ص ٦٥، ومناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية لجماعة من العلماء ١/٣٧، ٣٨، والوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده للدكتور محمود ماضي ص ١١٧، ١٤٥.

(٥) ينظر: تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٤.

وقد حاول المستشرقين إرجاع كثير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية أو الاثنين معاً^(١).

قال بروكلمان : "وتأثرت اتجاهات النبي الدينية في الأيام الأولى من مقامه في المدينة، بالصلة التي كانت بينه وبين اليهود... فشرع صوم العاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرم، على غرار الصوم اليهودي في يوم الكفار الذي يقع عندهم في العاشر من شهر تشرى، وبينما كان المؤمنون في مكة لا يصلون إلا مرتين في اليوم، أدخل في المدينة على غرار اليهودية أيضاً، صلاة الثالثة عند الظهر... كذلك جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار "السبت" اليهودي...^(٢)

ويجب عن هذه الافتراءات بما يلي :

أولاً : الناظر في شبهتهم تلك يلاحظ أنها تقوم على أنقاض الشبهتين السابقتين، إذ لما لم يكن لقولهم بهما قدم يثبت عليها، أو لك أن تقول : ساقان تحملانه عندما اصطدم مع الحق الذي لا يسمع منصفاً مخالفته، حسبما مر بك عند نقض هاتين الشبهتين، وهنا لم يجدوا بداً من أن يقولوا هذا القول الوارد في هذه الشبهة (أعني في هذا المطلب) ويلاحظ أيضاً، أن زعمهم هذا لا يعدو كونه عين ما رده جهال قريش من قبل حين قالوا كما أخبر القرآن : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾^(٣). وبذلك يتضح لك أن الكفر ملة واحدة، مهما تباعدت أزمانه واختلفت أوطانه.

إن ما زعمه هؤلاء الملحدون هنا، هو باطل من القول سودوا به صفحات التاريخ إذ الحق الذي لا مناص عنه، ثبوت العصمة لسيدنا محمد ﷺ في دعواه النبوة، وفي كل ما يخبر به من الوحي عن ربه عز وجل، على ما مر سابقاً في دلائل عصمته في تبليغ الوحي من خلال القرآن والسنة^(٤) كما أنه لم يكن لأحد عليه فضل فيما جاء به، غير الله تعالى؛ فأني لأحد من البشر كائناتاً من كان أن يكون له قبل بما جاء به ﷺ فينصبونه معلماً له؟.

(١) ينظر : العقيدة والشرعية ص ١٧، ١٨، وتاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٧، ٤٨، ٧١، ٧٩، وتاريخ

العرب ص ١٨١ - ١٨٣، وملوك الطائف ص ٤٠٥، والرسول في كتابات المستشرقين ص ١٣٧ .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٦، ٤٧، وينظر : الاستشراق في السيرة النبوية ص ٣٨، ٤٩، ٥٢،

٦٥ .

(٣) الآية ١٠٣ النحل .

(٤) يراجع : ص ٢٦٤ - ٢٧٧ .

ثانياً : أين هذه الرحلات التى يتكلم عنها جولدستهر، وبروكلمان، ومن شايعهما، والتى التقى فيها النبى ﷺ بأحبار اليهود، ورهبان النصارى، وأخذ عنهم؟ ومتى كانت؟ وأين تم هذا اللقاء؟ وكم مدة قضاها ليتلقى تلك الدروس حتى يهضمها ويستوعبها؟ ومن هم الذين أخذ عنهم؟ وماذا أخذ؟.

أسئلة يعجز المستشرقون عن إجابتها، لأنها لا إجابة لها البتة، إذ الإجابة عنها من صنع الخيال، وترهات الأفكار .

إن ما زعموه بأنه من الممكن أن يكون رسول الله ﷺ تلقف هذا الذى جاء به من بحيرا^(١) ونسطور^(٢) الراهبين، زعم باطل. وذلك لأن المعروف الثابت تاريخياً أن النبى ﷺ، لم يلق "بحيراً" هذا إلا مرة واحدة، وهى المرة الأولى التى سافر فيها إلى الشام، وكان معه عمه أبى طالب، وكان عمره ﷺ، إذ ذاك لا يتعدى اثنتى عشر عاماً^(٣) ولا يغفل أن يكون سيدنا محمد ﷺ قد أخذ عنه، وهو فى هذه السن شيئاً .

(١) بحيرا : راهب. قيل إنه كان يهودياً من يهود تيماء، وقيل كان نصرانياً من عبد القيس، يقال له جرجس، لقيه النبى ﷺ قبل البعثة، له ترجمة فى : أسد الغابة ٣٥٥/١ رقم ٣٧١، وتجريد أسماء الصحابة ٤٤/١، والبداية والنهاية ٢/٢١٣، ٢١٤ .

(٢) هو : بطريك الإسكندرية سنة ٤٣١م، وهو الذى قال بأن مريم لم تلد إلا الإنسان فهى بذلك أم الإنسان، وليست أم إله، وأتباعه هم النساطرة، ومذهبهم وضع الأساس للقول بطبعيتين فى المسيح. ينظر : الموسوعة المسيرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٥٠٢، ٥٠٣، والملل والنحل للشهرستان ٢/٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٣) القصة رواها ابن إسحاق فى السيرة النبوية لابن هشام ٢٣٦/١ - ٢٣٨ نص رقم ١٧٧، ١٧٨، والترمذى فى سننه كتاب المناقب، باب ما جاء فى بدء نبوة النبى ﷺ ٥٥٠/٥ رقم ٣٦٢٠ ولم يرد اسم (بحيرا) فى القصة، وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم فى المستدرک ٢/٦٧٢ رقم ٤٢٢٩ وقال : صحيح على شرط الشيخين، وخالفه الذهبى قائلاً : أظنه موضوعاً فيعضه باطل أهـ ورواه أبو نعيم فى دلائل النبوة ١/١٦٨ رقمى ١٠٨، ١٠٩، والبيهقى فى دلائل النبوة ٢/٢٤، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ١/١٢٠، وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ٢/٢١٣، ٢٦٦، من طريقى ابن إسحاق والترمذى وقال : "فيه من الغرائب أنه من مراسلات الصحابة، فإن أبا موسى الأشعرى راوى الحديث إنما قدم فى سنة خيبر، سنة سبع من الهجرة، ولا يلتفت إلى قول ابن إسحاق فى جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة. وعلى كل تقدير فهو مرسل. فإن هذه القصة كانت ولرسول الله ﷺ من العمر فيما ذكره بعضهم اثنتا عشرة سنة، ولعل أبا موسى تلقاه من النبى ﷺ، فيكون أبلغ، أو من بعض كبار الصحابة رضى الله عنهم، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة" أهـ قلت : ذهب إلى صحة القصة فضيلة الشيخ عرجون فى كتابه محمد رسول الله ١/١٦٧، ووجه الغرائب الواردة فى ألفاظ الحديث بما يزيل غرابتها، فراجع إن شئت، وصحح الحافظ ابن حجر رواية الترمذى بإسناد قوى فى فتح البارى -

وأنى "بحيرا" وما حواه الوحي الإلهي قرأنا وسنة، من علوم وأخبار ماضية ومستقبلية؟ هذا لو فرضنا أنه يمكن أن يكون قد أخذ عنه شيئا.

إن الباحث المصنف لو استنطق التاريخ، ما زاد على أن يقول له : إن الراهب "بحيرا" لما رآه تظله سحابة من الشمس، ورأى فيه بعض أمارات النبوة ذكر لعمه، أنه سيكون له شأن، وحذره أن تتاله اليهود بأذى.

وكذلك الحال عندما مر رسول الله ﷺ بالراهب نسطور، وهو في طريقه إلى الشام، يعمل في تجارة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، وكانت هذه هي المرة الثانية والأخيرة في رحلاته خارج مكة، وكان ﷺ إذ ذاك شاب في الخامسة والعشرين من عمره، وفي صحبته غلام خديجة ميسرة^(١) والذي تحدث به الراهب نسطورا عن رسول الله ﷺ كان مع ميسرة، ولما تحقق الراهب من صفات النبوة في رسول الله ﷺ، ما زاد على أن جاء إلى رسول الله ﷺ، وقبل رأسه وقدميه، وقال : آمنت بك، وأنا أشهد أنك الذي ذكره الله في التوراة، ثم قال لميسرة بعد أن خلا به : يا ميسرة! هذا نبي هذه الأمة، والذي نفسى بيده إنه لهو تجده أخبارنا منعوتاً في كتبهم^(٢).

ولم تذكر الأخبار أنه كان حتى هناك مجرد حديث بين الغلام الصغير محمد وبين "بحيرا" و"نسطورا" وإنما الذي ذكرته الأخبار أن كل الحديث الذي تحدث به الراهب بحيرا عنه، كان مع عمه أبى طالب^(٣) والذي تحدث به الراهب نسطورا عنه كان مع غلام خديجة ميسرة! فماذا - يا ترى - سمع الشهود - عمه أبى طالب، وميسرة - من علوم هذا الأستاذ؟ هلا نبأنا التاريخ بنبأ ما جرى خلال هذا الحديث المزعوم الذي جمع في تلك اللحظة القصيرة علوم القرآن والسنة كاملة؟!.

= ٥٨٧/٨ رقم ٤٩٥٣، وكذا الألباني في هامش فقه السيرة للزغالي ص ٦٨، والدكتور سعيد صوابي في المعين الرائق ص ٧٤، وأبطلها عبد العزيز راشد في أصول السيرة المحمدية ص ٢٢، وكذا أبطلها جعفر مرتضى العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي ٩٣/٢، وتوقف فيها هاشم معروف الحسيني في سيرة المصطفى ﷺ ص ٥٣.

(١) القصة أخرجه ابن سعد في طبقاته ١/١٢٩، وابن إسحاق في السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٤٢ نص رقم ١٨٤، وأبو نعيم في دلائل النبوة ١/١٧٢ رقم ١١٠.

(٢) ينظر : المصادر السابقة.

(٣) يراجع : رواية لقائه ﷺ مع بحيرا الراهب في تخريج قصته السابقة قريبا.

إن تلك الروايات التاريخية التي نتحدث عن اللقاء العابر بين رسول الله ﷺ وبين بحيرا ونسطورا تحيل أن يقف كل من بحيرا ونسطورا موقف المعلم المرشد لسيدنا محمد ﷺ، لأن كلا منهما بَشَرٌ عمه وميسرة، وبنبوتة، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التي يزفها، ثم ينصب نفسه أستاذاً لصاحبها الذي سيأخذ عن الله، ويتلقى عن جبريل، ويكون هو أستاذ الأستاذين، وهادى الهداة المرشدين! وإلا كان هذا الراهب متناقضاً مع نفسه!!

إن هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة، لفرح بها قومه وقاموا لها وقعدوا، لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله ﷺ، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة^(١).

ثالثاً : ما زعموه من أن محمداً ﷺ، أخذ ما زعمه أنه وحى من الله تعالى، من ورقة ابن نوفل. هو - أيضاً - باطل كسابقه، وفي الرواية نفسها التي التقى فيها رسول الله ﷺ بورقة^(٢) ما يبين بطلان مزاعم المستشرقين، وتهافت أقوالهم، وفسادها. وذلك في النقاط التالية :

أ- تبين الرواية أن ورقة قد تنصر في الجاهلية، ولكن المحدثون والمؤرخون استقصوا كل ما عرف عنه مم صح سنده، ومما لم يصح، فلم يعثروا على رواية تبين أنه كان داعية إلى النصرانية.

ب- لم ينقل أن النبي ﷺ قد لقي ورقة قبل هذا اللقاء أو رآه.

ج- لقد تم هذا اللقاء بعد مجئ ملك الوحي في الغار، ونزول صدر سورة "اقرأ" وقد حضرت هذا اللقاء خديجة رضي الله عنها، وشهدته، وقد آمنت بنبوة محمد ﷺ بعد ذلك، فلو كان هنالك تعلم وتلقى ما غاب ذلك عن بالها أبداً، وكان صارفاً لها عن الإيمان به ﷺ.

د- إن موقف ورقة على ما جاء في هذا اللقاء، كان موقف المستطلع المستخبر لا موقف المعلم، فلما أخبره النبي ﷺ، خبر ما رأى، كان موقفه موقف المبشر المصدق المؤمن، المتطوع لمناصرة الحق، المؤيد للنبي ﷺ فيما نزل عليه من الوحي "هذا الناموس الذي نزل على موسى، ليبتى فيها جذعاً، ليبتى أكون حياً إذ يخرجك قومك...، وإن يدركنى يومك حياً، أنصرك نصراً مؤزراً".

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٤٥٢/٢ - ٤٥٦ بتصرف واختصار، وينظر : الإسلام والمستشرقون لنبذة من العلماء المسلمين ص ٢٢٨ .

(٢) الحديث سبق ذكره، وتخرجه ص ١٩٧ .

هـ- لم تذكر الروايات أنه ألقى إلى النبي ﷺ درساً أو عظة في أى جزء من جزئيات الإسلام، كما لم يثبت أنه كان ﷺ، يتردد عليه لتلقى تلك الدروس، والذي يفهم من كلمته المختصصة السابقة، أنه كان يتمنى أن يبقى حتى يصبح ناصراً لدين الله، وجندياً مخلصاً، وتلميذاً ناجحاً للنبي ﷺ، لا أستاذاً مريباً، ولا عالماً معلماً.

و- ثم إن ورقة لم يلبث بعد هذا اللقاء، إلا أن توفي وفتر الوحي عن رسول الله ﷺ، فكيف تكون هذه المقابلة الخاطفة ينبوعاً لما جاء به عليه الصلاة والسلام من الوحي؟.

ز- لو ثبت أنه ﷺ، أخذ ذلك من ورقة لما سكت أعداؤه أبداً، ولروجوا ذلك، وساروا به فى الناس جميعاً، وهم الذين تشبهوا بما هو أوهى من ذلك^(١).

رابعاً : إنما زعموه من أنه ﷺ، أخذ ما جاء به من صهيبي الرومى^(٢) لهُو من أبطل الباطل. إذ أن صهيبياً هذا كان حداداً يصنع السيوف، أعجمى اللسان، لا يعدو كلامه أن يكون رطانة^(٣) ولا يكاد يبين^(٤) ولذا قال القرآن الكريم : ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٥).

والمعنى : كيف يتعلم من جاء بهذا القرآن، فى فصاحته وبلاغته، ومعانيه التامة الشاملة، التى هى أكمل من معانى كل كتاب نزل على نبي أرسل؛ كيف يتعلم من رجل أعجمى؟! لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل^(٦) وليت شعري : لو كان لصهيبي أن يكون مرجعاً علمياً كما أرادوا أن يصفوه، فما الذى منع كفار مكة أن يأخذوا عنه، كما أخذ صاحبهم؟ وبذلك كانوا يستريحون من عنائهم، ويدأرونه من جنس دأئه، بل ما منع صهيبي أن يبدي للعالم صفحته، فينال

(١) ينظر : الإسلام والمستشرقون ص ٢٢٨، والأدلة على صدق النبوة المحمدية ص ٤٢٣، والوحي المحمدى ص ٩٦ .

(٢) هو : صهيبي بن سنان بن مالك الرومى، وإنما قيل له الرومى، لأن الروم سبوه صغيراً، وهرب من الروم لما كبر وعقل، فقدم مكة، وكان من السابقين إلى الإسلام، وكنيته أبو يحيى، كناه بها رسول الله ﷺ، مات سنة ٣٨ هـ بالمدينة. له ترجمة فى : أسد الغابة ٣٨/٣ رقم ٢٥٣٨، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٧ رقم ٧٦، والاستيعاب ٧٢٦/٢ رقم ١٢٢٦ .

(٣) بفتح الراء وكسرها، أى كلامه لا يفهمه أحد. ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٢/٢١٢، ومختار الصحاح ص ٢٤٦، والقاموس المحيط ٤/٢٢٤ .

(٤) يراجع المصادر السابقة فى ترجمته.

(٥) الآية ١٠٣ النحل.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٥٢٣ .

فى التاريخ شرف الأستاذية، أو يتولى بنفسه تلك القيادة العالمية؟ بل ما منعه أن يدعى النبوة، فينسب لنفسه هذا المجد والفخار؟^(١) إن فى عدم ادعاء صهيبي شئ مما سبق، وعدم ثبوته عنه، مع صحة إيمانه برسول الله ﷺ، دليل على صدق رسول الله ﷺ، فى دعواه النبوة، وفى عصمته ﷺ فى كل ما بلغ من وحي ربه .

خامساً : ما زعموه من أنه ﷺ، تلقى الوحي من علماء أهل الكتاب فى عصره محض افتراء يردده القرآن الكريم الذى حفل بجذالهم ومحاوراتهم فى العقائد والتواريخ والأحكام . فالناظر فى محاورات القرآن لهم يرى بأى لسان يتكلم عنهم القرآن الكريم. إنه يصور علومهم بأنها الجهالات، وعقائدهم بأنها الضلالات، ومعارفهم بأنها الخرافات، وأعمالهم بأنها المنكرات .

نعم. لا يعقل أن يصفهم القرآن بذلك ثم يقفون من صاحب هذه النبوة موقف المرشد والناصح! اقرأ إن شئت قول الله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِنُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يَأْكُلُونَ أَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلْبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ إلى أن قال عز وجل : ﴿وَبَصَدَّهُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا . وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نَهَوُا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾^(٣) .

وغير ذلك كثير مما هو منتثر فى ثنايا سور القرآن الكريم، وهو سهل المنال لمن طلبه. مما يفيدك بأن قوماً أمثال هؤلاء لا يعقل - وحالهم هكذا - أن يتلقى عنهم رسول الله ﷺ، بل إنك ترى فيه معلماً يصحح لهم أغلاطهم، وينعى عليهم سوء حالهم .

فلو كانوا معلمين له ﷺ، لمدهم، وجاملهم، وتودد إليهم، وتقرب منهم، ولم يقف منهم هذا الموقف العدائى، حتى لا يفضحوا أمره، ويكشفوا حاله .

(١) النبأ العظيم ص ٨٢، ٨٣ بتصرف .

(٢) الآيتان ٣٠، ٣١ التوبة .

(٣) الآيات ١٥٥ - ١٦١ النساء .

ثم إن كثيراً من هؤلاء الذين يزعمون أنهم كانوا مصدر الوحي، قد أسلموا، وإسلامهم حجة قائمة على صدق نبوة رسول الله ﷺ، وعصمته فيما بلغ من الوحي الإلهي، ولو كان هؤلاء أعانوا النبي ﷺ على الوحي، وأنه ليس من عند الله، لكانوا أدرى الناس حينئذ بحقيقة الإسلام، وبالتالي كانوا سيكونون أبعد الناس عنه، لأنهم يعرفون أنه دين ليس صحيحاً، ولكن أما وقد أسلموا وأخلصوا لله تعالى، لاسيما وأنه كانت هناك منافسة كبيرة بين أصحاب الأديان المختلفة في ذلك الوقت، فإن ذلك كان لاستئصال السنة الخراصين، حتى يصابوا بالخرس رحمة بالتاريخ الذي كم لوثه بالسنتهم هذه. وصدق رب العزة : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مَرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١) وقال عز وجل : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَّا إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ الَّتِي كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

سلباً : من أقوى ما يدل على أن الإسلام لم يكن مقتبساً من اليهودية أو النصرانية، وجود الخلاف في كثير من العقائد والأحكام؛ بل جعل الشارع الحكيم جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً له، ومن متطلبات الشرع، وهناك كثير من الأحكام جعلت العلة فيها هي مخالفة اليهود أو النصارى من ذلك :

١- قوله ﷺ : "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفهم"^(٣).

٢- وقوله ﷺ : "خالفوا اليهود فاتهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم"^(٤).

٣- عن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤكلوها، ولم يجامعهم في البيوت. فسأل أصحاب النبي ﷺ، النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ

(١) الآية ٤٣ الرعد.

(٢) الآية ١٠ الأحقاف.

(٣) أخرجه البخارى (شرح فتح البارى) كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ٥٧٢/٦ رقم ٣٤٦٢، وكتاب اللباس، باب الخضاب ٣٦٦/١٠ رقم ٥٨٩٩، ومسلم (شرح النووي) كتاب اللباس والزينة باب مخالفة اليهود في الصبغ ٣٣٠/٧ رقم ٢١٠٣ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعال ١٧٦/١ رقم ٦٥٢، والبيهقى في سننه، كتاب الصلاة، باب سنة الصلاة في النعلين ٤٣٢/٢، والحاكم في المستدرک ٣٩١/١ رقم ٩٥٦ وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين^(١) فقال رسول الله ﷺ : "اصنعوا كل شئ إلا النكاح" فبلغ ذلك اليهود فقالوا : "ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه"^(٢) قال الإمام ابن تيمية^(٣) : "فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم، حتى قالوا : "ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه"^(٤).

فهذا إقرار من اليهود عليهم لعائن الله، بمخالفة النبي ﷺ لما كانوا عليه من شعائر حتى اشتهر ذلك بينهم، ألا يكفي ذلك برهاناً ساطعاً على بطلان قول المستشرقين : أنه كَيْفَ شعائر الإسلام لتتفق مع شعائر اليهود؟^(٥).

أولم يكفهم أنه ﷺ، أخرج اليهود أدلاء حقيرين من المدينة، وأجلاهم عنها لما نقضوا عهودهم معه، وأبى عليهم أن يسكنوه في بلد واحد؟^(٦) وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله : ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾^(٧) أَمَا وَقَفَ

(١) الآية ٢٢٢ البقرة.

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ٢١٤/٢ رقم ٣٠٢.

(٣) هو : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الحارثي الدمشقي، تقي الدين، أبو العباس، الإمام المحقق، الحافظ، المفسر، الأصولي، الأديب، النحوي، بلغت تصانيفه ثلاثمائة مجلد : منها رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، وغير ذلك مات سنة ٧٢٧هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ١٤٩٦/٤ رقم ١١٧٥، والدر الكامنة لابن حجر ١٤٤/١ رقم ٤٠٩، وطبقات المفسرين للدوادري ٤٦/١ رقم ٤٢.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ١٨٧/١.

(٥) ينظر : تاريخ الشعوب الإسلامية لروكلمان ص ٤٦، ٤٧.

(٦) روى البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : "حاربت النضير وقريظة، فأجلى بني النضير، وأقر قريظة، ومن عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نسائهم وأولادهم وأمواهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ، فأمنهم، وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع، وهم رحط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة" أمـ. أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المغازي، باب حديث بني النضير ٣٨٣/٧ رقم ٤٠٢٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الجهاد، باب إجلاء اليهود من الحجاز ٣٣٤/٦ رقم ١٧٦٦.

(٧) الآية ٢ الحشر، والمراد بالآية يهود بني النضير. ينظر : تفسير القرآن العظيم ٨١/٨.

المستشرقون على الآيات والأحاديث العديدة الدامة لليهود الهاتكة لستورهم؟ أفى ذلك أيضاً دلالة على أن النبى كان يتقرب منهم ويتزلف لهم لكسبهم وإرضائهم؟

إن النبى ﷺ، منذ أن بعث وحمل رسالة الإسلام، نسخ الأديان السابقة، وأبطل شعوعيتها، فلا نجاة لأحد من الخلق يهودياً كان أو نصرانياً إلا بالتزام شرعه، والسير على نهجه، وهو القائل ﷺ: "والذى نفس محمد بيده، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار" (١).

والحديث هنا بياناً وتأكيداً لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيَى وَيُمِيتُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمَى الَّذِي يُمْنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٢).

فلا بقاء لدين مع دينه ﷺ، ولا شريعة مع شريعته، بل دينه هو الحاكم والمهيمن على كل الأديان. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجاً﴾ (٣).

سابعاً: ما زعموه من إرجاع كثير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية، أو الاثنين معاً، زعم باطل لما يلى:

أ- لأن استدلالهم بصوم عاشوراء على موافقة اليهود فيه، بناء على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "قدم النبى ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه، وأمر بصيامه" (٤). فعلة الموافقة الواردة فى الحديث هى التى بنى عليها المستشرقون شبهتهم السابقة، ويجاب بالآتى:

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته ٤٦٣/١ رقم ٢٤٠ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.
(٢) الآية ١٥٨ الأعراف.
(٣) الآية ٤٨ المائدة.

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها: كتاب الصوم، باب صوم يوم عاشوراء ٢٨٧/٤ رقم ٢٠٠٤، وكتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ٤٩٤/٦ رقم ٣٣٩٧، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء ٢٦٢/٤ رقم ١١٣٠.

١- لقد ثبت أن النبي ﷺ، كان يصوم عاشوراء في الجاهلية قبل قدومه المدينة، ويدل على ذلك قول عائشة رضي الله عنها : "كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ، يصومه، فلما قدم المدينة، صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه" (١).

وفي رواية : "وكان يوم تستر فيه الكعبة" (٢) فدل بهذا على أنه ﷺ، لم يصمه موافقة لليهود واقتداء بهم، وإنما صامه وأمر بصيامه تقريرا لتعظيمه وتأكيدا، وأخبر ﷺ أنه وأمته أحق بموسى من اليهود، فإذا صامه موسى شكرا لله، كنا أحق أن نفتدى به من اليهود، لاسيما إذا قلنا : شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يخالفه شرعنا" (٣).

٢- إن النبي ﷺ، بين نوع مخالفة لليهود في صيام عاشوراء، عندما شرع صيام يوم قبله، أو بعده، فعن ابن عباس قال : حين صام رسول الله ﷺ، يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قللوا : يا رسول الله. إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله ﷺ : "فإذا كان العام المقبل، إن شاء الله، صمنا اليوم التاسع" قال : فلم يأت العام المقبل، حتى توفي رسول الله ﷺ، وعنه أيضا مرفوعا : "صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا فيه اليهود، صوموا قبله يوما أو بعده يوما" (٤) فدل ذلك على مخالفته لهم في صيامه.

ب- وأما زعمهم أن المؤمنين كانوا لا يصلون في مكة إلا مرتين في اليوم، ثم أدخلت صلاة ثالثة عندما ذهبوا إلى المدينة على غرار اليهودية، فهو زعم في وهن خيط العنكبوت، إذ الصلوات الخمس فرضت بمكة ليلة الإسراء، حين عرج بالنبي ﷺ، إلى السماء، ولا خلاف بين أهل العلم، وأهل السير في ذلك (٥).

(١) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) في عدة أماكن منها : كتاب الصوم، باب صوم يوم عاشوراء ٢٨٧/٤ رقم ٢٠٠٢، وكتاب الحج، باب قول الله تعالى : ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾ ٥٣١/٣ رقم ١٥٩٢، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء ٢٥٨/٤ رقم ١١٢٥ .

(٢) هي لفظ البخاري في كتاب الحج في الأماكن السابقة نفسها.

(٣) زاد المعاد ٧٠/٢، وينظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٤١٣/١، وفتح الباري ٢٩٠/٤ رقم ٢٠٠٤ .

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء ٢٦٦/٤ رقم ١١٣٤ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٢٤١/١، والبيهقي في سننه موقوفا على ابن عباس، كتاب الصيام، باب صوم يوم التاسع ٢٨٧/٤ وقال الشيخ الأرنؤوط : وسنده صحيح. ينظر : زاد المعاد ٦٩/٢ .

المأمش، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف نحوه موقوفا على ابن عباس أيضا ٢٨٧/٤ رقم ٧٨٣٩ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١٠ .

وهذا الذى دلت عليه الأحاديث الصحيحة، التى وردت فى صفة الإسراء والمعراج فى الصحيحين وغيرهما، من أحاديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم^(١) وفى أحدها قوله ﷺ : "فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى، وبين موسى عليه السلام، حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة"^(٢).

ج- وأما زعمهم أنه جعل الجمعة، يوم صلاة عامة، على غرار السبت عند اليهود، فهو أيضاً قول مخالف للصواب، لأن الله سبحانه شرع لعباده المؤمنين الاجتماع لعبادته يوم الجمعة، فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وقد ثبت أن الله أمر الأمم السابقة بتعظيمه، فضلوا عنه، واختار اليهود السبت، والنصارى الأحد، وفضل الله هذه الأمة بيوم الجمعة لفضيلته^(٤) فعن أبى هريرة وحذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ : "أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة. نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضى لهم قبل الخلائق"^(٥) وفى الحديث ذم لأهل الكتابين، على تقيطهم فى يوم الجمعة، ثم شرع ﷺ، صيام يوم السبت ويسوم الأحد مخالفة لهما، كما جاء فى حديث أم سلمة رضى الله عنها، قالت : كان رسول الله ﷺ، يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام، ويقول : إنيهما عيد المشركين، فأنا أحب أن أخالفهم"^(٦).

(١) ينظر : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة ٥٤٧/١ رقم ٣٤٩، وكتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام ٤٣١/٦ رقم ٣٣٤٢، وصحيح مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات ٤٨٦/١ رقم ٢٥٩ .
(٢) هذه الرواية بهذا اللفظ أخرجه مسلم فى صحيحه (بشرح النووى) فى الأماكن السابقة نفسها .
(٣) الآية ٩ الجمعة .

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم ١٤٥/٨ .
(٥) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ٤٠٧/٣ رقم ٨٥٦ والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة ٤١٢/٢ رقم ٨٧٦ .
(٦) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٢٤/٦، وله شاهد من حديث عائشة أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الصوم، باب صوم يوم الاثنين والخميس ١٢٢/٣ رقم ٧٤٦ وقال : حديث حسن، هذا وقد جاء من الأحاديث ما يدل على النهى عن صيام يوم السبت، إلا أن الإمام أبى داود رحمه الله يرى أن ذلك منسوخ. سنن أبى داود ٣٢٠/٢ رقم ٢٤٢١، وينظر : أقوال العلماء فى ذلك، فتح البارى-

قال الحافظ ابن حجر : : يوم السبت عيد عند اليهود، والأحد عيد عند النصارى، وإيام العيد لا تصام، فخالفهم بصيامها^(١).

بعد هذا يتضح لك، أن وحى الله تعالى (كتاباً وسنة) والذي بلغه رسول الله ﷺ، بعصمة الله له، لم يكن مأخوذاً من اليهودية أو النصرانية، وإنما هو وحى مستقل، لم يتأثر بغيره، وبالتالي دين الإسلام، دين قائم بذاته، متميز عن غيره، وإذا وجد تشابه بين نكس إسلامى، وبين عمل سابق منسوب إلى شريعة اليهود أو النصارى. دل ذلك على أن أصل الدين الذى جاء به رسل الله واحد. لقوله تعالى : ﴿أَشْرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٢) وبياناً لذلك وتأكيذاً له، قال ﷺ : "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"^(٣) والمراد بـ (إخوة لعلات) الذين أمهاتهم مختلفة، وأبوهام واحد. أراد أن إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة^(٤) أهـ.

والله تعالى أعلى وأعلم

= ٣٧٤/١٠ رقم ٥٩١٧، والناسخ والمنسوخ لابن شاهين ص ٣٤١ رقمى ٤١١، ٤١٢، ونيل الأوطار ٢٤٩/٤ .

(١) فتح البارى ٣٧٥/١٠ رقم ٥٩١٧ .

(٢) الآية ١٣ الشورى .

(٣) أخرجه البخارى (شرح فتح البارى) كتاب الأنبياء، باب واذكر فى الكتاب مريم ٥٥٠/٦ رقم

٣٤٤٣، ومسلم (شرح النووى) كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ابن مريم ١٣٠/٨ رقم

٢٣٦٥ من حديث أبى هريرة .

(٤) النهاية ٢٦٣/٣، وينظر : الفائق فى غريب الحديث ٤٤/٣، والمنهاج شرح مسلم ١٣٢/٨ رقم

٢٣٦٥ .

المطلب الرابع فرية الغرائيق والرد عليها

تشبث بعض المستشرقين وأبواقهم المقلدون لهم بما ذكره بعض كتاب السيرة النبوية، وجماعة من المفسرين، وطوائف من المحدثين في كتبهم، بأقصوصة "الغرائيق" وألصقوها بهجرة الحبشة، وجعلوها سبباً لعودة المهاجرين الأولين إلى مكة.

وهي أقصوصة مختلقة، باطلة في أصلها وفصلها، وأكثوبة خبيثة في جذورها وأغصانها، واتخذ أعداء الإسلام منها سلاحاً للطعن في عصمة رسول الله ﷺ، من تسلط الشيطان عليه، وعصمته في بلاغه لوحى الله تعالى.

ورغم أن علماء المسلمين قديماً وحديثاً بينوا بأوضح ما يكون البيان زيفها وبطلانها؛ إلا أنك تجد من ينتصر لهذه الفرية، ويطل لها ويزمر من المستشرقين والمبشرين^(١) وكذا أبواقهم المقلدون لهم الذين زادوا على أعداء الإسلام الطعن في رواة السنة الشريفة والكذب عليهم بأنهم يصححون هذه الأكثوبة.

يقول نيازى عز الدين^(٢) : "بعد نزول الآية : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾^(٣) ألقى الشيطان نتيجة لتمنى الرسول ﷺ، ألا ينزل الله تعالى ما يغضب قومه من قريش، لأنه كان يطمع بإسلام بعض وجهائهم، فألقى الشيطان في أمنية الرسول وفي ذهنه بعض الكلمات، فاعتقد أنها من الوحي، فطلب من كتبه الوحي تسجيله وكتابته في نص القرآن الكريم^(٤) وكانت كما يلي : "أفرأيتم اللات والعزى، تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى" فسر القرشيون من المشركين بذلك، وسجدوا مع الرسول في الصلاة، ولكن بعد فترة نزل جبريل، وعاتب الرسول، وصحح الآية، ناسخاً ما ألقى الشيطان"^(٥).

(١) ينظر : الإسلام لأفريد هيوم ص ٣٥، ٣٦، وتاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ص ٣٤ .

(٢) كاتب سورى معاصر، هاجر إلى أمريكا، من مؤلفاته : إنذار من السماء، ودين السلطان - الذى زعم فيه أن السنة المطهرة، وضعها أئمة المسلمين، من الفقهاء والمحدثين، لتثبيت ملك السلطان، ويصرح بأنه - أى السلطان - معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، ويصرح بأن فقهاء المسلمين ومحدثهم قديماً، هم جنود السلطان وصار على درهم علماء المسلمين إلى يومنا هذا.

(٣) الآية ١٩ النجم.

(٤) قوله : اعتقاد الرسول بأنها من الوحي، فطلب... الخ، هذه زيادة كاذبة منه على رسول الله فوق كذب القصة.

(٥) إنذار من السماء ص ٤٣٧ .

ويكرر في موضع آخر الطعن في عصمة رسول الله ﷺ، وفي عصمته من الشرك، ومن تسلط الشيطان عليه، بتفسير آيات النهي عن الشرك، والنهي عن اتخاذ إله آخر مع الله عز وجل، بأنها خطاب من الله عز وجل لرسوله مرة ثانية عن قصة الغرانيق، وكأن حال لسانه يقول : قصة الغرانيق صحيحة، وبصحتها أشرك رسول الله، واتخذ إلهاً آخر، وتأمل كلامه بعد أن سبقه بذكر الآيات التالية قوله تعالى : ﴿وَلَا يَصْدُنْكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعَ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) وقوله سبحانه : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢) يقول : "فمن معاني الآيات ... يتبين أن الله تعالى يكلم الرسول مرة أخرى عن قصة الغرانيق، وأن شفاعتهن لترجي، ويوضح له كيف ألغاه الشيطان إلى لسانه، فأدخلها الرسول خطأ في القرآن، إلى أن أتى جبريل، ونبهه على الموضوع، فنسخ تلك الآيات وأتى بدلاً عنها بخير منها : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَىٰ. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾^(٣) وبين الله تعالى أسباب ذلك في الآية : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٤).

ويحاول بعض الشيعة الطعن في السنة النبوية وأهلها، وعلى رأسهم الإمام البخاري وصحيحه بإيهام القارئ أن فرية الغرانيق موجودة في صحيح البخاري. إذ يقول جعفر مرتضى العاملي بعد أن ذكر فرية الغرانيق قال : "وأضاف البخاري سجود الإنس والجن إلى مجموع المسلمين والمشركين..."^(٥) وَيَكْذِبُ أَحْمَدُ حَازِي السَّقَا^(٦) قَائِلًا : "فما نقول في قصة الغرانيق المروية في كتب الصحاح"^(٧) ولم يبين لنا ما هي كتب الصحاح التي روت تلك الفرية؟!.

(١) الآية ٨٧ القصص.

(٢) الآية ٨٨ القصص، ويراجع : ما سبق في توجيه هذه الآية وما قبلها ص ١٢٩ - ١٣٨ .

(٣) الآيات ١٩ - ٢١ النجم.

(٤) الآية ٥٢ الحج. وينظر : إنذار من السماء ص ٥٢٣ .

(٥) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ١٣٨/٣، وينظر : أبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين ص ١١٦،

ودفاع عن السنة المحمدية أو الخطوط الطويلة لمحمد بن علي الهاشمي ص ١٢، ٤١ .

(٦) كاتب مصري معاصر، حصل على العالمية في الدعوة من جامعة الأزهر، ورفض الأزهر تعيينه بالجامعة، من مؤلفاته التي شكك فيها في مكانة السنة النبوية، كتابيه دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي، وحقيقة السنة النبوية، وغيرهما .

(٧) دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي ص ٣٠ .

ويجاب عن هذه الفرية، وما اشتملت عليه من افتراءات أخرى بما يلي :

أولاً : إن هذه الأقصوصة المختلفة تنافي ما هو مقطوع به من عصمة رسول الله ﷺ، في عقيدته من الشرك والشك والضلال والغفلة، وعصمته من تسلط الشيطان عليه، وكذا عصمته من الخطأ والسهو في أمر التبليغ، وهو ما قام عليه إجماع الأمة، والأدلة القطعية من الكتاب والسنة، والسيرة العطرة، على ما سبق تفصيله^(١).

ثانياً : قيام الأدلة القطعية من القرآن الكريم على بطلانها، وأقرب دليل يشير إلى فساد هذه القصة ما يلي :

١- ما ذكره رب العزة في أول سورة النجم، مؤكداً بالقسم على عصمة نبيه ﷺ، في تبليغ وحيه، وأنه لا يخرج كلامه عن الحق، قال تعالى : ﴿والنجم إلى هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى﴾^(٢) فكيف ينتظم هذا مع ذكر في نفس السورة من نطقه ﷺ عن الهوى؟ بل وترديده ما يلقيه إليه الشيطان، على أنه آيات قرآنية إلهية؟! هذا مع قوله تعالى : ﴿ولو تقول عليه بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾^(٣). فما هو يتقول عليه، ولا يفعل به شيئاً؟ هل يعقل هذا؟!.

وإذا كانت هذه الآيات من سورة الحاقة، قد نزلت بعد سورة النجم، فإن ذلك لا يضر؛ مادامت الآية تعطى قاعدة كلية، ولا تشير إلى قضية خارجية خاصة، والقاعدة الكلية هنا : عصمته ﷺ فيما يبلغ عن ربه عز وجل.

٢- ما جاء في نفس السورة بعد الموضع الذي زعموا أنه ذكرت فيه الفرية من ذم أصنام المشركين "مناة، واللات، والعزى" والإنكار على عابديها، وجعلها أسماء لا مسمى لها، وأن التمسك بعبادتها أوهام وظنون. قال تعالى : ﴿إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾^(٤).

(١) يراجع : دلائل عصمته ﷺ في عقله ص ٤٨، والجواب عن شبهاتهم من القرآن على عدم عصمته ﷺ ص ١١٣، ودلائل عصمته ﷺ في نفل الوحي وتبليغ الرسالة من خلال القرآن والسنة والسيرة ص ٢٦٤.

(٢) الآيات ١-٤ النجم.

(٣) الآيات ٤٤ - ٤٧ الحاقة.

(٤) الآية ٢٣ النجم.

فلو أن القصة صحيحة لما كان هناك تناسب بينها، وبين ما قبلها وما بعدها، ولكن النظم مفككاً، والكلام متناقضاً. وكيف يطمئن إلى هذا التناقض السامعون، وهم أهل اللسان والفصاحة، وأصحاب عقول لا يخفى عليها مثل هذا، ولا سيما أعداؤه الذين يلتصمون له العثرات والزلات.

فلو أن ما روى كان واقعاً لشغب عليه المعادون له، ولارتد الضعفاء من المؤمنين، ولثارت ثائرة مكة، ولاتخذ منه اليهود بعد الهجرة متكناً يستندون إليه في الطعن على النبي ﷺ، والتشكيك في عصمته، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن.

٣- إن بعض الروايات الواردة في القصة ذكرت أن فيها نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُونَكَ عَلَيَّ أَوْحِينَا إِلَيْكَ لِنَفْتُنِيَ عَلَيْكَ غِيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيْلًا وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيْلًا﴾^(١).

وهاتان الآيتان، حتى لو لم تكونا سبب النزول، فهما تردان القصة؛ لأن الله ذكر أنهم كادوا يفتنونه، ولولا أن ثبت له كاد أن يركن إليهم، ومفاده أن الفتنة لم تقع، وأن الله عصمه وثبته حتى لم يكن يركن إليهم، فقد انتفى قرب الركون فضلاً عن الركون. فالأسلوب القرآني جاء على أبلغ ما يكون في تنزيه ساحته ﷺ عن ذلك، وهم يرون في أخبارهم الواهية، أنه زاد على الركون، بل افترى بمدح آلهتهم، وهذا يناقض ما تدل عليه الآية، وهو توهين للخبر لو صح، فكيف ولا صحة له؟^(٢).

٤- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾^(٣). وتأمل الأسلوب الإنكارى التوبيخى في قوله ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾ وهى أشد من مجرد مدح الأصنام.

(١) الآيتان ٧٣، ٧٤ الإسراء، وينظر: جامع البيان لابن جرير ١٣١/١٧.

(٢) الشفا ١٢٧/٢، ١٢٨ بتصرف، وينظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو

شبهة ١/٣٧١، ٣٧٢، وحياة محمد للدكتور محمد هيكمل ص ١٤٤.

(٣) الآيات ١١ - ١٥ الزمر.

فكل هذه الآيات وغيرها مما سبق ذكره في مواضع عصمته ﷺ^(١) مما يكذب هذه القصة، ويظهر زيفها ووضعها على رسول الله ﷺ.

ثالثاً : مخالفة القصة لحقائق تاريخ السيرة العطرة، إذ أن سورة النجم تحمل الحديث عن المعراج، وكان المعراج بعد السنة العاشرة من البعثة باتفاق، أما قصة الغرائق هذه فإن رواياتها تبين أنها كانت في السنة الخامسة للبعثة، إبان الهجرة الأولى للحبشة، في رمضان منها؛ وهذا مما يؤكد بطلان تلك المرويات، ويحقق كذبها ووضعها على رسول الله ﷺ. يضاف إلى ذلك أن الرسول ﷺ قبل إسلام عمر رضى الله عنه، ما كان يصلى عند الكعبة جهاراً نهاراً آمناً أذى المشركين له، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه، وإنما كان يصلى إذا خلا المسجد منهم، وعمر رضى الله عنه قد أسلم في السنة السادسة، وهذه في الخامسة، وبذلك يبطل هذا القول، وهو صلاته بحضورهم على هذه الهيئة. ومن المعلوم أن معاداتهم لرسول الله ﷺ، كانت أعظم من يقرأوا بهذا القدر من القراءة، دون أن يقفوا على حقيقة الأمر؛ فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً دون أن يتحققوا ذلك منه ﷺ^(٢).

رابعاً : ذهب جماهير علماء الأمة من المحدثين، ومن المحققين الذين جمعوا بين المعقول والمنقول إلى إنكار القصة، والجزم بوضعها واختلاقها^(٣) وإليك نماذج من أقوالهم :

١- قال القاضي عياض : "إن هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون، المولعون بكل غريب، المتلقفون

(١) يراجع : ص ١١٣ - ١٨١ .

(٢) الفصول الزكية في سيرة خير البرية للدكتور عبد الموجود عبد اللطيف ص ٢٨٤، ٢٨٥ .

(٣) القصة أخرجها ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ١٧/١٨٦، وابن أبي حاتم في تفسيره ٨/٢٥٠٠ رقم ١٣٩٩٨، وابن المنذر، ثلاثتهم من طرق عن سعيد بن جبير مرسل، وصلها البزار في مسنده، وكذا الطبراني، وابن مردويه، والضياء في المختارة من طريق آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقال ابن جبير فيما أحسب، شك في أن القصة محكمة، وأخرجه النحاس بسند فيه الواقدي عن ابن عباس، وابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وابن جرير في تفسيره ١٧/١٨٦ من طريق العوفي عنه، وعن محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبي العالیه، وكلها مرسل، وابن أبي حاتم في تفسيره ٨/٢٥٠٢ رقم ١٤٠٠٣، عن السدي، وموسى بن عقبة في المغازي عن الزهري، ومن طريق موسى بن عقبة أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/٢٨٥، ورواها الطبراني مرسل عن عروة بن الزبير، وفي سننه ابن لهيعة، ولا يحتمل هذا منه، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٧٢ . وينظر : ٦/٣٢ - ٣٤، والمعنى في الروايات السابقة كلها للقصة واحد، كما قال الحافظ في فتح الباري كتاب التفسير، باب سورة الحج ٨/٢٩٣، وينظر : مناهل الصفا في تخریج أحاديث الشفا للسيوطي ص ٢٢١ .

من الصحف كل صحيح وسقيم... ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين التابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها، ضعيفة واهية، والمرفوع فيه حديث ابن عباس^(١) وضعفه الأئمة أيضاً. ثم نقل القاضي عن الحافظ البزار قوله : "هذا الحديث - أى فرية الغرائيق - لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ، بإسناد متصل يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد وهو: "يوسف بن حماد، عن أمية بن خالد، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال ابن جبير : فيما أحسبه". وضعفه الإمام البزار بما يلي :

١- تفرد أمية بن خالد بنقل هذا الحديث مسنداً عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وغير أمية بن خالد يرويه مرسلاً عن سعيد بن جبير عن النبي ﷺ، ومن غير ذكر ابن عباس .

٢- وقوع الشك في حديث شعبة، فسعيد بن جبير، وإن كان معتمداً لكن تردد أن النبي ﷺ، كان بمكة في هذه القضية، أو غيرها .

٣- رواية الكلبي لهذا الحديث عن أبي صالح عن ابن عباس، مضعفة أيضاً بأن الكلبي غير ثقة، وأن أبا صالح لم يسمع من ابن عباس، ففيها انقطاع، والمنقطع من أقسام الضعيف^(٢) فلا يحتج به^(٣) .

قال القاضي عياض : "فقد بين لك أبو بكر البزار رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نبه عليه، مع وقوع الشك فيه الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه"^(٤) .

قلت : وفى ذلك رد على قول الإمام السيوطى فى رواية ابن عباس الموصولة، بأن إسنادها جيد^(٥) زد على ذلك ما نقله القاضي عن القاضي بكر بن العلاء المالكي فى بيانه لضعف القصة من حديث ضعف سندها واضطراب متنها بقوله : "لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء

(١) الشفا ١٢٥/٢، ١٢٦، وقال بقوله الإمام القسطلان صاحب المواهب اللدنية، وشارحه الزرقاني ١٥/٢ فى فاتحة كلامهما، ثم ذهبا إلى ما ذهب إليه ابن حجر، وسيأتى بيان كلام ابن حجر والتعقيب عليه أهـ .

(٢) وإذا كان من العلماء من يحتج بالضعيف إذا كثرت طرقه، وبناء عليه يعتمد حديث الغرائيق كابن حجر، فإننا سنعرف رأيه، ثم نناقشه فيه بعد قليل .

(٣) نسيم الرياض فى شرح الشفا للخفاجى ٨٧/٤، وينظر : الشفا ١٢٦/٢ .

(٤) الشفا ١٢٦/٢ .

(٥) مناهل الصفا ص ٢٢١ .

والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته : فقاتل يقول إنه في الصلاة، وآخر يقول : قالها في نادى قومه، حيث أنزلت عليه السورة؛ وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة، وآخر يقول : بل حدث نفسه فسها، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه، وأن النبي ﷺ لما عرضها على جبريل، قال : ما هكذا أقرأتكم؛ وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي ﷺ قرأها؛ فلما بلغ النبي ﷺ ذلك قال : والله ما هكذا نزلت؛ إلسى غير ذلك من اختلاف الرواة^(١).

٢- وقال الإمام الرازى : "أهل التحقيق قالوا : هذه الرواية باطلة موضوعة، ونقل عن الحافظ ابن خزيمة، أنه سئل عن هذه القصة فقال : هذا وضع من الزنادقة، وصنف فيه كتاباً، كما حكى عن الإمام البيهقي قوله : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواية هذه القصة مطعون فيهم"^(٢).

٣- وقال الإمام ابن حزم : "وأما الحديث الذى فيه "وإنهن الغرائق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى" فكذب بحث موضوع، لأنه لم يصح قط من طريق النقل، فلا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد"^(٣).

٤- وقال فضيلة الشيخ محمد الصادق عرجون بعد أن فند الروايات التى ذكرها الإمام السيوطى فى تفسيره، وأجاد فى الرد عليها بما يغنى عن ذكره قال : "ليس فى روايات فرية الغرائق، رواية قط متصلة الإسناد على وجه الصحة، ولم يذكر فى جميع الروايات صحابى قط على وجه موثق، وما ذكر فيه باسم ابن عباس، فكلها ضعيفة واهية خلا رواية سعيد بن جببر على الشك فى إسناده إلى الحبر ابن عباس، والشك يوهيها"^(٤).

(١) الشفا ١٢٥/١ .

(٢) التفسير الكبير ٥١/١٢ وقال أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط ٣٨٢/٦ معقباً على كلام البيهقي : ولذلك نزهت كتابى عن ذكره فيه أهـ المراد نقله. وقال الشوكانى فى فتح القدير ٤٦١/٣ "ولم يصح شئ من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه". وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٨/٥ .

(٣) الفصل فى الملل والنحل ٣٠٨/٢، ٣٠٩، ٣١١ .

(٤) محمد رسول الله ﷺ ٦٩/٢ .

خامساً : القصة لم يخرجها أصحاب الكتب الصحاح :

فرية الغرائيق لم يخرجها أحد من أصحاب الصحاح، ولا أحد من أصحاب الكتب المعتمدة كالسنن الأربعة، ومسنند الإمام أحمد، كما زعم كذباً بعض أعداء السنة المطهرة والسيرة العطرة^(١) والذي رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس : "أن النبی ﷺ قرأ النجم وهو بمكة، فسجد معه المسلمون والمشركون، والجن، والإنس" وفى رواية للبخارى أيضاً عن ابن مسعود قال : "أول سورة أنزلت فيها سجدة "والنجم" قال : فسجد رسول الله ﷺ، وسجد من خلفه، إلا رجلاً رأيت أنه أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيت أنه بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف"^(٢).

فأنت ترى هنا أن البخارى اقتصر على هذا الجزء الصحيح من القصة، وليس فيه البتة فرية الغرائيق! فأين هذا مما يزعمه بعض الرافضة من إيهام القارئ أن فرية الغرائيق ذكرها الإمام البخارى فى صحيحه؟!^(٣).

سادساً : سؤال بعضهم :

كيف سجد المشركون عند نهاية السورة لقوله تعالى : ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾^(٤) مع أنهم يرفضون السجود لله؟ قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نفوراً﴾^(٥).

فالجواب :

إن سجد أهل الشرك كان لما سمعوه من أسرار البلاغة الفائقة، والفصاحة البالغة، وعيون الكلم، الجوامع لأنواع من الوعيد والإنكار، والتهديد والإنذار، وقد كان العربى يسمع القرآن فيخر له ساجداً^(٦).

(١) يراجع : قول أحمد حجازى السقا ص ٣١٠ .

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب فاسجدوا لله واعبدوا ٤٨٠/٨ رقمى ٤٨٦٢، ٤٨٦٣ .

(٣) يراجع : قول : جعفر مرتضى العاملى ص ٣١٠ .

(٤) الآية ٦٢ النجم .

(٥) الآية ٦٠ الفرقان. وينظر : الصحيح من سيرة النبی لجعفر مرتضى العاملى ١٤٥/٣ .

(٦) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة ٣٦٧/١ .

يقول الأستاذ سيد قطب : "سجود المشركين كان لاعتبارين :

الاعتبار الأول : كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن . ولهذه الإيقاعات المزلزلة في سياق هذه السورة... خصوصاً إذا كان القارئ هو سيدنا رسول الله ﷺ، الذي تلقى هذا القرآن مباشرة من مصدره، وعاشه وعاش به، وأحبه حتى لكان يتقل خطاه إذا سمع، من برثله داخل داره، ويقف إلى جانب الباب يسمع له حتى ينتهى .

وفى هذه السورة بالذات كان يعيش لحظات عاشها في الملأ الأعلى، وعاشها مع الروح الأمين، وهو يراه على صورته الأولى .

والاعتبار الثانى : أن أولئك المشركين لم تكن قلوبهم ناجية من الرعدة والرجفة، وهم يستمعون إلى سيدنا محمد ﷺ. إنما كان العناد المصطنع هو الذى يحول بينهم وبين الإذعان .

ومثل هؤلاء إذا استمعوا إلى سورة النجم من رسول الله ﷺ فأقرب ما يحتمل أن تصادف قلوبهم لحظة الاستجابة التى لا يملكون أنفسهم إزاءها، وأن يأخذوا بسلطان هذا القرآن؛ فيسجدوا مع الساجدين بلا غرائق ولا غيرها من روايات المفتريين^(١) .

قلت : فسجودهم كان معجزة لرسول الله ﷺ، بقره المشركين، وإجبارهم على السجود، كما قال عز وجل : ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(٢) وكما ألقى سحرة فرعون ساجدين لما رأوا معجزة سيدنا موسى عليه السلام، تلقف ما يأفكون، ألقى كفار قريش سجداً لمعجزة سيدنا رسول الله ﷺ، وهى معجزة سيخر لها أهل الكفر إلى يوم الدين أهـ .

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٢٠ - ٣٤٢٢ .

(٢) الآية ٤ الشعراء .

سابعاً : الرد على المثبتين للقصة :

سبق التنويه على أن بعض المفسرين، والمحدثين، ذكروا قصة الغرائيق فى كتبهم، وقرروا قبول سندها، مع ردهم لما جاء فيها من مدح الأصنام "تلك الغرائيق العلا... الخ" وتأويلهم لها .

والجدير بالذكر هنا ما قاله الإمام ابن حجر، لأنه عالم متبحر محقق تابعه فى كلامه أئمة أعلام أيضاً^(١) وكذلك لأن كلام الإمام اعتمد على الصناعة الحديثية، فاستحق التنويه والتعقيب بخلاف غيره^(٢) قال الإمام ابن حجر بعد تصريحه القاطع فى الحكم على روايات القصة بالضعف والانقطاع قال : "لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين، أحدهما : ما أخرجه الطبرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والثانى : عن أبى العالية^(٣) .

قال الحافظ : وقد تجرأ أبو بكر بن العربى كعادته فقال : ذكر الطبرى فى ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها^(٤) وهو إطلاق مردود عليه، وكذا رد الحافظ كلام القاضى السابق ذكوه، ثم قال : وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر، وهو قوله : "الْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ : تلك الغرائيق العلا، وإن

(١) كالسيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٥، ومناهل الصفا ص ٢٢١، والقسطلانى فى المواهب اللدنية، والزرقانى فى شرحه على المواهب ٢/١٩ - ٢٦، وذلك فى نهاية كلامهما، بعد أن كانا فى فاتحته مع ما قاله القاضى عياض من رد القصة وإبطالها .

(٢) مثل الإمام ابن تيمية فى كتابه الفتاوى ١٠/١٧٠ - ١٧٢ حيث عمم الكلام فى إثبات القصة دون تحقيق منه، على خلاف عادته وقد كفانا فى الرد عليه فضيلة الشيخ عرجون فى كتابه محمد رسول الله ﷺ ٢/٨٧ - ١٠٤، ومثل الشيخ إبراهيم حسن الكوراني، ورأيه فى ثبوت القصة ساقه الألوسى فى روح المعاني ١٠/٢٦٤، ورد عليه بما شفى وكفى، كما قام بالرد على الكوراني أيضاً الشيخ عرجون، ووصف كلامه فى إثبات القصة بأنه رأى متزايد أھوج، خرج فيه عن جادة الأدب مع رسول الله ﷺ، وهووره فى حماقة لا يعرفها أهل العلم والإيمان. ينظر : محمد رسول الله ﷺ ٢/١٠٥ - ١٢٩ .

(٣) جامع البيان ١٧/١٨٦، ١٨٧، ويراجع : تخريج القصة ص ٣١٣ .

(٤) ينظر : أحكام القرآن ٣/١٢٩٠ .

شفاعتهم لترتجى" فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ﷺ، أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس منه، وكذا سهواً، إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته^(١).

والكلام مع الإمام الحافظ ابن حجر فيما قاله يجرى على وجوه :

الوجه الأول : يتعلق بروايات القصة والتي ساقها الحافظ ثم عقب عليها بقوله : "وكلها سوى طريق سعيد بن جبير، إما ضعيف، وإما منقطع"^(٢) أى فلا تقوم به حجة، وهذا نص قاطع من ابن حجر يضاف إلى نصوص الأئمة السابق ذكرها، فى أن روايات هذه القصة ضعيفة السند، واهية المخرج، لا تصلح للاحتجاج بها، بما فى ذلك طريق ابن جبير على ما سبق .

الوجه الثانى : يتعلق بعصمة رسول الله ﷺ، فى بلاغ وحى الله تعالى، وعدم الخطأ فيه، لا عمداً ولا سهواً، وكذا عصمته من تسلط الشيطان عليه، وهى عصمة ثابتة له ﷺ، بشهادة القرآن والسنة والتاريخ، وإجماع الأمة على ما سبق شرحه^(٣) وهو ما يتعارض مع ما جاء فى هذه القصة من تسلط الشيطان عليه، وإلقائه على لسان رسول الله ﷺ، فى ثأيا تلاوته آيات الله المنزلة بالوحى، أخبث كلمات الكفر التى تشيد بالأوثان مدحاً وتعظيماً، وهو ما ينقض بنيان العصمة من أساسه؟.

الوجه الثالث : يتعلق بالثقة بوحى الله تعالى إلى رسله، فإذا فتح للشيطان أدنى منفذ للتسلط على رسل الله تعالى، وتلقينهم أخبث الكفر، دون أن ينتبهوا إلى ما يلقى إليهم من ذلك، ويبلغوه إلى أممهم فيما يبلغونه عن الله تعالى، لم يبق للأمة ثقة فيما تسمع من رسولها، وهذا بلا شك، هدم لدعوات الرسل، وإبطال لرسالاتهم .

الوجه الرابع : يتعلق بالثقة بنبيينا سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ فى معرفته بأسلوب القرآن ومعانيه، معرفة لا نسمو عليها معرفة أحد، لأنه القيم على تمييز أسلوبه وروعة بيانه، والمثل الأعلى فى العلم بحقائقه الإيمانية، فإذا جاز أن يلقى إليه الشيطان كلمات أخبث الكفر، فى أثناء تلاوته لآيات الله تعالى، الموطدة لدعائم التوحيد، وهدم الوثنية والشرك - كما تزعم أقصوصة الغرائيق - على سمع جموع المسلمين، والمشركين، ثم لا يتنبه لذلك، ولا يميز بين ما هو قرآن كريم من عند

(١) فتح البارى، كتاب التفسير، باب سورة الحج ٢٩٣/٨ .

(٢) فتح البارى فى الأماكن السابقة نفسها .

(٣) تراجع : ص ٢٦٤ - ٢٧٨ .

الله تعالى؛ وما هو كفر خبيث من إلقاء الشيطان، فماذا بقى لهذا الرسول الكريم من ثقة فى نفوس المؤمنين به؟

فقول الحافظ ابن حجر بعد سوقه كلام القاضيين أبى بكر بن العربى، وعياض : وجمع ذلك لا يتمشى على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخرجها، دل ذلك على أن لها أصلاً. من أغرب قضايا العلم فى منهج الإسلام؛ فالأمر يتعلق بأقصوصة إذا سلمت كانت معولاً هداماً لأصل أصول الإسلام، بل أصل أصول الدين كله فى جميع رسالات الله تعالى إلى جميع أنبياءه ورسله، لأنها تطعن فى عصمة الأنبياء، وتقرر أن الشيطان صاحب سلطان عليهم، وهذه مزلة لا ينتهى من يقع فيها إلا إلى هاويه لا قرار لها.

الوجه الخامس : أن قاعدة الطرق إذا كثرت وتباينت مخرجها دلت على أن موضوع الروايات له أصل ليست على عمومها، وفى باب العقائد لا يقبل إلا النص الصحيح المقطوع بصحته، وفى غير أبواب العقائد من الأحكام الفرعية، فإن هذه القاعدة مقيدة، كما قال المحدثون. بالضعف الذى يزيله ما يجبره، وذلك إذا كان الضعف ناشئاً عن ضعف حفظ الراوى، أما الضعف الذى لا يزول لقوته، وتقاعد الجابر عن جبره ومقاومته فلا وزن له، ولو جاء من سبعين طريقاً متباينة المخرج، وذلك كالضعف الذى ينشأ من كون الراوى متهماً بالكذب - كما فى بعض روايات أقصوصة الغرائيق التى جاءت من طريق الكلبى^(١) وهو كذوب ولا تجوز الرواية عنه، ومثل ذلك كون الحديث شاذاً^(٢).

ثم قال الحافظ ابن حجر : وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها - أى من روايات قصة الغرائيق - على شرط الصحيح، وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض.

(١) هو محمد بن السائب بن بشير الكلبى، متهم بالكذب، ورمى بالرفض، ورضوه فى التفسير، كما قال الحافظ فى تقريب التهذيب ٧٨/٢ رقم ٥٩٢٠، ولسان الميزان ١٠٤/٩ رقم ١٤٢٢١ وينظر : الضعفاء لأبى نعيم ص ١٣٨ رقم ٢١٠، والضعفاء والمتروكين للنسائى ص ٢١١ رقم ٥٣٩، والضعفاء الصغير للبخارى ص ١٠٥ رقم ٣٢٢.

(٢) ينظر : فتح المغيب للسخاوى ٣١١/١ - ٣١٤، والبصرة والتذكرة للعراقى ٢٩١/١، وتوضيح الأفكار للصنعانى ١٠٩/١ - ١١٣، والأجوبة الفاضلة لمحمد اللكنوى ص ٣٦ وما بعدها.

قلت : إن هذا التعميم فى الاحتجاج بالمرسل عند من يقول به، ومن لا يقول به غير مسلم، لأن الخلاف فى الاحتجاج بالمرسل إنما هو فى أحكام الفروع، ولا يمكن أن يكون جارياً فى أصول العقائد، لأنها لا تثبت إلا بدليل صحيح، والمرسل ضعيف عند جمهور المحدثين كما قال الإمام مسلم : "إن المرسل من الروايات فى أصل قولنا، وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة"^(١) وقال ابن الصلاح : "ثم اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف، إلا أن يصح مخرجه من وجه آخر، وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل، والحكم بضعفه هو المذهب الذى استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث، ونقاد الأثر"^(٢).

الوجه السادس : أن الإمام ابن حجر يرى فى القصة ما هو محال أن يقع من رسول الله ﷺ، وهو الزيادة فى القرآن عمداً أو سهواً، بيد أنه لم يشأ أن يقف عند هذه النتيجة التى كانت أمراً طبيعياً يسوق إليها البحث العلمى، وينتهى بها إلى أن هذه الأقصوصة أكنوبة باطلة، ما كانت تستحق أن تجول صاحبة ذيلها فى ساحة سيرة سيد المرسلين محمد ﷺ، ولكنه خضع لقواعد الصنعة فى غير محلها - حيث يمس الأمر العقائد - وراح يتشبه بالتأويل فيما رآه محالاً، وحكى من ضروب هذا التأويل أقوالاً كلها بعيدة عن نص روايات القصة. وحتى التأويل الذى استحسنه ورجحه بعض الأئمة، بالتأمل فيه ترى أنه غير مقبول، وترده نص روايات القصة^(٣).

انظر مثلاً : قول القاضى : "والذى يظهر ويترجح عند ابن العربى^(٤) وعند غيره من المحققين على تسليمه، أن النبى ﷺ كان كما أمره ربه يرثل القرآن ترتيلاً، ويفصل الآى تفصيلاً فى قراءته، كما رواه النقائت عنه، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات، ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات، محاكياً نغمة النبى ﷺ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول النبى ﷺ وأشاعوها"^(٥).

(١) مقدمة صحيح مسلم، باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن ١/١٦٣ .

(٢) علوم الحديث ص ٤٩ .

(٣) ينظر : محمد رسول الله ﷺ للشيخ عرجون ٢/٨١ - ٨٦ بتصرف .

(٤) أحكام القرآن ٣/١٢٩٠ .

(٥) الشفا ٢/١٣٠، وشرحه لعلى القارى ٢/٢٣٤ .

قلت : وهذا التأويل الراجح عند ابن العربي، وارتضاه الحافظ^(١) وغيره ممن تابعه قديماً وحديثاً، ما أضعفه عند النظر والتأمل، فهو يوقع القائل به فيما فر منه، وهو تسلط الشيطان على رسول الله ﷺ، وعدم عصمته فيما يبلغ عن ربه عز وجل، حيث أن التسلط بالمحاكاة كالتسلط عليه بالإجراء على لسانه، كلاهما لا يجوز، وفتح هذا الباب خطر على الرسالات الإلهية .

وإذا سلمنا أن الشيطان هو الذى نطق بهذا المنكر من القول فى أثناء سكوت النبى ﷺ؛ فكيف لم يسمع ما حكاه الشيطان؟! وإذا كان سمعه فلم لم يبادر إلى الإنكار، والبيان فى مثل هذا واجب على الفور؟! .

وإذا لم يسمع النبى! ألم يسمع أصحابه؟ وإذا سمعوا فلم لم يبادروا إلى تنبيه الرسول ﷺ؟! .

وأهون من هذا فى الإبطال وأشد فى الاستغراب ما ذكره موسى بن عقبة فى مغازيه، من أن المسلمين ما سمعوها، وإنما ألقى الشيطان بهذه المقالة فى أسماع المشركين!! .

فهل كان الشيطان يسر بها فى آذان المشركين دون المسلمين؟ ثم كيف يتفق هذا الذى اختاروه، وما روى من أن النبى ﷺ حزن حزناً شديداً، وأن جبريل قال له : ما جنتك بهذا؟!^(٢) .

فإذا كان هذا المستحسن عن بعض الأئمة ترده نفس الروايات الضعيفة، فمن باب أولى باقى التأويلات التى ذكر معظمها الإمام ابن حجر وردها كما ردها من سبقه من الأئمة^(٣) .

معنى آية التمنى :

وإذ قد انتهينا إلى هذه النتيجة الممحصّة، فأية التمنى فى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٤) لا صلة لها بفرية الغرائيق لما يلى :

-
- (١) فتح البارى، كتاب التفسير، باب سورة الحج ٢٩٤/٨ .
 (٢) ينظر : السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبة ٣٦٩/١، والروض الأنف للسهلى ١٥٣/٢، ١٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٤٠/٥ .
 (٣) ينظر : الشفا ١٢٩/٢، ١٣٠، وفتح البارى ٢٩٣/٨، ٢٩٤، ومحمد رسول الله ﷺ ١٣٨/٢ - ١٤٦، والتفسير الكبير للرازى ١٢/٥٢ - ٥٥ .
 (٤) الآية ٥٢ الحج .

١- آية التمني في سورة الحج، وهي مدنية بالاتفاق، ولا سيما وأنه قد ورد فيها الأمر بالأذان في الناس بالحج، والأمر بالقتال، والأمر بالجهاد، ونكر فيها الصد عن المسجد الحرام، وكل ذلك إنما كان بعد الهجرة، وبعضه أتى بعدها بعدة سنوات، وهذا يعني أن هذه الآية قد نزلت بعد الغرانيق بسنوات عديدة، لأن قصة الغرانيق قد حصلت في السنة الخامسة من البعثة، فكيف أخر الله تسليية وتهنئة خاطر الرسول ﷺ هذه السنين الطويلة؟!.

إن آية التمني ليس فيها دلالة على شيء من فرية الغرانيق من قريب أو بعيد، لولا ما افتراه الزنادقة من مراسيل واهية في أسباب نزولها! وقد فسر آية التمني كثير من جهابذة علماء الإسلام في تفاسيرهم المتداولة بين الأمة، ولم يظهر لهم قط حاجة إلى إلصاق القصة بتفسير الآية، ومن هؤلاء المفسرين الجهابذة، أبو حيان في تفسيره (البحر المحيط)^(١) والشوكاني في تفسيره (فتح القدير)^(٢) وأبو بكر بن العربي في (أحكام القرآن)^(٣) على أن معنى الآية لا ينسجم مع مفاد الرواية، فإن التمني هو : تنهى حصول أمر محبوب ومرغوب فيه^(٤) فالرسول ﷺ إنما يتنهى ويتمنى ما يتناسب مع وظيفته كرسول، وأعظم أمنية لإنسان كهذا، هي ظهور الحق والهدى، وطمس الباطل، وكلمة الهوى، فيلقى الشيطان بغوايته للناس ما يشوش هذه الأمنية، ويكون فتنة للذين في قلوبهم مرض، كما ألقى فيما بين أمة موسى من الغواية ما ألقى، فينسخ الله بنور الهدى غواية الشيطان، ويظهر الحق للعقول السليمة.

أما لو أردنا تطبيق الآية على ما يقولون : فإن المراد بالتمنى يكون هو القراءة والتلاوة، وهو معنى شاذ غريب، يخالف الوضع اللغوي، وظاهر اللفظ، أما الشعر المنقول عن حسان بن ثابت، كشاهد على ذلك، فمشكوك في نسبته إليه^(٥).

وحتى لو قبلنا أن المراد بالتمنى هو التلاوة، فإن من الممكن أن يكون المراد من الآية هو : إعلام المولى عز وجل لرسوله ﷺ، بأن من أرسل قبله من الرسل كان إذا تلا ما يؤديه إلى

(١) ٣٨٢ - ٣٨٠/٦ .

(٢) ٤٦١/٣ .

(٣) ١٢٩٢ - ١٢٨٧/٣ .

(٤) ينظر : لسان العرب ١٤٠/١ - ١٤٤ حيث ساق شواهد من الحديث والآثار وكلام أئمة اللغة، تدل على أن معنى التمني والأمنية، هو : الإرادة والمحبة، والرغبة في حصول الشيء واشتغاء وقوعه أهم.

(٥) ينظر : الصحيح من سيرة النبي الأعظم ١٤٤/٣، ومحمد رسول الله ٧٠/٢، ٧٣ .

قومه، حرفوا عليه، وزادوا فيما يقوله ونقصوا، كما فعلت اليهود والنصارى فى الكذب على أنبيائهم قال تعالى : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمِ آخِرِينَ لَمْ يَأْتَوْكَ بِحَرْفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مُوَاضِعِهِ﴾^(١) وقال سبحانه : ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٢) وقال عز وجل : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾^(٤) فأضاف ذلك إلى الشيطان لأنه يقع بوسوسته وغروره، ثم بين الله عز وجل أنه يزيل ذلك ويدحضه بظهور حجته وينسخه بشريعة نبيه ومصطفاه ﷺ، تلك الشريعة التى تعهد رب العزة بحفظها فى قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٥).

وفى هذه المعانى قال أبو حيان : "ذكر الله تعالى مسلاة لنبيه، باعتبار من مضى من الرسل والأنبياء، وهو أنهم كانوا حريصين على إيمان قومهم، متمنين لذلك، مثابرين عليه، وأنه ما منهم أحد إلا وكان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه، وبث ذلك إليهم، وإلقائه فى نفوسهم، كما أنه ﷺ كان من أحرص الناس على هدى قومه، وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحارث، يلقون لقومه، وللوافدين عليه شبهات يثبطون بها عن الإسلام، ولذلك جاء قبل هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾^(٦) وسعيهم بإلقاء الشبه فى قلوب من استمالوه، ونسب ذلك إلى الشيطان؛ لأنه هو المغوى والمحرك شياطين الإنس للإغواء لما قال "لأغوينهم" ومعنى : ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ يزيل تلك الشبه شيئاً فشيئاً حتى يُسَلِّمَ الناس كما قال : ﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(٧) ﴿ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ معجزاته يظهرها محكمة لا لبس فيها ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ من تلك الشبه وزخارف القول "فتنة" لمريض القلب ولقاسية، وليعلم من أوتى العلم أن ما تمنى الرسول والنبي من هداية قومه، وإيمانهم هو

(١) جزء من الآية ٤١ المائدة.

(٢) الآية ٤٦ النساء.

(٣) الآية ٧٥ البقرة.

(٤) الآية ١٠٢ البقرة.

(٥) الآية ٩ الحجر، وينظر : تزييه الأنبياء للموسوى ص ١٠٧، وعهد رسول الله ٧٢/٢ - ٧٨ .

(٦) الآية ٥١ الحج.

(٧) الآية ٢ النصر.

الحق. وهذه الآية ليس فيها إسناد شئ إلى رسول الله ﷺ، إنما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل والأنبياء إذا تمنوا^(١).

وصفوة القول : أن الذين أثبتوا القصة أجمعوا على رد معناها حيث جمعت بين ضعف السند والمتن، وقوة المعارض من القرآن الكريم، وتاريخ سيرته ﷺ العطرة، وإجماع الأمة على عصمة رسول الله ﷺ من كل ما يخل بالتبليغ، وهذا كله يدعونا إلى أن نصدع بأن قصة الغرائق مكنوبة، اختلقها الزنادقة الذين يريدون إفساد الدين، والطنن في عصمة سيد الأنبياء وإمام المخلصين ﷺ.

وبعد :

فإن الناظر فيما ساقه القوم من شبهه - يلاحظ مدى تحير القوم، وترددهم واضطرابهم، في تحديد المصدر الذى صدر عنه الوحي الذى جاء به رسول الله ﷺ.

فانظر كم قلبوا من وجوه الرأى فى هذه المسألة؟ فمرة يقولون كذا، ومرة يقولون كذا، كما علمت فى المطالب السابقة. فإن شئت أن تطلع على هذه الصورة المضحكة من البلبلة الجدلية فأقرأ وصفها فى قوله تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾^(٢).

فهذه الجملة القصيرة تمثل لك بما فيها من توالى حروف الإضراب مقدار ما أصابهم من الاضطراب فى رأسهم، وتريك صورة شاهد الزور إذا أحس بحرج موقفه، كيف ينقلب ذات اليمين وذات الشمال.

وإذا كان أعداء الإسلام من المستشرقين يتحIRON ويضطربون فى تحديد مصدر الوحي، فإذئالهم وأبواقهم من أعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة هم كذلك يتحIRON ويتناقضون؛ وهم يطعنون فى الوحي المنزل على رسول الله ﷺ.

فإلى بيان ذلك فى المبحث التالى.

(١) البحر المحيط ٦/ ٣٨١.

(٢) الآية ٥ الأنبياء.

المبحث الثانى شبهات أعداء السنة المطهرة حول الوحي الإلهى والرد عليها

تمهيد :

إذا كان أعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة يتظاهرون بإسلامهم وإيمانهم بكتاب الله عز وجل، فإنك تجدهم يعلنون فى صراحة الكفر بالشطر الثانى من الوحي الإلهى المنزل على رسول الله ﷺ، وهو سنته المطهرة، وسيرته العطرة الواردة فيها .

وهذا يبدو واضحاً حين رسموا من خيالهم المريض صورة مزيفة لدور رسول الله ﷺ فى رسالته؛ وهى صورة إجمالية لا تخرج عن نور "ساعى البريد" إن صح التعبير فى جناب مقامه ﷺ الجليل .

إنهم يرون أن مهمة رسول الله ﷺ فى رسالته، قاصرة على بلاغ القرآن فقط، ومن هنا أنكروا سنته المطهرة، وسيرته العطرة الواردة فيها. وزعموا أن طاعته ﷺ، محصورة فى كتاب الله عز وجل فقط! .

ولأنهم يتمسحون بظاهر الآيات القرآنية وجدوا أنفسهم فى مأزق من خلال عشرات الآيات التى تحض على طاعته ﷺ، وتجعل طاعته من طاعة الله تعالى؛ فلم يعدموا لها تأويلاً، يزعمهم أن طاعة رسول الله ﷺ، فى القرآن تعنى الطاعة لكتاب الله عز وجل، ولم يكتفوا بهذا إذ زعموا أن القول بطاعة رسول الله ﷺ شرك وتآليه له، ومن يقول بها فقد كفر وأشرك بربه .

وهم فى كل ما يافكون يستترون بعباءة القرآن الكريم حتى يقبل المسلمون كلامهم، ولكن أنى لهم هذا! وهم يفسرون آيات الله عز وجل، تفسيراً يخرجها عن معناها تماماً، وهو نتيجة طبيعية لعدم التزامهم بقواعد التفسير، وأصول الفكر الإسلامى .

فإلى تفصيل شبهاتهم والرد عليها فى المطالب التالية .

المطلب الأول

شبهة أن مهمة رسول الله ﷺ قاصرة على بلاغ القرآن فقط
والرد عليها

طعن أعداء السنة المطهرة، في دور رسول الله ﷺ في تبليغ الوحي، وحصروا بلاغه في الرسالة، على تبليغ القرآن الكريم فقط، وقالوا هي مهمته الوحيدة، وعدوا القول بخلاف قولهم اتهم لرسول الله ﷺ، بأنه فرط في تبليغ الوحي .

وجاءت أقوالهم فيما يفترون صريحة، وإليك نماذج منها :

١- قال رشاد خليفة^(١) : "إن مهمة الرسول الوحيدة : هي تبليغ القرآن بدون أى تغيير، أو إضافة، أو اختزال، أو شرح"^(٢). وقال في موضع آخر : "أمر محمد بتبليغ القرآن فقط بدون أى تغيير، وألا يختلق أى شئ آخر" ويقول : "محمد ممنوع من التفوه بأى تعاليم دينية سوى القرآن"^(٣).

٢- ويقول محمد نجيب^(٤) : "نسبة أى شئ للرسول غير القرآن طعن في أمانة الرسول ﷺ"^(٥).
٣- ويقول أحمد صبحي منصور : "إن إسناد قول ما للنبي وجعله حقيقة دينية هو اتهام للنبي بأنه فرط في تبليغ الرسالة... بإيجاز كانت مهمة النبي مقتصرة على التبليغ دون الإفتاء والتشريع"^(٦).

(١) هو : رشاد عبد الحليم محمد خليفة، حصل على بكالوريوس الزراعة من جامعة عين شمس، بمصر، عمل خبيرا زراعيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان عميلا للبهائية ويدعوا إليها، وينكر حجية السنة النبوية، ادعى النبوة، ومات مقتولا داخل مسجد قريب من جامعة أريزونا، حيث كان يقوم بتدريس أفكاره البهائية التي تشكك في الإسلام، وفي حجية السنة المطهرة، ينظر : قصته في كتابي الدفاع عن السنة ص ٤٢ وما بعدها، ومسيملة في مسجد توسان ص ١٦، ٧٠ كلاهما لفضيلة الدكتور طه حبيشى، وينظر: رشاد خليفة صنعة الصليبية العالمية للدكتور خالد نعيم ص ١٦ - ٥٩ .

(٢) القرآن والحديث والإسلام ص ١٣، وينظر : من نفس المصدر ص ١٧، ١٨، ٣٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٢، ٣، وينظر له أيضا : قرآن أم حديث ص ١٦ .
(٤) كاتب مصرى معاصر، من مؤلفاته "الصلاة" أنكر فيه السنة المطهرة، وزعم أن تفاصيل الصلاة واردة في القرآن الكريم، وكتابه صادر عن ندوة أنصار القرآن، نشر دائرة المعارف العلمية الإسلامية .
(٥) الصلاة ص ٢٧١، ٢٧٢ .

(٦) مشروع التعليم والتسامح لأحمد صبحي وغيره ص ٢٨٢ وينظر من نفس المصدر ص ٢٨٧، ٢٩٣، وينظر له : الأنبياء في القرآن ص ٢٦، ولماذا القرآن ص ٤٣ - ٥٢، ولا ناسخ ولا منسوخ في القرآن ص ١٩، والمسلم العاصى ص ١٣ .

٤- ويقول إسماعيل منصور^(١) : "إنه ليس لجبريل عليه السلام فى القرآن الكريم دور إلا النقل الأمين فحسب، كما أنه ليس لمحمد فيه دور كذلك إلا البلاغ الصادق وحده. قال تعالى : ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾"^(٢) وقال سبحانه : ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾"^(٣).

٥- ويقول جمال البنا^(٤) : "ونصوص القرآن الكريم واضحة، وصريحة، ومتعددة، وهى تحصر دور الرسول فى البلاغ، وكثيرا ما تأتى الإشارة إلى البلاغ بصيغة الحصر، ولكنها فى حالات أخرى تضيف إلى البلاغ صفة "المُبِين" قال تعالى : ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾"^(٥) وقال سبحانه : ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾"^(٦).

ويجاء عن هذه الشبهة بما يلى :

أولا : لكل مسلم أن يعجب من جرأة هؤلاء الأعداء الذين يتسترون بعباءة القرآن الكريم، فى جرأتهم وتناولهم على الذات العليا من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

إذ بعثة الرسول أو النبى، وتحديد دوره فى رسالته أمر لا يملك منه أحد شئ سوى الخالق عز وجل؛ وتلك بديهة لا يخالفها عاقل .

فإذا جاء أعداء السنة المطهرة، وزعموا أن مهمة رسول الله ﷺ قاصرة على بلاغ القرآن فقط، وأن نسبة أى شئ إليه سوى القرآن يعنى الطعن فى أمانته، وأنه فرط فى تبليغ الرسالة، فقد تجرأوا وتناولوا على ربهم. حاسبهم سبحانه بما يستحقون .

(١) هو : إسماعيل منصور جودة، تخرج من جامعة الأزهر، وحصل على العالمية فى الطب البيطرى من الجامعة، تراء من السنة، وزعم أنها أكذوبة كبيرة وخطيرة، وداهية كبرى، أريد بها التشويش على كلام الله تعالى. من آثاره : تبصير الأمة بحقيقة السنة، وشفاء الصدر بنفى عذاب القبر، وبلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين. وغير ذلك .

(٢) جزء من الآية ٤٨ الشورى .

(٣) الآية ٥٤ النور، وينظر : تبصير الأمة بحقيقة السنة ص ٢٦٧، ٢٦٨ .

(٤) هو : ابن العالم المحدث الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، صاحب الفتح الربانى فى ترتيب مسند أحمد، وشقيق الأستاذ حسن البنا، المرشد الأول لجامعة الإخوان المسلمين، من آثاره التى طعن فيها فى حجية السنة، الأصولان العظيمان، والسنة ودورها فى الفقه الجديد. وغير ذلك .

(٥) جزء من الآية ٢٠ آل عمران .

(٦) الآية ١٢ التغابن. وينظر : السنة ودورها فى الفقه الجديد ص ١٩٠، وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص ١٥٢، والبيان بالقرآن لمصطفى المهدوى ١/١٢، ٢/٧٩٣، ومجلة المنار المجلد ٩/٥٢١، ٥٢٢ مقال : "الإسلام هو القرآن وحده" للدكتور توفيق صدقي، وينظر : المجلد ٩/٩٠٩، ٩١٣، وإنذار من السماء لنيازى عز الدين ص ١٤١، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ١٢٩، والخدعة رحلت من السنة إلى الشيعة ص ٤٠ كلاهما لصالح الوردانى .

ثانياً : إذا كان أعداء السنة المطهرة والسيرة العطرة اتخذوا لأنفسهم شعار "القرآنيون" يستدلون به وحده على ما يزعمون؛ فهم يحرصون دائماً على الإيمان ببعض القرآن، والكفر ببعضه الآخر؛ حيث أنهم هنا في افتراءاتهم يستدلون بظاهر وعموم بعض الآيات القرآنية التي تحت رسول الله ﷺ، على البلاغ، وتركوا باقى نصوص القرآن الكريم التي تفصل حقيقة هذا البلاغ، وتفصل أيضاً باقى أدوار رسول الله ﷺ، فى رسالته .

والإليك شواهد من الآيات القرآنية ترد على افتراءاتهم، وتبين فى وضوح وجلاء أن دور رسول الله ﷺ فى رسالته ليس قاصراً على بلاغ القرآن الكريم فقط، وإنما بيان هذا الكتاب الكريم، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتركيتهم، والحكم بينهم فى كل شأن من شئون حياتهم، وما كل ذلك إلا بالسنة المطهرة، والسيرة العطرة التي ينكرونها .

١- قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١) والبلاغ للذى أمر المولى عز وجل به رسوله، هو الوظيفة الأولى له ﷺ وهو بلاغ عام وشامل لكل ما تحتاج إليه البشرية فى عاجلها وآجلها، ودنياها وأخرها، وقد وصل إلينا هذا البلاغ فى وحين : أحدهما : مثلو وهو القرآن الكريم .
وثانيهما : غير مثلو وهو السنة للمطهرة .

ويدل على عموم البلاغ، عموم الاسم الموصول "ما" فى الآية الكريمة، كما عمم من أراد تبليغهم، حيث حذف المفعول الأول لـ "بلغ" ليعم الخلق المرسل إليهم؛ والتقدير : بلغ جميع ما أنزل إليك من كتاب وسنة، من يحتاج إلى معرفته من أمر الدين الموحى به إليك^(٢) .

أما كون رسول الله ﷺ، كما نص القرآن، ما عليه إلا البلاغ، والاستدلال بظاهر ذلك على حصر مهمته فى بلاغ القرآن فقط، فإن ذلك فهم غير مراد؛ لأن قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣) معناه نفى الإكراه على الاعتقاد والإيمان، نحو قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا

(١) الآية ٦٧ المائدة .

(٢) التحرير والتنوير ٢٦٠/٦ بتصرف، ويراجع : ص ٢٦٠ .

(٣) الآية ٩٩ المائدة .

يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل^(١) وقال سبحانه : ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ^(٢)﴾ والمعنى : نفي الإكراه على الاعتقاد والإيمان، ففي العقيدة والتصديق القلبي، لا إكراه، أى ليس هناك إلا البلاغ، أما فى شريعة الدولة والسياسة والاجتماع والمعاملات، فهناك السلطان والثواب والعقاب، وليس هناك أدنى تناقض بين وقوف سلطان الرسول ﷺ، فى العقيدة عند البلاغ؛ ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي^(٣)﴾ وبين وجود ووجوب الطاعة المتميزة له، فى إطار بيان وتطبيق الوحي الإلهي... بل إن القرآن الكريم يجمع بين الأمرين فى الآية الواحدة. وتأمل قوله تعالى : ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين^(٤)﴾ فالرسول الله ﷺ، طاعة متميزة وسلطان وتشريع لإقامة الدين، والإقامة تطبيق وتجسيد، يزيد على مجرد البلاغ والتبليغ بدليل ما يلى :

٢- قوله تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون^(٥)﴾ و"التبيين" هنا غير "التبليغ" الذى هو الوظيفة الأولى للنبي ﷺ، ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك^(٦)﴾.

و"التبيين" و"التبليغ" وظيفتان موضوعهما واحد هو "القرآن الكريم" عبر عنه فى آية "التبليغ" بهذا اللفظ : ﴿ما أنزل إليك﴾ وعبر عنه فى آية التبيين بلفظ مختلف : ﴿ما نزل إليهم﴾ وبينهما فروق لها دلالتها. مردما إلى الفرق بين الوظيفتين .

"التبليغ" : تأدية النص، تأدية "ما أنزل" كما "أنزل" دون تغيير ما على الإطلاق، لا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير .

و"التبيين" : إيضاح، وتفسير، وكشف لمراد الله من خطابه لعباده، كي يتسنى لهم إدراكه، وتطبيقه، والعمل به على وجه صحيح .

(١) الآية ١٠٨ يونس .

(٢) الآية ٤٨ الشورى .

(٣) الآية ٢٥٦ البقرة .

(٤) الآية ٥٤ النور .

(٥) الآية ٤٤ النحل .

(٦) الآية ٦٧ المائدة .

"والتبليغ" : مسئولية "المبلغ" وهو المؤتمن عليها، وهذا سر التعبير : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ حيث عدى الفعل "أنزل" بـ "إلى" إلى ضمير النبي ﷺ المخاطب .

و"التبيين" : مهمة، فرضتها حاجة الناس لفهم ما خاطبوا به وبلغوه، وإدراك دلالاته الصحيحة، ليطبقوه تطبيقاً صحيحاً. ومن هنا كانت المخالفة في العبارة ... "نزل إليهم" حيث عدى الفعل "نزل" بـ "إلى" مضافاً إلى الضمير "هم" أى الناس، وعدى الفعل : "تبين" إلى الناس بـ "اللام" أن كانت حاجتهم إلى "التبيين" هي السبب والحكمة من ورائه، وهي توحى بقوة أن رسول الله ﷺ، ليس بحاجة إلى ما احتاج إليه الناس من هذا التبيين، ولعمري إنه لكذلك، فقد أوحى إليه بيانه وألمهه، فالتقى في نفسه "البيان" و"المبين" معاً وأصبح مؤهلاً لأن يقوم بالوظيفتين : وظيفة البلاغ، ووظيفة التبيين على سواء!

وكما أن محالاً أن يكتم رسول الله ﷺ، شيئاً مما أمر بتبليغه، فمحال أن يترك شيئاً مما أمر بتبليغه دون أن يبينه، فكل الأمرين : التبليغ والتبيين من صميم رسالته : ﴿بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ ... ﴿تَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ﴾.

واختلاف الناس في فهم القرآن ما بين مصيب ومخطئ... واختلافهم في درجات الإصابة، ودرجات الخطأ... برهان بين على حاجتهم إلى "تبين" لكتاب ربهم، ينهض به إمام الموقعين عن رب العالمين ... رسول الله الذي أنزل عليه هذا الكتاب .
هنا يقع قول الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) موقعاً يسد كل ثغرة، يحاول النفاذ منها من يرفض "سنة رسول الله" أو يهون من شأنها، أو يسعى للتشكيك فيها، وإسقاط حجيتها وإلزامها .

ويقع نفس الموقع قول النبي ﷺ : "لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول : لا أدري؟ ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه"^(٢).

(١) جزء من الآية ٧ الحشر .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب لزوم السنة ٢٠٠/٤ رقم ٤٦٠٥، والترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ٣٦/٥ رقم ٢٦٦٣ وقال : حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه في سننه المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتغليظ على من عارضه ٢٠/١ رقم ١٣، والشافعي في الرسالة ص ٨٩ رقم ٢٩٥ من حديث أبي رافع رضي الله عنه .

وهنا لى أن أقرر : أن إنكار مهمة رسول الله ﷺ، البيانية، أو رفضها أو التشكيك فيها ينطوى على رفض وتكذيب للقرآن نفسه؟ «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً»^(١).

كما ينطوى على الطعن فى عصمة رسول الله ﷺ، فى بلاغ وحى الله تعالى، إليه، لأن ترك تبیین كلمة واحدة فى القرآن الكريم، تحتاج إلى تبیین دون أن يبينها تقصير، ككتمان حرف واحد مما أمر بتبليغه، ورسول الله ﷺ مبرأ من أن يخون فى التبليغ، أو يقصر فى التبيين .
فمن المتهم إذن : باتهام رسول الله ﷺ، بأنه فرط فى تبليغ رسالته؟ من يؤمن بأن من مهمته فى رسالته البيان أم من ينكر ذلك؟! .

إن إنكار أعداء السنة المطهرة، لهذه المهمة، بحجة أن المولى عز وجل تكفل بهذا البيان والتفصيل فى قوله : «ثم إن علينا بيانه»^(٢) وقوله سبحانه : «وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً»^(٣) وقوله : «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ»^(٤) لا حجة لهم فى ذلك لما يلى :

أ- أن مجئ لفظ البيان فى جانب الله تعالى : «ثم إن علينا بيانه»، ومجئ لفظ "التبيين" فى جانب رسول الله، «التبيين للناس ما نزل إليهم» لا يفسر بأنه تنويع فى اللفظ، أو تقنن فى العبارة، وإنما هو قصد مقصود، وراءه دلالات يبحث عنها وهى : أن بيان" الله للقرآن إنما هو لنبية ﷺ، ومصدره هو الله تعالى، ومُستقبله رسول الله ﷺ، وطريقه : الوحى فى صورة ما من صورة. أما "التبيين" فهو من رسول الله للناس، ومصدره رسول الله، ومستقبله المخاطبون بهذا القرآن، وطريقه إنما هو "اللغة" وليس "الوحى" .

والخلاصة : رسول الله يتلقى بيان القرآن عن ربه "وحياً" والناس يتلقون تبينه عن رسول الله "لغة وكلاماً"، إذن : هناك اختلاف بين "البيان" و"التبيين" من ثلاث جهات : من جهة المصدر،

(١) الآية ٥ الكهف .

(٢) الآية ١٩ القيامة .

(٣) جزء من الآية ١١٤ الأنعام .

(٤) جزء من الآية ٨٩ النحل . وينظر : من استشهد بذلك، توفيق صدقى فى مقاله "الإسلام هو القرآن وحده"، مجلة المنار المجلد ٥١٦/٩، ٩٠٧، وجمال البنا فى السنة ودورها فى الفقه الجديد ص٣٣، ومحمود أبو ربه فى أضواء على السنة المحمدية ص٤٠٤، والصلاة لمحمد نجيب ص٢٣، وقاسم أحمد فى إعادة تقييم الحديث ص٨٦، ومصطفى المهدي فى البيان بالقرآن ١/١٠، ٢٩، وأحمد صبحى فى الصلاة فى القرآن ص٣٢، ٦٠، ٦١، وإسماعيل منصور فى تبصير الأمة ص١٠، ١١، ١٥ وغيرهم .

ومن جهة المستقبل، ومن جهة الطريق أو الأداة، أو الوسيلة، التى يعبر خلالها "البيان" أو "التبيين" إلى مستقبله هل يكفى هذا لبيان السبب فى اختصاص كل لفظ بموضعه؟.

وهل يزعم زاعم بعد هذا أن بالإمكان التعبير عن كلا "البيانين" "بيان الله" و"تبيين رسوله" للقرآن بلفظ واحد.

إن الفرق من السعة والوضوح والعمق، بحيث يفرض اختلاف التعبير فى هذين المقامين المختلفين^(١).

ب- إن المراد بتفصيل وتبيان الكتاب لكل شئ معنى : تفصيل وتبيان القرآن لكل شئ من أحكام هذا الدين كقواعد كلية مجمله. أما تفاصيل تلك القواعد، وما أشكل منها، فالبيان فيها راجع إلى تبيين رسول الله ﷺ.

ويدل على ذلك قول ابن مسعود فى قوله تعالى : ﴿تَبَيَّنَا لَكُمْ شَيْءٌ﴾ قال : قد بين لنا فى هذا القرآن، كل علم، وكل شئ. وقال مجاهد : كل حلال وحرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل نافع من خبر ما سيق، وعلم ما سيأتى، وكل حلال وحرام، وما للناس إليه محتاجون فى أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم. وقال الأوزاعى "تبينا لكل شئ" أى بالسنة^(٢).

ولا تعارض بين القولين - ابن مسعود والأوزاعى - فابن مسعود يقصد العلم الإجمالى الشامل، والأوزاعى يقصد تفصيل وبيان السنة لهذا العلم الإجمالى. ومن هنا؛ فالقول بأن القرآن الكريم تبين لكل شئ قول صحيح فى ذاته بالمعنى الإجمالى السابق، ولكن الفساد فيما بنوه عليه من قصر مهمة رسول الله ﷺ، على بلاغ القرآن فقط، وإنكار مهمته البينانية (السنة المطهرة) والاكتفاء بالقرآن ليؤولوه حسب أهوائهم، وإلا فرب العزة هو القائل فى نفس سورة النحل، وقبل هذه الآية قال : ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾^(٣) وقال سبحانه : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤) وقال

(١) السنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم الخولى ص ٤٨، ٤٧، ٢١، ٥، ٤.

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥١٣/٤.

(٣) الآية ٣٩ النحل.

(٤) الآية ٤٤ النحل.

عز وجل : ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(١) فتلك ثلاث آيات كريمات فى نفس سورة النحل، وسابقة لآية ﴿وَنُزِّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ والثلاث آيات تسند صراحة مهمة التبيين إلى نبيه ﷺ، فهل يعقل بعد ذلك أن يسلب الله عز وجل هذه المهمة - التبيين - التى هى من مهام الرسل جميعاً كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(٢) ويوقع التناقض بقوله: ﴿وَنُزِّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾^(٣) !.

إن كل الرافضين لمهمة رسول الله البيانية، لابد أن يلتزموا بهذه النتيجة التى تعود بالنقض على الإيمان بالكتاب، وبمن أنزل الكتاب جل جلاله، سواء أقرؤا بلسانهم بهذا النقص أم لا، وتنبهوا إلى ذلك أم لا!!؟.

ويجدر بى هنا أن أشير إلى ما قاله الحافظ ابن حجر مبيناً المراد من الأحاديث والآثار المؤدنة بالاختصار على كتاب الله عز وجل. نحو قوله ﷺ : "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله"^(٤) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما حضر رسول الله ﷺ، وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبي ﷺ : "هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده" فقال عمر : إن رسول الله ﷺ، قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن. حسينا كتاب الله"^(٥) وأشبهه هذا مما روى مرفوعاً وموقوفاً، بالاختصار على القرآن فقط.

يقول الحافظ : "الاختصار على الوصية بكتاب الله؛ لكونه أعظم وأهم، ولأن فيه تبيان كل شئ، إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما فى الكتاب، عملوا بكل ما أمرهم النبي ﷺ، به لقوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٦) وهذا الذى قاله الحافظ رحمه الله، يؤكد ما سبق ذكره.

(١) الآية ٦٤ النحل.

(٢) الآية ٤ إبراهيم.

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الحج، باب حجة النبی ﷺ ٤٣١/٤، ٤٣٢ رقم ١٢١٨ من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

(٤) سبق تخريجه ص ٢٣٥.

(٥) جزء من الآية ٧ الحشر. وينظر : فتح الباری ٥/٤٢٥ رقم ٢٧٤٠ حديث عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه، وينظر : الموافقات للشاطي ٣/٢٧٤ - ٢٧٦.

ومما هو جدير بالذكر هنا. أن الكلام السابق للحافظ، نقله مبتوراً جمال البنا حيث قال :
"التمسك بالقرآن والعمل بمقتضاه، إشارة إلى قوله ﷺ : "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا
كتاب الله" وترك جمال البنا، بيان أن العمل بالقرآن الكريم يقتضى العمل بالسنة كما صرح ابن
حجر^(١).

وهذا ما فعله أيضاً أحمد صبحي منصور. حيث نقل كلام الحافظ ابن حجر الذي نقلته،
وبتر منه لفظه (النبى ﷺ) فصارت العبارة : "فإذا اتبع الناس ما فى الكتاب عملوا بكل ما أمرهم
به"^(٢) وإذا نقرر لك هناك أن لرسول الله ﷺ، فى رسالته مهمة غير التبليغ وهى تبیین القرآن
للكريم، الملازم للمهمة الأولى وهى تبليغه. فاعلم أن لرسول الله ﷺ، حكم فى رسالته، جعله ربه
من مهام رسالته.

٣- قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾^(٣) فبين
ربنا سبحانه أنه أنزل الكتاب إلى رسوله ﷺ، ليحكم بين الناس بما ألهمه الله وأرشده، وإذا
كان الحكم بالقانون، غير سن القانون فإن حكم رسول الله ﷺ، بما جاء فى القرآن من
تشريعات، فضلاً عن تبينه بالسنة، هو أمر زائد على مجرد البلاغ لهذه التشريعات .
وتحكيمة ﷺ فى كل شئون حياتنا، والرضى بحكمه، والتسليم به، جعله رب العزة علامة
الإيمان كما قال : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوا بِمَا فِي الْكِتَابِ﴾^(٤) وما ذلك إلا لأن حكمه ﷺ، وحى من الله
واجب الاتباع لقوله ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ وعلى هذا الفهم صحابة رسول الله ﷺ، ومن بعدهم، يدل
على ذلك قول عمر رضى الله عنه وهو على المنبر : "يا أيها الناس إن رأى إنما كان من رسول
الله ﷺ، مصيباً لأن الله عز وجل كان يريه، وإنما هو منا الظن والتكلف"^(٥) لقد قال عمر ذلك

(١) السنة ودورها فى الفقه الجديد ص ٢٤٦ .

(٢) حد الردة ص ٨٩ .

(٣) الآية ١٠٥ النساء .

(٤) الآية ٦٥ النساء .

(٥) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأقضية باب قضاء القاضى إذا أخطأ ٣٠٢/٣ رقم ٣٥٥٦،
والبيهقى فى السنن الكبرى ١١٧/١٠، والمدخل له ص ١٨٩ رقم ٢١٠، وابن عبد البر فى جامع يبلن
العلم ١٦٤/٢، واليزار ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٤٥/٦، ١٤٦،
وسكت عنه الحافظ فى فتح البارى ٤٠٨/٥ رقمى ٢٧٣١، ٢٧٣٢ .

على المنبر، ولم يعترض عليه أحد من الحاضرين، لا من الصحابة، ولا من التابعين، مما يدل على أنهم جميعاً يعلمون أن لرسول الله حكم فى رسالته هو من ربه، وهو أمر زائد على مجرد البلاغ!

٣- وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١) إن الله عز وجل فى هذه الآية الكريمة، بمتن على هذه الأمة، ببعثة رسول الله ﷺ، من أنفسهم، وأنه جاء ليس لمجرد بلاغ وتلاوة القرآن الكريم فقط - كما يزعم أعداء الإسلام؛ وإنما جاء مع بلاغ القرآن وتلاوته؛ جاء بتركيبتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة.

وهذه التزكية والتعليم من مهامه ﷺ فى دعوته، مع بلاغه للقرآن وبيانه لما فيه، وحكمه به. وبهذه المهمة (التزكية والتعليم) تكون هداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

٥- قال تعالى: ﴿كَتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٢) أى من ظلمات الكفر والجهل والضلالة، إلى نور الإيمان والعلم والهداية^(٣) وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤) فأُسند الهداية إليه ﷺ، مما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام بكل ما جاء به من عند الله عز وجل، يهدى إلى صراط مستقيم.

وتأمل قوله "تخرج" وقوله "تهدى" إنه سبحانه اسند الفعلين إليه ﷺ وفى ذلك دلالة على أن ذلك من مهام رسالته التى كلفه بها، مع بلاغه للقرآن وتبيينه لما فيه، وحكمه بين الناس وتزكيته وتعليمه لأمته؛ وكل ذلك ينكره أعداء هذه الأمة.

إن زعم أعداء السيرة العطرة، أن رسول الله ﷺ، مهمته الوحيدة، تبليغ القرآن فقط، وإنكارهم مهمته البيانية للقرآن الكريم، يعد هذا الزعم منهم طعنا فى عصمته ﷺ فيما بلغه من وحى السنة المطهرة، وطعنا منهم أيضا فى عصمته فى رجاحة عقله وكماله، لأنهم فى كتاباتهم المفتراه، يقدمون رؤيتهم القرآنية بيانا، وتفسيرا، ومفهوما لآيات القرآن الكريم.

فكيف ينكرون أن يكون لرسول الله ﷺ بيانه، وتفسيره وشرحه لآيات القرآن الكريم؟

وهو أعلم الناس به؛ حيث عليه أنزل.

(١) الآية ١٦٤ آل عمران.

(٢) الآية الأولى إبراهيم.

(٣) فتح القدير ٩٣/٣.

(٤) الآية ٥٢ الشورى.

ومن هنا لما قال رجل لمطرف بن عبد الله^(١) : لا تحدثونا إلا بما فى القرآن قال مطرف: إن والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكننا نريد من هو أعلم بالقرآن منا^(٢).

ويقول جابر بن عبد الله يصف حج النبى ﷺ : "فصلى رسول الله ﷺ فى المسجد ثم ركب القصواء^(٣) حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصرى بين يديه من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شئ عملنا به.." الحديث^(٤). فتأمل قول الصحابى : "ورسول الله بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله" إنه ﷺ، هو الذى علمه الله القرآن، وكل ما من شأنه أن ييسر العمل به، فعلمه تأويله، وأراه ما به يتم الدين.

إن مقتضى إيمانهم برسالته ﷺ، أن يسألوه ويحكموه عن كل ما بدا لهم؛ إنهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، يأتيه الوحى فى أى وقت بالقرآن وتأويله، وبكل ما يتصل ببيان الدين، ومن هنا سألوا واستفسروا وأجابهم ﷺ، بما به بين، ووضح، وأفاد وأجاد^(٥) حتى قال ﷺ : "قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بدى إلا هالك"^(٦).

(١) هو : مطرف بن عبد الله بن الشخير العمري، أبو عبد الله، من كبار التابعين، ثقة، عابد، فاضل، مات سنة ٩٥ هـ له ترجمة فى : تقريب التهذيب ١٨٨/٢ رقم ٦٧٢٨، ومشاهير علماء الأمصار ص ١١٣ رقم ٦٤٥، والكاشف ٢٦٩/٢ رقم ٥٤٧٨، وخلاصة تذييل الكمال ص ٢٤٩، والنقات للعجلي ص ٤٣١ رقم ١٥٨٦.

(٢) أخرجه أبو خيثمة فى العلم ص ٢٥ رقم ٩٧، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١٩١/٢، والحازمى فى الاعتبار فى النامخ والمنسوخ ص ١٠٠.

(٣) القصواء : الناقة التى قطع طرف أذنها، ولم تكن ناقته ﷺ كذلك، وإنما كان هذا لقباً لها. ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٦٦/٤.

(٤) جزء من حديث طويل، أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب حجة النبى ﷺ، ٤٣١/٤ رقم ١٢١٨.

(٥) المدخل إلى السنة النبوية لفضيلة الدكتور عبد المهدي عبد القادر ص ١٢٩.

(٦) جزء من حديث طويل أخرجه ابن ماجه فى سننه المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ٢٩/١ رقم ٤٣، وأحمد فى مسنده ١٢٦/٤، والحاكم فى المستدرک ١٧٤/١ رقم ٣٢٩ وقال : صحيح ليس له علة ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن أبى عاصم فى كتابه السنة ٢٦/١ رقم ٤٨، والألكاى فى شرح أصول الاعتقاد ٧٤/٢، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢٢١/٢ من حديث العرياض بن سارية رضى الله عنه، وأورده الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير ٩٠/٢ وصححه بعد أن عزاه لأحمد، وابن ماجه، والحاكم.

إن تأويل وتفسير، رسول الله ﷺ، للقرآن الكريم، هو فريضة قرآنية، وتكليف إلهي للنبي ﷺ - زائد على مجرد بلاغه - وليس فضولاً ولا تزييداً، ولا إضافة يمكن الاستغناء عنها لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١) فكيف ينكرون هذا التبيان النبوي للبلاغ القرآني، بينما يمارسون هم شرح وتفسير آيات القرآن؟ أم هذا معقول؟ فضلاً عن أن يكون مقبولاً؟!.

إن رسول الله ﷺ، بنص الآيات الكريمات السابق ذكرها، مبلغ، ومبين، وحاكم، ومزكى، ومعلم، وهادى إلى صراط مستقيم، وليس مجرد ساعى يريد؟!.

وبعد : إذا تقرر أن من مهام رسول الله ﷺ، فى رسالته بيان القرآن الكريم، والمسلمون جميعاً يعلمون ذلك، ويسلمون به، يبقى توضيح أن البيان النبوى هو الحكمة، وهى السنة المطهرة التى ينكرها أعداء الإسلام، ويزعمون أن سنته الحقيقية هى القرآن فقط.

فإلى بيان شبهتهم فى المطلب التالى والرد عليها

المطلب الثاني

شبهة أن رسول الله ﷺ ليست له سنة نبوية والرد عليها

زعم أعداء السنة النبوية، أن رسول الله ﷺ، ليست له سنة، وأن سنته الحقيقية هي القرآن الكريم فقط، وزعموا أن القول بأن له سنة نبوية، تشويه لسيرته، وتجعله مُشرِّعاً .
يقول إسماعيل منصور : "إن السنة الحقة، هي سنة واحدة، سنة الله عز وجل، وليست هناك سنة أخرى غيرها، وإنما للرسول، بيان نبوى للقرآن، نرفعه على العين والرأس، متى ثبت تحقيقاً، لا يخالف بأى حال أحكام ومدلولات القرآن الكريم، فنقبله كبيان فحسب، وليس تشريعاً مستقلاً" (١).

ويقول أحمد صبحي منصور : "إن تلك الأحاديث المذكورة في كتب التراث ليست من الوحي، الذي نزل على النبي، وليس هناك في الإسلام حديث إلا حديث الله تعالى في القرآن، أما تلك الأحاديث التراثية، وأسفارها، فلا أول لها ولا آخر، وهي تتناقض حتى في الكتاب الواحد، وربما في الصفحة الواحدة وتخالف للقرآن مثل الـرد (٢) .

ويقول صالح الورداني : "وإذا ما تبين لنا أن مهمة الرسول ﷺ، هي تبليغ ما يوحى إليه من ربه، فلا يجوز للرسول أن يضيف أحكاماً فوق أحكام القرآن، فمهمته تنحصر في تبليغ القرآن وتبيينه للناس، وتنتهي هذه المهمة بوفاته" (٣) ويقول أيضاً : "الروايات المنسوبة للرسول، والتي تضيف على لسانه أحكاماً جديدة، وتختزع أحكاماً لا وجود لها في القرآن تضع الرسول في دائرة المُشرِّع" (٤).

(١) بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمن ص ٢١، ٢٤ وينظر : مجلة المنار المجلد ٩/ ٩٠٨، ٩٢٤ مقال الدكتور توفيق صدقي (الإسلام هو القرآن وحده).

(٢) مشروع التعليم والتسامح لأحمد صبحي وغيره ص ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٩٣ وينظر له أيضاً : لماذا القرآن ص ٦٨، ٧٠ - ٧٨، ولا ناسخ ولا منسوخ في القرآن ص ٣٩، وعذاب القبر والنعيم الأفرع ص ٥، ١٦، وحد الردة ص ٤٠، ٨٩، ومقدمة أحمد صبحي لكتاب إعادة قراءة القرآن لجاك بيمرك ص ٢٥، ٢٦ .

(٣) الخدعة رحلت من السنة إلى الشيعة ص ٤٠، ٤١، وينظر : له أيضاً أهل السنة شعب الله المختار ص ٧٩، ٨٠ .

(٤) دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ١٢٩، وينظر : المواجهة مع رسول الله لأحمد حسين يعقوب ص ٣٠٦، والسنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا ص ٢٥٣، ٢٥٤، وينظر لها مقال في جريدة الجليل العدد ٣٣ بتاريخ ١٣/٦/١٩٩٩، والإسلام في الأسر للصادق النيهوم ص ١٣٨ -

ويجاب عن ما سبق بما يلي :

أولاً : سبق في المطلب السابق تفصيل أن لرسول الله ﷺ في رسالته مهمة ووظيفة، زائدة على مجرد البلاغ، وهى مهمة تبيان القرآن الكريم، وهذه المهمة تضاربت فيها أقوال من يسمون أنفسهم "القرآنيون". فبينما تجد بعضهم فيما سبق يجحد هذه المهمة من أصلها، ترى هنا بعضهم يؤمن بها، وبمفهومه الخاص، القائم على إنكار أن يكون لرسول الله ﷺ في رسالته، وحى غير مثلو - السنة المطهرة.

ثانياً : إذا تقرر لك بالدليل القاطع أن لرسول الله ﷺ تبياناً للقرآن الكريم، فاعلم أن لهذا التبيان صفة المبين، من حيث وجوب قبوله، وجوب العمل به، وصلاحيته لكل زمان ومكان؛ ويستلزم هذا ضرورة أن هذا التبيان النبوى، هو الحكمة وهى السنة النبوية التى عبر عنها رسول الله ﷺ بقوله : "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" (١).

وبناء الفعل للمجهول "أوتيت" يدل على أن الله تعالى، أعطى لرسوله ﷺ، القرآن ومثله معه، فما هو المماثل الذى تلقاه رسول الله ﷺ عن ربه؟ يصرح القرآن الكريم بأن هذا المماثل هو "الحكمة" التى قرنها رب العزة فى كتابه مع القرآن الكريم فى آيات عدة منها :

١- قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ

اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (٢) فالآية والحديث يفيدان أن الله تعالى، أنزل عليه ﷺ، الكتاب والحكمة، مثل القرآن، وهى معه، آتاهما الله له ﷺ، بل إن إحدى روايات هذا الحديث تتواءم مع الآية أكثر من هذه الرواية، ونصها : "أتانى الله عز وجل القرآن، ومن الحكمة مثلي" (٣).

٢- وقال تعالى : ﴿وَإِذْ كُنَّا نَمُوتُ وَأَرْسَلْنَا بِالْحِكْمَةِ﴾ (٤) فعطف الحكمة

على آيات الله، لتتدرج تحت ما أضيف إليها وهو "التلاوة" وهذا يضاف على الحكمة - وهى

السنة - أنها فى حقيقتها، وجوب تبليغها، كالقرآن سواء بسواء (٥).

= ١٤٠، والصلاة لمحمد نجيب ص ٢٧٦، ٦٦٢، وحقيقة السنة لأحمد حجازى السقا ص ٧، ٩، ١٣،

١٤، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص ٥٦٨، والدولة والمجتمع ص ٢٣٢، كلاهما لمحمد شحرور،

والإمام الشافعى لنصر أبو زيد ص ٨٣، ٩٠، وجريدة الجليل العدد ٣٥ مقال لمحمد شبل.

(١) سبق تخريجه ص ١٣ .

(٢) الآية ١١٣ النساء.

(٣) هذه رواية مكحول عن رسول الله ﷺ، وأخرجها أبو داود فى مراسيله ص ١٦٦ رقم ٥٦٥ .

(٤) الآية ٣٤ الأحزاب.

(٥) السنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم الخولى ص ٤٤ .

٣- وقال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذَا بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(١) قال الإمام الشافعي^(٢) : "فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أَرْضَى من أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ يقول : الحكمة^(٣) سنة رسول الله ﷺ، قال : وهذا يشبه ما قال، والله أعلم؛ لأن القرآن ذكر وأُتْبِعَهُ الحكمة، وذكر الله مَنْهُ عَلَى خَلْقِهِ بِتَعْلِيمِهِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، فلم يَجُزْ - والله أعلم - أن يقال الحكمة ههنا إلا سنة رسول الله، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله"^(٤).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : "الكتاب والحكمة" الكتاب والسنة^(٥) وعن قتادة قال: والحكمة أى السنة^(٦) ونفس القول قال به غيرهما^(٧) وعلى هذا الفهم سلفنا الصالح من أئمة المسلمين^(٨).

ثالثاً : إذا تقرر أن تبيان رسول الله ﷺ للقرآن الكريم هو الحكمة، وأن هذه الحكمة هى السنة النبوية، وأنها متماثلة للقرآن كما قال رسول الله ﷺ، فهذا يعنى أنها مثل القرآن فى وجوب قبولها، والعمل بها، سواء بسواء؛ لأنها مثل القرآن وحى من عنده تعالى، وإليك تفصيل أدلة ذلك :

(١) الآية ١٦٤ آل عمران .

(٢) هو : أبو عبد الله، محمد بن أدریس بن العباس بن شافع القرشى المطلبی، الإمام الجلیل صاحب المذهب المعروف، من أشهر مصنفاته : الأم، والرسالة، وأحكام القرآن، مات سنة ٢٠٤هـ — له ترجمة فى : طبقات الشافعية لابن السبکی ٧١/٢ رقم ١٤، وشذرات الذهب ٩/٢، ووفیات الأعيان ١٦٤/٤ رقم ٥٥٨، وطبقات الفقهاء للشافعيين لابن كثير ٣/١ - ٩٣ .

(٣) الحكمة : تطلق فى اللغة على عدة معان سبق ذكر بعضها ص ٢٥٨، ولقد اقتصرنا على المعنى المراد فى الآيات التى استدلل بها .

(٤) الرسالة للشافعي ص ٧٨، ٧٩ فقرات رقم ٢٥٢ - ٢٥٧، والفقيه والمتفقه للخطيب ٢٥٨/١ رقم ٢٥٦، وينظر : مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للسيوطى ص ١٥٠ .

(٥) أخرجه ابن المبارك فى زيادات الزهد ص ٢٢ رقم ٨٩ .

(٦) تفسير الطبرى ٥٥٧/١، والفقيه والمتفقه للخطيب ٢٦٠/١ رقم ٢٥٨، وابن المبارك فى زيادات الزهد ص ٢٢ رقم ٩٠ .

(٧) ينظر : المدخل إلى السنن للبيهقى، حيث نقل بأسانيده عن الحسن البصرى، وقيتادة، ويحيى بن أبى كثير، أنهم قالوا : الحكمة : هى السنة النبوية .

(٨) ينظر : كلام الإمام الطبرى فى تفسيره ١٦٣/٤، ٩/٢٢، وابن قيم الجوزية فى مختصر الصواعق الرسالة ٥١١/٢، وللأستاذ ينظر : السنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم الخولى ص ٣٢ - ٤٦، والمدخل إلى السنة للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ٥٠، ٥١ .

أ- الأدلة من القرآن الكريم على أن السنة وحى من الله تعالى :

١- قال تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) فأعلمنا ربنا سبحانه وتعالى، أن رسوله ﷺ، لا ينطق عن هوى وغرض، وإنما ينطق حسبما جاءه الوحي من الله تعالى .

فكلمة "ينطق" فى لسان العرب تشتمل كل ما يخرج من الشفتين من قول أو لفظ^(٢) أى ما يخرج نطقه ﷺ عن رأيه، إنما هو بوحى من الله عز وجل^(٣) .

ولقد جاءت الآيات بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، والفعل إذا وقع فى سياق النفي دل على العموم، وهذا واضح فى إثبات أن كلامه ﷺ، محصور فى كونه وحياً لا يتكلم إلا به، وليس بغيره .

٢- وقال سبحانه : ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٤) إنه وعد قاطع بأن بيان القرآن، سوف يتولاه الله تعالى، كما تولى ﴿إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(٥) على حد سواء، ولا معنى لهذا سوى أن يوحى إلى رسوله ﷺ، هذا البيان، بصورة ما من صور الوحي .

٣- وقال عز وجل : ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٦) .

٤- وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾^(٧) إن هاتين الآيتين تفيدان - أن الله تبارك وتعالى - أنزل على رسوله شيتين : الكتاب : وهو القرآن، والحكمة : وهى سنته ﷺ .

السنة المطهرة إذن "وحى من الله تعالى" أنزلها على رسوله ﷺ، كما أنزل القرآن الكريم، سواء بسواء^(٨) بشهادة القرآن البينة، وهى أيضا وحى بشهادة السنة نفسها، وإليك شواهد ذلك :

(١) الآيتان ٣، ٤ النجم .

(٢) ينظر : القاموس المحيط ٢٧٧/٣، ومختار الصحاح ص ٦٦٦، ولسان العرب ١٠٠/٣٥٤ .

(٣) جامع أحكام القرآن ١٧ / ٨٤، ٨٥ .

(٤) الآية ١٩ القيامة .

(٥) الآية ١٧ القيامة .

(٦) الآية ١١٣ النساء .

(٧) الآية ٢٣١ البقرة .

(٨) وإن غايرت وحى القرآن الكريم بأمر إن شئت أنظرها فى : الإتيان فى علوم القرآن للسيوطى ٣٣١/٤ .

ب- الأدلة من السنة النبوية على أنها وحى من الله تعالى :

١- قوله ﷺ : "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" وقد سبق قريباً بيان دلالاته على أن السنة وحى .

٢- قوله ﷺ : لما سئل في عام جذب : سئل لنا يا رسول الله. قال : "لا يسألني الله عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرني بها، ولكن اسألوا الله من فضله" (١) إن في الحديث دلالاته الصريحة في أنه ﷺ، لا يحدث أى سنة، وإنما يبلغ عن الله تعالى، ما أمره به عز وجل. مما يدل على أن السنة المطهرة، إنما تأتيه بوحى الله سبحانه .

٣- وقوله ﷺ : "رأيت ما تعمل أمتي بعدى فاخترت لهم الشفاعة يوم القيامة" (٢).

٤- وقوله ﷺ : "قمت على باب الجنة، فإذا عامة من دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجحيم (٣) محبسون، إلا أصحاب النار، فقد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء" (٤).

إن هذين الحديثين، وما فى معناهما، مما يفيد أن الله تعالى أرى نبيه ﷺ، كذا وكذا، يأتي تأكيداً لقوله تعالى : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ (٥).

فتأمل قوله تعالى : ﴿بما أراك الله﴾ وكل الأحاديث الصحيحة التى جاء فيها أن الله أطلع نبيه ﷺ، وأراه ما أراه، تعلم أن السنة النبوية وحى من الله تعالى إلى رسول الله ﷺ .

٥- حديث جبريل المشهور الذى سأل فيه للنبي ﷺ، عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، والساعة، ففى نهايته قال ﷺ : يا عمر! أتدرى من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم (٦).

(١) أخرجه الطبراني فى الكبير بإسناد رجاله ثقات، سوى بكر بن سهل الدمياطى فإنه ضعفه النسائي، ووثقه غيره، كذا فى مجمع الزوائد ١٠٠/٤ من حديث عبيد بن نضيلة، وللحديث شاهد عن أبي هريرة وأنس رضى الله عنهما أخرجهما أبو داود فى سننه كتاب البيوع، باب فى التسعير ٢٧٢/٣ رقمى ٣٤٥٠، ٣٤٥١، وأحمد فى المسند ٨٥/٣ عن أبي سعيد الخدرى، ورجال أحمد رجال الصحيح كما قال الهيتمى فى مجمع الزوائد ٩٩/٤ .

(٢) أخرجه أبو يعلى فى مسنده ضمن مسند أم سلمة ١٢/٣٨٢ رقم ٦٩٤٩، وسكت عنه الهيتمى فى مجمع الزوائد ٣٧١/١٠. قلت : لكن أصل حديث الشفاعة فى الصحيحين وغيرهما أهد.

(٣) أى أصحاب الغنى، والخطوط الدنيوية، وإنما حبسوا للحساب. ينظر : النهاية ٢٣٧/١ .

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ٦٢/٩ رقم ٢٧٣٦، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب النكاح، باب رقم ٨٧ جـ ٢٠٩/٩ رقم ٥١٩٦، من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنه .

(٥) الآية ١٠٥ النساء.

(٦) سبق تخريجه ص ٢٥٥ .

٦- عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه، قال : بينما رسول الله ﷺ يصلى بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم، ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : "ما حملكم على إلقاءكم نعالكم؟ قالوا : رأيناك ألقيت نعليك، فآلقينا نعالنا، فقال رسول الله ﷺ، إن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن فيها قدرا" وقال : إذا جاء أحدكم إلى المسجد فليُنظر فإن رأى في نعليه قدرا أو أذى فليمسحه، وليصل فيهما^(١) وهكذا يراقبه الوحي، فإذا أصاب نعله شيء من النجاسة نبيه .

وبالجملة : فالأحاديث التي قالها رسول الله ﷺ، فتحققت وفق ما أخبر، هذه يعترف العقل أنها لا بد من وحى الله إليه ﷺ^(٢) والأحاديث التي تحدث فيها عن أخبار السابقين، وهو الصادق المصدوق ناطقة بأنها من وحى الله إليه، فما الذى أعلمه أخبار الأمم السابقة، وأنبيائها، إلا الوحي من الله تعالى إليه؟^(٣) .

والأحاديث التي تحدث فيها عن سنن الله الكونية، وأسرار الخليقة، كتحدثه عن تكوين الجنين فى بطن أمه، وأنه كيف يشبه أخواله أو أعمامه، وتحدثه عن الكثير من أسباب الصحة، فيحذر من امتلاء البطن، ويحث على النظافة، هذه مما يسلم العقل أنها من وحى الله تعالى إليه ﷺ^(٤) .

ومن أقوى الأدلة على أن السنة من وحى الله الخالق سبحانه إلى رسول الله ﷺ؛ أن السنة على كثرة أحاديثها، وذووعها وانتشارها، لا يجد فيها العقلاء إلا الحق الذى يسعد البشرية فى كل ناحية من نواحي الحياة، فى صحتها، فى اجتماعيتها، فى اقتصادها، فى نسلها، فى عقلها، فى كل شئون حياتها .

(١) سبق تخريجه ص ١٩ .

(٢) ينظر : أمثلة على ذلك فى : دلائل النبوة لأبي نعيم ٤٦٤/٢ - ٥٣٦، ودلائل النبوة للبيهقى ٣١٢/٦، والخصائص الكبرى للسيوطى ١٦٨/٢، ومعجزات الرسول ﷺ التى ظهرت فى زماننا للدكتور عبد المهدى عبد القادر .

(٣) ينظر : أمثلة على ذلك فى : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب بدء الخلق ٣٣٠/٦، وكتاب الأنبياء ٤١٦/٦، وغير ذلك من المصادر السابقة .

(٤) ينظر : الطب فى السنة للدكتور محمد السنهورى فصل "القواعد الطبية العامة المستنبطة، ص ١٥٤ - ١٩٦، وفصل "الطب الوقائى فى السنة" ص ١٩٧، وفصل : "سبق السنة إلى مفاهيم طبية سبقت بها لعصر" ص ٢٥٠ - ١٩٧، وينظر : الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية للأستاذ مختار سالم، والطب الوقائى فى الإسلام للعميد الصيدلى عمر محمود عبد الله، والطب النبوى فى العلم الحديث للدكتور محمود النسيمى .

إن أحاديث رسول الله ﷺ، منذ أن قالها إلى الآن تنهل البشرية من خيرها وصوابها، يعترف بذلك المسلمون، والمنصفون من غير المسلمين وهذا دليل قوى على أنها وحى الله سبحانه وتعالى، إلى رسول الله ﷺ (١).

ج- السلف يؤمنون بأن السنة وحى :

وإني قد ذكرت الأدلة من كتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ، على أن السنة وحى من الله إلى رسوله، فأني أزيد ذلك توضيحاً ورسوخاً بإيراد أقوال بعض السلف، بما يفيد أن السنة النبوية وحى من الله عز وجل، إلى رسول الله ﷺ.

- ١- فعن حسان بن عطية^(٢) قال : كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة، كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن^(٣) ونحو هذا القول روى عن الأوزعى^(٤).
- ٢- وعن عبد الله بن المبارك^(٥) قال : كان جبريل إذا نزل بالقرآن على النبي ﷺ يأخذه كالغشوة، فيلقيه على قلبه، فيسرى عنه وقد حفظه فيقرؤه، وأما السنن فكان يعلمه جبريل ويشافهه بها^(٦).

(١) المدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ٦١ .

(٢) هو : حسان بن عطية المعاري، أبو بكر الدمشقي، ثقة، فقيه، عابد، ومن أفاضل أهل زمانه، مات بعد العشرين ومائة بعد الهجرة. له ترجمة في : تقريب التهذيب ١/١٩٩ رقم ١٠٢٨، والكاشف ١/٣٢٠ رقم ١٠٠٤، والثقات للعجلي ص ١١٢ رقم ٢٦٩، وحلية الأولياء ٦/٧٠ رقم ٣٣٠، وصفوة الصفوة ٤/٢٢٢ رقم ٧٥٥ .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب السنة قاضية على كتاب الله ١/١٥٣ رقم ٥٨٨، والخطيب في الفقيه والمتفقه ١/٢٦٦ رقمي ٢٦٨، ٢٦٩، وابن المبارك في زيارات الزهد ص ٢٣ رقم ٩١، والمروزي في السنة ص ٣٢ رقم ١٠٢، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/١٩١، وأبو داود في المراسيل ص ١٦٧ رقم ٥٦٧، ورجال الخطيب في أحد أسانيده برقم ٢٦٨ كلهم ثقات - فالإسناد صحيح .

(٤) أخرجه الخطيب في الفقيه ١/٢٦٧ رقم ٢٧٠، وفيه إسحاق بن إبراهيم قال فيه الدارقطني ليس بالقوى تاريخ بغداد ٦/٣٨١ فالإسناد ضعيف لكن يعضده ما سبق من الروايات .

(٥) هو : عبد الله بن المبارك بن واضح الخنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن، أحد الأئمة الأعلام، وكان ثقة، عالماً، مثبِتاً صحيح الحديث. مات سنة ١٨١ هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ١/٢٧٤ رقم ٢٦٠، والثقات لابن حبان ٧/٧، والديباج المذهب لابن فرحون ص ٢١٢ رقم ٢٦١، وطبقات المفسرين للدوادى ١/٢٥٠ رقم ٢٣٢ .

(٦) أخرجه المروزي في السنة ص ٣٤ رقم ١١٢ .

٣- وعن عمر بن عبد العزيز^(١) قال في إحدى خطبه : "يا أيها الناس، إن الله لم يبعث بعد نبيكم نبياً، ولم ينزل بعد هذا الكتاب الذى أنزله عليه كتاباً، فما أحل الله على لسان نبيه ﷺ، فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم على لسان نبيه ﷺ، فهو حرام إلى يوم القيامة..."^(٢).

وقال أيضاً : "سن رسول الله ﷺ، وولاية الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر فى شئ خالفها، من اهتدى بها فهو المهتد، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولاه، وأصله جهنم، وساعت مصيراً"^(٣).

فتأمل ما قاله خامس الخلفاء الراشدين على ملأ من الحاضرين لخطبته : "فما أحل الله على لسان نبيه ﷺ، فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم... الخ، وقوله : "الأخذ بما سن رسول الله ﷺ... اتباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله... الخ. تأمل ذلك تعلم عن يقين إيمان السلف جميعاً، بأن سنة رسول الله ﷺ، وحى من عند الله عز وجل، واجبة الاتباع إلى يوم الدين".

وهكذا توضح الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال السلف أن السنة النبوية وحى من الله تعالى، إلى رسوله ﷺ، وهى صالحة لكل زمان ومكان، وواجبة الاتباع كالقرآن سواء بسواء، وعلى ذلك إجماع الأمة^(٤) منذ عهد نبيها ﷺ، إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، دون اعتبار لقول من شذ، من المرجفين فى دين الله، العاملين على هدم كيان السنة المطهرة، والسيرة العطرة.

(١) هو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموى، أمير المؤمنين، أمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولى إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولى الخلافة بعده، فعد من الخلفاء الراشدين، مدة خلافته سنتان ونصف، مات سنة ١٠١هـ له ترجمة فى : طبقات الحفاظ للسيوطى ص ٥٣ رقم ١٠١، وتقريب التهذيب ١/ ٧٢٢ رقم ٤٩٥٦، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٠٩ رقم ١٤١١ .

(٢) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبی ﷺ وقول غيره عند قوله ﷺ ١٢٦/١ رقم ٤٣٣ .

(٣) الشريعة للأجرى ص ٤٨، ٦٥، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ١٨٦/٢، ١٨٧ .

(٤) ينظر : إرشاد الفحول للشوكانى ١/ ١٥٨، وتيسير التحرير لمحمد أمين ٣/ ٢٢، والتقريب والتحجير لابن أمير الحاج ٢/ ٢٢٥، والتلويع فى كشف حقائق التنقيح لسعد الدين التفتازانى ١/ ٣٨، وفواتح الرحموت لعبد العلى الأنصارى ١/ ١٦، ١٧ .

رابعاً : إذا تقرر لك أن لرسول الله ﷺ سنة، هي وحى من ربه عز وجل، واجب قبولها واتباعها، فقد حان الوقت لبيان حقيقة وهدف تمسح أعداء السنة، بإيمانهم ببيان نبوى لرسول الله ﷺ فى رسالته .

إن من يتسترون بعباءة القرآن، ويستدلون بظاهره، على أن مهمة الرسول الوحيدة هى تبليغ القرآن فقط، وجدوا أنفسهم فى مأزق من القرآن الكريم، حيث يصرح بتبيان لرسول الله ﷺ فى رسالته زائد على مجرد البلاغ، فاعترف بعضهم بهذا التبيان، إلا أنهم لا يعترفون بأن هذا التبيان، المراد به الحكمة، والتي فسرت بأنها سنة رسول الله ﷺ، وأنها بوحى من الله تعالى على ما سبق قريباً ومن هنا كان إيمانهم بهذا التبيان النبوى إيماناً كاذباً من وجهين :

الوجه الأول : أنهم يشترطون لهذا البيان النبوى أن يوافق القرآن الكريم بمفهومهم هم، القائم على إنكار السنة المطهرة؛ بدليل أنهم ينكرون جميع أنواع بيان السنة للقرآن؛ من تأكيد السنة لما جاء فى القرآن الكريم، وتفصيل لمجمله، وتقييد لمطلقه، وتخصيص لعامه، وتوضيح لمشكله، سواء كان هذا البيان فى العبادات من طهارة، وصلاة، وزكاة، وحج، أو فى المعاملات من بيع وشراء، ورهن، وسلم... الخ أو فى الحدود من قطع، ورجم،... الخ، أو فى الأحوال الشخصية من نكاح، وطلاق، ورضاع، وميراث. وغير ذلك^(١).

وبالجملة : ينكرون جميع أنواع بيان رسول الله ﷺ، لما اشتمل عليه القرآن الكريم، من عقائد وأحكام فى الدين والدنيا^(٢).

والوجه الثانى : أنهم حتى مع تظاهرهم بالإيمان بالبيان النبوى؛ فقيمة هذا الإيمان كعدمه. وتلمل كلام إسماعيل منصور بعد قوله السابق : "أن لرسول الله، بيان نبوى للقرآن، نرفعه على العين والرأس، متى ثبت تحقيقاً، لا يخالف بأى حال، أحكام ومدلولات القرآن الكريم... الخ"^(٣) قال فى وصف قيمة هذه السنة البيانية : "إنها

(١) ينظر : تفصيل كل ما سبق بأمثله فى : مترلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص ١٢٥ - ٤٦٦، والمداخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ١٣٥ - ١٤٨، ومترلة السنة فى التشريع الإسلامى للدكتور محمد الجامى ص ٢٢ - ٣٠ .

(٢) يراجع : مصادرهم السابقة ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٣) يراجع : ص ٣٣٩ .

للاستئناس لا للاستدلال، وللبيان لا للإثبات، الأمر الذي يجعل الآخذين بها والرافضين لها، أمام الشرع على حد سواء. فلا إلزام لأى طرف منهما على قبول رأى الآخر، فالآخذ بها فعله مقبول، والرافض لها فعله مقبول كذلك^(١).

قلت : فإذا كان هذا البيان لكتاب الله، الآخذ به والرافض له سواء! فأى قيمة لهذا البيان، حتى لو اعترفوا بأن هذا البيان هو السنة؟! .

وتأمل أيضاً ما قاله عبد العزيز الخولى : "وأما ما ورد فى السنة من أحكام ، فإن كان مخالفاً لظاهر القرآن، فالقرآن مقدم عليه، ويعتبر ذلك طعناً فى الحديث من جهة منته ولفظه، وإن صح سنده، فإن الحديث لا يكون حجة إلا إذا سلم سنده ومنته من الطعن، ولذلك أجاز بعض المسلمين^(٢) نكاح المرأة على عمتها أو خالتها... إلى أن قال: "وإن كل ما فى السنة لا يخالف ظاهر القرآن، فهو اجتهاد من الرسول، يرجع إلى أصل قرأنى عرفه الرسول، وجهلناه نحن أو عرفناه"^(٣) فتأمل قوله فى البيان النبوى : "وجهلناه نحن أو عرفناه" إذ العبرة عنده فى أول الأمر وآخره، هى : ظاهر القرآن، سواء عرف السنة البيانية أم جهلها، فهى فى حالة معرفته بها، لم تضاف جديداً، وفى هذه الحالة العبرة بالقرآن، وفى حالة استقلالها بتشريع أحكام جديدة، تكون السنة مخالفة لظاهر القرآن؛ فلا حجة فيها. هكذا حال لسانه! ولا أدرى من أين فهموا قيمة هذا البيان النبوى للقرآن الكريم؟ حيث أن آيات القرآن الكريم السابق ذكرها، والتى تسند مهمة البيان، تصرح بأن هذا البيان وحى من الله عز وجل : ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٤) ﴿إِنْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾^(٥) وغير ذلك من الآيات^(٦).

فهل فى الإسلام، وحى واجب الاتباع؛ ووحى الآخذ به، فعله مقبول والرافض له، فعله مقبول أيضاً؟! .

(١) تبصير الأمة بمحققة السنة ص ٦٦٣ .
(٢) صرح فى هامش كتابه مفتاح السنة ص ٧، بأنهم الخوارج، والشيعية، والروافض فهل هؤلاء مسلمون؟! ينظر : نيل الأوطار للشوكانى ١٤٨/٦ حيث نقل عن الإمام القرطبي إجماع المسلمين على التحريم، واستثنى الخوارج. قال : ولا يعتد بخلافهم لأنهم مرقوا من الدين أمه .
(٣) مفتاح السنة ص ٦ - ١١ .
(٤) الآية ١٩ القيامة .
(٥) الآية ١٠٥ النساء .
(٦) يراجع : ص ٣٤٢، ٣٤٣ .

وإذا كان هذا البيان النبوي يحل مشاكل الاختلاف التي يمكن أن تحدث بين العباد، في فهم وتطبيق، المراد من مجمل القرآن، وعامة، ومطلقة، ومشكلة... الخ كما صرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

فهل يعقل أو يقبل بعد ذلك أن يكون هذا البيان النبوي غير ملزم؛ ولا واجب الاتباع؟! وما فائدة تنويه القرآن إلى هذا البيان النبوي حينئذ؟! وما قيمة المُبَيِّن (القرآن) مع عدم حجية البيان (السنة)؟! إن البيان النبوي (السنة المطهرة) متى صح تكون منزلته، ومنزلته القرآن، سواء بسواء في حجته، ووجوب العمل به؛ وعلى هذا انعقد إجماع من يعتد به من علماء الأمة قديما وحديثا^(٢).

خامسا : زَعَمَ بعضهم أن ما استقلت به السنة المطهرة من أحكام، مرفوض بحجة مخالفته للقرآن الكريم، وفيه تشويه لسيرة رسول الله ﷺ بجعله مُشَرَّعاً^(٣) ويضربون أمثلة بحد المحسن "الرجم" وحد الردة "القتل".

وهذه المزاعم يجاب عنها بما يلي :

أ- يفتق العلماء أجمع على وجود أحكام، لم ترد في القرآن، لا نصا ولا صراحة، ولكنهم يختلفون خلافا لفظيا، حول تسمية تلك الأحكام الواردة في السنة. فالجمهور من العلماء يقولون: إن هذا هو الاستقلال في التشريع بعينه؛ لأنه إثبات لأحكام لم ترد في القرآن، وأن هذه الأحكام واجبة الاتباع، عملا بعشرات الآيات التي تأمر بطاعة رسول الله ﷺ، واتباعه، وتحذر من مخالفته، وهذه الآيات جميعها^(٤) تستلزم أن يكون هناك أمور من الدين تأتي بها السنة، وهي حجة، وإلا فلا معنى للأمر بطاعته ﷺ.

أما الإمام الشاطبي^(٥) ومن نحا نحوه : فإنهم مع إقرارهم بوجود أحكام لم ترد في القرآن إلا أنهم يقولون : إنها ليست زيادة على شئ ليس في القرآن، وإنما هي زيادة الشرح، المستتبط

(١) الآية ٦٤٠ النحل مع آية ٣٩ من نفس السورة ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾.

(٢) ينظر : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص ٤٦٩، ٤٧٠، وحجية السنة للدكتور عبد الغني عبد الخالق ص ٤٤٤، ٤٤٥.

(٣) يراجع : كلام صالح الورداني ص ٣٣٩.

(٤) سيأتي تفصيل تلك الآيات في المطلب التالي ص ٣٦٤.

(٥) هو إبراهيم بن موسى الغرناطي، الشهير بالشاطبي، أبو إسحاق، مفسر، أصولي، لغوي، محدث، ورع زاهد، من مؤلفاته النفيسة : المواقفات في أصول الفقه، والاعتصام في الحوادث والبدع، مات سنة=

من المشروح بإلهام إلهي، ووحى رباني وتأيد سماوي، وبعبارة أخرى : هي داخلة تحت أى نوع من أنواع السنة البيانية، أو داخلة تحت قاعدة من قواعد القرآن الكريم. وهم بذلك يرون أن تلك الأحكام لا تخالف القرآن الكريم.

وفى ذلك يقول الإمام الشاطبي رداً على دعوى مخالفة الرجم للقرآن الكريم يقول :
"قولهم^(١) هذا مخالف لكتاب الله عز وجل، لأنه قضى ﷺ بالرجم والتغريب^(٢) وليس للرجم ولا للتغريب فى كتاب الله ذكر، فإن كان الحديث باطلاً فهو ما أردنا، وإن كان حقاً فقد ناقض كتاب الله بزيادة الرجم والتغريب. يقول الشاطبي : فهذا اتباع للمتشابه، لأن الكتاب فى كلام العرب، وفى الشرع يتصرف على وجوه منها : الحكم والفرض كقوله تعالى : ﴿كتاب الله عليكم﴾^(٣) أى فرض الله عليكم وقوله : ﴿كتب عليكم الصيام﴾^(٤) أى فرض عليكم، وكذا قوله ﴿وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال﴾^(٥) فكان المعنى : "لأقضين بينكما بكتاب الله" أى بحكم الله وفرضه الذى شرع لنا، ولا يلزم أن يوجد هذا الحكم فى القرآن، كما أن الكتاب يطلق على القرآن، فتخصيصهم الكتاب بأحد المحامل من غير دليل اتباع لما تشابه من الأدلة"^(٦).

ثم قال الإمام الشاطبي : "وقول من زعم^(٧) أن قوله تعالى فى الإماماء : ﴿فإن أتينا بفاحشة

= ٧٩٠هـ له ترجمة فى : شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ٢٣١ رقم ٨٢٨، والمجددون فى الإسلام لعبد المتعال الصعدي ص ٣٠٥، والفتح المبين لعبد الله المراغى ٢٠٤/٢، وأصول الفقه وتاريخه للدكتور شعبان إسماعيل ص ٣٨٤ .

(١) يحكى الإمام هذا الكلام عن أهل الابتداع قديماً، وحديثاً تابعهم من سبق ذكرهم ص ٣٣٩، ٣٤٠ .
(٢) إشارة إلى قوله ﷺ، لوالد الزان بامرأة الرجل الذى صالحه على الغنم والخادم : "والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رد. وعلى ابنك، جلد مائة، وتغريب عام" أخرجه من حديث أبى هريرة وزيد بن خالد الجهني، مسلم (بشرح النووي) كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا ٢١٤/٦ رقمي ١٦٩٧، ١٦٩٨، والبخارى (بشرح فتح الباري) كتاب الحدود، باب الاعتراف بالزنا ١٤٠/١٢ رقمي ٦٨٢٧، ٦٨٢٨ .

(٣) جزء من الآية ٢٤ النساء .

(٤) جزء من الآية ١٨٣ البقرة .

(٥) جزء من الآية ٧٧ النساء .

(٦) الاعتصام ١/١٩٩، ٢٠٠، ٥٥٨/٢، ٥٥٩، وينظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٨٨ - ٩٠، وضلالات منكرى السنة للدكتور طه حبيشي ص ٢٩٥ .

(٧) حكاية منه عن أهل الابتداع قديماً، وتابعهم حديثاً. توفيق صدقي فى مقاله : "الإسلام هو القرآن وحده" فى مجلة النار المجلد ٩/٥٢٣، ٥٢٤، وأحمد حجازى السقا فى كتابيه إعجاز القرآن ص ٧٩، ودفع الشبهات ص ١٠٨، والسيد صالح أبو بكر فى الأضواء القرآنية ص ٣١٣، ٣١٤، ومصطفى المهدي فى البيان بالقرآن ١/٣٣٤، ٣٥٦، ونبازى عز الدين فى دين السلطان ص ٩٤٨، وأحمد صبحى منصور فى لماذا القرآن ص ١١٢ وغيرهم .

فعلين نصف ما على المحصنات من العذاب^(١) لا يعقل مع ما جاء في الحديث : أن النبي ﷺ رجم، ورجمت الأئمة بعده^(٢)؛ لأنه يقتضى أن الرجم ينتصف، وهذا غير معقول، فكيف يكون نصفه على الإمام؟ هذا ذهاباً منهم إلى أن المحصنات هن ذوات الأزواج، وليس كذلك، بل المحصنات هنا المراد بهن الحرائر، بدليل قوله أول الآية : ﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾^(٣) وليس المراد هنا إلا الحرائر؛ لأن ذوات الأزواج لا تنكح^(٤).

قلت : وكذلك حد الردة الذى يزعمون أنه يناقض القرآن الكريم تجد أصله فى كتاب الله عز وجل، وتأمل قوله تعالى : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا﴾^(٥) والمحاربة والإفساد يكون باليد وباللسان، بل إن محاربة الله ورسوله باللسان أشد، والسعى فى الأرض لفساد الدين باللسان أوكد، ومن هنا كان المرتد عن دين الإسلام، المحارب لله ورسوله، أولى باسم المحارب المفسد من قاطع الطريق. ويؤيد أن المحارب لله ورسوله باللسان قد يفسر بالمحارب قاطع الطريق، ما رواه أبو داود فى سننه مفسراً لقوله ﷺ : "التارك لدينه المفارق للجماعة"^(٦) عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : "لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، إلا بإحدى ثلاث، رجل زنى بعد إحسان، فإنه يرجم، ورجل خرج محارباً لله ورسوله، فإنه يقتل أو يصلب، أو ينفى من الأرض، أو يقتل نفساً فيقتل بها"^(٧).

(١) جزء من الآية ٢٥ النساء.

(٢) يشير إلى قول عمر بن الخطاب : "رجم رسول الله ﷺ، ورجم أبو بكر، ورجمت ... الحديث أخرجه الترمذى فى سننه، كتاب الحدود، باب ما جاء فى تحقيق الرجم ٢٩/٤ رقم ١٤٣١ وقال حسن صحيح، ومالك فى الموطأ كتاب الحدود، باب ما جاء فى الرجم ٦٢٨/٢ رقم ١٠، والشافعى فى مسنده ص ٢٩٤ رقم ٧٩٢، والبيهقى فى السنن الكبرى ٢١٣/٨ .

(٣) الآية ٢٥ النساء.

(٤) الاعتصام ٥٠٩/٢، ٥٦٠، وينظر : تأويل مختلف الحديث ص ١٧٧، ١٧٨ .

(٥) الآية ٣٣ المائدة.

(٦) عن ابن مسعود مرفوعاً : "لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، إلا بإحدى ثلاث، الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة" أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم ١٧٩/٦ رقم ١٦٧٦، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الديات، باب قوله تعالى : "أن النفس بالنفس" ٢٠٩/١٢ رقم ٦٨٧٨ .

(٧) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد ١٢٦/٤ رقم ٤٣٥٣، ورجاله كلهم ثقات فالإسناد صحيح .

ويؤيد أن المرتد عن دين الإسلام، المشكك والطاعن في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، محارب لله ورسوله، وتشمله الآية الكريمة ما روى عن أنس، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم. أن آية المحاربة نزلت في قوم عريضة : سرقوا، وقتلوا، وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله.

فعن ابن عمر : أن ناسا أغروا على إيل النبي ﷺ، فاستقوها، واربدوا عن الإسلام، وقتلوا راعي رسول الله ﷺ، مؤمنا، فبعث في آثارهم، فأخذوا، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، قال: ونزلت فيهم آية المحاربة^(١).

وبدل أيضا على قتل المرتد قوله تعالى : ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾^(٢).

قال الحسن البصري^(٣) : أراد المنافقون أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله في هذه الآية، فكتموه وأسروه^(٤) وهذا يعنى : أن المنافق حين يظهر كفره، ويطعن في دين الله عز وجل؛ يأخذ ويقتل عقابا له.

والسؤال هنا : هل هناك شك في أن المرتد عن دين الإسلام منافق؟ يسعى إلى تفريق جماعة المسلمين، وإفساد دينهم عليهم!

(١) أخرجه أبو داود في سنته كتاب الحدود، باب ما جاء في المحاربة ١٣١/٤ رقم ٤٣٦٩، وينظر : الروايات الأخرى أرقام : ٤٣٦٤ - ٤٣٧٢، ففيها أيضا التصريح بترول آية المحاربة فيمن ارتدوا وحاربوا. وأصل قصة العرينين في الصحيحين. ينظر : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحدود، باب المحاربين من أهل الكفر والردة ١١١/١٢ - ١١٤ أرقام ٦٨٠٢ - ٦٨٠٥، ومسلم (بشرح النووي) كتاب القسامة، باب حكم المحاربين المرتدين ١٦٧/٦ رقم ١٦٧١.

(٢) الآية ٦٠ الأحزاب.

(٣) هو : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصرى، مولى زيد بن ثابت، كان عالما رفيعا، ثقة، حجة، ولد لستين بقتا من خلافة عمر. مات سنة ١١٠هـ له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٧١/١ رقم ٦٦، ووفيات الأعيان ٦٩/٢ رقم ١٥٦، وتهذيب التهذيب ٢٦٣/٢ رقم ٤٨٨، وطبقات المفسرين للداودى ١٥٠/١ رقم ١٤٤.

(٤) الصارم السلول على شاتم الرسول لابن تيميه ص ٣٤٨، ٣٤٩، وينظر : الدر المنثور ٢٢٢/٥، وروح المعاني ٢٢/٩٠، ٩١.

إن المرتد، إن كانت ردة بينه وبين نفسه، دون أن ينشر ذلك بين الناس، ويثير الشكوك في قلوبهم، فلا يستطيع أحد أن يتعرض له بسوء، فالله وحده هو المطلع على ما تخفى الصدور. أما إذا أظهر المرتد عن دين الإسلام ردة، وأثار الشكوك في نفوس المسلمين بالنطق بكلمة الكفر، وإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، كان حاله حينئذ، حال المنافق الذي يظهر ما في قلبه من الكفر والنفاق، و جهاده واجب عملاً بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَثَرَهُمْ وَمَا يَنْتَهُونَ وَأَمَّا أَنْ تُغْنَاهُمْ إِلَهُهُمُ فَكَانَ فَضْلُهُ فَإِنَّ يَتُوبُوا بِكَ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١).

ووجه الدليل في الآيتين : أن الله عز وجل، أمر رسول الله ﷺ، بجهاد المنافقين كما أمره بجهاد الكافرين، وأن جهادهم إنما يمكن إذا ظهر منهم، من القول أو الفعل ما يوجب العقوبة، فإنه ما لم يظهر منهم شيء أثبتة لم يكن لنا سبيل عليهم. فإذا ظهر منهم كلمة الكفر. كما قال عز وجل: ﴿وَكُفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ فجهادهم بالقتل؛ وهو العذاب الأليم الذي توعدهم به رب العزة في الدنيا بقوله : ﴿وَإِنْ يَتُوبُوا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

وهذه الآية نظير قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾^(٢) قال أهل التفسير : "أو بأيدينا" بالقتل؛ إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلناكم، وهو كما قالوا؛ لأن العذاب على ما يبتغونه من النفاق بأيدينا لا يكون إلا بالقتل لكفرهم^(٣).

فهل بعد كل هذه الآيات الكريمات شك في أن المرتد عن الإسلام إذا أظهر كلمة الكفر مثل المنافق جزاؤه القتل بصريح القرآن الكريم؟! وهل بعد ذلك شك في أن حد الردة الوارد في السنة المطهرة لا يناقض القرآن الكريم؟!.

(١) الآيتان ٧٣، ٧٤ التوبة.

(٢) الآية ٥٢ التوبة؛ وهذه الآية نظير قوله تعالى : ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ الآية ١٠١ التوبة، والمراد للمرة الأولى في الدنيا بقتلهم، والثانية في البرزخ في قبورهم. ينظر : تفسير القرآن العظيم ١٤٣/٤، وفتح الباري ٢٨٦/٣ رقم ١٣٦٩ .

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ ص ٣٤٥ .

إن ما زعمه أدعياء العلم، من مخالفة حد الرجم، وحد الردة، لكتاب الله عز وجل، زعم باطل، فتلك الأحكام الجديدة التي جاءت بها السنة المطهرة، هي تبيان لكتاب الله عز وجل، ولا تخالفه على ما سبق، وهذا على رأى من لا يسمى الأحكام الزائدة أو الجديدة فى السنة استقلالا. أما من يسميها استقلالا، فيقر بها، ويرى أنها واجبة الاتباع، عملا بنص القرآن على وجوب طاعة رسول الله ﷺ، ووجوب قبول كل ما أخبر به أو قضى به.

وأنت ترى هنا أن الخلاف بين العلماء فى الأحكام الجديدة الواردة فى السنة المطهرة، الخلاف بينهم لفظى، فالكل يعترف بوجود أحكام فى السنة المطهرة، لم تثبت فى القرآن الكريم، ولكن بعضهم لا يسمي ذلك استقلالا، والبعض الآخر يسميه. والنتيجة واحدة؛ وهى حجية تلك الأحكام الزائدة، ووجوب العمل بها.

ب- ليس فى الأحكام الزائدة على كتاب الله عز وجل، ما يشوه سيرة رسول الله ﷺ، بجعله مُشَرَّعاً؛ كما يزعم أعداء السنة المطهرة! لأن الله تعالى قد جعل من جملة صفات رسوله ﷺ، ومن مهامه الكبار، أنه يحلل ويحرم، وهكذا جاء وصفه ﷺ فى الكتب السماوية السابقة، وهو عليه الصلاة والسلام، لا يشرع من عند نفسه، إنما يشرع حسب ما يريه الله تعالى ويوحى إليه، لأنه لا ينطق عن الهوى، وتأمل قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

فقوله تعالى : "يحل، يحرم، يضع" هذه من خصائص المشرع الحقيقى، ولكنه ﷺ، لا يفعل من عند نفسه كما قلت، إنما يوحى الله تعالى إليه. فأطايب اللحم، كان محرما على بنى إسرائيل : ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٢) فقد أباحه النبى ﷺ، كلم الإبل، وشحم البقر، والغنم، على التفصيل المذكور فى قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي

(١) الآية ١٥٧ الأعراف.

(٢) جز من الآية ٩٣ آل عمران.

ظفر ومن البقر والغنم حرمتنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون^(١).

وقوله تعالى : ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ كالميتة، والخنزير، والخمر، والربا... الخ وقوله تعالى : ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ أى ثقلهم ﴿والأغلال﴾ أى القيود التى كانت عليهم، كجوب قتل النفس فى التوبة، بينما فى ديننا هو الاستغفار والندم، وغسل النجاسة بالماء، بينما كانت تقرر بالمقراض، فهذا كله تخفيف من الله تعالى ورحمة، أوحى به إلى نبيه ﷺ، وعلينا السمع والطاعة والامتثال.

وبالجملة : إذا قيل إن رسول الله ﷺ، له حق التشريع، فمرد هذا التشريع عند من يقول بذلك إلى الله عز وجل. لأن ما يصدر عن رسول الله ﷺ فى تبيانه لكتاب الله، لا يخلو عن أن يكون هذا البيان النبوى - حتى ولو كان بأحكام زائدة - أوحى الله تعالى بمعناه إلى رسوله ﷺ، وعبر عنه رسول الله، بالفاظ من عنده، وهذا هو الأعم الأغلب فى السنة النبوية، فيجب قبوله، لما تقرر من عصمته ﷺ فى بلاغه لوحي الله تعالى - قرآناً وسنة - وإما أن يقول رسول الله تبياناً أو حكماً باجتهاده مما يعلم أنه من شرع الله تعالى، فإن وافق قوله أو فعله أو حكمه مراد الله عز وجل، فالأمر كما أخبر به عليه الصلاة والسلام. وإن كان الأمر يحتاج إلى صحيح أو توضيح؛ أوحى الله تعالى إلى نبيه بالتصحيح. وهذا هو الأقل النادر فى السنة النبوية.

وبهذا التصحيح تصبح السنة فى هذه الحالة؛ حكم الله فى النهاية، حجة على العباد إلى يوم الدين، وتجب طاعة رسول الله ﷺ. فى هذه السنة، بيانية كانت، أو زائدة على كتاب الله عز وجل. يدل على ذلك عشرات الآيات القرآنية التى تحض على طاعته ﷺ وتحذر من مخالفته.

وإذا كان أعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة، ينكرون ذلك. ويزعمون أن طاعته ﷺ تنحصر فى القرآن فقط.

فبالى بيان شبهتهم فى المطلب التالى والرد عليها

(١) الآية ١٤٦ الأنعام.

المطلب الثالث

شبهة أنه لا طاعة لرسول الله ﷺ إلا في القرآن فقط

والرد عليها

فى الوقت الذى يتمسح فيه من يسمون أنفسهم (القرآنيون) بظاهر القرآن ويستدلون به على أن مهمة الرسول الوحيدة فى رسالته هى تبليغ القرآن فقط؛ إذ بهم يجدون أنفسهم فى مأزق من كتاب الله عز وجل الذى يصرح بأن لرسول الله ﷺ، بياناً للقرآن الكريم، وهو بيان حجة، وواجب الاتباع، بنص عشرات الآيات القرآنية، التى تحض على طاعة رسول الله ﷺ، طاعة مطلقة؛ فى كل ما يأمر به، وينهى عنه، وتحذر من مخالفته.

ولأن هذه الآيات تقض إفكهم وتبطل شبهاتهم من جذورها، فقد تعسفوا فى تأويل تلك الآيات، بما يتفق وإنكارهم لأن يكون لرسول الله ﷺ، سنة مطهرة، واجبة الاتباع. فزعموا : أن كلمة (الرسول) فى القرآن تعنى القرآن، وأن طاعة الرسول الواردة فى القرآن إنما تعنى : طاعة القرآن فقط، أو بعبارة أخرى طاعة رسول الله ﷺ فيما بلغه من القرآن فقط.

يقول أحمد صبحى منصور : "كلمة الرسول فى بعض الآيات القرآنية تعنى القرآن بوضوح شديد كقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١).

يقول أحمد صبحى : فالآية تقرر حكماً عاماً مستمراً إلى قيام الساعة بعد وفاة محمد. فالهجرة فى سبيل الله وفى سبيل رسوله أى القرآن، قائمة ومستمرة بعد وفاة النبي محمد وبقاء القرآن أو الرسالة، وأحياناً - ولازال الكلام له - تعنى كلمة "الرسول" القرآن فقط، وبالتحديد بون معنى آخر كقوله تعالى : ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُؤْمِنُوا بِكُلِّ رَسُولٍ يَأْتِيكُمْ مِنْهُ﴾^(٢) فكلية "ورسوله" هنا : تدل على كلام الله فقط، ولا تدل مطلقاً على معنى الرسول محمد. والدليل أن الضمير فى كلمة "ورسوله" جاء مفرداً، فقال تعالى : ﴿وَتُؤْمِنُوا بِكُلِّ رَسُولٍ يَأْتِيكُمْ مِنْهُ﴾

(١) الآية ١٠٠ النساء.

(٢) الآية ٩ الفتح.

وتسبحوه بكرة وأصيلاً» والضمير المفرد يعنى : أن الله ورسوله أو كلامه، ليسا اثنين، وإنما واحد، فلم يقل : "وتعزروهما وتوقروهما وتسبحوهما بكرة وأصيلاً"، ويقول تعالى : ﴿يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾^(١) ولو كان الرسول فى الآية يعنى : شخص النبى محمد لقال تعالى : "أحق أن يرضوهما" ولكن الرسول هنا يعنى فقط كلام الله، لذا جاء التعبير بالمفرد، الذى يدل على الله تعالى وكلامه^(٢).

ويقول فى موضع آخر : "أما أقوال الرسول، فهى القرآن دين الله، وقد أبلغه الرسول دون زيادة ولا نقصان، وفيه الكفاية، وفيه التفصيل، وفيه البيان، إن طاعة الرسول هى طاعة القرآن الذى أنزله الله على الرسول، ولا يزال الرسول أو القرآن بيننا"^(٣).

وقال قاسم أحمد^(٤) : "يبدو جلياً أن طاعة الرسول تعنى طاعة الله، لأن الرسول ليس سلطة مستقلة، فهو كرسول له حق التبليغ، تبليغ الرسالة، وطاعته من طاعة الله، وكما ذكر فى القرآن فى مرات عديدة ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾"^(٥) يعنى : ملاحظة أن القرآن استخدم كلمة الرسول، ولم يقل "محمد" إذن فالطاعة للرسول أى الرسالة التى أرسل بها من قبل الله ... فمثل هذه الآيات التى تتضمن أن طاعة الله مقترن بها طاعة الرسول، تفسرها آيات أخرى تتضمن أن الطاعة واجبة فقط لله"^(٦).

ويجاب عن ما سبق بما يلى :

أولاً : تعسف أعداء رسول الله، فى تأويل كلمة "الرسول" فى كتاب الله عز وجل بأنها القرآن الكريم، دون شخص النبى محمد ﷺ، أمر يرفضه القرآن الكريم، وتأمل معنى الآيات التالية:

-
- (١) الآية ٦٢ التوبة.
 - (٢) لماذا القرآن أو القرآن وكفى ص ٣٣، ٣٤ .
 - (٣) المصدر السابق ص ٥٠ .
 - (٤) كاتب ماليزى معاصر، ورئيس الحزب الاشتراكي الماليزى - سابقاً - من مؤلفاته : إعادة تقييم الحديث، أنكر فيه حجية السنة النبوية، وحجية السيرة العطرة الواردة فى السنة .
 - (٥) الآية ٩٩ المائدة .
 - (٦) إعادة تقييم الحديث ص ٨٠، وينظر : الإمام الشافعى وتأسيس الأيدلوجية الوسطية لنصر حامد أبو زيد ص ٨٣، ٨٤، والدولة والمجتمع لمحمد شحرور ص ١٥٥، والحقيقة من الحقائق المسكوت عنها لنيازى عز الدين ص ٣٤٨، وغيرهم ممن زعم أن مهمة الرسول فى رسالته قاصرة على بلاغ القرآن فقط. يراجع : ص ٣٢٧، ٣٢٨ .

١- قال تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(١) فهل يصح من عاقل؛ أن يفسر كلمة الرسول في الآية بأنها القرآن؟! ويكون المعنى : وما محمد إلا قرآن قد خلت من قبله القرآن أو الرسل؟! .

٢- وقال عز وجل ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) فهل يصح من أعداء الإسلام تأويل "ورسوله" بمعنى "وقرآنه" وبالتالي ينكرون ما هو ثابت بالتواتر من هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة؟! تلك الهجرة التي كانت واجبة قبل فتح مكة، حتى أن الله سبحانه وتعالى نهى عن اتخاذ من لم يهاجر ولياً حتى يهاجر، كما قال عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾^(٣) فهل حديث القرآن عن الهجرة في هذه الآية وغيرها، يعنى : الهجرة إلى القرآن؟! .

كيف وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾ صريح في أنها هجرة حقيقة، من مكان إلى مكان، وهو الثابت تاريخياً؛ من هجرة رسول الله من مكة إلى المدينة، وهجرة الصحابة بعد ذلك إليه ﷺ وهو ما يؤكد أن قوله "ورسوله" تعنى شخص النبي محمد ﷺ .

٣- وقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٤) فهل يصح أو يعقل أن يكون المراد بالآية : آمِنُوا بِاللَّهِ وكتابه - والكتاب الذى نزل على قرآنه؟! .

٤- وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(١) الآية ١٤٤ آل عمران .

(٢) الآية ١٠٠ النساء .

(٣) الآية ٧٢ الأنفال .

(٤) الآية ١٣٦ النساء .

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون^(١).

إن هاتين الآيتين تفيدان مع سابقتهما، أن كلمة "الرسول" مراداً بها شخص رسول الله ﷺ، ولا يصح بحال أن تفسر كلمة "الرسول"، بأنها القرآن، كما يزعم الأعداء. فتكون الآية هكذا : "الذين يتبعون القرآن النبي الأمي" و"قل يا أيها الناس إني قرآن الله إليكم جميعاً" و"فآمنوا بالله وقرآنه النبي الأمي"^(٢).

إن الآيات السابقة كلها تصرح في وضوح وجلاء لمن عنده عقل، أن كلمة "الرسول" إنما تعني شخص النبي محمد ﷺ، وفي الآيات أيضاً الدلالة الواضحة على وجوب اتباعه وطاعته ﷺ طاعة مطلقة في كل ما يأمر به، وينهى عنه، حتى ولو كان خارجاً عن القرآن الكريم بدلالة (ويحل، ويحرم، ويضع) في قوله : ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ وتصرح الآيات بأن في هذا الاتباع والطاعة له ﷺ، الفلاح والهداية إلى طريق مستقيم : ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾.

كما تصرح الآيات بأن الإيمان بشخص النبي محمد ﷺ وبرسالته، جزء لا يتجزأ من الإيمان بوجود الله تعالى، وبإفراده بالعبودية والالوهية ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي﴾ وبدلالة هذا الإيمان كانت طاعته ﷺ، طاعة لله عز وجل ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾^(٣) وتأمل إفراد الضمير في قوله : "واتبعوه" بعد أن فرق وغاير بواو العطف بين الإيمان به تعالى، والإيمان به ﷺ، ليندل على أن اتباعه وطاعته ﷺ، اتباع وطاعة له عز وجل. لأن المشكاة واحدة - في القرآن والسنة - وهي : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾^(٤).

-
- (١) الآيتان ١٥٧، ١٥٨ الأعراف مع الآية ٨١ آل عمران ﴿ثم جاءكم رسول لما معكم﴾.
 (٢) وللاستزادة ينظر : ما ذكره الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز ٧٢/٢ فقد قال : الرسول في القرآن، ورد على اثني عشر وجهاً وعدّها، وليس منها القرآن أهـ.
 (٣) الآية ٨٠ النساء.
 (٤) الآيتان ٣، ٤ النجم.

وبالتالى : فإفراد الضمير فى قوله : "واتبعوه" لا يعنى كما يزعم أعداء عصمة رسول الله ﷺ، بأنه اتباع وطاعة للقرآن فقط. لأن زعمهم هذا بنوه على تفسير كلمة "الرسول" فى الآيات بمعنى القرآن، وقد تبين لك فساد وبطلان هذا التفسير .

ثانياً : زعم أدعياء العلم والفتنة؛ بأنه لا طاعة لرسول الله ﷺ إلا فى القرآن فقط، أمر يرفضه ويبطله القرآن الكريم الذى بين فى مواضع عدة أن لرسول الله ﷺ، أوامر ونواهي، وأحكام، خارج القرآن الكريم، وهى واجبة الاتباع مثل القرآن الكريم سواء بسواء، من ذلك ما يلى :

١- قوله تعالى : ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾^(١) فهذه الآية الكريمة تدلنا على أن التوجه إلى بيت المقدس، كان مشروعاً من قبل، وكان ذلك التوجه حقاً وصواباً واجباً عليهم قبل التحول إلى الكعبة. فأين ذلك كله فى القرآن الكريم؟ ألا يدل ذلك على أن النبى ﷺ، وأصحابه كانوا عاملين بحكم وأمر، لم ينزل بوحى القرآن، وأن عملهم هذا كان حقاً وواجباً عليهم الطاعة فيه لرسول الله ﷺ؟! ولا يصح أن يقال : إن عملهم هذا كان بمحض عقولهم واجتهادهم. إذ العقل لا يهتدى إلى وجوب التوجه إلى قبلة "ما" فى الصلاة، فضلاً عن التوجه إلى قبلة معينة، فضلاً عن أن النبى ﷺ، كان أثناء صلاته إلى بيت المقدس راعياً كل الرغبة فى التوجه إلى الكعبة المشرفة : ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فننولئك قبلةً رضاهما فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾^(٢) إذن : كان التوجه إلى بيت المقدس بوحى غير القرآن وهو وحى السنة المطهرة، وكان رسول الله ﷺ مطاعاً فى ذلك الوحى. بل : ﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾^(٣) فتدبر .

٢- وقال تعالى : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾^(٤) أفادت هذه الآية أن أمر النبى هو أمر الله، ولو كان خارج

(١) الآية ١٤٢ البقرة.

(٢) الآية ١٤٤ البقرة.

(٣) جزء من الآية ١٤٣ البقرة. وينظر : حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص ٣٣٦ بتصرف .

(٤) الآية ٣٦ الأحزاب.

القرآن، لأن النبي ﷺ، رأى أن يزوج زينب لزيد، على ما رواه الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس أن النبي ﷺ، خطب زينب وهو يريد لها زيدا، فظنت أنه يريد لها لنفسه، فلما علمت أنه يريد لها زيدا، أبت، واستكفت، وقالت : أنا خير منه حسباً. فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فرضيت وسلمت^(١).

فتأمل : كيف أن المولى عز وجل، جعل أمر رسول الله ﷺ هو أمره تعالى وأتى بصيغة عامة تشمل جمع أوامره ﷺ. فالآية تصفع أولئك المبتدعة الذين يقصرون طاعة النبي ﷺ على ما كان في القرآن، ومتعلقاً بالدين! وزواج زينب بزيد لم يأمر به القرآن، ولا علاقة له بالدين. فإن تمسكوا بقول النبي ﷺ في مسألة تأبير النخل! "أنتم أعلم بأمور دنياكم"^(٢) فلا حجة لهم فيه؛ لأن النبي ﷺ لم يأمر بترك التأبير، وإنما قال : "تعلمكم لو لم تفعلوا كان خيراً" فأبدى رأياً مجرداً^(٣) وليس كلامنا فيه، إنما كلامنا فيما أفادته الآية من وجوب اتباع أمره ﷺ دينياً كان أو دنيوياً، مع تنبيهها بقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٤).

٢- وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾^(٥) أفادت هذه الآية أن أمر النبي ﷺ، هو أمر الله عز وجل، ولو كان خارج القرآن، لأن النبي ﷺ يوم أحد، أخبر أصحابه بنصر الله لهم في المعركة، وأمر الرماة يومئذ ألا يتحركوا من مكانهم بأى حال من الأحوال سواء هزموا أو انتصروا، وذلك في قوله ﷺ : "لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرونا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا"^(٦) وفي رواية : "احموا ظهورنا،

(١) سبق تخريجه ص ١٦٥ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٨ .

(٣) سيأتي مزيد من الجواب عن هذا الحديث في الباب الثالث ص ٤١٢ .

(٤) الآية ٣٦ الأحزاب. وينظر : دلالة القرآن المبين لعبد الله الغماري ص ١١٦، ١١٧ .

(٥) الآية ١٥٢ آل عمران .

(٦) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب المغازي، باب غزوة أحد

٤٠٥/٧ رقم ٤٠٤٣ من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه .

فإن رأيتُمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتُمونا قد غنمنا فلا تشركونا^(١) ولكن الرماة ما إن رأوا هزيمة أهل الشرك وجمع المسلمين الغنائم إلا تركوا مكانهم وخالفوا أمر رسول الله ﷺ طلباً للغنيمة، فكانت نتيجة مخالفة الأمر الهزيمة بعد النصر.

وتأمل قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ يتبين لك أن عدم طاعة رسول الله ﷺ في سنته المطهرة، ومخالفته في أوامره ونواهيه، عصيان، عاقبته الفشل في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

٣- وقال تعالى : ﴿مَا قُطِعَ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢) فالآية الكريمة تصرح بأن أمر رسول الله ﷺ بقطع نخيل بنى النضير وتحريقها، إنما هو بإذن الله تعالى. فأين هذا الإذن والأمر في كتاب الله عز وجل؟! أليس في سنة رسول الله ﷺ؟! وأن تلك السنة يجب طاعته ﷺ فيها، حيث وصفت بأنها بإذن الله تعالى؟ على ما روى في سبب نزول هذه الآية عن ابن عمر رضی الله عنهما قال : "حرق رسول الله ﷺ، نخل بنى النضير وقطع، وهى : البويرة^(٣) فنزلت : ﴿مَا قُطِعَ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤) فهل بقي للمتطعين القاصرين طاعته ﷺ على القرآن فقط من حجة؟!.

٤- وقال عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٥) فتأمل كلف الخطاب المراد بها شخص رسول الله ﷺ، هل يفسرها الأدعياء هنا بالقرآن؟ وتأمل كيف أن البيعة الرضوان، وكل ما حدث فيها من أوامر ونواهي، من رسول الله ﷺ، خارج القرآن، وطاعة الصحابة رضی الله عنهم لتلك الأوامر والنواهي^(٦) وكيف وصفت تلك البيعة

(١) جزء من حديث طويل أخرجه أحمد في مسنده ٢٨٧/١، ٢٨٨ من حديث ابن عباس رضی الله عنهما.

(٢) الآية ٥ الحشر.

(٣) تصغير البئر الذى يستقى منها الماء، وهو موضع منازل بنى النضير اليهود. معجم البلدان ١/٥١٢.

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب حديث بنى النضير ٣٨٣/٧ رقم ٤٠٣٠. ومسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد، باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها ٢٩٣/٦.

رقم ١٧٤٦.

(٥) الآية ١٠ الفتح.

(٦) ينظر : قصة البيعة في : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الشروط، باب الشروط في الحرب، والمصالحة مع أهل الحرب ... الخ ٣٩٠/٥ رقمى ٢٧٣١، ٢٧٣٢، ومسلم (بشرح=

بأنها مبايعة لله تعالى، وأن يده فوق أيدي أصحاب البيعة! مما يفيد أن مبايعة رسول الله، مبايعة لله، وطاعته طاعته، وأن كل ما يصدر عن النبي ﷺ، خارج القرآن، هو بإذن الله؛ بوحى غير مثلو فى السنة المطهرة، مما يجب الامتثال له، حيث يرضاه الله تعالى وتأمل : ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾^(١) فإنها تؤيد ما سبق، حيث أن رضاه عز وجل عم الأشخاص الذين أطاعوا رسول الله ﷺ فى البيعة، كما عم رضاه سبحانه مكان مبايعتهم .

٥- وقال تعالى : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾^(٢) فالآية صريحة فى توجيه الخطاب إلى شخص النبى محمد ﷺ، "إليك" "لتحكم" "أراك" فهل يزعم أعداء رسول الله ﷺ، أن الخطاب فى الآية للقرآن وليس لشخصه الكريم؟! .

ثم تأمل ما فى الآية من التصريح بأن لرسول الله ﷺ حكماً بين الناس، والحكم أمر زائد على مجرد القانون الذى يحكم به! وهذا الحكم النبوى وصف بأنه وحى إلهى ﴿بما أراك الله﴾ ليس فى الآية تصريح بأن لهذا النبى الكريم طاعة واجبة خارج القرآن، فيما يحكم به مما جاء فى سنته؟! .

٦- وقال سبحانه : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم﴾^(٣) فهذه الآية الكريمة تصرح فى وضوح وجلاء، بوجود الإيمان بكل ما نزل على محمد ﷺ وما أنزل عليه شيطان (الكتاب والحكمة) كما صرح رب العزة بقوله : ﴿وانذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾^(٤) وقال : ﴿وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾^(٥) وقد سبق قريباً تفسير الكتاب والحكمة، وتفصيل الأدلة على

=(النووى) كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية ٦/٣٧٧ رقم ١٧٨٥ من حديث سهل بن حنيف رضى الله عنه .

(١) الآية ١٨ الفتح. وينظر : دلالة القرآن المبين لعبد الله الغمارى ص ١٣٢، ١٣٣ .

(٢) الآية ١٠٥ النساء .

(٣) الآية ٢ محمد .

(٤) الآية ٢٣١ البقرة .

(٥) الآية ١١٣ النساء .

أن الحكمة فى الآيتين وغيرهما بأنها السنة النبوية. إذن بصريح الآية الثانية من سورة محمد فإن له ﷺ طاعة خارج القرآن، وذلك فيما أنزل عليه من السنة المطهرة.

وتأمل : ذكر اسمه (محمد) مجرداً وصريحاً ليكون أبلغ رد على المتنطعين المتأولين كلمة "الرسول" بمعنى القرآن!.

٧- وقال تعالى : ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(١) وقال : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢) فهاتان الآيتان تصرحان بأن لرسول الله ﷺ، تبييناً لكتاب الله عز وجل، وهو تبيان إلهى بنص آية القيامة، وهذا البيان إنما جاء على لسانه ﷺ فتجب طاعته فيه، لأنه أمر زائد على مجرد بلاغ المبين وهو القرآن الكريم على ما سبق تفصيله فى المطلب السابق.

وبعد : فإذا ثبت لك بصريح القرآن الكريم، أن لرسول الله ﷺ، أوامر ونواهى وأحكام، خارج كتاب الله عز وجل، وأن هذه الأوامر والنواهى والأحكام هى بيانه للقرآن، وهو بيان منزل من عند الله عز وجل دل ذلك على أن لرسول الله ﷺ، طاعة واجبة لهذا البيان مع طاعته لكتاب الله تعالى.

كما دل ذلك على أن عشرات الآيات القرآنية التى تتحدث عن طاعته ﷺ إنما تعنى إطاعة شخصه الكريم فيما يبلغ من وحى الله تعالى قرآناً وسنة؛ وليس كما يزعم أعداء عصمته ﷺ، طاعته فى القرآن فقط. وإليك نماذج من تلك الآيات.

ثالثاً : الأدلة من القرآن الكريم على وجوب طاعته ﷺ :

اشتدت عناية القرآن الكريم بتلك المسألة، فوجه إليها آيات كثيرة، تنوعت بين آيات تأمر فى وضوح بوجوب الإيمان به ﷺ، وبين آيات أخرى تأمر بوجوب طاعته ﷺ، طاعة مطلقة، فيما يأمر به وينهى عنه، وبين آيات أخرى، تنهى عن مخالفته ﷺ، وتحذر من ذلك.

واستعراض تلك الآيات أمر يطول، ولذا سوف أكتفى ببعض هذه الآيات فقط، مع بيان

دالاتها على وجوب طاعته ﷺ.

(١) الآية ١٩ القيامة.

(٢) الآية ٤٤ النحل.

١- قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾^(١).

٢- وقال سبحانه : ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢).

قال الإمام الشافعي : "فجعل كمال ابتداء الإيمان، الذي ما سواه تبع له، الإيمان بالله ثم برسوله، فلو آمن عبد به تعالى ولم يؤمن برسوله ﷺ : لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبداً، حتى يؤمن برسوله معه^(٣)، وبمقتضى هذا الإيمان وجبت طاعته ﷺ، في كل ما يبلغه عن ربه، سواء ورد ذكره في القرآن أم لا .

وتأمل كيف جاء الأمر باتباعه ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ عقب الأمر بالإيمان به ﷺ، تأكيداً على وجوب اتباعه. وإلا فإن الاتباع داخل في الإيمان، ولكن أفرد بالذكر هنا : تنبيهاً على أهميته وعظم منزلته؛ وإذا كانت المتابعة بالإتيان بمثل فعل الغير، ثبت أن الانقياد لرسول الله ﷺ في جميع أقواله وأفعاله إلا ما خصه الدليل، طاعة له وانقياد لحكم الله تعالى^(٤).

٣- ومن أهم الآيات دلالة على وجوب طاعته ﷺ، قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوا بِمَا فِي شَجَرِ بَيْنِهِمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٥) يقول ابن قيم الجوزية : "أقسم سبحانه بنفسه، وأكدته بالنفي قبله على نفي الإيمان عن العباد، حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم، من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرد، حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً، وينقادوا انقياداً"^(٦) ويقول أيضاً : "وفرض

(١) الآية ١٣٦ النساء.

(٢) الآية ١٥٨ الأعراف.

(٣) الرسالة ص ٧٥ فقرة رقم ٢٣٩، ٢٤٠ .

(٤) ينظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٥٠٦/٨ .

(٥) الآية ٦٥ النساء.

(٦) أعلام الموقنين ٥١/١ .

تحكيمة، لم يسقط بموته، بل ثابت بعد موته، كما كان ثابتاً في حياته، وليس تحكيمة مختصاً بالعمليات دون العمليات كما يقوله أهل الزيغ والإلحاد^(١).

٤- وقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢) ودلالة الآية على وجوب طاعته ﷺ من عدة وجوه :

الوجه الأول : النداء بوصف الإيمان في مستهل الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ومعنى ذلك : أن المؤمنين لا يستحقون أن ينادوا بصفة الإيمان، إلا إذا نفذوا ما بعد النداء، وهو طاعة الله تعالى، وطاعة رسول الله ﷺ، وأولى الأمر .

الوجه الثاني : تكرار الفعل "أطيعوا" مع الله تعالى، ومع رسوله ﷺ، وتكرار ذلك في آيات كثيرة كقوله : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾^(٣) وقوله : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٤).

يقول الإمام الشاطبي : "تكراره الفعل "أطيعوا" يدل على عموم الطاعة بما أتى به مما في الكتاب، ومما ليس فيه مما هو من سنته"^(٥) وقال العلامة الألويسي : "وأعاد الفعل : و"أطيعوا" وإن كان طاعة الرسول مقرونة بطاعة الله تعالى، واعتناء بشأنه ﷺ، وقطعاً لتوهم أنه لا يجب امتثال ما ليس في القرآن، وإيضاحاً بأن له ﷺ، استقلالاً بالطاعة لم يثبت لغيره، ومن ثم لم يعد في قوله : ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ إيذاناً بأنهم لا استقلال لهم فيها استقلال الرسول ﷺ^(٦) بل طاعتنا لهم مرتبطة بطاعتهم هم لله ورسوله، فإن هم أطاعوا الله ورسوله فلهم علينا حق السمع والطاعة، وإلا فلا. لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"^(٧).

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٥٢٠ .

(٢) الآية ٥٩ النساء .

(٣) الآية ٩٢ المائدة .

(٤) الآية ٥٦ النور .

(٥) الموافقات ٣/ ٣٨ .

(٦) روح المعاني ٥/ ٦ .

(٧) أعلام الموقعين ١/ ٤٨ .

ومما هو جدير بالذكر هنا : أن فرض الله تعالى، طاعة رسول الله ﷺ، ليست له وحده، بل هي حق الأنبياء جميعاً. قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رِسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١) فرب العزة يقرر هنا قاعدة : أن كل رسول جاء من عنده تعالى يجب أن يطاع.

وقال سبحانه على لسان كثير من رسله أنهم طلبوا من أممهم أن يطيعوهم : فقال سبحانه على لسان نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وعيسى، أن كل واحد منهم قال لقومه : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(٢) إنهم رسل الله إلى خلقه، كلفهم بالتبليغ وعصمهم فيه، فوجب على الخلق أن يطيعوهم؛ ولماذا لا يطاع هذا الرسول، الذي جاء بالمنهج الذي يصلح الخل في تلك البيئة التي أرسل إليها؟ إن عدم الطاعة حينئذ؛ هو نوع من العناد والجحود والتكبر.

كما أن في عدم الطاعة اتهاماً للرسالة بالقصور، واتهاماً للرسول في عصمته من الكذب في كل ما يبلغه عن ربه من كتاب وسنة.

الوجه الثالث : في آية النساء، دلالة على وجوب طاعته ﷺ، قوله تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فالرد إلى الله تعالى، هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ، هو الرد إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته^(٣) وعلى هذا المعنى إجماع الناس كما قال ابن قيم الجوزية^(٤) وتعليق الرد إلى الله ورسوله على الإيمان ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني : أن الذين يردون التنازع في مسائل دينهم وحياتهم، دقها وجلها، جليها وخفيها؛ إلى كتاب الله عز وجل، وإلى سنة رسوله ﷺ، هم فقط المؤمنون حقاً؛ كما وصفتهم بذلك الآية الكريمة، أما غيرهم فلا ينطبق هذا الوصف عليهم.

(١) الآية ٦٤ النساء.

(٢) على لسان نوح في سورة الشعراء الآيات : ١٠٨ - ١١٠، وعلى لسان هود في نفس السورة الآيات : ١٢٦ - ١٣١، وعلى لسان صالح في نفس السورة الآية : ١٤٤، وعلى لسان لوط في نفس السورة الآية : ١٦٣، وعلى لسان شعيب في نفس السورة الآية : ١٧٩، وعلى لسان عيسى في سورة آل عمران الآية ٥٠، وفي سورة الزخرف الآية : ٦٣ .

(٣) قاله : ميمون بن مهران فيما رواه عنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١٨٧/٢، وينظر : الرسالة للشافعي ص ٨٠، ٨١ فقرات رقم ٢٦٤ - ٢٦٦ .

(٤) أعلام الموقعين ١/٤٩، وينظر : تفسير عبد الرزاق ١/١٦٢ رقم ٦١٣، وتفسير ابن جرير ١٥١/٥ .

ثم يحدثنا الله تعالى بعد هذه الآية مباشرة، عن أناس يزعمون أنهم يؤمنون بالله ورسوله، ومقتضى هذا الإيمان أن يحكموا كتاب الله، وسنة رسوله في كل شئون حياتهم، ولكنهم لا يفعلون ذلك، وإنما يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، مع أنهم قد أمورا أن يكفروا به .

قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾^(١) ففي نهاية الأمر، حَكَمَ الله تعالى على من يعرض عن حكمه، وحكم رسوله، ويتحاكم إلى الطواغيت بأنهم منافقون^(٢) .

٥- قال تعالى : ﴿مَنْ يَطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾^(٣) فقد عبر بالمضارع "يطع" وهو الذى يقتضى الحال والمستقبل، وعبر بالماضى "أطاع" الذى يدل على الوقوع والتحقق. فمن أطاع رسوله ﷺ حالاً، فقد وقعت طاعته قبل ذلك طاعة لله تعالى، لأن الله تعالى هو الذى أرسله، وأمر بطاعته، لذا فمن أطاعه ﷺ، كان فى الحقيقة مطيعاً لمرسله قبل أن يطيعه ﷺ، ومن عصاه ﷺ، كان فى الحقيقة عاصياً لمرسله قبل أن يعصيه ﷺ، لأنه عز وجل مرسله، وأوجب طاعته، وحرم معصيته^(٤) . وهذه الآية من أقوى الأدلة على أن الرسول معصوم فى جميع الأوامر والنواهي، وفى كل ما يبلغه عن الله تعالى، لأنه لو أخطأ فى شئ منها لم تكن طاعته طاعة لله عز وجل^(٥) .

٦- وأختم المطاف من الآيات الدالة على وجوب طاعة الرسول ﷺ طاعة مطلقة فيما يأمر به، وينهى عنه، بقوله عز وجل : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٦) وهناك آيات كثيرة لم أتعرض لذكرها خشية الإطالة. فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى

(١) الآية ٦١ النساء. وقارن بالآيات ٤٧ - ٥٢ من سورة النور .

(٢) ينظر : تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ص ٤٥، ٤٦ .

(٣) الآية ٨٠ النساء .

(٤) محبة النبی ﷺ وطاعته للدكتور خليل ملا خاطر ص ٣٠٩ .

(٥) شرح الزرقاني على المواهب ٥٠٥/٨ .

(٦) الآية ٧ الحشر. وقد استدلل بهذه الآية على أن ما جاء به النبي ﷺ حجة تجب طاعته فيه، ابن مسعود. ينظر : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب وما آتاكم الرسول فخذوه ٤٩٨/٨ رقم ٤٨٨٦، كما استدلل بها أيضا عمران بن حصين، ينظر : دلائل النبوة للبيهقى ٢٥/١، ٢٦، ومفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للسيوطى ص ٢١، واستشهد بالآية أيضا الإمام الشافعى على حجية قول الرسول وطاعته. ينظر : مناقب الإمام الشافعى لفخر الدين الرازى ص ٣٠٤، والفيقه والمتفقه للخطيب ٤٤٥/١ رقم ٤٦٨ .

الآيات التي تحذر من معصية الرسول ﷺ، وتتهى عن مخالفته تجدها كثيرة، وأشير إلى بعضها فيما يلي:

٧- قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(١) فهذا التحذير الشديد من رب العزة: "واحذروا" فإن توليتم يدل على خطورة الإعراض والمخالفة، وأن النبي ﷺ، لن يتضرر هو نفسه بإعراض من أعرض، لأنه ﷺ ما عليه إلا البلاغ المبين، وقد أبلغ، وقد بين، وأشهد على ذلك، وإنما الذى يتضرر هو المعرض المخالف العاصى وإذا عرف العاقل المدرك، أن الذى يتوعد ويحذر هو ربه عز وجل، فكيف يكون تمسكه بطاعة رسوله ﷺ؟!.

٨- وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) وفى تفسير هذه الآية يسوق ابن العربى بإسناده عن سفيان بن عيينة قال: سمعت مالك بن أنس - ولتاه رجل - فقال: يا أبا عبد الله، من أين أُحْرِم؟ قال: من ذى الحليفة^(٣) من حيث أحرم رسول الله ﷺ، فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد، فقال: لا تفعل. قال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر. قال: لا تفعل فإنى أخشى عليك الفتنة. قال: وأى فتنة فى هذا؟ إنما هى أميال أزيدها. قال: وأى فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قَصَّرَ عنها رسول الله ﷺ! إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

هذا وفى الآية دلالتها الصريحة على وجود طاعة استقلالية لرسول الله ﷺ فيما سَنَهُ، مما لم يرد فى القرآن الكريم؛ لأنه لو كان الأمر قاصراً على ما جاء به من القرآن فقط، كما يزعم أعداء عصمته ﷺ، لما كان للتحذير من مخالفته فى أمره أى جديداً.

٩- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يَدْخُلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٥).

(١) الآية ٩٢ المائدة.

(٢) الآية ٦٣ النور.

(٣) المكان الذى يحرم منه أهل المدينة بالحج، وبه بئر يسمى بئر على، وأصبح الآن يعرف باسم "أبلو على" وبه مسجد كبير.

(٤) أحكام القرآن لابن العربى ٣/١٤٠٠، ١٤٠١.

(٥) الآية ١٤ النساء.

١٠- وقال سبحانه : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا. يَوْمَئِذٍ يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾^(١).

١١- وقال عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ﴾^(٢).

١٢- وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَمَا كَبَتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَلَّا أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٣).

١٣- وقال سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَنْزِلِينَ﴾^(٤).

إن الآيات السابقة تصرح بأن مخالفة كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، وعدم طاعته، والطعن والتشكيك في تلك الطاعة، يدخل النار، ويورث الذل، والخزي، والفتنة، والكبت، ويحبط العمل. فليختر المرء لنفسه ما يشاء.

وبعد : فهذه نماذج من الآيات القرآنية التي تأمر في وضوح وجلاء بوجوب طاعة رسول الله ﷺ في سنته المطهرة، وتحذر من مخالفته وهناك آيات أخرى كثيرة تنوعت في أسلوبها في الحض على اتباعه وطاعته ﷺ، لم أعرض لها خشية الإطالة^(٥) فما ذكر فيه الكفاية لكل عاقل أهد.

(١) الآيتان ٤٠، ٤١ النساء.

(٢) الآية ٣٢ محمد.

(٣) الآية ٥ المجادلة.

(٤) الآية ٢٠ المجادلة.

(٥) إن شئت فانظرها في : الشفا ٢/٢ - ١٣، وشرح الزرقاني على المواهب ٥٠٤/٨ - ٥٣٦،

٥٩/٩ - ١٥٩، والمدخل إلى السنة ص ٧٧، ٩٨، ودفع الشبهات عن السنة ص ٨ - ١١ كلاهما

للدكتور عبد المهدي عبد القادر، ومحبة النبي ﷺ وطاعته للدكتور خليل ملا خاطر ص ١٠٧ -

٤١٣، وحقوق النبي على أمته للدكتور محمد التميمي ص ١٦١ - ١٧٨.

رابعاً : الأدلة من السنة المطهرة على وجوب طاعته ﷺ :

حث النبي ﷺ أمته على طاعته، وامتنال أمره، واتباع ما جاء به، والسير على سنته المطهرة، والاقتداء به في كل ما جاء به عن ربه عز وجل .

وأحاديثه ﷺ في هذا المجال أعطت للأمة توجيهات عظيمة متى ساروا عليها وامتنلوا ما فيها، واستتاروا بها، تحققت لهم سعادة الدارين وفازوا وأفلحوا بإذن الله تعالى .

وقد امتازت الأحاديث في هذا الشأن بكثرتها وتنوع عبارتها، وتعدد أساليبها، واشتمال بعضها على الأمثلة التي ضربها رسول الله ﷺ لأمته في هذا الشأن، ومما لا شك فيه أن هذه المميزات زادت الأمر توكيداً وتوضيحاً وبياناً، بحيث أنها لم تدع مجالاً لمتأول يأولها، أو محرف يغير معناها بهواه، ورأيه الفاسد .

وهذه الأحاديث على تنوع عبارتها وتعدد أساليبها، اتحدت جميعها في مضمون واحد : هو التأكيد على وجوب طاعته ﷺ واتباع ما جاء به، والترغيب في ذلك، إضافة إلى التحذير من مخالفته، وتحريم معصيته، وبيان الوعيد الشديد في ذلك .

والخطاب في تلك الأحاديث شامل لكل من كان في عصره ﷺ، ومن سيأتي بعده إلى يوم القيامة .

وسأشير هنا إلى طرف من تلك الأحاديث مع بيان ما فيها من توجيهات وإرشادات تتسير الطريق للسالكين الراغبين بالفوز برضى الله وحنان النعيم^(١) .

١- قوله ﷺ : "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان، متكئ على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا كل ذي مخلب من الطير، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغنى عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه" وفي رواية : "ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما

(١) ينظر : حقوق النبي ﷺ على أمته للدكتور محمد التميمي ص ١٧٩ .

وجدنا فيه حراماً حرمانه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله^(١). فقله : "يوشك رجل شعبان... الخ" يحذر بهذا القول من عدم طاعته ﷺ، مما جاء به وليس له في القرآن ذكر، وهو مما يؤكد ما سبق ذكره من الآيات، من أن له ﷺ طاعة استقلالية. وفي الحديث : معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، فقد ظهرت فئة في القديم والحديث، تدعوا إلى هذه الدعوة الخبيثة، وهي الاكتفاء بما جاء في القرآن الكريم، دون ما جاء به رسول الله ﷺ في سنته المطهرة، وعدم طاعته فيه. وهدفهم من ذلك هدم نصف الدين، وإن شئت فقل هدم الدين كله. حاسبهم الله بما يستحقون .

٢- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ، مع نفر من أصحابه، فأقبل عليهم رسول الله ﷺ، فقال : "يا هؤلاء أستم تعلمون أني رسول الله إليكم؟" قالوا : بلى، نشهد أنك رسول الله. قال : "أستم تعلمون أن الله أنزل في كتابه: من أطاعني فقد أطاع الله؟" قالوا : بلى، نشهد أن من أطاعك فقد أطاع الله، وأن من طاعة الله طاعتك، قال : "فإن من طاعة الله أن تطيعوني، وإن من طاعتي أن تطيعوا أئمتكم، أطيعوا أئمتكم، فإن صلوا قعوداً فصلوا قعوداً"^(٢).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال : "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"^(٣).

٤- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم : إنه نائم، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً، قال : فاضربوا له مثلاً. فقال : بعضهم : إنه نائم، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا : مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مائدة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة. فقالوا : أولوها له يفقهها، فقال بعضهم : إنه نائم، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب

(١) سبق تحريجه ص ١٣ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٩٣/٢، والطبراني في الكبير ٣٢١/١٢ رقم ١٣٢٣٨ ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٧/٢، ٢٢٢/٥، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٣٤٠/٩ رقم ٥٤٥٠، وابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) ٢٧٢/٣ رقم ٢١٠٦ .

(٣) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ١١٩/١٣ رقم ٧١٣١، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ٤٦٣/٦ رقم ١٨٣٥ .

يقظان، فقالوا : فالدار الجنة، والداعى محمد ﷺ، فمن أطاع محمد ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمد ﷺ فقد عصى الله، ومحمد فُرقٌ بين الناس^(١).

٥- وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : "إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعينى، وإني أن النذير العريان، فالنجاه. فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا^(٢) فانطلقوا على مهلهم فنجوا. وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكاتهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم. فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به، ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق"^(٣).

٦- وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : "والذى نفسى بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله كشراد^(٤) البعير" قال : يا رسول الله ومن يابى أن يدخل الجنة؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى^(٥).

إن هذه الأحاديث السابقة تؤكد وجوب طاعة رسول الله ﷺ، وامتنال كل ما جاء به فى سنته المطهرة.

إنها تؤكد ما ورد فى كتاب الله عز وجل، من أن طاعة رسول الله ﷺ من طاعة ربه عز وجل، وصرح بذلك رسول الله ﷺ، على ما جاء فى حديث ابن عمر وغيره، وأشهد على ذلك أصحابه الكرام فأقروا!!

كما تؤكد هذه الأحاديث أن هذه الطاعة هى مفتاح الجنة، وسبيل النجاة الوحيد التى متى سلكها الإنسان، فاز يرضى الله، وجنته، ونجى من سخطه وعذابه. أما من أبى اتباعه وطاعته ﷺ فى سنته المطهرة فهو الذى شرد شرود الجمل على أهله، وهو الذى ضيع نفسه، وأوقعها فى

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ٢٦٣/١٣ رقم ٧٢٨١.

(٢) أى : ساروا بالليل. النهاية ١٢٠/٢.

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ٢٦٤/١٣ رقم ٧٢٨٣، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته ٥٣/٨ رقم ٢٢٨٣.

(٤) يقال : شرد البعير، يشرد، شروداً، وشراداً، إذا نفر وذهب فى الأرض. النهاية ٤١٠/٢.

(٥) أخرجه ابن حبان فى صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) ١١١/١ رقم ١٧، والطبرانى فى الأوسط ٢٤٦/١ رقم ٨٠٨ ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧٠/١٠.

جهنم؛ بل هو بعدم امتثاله لهدى النبي ﷺ في سنته كأنه يقتحم بنفسه نار جهنم، كما قال عليه الصلاة والسلام : "مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويقلبنه فيتقحمن فيها" قال : "فذلکم مثلی ومثلکم، أنا أخذ بحجزکم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني، تَقَحَّمُونَ فيها" (١).

فعلى المسلم أن يسلك طريق طاعة نبيه ﷺ في سنته المطهرة، وألا يحيد عنها يميناً أو شمالاً، فهذه الطاعة هي صراط الله المستقيم الذي أمر الله باتباعه لقوله تعالى : ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢).

٧- وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "ما من نبي بعثه الله فـى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، ومن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" (٣) فهذا الحديث يؤكد قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٤) فطاعة رسل الله جميعاً واجبة على أقوامهم على مر الزمان والمكان . وهذا الحديث يبين صفة اتباع الأنبياء؛ فهم يطيعون أنبيائهم، ويأخذون بسنتهم، ويأتمرون بأمرهم، ولا يحيدون عن ذلك ولا يخالفونه إلى ما سواه .

وأما المخالفون لهم : فهم الذين يتحدثون عن الطاعة والاتباع، ولكن بالقول دون العمل، فهم الذين يقولون ما لا يفعلون، وهذا الوصف ينطبق تماماً على أهل البدع المحاريين لطاعة رسول الله ﷺ في سنته المطهرة، ومن هنا فهم أكثر الناس بعداً عن هدى المصطفى وما جاء به عن ربه، ومع ذلك كله فهم كثيراً ما يتمسحون بظاهر القرآن، وكلامهم عنه لا يضبطونه ببيان

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته ٥٤/٨ رقم ٢٢٨٤، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصى ٣٢٣/١١ رقم ٦٤٨٣ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

(٢) الآية ١٥٣ الأنعام .

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان ٢٩٧/١ رقم ٨٠ .

(٤) الآية ٦٤ النساء .

رسول الله ﷺ لذا فكلهم لا يتجاوز ألسنتهم، فهم أبعد الناس عن القرآن الكريم، فصدق عليهم قوله ﷺ : "يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يأمرون".

٨- وعن العرياض بن سارية قال : "صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل : يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع. فماذا تعهد إلينا؟ فقال : "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يهش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" (١) وواضح من هذا الحديث أنه ﷺ، يأمرنا بطاعته واتباع سنته، ويؤكد ويشدد على اتباعها، ويحذر من البعد عنها بالابتداع فى الدين، لما فى ذلك من الضلال والانحراف عن الطريق المستقيم الذى رسمه ﷺ.

وفى الحديث بيان واضح أن من واطب على سنته ﷺ وقال بها، ولم يعرج على غيرها من الآراء هو من الفرقة الناجية يوم القيامة؛ جعلنا الله منهم بمنه (٢).

٩- وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : "دعونى ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم" (٣).

والشاهد من الحديث قوله ﷺ : "فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم" لقد أضاف الأمر والنهى إلى نفسه ﷺ : "تهيتكم" و"أمرتكم" وهو موافق لكتاب الله عز وجل فى قوله : ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم﴾ (٤) وقوله : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (٥) وفى ذلك دليل على وجوب طاعته وامتنال أوامره ونواهيه فى سنته المطهرة؛

(١) أخرجه أبو داود فى سنته كتاب السنة، باب لزوم السنة ٢٠٠/٤ رقم ٤٦٠٧، والترمذى فى سنته كتاب العلم، باب ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٤٣/٥ رقم ٢٦٧٦ وقال : حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه فى سنته المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١٥/١ رقمى ٤٢، ٤٣، وأحمد فى مسنده ١٢٦/٤، وابن حبان فى صحيحه (الإحسان فى ترتيب صحيح ابن حبان) ١٧٨/١ رقم ٥، والروزي فى السنة ص ٢٦ رقم ٦٩ - ٧٢ .

(٢) أفاده ابن حبان فى (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) ١٧٨/١ رقم ٥ .

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ٢٦٤/١٣ رقم ٧٢٨٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الفضائل، باب توقيفه ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ١٢٠/٨ رقم ١٣٣٧ .

(٤) جزء من الآية ١٥٧ الأعراف .

(٥) جزء من الآية ٧ الحشر .

حتى ولو كانت أمراً زائداً على كتاب الله عز وجل، لأن ما يحله ويحرمه، ويأمر به وينهى عنه، هو بوحى الله عز وجل على ما سبق تفصيله.

١٠- وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : "سنة لعنتهم، ولعنهم الله، وكل نبي مجاب : المكذب بقدر الله، والزائد فى كتاب الله، والمتسلط بالجبروت يذل من أعز الله، ويعز من أذل الله، والمستحيل لحرم الله، والمستحيل من عترتى ما حرم الله، والتارك لسنتى" ^(١) أنه ﷺ، يبين فى هذا الحديث أن التارك لطاعته فى سنته المطهرة المنكر لتلك الطاعة ملعون. أى : مطرود من رحمة الله تعالى، وفى ذلك من الزجر ما فيه.

إنه ﷺ، جعل تارك طاعته فى سنته، مع المكذب بالقدر، وهو كافر، ومع خصال هى فى الكفر موهلة، مما يرهب كل الترهيب؛ من ترك سنته ﷺ، والتحذير من عدم طاعته فيها. ويعد : فهذه نماذج من الأحاديث النبوية، التى تأمر فى وضوح وجلاء بوجوب طاعة رسول الله ﷺ، فى سنته المطهرة، وتحذر أشد التحذير من مخالفته، وهناك أحاديث أخرى كثيرة، تنوعت فى أسلوبها فى الحض على اتباعه وطاعته ﷺ، لم أتعرض لها خشية الإطالة ^(٢) فما ذكره فيه الكفاية عند من له سمع يسمع وعقل يدرك.

وإذا كانت طاعته ﷺ، الاستقلالية، ثابتة له بنص كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، وإجماع الأمة ^(٣) فلك الطاعة لرسول الله ﷺ هى عين الطاعة والتوحيد الخالص لله عز وجل، إلا أن أعداء عصمته ﷺ يرون أن فى تلك الطاعة تأليه لرسول الله وشرك بربه.

فإلى بيان شبهتهم فى ذلك والرد عليها

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک ٩١/١ رقم ١٠٢، ٥٧٢/٢ رقم ٣٩٤١، ١٠١/٤ رقم ٧٠١١، وصححه ووافقه الذهبي فى الموضع الأول والثاني، وخالفه فى الأخير رقم ٧٠١١، وأخرجه الطبراني فى الكبير وقال الميثمي فى مجمع الزوائد ١٧٦/١ وفيه عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، قال يعقوب بن شيبة : فيه ضعف، وضعفه يحيى بن معين فى رواية، ووثقه فى أخرى، وقال أبو حاتم : صالح الحديث، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأخرجه الطبراني فى الأوسط ١٨٦/٢ رقم ١٦٦٧ ورجاله ثقات كما قال الميثمي فى مجمع الزوائد ٢٠٥/٧، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) ٥٠١/٧ رقم ٥٧١٩.

(٢) إن شئت فانظرها فى : المدخل إلى السنة للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص ٩٨ - ١٢١.

(٣) يراجع : ص ٣٦٤، ٣٧١ وينظر : مفتاح اللجنة فى الاحتجاج بالسنة للسيوطى ص ١٥٦ - ٢١١، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ١٨٧/٢ - ١٩٩، وقواعد التحديث للقاسمى ص ٢٧٣ - ٢٨١، والمدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى ص ٢٣٣ - ٢٦٩.

المطلب الرابع شبهة أن طاعة رسول الله ﷺ تأليه وشرك والرد عليها

بلغت جراءة أعداء السنة النبوية على القرآن الكريم، وعلى نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ، بإفكهم أن الآيات والأحاديث التي تربط بين طاعة الله، وطاعة رسوله، هي صورة من صور تأليه الرسول، وهذا هو الكفر بعينه في نظرهم.

يقول صالح الورداني : «ومن أقوى الأدلة التي يستند عليها الفقهاء في ربط الكتاب بالسنة، وربط السنة بالكتاب، قوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) وقوله : ﴿مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢) وقوله : ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٣) ثم يقول معقباً : «إن مثل هذه النصوص وغيرها إن كانت تؤكد شراكة الرسول لله في أمر الحكم والأمر والنهي، وهو ما يريد تأكيده الفقهاء، فهذا هو الكفر بعينه، إذ معنى هذا الكلام أن الرسول يشارك الله في خاصية الألوهية. وهذا يعني : أن الرسول قد منح صفة من صفات الله، وأخذ خاصية من خصائصه سبحانه، وهذا ما قالته اليهود في عزير، والنصارى في عيسى»^(٤).

ولم يقف إفكهم عند هذا الحد، إذ زعموا أن الإيمان بشخص رسول الله ﷺ يعني البدائية لتأليهه.

يقول أحمد صبحي منصور : «أولى حقائق الإسلام، أنه ليس فيه إيمان بشخص وإنما الإيمان بالوحي الذي نزل على شخص النبي، وليس بشخص النبي البشري يقول تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾^(٥) لم يقل آمنوا بمحمد،

(١) الآية ٧ الحشر.

(٢) الآية ٨٠ النساء.

(٣) الآية ٣٧ الأحزاب.

(٤) دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٥٣، ٥٤، وينظر من نفس المصدر ص ٤٧، وينظر له أيضاً : أهل السنة شعب الله المختار ص ٨١، وينظر : دين السلطان لنيازی عز الدين الفصل الرابع والعشرون بعنوان : لماذا يسعى الطغاة إلى تأليه الرسل؟ ص ٦٠٤.

(٥) الآية ٢ محمد.

وإنما آمنوا بما نزل على محمد، أى : الإيمان بالوحي أى : بالقرآن الذى يكون فيه محمد نفسه أول المؤمنين به، أما الإيمان بشخص محمد فذلك يعنى البداية لتأليه^(١).

ولأن أعداء النبوة ينكرون الإيمان بشخصه الكريم ﷺ، زعموا أن تكرار شهادة أن محمداً رسول الله، بجانب شهادة أن لا إله إلا الله، يعد شركاً صارخاً على حد زعم رشاد خليفة فى قوله : "لقد أغوى الشيطان المسلمين بتريد بدعة "النشهد" حيث يمحطون محمداً وإبراهيم بالحمد والتمجيد. أليس هذا شركاً صارخاً"^(٢) ويذهب محمد نجيب إلى أن فى تكرار الشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فيه تفريق بين رسل الله^(٣) ولو قلنا بهذا على ما حدثنى بذلك بعضهم : لوجب علينا أن نشهد أيضاً بأن إبراهيم رسول الله، وموسى رسول الله، وعيسى رسول الله... وهكذا وهو أمر يطول أمه.

ويجاب عن ما سبق بما يلى :

إجمالاً أقول : زعمهم أن طاعة رسول الله ﷺ فى أولامره ونواهيه، وما يحله وما يحرمه فى سنته، تأليه له، بمنحه صفة من صفات الله عز وجل، وهى التشريع. هذا الزعم رد على رب العزة كلامه.

فالله عز وجل : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٤) فإذا أمرنا ربنا فى كتابه بطاعة واتباع نبيه ﷺ، وربط بين طاعته وطاعة نبيه تارة، وأفردا أخرى، وجعل طاعته ﷺ من طاعته عز وجل، وإذا أقامه مقام نفسه المقدسة فى بيعة المسلمين وإذا أمرنا باتباعه فى كل ما آتانا به، ونهانا عنه، من حلال وحرام. فلا يصح من مخلوق أن يرد كلامه عز وجل، أو أن يقول: هذا إشرارك لرسول الله مع ربه فى التشريع!

(١) جريدة الدستور العدد الأول ٣١ / ١٢ / ١٩٩٧، وينظر : مقالاته فى مجلة روز اليوسف العدد ٣٥٥٩ ص ٣٨، والعدد ٣٥٦٣ ص ٣٥، والعدد ٣٥٦٤ ص ٢١، وينظر له أيضاً الأنبياء فى القرآن ص ٣١، ٤٠، ولماذا القرآن ص ٣٣، ٣٤، ٥٠، وحد الردة ص ٣٠، ومشروع التعليم والتسامح لأحمد صبحى وغيره ص ١٥٢ .

(٢) القرآن والحديث والإسلام ص ٣٨، ٤١، ٤٣، وينظر له أيضاً قرآن أم حديث ص ٢٠، ٣٢، وينظر : إعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص ١٥٣ .

(٣) الصلاة ص ٧٨، ٧٩ وينظر : الصلاة فى القرآن لأحمد صبحى ص ٥١ - ٥٦، والحقيقة من حقائق القرآن المسكوت عنها لنيازى عز الدين ص ٣٥٩، والإمام الشافعى لنصر أبو زيد ص ٥٥، ٥٦ .

(٤) الآية ٢٣ الأنبياء.

وكذلك إذا أمرنا المولى عز وجل بالإيمان بشخص نبيه ﷺ وتعظيمه وتوقيره ونصرته، والإيمان بما أنزل عليه من وحى الله تعالى كتاباً وسنة. فلا يصح أن نرد على الله كلامه ونقول هذا شرك!

وهذا إجمال وإليك التفصيل :

أولاً : أمر رب العزة عباده بطاعة نبيه ﷺ طاعة مطلقة مستقلة، بمقتضى عصمته له، وربط تلك الطاعة بطاعته عز وجل تارة، وأفردا تارة أخرى، ليدل على أن طاعته ﷺ طاعة له سبحانه فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(١) وقال : ﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾^(٢) وقال : ﴿مَنْ يَطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٣) وطاعته ﷺ فى الآيات السابقة طاعة مطلقة فى سنته المطهرة، حتى ولو كانت السنة زائدة على ما فى كتاب الله عز وجل، لأنه عليه الصلاة والسلام له حق التشريع بدلالة الآيات السابقة، وبقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٤) فقلوه: "يحل، ويحرم، ويضع" من خصائص المشرع الحقيقى الواجب طاعته؛ ولكن مرد هذا التشريع فى حقيقة الأمر إلى الله عز وجل.

فرسول الله لا يشرع من عند نفسه، وإنما يشرع حسب ما يريه الله تعالى ويوحى إليه على ما سبق تفصيله فى نهاية المطلب الثانى^(٥) فهل نسلم بكلام الله تعالى؛ أم نرده ونقول هذا شرك؟.

وإذا كانت طاعته ﷺ مستقلة عن طاعة الله عز وجل، كما فى الآيات السابقة وغيرها من الآيات التى تكرر فيها الفعل "أطيعوا" مع الرسول فمن الذى أعطاه هذه المنزلة والمكانة؛ أليس ربه عز وجل؟ فهل نرد هذه المكانة والمنزلة ونقول هذا شرك؟.

(١) الآية ٥٩ النساء.

(٢) جزء من الآية ٥٤ النور، مع آية الأعراف ١٥٨ ﴿وَاتَّبِعُوا لَكُمْ مَقْتَدُونَ﴾.

(٣) الآية ٨٠ النساء.

(٤) الآية ١٥٧ الأعراف.

(٥) يراجع : ص ٣٥٤، ٣٥٥ .

وإذا قال ربنا عز وجل مراراً **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾** فهل يصح من مخلوق بعد ذلك أن يزعم أن الربط بين طاعته عز وجل، وطاعة رسوله ﷺ تأليه له عليه الصلاة والسلام، فيرد على رب العزة كلامه!!! وإذا قال ربنا عز وجل : **﴿إن الذين يبائعونك إنيما يبائعون الله يد الله فوق أيديهم﴾** ^(١) وإذا قال سبحانه : **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾** ^(٢).

فهل يصح من مخلوق بعد ذلك أن يزعم أن الربط بين مبايعته عز وجل، ومبايعة رسوله ﷺ شرك؟ أو أن الربط بين محبته سبحانه ومحبة نبيه ومصطفاه شرك؟!.

إن قائل الآيات السابقة في وجوب محبته ﷺ هو القائل : **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾** ^(٣) فهل جعل محبة نبيه ﷺ ومتابعته ندأ؟ أم جعلها شرطاً لمحبة الله، وعلامة على صدق من يزعم محبته عز وجل؟.

قال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية : **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾** فتأمل كيف أوقع طاعته ومتابعته ﷺ بين قطري محبة العباد، ومحبة الله للعباد، وجعل تلك المتابعة شرطاً لمحبة الله لهم، مما يستحيل حينئذ ثبوت محبتهم لله، وثبوت محبة الله لهم، بدون طاعتهم ومتابعتهم لرسول الله ﷺ. فهذه الآية الكريمة : حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس على الطريقة النبوية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع شرع الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، ويعلم أن هذا الاتباع عين التوحيد الخالص لله عز وجل، كما دل على ذلك ما روى أنه لما نزلت هذه الآية قال بعض الكفار : "إن محمداً يريد أن نتخذه حناناً" ^(٤) كما اتخذت النصراني عيسى" فأنزل الله تعالى : **﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾** ^(٥) فقرن

(١) الآية ١٠ الفتح.

(٢) الآية ٣١ آل عمران.

(٣) الآية ١٦٥ البقرة.

(٤) الحنان : الرحمة، والعطف، والرزق، والبركة. والمراد : رباً ذا رحمة، وقيل محبباً، وقيل : متمسحاً به تبركاً. شرح الشفا للقراري ٤٩/١، والنهاية ٤٥٢/١.

(٥) الآية ٣٢ آل عمران. والأثر : أخرجه ابن المنذر بنحوه عن مجاهد، وقادة، كما قال الحافظ السيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ص ٣٣ رقم ١٩. والأثر ذكره ابن إسحاق عن أبي رافع القرظي قال : (حين اجتمعت الأخبار من يهود ونصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، =

طاعته عز وجل بطاعته ﷺ رغماً لهم^(١) والمعنى إلصاقاً لأنوفهم بالتراب جزاءً لأنفتهم من متابعتهم ﷺ، وجزاءً لإفكهم بأن طاعته ﷺ شرك «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً»^(٢) وأقول لهم : الربط بين طاعة الله وطاعة رسوله هو عين التوحيد الخالص: «فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين»^(٣).

ثانياً : إنكار أعداء النبوة الإيمان بشخص النبي ﷺ واستدلالهم على ذلك بقوله تعالى : «والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم»^(٤) هذه الآية للكرامة حجة عليهم، وتوضحهم في كل ما يأفكون. لأن مما أنزل على محمد وهو الحق من ربنا قوله : «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم»^(٥) وقوله سبحانه : «وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة»^(٦) وقوله : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول»^(٧).

وهم بهذه الآيات يكفرون؛ إذ ينكرون على ما سبق أن يكون لرسول الله ﷺ تبياناً للقرآن، وهو الحكمة، وهى السنة كما قال علماء الأمة، وينكرون أن يكون له ﷺ طاعة فى هذه السنة.

وإذا كانوا هنا يزعمون بأنه لا يوجد فى الإسلام إيمان بشخص النبي محمد ﷺ فالآية التى استدلوها بها على زعمهم ترد عليهم حيث أطلقت «وآمنوا بما نزل على محمد» وما أنزل على محمد آيات كريمات تصرح بالإيمان بشخصه الكريم، منها ما يلى :

-
- =ودعاهم إلى الإسلام قالوا : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رسول الله ﷺ : "معاذ الله أن أعبد غير الله، أو آمر بعبادة غيره، فما بذلك بعثنى الله ولا أمرنى" فأنزل الله عز وجل : «ما كان لبشر أن يؤتیه الله الكتاب والحكمة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله»^(١) الآيتان ٧٩، ٨٠ آل عمران. وينظر : السيرة النبوية لابن هشام ١٩٦/٢ نص رقم ٦٣٥ .
- (١) الشفا ٢٢/١، وينظر : شرح الشفا للقرارى ٥٠/١، وشرح الزرقانى على المواهب ٥١٥/٨، ٥١٦ .
- (٢) الآية ٥ الكهف .
- (٣) الآية ٣٢ آل عمران : وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٥/٢ .
- (٤) الآية ٢ محمد .
- (٥) جزء من الآية ٤٤ النحل .
- (٦) جزء من الآية ١١٣ النساء .
- (٧) الآية ٥٩ النساء .

١- قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾^(١).

٢- وقوله سبحانه : ﴿فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾^(٢).

٣- وقوله عز وجل : ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾^(٣).
ومعلوم أن الإيمان بالله عز وجل يعنى : الإيمان بذاته المقدسة، وبكتابه العزيز، وطاعته عز وجل فى كل ما أمرنا به فى كتابه. وكذلك الإيمان برسول الله ﷺ : يعنى : الإيمان بشخصه الكريم وبكل ما جاء به من عند ربه عز وجل من كتاب وسنة وطاعته فى ذلك.

ويؤيد أن الإيمان فى الآيات السابقة مرادا به شخصه ﷺ ما جاء فى القرآن الكريم من الأمر بتعظيمه وتوقيره ﷺ نحو قوله تعالى : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾^(٤) وقوله سبحانه : ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾^(٥) فقله : "وتعزروه" أى : تعظموه وتجلوه^(٦) والتعظيم والإجلال والتوقير والنصرة، تشمل فى المقدمة شخصه الكريم. بدليل ما جاء فى القرآن الكريم أيضا من تعظيم رب العزة لنبيه بنداءه وخطابه باللقب المشعر بالتعظيم بالنبوة والرسالة دون غيره من الأنبياء^(٧) وكذلك أمره عباده بالأدب مع رسوله بعدم التقديس بين

(١) الآية ١٣٦ النساء.

(٢) جزء من الآية ١٥٨ الأعراف.

(٣) الآية ١٣ الفتح.

(٤) جزء من الآية ١٥٧ الأعراف.

(٥) الآية ٩ الفتح.

(٦) قاله ابن عباس وغير واحد. ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣١٢/٧ .

(٧) نحو قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ الآية الأولى الأحزاب، وقوله : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الآية ٢١ الأحزاب.

يديه أو رفع صوتهم على صوته^(١) وتحذيرهم من الانصراف من مجلسه قبل استئذانه، أو ندائه باسمه (محمد) كما ينادى بعضهم بعضاً^(٢) وتحريم إبدائه^(٣).

أليس في كل هذه الآداب الربانية دليل على أن الإيمان بشخص رسول الله ﷺ، وتعظيمه وتوقيره من حقائق الإسلام؟ أليس في هذه الآداب الربانية ما يصفع المتنبئ الكذاب رشاد خليفة في زعمه إن تعظيمه وتوقيره... ﷺ شركاً صارخاً؟^(٤).

إن الإيمان بشخص رسول الله ﷺ وتعظيمه وإجلاله، والتأدب معه بالآداب الربانية السابقة، كان عليه سلفنا الصالح، وقد شهد بذلك عروة بن مسعود الثقفي^(٥) وهو يومئذ لم يسلم بعد، وكان مندوب قريش للتفاوض في شأن دخول النبي ﷺ مكة في غزوة الحديبية، فرأى من تعظيم وتوقير للنبي ﷺ في قلوب الصحابة وجوارحهم ما أذهله، حتى عاد إلى قريش وقال لهم: "أى قوم، والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له..."^(٦).

(١) نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلِيمٌ. يَلَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٥-١ الحجرات.

(٢) نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنٍ فَأَذِنَ لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوَإِذَا الْآيَاتُ ٦٢، ٦٣ النور.

(٣) نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرٍ إِنَاءَهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ الآية ٥٣ الأحزاب.

(٤) يراجع: ص ٣٧٨.

(٥) له ترجمة في: أسد الغابة ٣٠/٤ رقم ٣٦٥٨، وتجريد أسماء الصحابة ٣٨٠/١، وتاريخ الصحابة ص ١٩٥ رقم ١٠٣٩، والإصابة ٤٧٧/٢ رقم ٥٥٤٦.

(٦) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد ٣٨٩/٥ رقمي ٢٧٣١، ٢٧٣٢، وينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣١٥/٣ رقم ١٥١١.

فهكذا صور هذا الرجل تعظيم الصحابة الكرام رضى الله عنهم لنبيهم المصطفى ﷺ بهذه الألفاظ الجزلة النابغة من بالغ تأثره بذلك المظهر العظيم من مظاهر التعظيم والتبرك بأثاره ﷺ وقد برهن على مدلول هذا الخبر أيضاً، ما قاله عمرو بن العاص رضى الله عنه^(١) قال : "ما كان أحد أحب إلى من رسول الله ﷺ، ولا أجل فى عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو شئت أن أصفه ما أطق؛ لأننى لم أكن أملأ عيني منه"^(٢) وهكذا كان الصحابة الكرام رضى الله عنهم يعبرون عن تعظيمهم وإجلالهم وتوقيرهم لرسول الله ﷺ، بأعمالهم وأقوالهم.

ثالثاً : وأخيراً زعمهم أن تكرار شهادة أن محمداً رسول الله بجانب شهادة أن لا إله إلا الله، فيه تفريق بين رسل الله عز وجل، ولو قلنا بهذه الشهادة لوجب علينا أن نشهد أيضاً بأن إبراهيم رسول الله، وموسى رسول الله... الخ وهو أمر يطول.

فهذا من جهلهم بكتاب الله عز وجل الذى يتسترون نفاقاً بعباءته. فالقرآن الكريم يصرح بأن الله عز وجل أخذ العهد والميثاق على الأنبياء السابقين بأن يؤمنوا بشخص رسول الله ﷺ ويؤمنوا بنبوته وينصروه إن خرج وهم أحياء، فلما أقرروا بذلك أشهدهم عليه، والله خير الشاهدين. قال تعالى : ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ. وَلَتُنْصِرُنَّهُ قَالُوا أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٣).

قال على بن أبى طالب، وابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : "ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث محمداً وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته : لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرننه"^(٤).

وهذا يعنى أنه ﷺ نبي الأنبياء، ولو قدر لواحد من هؤلاء الأنبياء جميعاً من لدن آدم إلى عيسى عليهم جميعاً الصلاة والسلام، الحياة، وبعث المصطفى ﷺ، لما وسعه إلا اتباعه، يدل

(١) صحاح جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص ٧١ رقم ٣٧٦، وأسد الغابة ٢٣٢/٤ رقم

٣٩٧١، والاستيعاب ١١٨٤/٣ رقم ١٩٣١، والإصابة ٢/٣ رقم ٥٨٩٧ .

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب الإيمان، باب كون الإيمان يهدم ما قبله

٤١٤/١ رقم ١٢١ .

(٣) الآية ٨١ آل عمران .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥٦/٢، وجامع البيان ٥٥٥/٦، والدر المنثور ٢٥٢/٢ .

على ذلك حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى رسول الله بنسخة من التوراة، فقال يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة، فسكت فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير فقال : أبو بكر : نكلك الثواكل، ما ترى بوجه رسول الله ﷺ : فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال : أعوذ بالله، من غضب الله، ومن غضب رسوله، رضىنا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، فقال رسول الله ﷺ : "والذى نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتى لاتبعنى"^(١).

ومن هنا كان سلام الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ليلة الإسراء والمعراج، بقولهم: مرحباً بالنبى الصالح، والأخ الصالح^(٢) وهو اعتراف منهم بنبوته ﷺ، ولذا كان إمامهم فى الصلاة ببيت المقدس كما قال ﷺ : "ثم دخلت بيت المقدس، فجمع لى الأنبياء عليهم السلام فقدمنى جبريل حتى أمتهم"^(٣) وكل هذا يوضح أن إعلان وتكرار شهادة أن محمداً رسول الله بجانب شهادة أن لا إله إلا الله، هو إيمان بكل الأنبياء، وأنه لو وجد واحد من الأنبياء السابقين لوجب عليه أن يشهد بتلك الشهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) وذلك تنفيذاً للعهد والميثاق الذى أخذه الله على سائر أنبياءه ورسله، وهذا يعنى أن ذكر اسمه ﷺ فى الشهادة هو ذكر لكل الأنبياء، وشهادة فى نفس الوقت بأنهم رسل الله تعالى، بما يغنى عن تكرار ذكرهم أهد.

والله تعالى أعلى وأعلم

(١) أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبى ﷺ ١٢٦/١ رقم ٤٣٥، وأحمد فى المسند ٣/٣٨٧، وابن أبى عاصم فى السنة ٢٧/١ رقم ٥٠، وفى سننه مجالد بن سعيد، الجمهور على تضعيفه لأنه اختلط فى آخر عمره؛ لكن روايته لهذا الحديث مقبولة؛ لأنه قد سمعه منه هشيم قبل الاختلاط، قال ابن عدى : رواية القدماء عنه كهشيم وشعبة وحماد بن زيد مقبولة، وقال ابن عدى : له عن الشعبي عن جابر أحاديث صالحة، يعنى : كما فى سند هذا الحديث. ينظر : مجمع الزوائد ١/١٧٣، ١٧٤، وتقريب التهذيب ٢/١٥٩ رقم ٦٤٩٨، والكاشف ٢/٢٣٩ رقم ٥٢٨٦، والضعفاء للنسائى ص ٢٢٣ رقم ٥٧٩، والمجروحين لابن حبان ٣/١٠، والحديث صحيح إسناده الحافظ ابن كثير من رواية أحمد، قال بعد إيرادهما : تفرد به أحمد وإسناده على شرط مسلم أهد - ينظر : البداية والنهاية ٢/١٢٣، وينظر : من نفس المصدر ١/١٨٥ .

(٢) حديث الإسراء والمعراج سبق ترجمته ص ٣٠٧ .

(٣) أخرجه النسائى فى سننه الصغرى كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة ٢٢١/١ رقم ٤٥٠ من حديث أنس رضى الله عنه، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم عليه السلام والمسيح الدجال ١/٥٠٩ رقم ٢٧٨ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

الباب الثالث

عصمة رسول الله ﷺ في اجتهاده

ودفع الشبهات

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : عصمته ﷺ في اجتهاده كما يصورها القرآن الكريم والسنة النبوية.

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالاجتهاد، وحكمته في حقه ﷺ.

المبحث الثاني : دلائل عصمته ﷺ في اجتهاده من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة.

الفصل الثاني : شبهة أن اجتهاد رسول الله ﷺ يؤيد أن السنة ليست كلها وحى والود عليها.

الفصل الأول

عصمته ﷺ في اجتهاده كما يصورها القرآن الكريم والسنة النبوية

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالاجتهاد، وحكمته في حقه ﷺ.

المبحث الثاني : دلائل عصمته ﷺ في اجتهاده من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الأول

التعريف بالاجتهاد، وحكمته في حقه ﷺ

أولاً : التعريف بالاجتهاد :

أ- من حيث اللغة :

مأخوذ من الجهد، وهو المشقة والطاقة، فيختص بما فيه مشقة ليخرج عنه مالا مشقة فيه .

قال الرازي^(١) هو في اللغة عبارة عن استقراغ الوسع في أى فعل كان، يقال : استقرغ وسعه في حمل الثقل، ولا يقال : استقرغ وسعه في حمل النواة^(٢) ومنه حديث معاذ رضى الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، وقال له ﷺ : "كيف تقضى إذا عرض لك قضاء" قال : أقضى بكتاب الله، قال : "فإن لم تجد في كتاب الله" قال : فبسنة رسول الله ﷺ، قال : "فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ، ولا في كتاب الله؟" قال : اجتهد رأي ولا آلوا، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : الحمد الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله^(٣) .

(١) هو : محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري، يقال له ابن خطيب الري، ويعرف بالفخر الرازي، إمام فقيه، مفسر، متكلم، أصولي، له مؤلفات عديدة منها : التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) وعصمة الأنبياء، والحصول في علم الأصول وغير ذلك، مات سنة ٦٠٦ هـ. له ترجمة في : طبقات المفسرين للداودي ٢/٢٦٥ رقم ٥٥٠، وطبقات الشافعية للسبكي ٨/٨١، والبداية والنهاية ٦٠/١٣ .

(٢) ينظر : القاموس المحيط ١/٢٨٣، وتذيب اللغة ٦/٣٧، والنهاية في غريب الحديث ١/٣٠٨، والحصول في علم الأصول ٢/٤٨٩، والإحكام لابن حزم ٨/٦٢٩ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأقضية، باب اجتهد الرأى في القضاء ٣/٣٠٣ رقم ٣٥٩٢، والترمذي في سننه كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضى ٣/٦١٦ رقم ١٣٢٧، وقال : حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بم متصل، وأخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢، والخطيب في الفقيه والمتفقه ١/٤٧٠ أرقام ٥١١ - ٥١٥ والدارمي في سننه المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة ١/٧٢ رقم ١٦٨ قال الشوكاني في إرشاد الفحول ٢/٣٢٢ هو حديث مشهور له طرق متعددة، ينهض مجموعها للحجة، قلت : والحديث مما تلقاه الناس بالقبول، وأجمعوا على معناه، واشتهر عند أئمة الحديث بغير نكير منهم، وما كان كذلك يحكم به بالصحة، وكان غنياً عن الإسناد. ينظر : تدريب الراوى ١/٦٧، وأعلام الموقعين ١/٢٠٢، وتلخيص الخبير ٤/٤٤٥ رقم ٢٠٧٦ .

ب- معناه الاصطلاحي :

اختلفت عبارات الأصوليين في تعريف الاجتهاد اصطلاحاً، اختلفاً يرجع إلى معنى واحد، وهو : بذل الفقيه الوسع، في تحصيل الأحكام الشرعية الظنية من أدلتها التفصيلية^(١) وبهذا تظهر العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي وهى : استقراغ الوسع في تحصيل شئ.

قال ابن الأثير : والمراد به رد القضية التى تعرض للحاكم من طريق القياس إلى الكتاب والسنة، ولم يرد رأى الذى يراه من قبل نفسه، من غير حمل على كتاب أو سنة^(٢).

وإذا نظرنا فى المعنى الاصطلاحي رأيناه ينصب على اجتهادات فقهاء الأمة بجميع مداركها من النظر فى النصوص كتاباً وسنة، وفى القياس والإجماع وغيرهما من مدارك الاجتهاد.

واجتهاده ﷺ لا يحتاج إلى النظر فى النصوص من الجهات التى احتاج إليها علماء أمته، لأن النصوص جميعها بيئة له ﷺ من جميع هذه الجهات وغيرها.

وأما ما يظهر فى بعض اجتهاداته ﷺ أنه من قبيل القياس، فالحمل فيه لتقريب فهم الحادثة المسئول عنها أو المخبر بها، وفتح باب الاجتهاد لعلماء أمته ﷺ المؤهلين له، لا لاستنباط الحكم بالنظر فى النصوص^(٣).

وبالجملة : فالقسم الثانى من الوحي الإلهى إلى رسول الله ﷺ (الوحي التوفيقى) أو (الوحي الباطنى) على حد تعبير الأحناف^(٤) وهو : ما قاله رسول الله ﷺ باجتهاده مما يعلم أنه من شرع الله تعالى، فإن وافق قوله أو فعله مراد الله تعالى، فالأمر كما أخبر رسول الله ﷺ، وإن كان الأمر يحتاج إلى تصحيح أو توضيح، أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ بذلك^(٥).

(١) ينظر : المحصول للرازى ٤٨٩/٢، والأحكام للآمدى ١٤١/٤، ومسلم الثبوت وشارحه ٣٦٢/٢، وإرشاد الفحول ٢٩٥/٢، وتقرير الاستناد فى تفسير الاجتهاد للسيوطى ص ٢٩.

(٢) النهاية فى غريب الحديث ٣٠٨/١.

(٣) ينظر : آيات عتاب المصطفى ﷺ فى ضوء العصمة والاجتهاد للدكتور عويد المطرفى ص ٧٢ - ٧٤.

(٤) ينظر : أصول السرخسى ٩٠/٢.

(٥) ينظر : تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير ص ٥٤، ويراجع : ص ٢٥٨، ٢٥٩.

وهذا أهم ما يفرق به بين اجتهاد النبي ﷺ، واجتهاد علماء أمته أن اجتهاده ﷺ محروس بوحى الله تعالى، فلا يقر على خطأ ومن هنا فهو حجة في الدين ويحرم مخالفته، وليس كذلك اجتهاد علماء أمته. اللهم إذا كان اجتهاد علماء الأمة في عصر من العصور وأجمعوا عليه فيحرم مخالفته.

قال الإمام الغزالي^(١) : "دل الدليل من الإجماع على تحريم مخالفة اجتهاده ﷺ، كما دل على تحريم مخالفة الأمة كافة، وكما دل على تحريم مخالفة اجتهاد الإمام الأعظم والحاكم، لأن صلاح الخلق في اتباع رأى الإمام والحاكم وكافة الأمة، فكذلك النبي ﷺ"^(٢).

ثانيا : الحكمة في اجتهاد رسول الله ﷺ :

أمر المولى عز وجل نبيه ﷺ، بالاجتهاد في قوله تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٣) ووجه الاستدلال بالآية : أن المشاورة إنما تكون فيما حكم فيه بطريق الاجتهاد، إذ لا مشاورة فيما نزل به وحى^(٤).

ولا ريب أن الأمر بالمشاورة أمر له بالاجتهاد لاستظهار آراء من معه من المؤمنين ليختار منها باجتهاده ما يراه ﷺ موافقاً للمصلحة، وهذا هو الاجتهاد المطلوب.

وقول من قال أن الآية واردة في الحروب؛ لا يمنع من ثبوت الاجتهاد له ﷺ بها^(٥) إذ الحروب جهاد في سبيل الله، وهى أحكام شرعية فالاجتهاد فيها يقتضى جواز الاجتهاد في غيرها إذ لا فارق.

وهنا يرد سؤال :

إذا كان أى نبي عندما يجتهد عرضة لأن يصيب وأن يخطئ، فلماذا يكلمهم الله عز وجل إلى الاجتهاد الذى قد يخطئون فيه؟ ولماذا لا يسعفهم بالوحى الذى يفصل فى الأمور والقضايا ولا يحوجهم إلى الاجتهاد؟.

(١) هو : محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد، الملقب بحجة الإسلام، كان بارعا في الفقه، وأصول الدين، والمنطق والفلسفة، من أشهر مصنفاته : المستصفى من علم الأصول، وإحياء علوم الدين، مات سنة ٥٠٥ هـ له ترجمة في : وفيات الأعيان لابن خلكان ٢١٦/٤ رقم ٥٨٨، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٦٩، وشذرات الذهب ١٠/٤ .

(٢) المستصفى ٣٥٥/٢، ٣٥٦ .

(٣) جزء من الآية ١٥٩ آل عمران .

(٤) ينظر : الأحكام للآمدى ١٤٤/٤، والمسودة في أصول الفقه لآل تيمية ص ٥٠٨ .

(٥) سيأتى بيان الصواب في اجتهاده ﷺ في أول المبحث الثانى بعد قليل .

والجواب :

أن الله عز وجل حكماً في أن يترك الرسل يجتهدون، ثم ينيهم ويعاتبهم إذا أخطأوا؛ أبين بعضها بالنسبة لنبينا محمد ﷺ على النحو التالي :

الحكمة الأولى :

إقامة الدليل على بشرية الرسول ﷺ وعبوديته، وأنه مع كونه رسولاً، لم يتجاوز أن يكون عبداً يصيب ويخطئ، كما يصيب البشر ويخطئون؛ ولكنه لا يقر على خطأ.

ويدل على هذه الحكمة ويشهد لها قوله ﷺ : "إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق فأقضى له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم؛ فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليركها"^(١).

الحكمة الثانية :

البرهنة على أمانة الرسول ﷺ في إيلاغ الرسالة، وعدم كتمانها شيئاً مما أنزل عليه من ربه، إذ لو كتم شيئاً لكتم آيات العتاب ما خالف فيه الأولي؛ يدل على ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : "لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً، لكتم هذه الآية : ﴿وَإِذَا تَقُولُ لِّلَّذِي أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾"^(٢).

الحكمة الثالثة :

تشجيع الأمة على الاجتهاد وإعمال الفكر فيما يعرض لها من قضايا وأحداث لا يجدون فيها نصوصاً، فإن الأحداث تتجدد، ولا تنتهي عند حد، فكيف يواجهها المسلمون ولا نصوص فيها؛ إذا لم يجتهدوا ليتعرفوا على أحكامها؟.

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) في عدة أماكن منها : كتاب المظالم، باب إثم من خصاصم في باطل وهو يعلمه ١٢٨/٥ رقم ١٢٥٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر ٢٤٥/٦ رقم ١٧١٣ من حديث أم سلمة رضى الله عنها.

(٢) الآية ٣٧ الأحزاب، والحديث سبق تخريجه ص ٢٦٨ .

الحكمة الرابعة :

رحمة للأمة بتأسيس أعظم قاعدة للحكم الإسلامى، وهى التزام الشورى، وترك الاستبداد. ويؤيد هذا ما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : "لما نزلت ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ قال رسول الله ﷺ : "أما إن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتى فمن استشار منهم لم يعدم راشداً، ومن تركها لم يعدم غياً"^(١).

قال الإمام ابن جرير : "إن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ بمشورة أصحابه فيما حربه من أمر عدوه، ومكايد حربه، تألفا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام؛ البصيرة التى يؤمن عليها معها فتنة الشيطان، وتعريفاً منه أمتة فى الأمور التى تقع بهم من بعده وحلها، ليقننوا به فى ذلك عند النوازل التى تنزل بهم فيشاوروا فيما بينهم، كما كانوا يرونه فى حياته ﷺ يفعله، فأما النبى ﷺ فإن الله تعالى كان يعرفه مطالب وجوه ما حربه من الأمور بوحيه وإلهامه إياه صواب ذلك، وأما أمتة فإنهم إذا تشاوروا مستتين بفعله ﷺ فى ذلك على تصادق وتأخ للحق، وإرادة جميعهم للصواب، من غير ميل إلى هوى، ولا حيد عن هدى، فالله مسدهم وموفقهم"^(٢).

ويؤيد ما سبق ما روى عن الحسن البصرى قال : "قد علم أنه ليس به إليهم حاجة، وربما قال : ليس له إليهم حاجة، ولكن أراد أن يستن به من بعده"^(٣).

وقد غرس رسول الله ﷺ هذا المبدأ "الشورى" فى نفوس أصحابه حتى كان يشاورهم فى أمور الدين والدنيا^(٤) قال أبو هريرة رضى الله عنه : "ما رأيت أحداً قط أكثر مشاورة لأصحابه

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ٧٦/٦ رقم ٧٥٤٣، ونقله الشوكانى فى فتح القدير ٣٩٥/١ ونقل عن السيوطى تحسينه.

(٢) جامع البيان ١٥٣/٤ بتصرف يسير.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٠١/٣ رقم ٤٤١٦ وقال الحافظ فى : فتح البارى، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ٣٥٢/١٣ سند ابن أبى حاتم حسن، وينظر : تلخيص الحبير ٤٧١/٤.

(٤) نحو مشاورتهم يوم بدر فى الذهاب إلى غير فريش، وشاورهم أيضاً أين يكون المنزل يوم بدر، وشاورهم فى شأن أسرى بدر، وسيأتى تفصيل ذلك فى دلائل عصمته فى اجتهداه من خلال السنة، وشاورهم يوم أحد أن يقعد فى المدينة أو يخرج إلى العدو، وشاورهم يوم الخندق فى مصالحة الأحزاب بلث ثمار المدينة، وشاورهم فى قصة الإفك، واستشار علياً وأسامه فى فراق عائشة. وغير ذلك. ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢٨/٢، ١٢٩، وفتح البارى ٣٥٣/١٣، ٣٥٤ رقم ٧٣٦٩.

من رسول الله ﷺ^(١) وقد اقتفى أثره ﷺ الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وغيرهم ممن ولى أمر المسلمين بعده من صحابته الكرام وولاة المسلمين الأخيار، فكانوا لا يعلنون بالاستشارة فى أمور المسلمين النازلة بهم، كما قال الإمام البخارى : "وكانت الأئمة بعد النبى ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحة، ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداء بالنبى ﷺ، ثم ضرب البخارى أمثلة لذلك^(٢) وهى كثيرة معلومة، لا مجال لنذكرها هنا^(٣) .

وبعد أن فرغت من تعريف الاجتهاد، وحكمته فى حق رسول الله ﷺ، فقد حان الوقت لبيان دلائل عصمته ﷺ فى اجتهاده، فإلى بيان ذلك فى المبحث التالى .

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الجهاد، باب ما جاء فى المشورة ١٨٥/٤ رقم ١٧١٤ معلقاً بصيغة التضعيف، وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١٠٩/١٠، وذكره الحافظ فى فتح البارى ٣٥٢/١٣ رقم ٧٣٦٩ وقال رجاله ثقات إلا أنه منقطع. لكنه تعضده الآيات والأحاديث .
(٢) البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى ﴿وَأمرهم شورى بينهم﴾ ٣٥١/١٣ .
(٣) للوقوف على أمثلة من مشاورات الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم. ينظر : فتح البارى ٣٥٤/١٣ - ٣٥٥ .

المبحث الثاني دلائل عصمته ﷺ في اجتهاده من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية

اجتهاد رسول الله ﷺ في الشريعة الإسلامية، جوازه وعدمه في حقه، موضوع قديم أعطاه العلماء حقه في البحث، وجمهور المحققين من العلماء؛ أن رسول الله ﷺ اجتهد فعلاً^(١). واجتهاده ﷺ في الدين والدنيا، إن وافق مراد الله تعالى، فالأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ، وإن كان الأمر يحتاج إلى تصحيح أو توضيح أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ بذلك.

قال الإمام الشاطبي : "فاعلم أن النبي ﷺ مؤيد بالعصمة، معضود بالمعجزة الدالة على صدق ما قال وصحة ما بين، وأنت ترى الاجتهاد الصادر منه معصوماً بلا خلاف، إما بأنه لا يخطئ البتة، وإما بأنه لا يقر على خطأ إن فرض، فما ظنك بغير ذلك؟"^(٢) والأدلة على عصمة رسول الله ﷺ في اجتهاده كثيرة يشهد بها كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة. أولاً : الأدلة من القرآن الكريم على عصمته ﷺ في اجتهاده :

١- قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٣) ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة في موضعين :

الأول : أن الله تعالى أمر فيها بطاعته سبحانه وطاعة رسوله، وطاعة الله تعالى إنما تكون بامتنال جميع ما نزل به وحيه تعالى على الرسول ﷺ، وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، إنما تكون بامتنال كل حكم يخبر به سواء كان عن وحى أو عن اجتهاد، وإلا لم يكن لتخصيص طاعة الرسول ﷺ بعد طاعة الله فائدة في الذكر. وبالتالي فالأمر بطاعته دليل على عصمته في اجتهاده.

(١) قال الآمدي في الإحكام ١٤٣/٤ وهو المختار.

قلت : وهو الراجح والصحيح، وهو مذهب عامة الأصوليين والفقهاء الإمام مالك والشافعي وأحمد واتباعهم، ومذهب جمهور أهل الحديث. ينظر : الإحكام لابن حزم ١٢٥/٥ - ١٣٣، والمستصفي للفرزالي ٣٥٠/٢ - ٣٥٤، والإمهاج في شرح المنهاج ٢٤٦/٢، وأصول السرخسي ٥/١، والمسودة في أصول الفقه لآل تيمية ص ٥١٠.

(٢) المرافقات ٤٥٨/٢ ويراجع من نفس المصدر ٤٠٤/٢، وإرشاد الفحول ٣١٣/٢.

(٣) الآية ٥٩ النساء.

الثانى : أن الله تعالى أمر فى هذه الآية الكريمة المتنازعين فى شئ بالرد إلى الله وإلى الرسول . والرد إلى الله رد إلى وحيه المنزل على الرسول ﷺ سواء أكان متلو وهو القرآن، أم غير متلو وهو السنة . والرد إلى الرسول يقتضى أن يكون الأمر المردود إليه غير داخل فى الوحي وإلا لزم التكرار، والذى لا يدخل فى الوحي وتجب طاعة الرسول ﷺ فيه هو ما أمر به باجتهاده بدليل قوله تعالى : ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾^(١) ووجه الاستدلال به أن الله تعالى قد سوى بين الرسول ﷺ وبين أولى الأمر - وهم العلماء - فى الاستنباط . فلو لم يكن الاجتهاد جائزاً للرسول ﷺ، وتجب طاعته فيه لعصمته؛ لما كان الأمر بالرد أى فائدة!! .

٢- وقوله تعالى : ﴿فإن جاعوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت، فاحكم بينهم بالقسط﴾^(٢) ووجه الاستدلال بالآية من ناحيتين: الأولى : أن الله تعالى جعل الرسول ﷺ بالخيار فى الحكم بينهم، فإن شاء حكم، وإن شاء أعرض ولم يحكم، أى أن الأمر مفوض إليه ﷺ، فإن رأى - باجتهاده - مصلحة وحسن قبول منهم لحكمه حكم بينهم وإلا أعرض عنهم ولا ضرر عليه منهم . الثانية : أن تقييد أمره بالحكم بينهم (بالقسط) يشعر بزيادة تنبيهه ﷺ على تحرى الصواب فيما يحكم به، وهو دليل على أن الله تعالى أذن له أن يحكم بينهم باجتهاده، لأنه لو كان الحكم بالوحي لم يكن لهذا القيد فائدة بالنسبة للرسول ﷺ لأنه لا يحكم إلا بالقسط فدل ذلك على عصمته فى اجتهاده فيما يحكم فيه .

٣- وقوله سبحانه : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾^(٣) .

وجه الاستدلال بالآية : أمر رب العزة عباده بتحكيم رسول الله ﷺ فى كل شأن من شئون حياتهم، وينقادوا لحكمه انقياداً مطلقاً لا معارضة فيه، وإلا فلا يستحقوا وصف الإيمان .

(١) جزء من الآية ٨٣ النساء .

(٢) جزء من الآية ٤٢ المائدة .

(٣) الآية ٦٥ النساء .

وإذا كان حكم رسول الله ﷺ على ما سبق - من الآيات السابقة - يكون بوحى وباجتهاده؛ دل ذلك على عصمته فى اجتهاده، وإلا لما وجب التسليم لحكمه ﷺ تسليماً مطلقاً، والآية ترد قول الذين شذوا بتجوز الخطأ عليه ﷺ فى اجتهاده، وقد أشار التاج السبكي إلى رد هذا القول الشاذ بقوله : "والصواب أن اجتهاده عليه الصلاة والسلام لا يخطئ"^(١)،
٤- وقوله عز وجل : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾^(٢).

فهذه الآية الكريمة احتج بها العلماء على حكم رسول الله ﷺ باجتهاده؛ وأن هذا الحكم معصوم فيه، بدلالة قوله تعالى : ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ فإذا أقره رب العزة على اجتهاده فى حكمه فهو حكم الله فى النهاية.

وفى الصحيحين وغيرهما عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ فى مواريث بينهما قد درست، ليس عندهما بينة، فقال رسول الله ﷺ : "إنكم تختصمون إليّ، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم ألحن^(٣) بحجته من بعض، وإنما أقضى بينكم على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإتما أقطع له قطعة من النار، يأتى بها إسطاماً"^(٤) فى عنقه يوم القيامة. فبكى الرجلان، وقال كل منهما : حقى لأخى فقال رسول الله ﷺ : "أما إذ قلتما فاذهبا فافقتما، ثم توخيا الحق، ثم استهما"^(٥) ثم ليحلل لك واحد منكما صاحبه"^(٦) وفى رواية : "إنى إنما أقضى بينكم برأى فيما لم ينزل علىّ فيه"^(٧).

(١) جمع الجوامع ٣٨٧/٢ وينظر : الشفا ١١٥/٢، ١١٦، وشرح الزرقانى على المواهب ٢٦١/٧ والخصائص الكبرى للسيوطى ٣٤٨/٢، ودلالة القرآن المبين لعبد الله الغمارى ص ٤٢، ٤٣.

(٢) الآية ١٠٥ النساء.

(٣) اللحن : الميل عن جهة الاستقامة، يقال : لحن فلان فى كلامه، إذ مال عن صحيح المنطق. والمراد : إن بعضكم يكون أعرف وأقطن وأقدر على عرض حجته من غيره. النهاية ٢٠٨/٤.

(٤) إسطاماً، ويروى : سطاماً - بكسر السين وفتح الطاء : هى الحديدية التى تحرك بها النار وتسعر. أى أقضى له ما يسعر به النار على نفسه ويشعلها، أو أقطع له ناراً مسعرة. النهاية ٣٢٩/٢.

(٥) أى : اقترعا.

(٦) أخرجه أحمد فى المسند ٣٢٠/٦، والحديث سبق تخريجه من رواية البخارى ومسلم ص ٣٩١.

(٧) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأقضية، باب قضاء القاضى إذا أخطأ ٣٠٢/٣ رقم ٣٥٨٥ من حديث أم سلمة، وعزاه الحافظ فى فتح البارى ١٨٥/١٣ رقم ٧١٨١ إلى أبى داود وسكت عنه وملا سكت عنه فهو دائر بين الصحة والحسن كما قال فى هدى السارى ص ٦ وكذا صرح التهانوى فى قواعد فى علم الحديث ص ٨٩.

فتأمل قوله ﷺ : "أقضى بينكم برأى... الخ" مع وصف رب العزة هذا الرأى بأنه ممن عنده فى قوله تعالى : ﴿لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ وتأمل مع ذلك قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو على المنبر : "يا أيها الناس، إن الرأى إنما كان من رسول الله ﷺ مصيباً، لأن الله كان يريه، وإنما هو منا الظن والتكلف"^(١) وهذا الكلام صريح فيما قررته من أنه ﷺ يحكم باجتهاده، وهو فى هذا الاجتهاد معصوم لا يخطئ فيه .

٥- وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) وأفرد الضمير فى قوله "ليحكم" لإفادة أن حكم الله ورسوله واحد. قال الأستاذ عبد الله الغمارى : "وفى الآية دليل على أن رسول الله ﷺ معصوم فى أحكامه الاجتهادية لا يخطئ فيها، لأن الله تعالى جعل حكم نبيه حكمه، والخطأ فى حقه تعالى محال. فما زعمه بعض مبتدعة هذا العصر من نسبة الخطأ إليه ﷺ فى بعض أحكامه الاجتهادية ضلال مبنى على جهل، لأن الخطأ الاجتهادى لا يقر عليه ﷺ، إذ ينزل التنبيه وبعد التنبيه والتصحيح لا خطأ، وزاد بعضهم جهلاً وضلالة، فجوز مخالفة بعض قضاياه ﷺ الاجتهادية، إذا اقتضت المصلحة ذلك، ولا أدرى كيف خفيت عليه هذه الآية وآية سورة النساء؟^(٣) وأى مصلحة تقتضى مخالفة حكمه؟ والقرآن ينفى الإيمان عمن لم يسلم له تسليماً"^(٤).

٦- وقوله عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

(١) سبق تخريجه ص ٣٣٥ .

(٢) الآية ٥١ النور .

(٣) وهى قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمَكَ فِي شَأْنِهِمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا﴾ الآية ٦٥ النساء .

(٤) دلالة القرآن المبين ص ١٠٣ بتصرف .

(٥) الآية ٦٢ النور .

والشاهد فى الآية فى قوله : ﴿فَإِنْ لَمِنْ شئتَ منهم﴾ حيث فوض رب العزة إلى رسوله ﷺ الأمر لمشيئته وإنه ﷺ بعد وجوب استئذانهم قبل الانصراف عنه فى كل أمر يجتمعون عليه. وفى هذا التفويض من المولى عزوجل لرسوله ﷺ دليل على اجتهاده وعصمته فيه! ولو خالف الأولى فى اجتهاده ينزل التصحيح والتنبيه. وهو دليل عصمته فى اجتهاده. بدليل قوله تعالى : ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾^(١).

فظاهر الآية الكريمة يفيد : أنه ﷺ اجتهد بالأذن لبعض المنافقين فى التخلف عن الخروج إلى تبوك، وكان إننه على خلاف الأولى فجاء التصحيح والتنبيه على ذلك؛ وهو دليل عصمته فى اجتهاده. وليس فى هذا الإذن ذنب ولا جريمة لسببين :

أولهما : أن الله تعالى لم يتقدم إليه ﷺ فى ذلك بأمر ولا نهى .

ثانيهما : أنه ﷺ أنن لهم اجتهاداً منه بناء على عموم آية النور من تفويضه بالإذن لمن شاء، فكيف ينسب إليه ذنب أو جريمة؟! بل لو فرض أنه أخطأ لكان مثاباً على اجتهاده غير مؤاخذ بخطئه، ولكنه ﷺ لم يخطئ، لأنه سلك ما هو الأوفق بخلقه العظيم من التيسير على أصحابه، والميل إلى ستر حالهم ، وتفويض أمرهم إلى الله تعالى، ولكن الله تعالى أراد منه ﷺ أن يكون شديداً على المنافقين فهو كقوله تعالى : ﴿يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾^(٢) فالإذن للمنافقين كان جائزاً بحسب عموم آية النور، ثم نسخ بهذه الآية. كما كان الاستغفار لهم والصلاة عليهم جائزين، ثم نسخا بقوله تعالى : ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾^(٣) وفاعل الحكم المنسوخ قبل نسخه لا يكون عاصياً، بل هو مثاب مبرور .

ويؤيد ما سبق استفتاح الكلام بالعفو، ﴿عفا الله عنك﴾ والآية بحسب الأسلوب العربى، تفيد تكریم النبى وتعظيمه خلافاً لمن وهم ففهم منها عتابه أو تأنيبه، فيستوجب ما فهمه ذلك الواهم^(٤).

(١) الآية ٤٣ التوبة .

(٢) الآية ٧٣ التوبة، والآية ٩ التحريم .

(٣) الآية ٨٤ التوبة .

(٤) ينظر : خواطر دينية ص ٤٣، ٤٤، ودلالة القرآن المبين ص ٦٨ كلاهما لعبد الله الغمارى. ويراجع : ص ١٤٨ - ١٥١ .

٧- وقوله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) إن هذه الآية تتحدث عن أمر رسول الله ﷺ للرماة يوم أحد الوارد في قوله ﷺ : "احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تتصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا"^(٢).

إن هذا الأمر النبوي للرماة يوم أحد أمر اجتهادي منه ﷺ تقتضيه طبيعة المعركة يومها، وهو اجتهاد عصم فيه رسول الله ﷺ، ووافق مراد الله تعالى بدليل عتاب المولى عز وجل للرماة في الآية السابقة، ووصفهم بالعصاة في قوله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذَا تَحْسَنْتُمْ بِالَّذِينَ يَكْفُرُونَ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحْبُونَ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وتأمل : ﴿وتتنازعتم في الأمر وعصيتم﴾ إنه تقرير لعصمة رسول الله ﷺ في أمره الاجتهادي للرماة يوم أحد، ووصف المخالفين له ﷺ يومئذ بالعصيان، ولكن عفا الله عنهم : ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾.

٨- وقوله عز وجل : ﴿مَا قُطِعَ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٤). ووجه الاستدلال بالآية على عصمته ﷺ في اجتجاهه أنها تصرح على ما ورد في الصحيح من أن أمر رسول الله ﷺ بحرق نخيل بني النضير وقطعه كان باجتهاده، وهو اجتهاد أقره رب العزة حيث وصفه بإذنه في وحى متلو، وأنزله جواباً لسؤال بعض الصحابة كما حاك في صدورهم وأثر فيها؛ من حيث صواب وخطأ بعضهم في قطع بعض النخيل وترك بعضه. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "اللين النخلة، وليخزي الفاسقين قال : استنزلوهم

(١) الآية ١٥٥ آل عمران.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٦١.

(٣) الآية ١٥٢ آل عمران.

(٤) الآية ٥ الحشر.

من حصونهم قال : أمروا بقطع النخل فحاك في صدورهم. فقال المسلمون : قد قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً، فلنسالن رسول الله ﷺ، هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿لَمَّا قُطِعَ مِنْ لَبْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١) فهل بعد ذلك شك في اجتهاده ﷺ في الشريعة الإسلامية وعصمته فيه؟!.

نعم أقول : إن رسول الله ﷺ أذن له بالاجتهاد في الشريعة الإسلامية واجتهد فعلاً، وأن اجتهاده في بعض الأحيان القليلة كان خلاف حكم الله، فجاء الوحي بتصحيح الحكم والإرشاد إلى ما ينبغي. كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

أو جاء الوحي بإمضاء حكم اجتهاده ﷺ مع التنبيه بما ينبغي كما في قوله تعالى : ﴿لَمَّا كَانَ نَبِيٌّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣). أو جاء الوحي بإمضاء حكم اجتهاده ﷺ وإقراره على ما سبق تفصيله قريباً في الآيات السابقة.

أما زعم الشيعة أن اجتهاد رسول الله ﷺ لا يجوز، فهو زعم مردود عليهم بما سبق من الأدلة القرآنية على اجتهاده ﷺ في الدين والدنيا وعصمته فيه.

(١) أخرجه الترمذی فی سننه کتاب التفسیر، باب سورة الحشر ٣٨٠/٥ رقم ٣٣٠٣ وقال : حديث حسن غريب، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى كتاب التفسير، باب قوله : ﴿وليزي الفاسقين﴾ ٤٨٣/٦ رقم ١١٥٧٤، والحديث سبق تخريجه من حديث ابن عمر في الصحيحين ص ٣٦٢ .

(٢) الآيتان ١، ٢ التحريم. ويراجع : ما سبق في توجيه هذه الآيات بما لا يتعارض مع عصمته ﷺ ص ١٧٠ - ١٨١ .

(٣) الآية ٦٧ الأنفال. ويراجع : ما سبق في توجيه هذه الآية بما لا يتعارض مع عصمته ﷺ ص ١٥١ -

أما زعمهم بأن ما استدلل به من الآيات التي تدل على اجتهاده تنسب إليه الخطأ والذنب وهو يخل بعصمته^(١) فقد سبق الجواب عن هذه الآيات تفصيلاً بما لا يخل بعصمته ﷺ^(٢).

وأزيد هنا جواباً إجمالياً ما قاله الأستاذ محمد عزة دروزة قال : "ولسنا نرى مساساً بالعصمة النبوية من ناحية تلك الاجتهادات التي عوتب عليها رسول الله ﷺ في القرآن، فالاجتهادات التي عوتب عليها في القرآن ليست ذنباً يمكن أن يكون صدورها من النبي ﷺ، مناقضاً للعصمة التي يجب الإيمان بها فيه، وإنما هي خلاف لما هو الأولى في علم الله المغيب عنه فيما لا وحى فيه. والعصمة الواجب الإيمان بها ليست هي التي تجعل النبي ﷺ يتمتع عليه أن يصدر منه أى فعل أو قول أو اجتهاد فى مختلف شئون الحياة والناس، قد يكون فيه الخطأ والصواب، وخلاف الأولى الذى فى علم الله تعالى؛ والذى لا ينكشف له إلا بوحي، مما لا يمكن أن ينتفى عن الطبيعة البشرية النبوية المقررة فى القرآن ولكنها التى تجعله يتمتع عن أى إثم أو جريمة أو فاحشة، أو مخالفة للقرآن قولاً وفعلًا، وعن كتم أى شئ أوحى به إليه، أو تحريفه وتبديله نتيجة لما وصل إليه بنعمة الله وفضله من كمال الخلق والروح والعقل والإيمان والاستغراق فى الله الذى جعله أهلاً للاصطفاء الربانى"^(٣) أهـ.

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية على عصمته ﷺ فى اجتهاده :

اعتبر العلماء ما قاله رسول الله ﷺ باجتهاده مما يعلم أنه من شرع الله تعالى؛ من وحى السنة المطهرة، وسماء الأحناف بالوحى الباطنى^(٤) وعللوا ذلك بأنه ما كان الله عز وجل ليترك خطأ يصدر من رسوله المبلغ عنه، مما يترتب عليه وقوع الأمة فيه اتباعاً.

(١) ينظر : النص والاجتهاد لشرف الدين الموسوى ص ٢٤١، والشيعية فى عقائدهم وأحكامهم لأمر محمد القزوينى ص ٩٤، ٣٧٠، والشيعية هم أهل السنة لمحمد التيجانى السماوى ص ٣٠٦، ومعالم المدرستين لمرتضى العسكرى ٢/٢٦، ٧٤، والصحيح من سيرة النبى الأعظم لجعفر مرتضى العاملى ١/١٩، ٤/١٦٨، ٥/٢٩، ٦/٨٦، ٩/٨١، ومساحة للحوار ص ١١٧، ١١٩، والمواجهة مع رسول الله ص ٢٦٥، كلاهما لأحمد حسين يعقوب، ومنع تدوين الحديث أسباب ونتائج لعلى الشهرستانى ص ١٩٣، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٥٥، ٢٥٧، ٢٦٥، وأهل السنة شعب الله المختار ص ٦٩، ٧٠ كلاهما لصالح الوردانى، وتاريخ الإسلام الثقافى والسياسى لصائب عبد الحميد ص ٢٩٧.

(٢) يراجع : ص ١١٣ - ١٨١.

(٣) سيرة الرسول ﷺ صورة مقتبسة من القرآن الكريم ١/١٠١ وينظر : الشفا ٢/١١٥، ١١٦، والرسلى والرسالات للدكتور عمر سليمان الأشقر ص ١٠٢، ١٠٣، ومحمد ﷺ مفخرة الإنسانية لمحمد قنح الله كولن ٢/٢٠٨، ٢٠٩، ومناهل العرفان فى علوم القرآن لمحمد الزرقانى ٢/٤٢١، ٤٢٢.

(٤) ينظر : أصول السرخسى ٢/٩٠.

وإذا كانت الحكمة من إرسال الرسل أن لا تكون للناس على الله حجة ﴿رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾^(١) فإن ذلك يتم بعصمة المرسل من الوقوع فى أى خطأ، فإن كان اجتهاده صواباً أقره الوحي، وإن كان غير صواب نبهه الوحي. يدل على ذلك ما يلى :

١- عن أبى قتادة رضى الله عنه، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ، أرأيت إن قتلته فى سبيل الله، تكفر عنى خطاياى؟ فقال له رسول الله ﷺ : نعم. إن قتلته فى سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، ثم قال رسول الله ﷺ كيف قلت؟ قال : أرأيت إن قتلته فى سبيل الله، أنكفر عنى خطاياى؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم. وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال له ذلك^(٢).

فتأمل كيف اجتهد رسول الله ﷺ فى الجواب عن سؤال فى الإسلام! وكيف أقره وحى الله؛ مع الاستدراك فى الجواب زيادة "الدين" على ما أجاب به رسول الله ﷺ! وفى ذلك دلالتة على جواز الاجتهاد لرسول الله ﷺ فى الإسلام وعصمته فيه.

٢- وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : اختصم إلى النبی ﷺ رجلان. فوقعت اليمين على أحدهما، فحلف بالله الذى لا إله إلا هو، ماله عنده شئ. فنزل جبريل على النبی ﷺ، فقال : إنه كاذب إن له عنده حقه، فأمره أن يعطيه حقه، وكفارة يمينه معرفته أن لا إله إلا الله أو شهادته^(٣).

فتأمل دلالة الحديث على حكم رسول الله ﷺ باجتهاده فى أموال الناس، وتأمل كيف أن الحكم فى المسألة الواردة فى الحديث لا بينة فيه، ويتوقف حكمها على يمين أحدهما، فحلف وكان كاذباً فى حقيقة الأمر، فحكم له رسول الله ﷺ بالناقصة - التى سرقها - إذ لا بينة مع المدعى ملكيتها.

وحكمه ﷺ للحالف - كاذباً فى حقيقة الأمر - لا حرج عليه ﷺ فى ذلك؛ بناء على الأصل فى الفصل فى الأحكام (البينة على المدعى، واليمين على من أنكر) كما قال ﷺ : "لو

(١) الآية ١٦٥ النساء.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٥٨.

(٣) أخرجه أحمد فى المسند ١/٢٩٦، ٢٨٨، ٣٢٢، وفى كلها عطاء بن السائب اختلط، وشريك سئى الحفظ لكنه توبع - فالإسناد ضعيف. لكنه تعضده الآيات والأحاديث الواردة فى هذا المبحث والدالة على عصمته ﷺ فى اجتهاده.

يعطى الناس بدعواهم، لا دَعَى ناس دماء رجال وأموالهم. ولكن اليمين على المدْعَى عليه^(١) ولكن تأمل كيف أن الله عز وجل لا يرضى لنبيه ﷺ إلا أن يكون حكمه الاجتهادى مطابقاً للواقع، ونفس الأمر، ظاهراً وباطناً؛ فنبهه جبريل عليه السلام قبل صدور الحكم. فبان بذلك بطلان ما زعمه بعض الشذاذ أن اجتهاد رسول الله ﷺ يخل بعصمته.

٣- ومن اجتهاداته ﷺ المعصوم فيها اجتهاده فى غزوة بدر الكبرى، وكان ذلك فى ثلاثة مواضع: أحدها : فى الإقدام على المعركة، وثانيها : فى موضع نزول جيشه فى بدر، وثالثها : فى شأن الأسرى.

أما الموضع الأول : الاستشارة فى القتال، فكانت عندما "خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد"^(٢) عندئذ استشار أصحابه فى مواجهتهم فعن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبى سفيان. قال : فتكلم أبو بكر فلعرض عنه. ثم تكلم عمر فأعرض عنه. فقام سعد بن عباد فقال : إيانا تريد؟ يا رسول الله! والذى نفسى بيده لو أمرت أن نخيضها البحر لأخضناها. ولو أمرت أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد^(٣) لفعلنا^(٤) فسرَّ النبي ﷺ بذلك ودعى له بخير، غير أنه عليه الصلاة والسلام لم يقنعه قول المهاجرين، لأن قتالهم معه أمر لا يشك فيه، فقد باعوا أنفسهم لله وخرجوا من ديارهم وأموالهم فراراً بعقيدتهم ونصرة نبيهم.

لكن الأنصار لم يكونوا كذلك، إذ إنما عاهدوا رسول الله ﷺ على نصرته فى مدينتهم وديارهم، أما وهو فى بدر فذلك ما لم تقتضه نصوص المعاهدة، فأراد ﷺ استشارتهم فيما هو

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعى عليه ٢٤٣/٦ رقم ١٧١١، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التفسير، باب إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاف لهم ٦١/٨ رقم ٤٥٥٢ .

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب قصة غزوة بدر ٣٣٣/٧ رقم ٣٩٥١ من قول كعب بن مالك رضى الله عنه .

(٣) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر، وقيل بلد باليمن. أهـ. مراد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاء لعبد المؤمن البغدادى ١٨٧/١ .

(٤) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد، باب غزوة بدر ٣٦٥/٦ رقم ١٧٧٩، وأخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب قول الله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ ٣٣٥/٧ رقم ٣٩٥٢ من حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

مصدق به وبهم من الخطر، ليكتشف رأيهم فيما يعد خارجاً عن بنود المعاهدة، فكرر طلب الاستشارة قائلاً : "أشيروا عليَّ أيها الناس" ففهمت الأنصار أنه يعينهم، فبادر سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ فقال : أجل. فقال : لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال : "سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين. والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم^(١)."

وهكذا تمخضت المشاورة هذه برأى صائب شديد، وافقت ما قدره الله تعالى، لنبيه وعباده المؤمنين، واره إياه، حتى كأنه يرى نتيجة ما هو قادم عليه رأى العين.

ويشهد بصحة هذه المشاورة، وأنها وافقت ما قدره الله تعالى قوله تعالى : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

الموضع الثاني : الاستشارة في المنزل، فعندما نزل النبي ﷺ على أقرب ماء من بدر وعرض الأمر على الصحابة، فجاء الحباب بن المنذر^(٣) وقال : يا رسول الله! أرأيت هذا المنزل؛ أمنزلاً أنزلكه الله تعالى ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة" فقال : يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٧٢ نص رقم ٧٢٨، وينظر : زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣/١٧٣، وعيون الأثر لابن سيد الناس ١/٢٤٧، ٢٤٨، وإمتاع الأسماع للمقرئ ص ٨١ - ٨٣ .

(٢) الآيات ٥ - ٧ الأنفال.

(٣) صحابي جليل له ترجمة في : أسد الغابة ١/٦٦٥ رقم ١٠٢٣، والاستيعاب ١/٤٥٨ رقم ٤٨٣ ومشاهير علماء الأمصار ص ٣٢ رقم ١١٢، والإصابة ١/٣٠٢ رقم ١٥٥٧ .

نتأتى أدنى ماء من القوم فنزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فتملؤه ماء، ثم نقاتل فنشرب ولا يشربون، فقال النبي ﷺ : "لقد أشرت بالرأى"^(١).

وهذه المشاورة وافقت ما قدره الله تعالى، بدليل ما جاء فى مغازى الأموى، أن حباب بن المنذر لما أشار على النبي ﷺ بتغيير مكان نزوله يوم بدر؛ ورجع النبي ﷺ إلى رأيه، نزل ملك من السماء، وجبريل جالس عند رسول الله ﷺ، فقال ذلك الملك : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك : إن الرأى ما أشار به الحباب بن المنذر"^(٢) أليس فى ذلك أعظم دليل على أن اجتهداه ﷺ معصوم فيه، بدلاله مراقبة الوحى لهذا الاجتهاد، حيث وافق مراد الله تعالى فجاء الإقرار؟! .

الموضع الثالث : الاستشارة فى شأن الأسرى، فقد انجلت المعركة عن قتل سبعين وأسر سبعين، فضلاً عن الغنائم الكثيرة، وكانت الأسرى أمراً ذى بال، استدعى أن يجمع له الرأى ويفكر فى أمره، لعددهم الكبير، وما يترتب على الإقدام فى شأنهم من نفع للإسلام والمسلمين .

وذلك ما جعل النبي ﷺ يستشير ذوى الرأى والحجا من أصحابه فى الأمر الذى يصنعه بهم من قتل أو من أو فداء، فقال ﷺ : لأبى بكر وعمر : "ما ترون فى هؤلاء الأسارى؟" فقال أبو بكر : يا نبي الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفر، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ : "ما ترى يا ابن الخطاب؟" قال : فقلست : لا والله يا رسول الله! ما أرى الذى رأى أبو بكر، ولكنى أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنى من فلان (نسب لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، قال : فهو رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، قال : فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله ﷺ، وأبو بكر قاعدين يبكيان، فقلت يا رسول الله! أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تبأكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ : "ابكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجر" شجرة قريبة من نبي الله ﷺ وأنزل الله عز وجل : ﴿لَمَّا كَانَ لُنْبَى أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَنَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢٧٨/٢ نص رقم ٧٣٥ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٦٤/٣ .

حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم. فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم^(١) فأحل الله الغنيمة لهم^(٢).

وفى نزول هذه الآيات دليل على مراقبة الوحي لما يجتهد فيه رسول الله ﷺ وفى ذلك شاهد على عصمته ﷺ فى اجتهاده؛ حيث جاء الوحي بإمضاء حكم اجتهاده ﷺ مع التنبيه على ما ينبغي^(٣).

٤- ومن اجتهاداته ﷺ التى عصم فيها وجاء الوحي بإقرارها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : أن أمى نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج أفأحج عنها؟ قال : نعم حجى عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكننت قاضيته؟ قالت نعم. قال : فاقضوا الذى له فإن الله أحق بالوفاء^(٤).

وجه الاستدلال بالحديث أنه ﷺ اجتهد فى إجابة السائلة واعتبر دين الله بدين العباد، وذلك بيان بطريق القياس، ولم يأت ما يخالف ذلك مما يدل على أن اجتهاده ﷺ وافق مراد الله عز وجل فصار إقراراً.

وبهذا الإقرار صار اجتهاده ﷺ حجة على العباد لعصمة الله له فيه، وبحكمه ﷺ (قضاء الدين عن الميت) قالت الأمة، وأجمعت عليه^(٥).

٥- ومن هذا النوع أيضاً أجابته ﷺ عمر بن الخطاب حين قبل عمر امرأته وهو صائم؛ فظن أنه فعل أمراً عظيماً.

فعن عمر رضى الله عنه قال : "هششت^(٦) فقبلت وأنا صائم، فجئت رسول الله ﷺ، فقلت: إني صنعت اليوم أمراً عظيماً، قبلت وأنا صائم. قال : "أرأيت لو مضمضت من الماء؟

(١) الآيات ٦٧ - ٧٩ الأنفال.

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر ٣٢٧/٦ - ٣٢٩ رقم ١٧٦٣ من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

(٣) يراجع : ما سبق فى توجيه هذه الآيات بما لا يتعارض مع عصمته ﷺ ص ١٥١ - ١٥٨ .

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل ميبين ٣٠٩/١٣ رقم ٧٣١٥، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت ٢٧٩/٤ رقم ١١٤٨ وفيه أمّا سألت عن قضاء الصوم عن أمها .

(٥) ينظر : المنهاج شرح مسلم ٢٨٢/٤ رقم ١١٤٨، وفتح البارى ٢٢٨/٤ رقم ١٩٥٢ .

(٦) أى نشطت. ينظر : النهاية ٢٢٨/٥ .

قلت: إذا لا يضر. قال: فقيم^(١) أى: فقيم تسأل^(٢) قال الخطابي: "فإذا كان أحد الأمرين منهما غير مفطر للصائم فالآخر بمثابة^(٣) ووجه الاستدلال بالحديث اجتهداه عليه السلام في قياس القبلة على المضمضة في عدم الأثر على الصوم، ولم يأت ما يخالف ذلك، فصار إقراراً من الوحي بعصمته عليه السلام فيما اجتهد فيه.

٦- وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله عليه السلام صلى ذات ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم عليه السلام، فلما أصبح قال: قد رأيت الذى صنعتم، ولم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم، وذلك في رمضان^(٤).

ووجه الاستدلال منه على عصمته في اجتهداه عليه السلام أنه توقع أن يترتب على المواظبة على صلاة الليل جماعة فرضها عليهم، كما هى واجبة عليه عليه السلام، لأن الأصل في الشرع المساواة بين النبي عليه السلام وبين أمته في العبادة ما لم يدل دليل على الخصوصية، فأداه اجتهداه عليه الصلاة والسلام بسبب رحمته بهم إلى عدم الخروج إليهم والصلاة بهم خشية أن تفرض عليهم فيعجزوا عنها^(٥) وبما أنه لم يرد دليل على الفرضية، فهو بمنزلة الإقرار من رب العزة لما اجتهد فيه عليه السلام؛ حيث وافق مراد الله بعدم الفرضية، وهو دليلنا على عصمته عليه السلام في اجتهداه.

٧- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بعثنا رسول الله عليه السلام في بعث فقال: "إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار" ثم قال عليه السلام: حين أردنا الخروج: إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً وأن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما^(٦).

(١) أخرجه الدارمى في سننه كتاب الصيام، باب الرخصة في القبلة للصائم ٢٢/٢ رقم ١٧٢٤، وأبو داود في سننه كتاب الصوم، باب القبلة للصائم ٣١١/٢ رقم ٢٣٨٥، وأحمد في المسند ٢١٦/١، ٣١٣ والحاكم في المستدرک ٥٩٦/١ رقم ١٥٧٢ وقال: على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢) الفتح الربانى للساعاتى ٥٣/١٠.

(٣) معالم السنن ٢٦٤/٣.

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب التهجد، باب تحريض النبي عليه السلام على قيام الليل والتوافل من غير إيجاب ١٤/٣ رقم ١١٢٩، ومسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام الليل ٢٩٦/٣ رقم ٧٦١.

(٥) ينظر: فتح البارى ١٧/٣ رقم ١١٢٩.

(٦) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله ١٧٣/٦ رقم ٣٠١٦.

إن قوله : "إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما" كان هذا الأمر منه أولاً اجتهاداً، ثم عدل عنه باجتهاد آخر؛ وعلمه ﷺ بقوله : "النار لا يعذب بها إلا الله".
وقد استدل بالحديث الحافظ ابن حجر على : "جواز الحكم بالشئ اجتهاداً ثم الرجوع عنه" (١) وفي الرجوع واستمرار الحكم على ذلك، وعدم ورود ما يخالفه عنه ﷺ هو بمنزلة الإقرار من الله تعالى على هذا الحكم النهائي الذى رجع فيه رسول الله ﷺ. وهو دليل عصمته فى اجتهاده.

ويعد : فهذه نماذج من الأحاديث التى تدل على اجتهاده ﷺ فى الشريعة الإسلامية، وعصمة الله تعالى له فيها؛ إما بالإقرار إذا وافق اجتهاده مراده عز وجل، وإما بالتصويب والإرشاد إذا خالف اجتهاده مراده تعالى.

وفى كلا الأمرين (الإقرار والتصويب) هو بمنزلة الوحي الإلهى يصير حجة على العباد إلى يوم الدين؛ ويحرم مخالفته خلافاً لمن أجاز ذلك، وزعم أن خطأ رسول الله ﷺ فى اجتهاده دليل على أنه يجوز الاجتهاد فى نفس الأحكام التى اجتهد فيها ومخالفته! (٢).

ونعم أقول : إن بعض اجتهاداته ﷺ لم تصادف الصواب؛ ولكن أين حكم الله تعالى فى الأمر الذى اجتهد فيه ﷺ ولم يصب!؟ إن ما يصدر عن النبي ﷺ من اجتهاد - على ما تقرر سابقاً فى أكثر من موضع، إما أن يوافق حكم الله أولاً.

فإن وافق حكم الله على لسان نبيه ﷺ، فهو كما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وإن لم يوافق حكم الله عدله إلى حكمه جلا جلاله. وإذن تصبح الأحكام الدينية التى حكم بها رسول الله ﷺ اجتهاداً أحكام الله فى النهاية، وقبل لقائه الرفيق الأعلى، وتصير تلك الأحكام حجة إجماعاً بلا شك (٣) ويشهد لصحة ما سبق إجماع الأمة على عصمته ﷺ فى اجتهاده، فإلى بيان ذلك.

ثالثاً : إجماع الأمة على عصمة رسول الله ﷺ فى اجتهاده :

لقد كان معلوما لدى صحابة رسول الله ﷺ أن الوحي قريب جداً من رسول الله ﷺ، ومنهم، وأنه لن يترك أمراً مخالفاً يمر، فما قاله عليه الصلاة والسلام باجتهاده دون وحي، فإنما هو من الإسلام وإلا جاء الوحي. يشهد لذلك ما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال :

(١) فتح البارى ١٧٥/٦ رقم ٣٠١٦ .

(٢) سيأتى ذكرهم والرد عليهم بالتفصيل فى الفصل الثانى ص ٤١٢ - ٤٣١ .

(٣) حكى الإجماع الإمام الغزالى فى المستصفى ٣٥٥/٢، ٣٥٦. وينظر : مصادر الشريعة الإسلامية للمستشار الدكتور على جريشة ص ٣٨، ٣٩، والفقه الإسلامى مرونته وتطوره للإمام الأكبر جاد الحق ص ٢٦ - ٣١ والإحكام للأمدى ١٨٧/٤ - ١٨٩ .

"كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل" قال سفيان - أحد رجال إسناده هذا الحديث -
موضحاً كلام جابر : لو كان شيئاً ينهى عنه لنهانا عنه القرآن^(١).

قال فضيلة الدكتور عبد المهدي عبد القادر : "ويظهر لى من كلام جابر هذا أن جابراً
استدل على شرعية العزل بتقرير الله سبحانه وتعالى^(٢) وعليه فجابري يرى أن الوحي لا يقتصر
على مراقبة رسول الله ﷺ، وإنما يراقب الأمة كلها، فأبما فعل فعلوه مخالفاً للإسلام نبه الوحي
عليه، وأبما فعل فعلوه زمن الوحي وأقرهم عليه الوحي فهو من الإسلام"^(٣) وهذا هو الذي يفيد
أيضاً ما رواه ابن سعد في الطبقات عن الواقدي عن شيوخه قال : قد قتل مجنر بن نباد، سويد
بن الصامت، في وقعة التقياء فيها في الجاهلية. فظفر المجنر بسويد فقتله، وذلك قبل الإسلام. فلما
قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم الحارث بن سويد^(٤) ومجنر بن زياد^(٥) وشهدا بدرأ. فجعل
الحارث يطلب مجنراً ليقتله بأبيه، فلا يقدر عليه.

فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة، أتاه الحارث من خلفه، فضرب عنقه. فلما
رجع رسول الله ﷺ من حمراء الأسد، أتاه جبريل، فأخبره أن الحارث بن سويد قتل مجنر بن
زياد غيلة، وأمره أن يقتله... الحديث^(٦).

قال ابن الأثير : اتفق أهل النقل على أن الحارث بن سويد هو الذي قتل المجنر بن زياد.
فقتله النبي ﷺ^(٧).

وهذا الاتفاق الذي نقله ابن الأثير، يقتضى الحكم بصحة الحديث وإن لم يكن إسناده على
شرط الصحة، كما نقرر في علم الحديث^(٨) وهو ما ذكره السيوطي في حكمه على هذا الحديث في
كتابه الباهر في حكم النبي ﷺ بالباطن والظاهر^(٩).

- (١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب النكاح، باب حكم العزل ٢٦٦/٥ رقم ١٤٤٠، والبخاري
(بشرح فتح الباري) كتاب النكاح، باب العزل ٢١٥/٩ أرقام ٥٣٠٧ - ٥٢٠٩ .
- (٢) وإن كان ابن دقيق العيد استغربه فقال : استدلال جابر بالتقرير من الله غريب. فتح البلى ٢١٦/٩
أرقام ٥٢٠٧ - ٥٢٠٩ .
- (٣) المدخل إلى السنة النبوية ص ٧٢ .
- (٤) له ترجمة في : أسد الغابة ٦١٣/١ رقم ٨٩٩، والإصابة ٢٨٠/١ رقم ١٤٢٣ .
- (٥) له ترجمة في : تجريد أسماء الصحابة ٥١/٢، وأسد الغابة ٥٩/٥ رقم ٤٦٧٧، والاستيعاب ١٤٥٩/٤
رقم ٢٥٢٠، وتاريخ الصحابة ص ٢٣٨ رقم ١٣٠٥ .
- (٦) الطبقات الكبرى ٥٥٢/٣ .
- (٧) أسد الغابة ٦١٣/١ ترجمة الحارث بن سويد رقم ٨٩٩ .
- (٨) ينظر : تدريب الراوي ٦٧/١، وأعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ٢٠٢/١، والاستذكار لابن عبد
البر ٩٨/٢ نص رقم ١٥٦٩ .
- (٩) ص ٥٨ .

هذا ودلالة الحديث على مراقبة الوحي للأمة واضحة بإخبار جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ بأن الحارث قتل مجذر غيلة، وأمره أن يقتله وهذه المراقبة للأمة كانوا على يقين بها، وهذا هو الذى يفيد حديث ابن عمر رضى الله عنه قال : "كنا نتقى الكلام والانتبساط إلى نساءنا على عهد النبي ﷺ هيبة أن ينزل فينا شيء، فلما توفي النبي ﷺ تكلمنا وانتبسطنا" (١) ومنه حديث عمر حينما سأل رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلم يجبه. فقال - أى عمر - نكلتك أمك يا عمر، ثم قال : وخشيت أن ينزل فى قرآن" (٢).

ومن حديث سلمة بن صخر البياضى (٣) إذ أتى زوجته فى رمضان فقال لقومه : امشوا معى إلى رسول الله ﷺ، فقالوا : لا والله لا نمشى معك، ما نأمن أن ينزل فيك القرآن، أو أن يكون فيك من رسول الله ﷺ مقالة يلزمنا عارها ... الحديث (٤).

ومن إنكار الوحي عليهم حديث زيد بن خالد الجهنى (٥) قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية فى إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى، كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنسوء كذا وكذا فذلك كافر بى، مؤمن بالكواكب" (٦).

وهكذا يتضح أن الوحي كان يراقب تصرفاته ﷺ، ويراقب الأمة أيضاً. وفى كل ذلك دلالة على عصمته ﷺ فى اجتهاده. وعلى ذلك اتفاق السلف وإجماعهم عليه؛ وذلك أننا نعلم من دين الصحابة وعاداتهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله، والثقة بجميع أخباره فى أى باب

-
- (١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب النكاح، باب الوصاية بالنساء ١٦١/٩ رقم ٥١٨٧ .
 - (٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى، باب غزوة الحديبية ٥١٨/٧ رقم ٤١٧٧ .
 - (٣) صحابى جليل له ترجمة فى : تجريد أسماء الصحابة ٢٣٢/١، وأسد الغابة ٥٢٥/٢ رقم ٢١٧٦، والاستيعاب ٦٤١/٢ رقم ١٠٢٣، وتاريخ الصحابة ص ١١٩ رقم ٥٥٤ .
 - (٤) أخرجه الدارمى فى سنته كتاب الطلاق، باب الظهار ٢١٧/٢ رقم ٢٢٧٣، وأبو داود فى سنته كتاب الطلاق، باب الظهار ٢٦٥/٢ رقم ٢٢١٣، والترمذى فى سنته كتاب الطلاق، باب ما جاء فى كفارة الظهار ٥٠٣/٣ رقم ١٢٠٠ وقال حديث حسن، وأخرجه ابن ماجه فى سنته كتاب الطلاق، باب الظهار ٦٤٧/١ رقم ٢٠٦٢ .
 - (٥) صحابى جليل له ترجمة فى : الاستيعاب ٥٤٩/٢ رقم ٨٤٥، وأسد الغابة ٣٥٥/٢ رقم ١٨٣٢، ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٣ رقم ٥٤، والإصابة ٥٦٥/١ رقم ٢٨٩٥ .
 - (٦) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب كفر من قال مطرنا بالنسوء ٣٣٦/١ رقم ١٢٥ والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ٣٣٨/٢ رقم ٨٤٦ .

كانت، وعن أى شئ وقعت، وأنه لم يكن لهم توقف، ولا تردد فى شئ منها، ولا استثنائات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا، وهل وقع عن وحى أو اجتهاد، وأيضاً فإن أخباره وأثره وسيره وشماله ﷺ معتنى بها مستقصى تفاصيلها، ولم يرو فى شئ منها استدراكه ﷺ لغلط فى قول قاله، أو اعترافه بوهم فى شئ أخبر به، ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته ﷺ عما أشار به على الأنصار فى تلقيح النخل^(١) وكان ذلك رأياً لا خيراً يعنى : فلا يدخله الصدق والكذب^(٢).

قلت : وهذا الذى أدين الله تعالى به فى أخبار النبى ﷺ، فقد كانت أقواله ﷺ وأفعاله كلها تشريعاً تقتضى المتابعة والافتداء سواء كانت بوحى أو اجتهاد لعصمة رب العزة له فى أحواله ﷺ كلها.

أما زعم أعداء السنة المطهرة بأن اجتهاد رسول الله ﷺ يؤيد أن السنة المطهرة ليست كلها وحى، وذهاب بعض المسلمين إلى تقسيم السنة إلى قسمين سنة تشريعية ملزمة عامة ودائمة، وسنة غير تشريعية ولا ملزمة واستدلّاهم على ذلك باجتهاد رسول الله ﷺ عموماً، وحديث تأبير النخل خصوصاً. فذلك منهم طعن فى عصمته ﷺ فى اجتهاده.

فإلى تفصيل شبهتهم فى ذلك والرد عليها...

(١) سيأتى بعد قليل ذكره كاملاً وتوجيهه بما لا يتعارض مع عصمته ﷺ فى اجتهاده.
(٢) ينظر : الشفا ١٣٥/٢، ١٣٦ بتصرف، والمنهاج شرح مسلم ٧٣/٣ رقم ٥٧٤، والمدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى ص ٧٣، ٧٤ .

الفصل الثاني

شبهة أن اجتهاد رسول الله ﷺ يؤيد أن السنة المطهرة ليست كلها وحى والرد عليها

سبق أن تقرر لك أن اجتهاد رسول الله ﷺ في الشريعة الإسلامية لا يخل بعصمته في أقواله وأفعاله وتقريراته، لأن وحى الله تعالى يراقبه؛ فإن أصاب في اجتهاده لم يأت تنبيه، فعدل على إقرار رب العزة له، وإن خالف اجتهاد الأولي نزل وحى الله تعالى بالتنبيه والتصويب لما هو أولى، وفي الإقرار والتنبيه؛ يصبح اجتهاد ﷺ، وحى وحكم الله النهائي، حجة على العباد واجب الاتباع ويحرم مخالفته بالآيات والأحاديث السابقة الدالة على عصمته ﷺ في اجتهاده وبإجماع الأمة. إلا أن بعض دعاة الفتنة وأدعياء العلم زعموا أن اجتهاد رسول الله ﷺ ليس من الوحي الإلهي. ويستدلون على ذلك بحديث المعصوم ﷺ، الوارد في قصة تأبير النخل بمختلف رواياته عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال : مررت مع رسول الله ﷺ يقوم على رؤوس النخل. فقال : ما صنع هؤلاء؟ فقالوا : يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله ﷺ "ما أظن يغني ذلك شئ" قال فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر ﷺ بذلك فقال : إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فبأى إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً، فخذوا به، فبأى لن أكذب على الله عز وجل".

وفي حديث رافع بن خديج رضى الله عنه^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : إنما أنا بشو إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به. وإذا أمرتكم بشئ من رأى فإنما أنا بشر" قال عكرمة : أو نحو هذا.

وفي حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "أنتم أعلم بأمر دنياكم"^(٢) وهذا الحديث من زمن طويل كان المشجب الذى يعلق عليه من شاء، ما شاء من أمور الشرع التى يراد التحلل منها، فقد أراد بعضهم أن يحذف النظام السياسى كله من الإسلام بهذا

(١) صحابى جليل له ترجمة في : مشاهير علماء الأمصار ص ١٨ رقم ٢٩، والاستيعاب ٤٨٩/٢ رقم

٧٢٦، وأسد الغابة ٢/٢٣٢ رقم ١٥٨٠، والإصابة ١/٤٩٥ رقم ٢٥٢٦ .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ

من معاش الدنيا على سبيل رأى ١٢٨، ١٢٧/٨، أرقام ٢٣٦١ - ٢٣٦٣ .

الحديث وحده، لأن أمر السياسة أصولاً وفروعاً من أمر ديننا، فنحن أعلم به، فليس من شأن
الروحى أن يكون له فيها تشريع أو توجيه، فالإسلام عند هؤلاء دين بلا دولة، وعقيدة بلا شريعة؛
وأراد آخرون أن يحذفوا النظام الاقتصادى كله من الإسلام كذلك، بسبب هذا الحديث الواحد.

المهم : أن بعض الناس أراد أن يهدم بهذا الحديث الفرد كل ما حوت دواوين السنة
الزاهرة، من أحاديث البيوع، والمعاملات، والعلاقات الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية.

وكان الرسول ﷺ قال هذا الحديث لينسخ به جميع أقواله وأعماله وتقريراته التى تكون
السنة النبوية.

وهذا الغلو من بعض الناس، هو الذى جعل عالماً كبيراً مثل المحدث الجليل الشيخ أحمد
محمد شاكر - رحمه الله - يعلق على هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد فيقول : "هذا الحديث مما
طنطن به ملحدوا مصر، وصنائع أوروبا فيها، من عبید المستشرقين، وتلامذة المبشرين، فجعلوه
أصلاً يطعنون به فى عصمة رسول الله ﷺ فى اجتهاده، وأخذوا يحجون به أهل السنة
وأنصارها، وخدام الشريعة وجماتها، إذا أرادوا أن ينفوا شيئاً من السنة، وأن ينكروا شريعة من
شرائع الإسلام، فى المعاملات، وشئون الاجتماع وغيرها، يزعمون أن هذه من شئون الدنيا،
ويتمسكون برواية أنس : "أنتم أعلم بأمر دنياكم"^(١) والله يعلم أنهم لا يؤمنون بأصل الدين، ولا
بالألوهية، ولا بالرسالة، ولا يصدقون القرآن فى قرارة نفوسهم. ومن آمن منهم فإنما يؤمن لسانه
ظاهراً، ويؤمن قلبه فيما يخيل إليه، لا عن ثقة وطمأنينة، ولكن تقليداً وخشية، فإذا ما جد الجد،
وتعارضت الشريعة، الكتاب والسنة، مع ما درسوا فى مصر أو فى أوروبا، لم يترددوا فى

(١) بل وينكرون أركان الإسلام، انظر إلى ما يزعمه جمال البنا فى كتابه السنة ودورها فى الفقه الجديد
ص ١٩٣ قائلاً : بيان النبی فى العبادات من صلاة أو زكاة أو صيام أو حج أو شوری ... الخ، ليس
تشريعاً دائماً لازماً أهم. ويرجع من نفس المصدر ص ١٧٠، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٢٥ وينظر له أيضاً :
الأصلان العظيمان ص ٢٣٨، وينظر : الإسلام هو القرآن وحده مقال لتوفيق صدقى فى مجلة المنار
المجلد ٩/ ٩١٠، ٩١١، وأضواء على السنة ص ٤٢، ٤٤، ٩٣، وقصة الحديث المحمدي ص ١٤ -
١٧ كلاهما لمحمود أبو ربه، والإمام الشافعى ص ٤٦، ٨٤، ونقد الخطاب الدينى ص ١٢٦ كلاهما
لنصر أبو زيد، ودراسة الكتب المقدسة لموريس بوكای ص ٢٩٣، ٢٩٩، والكتاب والقرآن قراءة
معاصرة لمحمد شحرور ص ٥٥٣، وينظر له أيضاً الدولة والمجتمع ص ١٥٥، والسلطة فى الإسلام لعبد
الجواد ياسين ص ٢٤٨ .

المفاضلة، ولم يحجموا عن الاختيار، وفضلوا ما أخذوه عن سادتهم، واختاروا ما أشربت قلوبهم، ثم ينسبون نفوسهم بعد ذلك أو ينسبهم الناس إلى الإسلام.

والحديث واضح صريح، لا يعارض نصاً، ولا يعارض عصمته ﷺ في اجتهاده، ولا يدل على عدم الاحتجاج بالسنة في كل شأن، كما لا يدل على ما يزعمون أن السنة النبوية ليست كلها وحى.

وإنما الحديث في قصة تلقيح النخل أن قال لهم : "ما أظن ذلك يغنى شيئاً، فهو لم يأمر ولم ينه، ولم يخبر عن الله، ولم يس في ذلك سنة حتى يتوسع في هذا المعنى إلى ما يهدم به أصل التشريع" (١) أهـ.

ومن اجتهاد النبي ﷺ، وقوله : "أنتم أعلم بأمر دنياكم" ذهب بعض علماء المسلمين الأجلاء إلى عدم عصمة رسول الله ﷺ في اجتهاده؛ حيث ذهبوا إلى تقسيم السنة النبوية إلى قسمين :

أ- سنة تشريعية ملزمة ودائمة.

ب- وسنة غير تشريعية غير ملزمة ولا دائمة.

وقصدوا بغير التشريع ثلاثة أنواع :

١- ما سبيله سبيل الحاجة البشرية، كالأكل والشرب والنوم والمشي والتزاور... الخ.

٢- ما سبيله سبيل التجاوب والعادة الشخصية أو الاجتماعية، كالذي ورد في شئون الزراعة والطب، وطول اللباس وقصره.

٣- ما سبيله سبيل التدبير الإنساني كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية ونحو ذلك.

فهذه الأنواع الثلاثة ليس شرعاً يتعلق به طلب الفعل أو الترك، وإنما هو من الشئون

البشرية التي ليس مسلك الرسول ﷺ فيها تشريعاً ولا مصدر تشريع (٢).

وبهذا التقسيم قال غير واحد من علماء المسلمين (٣) وبالعالم بعضهم حتى كاد يخرج قضايا

المعاملات، والأحوال المدنية كلها من دائرة السنة التشريعية. حيث كان يرى أن كثيراً من أوامر

(١) مسند الإمام أحمد ١٧٧/٢ رقم ١٩٣٥ هامش بتصرف.

(٢) ينظر : الإسلام عقيدة وشريعة للإمام الأكرم محمود شلتوت ص ٤٩٩، ٥٠٠.

(٣) كالأستاذ محمد رشيد رضا في مجلة المنار المجلد ٨٥٨/٩، والدكتور عبد المنعم النمر في كتبه : السنة والتشريع، والاجتهاد، وعلم أصول الفقه، والشيخ عبد الجليل عيسى في كتابه : اجتهاد الرسول، والشيخ على حسب الله في كتابه التشريع، والشيخ محمد الغزالي في كتابه كيف نفهم الإسلام نقله=

الرسول ونواهيهِ في المعاملات كان أساسها الاجتهاد لا الوحي^(١) حتى انتهى به هذا الاتجاه إلى أن حرم برأيه ما أحلته السنة النبوية؛ وما أجمع المسلمون - من جميع المذاهب والمدارس الفقهية - على حله. وذلك هو (بيع السلم) الذي رخص فيه النبي ﷺ لحاجة الناس إليه، بعد أن وضع له الضوابط اللازمة لمنع الغرر والنزاع ويسميه بعضهم (السلف) أيضاً وبه جاء الحديث، ومضى عليه عمل الأمة أكثر من خمسة عشر قرناً.

فمن الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم النبي ﷺ المدينة، وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين، فقال : "من أسلف في تمر، فليسلف في كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم"^(٢) بل قال ابن عباس : أشهد أن السلف المضمون إلى أجله قد أحله الله في كتابه، وأذن فيه، ثم قرأ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾^(٣) وكلمة "أشهد" بمثابة القسم، فهذا رأى ترجمان القرآن.

ولكن الدكتور عبد المنعم النمر قال عن السلم : "وهو بيع معدوم موصوف في الزمة، ويسير عليه كثير من الناس في الأرياف، مستغلين حاجات الزراع استغلالاً سيئاً، مما يجعلنا نميل إلى تحريمه. من أجل هذا الاستغلال الكريه المحرم في الإسلام"^(٤).

عن الشيخ محمد المدني، والدكتور محمد سليم العوا في العدد الافتتاحي من مجلة المسلم المعاصر، والدكتور يوسف القرضاوى في كتابه السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ص ٤١، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، وغيرهم ممن ذكرهم الأستاذ يوسف كمال في كتابه المصريون معتزلة اليوم ص ٥٣ - ٧٢ .

(١) ينظر : السنة والتشريع ص ٢٥، ٢٦، وعلم أصول الفقه ص ٢٤ كلاهما للدكتور النمر. قال الدكتور القرضاوى : "وما ذهب إليه أى الدكتور النمر، لا يفيدُهُ في دعواه، لأن الاجتهاد إذا أقر كان بمقتضى الوحي لأنه لا يقر على خطأ، كما هو مقرر في علم الأصول، ولهذا يسميه علماء الحنفية (الوحي الباطن) أه السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ص ١٧ هامش. قلت : ولا أدري لماذا بعد ذلك يؤيد الدكتور القرضاوى أنصار مدرسة تقسيم السنة إلى تشريع، وغير تشريع؟! أليس كل ما يقال فيه أنه سنة غير تشريعية؛ ينطبق عليه ما قاله هنا من إقرار رب العزة لاجتهاد نبيه ﷺ فيصير وحياً، حتى ولو كانت درجته الإباحة، كما سيأتى تفصيله بعد قليل!؟

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب المساقاة، باب السلم ٤٦/٦ رقم ١٦٠٤، والبخارى (بشرح فتح الباري) كتاب السلم، باب السلم في وزن معلوم ٥٠١/٤ رقم ٢٢٤٠. وينظر : نيل الأوطار ٢٢٦/٥ .

(٣) الآية ٢٨٢ البقرة والأثر أخرجه الشافعي في مسنده ص ٢٥٥ رقم ٦٥٩، والبيهقي في سننه كتاب البيوع، باب جواز الرهن ١٩/٦، ورجال الشافعي كلهم ثقات إلا أبى حسان الأعرج صدوق كما قال الحافظ في تقريب التهذيب ٣٨٣/٢ رقم ٨٠٧٩ فالإسناد حسن.

(٤) السنة والتشريع ص ٤٢، ٤٣ وينظر له أيضاً علم أصول الفقه ص ٢٨ .

يقول الدكتور القرضاوى : "وكان أولى بالشيخ هنا أن يقتصر على تحريم الظلم والاستغلال، ولا يتعدى ذلك إلى تحريم التعامل الثابت بالسنة والإجماع"^(١).
والجواب :

أقول كما قال فضيلة الدكتور موسى شاهين : "غفر الله للقائلين بأن السنة تشريع وغير تشريع، وللقائلين بالمصلحة. غفر الله لهم وسامحهم، لقد فتح هؤلاء وهؤلاء باباً لم يخطر لهم على بال".

القائلون بأن السنة تشريع وغير تشريع؛ قصدوا بغير التشريع ما ورد منها خاصاً بالصناعات، والخبرات كالزراعة والطب، ولم يخطر ببالهم أن من سيأتى بعدهم سيستدل بنقسيهم ليدخل المعاملات، وأحاديث البيع، والشراء، والإجارة، ويدخل ما قاله النبي ﷺ من أحاديث فى العادات، وشئون الاقتصاد، والسياسة، والإدارة والحرب، وغير ذلك فى السنة غير التشريعية، وهم من هذا القول براءء!

أما ما جعلوه مما سبيله الحاجة البشرية، كالأكل والشرب والنوم... الخ من السنة غير التشريعية، فهذا الكلام على عموم مرفوض، وفى حاجة إلى تحقيق فهل بيان المأكول والمشروب المحرم، والمكروه، والمباح، من السنة غير التشريعية؟

هل حديث : "أحلت لكم ميتتان ودمان : فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال"^(٢)، وحديث: "أكل الضب على مائدة رسول الله ﷺ سنة غير تشريعية؟ اللهم لا.

(١) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ص ١٨، وينظر : السنة والتشريع لفضيلة الدكتور موسى شاهين ص ٢٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال ٢/٢٩٥ رقم ٣٣١٤ والدارقطنى فى سننه كتاب الأشربة، باب الصيد والذبائح ٤/٢٧١ رقم ٢٥ من حديث ابن عمر، وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال فيه ابن الجوزى : أجمعوا على ضعفه، وقال البوصيرى : لكنه لم ينفرد به عبد الرحمن بن زيد عن أبيه، فقد تابعه عليه سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم عن ابن عمر. قال البيهقى : إسناده الموقوف صحيح وهو فى معنى المسند أهد. ينظر : مصباح الزجاجة ٣/٨٥، قال الشوكانى فى نيل الأوطار ٨/١٤٧ وكذا صحح الموقوف أبو زهرة، وأبو حاتم، وهو فى حكم المرفوع فيحصل الاستدلال بهذه الرواية أهد بتصرف. وينظر : فتح البارى ٩/٥٨٠ - ٥٨٥ رقمى ٥٥٣٦/٥٥٣٧، وتعليق المغنى على الدارقطنى ٤/٢٧١، ٢٧٢.

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الضب ٧/١٠٩ رقم ١٩٤٤ من حديث ابن عمر رضى الله عنه وفى نفس المصدر أرقام ١٩٤٥ - ١٩٥١ من حديث ابن عباس وغيره.

إن رسول الله ﷺ بمقتضى عصمته، أحل لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث، فالمأكل والمشروب سنة تشريعية من حيث الحل والحرم، أما أنه أكل نوعاً من الحلال، وترك غيره يأكل نوعاً آخر، فالتشريع فيها الإبادة، إباحة ما أكل وما لم يأكل مما له ينة عنه.

وأما الأواني : فقد نهى ﷺ عن الأكل والشرب في صحائف الذهب والفضة^(١) وهذا تشريع قطعاً. أما أنه ﷺ أكل في قصعة من الفخار، ونحن نأكل في الأواني الفاخرة غير الذهبية والفضية، فهذا من المباحات والإباحة تشريع^(٢).

وأما الهيئة : فهناك هيئات مأمور بها، وهيئات منهي عنها، وهيئات أخرى كثيرة مباحة، والكل تشريع.

فقوله ﷺ : "يا غلام سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك"^(٣) هيئة أكل مشروعة^(٤). ونهى رسول الله ﷺ أن يتنفس في الإناء^(٥) هيئة ممنوعة شرعاً في نفس الإناء، ومستحبة خارج الإناء^(٦).

أما أنه ﷺ أكل بأصابعه ويده؛ ونحن نأكل بالملاعق والشوك، والسكاكين، فهو من المباحات المشروعة. فماذا في الأكل والشرب من السنة غير التشريعية؟؟؟

(١) فعن حذيفة مرفوعاً : "لا تلبسوا الحرير ولا الديباج. ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها. فإنها لهم في الدنيا" أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة ٢٨١/٧، ٢٨٢ رقم ٢٠٦٧، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأشربة، باب آنية الفضة ٩٨/١٠ رقم ٥٦٣٣.

(٢) سيأتى مزيد من بيان شرعية المباح ص ٤٢٠.

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ٤٣١/١٩ رقم ٥٣٧٦، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب ٢٠٩/٧ رقم ٢٠٢٢ من حديث عمر بن أبى سلمة رضى الله عنه.

(٤) ينظر : مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤١٨ هـ ص ٦٣٠ مقال "التيا من فطرة إلهية وأفضلية تاريخية".

(٥) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأشربة، باب النهي عن التنفس في الإناء ٩٥/١٠ رقم ٥٦٣٠، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب كراهية التنفس في نفس الإناء واستحباب التنفس ثلاثاً خارج الإناء ٢١٧/٧ رقم ٢٦٧ من حديث أبى قتادة رضى الله عنه.

(٦) ينظر : فتح البارى، وشرح النووى في الأماكن السابقة نفسها.

إن قصدوا بالسنة غير التشريعية في ذلك السنة غير الملزمة، وهى المباحات كان الخلاف بيننا لفظياً. وإن قصدوا ما هو مطلوب على وجه الوجوب أو الندب، وما هو منهى عنه على وجه الحرمة أو الكراهة فهو غير مسلم.

ومثال ذلك يقال في الأفعال الجبلية التى وقعت منه ﷺ مما لا يخلو البشر عنه من حركة وسكون، على اختلاف أنواع الحركة المحتاج إليها بحكم العادة من قيام، وقعود، ونوم، وركوب، وسفر، وإقامة، وقيلولة تحت شجرة، أو فى بيت، وتناول مأكول ومشروب معلوم حله. ومن أمثلته : تتبعه ﷺ الأكل من جوانب الصحفة^(١)، وأكله القثاء بالرطب^(٢) وأنه ﷺ كان يحب الحلوى البارد^(٣) وكان يحب الحلوى والعسل^(٤) وسائر ما روى عنه فى هيئة لباسه، وطعامه، وشربه، ونومه، وكيفية مشيه، وجميع ما نقل عنه من شمائله ﷺ، مما لم يظهر فيه قصد القربة.

ومن ذلك ما كرهه عيافة لا شريعة، كتركه أكل الضب^(٥) بخلاف تركه أكل الثوم والبصل والكراث، فيستحب التزهر عنه ما أمكن^(٦).

(١) فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : رأيت النبى ﷺ يتبع الدباء من حوالى القصعة، قال : فلم أزل أحب الدباء من يومئذ" أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها كتاب البيوع، باب الخياط ٣٧٢/٤ رقم ٢٠٩٢، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب جواز أكل المرق ٢٤٢/٧ رقم ٢٠٤١.

(٢) فعن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم قال : رأيت النبى ﷺ يأكل الرطب بالقثاء" أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأطعمة، باب القثاء بالرطب ٤٧٥/٩ رقم ٥٤٤٠، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب أكل القثاء بالرطب ٢٤٥/٧ رقم ٢٠٤٣.

(٣) فعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلوى البارد" أخرجه الترمذى فى سنته كتاب الأشربة، باب ما جاء أى الشراب كان أحب إلى رسول الله ﷺ ٢٧٢/٤ رقم ١٨٩٥، وفى الشمائل، باب ما جاء فى صفة شراب رسول الله ﷺ ص ١٢٤ رقم ١٩٥، وأحمد فى المسند ٣٨/٦، ٤٠، والمحاكم فى المستدرک ١٥٣/٤ رقم ٧٢٠٠ وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

(٤) فعن عائشة رضى الله عنها قالت : "كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلوى" جزء من حديث طويل أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الطلاق، باب لم تحرم ما أحل الله لك ٢٨٧/٩ رقم ٥٢٦٨، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ٣٣١/٥ رقم ١٤٧٤.

(٥) فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال : "أتى النبى ﷺ بضب مشوى، فأهوى إليه ليأكل، فقيل له : إنه ضب، فأمسك يده. فقال خالد : أحرام. هو؟ قال : لا، ولكنه لا يكون بأرض قومي، فأجدي أعافه، فأكل خالد، ورسول الله ﷺ ينظر" أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها كتاب الأطعمة، باب الشواء ٤٥٣/٩ رقم ٥٤٠٠، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الصيد، باب إباحة الضب ١٠٩/٧ - ١١٢ أرقام : ١٩٤٥، ١٩٤٦، ١٩٤٨.

(٦) ونحو ذلك أيضاً المحرمات عليه ﷺ يستحب التزهر عنها أمكن نحو أكل الزكاة، وأكل ماله رائحة كريهة، والأكل متكأ.

ويلتحق بالجبلى : كل فعل فعله رسول الله ﷺ مما علمت إباحته شرعاً، إباحة مطلقة له ولأمته .

كما روى أنه ﷺ : أكل التمر^(١) وشرب للعسل^(٢) واللبن^(٣) وليس جبة شامية ضيقة الكمين^(٤) ودخل مكة وعليه عمامة سوداء^(٥) .

فهذا ونحوه لا دليل يدل على أنه يستحب للناس كافة أن يفعلوا مثله، بل إن فعلوا فلا بأس، وإن تركوا فلا بأس، ما لم يكن تركهم رغبة عما فعله ﷺ واستكفافاً، فمن رغب عن سنته وطريقته فليس منه .

والتحقيق : أنه من الخطأ أن نطلق هذا الإطلاق "السنة غير التشريعية" على ما سموه الحاجة البشرية أو الأفعال الجبلية، أو ما يصدر عنه ﷺ، بوصفه إماماً ورئيساً للدولة المسلمة، أو بوصفه قاضياً فكل هذه الأمور التي أطلقوا عليها، سنة غير تشريعية، منها الواجب شرعاً، ومنها المحرم شرعاً، ومنها المكروه، ومنها المندوب، ومنها المباح، وحتى إذا أردنا كيفية هذه الأمور نجد منها الممنوع شرعاً، كما سبقت الإشارة إليه قريباً .

أما القائلون بالمصلحة كمصدر من مصادر التشريع فقد اشترطوا لها ألا تصادم نصاً من الكتاب أو السنة الصحيحة، فهم أخذوا بمراعاة المصالح فيما لم يرد فيه قرآن أو حديث صحيح، أما ما ورد فيه قرآن أو حديث صحيح فالمصلحة فيما جاء به النص^(٦) .

(١) فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : " رأيت النبي ﷺ مقعياً يأكل تمرًا " أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب استحباب تواضع الأكل ٢٤٦/٧ رقم ٢٠٤٤ .

(٢) تقدمت رواية عائشة رضى الله عنها أنه ﷺ كان يحب العسل والحلوى. وسبق تخريجها .

(٣) فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتى بلبن قد شيب بماء، وعن يمينه أعرابي، وعن يساره أبو بكر، فشرب. ثم أعطى الأعرابي، وقال : الأيمن فالأيمن " أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ٢١٨/٧ رقم ٢٠٢٩ والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأشربة، باب شرب اللبن بالماء ٧٧/١٠ رقم ٥٦١٢ .

(٤) فعن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فقال : يا مغيرة! خذ الإداوة فأخذتها ثم خرجت معه. فانطلق رسول الله ﷺ حتى توارى عني، ففضى حاجته، ثم جاء وعليه جبة شامية ضيقة الكمين... الحديث أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين ١٦٨/٢ رقم ٢٧٤، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الصلاة، باب الصلاة في الجبة الشامية ٥٦٤/١ رقم ٣٦٣ .

(٥) فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام " أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام ١٤٢/٥ رقم ١٣٥٨ .

(٦) وفي هذا رد مختصر على الدكتور النمر، حيث حرم "السلم" بحجة أنه يتعارض مع مصلحة الناس. يراجع نص كلامه السابقة ص ٤١٥. وينظر: السنة والتشريع للدكتور موسى شاهين ص ٢٢ - ٢٤ .

واعتقد كما قال الدكتور فتحى عبد الكريم. "أن القائلين بالسنة التشريعية، والسنة غير التشريعية قد فاتهم المعنى الدقيق للتشريع الإسلامى، حيث قصر بعضهم وصف التشريع على الواجب، والحرام، ونفاه عن المندوب والمكروه، والمباح، وأدخل بعضهم المندوب والمكروه فى التشريع، ونفاه عن المباح وحده"^(١).

وفى ذلك يقول العلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق - رحمه الله : "هذا وإخراج الأمور الطبيعية من السنة أمر عجيب، وأعجب منه : أن يدعى بعضهم ظهوره، مع إجماع الأمة المعترين على السكوت عنها، وعدم إخراجها. ولست أدرى : لم أخرجها هؤلاء؟! أخرجوها : لأنها لا يتعلق بها حكم شرعى؟".

وكيف يصح هذا مع أنها من الأفعال الاختيارية المكتسبة، وكل فعل اختياري من المكلف لابد أن يتعلق به حكم شرعى : من وجوب أو ندب أو إباحة أو كراهة أو حرمة.

وفعل النبى ﷺ الطبيعى مثل الفعل الطبيعى من غيره، فالأبد أن يكون قد تعلق به واحد من هذه الأحكام؟ وليس هذا الحكم الكراهة، ولا الحرمة، لعصمته ﷺ فى أحواله كلها، وليس الحكم الوجوب ولا الندب : لعدم القرية فيه.

فلم يبق إلا الإباحة وهى حكم شرعى؛ فقد دل الفعل الطبيعى منه ﷺ على حكم شرعى، وهو الإباحة فى حقه، بل وفى حقنا أيضاً ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾^(٢).

ولقد أجمع الأصوليون فى باب أفعاله ﷺ على أن أفعاله الطبيعية تدل على الإباحة فى حقه ﷺ، وفى حق أمته، وكل يحكى الاتفاق على ذلك عن الأئمة السابقين^(٣).

(١) السنة تشريع لازم ودائم ص ٤٤، وينظر : دراسات فى السنة للدكتور محمد المنسى ص ٢٢٨ .

(٢) الآية ٢١ الأحزاب .

(٣) ينظر : المحصول ٥٠١/١، والإحكام للآمدى ١٥٩/١، والموافقات للشاطى ٤٣٧/٤، والإجماع فى شرح المنهاج ٢٦٤/٢، والمعتمد فى أصول الفقه ٣٣٤/١، والبرهان للجوينى ١٨١/١، والبحر المحيט ١٧٦/٤، وفواتح الرحموت ١٨٠/٢، وإرشاد الفحول ١٦٥/١ .

أم أخرجوها : لأنهم ظنوا أن الإباحة ليست حكماً شرعياً؟ وهذا لا يصح أيضاً : فإن الأصوليين مجمعون على شرعيتها - أى الإباحة - اللهم إلا فريقاً من المعتزلة ذهب إلى عدم شرعيتها؛ فهما منهم : أن الإباحة انتفاء الحرج عن الفعل والترك^(١) وذلك ثابت قبل ورود الشرع، وهو مستمر بعده، فلا يكون حكماً شرعياً.

والجمهور ينكرون أن هذا المعنى ثابت قبل ورود الشرع، وأنه لا يسمى حكماً شرعياً. ولكنهم يقولون : ليس هذا هو معنى الإباحة الشرعية، إنما هى خطاب الشارع بالتخيير بين الفعل والترك من غير بدل. ولا شك أن هذا حكم شرعى؛ وأنه غير ثابت قبل ورود الشرع. ولو التفت هذا الفريق إلى هذا المعنى لم ينازع فيه؛ فليس هناك خلاف حقيقى بينهما.

فالإباحة حكم شرعى يحتاج إلى دليل؛ والفعل الطبيعى منه ﷺ يدل عليه. ونظرة واحدة فى باب أفعاله ﷺ فى أى كتاب من كتب أصول الفقه، ترشدك إلى الحق فى هذا الموضوع^(٢).

ويقول الإمام الشاطبى فى رده على من قال : "ترك المباح طاعة على كل حال". قال : "بل فعل المباح طاعة بإطلاق؛ لأن كل مباح ترك حرام. ألا ترى أنه ترك المحرمات كلها عند فعل المباح، فقد شغل النفس به عن جميعها. وهذا الثانى أولى؛ لأن الكلية هنا تصح، ولا يصح أن يقال كل مباح وسيلة إلى محرم أو منهى عنه بإطلاق، فظهر أن ما اعترض به لا يَنْهَضُ دليلاً على أن ترك المباح طاعة"^(٣).

قلت : ويشهد لهذا قول الإمام السرخسى فى أصوله : "ترك العمل بالحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ حرام، كما أن العمل بخلافه حرام"^(٤).

ومن هنا فكل ما ورد عن رسول الله ﷺ من أفعال لم تحصل منه على وجه القرب، يستحب الناسى به فيها رجاء بركته مثل : أكله، وشربه، ولبسه، ومعاشرته نسائه، وجميع أفعاله

(١) ينظر : التقرير والتحجير لابن أمير الحاج ١٤٤/٢ .

(٢) حجة السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص ٧٨ - ٨١، وينظر : الإحكام للأمدى ١١٤/١، والمحصول للرازى ٢٠/١، والبرهان للجوينى ١٠٦/١ - ١٠٨، وأصول السرخسى ١٤/١، والإمهاج فى شرح المنهاج ٦٠/١، والبحر المحیط ٢٤١/١، ٢٧٥، والمستصفى ٧٥/١، وإرشاد الفحول ١٨٦/١، وأصول الفقه لمحمد الخضرى ص ٦٠، والمحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول ﷺ لأبى شامة ص ٤٠ - ٢٠٨، وأفعال الرسول ﷺ للدكتور عمر سليمان الأشقر .

(٣) الموافقات ١٠٠/١ .

(٤) أصول السرخسى ٧/٢ .

المتعلقة بأمور الدنيا، يستحب التأسي به في جميع ذلك. لأن هذه الأفعال وإن لم تصدر من الرسول ﷺ قربة - إن صح التعبير - فهي في نفسها قربة؛ نرجوا بفعلها التقرب إلى الله تعالى لما انطوى عليه فعلنا لها عن محبته التي حملنا عليها بقوله ﷺ: "لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله، وماله، والناس أجمعين" (١).

قال أبو شامة (٢): "ولهذا اعتنى الرواة بنقل تفاصيل أحواله في ذلك كله، واقتدى أهل الدين والعلم من السلف، بسلوك طريقته في ذلك، وترك التكلف فيما ينوبهم من حاجاتهم، حتى أنه لو قيل لأحدهم لا تتركب الحمار، ولا تحلب الشاة، ولا تسلخها، ولا ترفع الثوب، ولا تخصف النعل، ولا تنهأ (٣) البعير، لقال: كيف لا أفعل ذلك وقد رأيت رسول الله ﷺ فعله، أو جاء عنه أنه فعله!! (٤) وقال أيضاً: "إن التأسي به ﷺ في فعله المباح هو أدنى الدرجات في استحباب المتابعة فيها، ولهذا أكثر المصنفين من الأصوليين لا يذكرون التأسي به فيها، وما ذكرناه أولى وأصح، وله سر. وهو: أن أصل الفعل وإن كان الإنسان مضطراً إليه، فمن حيث الحاجة لا يفعله تأسيًا بالنبي ﷺ، بل من حيث إيقاعه على هيئة مخصوصة نقلت عن النبي ﷺ، أو استعمال شيء مخصوص، مع أنه يمكنه استعمال غيره.

والفقهاء أرباب المذاهب يستحبون من هذا النوع أشياء، وهو ما إذا أراد الإنسان أن يفعل شيئاً، ذلك الشيء يقع على هيئات مختلفة وقد نقل عن الرسول ﷺ، أنه أوقعه على بعض تلك الهيئات، فأهل العلم يستحبون أن يوقع على تلك الهيئة، نحو استحبابهم ملوك طريق المأزمين (٥)

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ٢٩٠/١ رقم ٤٤٤، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ٧٥/١ رقم ١٥٠٠ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، الدمشقي، الشافعي، إمام، حافظ، فقيه، مقرئ، نحوي، مؤرخ. من مصنفاته: شرح القصيدة الشاطبية، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، والمحقق من علم الأصول، مات سنة ٦٦٥ هـ له ترجمة في: طبقات المفسرين للدوادري ٢٦٨/١ رقم ٢٥٤، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥١٠ رقم ١١٢٣، وطبقات القراء للذهبي ٥٣٧/٢، وبغية الرعاة للسيوطي ٧٧/٢.

(٣) هنا فلانا هنا: أعطاه طعاماً أو نحوه، وكل أمر أتى بلا تعب فهو هنيئ. ينظر: مختار الصحاح ص ٧٠٠، والقاموس المحيط ٣٤/١.

(٤) المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول ﷺ ص ٨٠.

(٥) يفتح الميم، وإسكان الهزمة، وكسر الزاي. تشية مأزم: موضع معروف بين عرفة والمشعر. وهو في الأصل: المضيق في الجبال حين يلتقي بعضها ببعض، ويتسع ما وراءه. معجم البلدان ٤٠/٥.

والمبيت بذى طوى^(١) ودخول مكة من الثنية العليا، والخروج من الثنية السفلى^(٢) ونزوله بالمحصب^(٣) وكهينة الأصابع فى التشهد^(٤).

وقالوا : يستحب أن لا ينقص فى الغسل من صاع، ولا فى الوضوء من مد، اقتداء برسول الله ﷺ^(٥) إلى أحكام كثيرة لا تحصى لمن يتبعها.

فمتابعته ﷺ فى تلك الأفعال التى يكاد يقطع فيها بخلوها من القرية، كهينة وضع أصابع اليد اليمنى فى التشهد، يستحب المحافظة عليها والأخذ بها ما أمكن، تدريباً للنفس على الجموح، وتمرينا لها على أخلاق صاحب الشرع، لتعتاد ذلك؛ فلا تخل بعده بشئ مما فيه قرينة وإن خفيت.

فإن النفس مهما سومت فى السير تشوقت إلى المسامحة فيما فوقه. فهذا ونحوه هو الذى يظهر لى أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان يلاحظه ويراقبه، فأخذ نفسه بالمحافظة على جميع آثاره ﷺ قال نافع^(٦) : لو رأيت ابن عمر يتبع آثار رسول الله ﷺ لقلت هذا مجنون^(٧).

(١) فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بات بذى طوى حتى أصبح ثم دخل مكة قال : وكان عبد الله يفعل ذلك " أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب استحباب المبيت بذى طوى ٨/٥ رقم ١٢٥٩، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحج، باب الإهلال مستقبل القبلة ٤٨٢/٣ رقم ١٥٥٣.

(٢) فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ دخل مكة من الثنية العليا بالبطحاء، ويخرج من الثنية السفلى " أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحج، باب من أين يخرج من مكة ٥١٠/٣ رقم ١٥٧٦، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا ٦/٥ رقم ١٢٥٧.

(٣) فعن أنس بن مالك رضى الله عنه "أن النبى ﷺ صلى الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، ثم رقد رقدة بالمحصب، ثم ركب إلى البيت فطاف به" أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحج، باب طواف الوداع ٦٨٤/٣ رقم ١٧٥٦.

(٤) فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : "كان النبى ﷺ إذا جلس فى الصلاة وضع كفه اليمنى على فخذه اليسرى" أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب المساجد، باب صفة الجلوس فى الصلاة ٨٦/٣ رقم ٥٨٠.

(٥) فعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد، ويتوضأ بالمد " أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد ٣٦٤/١ رقم ٢٠١، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء فى غسل الجنابة ٢٤٠/٢ رقم ٣٢٥.

(٦) هو : أبو عبد الله المدنى، مولى ابن عمر، ثقة، ثبت، فقيه، مشهور. مات سنة ١١٩ هـ له ترجمة فى: تقريب التهذيب ٢٣٩/٢ رقم ٧١١٢، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٠٤ رقم ٥٧٨، وتاريخ الثقات لابن شاهين ص ٣٢٢ رقم ١٤٠٣، وتاريخ الثقات للمعلى ص ٤٤٧ رقم ١٦٧٩.

(٧) أخرجه الحاكم فى المستدرک ٦٤٧/٣ رقم ٦٣٧٦ وسكت عنه، وحذفه الذهبى من التلخيص، وأخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٣١٠/١. وأخرج أبو نعيم أيضاً عن عاصم الأحوال عن حدثه قال : "كان ابن عمر إذا رآه أحد ظن أن به شيئاً من تتبعه آثار النبى ﷺ".

قلت : واستحباب التأسي بأفعال رسول الله ﷺ الجبلية هو المختار والراجح عندي .
ومستند هذا الاختيار علمنا بأن أصحاب رسول الله ﷺ لو اختلفوا في حكم أمر حرام أو
مباح، لفلت الناقل في موضع اختلافهم فعلا عن المصطفى ﷺ، فهموا منه أنه لا حرج على الأمة
في فعل مثله^(١) وجاحد هذا جاهل بمسالك المنقل على المعنى واللفظ^(٢) .

وجميع المذاهب المنقولة في هذه المسألة من الوجوب^(٣) والإباحة^(٤) ضعيفة، وأشدّها
ضعفا من ذهب إلى الحظر^(٥) والوقف^(٦) . ويؤيد هذا الضعف النص والإجماع .

أما النص : فقد سبق ذكر الأدلة القرآنية التي حثت على التأسي برسول الله ﷺ، واتباعه
في فعله على الوجه الذي كان عليه ﷺ، من أجل الهداية والفلاح في الدارين^(٧) .

أما الإجماع : فهو ما علمناه من سيرة الصحابة رضی الله عنهم في رجوعهم إلى أفعاله
ﷺ وتقريبهم وتأسيهم بها، والمحافظة عليها، وإن لم تلح فيها قرينة، ولم يكن لهم توقف ولا تردد
في شئ منها .

(١) يراجع : ص ٢٠ ما سبق من اختلافهم في جواز القبلة للصائم، وفي طلوع الصبح على الجنب وهو
صائم؛ ورجوعهم إلى فعل رسول الله ﷺ في ذلك .

(٢) ينظر : المحقق من علم الأصول ص ٧٠، ٨٧، والإحكام للآمدى ١/١٧١ .

(٣) ينظر : الإحكام للآمدى ١/١٦٠، والمستصفي للغزالي ٢/٢١٦، وسيأتي بطلان هذا القول بعد
قليل .

(٤) ينظر : المحصول للرازي ١/٥٠٣، والمحقق من علم الأصول ص ٤٩، وسيأتي بطلان هذا القول بعد
قليل .

(٥) القول بالحظر أو التحريم : مبني على أنه لا يشرع اتباعه ﷺ في فعله لأنه كالواقع منه من غير قصد
أو كالموجود منه اضطرارا، وهو قول ردئ سخيف كما قال أبو شامة لأنه مبني على تجويز المعصي
على الأنبياء - عصمهم الله من ذلك - كما أنه مبني على أن الأصل في الأشياء التحريم، والعكس
صحيح في أن الأصل في الأشياء الإباحة . وعلى أي الأصلين بني هذا القول فهو أشد الأقوال ضعفا
وأسخفها . ينظر : المحقق من علم الأصول ص ٤٩، ٧١، ٧٢ .

(٦) القول بالوقف : يقترب في شدة ضعفه من القول بالحظر، وذلك إن أراد الواقفية أن الفعل لا دلالة
له، فنقف إلى أن نظفر بدليل؛ فإنه إشارة منهم أيضا إلى تجويز المعاصي على الأنبياء، وإلا فأدنى
درجات هذا الفعل الواقع منهم أن يدل على كونه مباحا لهم، لا حرج عليهم فيه لإقدامهم عليه،
فيكون أيضا مباحا بالنسبة للأمة، وإن أراد الواقفية أو بعضهم بمصيره إلى التوقف في ذلك أن الأدلة
تفاوتت في نظره، فلم ترجح أدلة الوجوب على الندب وكذا بالعكس فهو قريب . ينظر : المصدر
السابق ص ٧٠ - ٧٣ .

(٧) يراجع : ص ١٥ - ١٧ .

فعن سهل بن الربيع بن الحنظلية رضى الله عنه^(١) قال : قال لنا رسول الله ﷺ نعم الرجل خريم الأسدي^(٢) لولا طول جمته^(٣) وإسبال إزاره^(٤) فبلغ ذلك خريماً، فعجل فأخذ شفرة فقطع بها جمته إلى أذنيه، ورفع إزاره إلى أنصاف ساقيه^(٥).

فتأمل كيف أسرع خريم فامتثل قول رسول الله ﷺ. ولم يقل : وماذا فى طول الشعر؟ ولم يقل : ماذا فى طول الإزار؟ لم يقل : سنة عادة أو سنة عبادة شأن الذين قى قلوبهم مرض، إنما عجل سريعاً فقصر شعره، ورفع إزاره^(٦).

فبطل بذلك قول الحظر والوقف، وثبت أنهم فهموا؛ أنهم شرع لهم مثل ذلك القول والفعل قربة، فبطل قول الإباحة، وترجح النذب. وببطل قول الوجوب ما سبق فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه من خلق الصحابة رضى الله عنهم نعالهم لما رأوا رسول الله ﷺ خلع نعليه^(٧) فكان من كمال تأسيهم برسول الله أنهم فهموا من خلعه نعليه القربة فبادروا إلى متابعتيه، أو لم يفهموا قربه، واتبعوه على جارى عادتهم فى اتباعه والتأسى به، مع أنهم لم يعلموا أن ذلك صدر منه وجوباً أو ندباً أو إباحة، وهو عين مسألة النزاع مع من يشترط فى شرعية التأسى به ﷺ معرفة صفة فعله؛ فبطل قول الوقف.

وأيضاً : لو كان الاقتداء به ﷺ فى فعله واجباً ما سألهم "ما حملكم إلقائكم نعالكم؟" لعلمه بأنه يجب عليهم متابعة فعله، فبطل قول الوجوب.

ثم إنه ﷺ لما سألهم لم فعلوا ذلك، ذكروا أن مستند فعلهم متابعتيه فى فعله، ولم ينكر عليهم الاستدلال به، فدل ذلك كله على ما سبق من ترجيح استحباب متابعتيه ﷺ فى فعله.

(١) صاحبى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص ٦٦ رقم ٣٤٢، وأسد الغابة ٥٧١/٢ رقم ٢٢٨٧، والاستيعاب ٦٦٢/٢ رقم ١٠٨٣، والإصابة ٨٦/٢ رقم ٣٥٣٨ .
(٢) صاحبى جليل له ترجمة فى : تاريخ الصحابة ص ٩١ رقم ٣٨٧، والاستيعاب ٤٤٦/٢ رقم ٦٤٣، وأسد الغابة ١٦٧/٢ رقم ١٤٤٠ .

(٣) هى : ما سقط على المنكين من شعر الرأس. القاموس المحيط ٩٠/٤، ومختار الصحاح ص ١١٢ .
(٤) هو : الملابس التى تستر النصف الأسفل من البدن. القاموس المحيط ٣٦٠/١، ومختار الصحاح ص ١٥، وإسبال الإزار : نزوله عن الكعبين، أى : العظمتين البارزتين فوق القدم .
(٥) جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود فى سننه كتاب اللباس، باب ما جاء فى إسبال الإزار ٥٧/٤ رقم ٤٠٨٩ .

(٦) ينظر : المدخل إلى السنة النبوية ص ٢٤٧ .

(٧) سبق ذكر الحديث بنصه وتخريجه ص ١٩ .

وإنه لدرس لأهل زماننا، ولمن بعدنا أن نتبع هديه ﷺ كما اتبعوا، وأن نسير على نهجه، كما أمرنا ربنا سبحانه وتعالى فقال : ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبَى الْأُمِّيَّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١) وصور اتباع السلف هديه ﷺ، وحرصهم على الاقتداء به كثيرة وكثيرة^(٢) ودلالاتها متعددة؛ فهم يؤمنون بعصمته في أحواله كلها، وهم يحبون هديه، ويحرصون على الاقتداء به كل الحرص، لا يفرقون بين الواجب والمندوب، ولا بين الفعل الشرعي والفعل الجبلي، وإنما يفعلون ما فعل، ويتركون ما ترك، يمتثلون أمره، وإن دلت القرائن على أقل من الواجب، ويجتنبون ما نهى عنه، وإن دلت القرائن على أنه دون الحرام.

إنهم يرون المعصوم ﷺ رسم خطأ، جاء به من عند الله، فالتزموه حباً وطاعة، ولم يؤولوا، ولم يسوفوا، ولم يهونوا، وإنما امتثلوا على خير وجه، فإنه الدين الذي أمرنا الله به، ورتب السعادة عليه، وأمرنا بالاستقامة التي لا تتفق مع أدنى ميل عنه فقال سبحانه : ﴿فَاسْتَقِمُّوا كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣).

وبعد : هذا المعصوم نبيكم ﷺ، وخيار أمتكم رضى الله عنهم، فكيف أنتم؟^(٤).

وإذا كان عمدة الأدلة عند من يذهبون إلى أن السنة المطهرة ليست كلها وحى، أو يذهبون إلى تقسيم السنة إلى سنة تشريعية، وسنة غير تشريعية، إذا كان عمدة أدلتهم جميعاً، اجتهاده ﷺ، وقوله ﷺ : "أنتم أعلم بأمر دنياكم" فلنحرر القول في المراد من قوله : "أنتم أعلم بأمر دنياكم" بعد أن سبق تحرير القول في اجتهاده ﷺ وعصمته فيه. فإلى نقض دليلهم في أن السنة المطهرة ليست كلها وحى.

نقض دليل أن السنة المطهرة ليست كلها وحى :

الدليل الأساسى الذى يستند إليه القائلون بأن السنة النبوية ليست كلها وحى؛ وبالتالى يقسمونها إلى سنة تشريعية، وغير تشريعية، هو حديث رسول الله ﷺ الوارد فى قصة تأبير النخل بمختلف رواياته ومنها قوله ﷺ : "أنتم أعلم بأمر دنياكم" ففى رأى أنصار تقسيم السنة إلى

(١) الآية ١٥٨ الأعراف.

(٢) سبق ذكر بعضها ص ١٩ - ٢١ .

(٣) الآية ١١٢ هود. وينظر : المدخل إلى السنة النبوية ص ٢٤٨، ٢٤٩ بتصرف يسير.

(٤) مقولة قالها الصحابي الجليل أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه، وأخرجها المروزى فى أول كتابه السنة.

سنة تشريعية وغير تشريعية أنه "لو لم يكن غير هذا الحديث الشريف فى تبیین أن سنته ﷺ ليست كلها شرعاً لازماً، وقانوناً دائماً لكفى. ففى نص عبارة الحديث، - بمختلف رواياته - تبين أن ما يلزم اتباعه من سنة رسول الله ﷺ إنما هو ما كان مستنداً إلى الوحي فحسب" (١).
وبالتأمل فى قول بعضهم السابق ترى التصريح بأنهم يعتبرون أن اجتهاده ﷺ ليس من الوحي!.

ولقد صرح بعضهم على ما سبق أن أفعاله الجبلية، وما سبيله الحاجة البشرية من الأكل والشرب والنوم والمشى... الخ وما صدر عنه فى المعاملات وشئون الاقتصاد والسياسة، والقضاء والإدارة والحرب... الخ من شئون الدنيا التى لا حى فيها (٢).

فهل يسندهم ذلك الحديث فى تلك الدعوى الخطيرة؟! أقول : الحديث لا يسندهم فى دعواهم ولا حجة لهم فيه؛ لأن قوله ﷺ : لما مر على قوم يلقحون النخل "ما أظن يغنى ذلك شيئاً" واضح منه أنه كان اجتهاداً منه ﷺ، ولم يرد بذلك صرفهم عما هم فيه؛ بدليل أنهم لما تركوا التأبير، ووصل الخبر إليه ﷺ بين لهم أنه ظن - أى اجتهد - وأنه ما يصح أن يصرفهم الظن - أى الاجتهاد - عن أمر يروونه صواباً. وتأمل قوله : "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن" فهم غلطوا فى ظنهم أنه نهاهم بوحى، كما غلط من غلط فى ظنه أن الخيط الأبيض والخيط الأسود هو الحبل الأبيض والأسود (٣).

ثم بين لهم رسول الله ﷺ، أنه إذا حدثهم بوحى عن الله تعالى فإنه لن يخطأ فى هذا الوحي.

وتأمل قوله : "إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإني لن أكذب على الله تعالى" فالكذب هنا بمعنى "الخطأ" (٤) أى : فلن أخطأ فيما أبلي من وحي الله تعالى؛ ولا يصح أن يكون المراد

(١) مجلة المسلم المعاصر العدد الافتتاحى ص ٣٣ مقال الدكتور محمد العوا (السنة التشريعية وغير التشريعية).

(٢) يراجع : ص ٤١٢ - ٤١٣ .

(٣) حينما نزل قوله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ جزء من الآية ١٨٧ البقرة، ظن ناس أن المراد أن يظل الصائم يأكل حتى يتبين له الحبل الأبيض من الحبل الأسود، وهذا غلط صححته الآية إذ نزل قوله تعالى "من الفجر" فعلموا أنه إنما يعنى الليل والنهار، وبين لهم ذلك رسول الله ﷺ كما فى صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الصوم، باب قوله (كلوا واشربوا... الآية) ١٥٧/٤ رقم ١٩١٧ .

(٤) بدليل ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من إطلاق هذه اللفظة "الكذب" فى حق بعض أصحابه، ولا يصح حملها على حقيقتها فى حقهم لعدالتهم، وإنما مراده بما "الخطأ" من ذلك قوله صلى الله عليه =

حقيقة الكذب، لأنه ﷺ معصوم منه، حتى ولو حدث عن غير الله تعالى! إذن فمراده ﷺ، أنه اجتهد، وفي اجتهاده أخطأ؛ بدليل ما جاء في رواية رافع بن خديج من قوله عليه الصلاة والسلام: "إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشئ من رأيي فإتما أنا بشر".

ولكن : هل هذا الاجتهاد فى قصة تأبير النخل معصوم فيه بوحى؟

أقول : نعم بدليل قوله بعد ذلك : "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه" وقوله : "أنتم أعلم بأمر دنياكم" حيث صار هذا القول منه اجتهاد بعد اجتهاد^(١) وأقره الوحي على اجتهاده الثانى^(٢) حيث لم يرد تنبيه أو تصويب ولا حتى عتاب، على هذا الاجتهاد فى القرآن الكريم ولا فى السنة المطهرة، وهو ما يعنى أن رب العزة أقره فى اجتهاده الثانى. أعنى : قوله ﷺ : "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه" وقوله : "أنتم أعلم بأمر دنياكم" وبهذا الإقرار صار اجتهاده هنا فى هذه المسألة وحى من الله تعالى، ولا يجوز مخالفته؛ وهو ما يقر به هنا الخصم حيث استدلل بهذا الاجتهاد الثانى على ما يزعم، مع اختلافنا معه فى دلالة الحديث على ما يستدل به.

فالخصم يستدل بقوله ﷺ "أنتم أعلم بأمر دنياكم" على أن ما جاءت به السنة من شئون الدنيا يجوز مخالفته، حيث كل أمة فى زمانها أعلم بهذه الشئون من السنة؟

كما استدلوا بقوله السابق، على أن ما يصدر عنه ﷺ بوصفه قاضياً، أو إماماً ورئيساً للدولة، سنة غير تشريعية ليست من الوحي؟ فهل هذه المعانى واردة ومرادة فيما استدلوا به؟

=وسلم : "كذب من قال ذلك" فى الرد على ظن أن عامر بن الأكوع قتل نفسه فى غزوة خيبر حيث أصابه سيفه، وهو ييارز "مرحبا" ملك اليهود. الحديث أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب الجهاد، باب غزوة خيبر ٤٠٤/٦ رقمى ١٨٠٢، ١٨٠٧ وقوله ﷺ : "كذب أبو السنايل - حبة بن بعكك - ليس كما قال، قد قال قد حلت فانكحى" وذلك فى الرد على أبي السنايل الذى قال لسبيعه بنت الحارث وقد وضعت حملها بعد وفاة زوجها بأيام : إنك لا تحلين حتى نمكئى أربعة أشهر وعشراً، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : كذب أبو السنايل، ليس كما قال" الحديث أخرجه سعيد بن منصور فى سننه كتاب الطلاق، باب عدة الحامل ٣٥٠/١ رقمى ١٥٠٦، ١٥٠٨، وعلى نحو هذا الاستعمال لكلمة الكذب جاء استعمال الصحابة لها.

(١) وقد تكرر هذا الاجتهاد منه، واستدراكه باجتهاد آخر على ما سبق فى أمره ﷺ بالتحريق بالنار ثم رجوعه عن ذلك يراجع : نص الحديث وتخرجه ص ٤٠٧ .

(٢) سيأتى بعد قليل محاولة لاتماس الحكمة فى عدم تدارك رب العزة لهذا الاجتهاد بالتصحيح فى أول مرة.

بالقطع لا. فهذه المعاني ونحوها مستبعدة ولا تصح؛ لأن ما أطلقوا عليه سنة غير
تشريعية منه الواجب والمحرم والمكروه والمندوب والمباح شرعاً على ما سبق تفصيله^(١).

كما أن ما أطلقوا عليه سنة غير تشريعية وضع له الإسلام قرآناً وسنة، أرقى أنواع
التشريع، لأن ما يصدر عن القاضى والحاكم ونحو ذلك مما يطلقون عليه سنة غير تشريعية، له
علاقة بالأفراد والجماعات وهذه العلاقة تحكمها دائماً قواعد وضوابط لتلاخيف بعض الأطراف
على بعض؛ فهل يعقل أن الله عز وجل يترك المعاملات من بيع وشراء، وتفصيل الربا، والرهن،
والشركة، وغيرها من المعاملات دون تشريع؟.

وهل يعقل أن يترك القاضى ورئيس الدولة ونحوهم دون تشريع ينظم علاقة كل منهما
بمن تحت سلطانهم وحكمهم؟!.

وبالجملة : هل يعقل أن يترك البشرية هملأً فى شئون دنياهم يأكل بعضهم مال بعض،
ويظلم بعضهم بعضاً تحت عنوان : "أنتم أعلم بشئون دنياكم"؟.

هل يعقل أن يترك الله تعالى رسالة الإسلام (قرآناً وسنة) بما فيها من عقيدة وشريعة،
ودين ودنيا، لرسول الله ﷺ دون رقابة أو تصحيح؟ فيخطئ، فتعمل الأمة مجتمعة بالخطأ أكثر
من خمسة عشر قرناً حتى ينبعث الله لها من يرعى مصالحها، أو يزعم أنه أعلم بمصالحها،
ويخالف حكم رسول الله ﷺ فيما جاء به من تشريعات فى شئون الدنيا؟ أظن أن العقل المسلم
السليم يستبعد ذلك كل الاستبعاد.

ومن هنا فلا يصح أن يكون المعنى فى قوله ﷺ : "أنتم أعلم بأمر دنياكم" أن كل فرد أو
أمة أعلم من غيرها بشئون ومصالح نفسها فى الأمور الدنيوية؛ لأن هذا المعنى وإن صح فى
المباحات، فلا يصح فى الواجبات والمحرمات، فالشرع وحده هو الذى حددها على أنها مصلحة
بناء على سبق علمه الذى خلق .

ثم إن هذا المعنى لا يتناسب مع القصة؛ فكما قلت : رسول الله ﷺ اجتهد فى عدم تأبير
النخل، وخالف اجتهاده الصواب، فجاء التصحيح لما اجتهد فيه بقوله : "أنتم أعلم بأمر دنياكم"
والمراد : أنتم أيها الذين تلقون النخل ومن على شاكلتكم من أهل الصناعات والمهارات

والخبرات أعلم بصنائعكم منى. وممن ليس من أهل الصناعات، والكلام على التوزيع، على معنى: أن كل أهل صنعة أعلم بها ممن ليسوا من أهلها، كما يقال : أهل مكة أدرى بشعابها .

ويصح أن يكون المعنى أيضاً : أنتم أيها الذين تلقحون النخل أعلم بما يصلح النخل منى وممن لا علم له بالزراعة، أى أنتم أعلم بشئون دنياكم هذه التى تباشرونها، والتى لم تتجح فيها مشاورتى الاجتهادية، أعلم منى ومن مثلى، فالحديث على هذا واقعة عين أو واقعة حال، لا يستدل بها على غيرها أصلاً.

وعلى كل حال لا يصح الاستدلال بالحديث على إباحة التغيير فى المعاملات^(١) أو غيرها من شئون الدنيا التى أطلقوا عليها سنة غير تشريعية. لأن الحديث - كما رأيت - تطرق إليه أكثر من احتمال فى معناه، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

بقى سؤال يطرح نفسه، وربما يثور فى نفوس البعض وهو : لماذا ألهم الله رسوله ﷺ، أن يشير عليهم بهذه الإشارة مع أنها لم تكن فى مصلحتهم؟ .

ولماذا جعلهم الله يستسلمون لمجرد الإشارة، وهم المعروفون بالمراجعة والنقاش وكثرة السؤال؟ .

ولماذا لم يتدارك الله هذا الاجتهاد بالنصح قبل أن تنتج شيصاً للمسلمين يسخر منه اليهود، وأعداء الإسلام حين يصح نخلمهم، ويسوء نخل المسلمين بسبب مشورة نبيهم ﷺ؟ .

الجواب : عن ذلك فى محاولة تلمس حكمة لهذه القصة، فإن حصلت بها قناعة واطمئنان فالحمد لله، وإلا فنحن مؤمنون أرسخ الإيمان بأن الله عز وجل فى ذلك حكمة، وهو الحكيم الخبير. ولعل الحكمة فى ذلك تدور حول ثلاث أمور :

أولاً : صرف بلاء الأعداء عن المؤمنين الذين لم تقو شوكتهم بعد : ألم يكن هذا من الجائز أن يطعم الكافرون فى المدينة وتمرها، فيهاجموها من أجل نزول رسول الله ﷺ فيها؟ فخرج التمر شيصاً جعلها غير مطعم، وصرف الله بذلك هجوم الكافرين حتى يستعد المؤمنون؟ احتمال .

(١) يقول فضيلة الدكتور موسى شاهين : "إدخال المعاملات الممنوعة شرعاً تحت هذا الحديث هو الذى لم نسمع به من قبل، ولم يسبق به الدكتور عبد المنعم التمر على مدى علمى، وأرجو ألا يتبعه فى ذلك أحد" أه ينظر: السنة والتشريع ص ٣٤ .

ثانياً : تعليمهم الأخذ بأسباب الحياة بهذا الدرس العلى الذى كان قاسياً عليهم فتنافسوا بعده فى أسباب الحياة .

ثالثاً : اختبارهم فى صدق إيمانهم، فهذه القصة حتى اليوم فى هذا البحث ابتلاء واختبار، وقد نجح الصحابة رضى الله عنهم فى هذا الاختبار القاسى، وهم فى أول الإيمان، نجاحاً باهراً، فقد استمروا فى طاعة أوامره ﷺ، ولم يرد إلينا ردة أحد بسببها، بل لم يرد عتاب أحد منهم لرسول الله ﷺ عليها رغم خسارتها، مما يشهد لهم بالإيمان الصادق المتين^(١) ولعل تلك الحكمة الأخيرة هى أوجه الحكم فى هذه القصة. والله أعلم بحكمته أهـ.

وصلّى الله وسلم وبارك على المعصوم
الهادى الأمين، ورزقنى الله حبه، ونصرته
واتباعه، وشفاعته

(١) استفدت جل ما ورد فى نقض دليل أن السنة ليست كلها وحى من "السنة والتشريع" لفضيلة الدكتور موسى شاهين ص ٣٢ - ٤٧ بتصرف. وينظر : للاستزادة، السنة تشريع لازم ودائم للدكتور فتحى عبد الكريم ص ٣٢، ٣٣، والأنوار الكاشفة لعبد الرحمن اليمان ص ٢٧ - ٤٠، والمدخل إلى السنة للدكتور عبد المهدي عبد القادر ص ٣٧ - ٣٩ .

الباب الرابع

عصمة رسول الله ﷺ في سلوكه وهديه ودفع الشبهات

ويشتمل على تمهيد وسبعة فصول :

تمهيد :

الفصل الأول : شبهة اختلاف سيرة رسول الله ﷺ في كتب السنة والتاريخ عنها في القرآن الكريم والرد عليها .

الفصل الثاني : شبهة الطاعنين في حديث "خلوة النبي ﷺ بامرأة من الأنصار" والرد عليها .

الفصل الثالث : شبهة الطاعنين في حديثي "يوم النبي ﷺ عند أم سليم وأم حرام" والرد عليها .

الفصل الرابع : شبهة الطاعنين في حديث "طوافه ﷺ على نسائه في ساعة واحدة" والرد عليها .

الفصل الخامس : شبهة الطاعنين في حديث "مباشرة رسول الله ﷺ نسائه في المحيض" والرد عليها .

الفصل السادس : شبهة الطاعنين في حديث "دعوته ﷺ لعائشة رضي الله عنه استماع الغناء والضرب بالدف" والرد عليها .

الفصل السابع : شبهة الطاعنين في حديث "اللهم فأبما مؤمن سببته فأجعل ذلك له قرية إليك يوم القيامة" والرد عليها .

تمهيد :

إن رسول الله ﷺ لا تقتصر مهمته على مجرد بلاغ الوحي قرآناً وسنة، وإنما فوق ذلك نموذج حي ومتحرك، يطبق عليه الشرع الذي جاء به بأوفى ما يكون من التطبيق، حتى يظهر هذا الشرع أمام أمة وقومه في أجلى صورة عملية.

وكان رسول الله ﷺ في هذا التطبيق معصوماً في أحواله كلها، وشهد له بتلك العصمة القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، على ما سبق تفصيله في أكثر من موضع في البحث^(١).

كما دل على عصمته ﷺ في سلوكه وهديه؛ اتفاق السلف وإجماعهم، وذلك أن نعلم من دين الصحابة رضي الله عنهم وعادتهم، مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله، والثقة بجميع أخباره ﷺ في أى باب كانت، وعن أى شئ وقعت، ولم يكن لهم توقف ولا تردد فى شئ منها، ولا استنبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهواً أو عمداً، أو رضاً أو سخطاً، أو جداً أو مزحاً، أو صحةً أو مرضاً أو ... الخ.

وقد سبق ذكر الأمثلة على مسارعة السلف الصالح رضي الله عنهم إلى التأسى به ﷺ، والتبرك بآثاره في جميع أفعاله المتعلقة بأمور الدنيا، وأحوال نفسه الشريفة^(٢).

إلا أن أعداء السنة المطهرة، يحرصون في عصرنا على تناول الأحاديث الصحيحة التى نتناول سيرة رسول الله ﷺ فى كتب السنة؛ وخاصة صحيحى البخارى ومسلم بالنقد والتجريح، المزور الباطل، وذلك كى يصلوا فى النهاية إلى التشكيك فى السنة والسيرة العطرة الواردة فيها، وصرف المسلمين عنها؛ بزعمهم أن كتب السنة ورواتها شوهوا سيرة المعصوم ﷺ.

إن هؤلاء النابتة من أعداء ديننا وأمتنا، اتخذوا من تحكيم عقولهم الزائغة القاصرة، المقياس الأول والأخير فى تقديم للأحاديث والحكم عليها، ويتخذون من ذلك ذريعة إلى إنكار الأحاديث التى تتناول سيرة المصطفى ﷺ، وتخطئة علماء السنة، وتخطئة الجماهرة من المسلمين

(١) إراجع : ص ٤٧ - ١٠٧، ٢٦٤ - ٢٧٨، ٣٩٤ - ٤١١ .

(٢) إراجع : ص ١٤ - ٢١ .

الذين اهتموا بهديهم وعلمهم، وساروا على دربهم، يدفعهم إلى ذلك عمى البصيرة، وحقد دفين على سنة رسول الله ﷺ كما يهدفون إلى أن يبتعد الناس عن نور النبوة المباركة وهديها المستقيم، وهم يطوون حقدهم وأهدافهم وراء تناول بعض الأحاديث التي تحتاج إلى فهم خاص، يتلاعب مع مبادئ الإسلام، والفهم الصحيح لتعاليمه وقيمه.

وسوف أذكر نماذج من تلك الأحاديث الصحيحة التي تتناول سيرة رسول الله ﷺ؛ والتي طعنوا فيها بحجة أنها تطعن في عصمته ﷺ في سلوكه وهديه.

ولكن قبل ذكر تلك النماذج والجواب عنها؛ أرى الرد على زعمهم أن سيرة رسول الله ﷺ في كتب السنة والتاريخ تختلف عنها في القرآن الكريم، لما في ذلك من صلة بالأحاديث التي تعمداً الطعن فيها، وطبيعة نقدهم لها.

فإلى بيان ذلك في الفصل التالي

الفصل الأول

شبهة اختلاف سيرة رسول الله ﷺ في كتب السنة والتاريخ عنها في القرآن الكريم والرد عليها

حرص أعداء السنة المطهرة، وهم يطعنون في صحيح الإمام البخارى، بل وفي سائر كتب السنة المطهرة، إيهام الناس أجمعين بأن سيرة النبي ﷺ، وشخصيته كما رسمها القرآن الكريم، تختلف عن شخصيته وسيرته كما رسمها الإمام البخارى، وغيره من أصحاب كتب السنة المطهرة.

والنتيجة كما يزعمون الإساءة المتعمدة، وتشويه سيرة النبي ﷺ وشخصيته العطرة من الإمام البخارى، وسائر أئمة السنة (عصمهم الله من ذلك) وهم قد لبسوا لهذه النتيجة لباس العلماء، لإيهام من يقرأ لهم أنهم على صواب، فساروا إلى أحاديث السيرة الشريفة في الصحيحين، وعمدوا إلى بترها تارة، وإلى إعادة صيغتها بأسلوبهم، وتحميل ألفاظها مالا تحتمل من المعانى تارة ثانية، وعمدوا إلى الأمرين معاً تارة ثالثة، ووضعوا صياغتهم الخبيثة عناوين لأحاديث السيرة الصحيحة التى طعنوا فيها .

١- فتجد أحمد صبحى منصور فى كتابه "لماذا القرآن" (١) يخصص للفصل الثالث منه للطعن فى السيرة النبوية الواردة فى السنة المطهرة، ويبدو ذلك واضحاً فى العناوين التى وضعها؛ والتى منها ما يلى : "سيرة النبي عليه السلام بين حقائق القرآن وروايات البخارى"، "البخارى ينسب للنبي الأكاذيب والمتناقضات"، "القرآن يحرص على حرمة بيت النبي التى هتكها كتب الأحاديث"، "هل كان النبي يباشر نساءه فى المحيض"، "هل كان لدى النبي متسع ليكون كما وصفته تلك الأحاديث" (٢) .

وفى كتابه "قراءة فى صحيح البخارى" يعنون للفصل الثانى منه بعنوان : "النبي والنساء من خلال أحاديث البخارى" وذكر تحته عناوين منها : "فى البخارى النبي يسدور على نساء الآخرين ويخلو بهن"، "فى البخارى هوس النبي بالجماع".

(١) هذا الكتاب باسم مستعار (عبد الله الخليفة) وحديثي أحمد صبحى أن الكتاب له، وأن الأصل فى عنوان الكتاب "القرآن وكفى" وما يؤكد ما قاله أن نفس عناوين فصوله، وعباراته تشابه، بل تصل إلى حد تكرارها بنصها فى كتابه "قراءة فى صحيح البخارى" وهو كتاب مخطوط بخط يده، وعليه توقيعه .

(٢) لماذا القرآن أو القرآن وكفى ص ٧٩ - ١٢٥ .

ويعنون للفصل الثالث : "البخارى يهدم شخصية النبي رسولاً وحاكماً"، ويعنون للفصل

الرابع : "منهج البخارى فى تصويره شخصية النبي" (١).

ويبين أحمد صبحى هدفه من كل ما سبق فى كتابه : "لماذا القرآن" وقراءة فى صحيح البخارى" قائلاً : "ومن واقع نظرتنا للبخارى كأحد علماء التراث؛ فإننا لا نقصد مطلقاً أن نعقد مقارنة بينه وبين القرآن الكريم - نعوذ بالله من ذلك - وإنما نقصد من هذا المبحث رصد تلك الفجوة الهائلة بين سيرة النبي فى القرآن، وبين سيرته المتأثرة بين سطور البخارى" (٢).

٢- وتجد نيازى عز الدين يعقد فى كتابه "دين السلطان" فصولاً يطعن فيها هو الآخر فى السيرة النبوية الواردة فى السنة المطهرة، ويعنون لبعض فصوله هكذا .

الفصل السادس : أسلوب الإساءة المتعمدة لشخص الرسول ﷺ .

الفصل السابع : الأحاديث التى تتناقض أخلاق الرسول ﷺ .

الفصل الثامن : لماذا شوهوا صورة الرسول الكريم من خلال الأحاديث.. الخ.

ويبين هدفه مما سبق من عناوين فصوله، وما ذكره تحتها من أحاديث طعن فيها قائلاً :

"ما هى الصورة التى صورها جنود السلطان عن الرسول ﷺ وزوجاته؛ ليس فى كل الحديث، ولكن فقط فى صحيح البخارى ومسلم؟".

فما هى الصورة من خلال ما اختاره الشيخان للرسول الكريم ﷺ حتى تكون بالتالى صورة لدى كل المسلمين عن رسولهم وآله أجمعين؟ لقد استغل الرواة والمحدثين وأغلبهم من الحافدين والموتورين، استخدام الأحاديث بشكل يكون ظاهراً تعليمياً، وباطناً الدس والإساءة للرسول ﷺ ونسائه أمهات المؤمنين أجمعين" (٣).

٣- وتجد صالح الوردانى، يخصص أحد مؤلفاته ليدافع بها عن رسول الله ﷺ ضد من ظلموه فى نظره من الفقهاء والمحدثين؛ ويزعم أن الروايات التى تتحدث عن سيرته "تمثل أكبر إهانة

(١) قراءة فى صحيح البخارى ص ١٧ - ٤٧ .

(٢) لماذا القرآن ص ٨٥، ٤٢ وينظر : قراءة فى صحيح البخارى ص ٤٨ .

(٣) ينظر : دين السلطان ص ٩٢، ٩٣ .

لشخص الرسول، وأن موقف أهل السنة منها لهو إهانة أكبر وهو إن دل على شيء، فإنما يدل على أن القوم ألغوا عقولهم، وطمسوا بصيرتهم حتى أنهم لم يعوا مدلول قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) وأن هذا الخلق العظيم الذى وصفه به سبحانه ليتتافى مع ما هو أقل مما يلصقونه به عن طريق هذه الروايات^(٢).

٤- وتجد هشام آل قطيط^(٣) يقول فى كتابه: "حوار ومناقشة كتاب عائشة أم المؤمنين" تحت عنوان "النبوة فى الصحيحين البخارى ومسلم" أقول إنه من المؤسف حقاً أن نجد نفس الخرافات، والافتراءات النابية التى عجت بها التوراة والإنجيل بحق الأنبياء فى الصحيحين والأنكى من ذلك والأدهى والأمر، أن الصحيحين لم يكتفيا بلطخات العار السوداء هذه بحق الأنبياء، حتى ارتكبا ما هو أفظع وأمر، بالافتراء على النبى ﷺ، تلك الافتراءات المشينة، والتى نربأ نحن بأنفسنا عن ذكرها، فكيف بفعله؟ وتشويه صورته المقدسة بما لا ينسجم مع أى حال، وما رسمه القرآن الكريم لها^(٤).

ولم يكتف أعداء الإسلام من خصوم السنة والسيرة بما سبق، بل زعموا: "أن الربط بين كتاب الله عز وجل، والسنة النبوية، فى تحديد شخصية وسيرة النبى ﷺ، صورة من صور تأليه الرسول، ومن يعتقد بها فقد وقع فى عبادة الرجال"^(٥).

يقول أحمد صبحى منصور: "والمؤكد أن الذى سيصمم على الانتصار للبخارى والتعصب له بعد قراءة هذا الكتاب، إنما هو فى الحقيقة عابد له لا يشرك فى عبادته أحد"^(٦).

(١) الآية ٤ القلم.

(٢) ينظر: دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين، الكتاب بكامله، وينظر: له أيضاً أهل السنة شعب الله المختار ص ٧٢، ٧٤، والخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص ٧٦، ٧٨.

(٣) كاتب شيعى، سورى معاصر. من مؤلفاته: وقفه مع الدكتور البوطى فى مسائل، وحوار ومناقشة كتاب عائشة أم المؤمنين للدكتور البوطى.

(٤) حوار ومناقشة كتاب عائشة أم المؤمنين ص ٢٩، وينظر: تأملات فى الصحيحين لمحمد صادق نجمى ص ٢٤٢، ومساحة للحوار لأحمد حسين يعقوب ص ١١٧، ودين السلطان لنيازى عز الدين ص ٩٢، ٩٣، ٤١٨ - ٦١٧، ومجلة أكتوبر العدد ١٢٤٢ بتاريخ ١٣/٨/٢٠٠٠ مقال محمد الطحلاوى - مساعد رئيس تحرير المجلة - بعنوان "الإساءة إلى رسول الله وأهل بيته فى كتب البخارى ومسلم... فهل آن الأوان لتنقية كتب السنة من الدس والتزييف؟".

(٥) دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٤٧، ٥٣.

(٦) قراءة فى صحيح البخارى ص ٤٨، وينظر: لماذا القرآن ص ٨٥.

ويجاب عن ما سبق بما يلي :

أولاً : إذا كان أعداء الإسلام من خصوم السنة المطهرة، يتظاهرون هنا كذباً بأنهم يدافعون عن سيرة النبي ﷺ الواردة في السنة النبوية فقد سبق أن وجدت بعضهم يطن صراحة في سيرته ﷺ مستشهداً بالقرآن الكريم، وزاعماً كذباً أنه ﷺ غير معصوم، ويجوز عليه الشرك الأكبر، وأنه كان في ضلال وغفلة قبل الرسالة، إلى غير ذلك من افتراءاتهم التي سبق الجواب عنها في موضعها .

ثانياً : من المقرر عند علماء المسلمين كافة أنه ليس لأحد أن يرسم من خياله صورة لنبي مرسل، ولا أن يحدد شخصيته ودوره، وسيرته في أمته، سواء كان هذا النبي هو النبي الخاتم ﷺ، أو غيره من الأنبياء .

فالأنبياء جميعاً - عليهم الصلاة والسلام - قد اصطنعهم الله عز وجل لنفسه، وهو قد صنعهم على عينه، كما قال عز وجل في حق سيدنا موسى عليه السلام ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾^(١) وقال سبحانه : ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^(٢) .

وإثبات اصطناع الله عز وجل لواحد من الأنبياء، هو إثبات لاصطناع سائر الأنبياء، لأن حقوقهم واحدة من هذه الناحية لا تختلف أبداً، فما يجب في حق واحد منهم يجب كذلك في حق الجميع، وما يستحيل في حق واحد منهم يستحيل كذلك في حق الجميع .

وعليه فالله عز وجل وحده الذي يستطيع أن يرسم لنا صورة لمن اصطنعه لنفسه، وصنعه على عينه، ويحدد لنا شخصيته ودوره، وسيرته.. الخ هذا كله لله عز وجل وحده، وليس لأحد أن يتدخل في شيء منه .

ثالثاً : بناء على ما سبق فقد اعتبر العلماء أن سيرة النبي ﷺ وشخصيته العطرة حددها رب العزة في كتابه العزيز . واستكلوا على ذلك بما أخرجه الإمام مسلم وغيره من طريق سعد

(١) الآية ٣٩ طه .

(٢) الآية ٤١ طه .

بن هشام بن عامر^(١) أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن خُلُق رسول الله ﷺ بقوله : "يا أم المؤمنين أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ"، قالت : ألسنت تقرأ القرآن؟ قال : قلت : بلى، قالت : فإن خلق رسول الله - ﷺ - كان القرآن، قال : فهممت أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت"^(٢).

وفى رواية عنها قالت : "كان خلق رسول الله ﷺ القرآن. ثم قالت أنقرعون سورة "المؤمنون"؟ قال : قلنا نعم، فقالت : اقرأ، قال : فقرأت : ﴿لقد أفلح المؤمنون. الذين هم فى صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون﴾^(٣) فقالت : هكذا كان خلق رسول الله ﷺ^(٤) وفى رواية ثالثة قالت : "كان خلقه القرآن يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه"^(٥).

وهذا الجواب الوجيز الجامع من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : "فإن خلق نبي الله القرآن" أجمع وصف يعرف به شخصيته ﷺ وسيرته العطرة.

فقد أفادت عائشة رضي الله عنها السائل أنه ﷺ كان يتمثل القرآن فى أقواله وأفعاله، وأوامره، ونواهيه "وأن كلامه كان مطابقاً للقرآن تفصيلاً وتبانياً، وعلومه علوم القرآن، وإرادته وأعماله : ما أوجبه وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه : لما منع منه القرآن، ورغبته : فيما رغب فيه القرآن، وزهده : فيما زهد فيه، وكراهيته لما كرهه، ومحبته لما أحبه، وسعيه فى تنفيذ أوامره.

(١) الأنصارى، المدنى، ابن عم أنس بن مالك رضي الله عنه، روى عن عائشة وابن عباس وغيرهم ثقة، مات بأرض الهند غازياً. له ترجمة فى : تقريب التهذيب ٣٤٦/١ رقم ٢٢٦٥، والجمع بين رجال الصحيحين ١٥٩/١ رقم ٦١٤، ومشاهير علماء الأمصار ص ١١٥ رقم ٦٥٩ .

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض ٢٧٩/٣ رقم ٧٤٦ .

(٣) الآيات ١ - ٥ المؤمنون .

(٤) أخرجه أبو الشيخ فى أخلاق النبي ﷺ وآدابه ص ٢٧، والنسائى فى سننه الكبرى كتاب التفسير، باب سورة المؤمنون ٤١٢/٦ رقم ١١٣٥٠، والحاكم فى المستدرک ٤٢٦/٢ رقم ٣٤٨٠ وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد ٤٠٧/١ رقم ٣٠٨، والبيهقى فى دلائل النبوة ٣٠٩/١ .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٠٩/١ من رواية أبى الدرداء رضي الله عنه .

فترجمت أم المؤمنين رضى الله عنها لكمال معرفتها بالقرآن، وبالرسول ﷺ، عن هذا كله بقولها : كان خلقه القرآن، وقد حسن تعبيرها وجمع من المعانى ما لا يجمعه كثير الكلام .

وفهم السائل عنها هذا المعنى فاكتفى به واشتفى^(١) فهم أن يقوم ولا يسألها عن شئ كما جاء فى الحديث، وتأهب لأن يرجع إلى القرآن فيبحث عن مكنونات جواهره الأخلاقية، ويستدل بها على أخلاق النبي ﷺ، لأنه كان أوفى من يطبق آياته .

ولا ريب أنه إن فعل ذلك فإنه سيجد بغيته كاملة؛ لأن رسول الله ﷺ قد كان متمسكا بأداب القرآن وأوامره، ونواهيه، وجميع ما قصه الله تعالى فى كتابه من مكارم الأخلاق عن نبي أو ولي، أو حث عليه أو ندب إليه، كان ﷺ متخلقا به .

وكل ما نهى عنه ونزه عباده عنه، كان ﷺ لا يحوم حوله، لأنه كان يبين القرآن بأقواله وأفعاله وأحواله، وتلك هى مهمته التى كلفه الله تعالى بها بمثل قوله عز وجل : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢) .

ولأن الإحاطة بكل أخلاقه ﷺ، والتعرض لحصر جزئياتها تعرض لما ليس من مقدور الإنسان، وأمر يطول، أرادت السيدة عائشة رضى الله عنها أن تقرب للسائل إدراك ما لا بد من إدراكه من تلك الجزئيات الأخلاقية فأوقفته على مثال واحد، وهو ما تضمنته مقدمة سورة المؤمنون "ليذهب فيستضي بذلك المثال، لاستنباط أخلاقه ﷺ من القرآن على ذلك الغرار .

أو دلته على منهج يتبعه فى الوقوف على جزئيات أخلاقه ﷺ من خلال القرآن، كما فى رواية : "كان خلقه القرآن يرضى لرضاه، ويسخط لمخطه"^(٣) فدلته على المواطن التى فيها رضا لله تعالى من صنوف الطاعات والقربات، فيعلم أن النبي ﷺ قد كان متخلقا بها، ويرضيه انتهاجها من نفسه، ومن أمته، وعلى المواطن التى فيها إغضاب لله تعالى من صنوف الإشرار والمعاصى، فيعلم أن النبي ﷺ كان فى غاية البعد عنها، وأنه يغضب لاقترافها، والعمل بها من أحد من البشر، وإذا غضب لله فلا يقوم لغضبه أحد كما لا يخفى .

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٤٤١/٨ بتصرف يسير .

(٢) الآية ٤٤ النحل .

(٣) سبق تخريجه قريبا .

إن كلمة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : "فإن خلق نبي الله كان القرآن" تعنى : أنه ﷺ هو القرآن كيان واحد، يتمثل فى شخصه الكريم، كل ما فى القرآن الكريم من أخلاق، وآداب، وفضائل، ومكارم، يترجمه ﷺ فى كل كلامه وأفعاله بما فيها حركاته وسكاته، حتى استحق من ربه عز وجل الثناء العظيم فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

وأستطيع أن أقول بدون تردد : إن القرآن الكريم هو شريعة الإسلام قولاً، ورسول الله ﷺ هو شريعة الإسلام عملاً فحياته ﷺ كلها، وما صدر عنه فيها من أقوال، وأفعال وتقديرات حتى الحركات والسكنات، هى تفصيل وبيان وترجمة حية لما اشتمل عليه القرآن الكريم من عقائد، أو عبادات، أو معاملات أو أخلاق، أو حدود، أو أحوال شخصية... الخ.

وإن فلم تكن هذه المفتريات التى زعمها أعداء الإسلام من خصوم السنة على سيرة النبي ﷺ الواردة فى صحيح السنة النبوية، لم يكن مقصوداً بها الرسول لذاته، وإنما كانت غايتها تدمير الشريعة وصاحب الشريعة جميعاً، ثم يتأتى من وراء ذلك تدمير المجتمع الإسلامى كله!

والنتيجة من كل ما سبق : أن القرآن الكريم خير مصدر لمعرفة شخصية رسول الله ﷺ، وسيرته الشريفة، معرفة واضحة دقيقة، لا يأتىها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

فالقرآن الكريم هو الباحث لتشخيص شخصية رسول الله ﷺ وسيرته منذ البعثة وما بعدها، وهو أيضاً المسيطر على دفع أو كبح أو تعديل حركة السيرة، والإشراف المتحكم بمفاهيم وقائعها^(٢).

رابعاً : إذا كان القرآن الكريم هو الباحث لتشخيص شخصية السيرة النبوية، وكانت تلك السيرة العطرة هى الترجمة الحية لذلك الكتاب العزيز عرفت هنا فقط : أن كتاب السيرة النبوية وعلماءها، لم تكن وظيفتهم بصدد أحداث السيرة، إلا تثبت ما هو ثابت منها، بمقياس

(١) الآية ٤ القلم. وينظر : أخلاق النبي ﷺ فى القرآن والسنة للدكتور أحمد الحداد ١/٧٨، ٧٩، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٨/٤٤٠، ٤٤١.

(٢) ينظر : المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة ٥٥٢/٢ مقال الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم بعنوان: أهمية السيرة فى تفسير القرآن.

علمى، يتمثل فى قواعد مصطلح الحديث المتعلقة بكل من السند والمتن، وفى قواعد علم الجرح والتعديل المتعلقة بالرواة وتراجمهم وأحوالهم.

فإن انتهت بهم هذه القواعد العلمية الدقيقة إلى أخبار ووقائع، وقفوا عندها ودونوها، دون أن يقيموا تصوراتهم الفكرية أو انطباعاتهم النفسية، أو مآلوفاتهم البينية إلى شئ من تلك الوقائع بأى تلاعب أو تحوير.

لقد كانوا يرون أن الحادثة التاريخية التى يتم الوصول إلى معرفتها، بالقواعد العلمية التى تتسم بمنتهى الدقة، حقيقة مقدسة، يجب أن تجلى أمام الأبصار والبصائر كما هى.

كما كانوا يرون أن من الخيانة العلمية والدينية التى لا تغتفر أن ينصب من التحليلات الشخصية؛ والرغبات النفسية، التى هى فى الغالب من انعكاسات البيئة، ومن ثمار العصبية، حاكم مسلط يستبد منها ما يشاء، ويحور فيها كما يريد.

ضمن هذه الوقاية من القواعد العلمية، وعلى ذلك الأساس من النظرة الموضوعية للتاريخ، وصلت إلينا سيرة المعصوم عليه السلام بدءاً من نسبه، ولادته، إلى طفولته، فصبوته اليافعة، إلى الإرهاصات الخارقة التى صاحبت مراحل طفولته، وشبابه، إلى بعثته، وظاهرة الوحي التى تجلت فى حياته، إلى أخلاقه، وصدقته، وأمانته، إلى الخوارق والمعجزات التى أجازها الله تعالى على يده، إلى مراحل الدعوة التى سار فيها لتلبية أمر ربه، من سلم، فدفاع، فجهاد مطلق حيثما طاف بالدعوة إلى الله تعالى أى تهديد، إلى الأحكام والمبادئ الشرعية التى أوحى بها إليه، قرآناً معجزاً يتلى، وأحاديث نبوية تشرح وتبين.

لقد كان العمل التاريخى إذن بالنسبة إلى هذه السلسلة من سيرته عليه السلام ينحصر فى نقلها إلينا محفوظة مكشوفة، ضمن تلك الوقاية العلمية التى من شأنها ضبط الرواية من حيث الإسناد واتصاله، ومن حيث الرجال وتراجمهم، ومن حيث المتن أو الحادثة، وما قد يطوف بها من شذوذ، وعلة.

أما عملية استنباط النتائج والأحكام، والمبادئ، والمعانى، من هذه الأخبار (بعد القبول التام لها) فعمل علمى آخر يميز بعلم الحديث رواية، وهو عمل علمى متميز، ومستقل بذاته، ينهض

بدوره على منهج وقواعد أخرى، من شأنها أن تضبط عملية استنباط النتائج والأحكام من تلك الأحداث، ضمن قالب علمي يقصدها عن سلطان الوهم، وشهوة الإرادة النفسية، والتي عبر عنها أعداء الإسلام من خصوم السيرة العطرة الواردة في السنة المطهرة بصياغاتهم الخبيثة التي سبق ذكر بعضها في أول هذا الفصل.

وهذا بخلاف أئمة الإسلام من الفقهاء والمحدثين فقد استنبطوا من أحداث السيرة النبوية طبقاً لقواعد علم الحديث رواية، أحكاماً كثيرة، منها ما يتعلق بالاعتقاد واليقين، ومنها ما يتعلق بالتشريع والسلوك^(١).

إنّ ليس للإمام البخاري، وغيره من أئمة السنة الشريفة، من أصحاب المصنفات الحديثية، والتاريخية، أن يرسموا شخصية النبي ﷺ، ولا سيرته العطرة، لأن دورهم كما سبق، هو تسجيل تلك التراجم الحية التي اشتمل عليها القرآن الكريم، من عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق، وحدود، وغزوات، وأحوال شخصية... الخ.

خامساً : التأكيد من صحة نقل السيرة النبوية الواردة في السنة المطهرة، سهل ميسور من خلال دراسة السند والمتن، وهذا ما قام به أئمة أعلام من سلفنا الصالح، وأسفرت نتيجة جهودهم، إلى صحة أصول السيرة النبوية التي اشتملت عليها صحاح كتب السنة، وعلى رأسها الصحيحين للبخاري ومسلم، وهذان المصدران (القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة) أهم مصادر السيرة وأوثقها، وإليهما نرجع للاستيثاق مما يوجد في المصادر الأخرى من كتب السيرة والتاريخ، والتي تتنوع بحسب موضوعاتها إلى كتب الشمائل، وكتب دلائل النبوة، وكتب المغازي، وكتب السيرة بوجه عام^(٢).

سادساً : إذا كان القرآن الكريم أوثق كتاب على وجه الأرض، وكان من الثبوت المتواتر بما لا يفكر إنسان عاقل في التشكيك بنصوصه وثبوتها التاريخي.

وإذا كانت السنة الشريفة نقلت لنا سيرة رسول الله ﷺ بالسند الصحيح المتصل مما يجب أن نقبله كحقيقة تاريخية لا يخالجنا الشك فيها.

(١) ينظر : فقه السيرة للدكتور محمد البوطي ص ٢٠، ٢١ بتصرف.

(٢) ينظر : دراسات في السيرة وعلوم السنة لفضيلة الدكتور موسى لاشين ص ٦٠.

فإنك تجد نفسك فى النهاية أمام أصح سيرة وأقواها ثبوتاً متواتراً هى سيرة المعصوم

سيدنا محمد ﷺ .

واتباع تلك السيرة المطهرة، والاهتداء بها، واعتمادها فى معرفة شخصية النبى ﷺ . ليس فى ذلك عبادة للرجال الذين دونوها، كما يزعم أعداء الإسلام من خصوم السنة لأن الرجال الذين دونوها من الأئمة الأعلام، دورهم كما سبق هو تسجيل ذلك البيان النبوى للقرآن الكريم قولاً وعملاً، وتلك حقيقة علمية تاريخية لا ينكرها إلا جاحداً .

فأين عبادة الرجال التى يزعمها عبدة أهواءهم وشياطينهم؟! قال تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(١)، وقال سبحانه : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(٢) .

سابعاً : ليس فى الربط بين القرآن الكريم، والسنة النبوية فى تحديد شخصية وسيرة النبى ﷺ ، شرك وتأليه لرسول الله ﷺ كما يزعم أعداء السنة المطهرة^(٣)، لأن الربط هنا ربط إلهى، وطاعة لله عز وجل .

فرب العزة هو الأمر لعباده بوجوب الإيمان به ﷺ ، وتصديقه فى كل ما يخبر به من الوحي الإلهى (متلو من القرآن، أو غير متلو من السنة) قال تعالى : ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٤) وقال سبحانه : ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبَى الْأُمِّى الَّذِي يَوْمُنَ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٥) فالإيمان بسيدنا رسول

(١) الآية ٢٣ الجاثية .

(٢) الآية ١١٢ الأنعام .

(٣) يراجع كلام صالح الوردانى، وأحمد صبحى منصور السابق ص ٤٣٦، ٤٣٧ .

(٤) الآية ٨ التغابن .

(٥) الآية ١٥٨ الأعراف .

الله ﷺ واجب متعين لا يتم إيمان إلا به، ولا يصح إسلام معه لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾^(١).

فهل يصح من مخلوق بعد ذلك أن يزعم أن الإيمان برسول الله ﷺ، والربط بين الإيمان به، والإيمان بالله عز وجل شرك؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

وإذا وجب الإيمان به ﷺ، وجب تصديقه وطاعته فيما جاء به من الكتاب والسنة، لأن ذلك مما أمرنا به المولى عز وجل في آيات عدة منها : قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٢) وقال سبحانه : ﴿وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣).

فتأمل كيف جعل رب العزة طاعة رسوله ﷺ طاعته، وقرن طاعته عز وجل بطاعته ﷺ، ووعد على ذلك بجزيل الثواب، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب، وأوجب امتثال أمره، واجتناب نهيه.

قال المفسرون والأئمة : طاعة الرسول في التزام سنته، والتسليم لما جاء به، وقالوا : ما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤) فمن زعم بعد ذلك أن الربط بين طاعته عز وجل، وطاعة رسوله ﷺ، شرك وتأليه لرسول الله ﷺ، فقد رد على ربه عز وجل كلامه! وقد سبق تفصيل ذلك فليراجع^(٥).

وجملة القول : أن منكرى السنة الذين يزعمون كذباً أن السيرة النبوية لرسول الله ﷺ، والتي نقلها أهل الحديث في كتبهم مخالفة لسيرته في القرآن الكريم، وأن المصادر الحديثية شوهت سيرته العطرة، كذبوا في زعمهم ونظواهرهم هذا، فقد طعنوا أيضاً في سيرته ﷺ الواردة في

(١) الآية ١٣ الفتح، وينظر : الشفا ٢/٢ .

(٢) الآية ٥٩ النساء.

(٣) الآية ٦٩ النساء.

(٤) الآية ٦٤ النساء. وينظر : الشفا ٦/٢ .

(٥) في شبهة أن طاعة رسول الله ﷺ تأليه وشرك ص ٣٧٧ - ٣٨٥ .

القرآن الكريم بزعمهم عدم عصمته وأنه كان فى ضلال وغفلة قبل البعثة... الخ كما سبق الإشارة إلى ذلك فى أول الجواب.

وفى الحقيقة : فإن منكرى السنة، لا يريدون السنة، ولا يريدون أسانيد ولا يريدون نقله يصلون بهم إلى رسول الله ﷺ! وكيف يصلون إلى رسول الله ﷺ، وهم يكرهون من يوصل إليه، ويحملونهم إلى عصره، ويبسرون لهم سماعه ومشاهدة أفعاله، وأحواله، وصفاته... الخ.

إنهم يكرهون الصحابة، ويكرهون التابعين، واتباع التابعين، واتباع الأتباع، واتباع التابع... إنهم يكرهون الدواوين التى جمعت كل هذه الطرق، وحفظت هذا الاتصال، ويكرهون من جمع هذه الدواوين.

يكرهون القواعد التى وضعها العلماء لاستخلاص السنة والسيرة، من وضع الوضعاء، وخطأ المخطئين، وهم الواهمين.. يكرهون مدرسة الحديث بكل ما فيها، ومن فيها.

وهذه الكراهية فى الحقيقة كراهية لرسول الله ﷺ، وحقد على بقاء رسالته، متمثلة فى سنته، وسيرته العطرة، ومحاولة للقضاء على ما ورثته الأمة عنه ﷺ، من العلم الذى هو الميراث عن النبيين، وهو فى نفس الوقت حقد على هذه الأمة التى اختصها الله عز وجل بحفظ سنة وسيرة نبيها ﷺ على أكمل ما يكون الحفظ والتوثيق.

وإذا تقرر سابقاً أن رسول الله ﷺ، هو القرآن الكريم كيان واحد، وأن سيرته الشريفة هى الترجمة الحية، لما اشتمل عليه القرآن الكريم، من تعاليم وأحكام؛ فسوف يتأكد ذلك بالأمثلة عند الجواب على الأحاديث التى طعنوا فيها، وزعموا أنها تشويه لسيرته العطرة، وأنها مخالفة للقرآن الكريم، وتطعن فى عصمته فى سلوكه وهديه.

فإلى بيان ذلك فى الفصول التالية

الفصل الثالث

شبهة الطاعنين في حديث "خلوة النبي ﷺ بامرأة من الأنصار" والرد عليها

روى الإمام البخارى في صحيحه بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : "جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ، ومعها صبي لها، فكلما رسول الله ﷺ، فقال : "والذى نفسى بيده، إنكم أحب الناس إلى مرتين"^(١).

بهذه الرواية طعن أعداء السيرة العطرة في صحيح الإمام البخارى، وأوهمو القارئ بأن الحديث يطعن في عصمة رسول الله ﷺ في سلوكه، وفي خلقه العظيم، حيث جاء في الرواية أنه ﷺ، خلا بامرأة، ثم قال : "إنكم أحب الناس إلى".

يقول أحمد صبحي منصور : "والرواية تريد للقارئ أن يتخيل ما حدث في تلك الخلوة التى انتهت بكلمات الحب تلك، وذلك ما يريده البخارى بالطبع"^(٢).
والجواب :

أولاً : أقول لهؤلاء النابتة الضالة التى تريد الطعن والتشكيك في صحيح الإمام البخارى، لتسقط مكانته كأصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل، ولتسقط بسقوطه كل كتب السنة التى تليه، إذ هو بمثابة الرأس، لكتب السنة، وبسقوط الرأس يسقط كل الجسد .

أقول لهم : إن كنتم صادقين في دعوكم تنزيه الرسول ﷺ، مما يشكك في سيرته العطرة، وأخلاقه العظيمة، وعصمته في سلوكه، وتزعمون أن البخارى بإخراجه لهذه الرواية في

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ للأنصار أنتم أحب الناس إلى ١٤٢/٧ رقم ٣٧٨٦، وكتاب النكاح، باب ما يجوز أن يخلو الرجل بامرأة عند الناس ٢٤٤/٩ رقم ٥٢٣٤، وكتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت بمن النبي ﷺ ٥٣٤/١١ رقم ٦٦٤٥، ومسلم (بشرح النووى) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار رضى الله عنهم ٣٠٦/٨ رقم ٢٥٠٩ .

(٢) لماذا القرآن ص ٩١، ٩٢، وقراءة في صحيح البخارى ص ٢٢، كلاهما لأحمد صبحي منصور، وينظر: دين السلطان لنيازى عز الدين ص ٣٩، ٦٤، ٣٠٩، ودفع الشبهات عن الشيخ الغزالي لأحمد حجازى السقا ص ٢١٠ .

صحيحه قد افترى كذباً على الرسول ﷺ، وشكك في أخلاقه وعصمته ﷺ - وعصم الله عزوجل - البخارى وغيره من أئمة السنة من ذلك .

وإن كنتم حقاً أهل علم، وبحث عن الحقيقة فلماذا تعمدتم عدم ذكر اسم عنوان الباب الذى ذكر تحته الإمام البخارى هذا الحديث؟ وهو باب "ما يجوز أن يخلوا الرجل بالمرأة عند الناس" .

ولماذا تجاهلتم ما قاله شراح الحديث في بيانهم للمراد من الخلوة، وكيف كانت تلك الخلوة، ولماذا اختلى بها النبى ﷺ؟ .

نعم تعمدتم عدم ذكر ذلك تلبيساً منكم وتضليلاً للقارئ، ولأنكم تعلمون كما تعلم الدنيا بأسرها، أن فقه الإمام البخارى في تراجم أبوابه، التى أعيا فحول العلماء حل ما أبداه فى هذه العناوين من أسرار! إنكم تعلمون أنكم بذكركم عنوان الباب، ينكشف سريعاً كذبكم وتضليلكم! كما أنكم تجاهلتم ما قاله شراح الحديث من أئمة المسلمين، والذين حرصون على وصفهم بأنهم يقدمون البخارى، ويعبدونه من دون الله "وعصمهم الله من ذلك" تجاهلتم ما فسروه وبينوه من معنى "خلوة الرجل بالمرأة عند الناس" وكيف كانت تلك الخلوة؟ .

والنتيجة من تجاهلكم كل ذلك أنكم سفهتم عقول أئمة المسلمين، واستخففتهم بعقل القارئ لكم .

ثانياً : تعالوا بنا لننظر للقارئ ما حرصتم على كتمانها؛ ولنترك له الحكم بعد ذلك؛ فيمن الصادق البخارى أم أنتم؟ ومن الطاعن والمشكك فى عصمة النبى ﷺ البخارى أم أنتم؟ ومن المحترم لعقل القارئ البخارى أم أنتم؟ .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - شارحاً المراد من عنوان الباب الذى ذكر الإمام البخارى تحته حديث أنس . قال : قوله : "باب ما يجوز أن يخلوا الرجل بالمرأة عند الناس" أى : لا يخلوا بها بحيث تحتجب أشخاصهما عنهما، بحيث لا يسمعون كلامهما، إذا كان مما يخافت به؛ كالشئ الذى تستحى المرأة من ذكره بين الناس، وأخذ المصنف قوله فى الترجمة : "عند الناس" من قوله فى بعض طرق الحديث "فخلا بها فى بعض الطرق أو فى بعض السكك" وهى : الطوبى المسلوكة التى لا تنفك عن مرور الناس غالباً .

وقوله : "فخلا بها رسول الله ﷺ" أى : فى بعض الطرق، ولم يرد أنس أنه خلا بها بحيث غاب عن أنصار من كان معه، وإنما خلا بها، بحيث لا يسمع من حضر شكواها، ولا ما دار بينهما، من الكلام، ولهذا سمع أنس آخر الكلام فقلعه، ولم ينقل ما دار بينهما، لأنه لم يسمعه .

وفى رواية مسلم عن أنس : "أن امرأة كان فى عقلها شئ، فقالت : يا رسول الله! إن لى إليك حاجة، فقال : يا أم فلان! أى السكك شئت، حتى أقضى لك حاجتك، فخلا معها فى بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها"^(١).

قال الإمام النووى - رحمه الله - قوله : "خلا معها فى بعض الطرق" أى : وقف معها فى طريق مسلوكة، ليقضى حاجتها، ويفتيها فى الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية، فإن هذا كان فى ممر الناس، ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها، لأن مسألتها مما لا يظهره"^(٢).

ومن هنا استفاد الأئمة من هذه الرواية : "أن مفاوضة الأجنبية سراً لا يقدر فى الدين عند أمن الفتنة، ولكن الأمر كما قالت عائشة رضى الله عنها، "وليكم يملك أربه كما كان ﷺ يملك أربه"^(٣) قلت : وإيانا أيضاً معصوم كعصمته ﷺ!

ثالثاً : ليس فى قوله : "إنكم أحب الناس إلى - مرتين - وفى رواية : ثلاث مرات" ما يطعن فى عصمته ﷺ فى سلوكه وهديه، لأن هذه الكلمة قالها النبى ﷺ جهاراً على ملأ من الناس لنساء وصبيان من الأنصار كانوا مقبلين من عرس.

يدل على ذلك ما أخرجه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أبصر النبى ﷺ، نساءً وصبياناً مقبلين من عرس فقام ممتناً فقال : "أنتم من أحب الناس إلى"^(٤) وهو على طريق الإجمال، أى : مجموعكم أحب إلى من مجموع غيركم.

فالكلمة إذن لم يقلها رسول الله ﷺ مغزلاً للمرأة الأنصارية التى اختلى بها ليقضى حاجتها؛ كما يحاول أن يزعم، ويستنتج أعداء الإسلام! وإنما قالها ﷺ، خطاباً لمجموع الأنصار. وتأمل قوله : "إنكم" ولم يقل "إنك".

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب قرب النبى ﷺ من الناس وتركهم به ٩٠/٨ رقم ٢٣٢٦، وأبو داود فى سننه كتاب الأدب، باب الجلوس فى الطرقات ٢٥٧/٤ رقمى ٤٨١٨، ٤٨١٩.

(٢) المنهاج شرح مسلم للنووى ٩١/٨ رقم ٢٣٢٦.

(٣) سيأتى تحريجه ص ٤٧٣ وينظر : فتح البارى ٢٤٥/٩ رقم ٥٢٣٤.

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبى ﷺ للأنصار : أنتم أحب الناس إلى ١٤٢/٧ رقم ٣٧٨٥، وكتاب النكاح، باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس ١٥٦/٩ رقم ٥١٨٠.

وليس أدل على ما سبق أن الراوى للحديث أنس بن مالك، سمع هذه الجملة "إنكم أحب الناس إلى" وسمعكم مرة كررها رسول الله ﷺ فإذا كانت الكلمة مقصوداً بها المغازلة؛ فلم جهر بها ﷺ حتى سمعها أنس؟! .

وَلَمْ يَسْرَ بها حتى لا يسمعها أنس إن كان مقصوداً بها ما يزعمه أعداء عصمته ﷺ .
إن هذه الجملة : "إنكم أحب الناس إلى" قالها المعصوم ﷺ : منقبة للأنصار، حيث جعل حبهم من علامات الإيمان، وبغضهم من علامات النفاق، فقال ﷺ : "الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله" (١) وفي رواية : "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار" (٢) .

قال الحافظ ابن حجر : وخصموا بهذه المنقبة العظمى، لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ، ومن معه، والقيام بأمرهم، ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم، وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلك موجباً لمعاداتهم، جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم، والعداوة تجر البغض، ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد، والحسد يجر البغض، فلهذا جاء التحذير من بغضهم، والترغيب في حبهم، حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق، تنويهاً بعظيم فضلهم، وتنبيهاً على كبري فعلهم، وإن كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركاً لهم في الفضل المذكور، كل بقسطه" (٣) .

وبعد : فقد ظهر واضحاً جلياً لكل ذى عقل، وقلب سليم، أن الحديث صحيح رواية ودراية، وأن ما زعمه أهل الزيغ من أن لفظ الخلوة في الحديث محمول على الخلوة المحرمة؛ مردود عليهم بما جاء في بعض طرق الحديث "فخلا بها في بعض الطرق أو بعض السكك" وهي الطرق التي لا يخلو منها المارة من الناس .

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان ١٤١/٧ رقم ٣٧٨٣، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلى رضى الله عنهم من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق ٣٤٠/١ رقم ٧٥ من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه .

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) في الأماكن السابقة نفسها برقم ٣٧٨٤، وفي كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار ٨٠/١ رقم ١٧، ومسلم (بشرح النووى) في الأماكن السابقة نفسها برقم ١٢٨ من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

(٣) فتح البارى ٨١/١ رقم ١٧ .

كما اتضح جليا أن تلك المرأة التي خلى بها النبي ﷺ، كانت لها مسألة أرادت أن تستفتي فيها النبي ﷺ، وتلك المسألة مما تستحى من ذكره النساء بحضرة الناس، وكانت إجابة النبي ﷺ لها أن تلتمس بعض الطرق أى تلتمس أى جانب من الأماكن العامة التى لا تخلو من مرور الناس غالبا حتى يسمع حاجتها، ويقضيها لها، وكل هذا صرحت به رواية الإمام مسلم من حديث أنس، راوى الحديث الذى طعنوا فيها من رواية البخارى! ليقطع لسان كل فاجر، ويدفع افتراء كل آثم يطعن فى عصمته ﷺ.

وما ختم به النبي ﷺ، حديثه مع المرأة من قوله: "والذى نفسى بيده إنكم أحب الناس إلى" هذا منه ﷺ، تأكيدا لما قاله مرارا من جعله علامات الإيمان حب الأنصار، ومن علامات النفاق بغضهم، ثم إن هذه الكلمة قالها رسول الله ﷺ جهارا على ملاء من الناس، لنساء وصبيان من الأنصار كانوا مقبلين من عرس، كما سبق من حديث أنس عند البخارى.

فهل بقى بعد كل هذا حجة فى الحديث لمن أرادوا أن يشوشوا به على عصمة سيدنا رسول الله ﷺ فى سلوكه، وفى خلقه العظيم؟! وهم يوهمون البسطاء أنهم من المحبين للنبي ﷺ، المدافعين عنه، فى الوقت الذى يجحدون فيه سنته العطرة، ويطعنون فى عدالة الإمام البخارى، وفى صحيحه الجامع، ويسفهون عقول المسلمين القائلين بقول سلفهم الصالح رضى الله عنهم، ويستخفون بعقل من يقرئ لهم!

وبالجملة: أئشى عاقل، فضلا عن مؤمن من رسول الله ﷺ، على زوجه، أو ابنته، أو أمه، وهو الذى لم يستطيع كافر أو جاحد، أن يلمس هذا الجانب فى حقه؟
وقد قال الله تعالى فى حقه: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾^(١) إن رسول الله ﷺ، مؤتمن على الوحي، وحامل الرسالة، والأسوة الحسنة، والقُدوة الصالحة، ولا يثير مؤمن فضلا عن عاقل مثل ما أثاره أعداء السنة المطهرة فى حديثنا هذا، للإيمان بعصمته ﷺ من الشيطان. وإن ما طنطن به أعداء عصمته ﷺ، يشبه ما طنطنوا به فى قصة أخرى، وكذبوا البخارى فيها، لأنه رواها، وهى قصة أم سليم وأم حرام رضى الله عنهما.

فإلى بيان شبهتهم فى ذلك والرد عليها فى الفصل التالى

الفصل الثالث

شبهة الطاعنين في حديثي "نوم النبي ﷺ"

عند أم سليم وأم حرام والرد عليها

أولاً : حديث أم سليم - رضى الله عنها :

روى البخارى ومسلم - رحمهما الله - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : "إن أم سليم^(١) كان تبسط للنبي ﷺ، نطعاً فيقيل عندها على ذلك النطع، قال : فإذا نام النبي ﷺ، أخذت من عرقه وشعره فجمعتهم فى قارورة، ثم جمعتهم فى سك^(٢) وهو نائم. قال : فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى إلى أن يجعل فى حنوطه من ذلك السك، قال فجعل فى حنوطه^(٣)."

ثانياً : حديث أم حرام - رضى الله عنها :

روى البخارى ومسلم - رحمهما الله - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : "كان رسول الله ﷺ، إذا ذهب إلى قباء، يدخل على أم حرام بنت ملحان^(٤)، فتطعمه، وكانت أم حرام -

(١) هي : أم سليم بنت ملحان، واسم ملحان : مالك بن خالد بن حرام بن جندب بن النجار، الأنصارية الخزرجية النجارية، أم أنس بن مالك، تلقب بالرميصاء من غير شك، سهلة، وقيل : رميلة، وقيل غير ذلك، كانت تحت مالك بن النضر، والد أنس بن مالك، فى الجاهلية، فغضب عليها، وخرج إلى الشام، ومات هناك. فخطبها أبو طلحة الأنصارى وهو مشرك، فقالت : أما إنى فىك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فللك مهري، ولا أسألك غيره، فأسلم وتزوجها، وحسن إسلامه، وكانت تغزو مع رسول الله ﷺ، وروت عنه أحاديث، وروى عنها ابنها أنس رضى الله عنه، وكانت من عقلاء النساء، ماتت فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه. لها ترجمة فى : أسد الغابة ٣٣٣/٧ رقم ٧٤٧٩، والاستيعاب ٤/١٩٤٠ رقم ٤١٦٣، والرياض المستطابة ص ٣٢٦، ٣٢٧، والإصابة ٤/٤٤١ رقم ١٢٠٧٧.

(٢) هو : طيب معروف يضاف إلى غيره من الطيب ويستعمل. النهاية ٢/٣٤٦.

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاستئذان، باب من زار قوما فقال عندهم ٧٣/١١ رقم ٦٢٨١، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به ٨/٩٦ رقم ٢٣٣٢.

(٤) هي : أم حرام بنت ملحان بن خالد بن حرام بن جندب بن النجار، الأنصارية الخزرجية، النجارية، زوج عبادة بن الصامت، وأخت أم سليم، وخالة أنس بن مالك، ولا يصح لها اسم، وتلقب بالرميصاء، والغمص، والرمص، نقص يكون بالعين، وكان للنبي ﷺ عليها وعلى أختها، من البسط والإدلال ما لا يعرف لغيرهما، حتى قيل : إن ثمة محرمة من رضاع وغيره، دعا لها النبي ﷺ بالشهادة؟-

- تحت عبادة بن الصامت - فدخل عليها رسول الله ﷺ، فأطعمته، وجعلت تقي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت : فقلت : وما يضحك يا رسول الله؟ قال : ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج^(١) هذا البحر، ملوكاً على الأسرة، أو قال : مثل الملوك على الأسرة، يشك - إسحاق - قالت : فقلت : يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك. فقلت : ما يضحك يا رسول الله؟ قال : ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله - كما قال في الأول - قالت : فقلت : يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال : أنت من الأولين. فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت^(٢).

بالحديثان السابقان طعن أعداء السنة، في عدالة الإمام البخارى، وفي صحيحه الجامع، وزعموا أن الروايات السابقة يلزم منها؛ الطعن في عصمة رسول الله ﷺ في سلوكه، وفي خلقه العظيم.

يقول أحمد صبحى منصور : "يريدنا البخارى أن نصدق أن بيوت النبى التى كانت مقصدا للضيوف، كانت لا تكفيه، وأنه كان يترك نسائه بعد الطواف عليهن، ليذهب للقبولة عند امرأة أخرى، وأثناء نومه كانت تقوم تلك المرأة بجمع عرقه وشعره، وكيف كان يحدث ذلك... يريدنا البخارى أن نتخيل الإجابة.. ونعوذ بالله من هذا الإفك... ثم يؤكد البخارى على هذا الزعم الباطل بحديث أم حرام ... الذى تضمن كثيراً من الإيحاءات والإشارات المقصودة، لتجعل القارئ يتشكك فى أخلاق النبى؛ فيفتري الراوى : كيف كانت تلك المرأة تطعمه، وتقي رأسه، وينام عندها، ثم يستيقظ ضاحكاً ويتحادثان نعوذ بالله من الافتراء على رسول الله... ويتركنا البخارى

= ماتت فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه. لها ترجمة فى : أسد الغابة ٣٠٤/٧ رقم ٧٤١١، والرياض المستطابة ص ٣٢٧، ٣٢٨، والاستيعاب ١٩٣١/٤ رقم ٤١٣٧، والإصابة ٤٤١/٤ رقم ١١٩٧١.

(١) أى وسطه ومعظمه. النهاية ٢٠١/١.

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاستئذان، باب من زار قوما فقال عندهم ٧٣/١١ رقمى ٦٢٨٢، ٦٢٨٣، وكتاب الجهاد، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء ١٣/٦ رقمى ٢٧٨٨، ٢٧٨٩، وباب فضل من يصرع فى سبيل الله فمات فهو منهم ٢٢/٦ رقمى ٢٧٩٩، ٢٨٠٠، وباب ما قيل فى قتال الروم ١٢٠/٦ رقم ٢٩٢٤، وكتاب التعبير، باب رؤيا النهار ١٢/٤٠٨ رقمى ٧٠٠١، ٧٠٠٢، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإمارة، باب فضل الغزو فى البحر ٦٥/٧ رقم ١٨١٢.

بعد هذه الإحياءات المكشوفة، نخيل من معنى أن يخلو رجل بامرأة متزوجة في بيتها، وفي غيبة زوجها، وأنها تطعمه، وتغلى له رأسه، أى أن الكلفة قد زالت بينهما تماماً، وأنها تعامله، كما تعامل زوجها.. ثم يقول : "وجعلت تغلى له رأسه، فنام رسول الله ثم استيقظ" ولا بد أن القارئ سيسأل ببراءة ... وأين نام النبي وكيف نام، وتلك المرأة تغلى له رأسه، وآلاف الأسئلة تدور حول هدف واحد هو ما قصده البخارى بالضبط^(١).

ويجاب عن ما سبق بما يلي :

أولاً : لنا أن نتساءل : لماذا كل هذا الحقد على الإمام البخارى؟ ولماذا الحمل على البخارى - رحمه الله - فى هذه الرواية، والتشنيع عليه، مع أن غيره من علماء الحديث شاركه فى رواية هذا الحديث؟ إنه لم يخترع، ولم يؤلف، ولم يشطح به الخيال!

لقد نقل ما سمعه من شيوخه الثقات، مما سمعوه من شيوخهم، إلى أن وصل النقل إلى الرسول ﷺ، أو إلى الصحابى الذى روى عن الرسول ﷺ.

والناقل لا يطلب منه إلا التأكد من صحة ما نقل، واستيفاء شروط النقل ولا يكون مسؤولاً عن ذات الشئ المنقول، لأن ناقل الكفر ليس بكافر بمجرد نقله لذلك.

لقد أعماهم الحقد على كل ما يتصل بالسنة، ورواتها، فصبوه صباً عليهم، واختص البخارى بأشد أنواع الحقد؛ لأنه جمع أصح الروايات، وبذل أقصى الجهود. وذنّب البخارى عندهم، أنه أخلص. وبذل حياته وماله فى جمع السنة، ونقد الحديث، واستخلص صحيحه من صفوة الصفوة من الحديث، ورسم المناهج، وقعد القواعد، وأصل الأصول.

من أجل ذلك عابوه وشتموه، وحاولوا تشويه صورته، ونطحوه بقرون حقدهم، يريدون القضاء على جهوده، وإيادته عمله، ولو استطاعوا لأخرجوا رفاته، فصبوا عليه ويلاتهم. ولكن هيهات فهم كما قال اللائل :

(١) لماذا القرآن ص ٩٢ - ٩٤، وقراءة فى صحيح البخارى ص ٤١ - ٤٦ كلاهما لأحمد صبحى منصور وينظر : دين السلطان لنيازى عز الدين ص ٥٣، والخذعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص ٧٣، ٧٥، وأهل السنة شعب الله المختار ص ٢٧٢، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص ٦١ - ١٢٤، ثلاثهم لصالح الوردانى، والسلطة فى الإسلام لعبد الجواد ياسين ص ٢٦٩، ٢٦٨.

كناطح صخرة يوما ليوهنها *** فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ثانيا : وماذا فى قصة أم حرام :

إن البخارى - رحمه الله - ذكرها فى صحيحه فى كتاب الاستئذان، باب "من زار قوما فقال عندهم".

والقوم يطلق فى الغالب على الجماعة، وكان البخارى يرى أن ما يرويه من الحديث، فى زيارة واحد وهو الرسول ﷺ، لجماعة وهم أهل البيت الذى فيه أم حرام.

وهذا من فقهه فى تراجمه الذى رفع مكانته بين العلماء، وأثار إعجاب كل متابع له فى فهم معانى الحديث.

ثم روى البخارى الحديث عن أنس بن مالك، وأم سليم هى أم أنس، وأم حرام هى أخت أم سليم، وهنا يظهر جليا أن البيت الذى كان يقبل فيه رسول الله ﷺ، هو بيت فيه أم سليم، وأختها أم حرام، وأنس بن أم سليم.

وقد ورد فى المسند عن أنس "أن رسول الله ﷺ صلى فى بيت أم سليم، وأم سليم، وأم حرام خلفنا، ولا أعلمه إلا قال : أقامنى عن يمينه"^(١) فأى ضمير فى أن يكرم الرسول ﷺ، أنسا خادمه، فيدخل بيته يقبل فيه، ويأكل، وفى هذا البيت أمه، وخالته، وقد يكون فيه غيرهما زوج أم سليم، أو زوج أم حرام، أو زوجهما.

وسبب آخر لإكرام الرسول ﷺ، أهل هذا البيت بالزيارة، مع أن غيرهم كثير ممن يود أن يتشرف بالرسول ﷺ فى مثل هذه الزيارة. لقد استشهد أخوهما فى سبيل الله، فكان رسول الله ﷺ يواسيها معا بهذه الزيارة، حيث أنهما كانتا فى دار واحدة، كل واحدة منهما فى غرفة من تلك الدار^(٢).

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٢٣٩/٣، وأبو يعلى ورجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٨٢/٨.

(٢) فلا تعارض حيث، حيث نسب الراوى الزيادة تارة إلى أم سليم، وتارة إلى أم حرام ينظر : فتح البارى ٦٠/٦ رقم ٢٨٤٤، ٨١/١١ رقمى ٦٢٨٢، ٦٢٨٣.

فمن أنس بن مالك رضى الله عنه "أن النبی ﷺ، لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة، غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، فقيل له، فقال : إني أرحمها؛ قتل أخوها معي" (١) يعنى حرام بن ملحان (٢) وكان قد قتل يوم بئر معونة .

وفى تعليقه ﷺ "إني أرحمها" فيه أنه خلف حرام بن ملحان فى أهله بخير بعد وفاته، ولذا ذكر البخارى الحديث السابق فى كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، وهذا من فقهه ودقته - رحمه الله .

فكانت زيارته ﷺ لأم سليم وأختها أم حرام، عملاً بما قاله ﷺ : "من جهز غازياً فى سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً فى سبيل الله بخير فقد غزا" (٣) .

وفضلاً عن ما سبق، فقد غنم المسلمون من هذه الزيارة علماً من أعلام النبوة، فى أخبار الرسول ﷺ، عما سيكون قبل وقوعه، حيث أراه الله له، وإخباره أم حرام بأنها من الأولين ركاب السفن الغازية. وتحقق ما أخبر به من ركوبها وغزوها ثم استشهادها الذى حال بينها وبين أن تكون من أهل السنن الغازية التى تلت ذلك، ورآها الرسول ﷺ .

ثالثاً : من أين جزم أحمد صبحى، ومن قال بقوله؛ بانفراد رسول الله ﷺ مع أم حرام أو أم سليم؟ وكيف قطع بأن أحداً لم يكن معهما؟، وما الذى يمنع أنساً وهو خادمه من الدخول إلى بيت أمه، وهو نفسه بيت خالته؟ وأين أخوه اليتيم، ومن كان من الأزواج حاضراً؟ بل وأين من كان من الأقارب، وكل من حول قباء من الأنصار الذين لا يتركون الرسول ﷺ، وهو يزور قباء، وهم من أخواله الذين نزل بينهم أول قدومه المدينة؟! .

لقد كان الصحابة يحرسون على مرافقة الرسول ﷺ، وكانوا يسعدون بصحبته كلما خرج من بيته، وكانوا يلتسمون رؤيته وسماعه، ورؤية ما يصدر منه .

(١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير ٥٩/٦ رقم ٢٨٤٤ .

(٢) له ترجمة فى : أسد الغابة ٧١٢/١ رقم ١١٢٤، والاستيعاب ٣٣٦/١ رقم ٤٩٧، وتاريخ الصحابة ص ٧٨ رقم ٣٠٢، والإصابة ٣١٩/١ رقم ١٦٥٤ .

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير ٥٨/٦ رقم ٢٨٤٣ من حديث زيد بن خالد رضى الله عنه .

فكيف يزور أم حرام إذا ذهب إلى قباء فلا يجد أحدا يقابله، أو يصلى معه، أو يقابله فى الطريق فيسير معه حتى يسمح له بالانصراف؟! وكيف يدخل بيتا، فلا يدخل إليه فيه من أراد، ممن له حاجة، أو مسألة، أو به رغبة للاستفادة من تجدد رؤيته له، وسعادته بمجالسته ﷺ؟! .

أمور كلها تعد من قبيل الشواهد التى لا تخطئ، والدلالات التى تورث اليقين، بأن النبى ﷺ، حين زار قباء ودخل على أم حرام فى بيتها، كان معهم غيرهما، ولاسيما وجود أنس بن مالك على ما ورد فى روايات الحديث^(١) .

وهذه الشواهد هى التى جعلت الإمام البخارى يعنون لباب القصة بقوله : "باب من زار قوما فقال عندهم" وتأمل جيدا "قوما" .

رابعا : المتأمل فى الحديث يجد قول الراوى : فأطعمته : أى قدمت له طعاما، و"جعلت تغلى رأسى" . فهل يناسب هذا القول : "وجعلت تغلى رأسه" حال الرسول ﷺ وهو يأكل؟ أو حال أنس، وهو جالس إلى خالته حال قيام رسول الله ﷺ بتناول الطعام؟ وألا يمكن أن يقال : إن الرسول ﷺ، بادر إلى النوم قبل تناول الطعام، فأطعمت أم حرام أنسا، وجعلت تغلى رأسه، حتى استيقظ النبى ﷺ يضحك، ويحكى ما رآه من الصحابة فى السفن كالمطوك على الأسرة غزاة فى مسبيل الله؟ يجوز .

إلا أن الذين فى قلوبهم مرض، لا يفتنون لذلك، ولا يسمعون كلام الحافظ الدمياطى وهو يقول : ليس فى الحديث ما يدل على الخلوة مع أم حرام، ولعل ذلك كان مع ولد، أو خادم، أو زوج، أو تابع .

ولا يهمهم قول ابن الجوزى : سمعت بعض الحفاظ يقول : كانت أم سليم أخت أمنة بنت وهب، أم رسول الله ﷺ من الرضاعة، ولا يعبتون بقول ابن وهب : أم حرام إحدى خالات الرسول ﷺ من الرضاعة^(٢) .

(١) يراجع : تخریج حديثنا السابق، مع رواية أحمد فى مسنده والسابقة قريبا .

(٢) ينظر: فتح الباری ١١/٨٠، ٨١ رقمى ٦٢٨٢، ٦٢٨٣، والمنهاج شرح مسلم ٦٧/٧ رقم ١٨١٢ .

لا يهتمهم كل ذلك، ولا يرد على خاطرهم قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها "لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه يبايعهن بالكلام"^(١).

أمور كلها تعد من قبيل الشواهد التي لا تخطئ، والدلالات التي تورث اليقين بأن النبى ﷺ، كان قريباً قرابة محرمة لأم سليم، وأختها أم حرام؛ وخصوصاً وأن بعض الروايات تقول : كان النبى ﷺ، يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، وليست فيه"^(٢).

ورواية تقول : "نام النبى ﷺ، فاستيقظ، وكانت تغسل رأسها، فاستيقظ وهو يضحك، فقالت: يا رسول الله أتضحك من رأسى، قال لا"^(٣).

ومن هنا : فلا إشكال فى تغطية أم حرام لرأس رسول الله ﷺ على فرض الأخذ بظواهر الحديث، لجواز ملامسة المحرم فى الرأس وغيره مما ليس بعورة، وجواز الخلوة بالمحرم والنوم عندها. وهذا كله مجمع عليه^(٤).

وقد يقول قائل : قريبات النبى ﷺ معروفات، وليس منهن أم سليم ولا أم حرام^(٥) والجواب: أننا نتحدث عن مجتمع لم يكن يمسك سجلات للقرابات، وخاصة إذا كانت القرابة فى النساء، فهناك قريبات كثيرات أغفلن التاريخ فى هذا المجتمع، وأهملن الرواة^(٦). وإلا هل يعقل أن يترك أهل الكفر والنفاق - زمن النبوة - مثل هذا الموقف دون استغلاله فى الطعن فى النبى ﷺ، وفى نبوته؟!.

(١) أخرجه مسلم (شرح النووى) كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء ١٤/٧ رقم ١٨٦٦ والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الطلاق، باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية... الخ ٣٣٠/٩ رقم ٥٢٨٨، وكتاب الأحكام، باب بيعة النساء ٢١٦/١٣ رقم ٧٢١٤ .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبى ﷺ ٩٥/٨ رقم ٢٣٣١ .
(٣) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد، باب فضل الغزو فى البحر ٧/٣ رقم ٢٤٩٢، ورجاله كلهم ثقات فالإسناد صحيح أهد.

(٤) ينظر : المنهاج شرح مسلم ٦٧/٧ رقم ١٨١٢ .
(٥) بالغ الحافظ الدمياطى فى الرد على من ادعى المحرمية... وقال : أمهاته من النسب، واللاتى أَرْضَعْنَهُ، معلومات ليس فيهن أحد من الأنصار البتة. سوى أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو... ينظر : فتح البارى ٨١/١١ رقمى ٦٢٨٢، ٦٢٨٣ .

(٦) ينظر : السنة فى مواجهة أعدائها لفضيلة الدكتور طه حبيشى ص ٢٠٤ .

خامساً : ليس فى روايات القصة، ما يدل على ما زعمه أحمد صبحى، ومن قال بقوله : من دخول رسول الله ﷺ على أم حرام فى غيبة زوجها لأن أم حرام؛ كانت قد تزوجت مرتين، تزوجت مرة قبل عبادة بن الصامت، وأنجبت، ثم قتل ابنها شهيداً فى إحدى معارك الإسلام، وبقيت بغير زوج لكبر سنها، ثم شاء الله أن تتزوج بعبادة بن الصامت ويبقى معها بعد انتقال النبى ﷺ، وقد وقع ذلك فى كلام أنس بن مالك نفسه، وهو يحدث عن خالته بالحديث الذى هو موضوع كلامنا الآن. ففى بعض روايات الحديث قال : ثم تزوجت بعد ذلك بعبادة بن الصامت رضى الله عنه.

أما هذه الجملة التى وقع عليها - الذين فى قلوبهم مرض - والواردة فى بعض روايات هذا الحديث وهى : "كانت عبادة بن الصامت" فقد أجمع العلماء أن هذه الجملة معترضة، وهى من كلام الراوى يشرح بها حال أم حرام حين ذهبت إلى بلاد الشام، أو إلى جزيرة قبرص، وماتت بها.

فالمراد بقوله هنا : "وكانت تحت عبادة" الإخبار عما آل إليه الحال بعد ذلك، وهو الذى اعتمده النووى، وغيره تبعاً للقاضى عياض، ورجحه ابن حجر^(١).

قلت : وحتى لو كان عبادة حينئذ تحتها، فلا شك أنه كان يسره، أكل النبى ﷺ، مما قدمته له امرأته، ولو كان بغير إذن خاص منه.

كما أن دخوله ﷺ، على زوجته حينئذ فى غير وجوده، لا إشكال فيه، لقربة لم حرام لرسول الله ﷺ ولأنه لم يكن وحده ﷺ، على ما تقرر سابقاً، على فرض عدم القرابة.

ولعصمته ﷺ، مع كل ما سبق أولاً وأخيراً^(٢).

(١) ينظر : فتح البارى ٧٥/١١ رقمى ٦٢٨٢، ٦٢٨٣، والمنهاج شرح مسلم ٦٩/٧ رقم ١٨١٢ .
(٢) ذهب بان حجر والسيوطى وغيرهما إلى اختصاصه ﷺ بالخلة بالأجنبية، وإباحة النظر إليها لعصمته من الشيطان، ينظر : فتح البارى ٨١/١١ رقمى ٦٢٨٢، ٦٢٨٣، ٥٩/٦ رقم ٢٨٤٤، والخصائص الكبرى للسيوطى ٤٣١/٢، ٤٣٢ .

سادساً : ما زعمه أعداء عصمته ﷺ، وحاولوا إيهام القارئ لهم، بأن روايات الحديث فيها أن النبي ﷺ، كان يبادل أم حرام كلمات غير مقبولة، عصمه الله من ذلك .

فهذا منهم من أفرى الفرى على رسول الله ﷺ، وروايات القصة ترد عليهم، فكل ما فيها أنه ﷺ، زار أم حرام، ونام عندها، واستيقظ يضحك، وسألته أم حرام عن الأمر الذى يضحك منه، فأخبرها أن ناساً من أمته سيركبون البحر، ظهره، ووسطه، ويكونون فيه، وهو أمر فيه أمثال الملوك على الأسرة، وهذا أمر يسعد النبي ﷺ، ويرضيه، لما فيه من المخاطر ما فيه، إن فيه خطر ركوب البحر، وفيه الجهاد، وما فى الجهاد من أهوال، وفيه احتمال الموت والشهادة، وأم حرام تعرف ذلك وتذكره، ثم تطمع فيه وتبتغيه، وتسال النبي ﷺ الذى لا ترد دعوته، وتقول له : سل الله أن يجعلني منهم، والنبي سأل ربه، واستجاب له ربه عز وجل، فسألته أم حرام بعد أن نام المرة الثانية فى الوقت نفسه، وقام يضحك، مم تضحك يا رسول الله؟ فقال : كما قال فى الأولى : "إن ناساً من أمتى سيركبون البحر مثل الملوك على الأسرة، قالت : يا رسول الله! أنا منهم، قال، لا، أنت من الأولين".

ومرت الأيام، وركبت أم حرام مع زوجها، وعلى ساحل البحر، ركبت دابة، فسقطت من على دابتها فماتت، وقبرها على رأى البعض ما يزال ظاهراً، يعرفه الناس فى قبرص باسم قبر المرأة الصالحة .

أى حديث هذا الذى جرى بين النبي ﷺ، وبين أم حرام رضى الله عنها؟ إنه حديث عن المخاطر والأهوال، وهو حديث عن الموت والشهادة، وهو حديث عن استكمال الذات إلى ساعة الممات، وهو حديث فرح النبي ﷺ بأمره حين ينتشرون بالدين ويحملون لواء الجهاد .

إن مثل هذا الحديث : لهو حديث الرجولة والكمال، وهو حديث الطمع فى رحمة الله ورضوانه .

فما علاقة مثل هذا الحديث الشاق بأحاديث الرضا، ومتابعة هوى النفس؟! .

وأين ما يزعمه أعداء الإسلام، إن فى القصة إحياءات وإشارات مقصودة تجعل القارئ يتشكك فى أخلاق النبي ﷺ وعصمته فى سلوكه؟! .

وأين كانت أختها أم سليم، وابنها وابن أختها أنس راوى الحديث، من هذه الإحياءات؟.

وَلَمْ يُمْ يَنْقُلْهَا الرِّوَاةُ، وَهُمْ الَّذِينَ يَحْرَصُونَ عَلَى نَقْلِ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ حَتَّى الْحَرَكَاتِ
وَالسَّكَنَاتِ عَنِ الْمَعْصُومِ عليه السلام ١٢٠.

إن المرء ليس ليسمع الحديث الصحيح، فيدركه على وجهه، إن كان سليم النفس، حسن
الطوية، وهو ينحرف به إذا كان إنساناً مريض النفس معوجاً.

وَهَلْ يَنْضَحُ الْبُئْرُ إِلَّا بِمَا فِيهِ؟

وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَتَطَلَّبَ مِنَ الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارٍ؟.

أَوْ نَغْتَرِفَ مِنَ النَّارِ مَاءً؟

وَقَدِيمًا قَالُوا : إِنْ كُلُّ إِنَاءٍ بِمَا فِيهِ يَنْضَحُ .

أشهد أن الله عز وجل، عصم نبيه عليه السلام، من الشيطان الرجيم، وعصمه في سلوكه وهديه،

وصدق فيه قول ربه : ﴿وَأِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ (١) أهـ .

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

(١) الآية ٤ القلم، وينظر : السنة في مواجهة أعدائها ص ٢٠٢ - ٢٠٦ بتصرف .

الفصل الرابع

شبهة الطاعنين في حديث "طوانه" على نسائه في ساعة واحدة والرد عليها

روى البخارى وغيره عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ يدور على نسائه، فى الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة^(١) قال قتادة : قلت لأنس : أو كان يطيقه؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين^(٢).

وفى رواية عن ابن عمر مرفوعاً : "أعطيت قوة أربعين فى البطش والجماع"^(٣) وله شاهد صحيح عن أنس بن مالك، قال : قال رسول الله ﷺ "فضلت على الناس بأربع : بالسخاء، والشجاعة، وكثرة الجماع، وشدة البطش"^(٤).

هذا الحديث الذى يبين ما اختص به رسول الله ﷺ، دون غيره من الناس، ويبين عدله ﷺ بين أهل بيته، يطعن فيه أعداء السنة النبوية، بزعم أنه تشويه صورة الرسول ﷺ،

(١) تفرد بذلك معاذ بن هشام عن أبيه، ورواه البخارى أيضاً عن سعيد بن أبى عروبة وغيره عن قتادة، فقالوا : "تسع نسوة" وهى الرواية الراجحة، ورواية هشام محمولة على أنه ضم مارية، وريحانة إليهن" وأطلق عليهن لفظ "نسائه" تغليبا أه ينظر : فتح البارى ٤٤٩/١ رقم ٢٦٨، والمواهب اللدنية وشرحها للزرقانى ٣٧٧/٦ - ٣٧٩ .

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد، ومن دار على نسائه فى غسل واحد ٤٤٩/١ رقم ٢٦٨، وباب الجنب يخرج ويمشى فى السوق وغيره برقم ٢٨٤، وكتاب النكاح، باب كثرة النساء ١٥/٩ رقم ٥٠٦٨، وباب من طاف على نسائه فى غسل واحد برقم ٥٢١٥، وأخرجه النسائى فى سننه الكبرى كتاب عشرة النساء، باب طواف الرجل على نسائه فى الليلة الواحدة ٣٢٨/٥ رقمى ٩٠٣٣، ٩٠٣٤، وأحمد فى المسند ١٦٠/٣، ١٦٦، ٢٣٩، ٢٥٢، ٢٩١، وللحديث شاهد عن سلمى مولاة رسول الله ﷺ أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ١٩٢/٨ .

(٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ١٧٨/١ رقم ٥٦٧، وفيه المغيرة بن قيس، وهو ضعيف، كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٩٣/٤، وأخرجه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده ينظر : المطالب العالىة بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر ٢٧/٤ رقم ٣٨٦٩، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ١٩٢/٨ مرسلأ عن مجاهد، وطاووس، وصفوان بن سليم، وقال السيوطى فى الخصائص الكبرى ١١٩/١ رواية صفوان جيدة على إرسائها .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ٤٩/٧ رقم ٦٨١٦، وإسناد رجاله موثقون كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٦٩/٨ .

ويطعن في عصمته في سلوكه، حيث يجعل الحديث بزعمهم من رسول الله ﷺ مهووساً بالجماع؛ كما زعموا أن الحديث يتعارض مع القرآن الذي يبين أن النبي كان يقضى ليله في قيام الليل، وقراءة القرآن والعبادة، ويقضى نهاره في الجهاد ونشر الدعوة.

يقول أحمد صبحي منصور : "البخارى يجعل من النبي مهووساً بالجماع إلى درجة لا يعرفها أشد الرجال فحولته، ولا أعرف من أين لهم ذلك القياس الذي جعلوا به مقدرة النبي - المزعومة - تبلغ قوة ثلاثين رجلاً؟".

ولكن هل كان النبي فعلاً يقضى الليل والنهار في جماع مستمر؟ وهل كان أصحابه خلفه يهتفون بقدرته الفذة في النكاح؟ أو هل كانت سنة النبي هي في الجماع؟.

إن النبي كان يقضى ليله في قيام الليل، وقراءة القرآن والعبادة، ويقضى نهاره في الجهاد، والسعى في توطيد أركان دولته الجديدة، ولم يكن لديه متسع من الوقت ليقطعه في جماع متصل لجميع النساء، وفي وقت واحد... ولم يكن أصحابه لديهم الفراغ ليشجعوه ويهتفوا لفحولته الخارقة.

أمامنا نوعان من السنة، أى : طريقة الحياة اليومية للنبي... السنة التي ذكرها الرحمن في القرآن : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِّ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ﴾^(١) والسنة التي ذكرها البخارى في صحيحه، ولا يمكن أن نؤمن بالاثنتين معا^(٢).

وبنحو قوله قال صالح الورداني، وزاد : "إن الذين اختلقوا هذه الروايات إنما كانوا يهدفون من ورائها إلى تشويه شخصية الرسول ﷺ"^(٣).

(١) الآية ٢٠ المزملة.

(٢) قراءة في صحيح البخارى ص ١٨ - ٢٠، ٢٩، ولماذا القرآن أو القرآن وكفى ص ٨٨، ٨٩، ٧٢، ٧٣.

(٣) الخدعة رخلق من السنة إلى الشيعة ص ٧٥، ٧٦، وأهل السنة شعب الله المختار ص ٧٠ - ٧٥ كلاهما لصالح الورداني، وينظر : دين السلطان لنيازى عز الدين ص ٤٥١، ٤٥٤، ٦٠٦، ٧٢٨، ٩٥٨، والإسلام بدون حجاب - بحث مستل من شبكة الإنترنت ص ٢٦، وحقائق ثابتة في الإسلام لابن الخطيب ص ١٥، ١٦.

ويجاب عن ما سبق بما يلي :

أولاً : ليس فى رواية رواية السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى أئمة المحدثين كالبخارى ومسلم وغيرهما؛ ليس فى روايتهم الحياة الخاصة لرسول الله ﷺ، ما يشوه سيرته العطرة .

لأن رسول الله ﷺ معصوم فى سلوكه وهديه، وما ينقل عنه من حياته الخاصة دين، وللأمة فيه القدوة والأسوة الحسنة، وليس أدل على ذلك، ما سبق ذكره من اختلافهم فى جواز القبلة للصائم، وفى طلوع الصبح على الجنب وهو صائم، فسألوا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فأخبرتهم أن ذلك وقع من النبى ﷺ، فرجعوا إلى ذلك، وعلموا أنه لا حرج على فاعله^(١).

وهذا النقل لما يخصه ﷺ فى حياته الخاصة، حث عليه، وكان بإذنه بدليل ما روى أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ، عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل، هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة، فقال ﷺ : "إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل"^(٢).

كما دل على أن هذا النقل من الدين قوله تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾^(٣) فهذا نص قرآنى صريح يأمر بحسن صحبة الزوجة بكل ما تعنيه كلمة "المعروف"^(٤).

ومعلوم أن مراد الله فى كتابه، من مهامه ﷺ، لقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٥).

ومن هنا : كان نقل هذا البيان فى الحياة الخاصة لرسول الله ﷺ قولاً وعملاً، دين واجب ذكره، لتتعلم الأمة المراد بخطاب ربها : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ولذا ذكر العلماء من حكم كثرة أزواجه ﷺ :

-
- (١) سبق ذكر الأحاديث الدالة على ذلك ص ٢٠ .
(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحيض، باب نسخ "الماء من الماء" ٢٧٦/٢ رقم ٣٥٠ من حديث عائشة رضى الله عنها .
(٣) الآية ١٩ النساء .
(٤) سيأتى بعد قليل تفسير المراد بالمعاشرة بالمعروف .
(٥) الآية ٤٤ النحل .

١- نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفى مثله.

٢- الاطلاع على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ، الباطنة، فقد تزوج ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان^(١) وأبوها إذ ذاك يعاديه، وصفية بنت حي بن أخطب، بعد قتل أبيها وعمها وزوجها.

فلو لم يكن ﷺ، اكمل الخلق في خلقه لنفرن منه! بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلن^(٢).

قلت : وفيما سبق من حكم كثرة أزواجه وغيرها، تأكيد لعصمته ﷺ في سلوكه وهديه مع أزواجه الأطهار. لأنه إذا كان ما يقع مع الزوجة، مما شأنه أن يختفى مثله عن الناس، لما فيه من نقص في قول أو عمل، فهذا بخلاف سيدنا رسول الله ﷺ لعصمة الله عز وجل له، فقله وعمله مع أهل بيته كله كمال، ومما تقتضى به الأمة. وإليك بيان ذلك في حديثنا.

ثانيا : لا وجه على ما سبق لإنكار أعداء السنة، لما ينقل من أحوال رسول الله ﷺ مع أهل بيته، وزعمهم أن في ذلك تشويه لشخصيته وسيرته العطرة، لأن في ذلك المنقول، بيان لعصمته، وعظمة شخصيته، ومحاسن أخلاقه الباطنة مع أهل بيته، وهذا ما دل عليه حديثنا، حيث فيه البيان العملي منه ﷺ، لما حث عليه قولا.

فعن عائشة رضی الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إن من أكمل المؤمنين إيمانا، أحسنهم خلقا، وألطفهم بأهله"^(٣) وعننا أيضا عن رسول الله ﷺ قال: "خيركم خيركم لأهله، وأنا

(١) اسمها : رملة، كانت من السابقين إلى الإسلام، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله، فولدت هناك "حبيبة" فتتصر عبيد الله، ومات بالحبشة نصرانيا، وبقيت أم حبيبة مسلمة بأسر الحبشة، فأرسل رسول الله ﷺ إلى النجاشي بتزويجه إياها. ماتت سنة ٤٤هـ لها ترجمة في : أسد الغابة ١١٦/٧ رقمي ٦٩٣٢، ٧٤٠٩، والاستيعاب ١٨٤٣/٤ رقم ٣٣٤٤، وتاريخ الصحابة ص ١٠٣ رقم ٤٥٥.

(٢) ينظر : فتح الباري ٤٥١/١ رقم ٢٦٨، ١٧/٩ رقم ٥٠٦٩.

(٣) أخرجه الترمذی في سننه كتاب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان ١٠/٥ رقم ٢٦١٢ والنسائي في سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب لطف الرجل بأهله ٣٦٥/٥ رقم ٩١٥٤، وأحمد في المسند ٤٧/٦، ٩٩، وهو مرسل من حديث أبي قلابة عن عائشة، وهو لم يسمع من عائشة، ولكن للحديث شواهد، معناه، منها الحديث الذي بعده، وهو حديث صحيح، فدل على أن=

خيركم لأهلي^(١) وهذه الأقوال منه ﷺ تأكيداً وبياناً لقول رب العزة : ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهي كلمة جامعة تعنى : التحلى بمكارم الأخلاق فى معاملة الزوجات، من صبر على ما قد يبدر منهن، أو تقصير فى أداء واجباتهن، ومن حلم عن إيذائهن فى القول أو الفعل، وعفو وصفح عن ذلك، ومن كرم فى القول والبذل، ولين فى الجانب، ورحمة فى المعاملة، إلى غير ذلك مما تعنيه المكارم الأخلاقية التعليلية الأسرية.

وذلك هو ما دل عليه حديثنا "عنده ﷺ بين نسائه فى القسم" كما قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : "كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم من مكثه عندنا، وكان قل يوم يأتى إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنوا من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التى هو يومها فيبيت عندها"^(٢).

وهذا الحديث نص صريح يبين لنا حقيقة طوافه ﷺ على نسائه جميعاً فى الساعة الوحيدة من الليل والنهار.

إنه طواف حب، ومداعبة، بدون جماع، حتى يبلغ إلى التى هو يومها فيبيت عندها، كما هو ظاهر كلام عائشة رضى الله عنها.

ولا يتعارض مع ظاهر حديث أنس رضى الله عنه، فى أن حقيقة طوافه ﷺ على نسائه جميعاً بجماع.

إذ الجمع بينهما حينئذ يكون، بحمل المطلق فى كلام أنس على المقيد فى كلام عائشة ووجه آخر : بحمل كلام عائشة على الغالب، وكلام أنس على القليل النادر، فلا مانع من أنه ﷺ

=للحديث أصلاً، ولذلك صححه الترمذى مع تصريحه بعدم سماع أبى قلابة من عائشة، وقال : وفى الباب عن أبى هريرة، وأنس بن مالك، رضى الله عنهما.

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبى ﷺ ٦٦٦/٥ رقم ٣٨٩٥ وقال : حسن غريب صحيح، وأخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب النكاح، باب حسن عشرة النسلاء ٢٦٠/١ رقم ١٩٧٧، وابن حبان فى صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) ١٨٨/٦، ١٨٩ رقم ٤١٦٥.

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء ٢٤٢/٢ رقم ٢١٣٥ وفيه عبد الرحمن بن أبى الزناد (صدوق) كما قال فيه الحفاظ فى تقريب التهذيب ٥٦٩/١ رقم ٣٨٧٥ وبقيّة رجاله ثقات - فالإسناد حسن أھـ.

إذا طاف على نساته جميعاً في بعض الأحيان يكون بجماعين جميعاً، وتكون له ﷺ القدرة على ذلك، لم يختصه الله به من القوة وكثرة الجماع، وهو صريح قوله ﷺ : "فضلت على الناس بأربع: كثرة الجماع، وشدة البطش... الحديث" (١).

وقوله ﷺ : "أعطيت قوة أربعين" (٢) في البطش والجماع" (٣) وفي ذلك تصريح بأن الصحابة رضی الله عنهم، كانوا يتحدثون عن قوة رسول الله ﷺ، في الجماع من خلال نحو هذه الأحاديث المرفوعة، ولا يتحدثون بالقياس والظن و... كما يزعم أعداء خصائصه وعصمته ﷺ. ثالثاً : ليس للنائل لخصائص رسول الله ﷺ، من رواة السنة والسيرة، أى دخل فيها سوى النقل، وأداء الأمانة، أمانة الدين، كما قال ﷺ : "تضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه" (٤) وقوله ﷺ : "بلغوا عني ولو آية... الحديث" (٥) فإذا أدوا هذه الأمانة، كان لهم خير الجزاء من ربهم، والشكر الجميل منا، لم أدوا إلينا من الدين!

أما الافتراء عليهم والزعم بأنهم يتدخلون فيما ينقلون، ويجعلون من النبي ﷺ قوة في الجماع لا يعرفها أشد الرجال فحولة... الخ (٦) فهذا محض كذب عليهم، لا دليل عليه، ونكران جميلهم وفضلهم، واستخفاف بعقل القارئ!

رابعاً : إنكار أعداء العصمة، لم اختص به سيدنا رسول الله ﷺ في حديثنا هذا من قوة البدن، وكثرة الجماع، إنكار لكتاب الله عز وجل، وردّ على رب العزة كلامه، القائل : ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ (٧).

ومع أن كثرة أزواجه ﷺ، يشترك فيها مع من سبقه من الأنبياء كما قال عز وجل : ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ (٨).

(١) سبق تخريجه ص ٤٦٢ .

(٢) وهذا ليس بمعارض برواية الصحيح السابقة "قوة ثلاثين" لأنه ليس في ذكر القليل نفى الكثير، ولجواز أنهم تحدثوا بذلك قبل بلوغهم الزيادة أهـ ينظر : شرح الزرقاني على المواهب ٣٧٩/٦ .

(٣) سبق تخريجه ص ٤٦٢ .

(٤) سبق تخريجه ص ١٦ .

(٥) سبق تخريجه ص ٢٦٣ .

(٦) يراجع : كلام أحمد صبحي السابق ص ٤٦٣ .

(٧) الآية ٢٥٣ البقرة .

(٨) الآية ٣٨ الرعد .

وكذلك طوافه ﷺ على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار يشترك فيها مع من سبقه من الأنبياء، كما دل على ذلك قوله ﷺ : «كان لسليمان ستون امرأة^(١)» فقال : لأطوفن عليهن الليلة. فتحمل كل واحدة منهن غلاما فارسا يقاتل في سبيل الله، فلم تحمل منهن إلا واحدة فولدت نصف إنسان. فقال رسول الله : لو كان استثنى لولدت كل واحدة منهن غلاما، فارسا، يقاتل في سبيل الله^(٢).

إلا أنه ﷺ، اقتص في طوافه بخرق العادة له في كثرة الجماع، مع النقل من المأكول والمشروب، وكثرة الصيام والوصال، وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم، وأشار إلى أن كثرة تكسر شهوته^(٣) فانخرقت هذه العادة في حقه ﷺ^(٤).

خامساً : ليس في الحديث كما يزعم أعداء السنة، ما يتعارض مع كتاب الله عز وجل، ويشغله ﷺ عن قيام الليل متهجدا لربه عز وجل : قال تعالى : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^(٥) وقال سبحانه : ﴿إِن رَّبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ﴾^(٦).

(١) محصل الروايات في العدد : ستون، وسبعون، وتسعون، وتسع وتسعون، ومائة، وهذا كله ليس بمعارض، لأنه ليس في ذكر القليل نفى الكثير، والجمع بين ذلك أن الستين كن حرائر، وما زاد عليهن كن سرارى أو بالعكس، وأما السبعون فللمبالغة، وأما التسعون، والمائة، فكن دون المائة، وفوق التسعين، فمن قال تسعون ألغى الكسر، ومن قال مائة جبره، ومن ثم وقع التردد في بعض الروايات أهـ: ينظر : فتح الباري ٥٣١/٦ رقم ٣٤٢٤، والمنهاج شرح مسلم ١٣٤/٦ رقم ١٦٥٤.

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان والنذور، باب الاستثناء ١٣١/٦ رقم ١٦٥٤، والبخارى (بشرح فتح الباري) في عدة أماكن منها، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ٥٢٨/٦ رقم ٣٤٢٤.

(٣) فعن ابن مسعود قال : كنا مع النبي ﷺ شبابا لا نجد شيئا، فقال لنا رسول الله ﷺ : يا معشر الشباب، من استطاع الباءة، فليتزوج، فإنه أغض البصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء" أخرجه البخارى (بشرح فتح الباري) في عدة أماكن منها، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم ١٤/٩ رقم ٥٠٦٦، ومسلم (بشرح النووي) كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تأقت نفسه إليه ١٨٥/٥ رقم ١٤٠٠.

(٤) ينظر : فتح الباري ١٧/٩ رقم ٥٠٦٩.

(٥) الآية ٧٩ الإسراء.

(٦) الآية ٢٠ المزمل.

لأن الحديث واضح وصريح في طوافه ﷺ على نسائه في ساعة واحدة من النهار أو الليل، والساعة هي قدر يسير من الزمان، لا ما اصطلاح عليه أصحاب الهيئة^(١).

والساعة هنا : هي حق له، ولأهل بيته^(٢) ولا تشغله عن حق ربه عز وجل، ولا عن حق رسالته، ونشر دعوته فهو القائل ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، لم أخبر عنه، أنه يصوم النهار أبداً، ويقوم الليل، ويقرأ القرآن كله ليلة، خاطبه رسول الله ﷺ بقوله : "فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً"^(٣).

وهكذا كان رسول الله ﷺ، في سيرته يعطى كل ذى حق حقه، يدل على ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها سألت، ما كان النبي ﷺ، يصنع في أهله؟ قالت : كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة، قام إلى الصلاة"^(٤) وفي رواية قالت : "كان بشراً من البشر، يلقى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه"^(٥).

وتلك هي سنته ﷺ، العدل، وإعطاء كل ذى حق حقه، فمن كان عليها فقد اهتدى، ومن كان عمله على خلافها فقد ضل، وذلك ما صرح به المعصوم ﷺ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : "كانت مولاة للنبي ﷺ تصوم النهار، وتقوم الليل، فقيل له، إنها تصوم النهار، وتقوم الليل، فقال رسول الله ﷺ : "إن لكل عمل شرة"^(٦) والشرة إلى فترة"^(٧) فمن كان فترته إلى سنتي

(١) ينظر : فتح الباري ٤٤٩/١ رقم ٢٦٨ .

(٢) وهذا على خلاف بين العلماء في حكم القسم في حقه، فهو وإن لم يكن واجبا عليه، على القول المرجوح عند الشافعية وكثيرين، وهو الراجح عند المالكية وطائفة، لكنه ﷺ، التزمه تطييباً لنفوسهن أهد ينظر : شرح الزرقاني على المواهب ٣٨٠/٦، وفتح الباري ٤٥١/١ رقم ٢٦٨، ١٥/٩، ١٦ رقم ٥٠٦٧ .

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) في عدة أماكن منها. كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم ٢٥٦/٤ رقم ١٩٧٥، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ٢٩٥/٤ رقم ١١٥٩ .

(٤) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) في عدة أماكن منها. كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله ٤٧٦/١٠ رقم ٦٠٣٩، وكتاب الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج ١٩١/٢ رقم ٦٧٦ .

(٥) أخرجه الترمذى في الشمائل المحمدية ص ١٩٤ رقم ٣٢٥، وفي سنته كتاب صفة القيامة، باب منه، ٥٦٤/٤ رقم ٢٤٨٩ وقال : حسن صحيح .

(٦) أى : حدة ونشاط زائد. ينظر : مختار الصحاح ص ٣٣٤، وتاج العروس ٣٨٩/٣ .

(٧) أى : هدوء ونشاط معتدل. ينظر : النهاية ٣٦٦/٣، ومختار الصحاح ص ٤٨٩ .

فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل^(١) وما حث عليه ﷺ في أن يكون نشاط المسلم واستقراره على سنته المطهرة، وسيرته العطرة، لا يكون إلا بالعدل، وإعطاء كل ذي حق حقه، لربه، ولجسده، ولأهله... إلخ ولأنه ﷺ، لا يخالف قوله عمله، كان طوافه على نسائه جميعاً، سواء بمسيس أو بدونه، من العدل بإعطاء كل ذي حق حقه، بدون أن يشغله ذلك عن حق ربه عز وجل وإليك نماذج من قيامه الليل بما لا يتعارض مع طوافه على نسائه!.

١- فعن عائشة رضي الله عنها، قالت : "ما صلى رسول الله ﷺ العشاء قط فدخل عليّ، إلا صلى أربع ركعات، أو ست ركعات^(٢) ثم يأوى إلى فراشه فهذا تأكيد من زوجته عائشة، بأنه ﷺ، ما ترك قيام الليل، منذ دخل عليها.

٢- وتحكى عائشة رضي الله عنها، أنها : "افترقت رسول الله ﷺ، ذات ليلة تقول : فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه، فتحسست، ثم رجعت، فإذا هو راکع، أو ساجد، يقول : سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت، تقول : فقلت : بأبي وأمي، إنك لفي شأن، وإني لفي آخر^(٣) تعنى : أنها غارت حيث افترقته، وظنت أنه ذهب إلى بعض نسائه، ولكن إذ بها تجده قائماً بين يدي ربه عز وجل يناجيه.

٣- وتوضح عائشة رضي الله عنها، كيف كان رسول الله ﷺ يجمع بين حق الله تعالى في قيام الليل، وبين حق أهل بيته وحقه، فنقول : "كان رسول الله ﷺ، ينام أول الليل، ويحي آخره، ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام، فإذا كان عند النداء الأول قالت : وثب^(٤)

(١) أخرجه البزار في مسنده، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٢٥٨، وأحمد في المسند ٥/٤٠٩ ورجاله رجال الصحيح كما في المصدر السابق ٣/١٩٣، وأخرجه القضاعي في مسنده ٢/١٢٦ رقم ١٠٢٧، وهذا الحديث قاله النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو وهو يعظه في الاعتدال في الصيام والقيام، الذي شغله عن إتيان زوجته، والحديث سبق تخريجه في الصحيحين بدون هذه الزيادة التي أخرجها أحمد في المسند ٢/١٨٨، ١٥٨، ١٦٥، وأخرجه مختصراً ٢/٢١٠، وكذا أخرجه مختصراً ابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) ١/١٠٧ رقم ١١، والقضاعي في مسنده ٢/١٢٦ رقم ١٠٢٦، وابن أبي عاصم في السنة ١/٢٧ رقم ٥١.

(٢) أخرجه أبو داود في سنته كتاب الصلاة، باب الصلاة بعد العشاء ٢/٣١ رقم ١٣٠٣ وفيه زيد بن الحباب العكلى "صدوق" كما قال الحافظ في تقريب التهذيب ١/٣٢٧ رقم ٢١٣٠ وبقية رجاله ثقات - فالإسناد حسن.

(٣) أخرجه النسائي في سنته الكبرى. كتاب عشرة النساء، باب الغيرة ٥/٢٨٧ رقم ٨٩١٠ ورجاله كلهم ثقات - فالإسناد صحيح.

(٤) أى : قام بسرعة اهتماماً بالعبادة، والإقبال عليها بنشاط.

ولا والله : ما قالت قام، فأفاض عليه الماء، ولا والله : ما قالت : اغتسل. وأنا أعلم ما تريد، وإن لم يكن جنباً توضأ وضوء الرجل للصلاة. ثم صلى الركعتين^(١).

فتأمل : كيف جعل رسول الله ﷺ، الجماع تابعاً لقيام ليله، وبعد فراغه منه، ثم ينام، حتى إذا دخل وقت الفجر قام بسرعة، وبكل نشاط استعداداً لصلاة الفجر، بإفضاء الماء على جسده تطهيراً من الجنابة - إن كان جنباً - وتأمل دقة التعبير قالت : "وثب" يقول الأسود بن يزيد راوى الحديث "لا والله : ما قالت قام... إلخ وإن لم يكن جنباً، توضأ وضوء الرجل للصلاة، ثم صلى الركعتين أى سنة الصبح.

٤- وبفس شهادة عائشة رضی الله عنها، شهد ابن عباس رضی الله عنهما، عندما بات عند خالته أم المؤمنين ميمونة رضی الله عنها.

ففى الصحيحين عنه : أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين رضی الله عنها - وهى خالته - قال : فاضطجعت على عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله فى طولها، فنام رسول الله ﷺ، حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله ﷺ، فجلس، فمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات خواتيم سورة آل عمران، ثم قام إلى شن^(٢) معلقة، فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلى. قال ابن عباس رضی الله عنهما : فقامت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقامت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسى، وأخذ بأذنى اليمنى يفتلها بيده، فصلى ركعتين ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح^(٣).

٥- وحتى عندما زار أم سليم، وأم حرام، وبات عندهما، لم يمنعه ذلك من قيام الليل على ما جاء فى رواية أنس بن مالك رضی الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ فى بيت أم سليم، وأم سليم، وأم حرام خلفنا، ولا أعلمه إلا قال : أقامنى عن يمينه^(٤).

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبی ﷺ فى الليل ٢٧٢/٣ رقم ٧٣٩ .

(٢) أى : قرابة، يرد فيها الماء. ينظر : النهاية ٤٥٢/٢، ٤٥٣ .

(٣) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) فى عدة أماكن منها. كتاب العمل فى الصلاة، باب استعانة اليد فى الصلاة، إذا كان من أمر الصلاة ٨٦/٣ رقم ١١٩٨، ومسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبی ﷺ ودعائه بالليل ٣٠٠/٣ رقم ٧٦٣ .

(٤) سبق تخريجه ص ٤٥٥ .

وبعد : فهل قصر رسول الله ﷺ، مع طوافه على نسائه جميعا فى ساعة واحدة من الليل أو النهار فى قيام الليل؟.

أو هل تعارض حديث طوافه مع كتاب الله عز وجل، كما يزعم أعداء السيرة العطرة؟.

إن حديث طوافه ﷺ، على نسائه جميعاً، يبين بياناً عملياً على ما سبق؛ القرآن الكريم ﴿وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ويبين البيان العملى لخيرية وكمال أخلاقه وعصمته مع أهل بيته، كما قال : "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى" إنه يبين كمال رافته، وحبه، وعدله مع أهل بيته، كما صرحت بذلك عائشة رضى الله عنها "لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم، من مكثه عندنا، وكان قل يوم يأتى إلا وهو يطوف علينا جميعا، فيدنوا من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التى هو يومها، فيبيت عندها".

كما أن الحديث يبين ما اختص به رسول الله ﷺ، وفضل به على سائر الناس من "قوة أربعين رجلاً فى البطش والجماع" والأمر هنا : ليس من عند نفسه، ولا من عند رواة السنة - رحمهم الله - وإنما من عند ربه عز وجل، وهو ما يفيد مجئ لفظ "أعطيت" بالبناء للمجهول. فتأمل .

كما أنه ليس فى كثرة جماعه دليل على (هوسه بالجماع) على حد زعم أعدائه وأعداء عصمته ﷺ؟.

لأن الأمر فى ذلك راجع إلى قيامه بواجب العدل بين أهل بيته، كما أنه يرجع إلى طبيعته البشرية، وما اختصه به ربه عز وجل، ولم يكن فى ذلك كله ما يشغله عن حق ربه عز وجل، فهو مع ما طبعت عليه بشريته من كثرة الجماع، فهو بالإجماع أعبد الناس، ولم يخل بعبادته شيئاً، لأنه ﷺ، لم يكن يأتئها إلا على مشروعيتهما، وهذا هو غاية العصمة والكمال فى البشرية.

وتأمل مع ما سبق من أحاديث قيامه الليل، حديث عائشة رضى الله عنها : "كان رسول الله ﷺ إذا صلى، قام حتى تنفطر رجلاه، فقالت : يا رسول الله : أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : "يا عائشة! أفلا أكون عبداً شكوراً" (١).

صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وعلى آله وسلم ورزقتى قدوة به فى تعدده

وفى عدله مع أهل بيته

(١) سبق تخريجه ص ١٢٧. وللمزيد من بيان هديه ﷺ فى قيام الليل : ينظر : زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣٢٢/١ - ٣٤١. وغيره من كتب شروح السنة السابقة .

الفصل الخامس

شبهة الطاعنين في حديث "مباشرة رسول الله ﷺ نسائه في الحيض" والرد عليها

روى البخارى ومسلم - رحمهما الله - عن عائشة رضى الله عنها، قالت : "كانت إحدانا إذا كانت حائضاً، فأراد رسول الله ﷺ، أن يباشرها، أمرها أن تنزّر^(١) في فور حيضتها^(٢) ثم يباشرها. قالت : وأيكم يملك إربه^(٣) كما كان رسول الله ﷺ، يملك إربه^(٤) .

هذا الحديث وما فى معناه، الذى يبين حدود علاقة الرجل بزوجته وهى حائض، والأحكام المتعلقة بحيضتها، طعن فيه أعداء السنة بحجة أنه يطعن فى عصمة رسول الله ﷺ فى سلوكه، ويخالف بزعمهم القرآن الكريم .

يقول أحمد صبحى منصور : "قالبخارى هنا يعتمد تلك الروايات لأمهات المؤمنين لجعلهن شهود على أن النبى كان يباشرهن وهن حائضات، ويجعل عائشة فى إحدى الروايات تشير إلى خصوصية النبى الجنسية - فى زعمه - بقولها : "وأيكم يملك إربه كما كان النبى يملك إربه".

(١) أى : تشد إزاراً تستر سرتها، وما تحتها إلى الركبة فما تحتها : ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٤٧/١، والمنهاج شرح مسلم ٢٠٨/٢ رقم ٢٩٣ .

(٢) الفور : بفتح الفاء، وإسكان الواو، معناه : أوله، والمراد : وقعت معظم الحيض وكثرته أه ينظر : المصدر السابق ٤٣٠/٣ .

(٣) إربه : بكسر الهمزة مع إسكان الراء، ومعناه : عضوه الذى يستمتع به أى : الفرج، ورواه جماعة بفتح الهمزة والراء، ومعناه : حاجته، وهى شهوة الجماع، والمقصود : أملككم أنفسه، فإمن مع هذه المباشرة الوقوع فى المحرم، وهى مباشرة فرج الحائض، واختار الخطايب هذه الرواية، وأنكر الأولى وعابها على المحدثين. وأقول بصحتها معاً فى حقه ﷺ أه ينظر : المنهاج شرح مسلم ٢٠٨/٢ رقم ٢٩٣، والنهاية ٣٩/١ .

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض ٤٨١/١ رقم ٣٠٢، وكتاب الصوم، باب المباشرة للصائم ١٧٦/٤ رقم ١٩٢٧، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض فوق الإزار ٢٠٧/٢ رقم ٢٩٣، وكتاب الصوم، باب المباشرة للصائم ١٧٦/٤ رقم ١٩٢٧ .

وفى روايات أخرى يجعل البخارى من النبى ملازماً لنسائه لا يفترق عنهن حتى فى المحيض. فيروى أن أم سلمة قالت : "بينما أنا مع رسول الله ﷺ مضطجعة فى خميصه^(١) إذ حضت، فانسلت^(٢) فأخذت ثياب حيضتى، قال : أنفست؟^(٣) قلت : نعم. فدعانى فاضطجعت معه فى الخميلة"^(٤).

يقول أحمد صبحى : وهكذا لا عمل أمام النبى ولا مسؤوليات ملقاة على عاتقه إلا أن يجلس فى الخميلة مع إحدى زوجاته، ولا يمنعه من ذلك حيض أو غيره، بل هناك أكثر من ذلك. يفتى البخارى أن عائشة قالت : "كان النبى ﷺ ينكئ فى حجرى وأنا حائض ثم يقرأ القرآن"^(٥) هكذا ضاقت كل الأماكن واشتد الزحام بحيث يلجأ النبى إلى ذلك تلك هى سنة الرسول التى كتبها البخارى، فما هى سنته فى القرآن؟ يقول تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٦) لم يقل رب العزة "فاعتزلهن" فقط، وإنما أيضاً : "ولا تقربوهن".

(١) بفتح الخاء المعجمة، وبالصاد المهملة، كساء أسود له أعلام يكون من صوف وغيره، وأصحاب يحى ثم أصحاب هشام، كلهم قالوا : خميلة باللام بدل الصاد، وهو موافق لما فى آخر الحديث، قيل : الخميلة. القطيفة، وقيل الطنفسة. وقال الخليل : الخميلة ثوب له حمل أى هدب، وعلى هذا لا منافاة بين الخميصة والخميلة، فكأنها كانت كساء أسود لها أهداب أهد. ينظر : فتح البارى ٤٨٠/١ رقم ٢٩٨، والنهاية فى غريب الحديث ٧٦/٢ .

(٢) بلامين : الأولى مفتوحة، والثانية ساكنة، أى : ذهبت فى خفية بتأن وتدرج أهد النهاية ٣٥٢/٢ .
(٣) بفتح النون، وكسر الفاء، أى : أحضت يقال : نفست المرأة إذا حاضت، ونفست بضم النون من النفاس، قال الحافظ ابن حجر، وهذا قول كثير من أهل اللغة، لكن حكى أبو حاتم عن الأصمعى قال يقال نفست المرأة فى الحيض والولادة، بضم النون فيهما، قال : وقد ثبت فى روايتنا بالوجهين. فتح النون وضمها أهد فتح البارى ٤٨١/١ رقم ٢٩٨ .

(٤) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحيض، باب من سمي النفاس حيضاً ٤٨٠/١ رقم ٢٩٨، ومسلم (بشرح النوى) كتاب الحيض، باب الاضطجاع مع الحائض فى لحاف واحد ٢١٠/٢ رقم ٢٩٦ .

(٥) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحيض، باب قراءة الرجل فى حجر امرأته وهى حائض ٤٧٩/١ رقم ٢٩٧، ومسلم (بشرح النوى) كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ٢١٤/٢ رقم ٣٠١ .

(٦) الآية ٢٢٢ البقرة.

ونحن نؤمن بأن النبي طبق هذه السنة التي فرضها الله عليه، أما البخارى فيؤكد من خلال أحاديثه أن النبي لم يطبق شرع الله. ولكل إنسان أن يختار. هل ينتصر لله ورسوله، أم ينتصر البخارى في كذبه على الله ورسوله^(١) وبنفس كلامه قال غيره من أعداء السيرة المعطرة^(٢).

ويجاب عن ما سبق بما يلي :

أولاً : الإمام البخارى - رحمه الله - لم يخترع، ولم يؤلف، الأحاديث السابقة وغيرها الواردة في بيان حدود علاقة الرجل بزوجته أثناء حيضتها، والمبينة الأحكام الشرعية المتعلقة بفترة حيض المرأة.

لقد نقل البخارى - كما نقل غيره من رواة السنة - ما سمعه من شيوخه الثقات مما سمعوه من شيوخهم إلى أن وصل النقل إلى رسول الله ﷺ أو إلى الصحابي الذي روى عن رسول الله ﷺ.

ولنا أن نتساءل. لماذا كل هذا الحقد، والتشنيع على الإمام البخارى، مع أن غيره من علماء الحديث شاركه في رواية هذه الأحاديث المتعلقة بأحكام الحيض؛ والتي أوردها جميع كتب الجوامع والسنن تحت اسم كتاب "الحيض"؟

إن كل هذا الحقد الذي يظهره في حق الإمام البخارى، هو جزء يسير مما تخفيه صدورهم نحو عدائهم لسنة المصطفى ﷺ، ولرواتها من الأئمة الأعلام قديماً وحديثاً.

ثانياً : ما نقله رواة السنة المطهرة، وعلى رأسهم الإمام البخارى، من الأحاديث المبينة الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة أثناء حيضتها، دين واجب ذكره لتتعلم الأمة المراد بخطاب ربها : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِنْ تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٣).

(١) قراءة في صحيح البخارى ص ٢٠، ٢١، ولماذا القرآن ص ٨٩ - ٩١ كلاهما لأحمد صبحي منصور، وينظر : مشروع التعليم والتسامح ص ٢٧٧ - ٢٧٩ لأحمد صبحي وغيره.

(٢) ينظر : دين السلطان لنيازي عز الدين ص ٥٣١، ٨٧٠، والخطوط الطويلة أو دفاع عن السنة المحمدية لمحمد بن علي الهاشمي ص ١٢، ٣٧، والخدعة رحلت من السنة إلى الشيعة لصالح الوردان ص ٧٤، والإسلام بدون حجاب (بحث مستل من شبكة الإنترنت) ص ٢٧.

(٣) الآية ٢٢٢ البقرة.

وفى البيان المنقول إلينا ما يبين عصمة رسول الله ﷺ فى سلوكه وهديه ومحاسن أخلاقه الباطنة مع أهل بيته على ما سيأتى بعد قليل .
ثالثاً : ليس فى حديث مباشرة رسول الله ﷺ، نسائه فى المحيض ما يتعارض مع قوله تعالى : **﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرِبُوهُنَّ﴾** بل فى هذا الحديث وغيره البيان العملى للآية الكريمة .

وهذا البيان كما هو معلوم؛ من مهامه ﷺ فى رسالته، لقوله تعالى : **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**^(١) فهل فى بيانه ﷺ، للآية الكريمة، ونقل هذا البيان بالسند الصحيح، ما يشوه سيرته العطرة؟ أو يطعن فى عصمته فى سلوكه وهديه كما يزعم أعداء السنة؟ .

إن الآية الكريمة تتحدث عن وجوب اعتزال الرجل زوجته الحائض، وعدم الاقتراب منها، حتى تطهر من حيضتها. فهل الاعتزال وعدم الاقتراب هنا، كما هو مفهوم عند اليهود؟ من إهمال الزوجة الحائض، واعتبارها نجسة، فلا يأكل ولا يشرب معها، ولا يسكن معها فى بيت واحد؟ .

إن هذا السؤال ورد على لسان أصحاب رسول الله ﷺ، وهو وارد على لسان كل مسلم إلى يوم الدين، كيف يتعامل مع زوجته الحائض؟ فجاءت الإجابة، وجاء البيان القولى والعملى مع رسول الله ﷺ بإباحة كل شئ من الزوجة الحائض إلا الجماع .

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لو يؤاكلوها، ولم يجامعوهن فى البيوت. فسأل أصحاب النبى ﷺ، النبى ﷺ، فأنزل الله تعالى : **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرِبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾**... الآية^(٢) فقال رسول الله ﷺ : **«اصنعوا كل شئ إلا النكاح»** فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر، فقالا: يا رسول الله! إن اليهود تقول كذا وكذا. فلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ، حتى ظننا أن قد وجد عليهما^(٣)

(١) الآية ٤٤ النحل .

(٢) الآية ٢٢٢ البقرة .

(٣) يقال : وجد عليه . يجد وحداً ومراجعة أى غضب . والنهاية ١٣٦/٥ .

فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ، فأرسل في آثارهما. فسقاهما. فعرفا أن لم يجد عليهما^(١).

فتأمل أمر رسول الله ﷺ : "اصنعوا كل شيء إلا النكاح" إنها كلمة جامعة جاءت جواباً عن موقف اليهود من المرأة الحائض، وجاءت تفسيراً وبياناً لقول رب العزة : ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ فقله : ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ تفسير لقوله : ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ والمراد : اعتزالهن، وعدم قربانهن بالجماع مادام الحيض موجوداً^(٢).

وهذا يعنى أن المراد بالاعتزال وعدم القران، إنما المراد به الفرج فقط، وما عدا ذلك من مؤكلة، ومشاربة، واجتماع معهن في البيوت، ومباشرتهن، ونحو ذلك، فهو حلال كما قال المعصوم ﷺ، "اصنعوا كل شيء إلا النكاح".

وتأمل : كيف تغير وجه رسول الله ﷺ من كلمة عباد بن بشر، وأسيد بن حضير، لما طلبا الرخصة في الوطء أيضاً تنميماً لمخالفة الأعداء "إن اليهود تقول كذا وكذا. فلا نجامعهن؟" فتغير وجه رسول الله ﷺ، لأن تلك الرخصة مخالفة لكتاب الله عز وجل باعتزال النساء في المحيض، وعدم قربانهن بالجماع!

وعندما ظنا رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قد غضب عليهما بعث في آثارهما رسولا ليحضرا عنده، فسقاها من لبن جاء إليه هدية، فعرفا حينئذ أنه ﷺ، لم يغضب عليهما. وفي هذا الحديث النبوى القولى : "اصنعوا كل شيء إلا النكاح" والذي جاء تفسيراً وبياناً للآية الكريمة، طبقه رسول الله ﷺ، عملياً، فجاء بيانه للآية الكريمة ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن﴾ بياناً قولياً وعملياً.

واليك نماذج من هذا البيان العملى :

١- بيانه ﷺ عملياً طهارة جسد المرأة الحائض، وجواز النوم معها فى ثيابها، والاضطجاع معها فى لحاف واحد، وذلك ما دل عليه حديث أم سلمة السابق، عندما حاضت، وذهبت فى خفية

(١) سبق تخريجه ص ٢٠٤ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٧٨، ٣٨٠ .

لتأخذ ثياب حيضتها، وظننت عدم جواز نومها وهى حائض مع رسول الله ﷺ فإذا به عليه الصلاة والسلام، يقول لها : أنفست؟ فتقول : نعم. فيدعوها رسول الله ﷺ، للنوم معه فى لحاف واحد كما قالت : "قدعاني فاضطجعت معه فى الخميعة"^(١).

فهذا الفعل وقع منه ﷺ، للبيان التشريعى للآية الكريمة، ورداً على ما فهمته أم سلمة، من عدم طهارتها جسدياً عندما حاضت، وظننت عدم جواز نومها مع زوجها رسول الله ﷺ، فى لحاف واحد. وليس الأمر كما يزعم أعداء عصمته، بأن الأماكن ضاقت به ﷺ، ولا مسئولية ملقاة على عاتقه، إلا أن يجلس فى الخميعة مع إحدى زوجاته، ولا يمنعه من ذلك حيض أو غيره!.

وقد دل على ذلك البيان التشريعى أيضاً قول ميمونة زوج النبى ﷺ قالت : "كان رسول الله ﷺ، يضطجع معى وأنا حائض، وبينى وبينه ثوب"^(٢) ودل عليه أيضاً قول عائشة رضى الله عنها "كنت أنا ورسول الله ﷺ، نبيت فى الشعار"^(٣) الواحد، وأنا طامث"^(٤) أو حائض فإن أصابه منى شئ غسل مكانه ولم يعده"^(٥) وصلى فيه، ثم يعود، فإن أصابه منى شئ فعل ذلك، ولم يعده، وصلى فيه"^(٦).

وفى هذا الحديث الأخير : زيادة على حديث أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما، وتلك الزيادة هى بيان الحكم للرجل إذا أصاب ثوبه شئ من حيض زوجته وهى نائمة معه فى لحاف واحد، فما عليه إلا بغسل مكان ما أصابه من دم الحيض فقط ولا يتجاوز به، وإذا صلى مع ذلك صحت صلاته.

(١) الحديث سبق ذكر كاملاً وتخرجه ص ٤٧٤ .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحيض، باب الاضطجاع مع الحائض فى لحاف واحد ٢١٠/٢ رقم ٢٩٥ .

(٣) بكسر المعجمة، وبالعين المهملة : الثوب الذى يلى الجسد، لأنه يلى الشعر. النهاية ٤٢٩/٢ .

(٤) بطاء مهملة، وثاء مثناة أى حائض، وقول الراوى حائض بعد طامث ذكر تأكيداً. ينظر : النهاية ١٢٥/٣، وحاشية السندى على النسائي ١٥١/١ رقم ٢٨٤ .

(٥) بإسكان العين وضم الدال أى : لم يجاوزه إلى غيره بل اقتصر عليه. حاشية السندى الأماكن السابقة نفسها .

(٦) أخرجه النسائي فى سننه الصغرى كتاب الطهارة، باب مضاجعة الحائض ١٥٠/١ رقم ٢٨٤، وأبو داود فى سننه كتاب الطهارة، باب الرجل يصيب منها ما دون الجماع ٧٠/١ رقم ٢٦٩ وفيه جابر بن صبح - صدوق - كما قال الحافظ فى تقريب التهذيب ١٥٣/١ رقم ٨٧١ وبقية رجاله ثقات - فالإسناد حسن .

٢- ويبين رسول الله ﷺ، عملياً صحة الصلاة في المكان الذي توجد فيه المرأة الحائض، بل وصحة الصلاة في ثوبها.

فمن عائشة رضي الله عنها، قالت : كان رسول الله ﷺ، يصلي بالليل، وأنا إلى جنبه، وأنا حائض، وعلى مرط^(١) لي، وعليه بعضه^(٢). وعن ميمونة زوج النبي ﷺ، قالت : صلى رسول الله ﷺ، وعليه مرط بعضه عليه، وعليها بعضه، وهي حائض^(٣).

٣- ويبين رسول الله ﷺ، عملياً جواز مأكلة الحائض، والشرب من فضلها فتقول عائشة رضي الله عنها : كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع في. فيشرب وأتغرق العرق^(٤) وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع في^(٥).

٤- ويبين رسول الله ﷺ، عملياً جواز تسريح وغسل الحائض رأس زوجها. فتقول عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يدني إلى رأسه، وأنا في حجرتي. فأرجله^(٦) وأغسله وأنا حائض^(٧).

٥- ويبين رسول الله ﷺ، عملياً طهارة ذات المرأة الحائض، وطهارة ثيابها ما لم يلحق شيئاً منها نجاسة، وذلك كله دل عليه عندما كان ﷺ، معتكفاً في المسجد، وطلب من زوجته عائشة رضي الله عنها أن تتأوله ثوب من حجرته.

(١) أى : كساء لها من صوف أو غيره. ينظر : النهاية ٢٧٣/٤ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة، باب الرخصة في الصلاة في شعر النساء ١٠١/١ رقم ٣٧٠، وابن ماجه في سننه كتاب الطهارة، باب الصلاة في ثوب الحائض ٢١٠/١ رقم ٦٥٢ وفيه طلحة بن يحيى النعمان - صدوق بهم - كما قال الحافظ في التقريب ٤٥٢/١ رقم ٣٠٤٨، وبقية رجاله ثقات فالإسناد حسن لغيره برواية ميمونة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه الأماكن السابقة نفسها برقم ٦٥٣، وكذا أبو داود في سننه الأماكن السابقة نفسها برقم ٣٦٩، وفي سند أبي داود شيخه محمد بن الصباح بن سفيان - صدوق - كما قال الحافظ في التقريب ٨٨/٢ رقم ٥٩٨٤، وكذا شيخ ابن ماجه سهل بن أبي سهل صدوق كما في التقريب ٣٩٨/١ رقم ٢٢٦٥ وبقية رجالهما ثقات فالإسناد حسن.

(٤) بفتح العين، وإسكان الراء، هو العظم الذي عليه بقية من اللحم. النهاية ١٩٩/٣ .

(٥) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ٢١٤/٢ رقم ٣٠٠ .

(٦) الترحيل، والترجيل : تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه. النهاية ١٨٦/٢ .

(٧) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأسها زوجها ٢١٢/٢ رقم ٢٩٧، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحيض، باب غسل الحائض رأس زوجها وترجيله ٤٧٨/١ رقم ٢٩٥ .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ فى المسجد. فقال : يا عائشة! ناولينى الثوب" فقالت : إني حائض. فقال : "إن حيضتك ليست فى يدك" فناولته^(١).

ففى قوله : "إن حيضتك ليست فى يدك" معناه : أن النجاسة التى يسان المسجد عنها - وهى دم الحيض - ليست فى يدها، فدل ذلك على أن ذات الحائض طاهرة.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يتكى فى حجرى وأنا حائض. فيقرأ القرآن^(٢).

ففى هذا الحديث دلالة واضحة على جواز ملامسة الحائض، وأن ذاتها وثيابها على الطهارة، ما لم يلحق شيئاً منها نجاسة، كما فى الحديث دلالة واضحة على جواز قراءة القرآن بقرب محل النجاسة^(٣) وكل هذا منه ﷺ، للبيان التشريعى الذى هو من مهامه فى رسالته، وليس الأمر كما يزعم أعداء عصمته، بأن الأماكن ضاقت به حتى لجأ إلى حجر عائشة يقرأ فيه القرآن!

٦- وبين رسول الله ﷺ، عملياً ما للرجل من امرأة إذا كانت حائضاً فتأتى رواية عائشة السابقة، لتبين بأنه ﷺ كان يباشر نسائه فوق الإزار^(٤) وتأتى رواية أنس السابقة "اصنعوا كل شئ إلا الجماع"^(٥) لتبين جواز المباشرة تحت الإزار دون الفرج، ويؤيده ما رواه أبو داود بإسناد قوى^(٦). عن عكرمة عن بعض أزواج النبى ﷺ، أن النبى ﷺ، كان إذا أراد من الحائض شيئاً ألقى على فرجها ثوباً^(٧) ولا تعارض فى ذلك فرواية عائشة محمولة على الاستحباب، لمن لا يضبط نفسه عند المباشرة من الفرج، أما من وثق من نفسه، جاز له المباشرة تحت الإزار دون الفرج^(٨).

(١) أخرج مسلم (بشرح النووى) فى الأماكن السابقة نفسها برقم ٢٩٩ .

(٢) سبق تخريجه ص ٤٧٤ .

(٣) ينظر : فتح البارى ٤٧٩/١ رقم ٢٩٧ .

(٤) سبق تخريجه ص ٤٧٣ .

(٥) سبق تخريجه ص ٢٠٤ .

(٦) كما قال الحافظ فى فتح البارى ٤٨٢/١ رقم ٣٠٢ .

(٧) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الطهارة، باب الرجل يصيب ما دون الجماع ٧١/١ رقم ٢٧٢ .

(٨) وقيل غير ذلك فى الجمع بين الروايات، وقد اقتضت على ما هو الراجح عندى. ينظر : فتح البارى

٤٨٢/١ رقم ٣٠٢ .

ولا شك أنه ﷺ، كان أملك الناس لإربه، فهذا من خصائصه، كما صرحت عائشة رضى الله عنها، رغم أنف المنكرين لذلك^(١).

وبعد :

فهذا بيان رسول الله ﷺ، قولاً وعملاً لقوله تعالى : ﴿فَاعْتَرَلُوا نِسَاءَ فِي الْحَيْضِ وَلَا يُقْرِبُوهُنَّ﴾^(٢) وهو بيان يهم كل مسلم ومسلمة، وعنه سأل أصحاب رسول الله ﷺ قديماً ورجعوا إليه^(٣) وعنه يسأل كل مسلم ومسلمة إلى يوم الدين .

فليختر كل إنسان لنفسه؛ إذا حاضت أخته، أو زوجته، أو أمه، أو خالته، أو... الخ هل يعتزلهن فلا يؤاكلهن ولا يشاربهن ولا يساكنهن في بيت واحد - كما هو حال اليهود؟ أم يكون له قدوة وأسوة بسنة وسيرة المعصوم ﷺ؟! .

إن سنة وسيرة رسول الله ﷺ، في معاملة المرأة الحائض تمثل قمة التكريم للمرأة، كما تمثل عظمة أخلاقه، وعصمته ﷺ في سلوكه مع أهل بيته، إذا أصابهن ما كتبه رب العزة على بنات، آدم .

فالمرأة في فترة حيضتها، تكون شبه مريضة أو مريضة بصيها توعك وآلام تجعلها تشعر في تلك الفترة بالهبوط والضييق .

كما أن أغلبية الرجال يشعرون بالاشمئزاز والنفور من الرائحة الشهرية المرافقة للطمث. وقليل منهم الذين يشعرون ببهجة وانجذاب. وشم هذه الرائحة الشهرية لا يقتصر على منطقة الأعضاء الجنسية، بل تمتد في معظم النساء إلى إفرازات الجلد والنفس^(٤) وكل هذا ولا شك مما قد يفسد العلاقة بين الرجل وأهله في تلك الفترة التي تعترى المرأة شهرياً .

(١) يراجع : كلام أحمد صبحي منصور السابق ص ٤٧٣ .

(٢) جزء من الآية ٢٢٢ البقرة .

(٣) ينظر : سؤال بعضهم لعائشة رضى الله عنها في سنن النسائي الصغرى، كتاب الحيض، باب ذكر ما كان النبي ﷺ يصنعه إذا حاضت إحدى نسائه ١٨٩/١ رقم ٣٧٥، والموطأ كتاب الطهارة، باب ما يحمل للرجل من امرأته وهي حائض ٧٤/١ رقمى ٩٣، ٩٤. وينظر : سؤال معاوية بن أبي سفيان لأخته أم حبيبة زوج النبي ﷺ. في سنن ابن ماجة كتاب الطهارة، باب ما للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً ٢٠٦/١ رقم ٦٣٨ .

(٤) ينظر : الطب النبوى والعلم الحديث للدكتور محمود ناظم النسيمي ١١٦/٢ .

فهل تعتزل أخى المسلم : زوجتك الحائض فى تلك الفترة، فلا تؤاكلها، ولا تشاربها، ولا تساكنها، فى بيت واحد، مما قد يزيد الجفاء بينك وبين زوجتك؟

أم تمتثل لسنة وسيرة المعصوم عليه السلام، مع أهل بيته فى تلك الفترة التى تحيض فيها المرأة؛
فيكون لذلك أطيب الأثر فى العلاقة بينك وبين أهل بيتك، ويكون لك الأجر والهداية، والفلاح،
جزاء امتثالك وطاعتك لله عز وجل ورسوله عليه السلام؟ اختر لنفسك ما شئت .

اللهم ارزقنى القدوة بنبيك مع أهل بيتى

(الفصل السادس)

شبهة الطاعنين في حديث "دعوته ﷺ لعائشة استماع

الغناء والضرب بالدف" والرد عليها

روى البخارى ومسلم عن عائشة رضی الله عنها قالت : "دخل على رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان^(١) بغناء بعات^(٢) فاضطجع على الفراش^(٣) وحول وجهه. ودخل أبو بكر فانتهرني وقال : مزماره الشيطان^(٤) عند النبي ﷺ! فأقبل عليه^(٥) فقال : دعهما. فلما غفل غمرتاهما فخرجتا. وكان يوم عيد يلعب فيه السودان^(٦) بالدرق^(٧) والحراب، فأما سألت^(٨) النبي ﷺ، وإما قال : تشتهين تنظرين؟ فقلت : نعم. فأقامني وراءه، خدى على خده، وهو يقول : دونكم يا بنى أرفدة^(٩) حتى إذا مللت قال : حسبك؟^(١٠) قلت : نعم. قال : فاذهبي^(١١).

- (١) زاد في رواية مسلم : "تغنيان وتضربان" أى بالدف الذى لا جلاجل فيه .
- (٢) أى : بما قال بعضهم لبعض من فخر أو هجاء، وبعث : بضم المرحدة وبعدها مهملة اسم حصن للأوس، ويوم بعث يوم مشهور من أيام العرب، كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج، وكانت تلك الواقعة قبل الهجرة بثلاث سنين وهو المعتمد. ينظر : فتح البارى ٥١١/٢ رقم ٩٤٩، والنهاية ١٣٨/١ .
- (٣) وفي رواية مسلم : "مسجى بثوبه" أى ملتف به .
- (٤) بكسر الميم يعنى : الغناء أو الدف، لأن المزمار أو المزمار مشتق من الزمر، وهو الصوت الذى له صفير، ويطلق على الصوت الحسن وعلى الغناء، وسميت به الآلة المعروفة التى يزمر بها، وإضافتها إلى الشيطان من جهة أنها تلهي، فقد تشغل القلب عن الذكر أف فتح البارى ٥١٢/٢ رقم ٩٤٩، والنهاية ٢٨٢/٢ .
- (٥) وفي رواية مسلم : "فكشف النبي ﷺ أى عن وجهه الشريف، حيث تقدم أنه ﷺ، كان ملتفًا بثوبه أهد .
- (٦) هم أناس من الحبشة، كما جاء في رواية مسلم : لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتى. والحبشة يلعبون بجراهم في مسجد رسول الله ﷺ .
- (٧) جمع درقة، ويروى بالكاف عوض القاف، والمراد : يرقصون وفي أيديهم الحراب جمع حربة، وهى من آلات الحرب. ينظر : المنهاج شرح مسلم ٤٥٤/٣ رقم ٨٩٢، والنهاية ١٠٧/٢ .
- (٨) هذا تردد منها، هل كان أذن لها في ذلك ابتداء منه، أو عن سؤال عنها، وهذا بناء على أن "سألت" يسكون اللام على أنه كلامها، ويحتمل أن يكون بفتح اللام، فيكون كلام الراوى، وسيأتى تحقيق ذلك قريباً .
- (٩) بفتح الهمزة، وسكون الراء، وكسر الفاء، وقد تفتح، لقب للحبشة، وقيل اسم جنس لهم، والمعنى : عليكم بهذا اللعب الذى أنتم فيه أهد المنهاج شرح مسلم ٤٥٤/٣ رقم ٨٩٢ .
- (١٠) استفهام بدليل قولها : "قلت نعم" تقديره حسبك أى : هل يكفيك هذا القدر؟ ينظر : المصدر السابق الأماكن السابقة نفسها .
- (١١) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) في عدة أماكن منها : كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد ٥١٠/٢ رقم ٩٤٩، ٩٥٠، وباب سنة العيدين لأهل الإسلام برقم ٩٥٢، ومسلم (بشرح=

هذا الحديث الذى يبين محاسن ومكارم أخلاقه ﷺ مع أهل بيته. طعن فيه بعض أدعياء العلم بحجة أنه يطعن فى عصمة رسول الله ﷺ فى سلوكه، حيث أن الحديث فى نظرهم ينسب إليه ﷺ، استماعه وفى عقر داره إلى الغوانى يتغنين، كما ينسب إليه فى نظرهم دعوته زوجته الشابة إلى مشاهدة حفلة راقصة فى المسجد... الخ.

يقول عبد الحسين شرف الدين الموسوى : "إن رسول الله أبعد عن اللعب، وأرفع عن العبث، وأعرف بحرمات الله ورسوله من أن يوسع للجهال مجالاً إلى اللهو فى المسجد بمحضر منه، وإن أوقاته الشريفة المفعمة بالمهمات الأخروية والدنيوية، لا يتسع للهو منها شئ، وحاشا لله أن يشغل مسجده الشريف بعبث أو لهو أو لغو" (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) (١).

ويقول هشام آل قطيط : كيف يتسنى لأُم المؤمنين، بعد وقوفها وراء النبى أن تضع خدها على خده؟ هل كانت أطول قامة من النبى؟ أم أنها تشبثت بعنقه كما تشبث الأطفال بعنق الكبار فى لعبة الـ(.....)؟.

ولأن أُم المؤمنين لم تتطرق لذلك، ولم نحضر المشهد، فالأفضل أن نقول : لا ندرى! وكيف للخليفة أبى بكر أن يمنع المغنيات فى بيت النبى وبحضوره والنبى ساكت لا يتكلم.

هل أن أبا بكر أفضل من النبى؟ وأى نبى هذا الذى يسكت وأحد أصحابه يمنع المغنيات؟ وأى نبى هذا الذى يدعوا زوجته الشابة إلى مشاهدة هذه الحفلة الراقصة فى المسجد والنظر إلى الأجانب، وتضع خدها على خده، ثم يقوم حتى تملى هى من المشاهدة؟ بالله عليكم ألا ينطبق على هذه الأحاديث قول الشاعر :

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً *** فشيمة أهل البيت كلهم الرقص؟ (٢).

=التوى) كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة فى اللعب الذى لا معصية فيه، فى أيام العيد ٤٥٠/٣ رقم ٨٩٢ .

(١) الآية ٥ الكهف. وينظر : أبو هريرة ص ١٥٨، والمراجعات له أيضاً ص ٣١٧ .
(٢) حوار ومناقشة كتاب عائشة أم المؤمنين ص ٣٢ - ٣٤، وينظر : الصحيح من سيرة النبى الأعظم لجعفر مرتضى العاملى ١٨/١، والخطوط الطويلة أو دفاع عن السنة المحمدية لمحمد بن على الهاشمى ص ١٢، وقراءة فى صحيح البخارى لأحمد صبحى منصور ص ٢٦، ودين السلطان لنيازى عز الدين ص ٥٣٠ .

ويجاب عن ما سبق بما يلي :

أولاً : الحديث صحيح سنداً ومتناً ولا يتعارض مع عصمة رسول الله ﷺ، في سلوكه وهديه، بل فيه البيان العملي مع أهل بيته، لما هو مباح للأمة في أيام العيد .

وهذا البيان فهمه أئمة السنة قديماً وحديثاً بما لا يتعارض مع عصمته ﷺ، وتأمل مواضع إخراج هذا الحديث في كتب السنة تجد صدق ما أقول؛ فالإمام البخارى أخرج الحديث في عدة مواضع من صحيحه أولها كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد، ثم كرره في باب سنة العيدين لأهل الإسلام .

وهو كما ترى صريح في بيان أن حديث عائشة، يستفاد منه السنة والشرع لأهل الإسلام في العيدين، من جواز اللعب واللهو والرقص والغناء، بما لا معصية فيه؛ وهذا ما تضمنه عنوان الباب الذى ذكر تحته الحديث من صحيح الإمام مسلم، في كتاب العيدين .

ومن هنا صرح العلماء؛ بأن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين^(١) وقولهم هذا مستفاد صراحة من هذا الحديث، على ما جاء في رواية مسلم من قوله ﷺ : "دعهما يا أبا بكر فإتھما أيام عيد"^(٢) ففى ذلك تعليل الأمر بتركهما، بأنه يوم عيد، أى : هو وقت سرور. وهناك من العلماء من قاس على يوم العيد فى إظهار السرور، ما فى معناه كيوم العرس^(٣) والوليمة والعقيقة والختان، ويوم القدوم من السفر^(٤) وسائر أسباب الفرح، وهو كل ما يجوز به الفرح شرعاً^(٥).

(١) ينظر : فتح البارى ٥١٤/٢ رقمى ٩٤٩، ٩٥٠ .

(٢) يراجع : تخريج حديثنا ص ٤٨٣ .

(٣) فعن عامر بن سعد قال : دخلت على قرظة بن كعب وأبى مسعود الأنصارى فى عرس، وإذا جوار يغنين، فقلت : أنتما صاحبا رسول الله ﷺ، ومن أهل بدر، يفعل هذا عندكم. فقالا : اجلس. إن شئت فاسمع معنا، وإن شئت اذهب، قد رخص لنا فى اللهو عند العرس" أخرجه النسائى فى سننه الصغرى كتاب النكاح، باب اللهو والغناء عند العرس ١٣٥/٦ رقم ٣٣٨٣، والحاكم فى المستدرک ٢٠١/٢ رقم ٢٧٥١ وقال : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى وينظر : حديث الربيع بنت معوذ فى صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب النكاح، باب ضرب الدف فى النكاح والوليمة ١٠٩/٩ رقم ٥١٤٧، وحديث عائشة فى المصدر السابق، نفس الكتاب، باب النسوة اللاتى يهدين المرأة إلى زوجها ودعائهن بالبركة رقم ٥١٦٢ .

(٤) ويؤيده ما رواه أبو داود عن أنس قال : لما قدم النبی ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدموه فرحاً بذلك، لعبوا بجرهم" ولا شك أن يوم قدموه ﷺ كان عندهم أعظم من يوم العيد. الحديث أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأدب، باب النهى عن الغناء ٢٨١/٤ رقم ٤٩٢٣، وفيه الحسن بن على بن راشد الواسطى شيخ أبى داود - صدوق - كما قال الحافظ فى التقريب ٢٠٦/١ رقم ١٢٦٢ وبقية رجاله ثقات - فالإسناد حسن .

(٥) ينظر : إحياء علوم الدين للغزالي ٣٠٣/٢، ٣٠٤ .

فمن أين نعرف مثل هذه الأحكام إلا من هذا الحديث وما في معناه!

ثانياً : ليس في إنكار الصديق رضى الله عنه على عائشة رضى الله عنها، وما معها من الجوارى وبحضوره ﷺ، إفتئات على رسول الله، بل هو أدب من أبى بكر ورعاية منه لحرمة رسول الله ﷺ، وإجلال لمنصبه، لما تقرر عنده من منع الغناء واللهو في بيته ﷺ، فبادر إلى إنكار ذلك قياماً عن النبي ﷺ، مستنداً بذلك إلى ما ظهر له، كما يحتمل أن يكون أبو بكر ظن ان رسول الله ﷺ نام فخشى أن يستيقظ فيغضب على ابنته، فبادر إلى سد هذه الذريعة، فأوضح له النبي ﷺ الحال، وعرفه الحكم مقروناً ببيان الحكمة بأنه يوم عيد، أى يوم سرور شرعى، فلا ينكر فيه مثل هذا، كما لا ينكر في الأعراس ونحوها مما يجوز به الفرح شرعاً على ما سبق.

وبهذا يرتفع الإشكال أيضاً عن إنكار عمر بحضرته ﷺ في نفس القصة، على ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : " رأيت النبي ﷺ يسترنى وأنا أنظر إلى الحبشة، وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر ^(١) فقال النبي ﷺ، دعهم. أمنا بنى أرفدة" يعنى من الأمن ^(٢) يشير إلى أن المعنى : اتركهم من جهة إنا آمنهم أمناً.

فإنكار عمر هنا مبنى على أن الأصل تنزيه المساجد عن اللعب فيها بالحراب، فبين له رسول الله ﷺ وجه الجواز.

كما يحتمل أن يكون عمر لم يرى رسول الله ﷺ، ولم يعلم أنه رآهم، كما يحتمل أن يكون إنكاره لهذا شبيه إنكاره على المغنيتين، وكان من شدته في الدين ينكر خلاف الأولى، والجد في الجملة أولى من اللعب المباح. وأما النبي ﷺ، فكان بصدد بيان الجواز ^(٣).

(١) وفي رواية أبي هريرة : " فأهوى إلى الحصاء يحصبهم بها، أى أهوى عمر إلى الحصى الصغار يرميهم بها.

(٢) أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) في عدة أماكن منها. كتاب العيدين، باب إذا فاته العيد يصلى ركعتين ٥٥٠/٢ رقمى ٩٨٧، ٩٨٨، وكتاب الصلاة، باب أصحاب الحراب في المسجد ٦٥٣/١ رقم ٤٥٤. ومن حديث أبي هريرة في كتاب الجهاد، باب اللهو بالحراب ونحوها ١٠٩/٦ رقم ٢٩٠١، ومسلم (بشرح النووي) كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذى لا معصية فيه في أيام العيد ٤٥٢/٣ رقم ٨٩٣.

(٣) ينظر : فتح البارى ٥١٥/٢ رقم ٩٥٠، ١٠٩/٦ رقم ٢٩٠١، والمنهاج شرح مسلم ٤٥٥/٣ رقم ٨٩٣.

ثالثاً : ليس في الحديث ما يزعمه دعاة الفتنة من استماع رسول الله ﷺ، للباطل من الغناء على لسان المغنيات بدلالة ما يلي :

١- ما ورد في الحديث من أنه ﷺ، تسجى بثوبه، أى : التف به حتى غطى وجهه وأذنه، ففى ذلك إعراض عن ذلك؛ لكون مقامه يقتضى أن يرتفع عن الإصغاء إلى ذلك، لكن عدم إنكاره دال على تسويغ مثل ذلك على الوجه الذى أقره إذ لا يقر على باطل!

كما أن فى إعراضه بتغطية وجهه وأذنه؛ بيان لكمال رافته ﷺ، وحلمه، وحسن خلقه، مع زوجته عائشة وصواحباتها، لئلا يستحيين فيقطعن ما هو مباح لهن^(١).

وحتى على فرض استماعه ﷺ، لغناء الجوارى، فالغناء هنا من نوع المباح وجاء على لسان ممن لم يتخذوا الغناء عادة لهما. يدل على ذلك .

٢- ما ورد في الحديث من قول عائشة رضى الله عنها : "وعندى جاريان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعث، قالت : وليستا بمغنيتين"^(٢) ففى قولها : "وليستا بمغنيتين" معناه : ليس الغناء عادة لهما، ولا هما معروفتان به. وإنما كان غناؤهما بما هو من أشعار الحرب، والمفاخرة بالشجاعة، والظهور والغلبة، وهذا لا يهيج الجوارى على شر، ولا إنشادهما لذلك من الغناء المختلف فيه، وإنما هو رفع الصوت بالإنشاد، ولهذا قالت : "وليستا بمغنيتين" أى ليستا ممن يتغنى بعادة المغنيات من التشويق والهوى، والتعريض بالفواحش، والتشبيب بأهل الجمال، وما يحرك النفوس، ويبعث الهوى والغزل، وليستا أيضاً ممن اشتهر وعرف بإحسان الغناء الذى فيه تمطيط وتكسير، وعمل يحرك الساكن، ويبعث الكامن، ولا ممن اتخذ ذلك صنعة وكسباً، والعرب تسمى الإنشاد غناء وليس هو من الغناء المختلف فيه، بل هو مباح، وقد استجازت الصحابة غناء العرب الذى هو مجرد الإنشاد والترنم، وفعلوه بحضرة النبى ﷺ، وفى هذا كله إياحة^(٣).

فتأمل ما ورد فى الحديث : من أنه ﷺ، تسجى بثوبه، واضطجع على الفراش وحول وجهه الشريف، وقول عائشة : "ليستا بمغنيتين" حيث نفت عنهما من طريق المعنى ما أثبتته لهما باللفظ، تحرراً عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به.

(١) ينظر : المصادر السابقة فى الأماكن نفسها.

(٢) يراجع : تخريج حديثنا ص ٤٨٣ .

(٣) ينظر : المنهاج شرح مسلم ٤٥٢/٣ رمق ٨٩٢، وفتح البارى ٥١٣/٢ رقم ٩٤٩ .

تأمل ذلك جيداً يظهر لك بطلان ما زعمه أدعياء العلم، ودعاة الفتنة، في حق أئمة السنة، وفي حق صاحبها عليه السلام، كما يظهر لك سوء فهمهم لحديثنا؟ وإلا فليأتوا لنا بما يخالف ما ورد في الحديث؛ من أنه عليه السلام، لم يتسجى بثوبه، ولم يحول وجهه، واستمع إلى مغنيات معروفات بالغناء، وتغنين بعادة المغنيات، مما يحرك النفوس، ويبعث الهوى والغزل، لا مجرد جوارى لا يعرفن بالغناء، ولا هو عادة لهما، وكل ما فعلنه أن رفعن أصواتهن بإنشاد ما هو من أشعار الحرب والمفاخرة بالشجاعة والظهور والغلبة يوم بعث؟!

رابعاً : إن حديثنا يبين عصمة سيدنا رسول الله عليه السلام، في سلوكه وهديه، وبين ما كان عليه من الرأفة، والرحمة، وحسن الخلق، والمعاشرة بالمعروف مع أهل بيته امتثالاً لقوله تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) وخصوصاً إذا كان أهل بيته صغار السن كعائشة القائلة على ما جاء في رواية مسلم في ختام حديثنا "فاقدروا قدر الجارية، الحديثة السن، حريصة على اللهو"^(٢).

ولذا لما رأت بعض الحبشة يرقصن في المسجد، والصبيان حولهم يشاهدون، التمسّت من رسول الله عليه السلام، النظر إليهم، فأذن لهن، على ما جاء في رواية مسلم في حديثنا : قالت : «للعابئين، وددت أني أراهم قالت : فقام رسول الله عليه السلام، وقمت على الباب أنظر بين أنفيه وعاتقه. وهم يلعبون في المسجد».

وتبين رواية النسائي في سننه الكبرى، كيف تسنى لها بعد وقوفها وراء النبي عليه السلام، أن تضع خدها على خده، مع قصر قامتها إذ نقول : لعبت الحبشة، فجئت من ورائه عليه السلام، فجعل يبطأني ظهره، حتى أنظر"^(٣).

(١) جزء من الآية ١٩ النساء .

(٢) وفي الحديث عنها قالت : كنت أَلعب بالبنات، فرما دخل على رسول الله عليه السلام، وصواحبتي عندي، فإذا رأيته رسول الله عليه السلام فررن، فيقول عليه السلام : كما أنت، وكما أنتن " أخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب إباحة الرجل اللعب لزوجته بالبنات ٣٠٦/٥ رقم ٨٩٤٧، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الأدب، باب الانسباط إلى الناس ٥٤٣/١٠ رقم ٦١٣٠، ومسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة ٢١٨/٨ رقم ٢٤٤٠، وينظر : حديث مسابقتها عليها السلام لعائشة في السنن الكبرى للنسائي كتاب عشرة النساء، باب مسابقة الرجل لزوجته ٣٠٣/٥ رقم ٨٩٤٢ .

(٣) أخرجه النسائي في سننه الكبرى كتاب عشرة النساء، باب إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب ٣٠٨/٥ رقم ٨٩٥٥ وفي إسناده محمد بن عمرو بن علقمة صدوق له أوهام كما قال الحافظ في التقريب ١١٩/٢ رقم ٦٢٠٨ وبقية رجاله ثقات فالإسناد حسن لغيره - لأنه مقو برواية هذا الحديث في الصحيحين .

وفى تلك الرواية رد على تساؤل هشام آل قطيط : هل كانت أطول قامة من للنبي؟ أم أنها تثبتت بعنقه... الخ^(١) كما جاء فى رواية للنسائي فى سننه الكبرى أيضاً أنها قالت : "دخل الحبشة المسجد يلعبون، فقال لى : "يا حميراء! أتحبين أن تنظري إليهم؟" فقلت : نعم، فقام بالباب، وجثته، فوضعت ذقنى على عاتقه، فأسندت وجهى إلى خده، قالت : ومن قولهم يومئذ : أبا القاسم طيباً، فقال ﷺ : "حسبك" فقلت : يا رسول الله، لا تعجل، فقام لى، ثم قال : "حسبك" فقلت : لا تعجل يا رسول الله، قالت : ومالى حب النظر إليهم، ولكى أحببت أن يبلغ النساء مقامه لى، ومكانى منه"^(٢).

ففى تلك الرواية تصريح بأنه ﷺ، ابتدأها بالنظر إلى لعب الحبشة فى المسجد، ولا تعارض بينها، وبين رواية مسلم السابقة، فالجمع بينهما على ما سبق أنها التمسّت من رسول الله ﷺ النظر إليهم، فأذن لها.

خامساً : إقرار سيدنا رسول الله ﷺ، للحبشة باللعب فى المسجد بالحرا، ليس لمجرد اللعب، بل لم فيه من تدريب الشجعان على مواقع الحروب، والاستعداد للعدو.

واللعب بالسلاح ونحوه من آلات الحرب؛ وإن كان لا يناسب بيوت الله فى زماننا - إلا أنه يستفاد من إقراره ﷺ للحبشة باللعب فى المسجد بالحرا، أن لعب للصبيان فى المسجد يوم العيد ليس فيه انتهاك لحرمة بيوت الله، ولا يعارضه حديث : "جنبوا مساجدكم صبياتكم ومجائنتكم، وشراركم، وبيعكم، وخصوماتكم؛ ورفع اصواتكم وإقامة حدودكم، ومسل سيوفكم، واتخذوا على أبوابها المظاهر، وجمروها فى الجمع"^(٣) لضعفه^(٤).

(١) يراجع : نص كلامه السابق ص ٤٨٤ .

(٢) أخرجه النسائي فى سننه الكبرى كتاب عشرة النساء، باب إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب ٣٠٧/٥ رقم ٨٩٥١ وقال الحافظ فى فتح البارى ٥١٥/٢ رقم ٩٥١ إسناده صحيح، ولم أرى فى حديث صحيح ذكر الحميراء إلا فى هذا أم قلت : صحت أحاديث أخرى ذكرها الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة تعليقا على قول الإمام ابن قيم الجوزية "كل حديث فيه يا حميراء فهو كذب" أم — ينظر : النثار النيف ص ٦٠ رقم ٨٩ .

(٣) أخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب المساجد، باب ما يكره فى المساجد ٢٤٣/١ رقم ٧٥٠ وفى إسناده أبو سعيد وهو محمد بن سعيد المصلوب، كذاب، وكذا فى سننه الحارث بن نيهان، ضعيف، كذا قال البوصيرى فى مصباح الزجاج ٢٦٤/١ رقم ٧٥٠، وأخرجه الطبرانى فى الكبير ١٥٦/٨ رقم ٧٦٠١، وفيه العلاء بن كثير اللثى الشامى، وهو ضعيف، كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٥/٢، ٢٦ .

(٤) كما قال البوصيرى، والهيثمى، على ما سبق، وكذا ضعفه الحافظ فى فتح البارى ٦٥٤/١ رقم ٤٥٤ وينظر : تلخيص الحبير ٤٥٦/٤ رقم ٢٠٨٨، والمقاصد الحسنة للسخاوى ص ١٧٥ رقم ٣٧٢ .

كما أن العلماء استفادوا من إقراره عليه السلام، جواز أى عمل فى المسجد يجمع بين منفعة الدين وأهله، لأن المسجد إنما وضع لأمر جماعة المسلمين^(١).

سادساً : إقرار رسول الله ﷺ، لزوجه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، النظر إلى لعب الحبشة، فيه بيان لحسن خلقه مع أهله وكرم معاشرته، وفضل عائشة، وعظيم محلها عنده ﷺ، وليس فى نظرها إلى لعب الحبشة، ما يتعارض مع احتجابها من النظر إلى الأجانب، لأنه ليس فى الحديث أنها نظرت إلى وجوههم وأبدانهم، وإنما نظرت لعبهم وحرابهم، ولا يلزم من ذلك تعدد النظر إلى البدن، وإن وقع النظر بلا قصد صرفته فى الحال.

ومن هنا استفاد العلماء من ذلك، إباحة الرجل لزوجه النظر إلى اللعب واللهو المباح، إذ المكروه فى حق النساء النظر إلى محاسن الرجال، والاستلذاذ بذلك^(٢).

وبعد :

فإن رسول الله ﷺ، عصمه ربه فى سلوكه وهديه، وجعله قدوة لأمته، ومبيناً لما أنزل عليه من آيات الله البينات وقد قام رسول الله ﷺ، بهذا البيان قولاً وعملاً على أكمل وجه.

فكان حديثنا بياناً عملياً لقول رب العزة : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣) وبياناً عملياً لقوله ﷺ : "إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وأطفهم بأهله"^(٤) وقوله ﷺ : "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى"^(٥).

حيث بين حديثنا للأمة أن حسن الخلق فى تطيب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب، أحسن من خشونة الزهد، والنقشف فى الامتناع والمنع منه؛ وخاصة فى أيام العيد، ويقاس على

(١) ينظر : فتح البارى ٤٥٦/١ رقم ٤٥٤، والمنهاج شرح مسلم ٤٥٣/٣ رقم ٨٩٢ .

(٢) ينظر : المنهاج شرح مسلم ٤٥٣/٣ رقم ٨٩٢، وفتح البارى ٥١٦/٢ رقم ٩٥٠ .

(٣) جزء من الآية ١٩ النساء .

(٤) سبق تخريجه ص ٤٦٥ .

(٥) سبق تخريجه ص ٤٦٦ .

أيام العيد سائر أسباب الفرح، مما يجوز به الفرح شرعاً، شريطة أن يكون هذا اللعب واللهو مما لا معصية فيه، ففي الحديث : «كل شئ ليس فيه ذكر الله، فهو لهو ولعب، إلا أربع، ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشيه بين الغرضين^(١) وتعليم الرجل السباحة»^(٢).

كما أن حديثنا بياناً عملياً لقوله تعالى : ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمَهُ﴾^(٣) حيث أفاد إقراره ﷺ، للحبشة اللعب في المسجد، أن كل ما فيه منفعة للدين وأهله، إذا وقع في بيت الله عز جل، فلا يعارض الآية الكريمة، كما لا يعد انتهاك لحرمة المسجد .

فهنيئاً لمن اقتدى به ﷺ، وامتنل لهديه مع أهل بيته، فكان من أكمل المؤمنين إيماناً بحسن خلقه، ولطفه بأهل بيته أهـ .

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

(١) أى : بين الهدفين في تعلم الرماية، أو عند التحام القتال. ينظر : النهاية ٣/٣٢٣ .
(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى. كتاب عشرة النساء، باب ملاعبة الرجل زوجته ٣٠٢/٥ رقم ٨٩٣٩، والطبراني في الأوسط ١١٨/٨ رقم ٨١٤٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٩/٥ رجاله رجال الصحيح، خلا عبد الوهاب بن بخت وهو ثقة، وذكر شواهد أخرى للحديث منها عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في الأوسط ٢٧٨/٥ رقم ٥٣٠٩ وقال فيه سويد بن عبد العزيز، قال أحمد متروك، وضعفه الجمهور، وثقه دحيم، وبقيه رجاله ثقات، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في الأوسط ١٧٠/٧ رقم ٧١٨٣، وقال فيه المنذر بن زياد الطائفي وهو ضعيف أهـ، ينظر : مجمع الزوائد ٢٦٩/٥ .
(٣) الآية ٣٦ النور .

الفصل السابع

شبهة الطاعنين في حديث "اللهم فأَيُّما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قرابة إليك يوم القيامة" والرد عليها

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، "اللهم !
إنما أنا بشر، فأَيُّما رجل من المسلمين سببته أو لعنته، أو جلدته، فاجعلها له زكاة ورحمة"^(١).

هذا الحديث الذى يبين كمال شفقة رسول الله ﷺ، على أمته، طعن فيه أعداء السنة
المطهرة، والسيرة العطرة، وزعموا أنه موضوع، وفيه تشويه لصورة الرسول، وطعن فى
عصمته فى سلوكه وهديه، إذ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا لعاناً ولا سباً.
يقول نيازى عز الدين بعد أن ذكر روايات الحديث السابق قال : "إن وراء هذه الأحاديث
منافقين غايتهم تشويه صورة الرسول خدمة لسلطانهم"^(٢) حتى إذا سب وشتم ولعن وجلد أحداً حتى
لو كان بريئاً، استشهد جنوده عليه بأحاديث الرسول هذه، على أن السلطان قد تفضل عليه بذلك
الجلد، وتلك الإهانة خيراً كثيراً"^(٣).

ويقول جعفر مرتضى العاملى : "نعم، ربما يلعن رسول الله ﷺ، بعض المنافقين،
وفراعنة الأمة... لكن أتباعهم وضعوا الحديث الذى صيروا فيه اللعنة زكاة، ليعموا على الناس

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبى ﷺ، أو سبه، أو دعا عليه،
وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجر ٣٩٦/٨ رقم ٢٦٠١، والبخارى (بشرح فتح البارى)
كتاب الدعوات، باب قول النبى ﷺ من أذيته فاجعله له زكاة ورحمة ١٧٥/١١ رقم ٦٣٦١،
والدارمى فى سننه كتاب الرقائق، باب قول النبى ﷺ إنما رجل لعنته أو سببته ٤٠٦/٢ رقم ٢٧٦٥،
وأحمد فى المسند ٢٤٣/٢، ٣١٦، ٣٩٠، ٤٤٩، ٤٨٨، ٤٩٣، ٤٩٦، ٤٠٠/٣ - وللحديث
شواهد عن عائشة، وجابر بن عبد الله، وأبى سعيد الخدرى، وأنس بن مالك، وأبى السوار عن خاله.
سيأتى تخريجها قريباً.

(٢) المراد بالسلطان هنا : معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، وجنوده هم : الفقهاء فى زمانه كما صرح
بذلك فى كتابه دين السلطان ص ٣٦، ٣٧، ويراجع من نفس المصدر ص ١١، ١٠٣، ١١٠، ١١٤،
١١٧، ١١٩، ١٢٤، ٧٩٥، وكذا صرح عبد الحسين شرف الدين فى كتابه أبو هريرة ص ١٠٤
حيث قال : "إنما وضع هذا الحديث على عهد معاوية ترلفاً إليه" أه المراد نقله.

(٣) دين السلطان ص ٤٢١ .

أمرهم، ويجعلوا لعن النبي ﷺ لغواً، ودعاه على معاوية بأن لا يشبع الله بطنه باطلاً، فجزاهم الله تعالى عن نبيهم ما يحق بشأنهم^(١).

ويقول عبد الحسين شرف الدين : قد علم البر والفاجر، والمؤمن والكافر، أن إيذاء من لا يستحق من المؤمنين أو جلداهم أو سبهم أو لعنهم على الغضب ظلم قبيح، وفسق صريح، يربأ عنه عدول المؤمنين، فكيف يجوز على سيد النبيين، وخاتم المرسلين؟ وقد قال : سبب المسلم فسوق، وقتاله كفر^(٢) وعن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله! ادع على المشركين، قال : إني لم أبعث لعناً، وإنما بعثت رحمة^(٣) هذه حاله مع المشركين، فكيف به مع من لا يستحق من المؤمنين؟^(٤).

ويجاب عن ما سبق بما يلي :

أولاً : الحديث صحيح سنداً ومتناً وثابت بأصح الأسانيد في أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل فقد رواه الشيخان في صحيحيهما، ولا يصح لنا أن نكذب البخاري ومسلم وروايتهما، اعتماداً على رأى ليس له من حظ في توثيق الأخبار، وإقرار الحقائق من قريب أو بعيد .
ثانياً : لم ينفرد أبي هريرة رضى الله عنه برواية الحديث، وإنما شاركه في روايته جماعة من الصحابة : عائشة^(٥) وجابر بن عبد الله^(٦) وأبي سعيد الخدري^(٧) وأنس بن مالك^(٨) وأبي السوار عن خاله^(٩).

- (١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ١٧٣/٦، ٣١٧/٧ .
- (٢) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) في عدة أماكن منها، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر ١٣٥/١ رقم ٤٨، وكتاب الأدب، باب ما ينهى عنه من السباب واللعن ٤٧٩/١٠ رقم ٦٠٤٤، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق ٣٣٠/١ رقم ٦٤ من حديث ابن مسعود رضى الله عنه .
- (٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ٣٩٤/٨ رقم ٢٥٩٩ .
- (٤) أبو هريرة ص ١٠٠ - ١٠٤، وينظر : مساحة الحوار ص ١١٧، ١١٨، والمواجهة مع رسول الله وآله ص ٢٥٧ - ٢٥٩ كلاهما لأحمد حسين يعقوب، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين لصالح الورداني ص ٤٠، ٢٥٧ .
- (٥) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجر ورحمة ٣٩٦/٨ رقم ٢٦٠٠، وأحمد في المسند ٤٥/٦، ١٨٠ .
- (٦) أخرجه مسلم (بشرح النووي) في الأماكن السابقة نفسها برقم ٢٩٠٢، والدارمي في سنته كتاب الرقائق، باب قول النبي ﷺ إنما رجل لعنته أو سببته ٤٠٦/٢ رقم ٢٧٦٦، وأحمد في المسند ٣٨٤، ٣٣٣/٣ .
- (٧) أخرجه أحمد في المسند ٣٣/٣ وأبو يعلى وإسناده حسن كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٦/٨ .
- (٨) أخرجه مسلم (بشرح النووي) في الأماكن السابقة نفسها برقم ٢٩٠٣ في قصة عن أم سليم رضى الله عنها، وأخرجه أحمد في المسند ١٤١/٣ عن أنس في قصة عن حفصة رضى الله عنها .
- (٩) أخرجه أحمد في المسند ٢٩٤/٥، ورجاله رجال الصحيح، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٠٧/٩ .

ثالثا : ليس فى حديثنا ما يشوه سيرة رسول الله ﷺ، وعصمته فى أخلاقه، لأنه لا خلاف فى أن رسول الله ﷺ مأمور بالغلظة على الكفار والمنافقين عملاً بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١).

ولقد تكررت هذه الآية فى القرآن مرتين، فهما "واغلظ عليهم" ولا مانع من أن يكون، من هذا الإغلاظ سبهم ولعنهم، بدليل ما ورد فى السنة المطهرة، من أنه ﷺ، كان يدعو على رجال من المشركين، يسميهم بأسمائهم حتى أنزل الله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٢) وليس فى الآية الكريمة نهى عن اللعن، وإنما النهى حسب سبب النزول، عن تعيين أسماء من يلعنهم، لعل الله أن يتوب عليهم^(٣) أو يعذبهم فى الدنيا بقتلهم، وفى الآخرة بالعذاب الأليم، فإنهم ظالمون.

وتأمل ختام الآية : ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ والظالمون لعنهم رب العزة بصفاتهم دون أسمائهم فى أكثر من آية منها :

١- قوله تعالى : ﴿فَأَنْذِرْ مُؤْذِنَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

٢- وقوله عز وجل : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٥).

هذا فضلا عن الآيات التى تلعن اليهود، وتلعن الكاذبين والكافرين، وتلعن بعض عصاة المؤمنين كالذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات وغيرهم. كقوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا﴾^(٦) وقوله سبحانه : ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

(١) الآية ٧٣ التوبة، والآية ٩ التحريم.

(٢) الآية ١٢٨ آل عمران. وينظر : حديث ابن عمر فى صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب المغازى باب ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا﴾ ٤٢٢/٧ رقم ٤٠٦٩، وحديث أبى هريرة رضى الله عنه فى كتاب التفسير، باب "ليس لك من الأمر شئ" ٧٤/٨ رقم ٤٥٦٠.

(٣) وهو ما حدث فعلا. فعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ يوم أحد : اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام. اللهم العن صفوان بن أمية، قال : فترلت : ﴿ليس لك من الأمر شئ...﴾ الآية فتاب الله عليهم، فأسلموا فحسن إسلامهم﴾ أخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير، باب سورة آل عمران ٢١٢/٥ رقم ٣٠٠٤ وقال : حسن غريب.

(٤) الآية ٤٤ الأعراف.

(٥) الآية ١٨ هود.

(٦) الآية ٦٤ المائدة.

بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون^(١)
وقوله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٢).

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ﴾^(٣) وقوله سبحانه : ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(٤).

وجاءت السنة المطهرة، وعلى لسان صاحبها المعصوم عليه السلام، تلعن من لعنهم الله في كتابه،
ومنهم عصاة المؤمنين بصفتهن دون تعيين أشخاصهم، حيث جاء لعن الله ولعن رسول
الله للسارق^(٥) والواصلة والواشمة^(٦) ولعن من لعن والديه، ومن ذبح
لغير الله، ومن آوى محدثاً، ومن غير منار الأرض^(٧) والشارب الخمر^(٨)

(١) الآية ٧٨ المائدة.

(٢) الآية ١٦١ البقرة.

(٣) الآية ٢٣ النور.

(٤) الآية ٧ النور.

(٥) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ، "لعن الله السارق. يسرق البيضة فتقطع يده،
ويسرق الحبل فتقطع يده" أخرج البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الحدود، باب قول الله تعالى :
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ ١٠/١٢ رقم ٦٧٩٩، ومسلم (بشرح النووي) كتاب
الحدود، باب حد السرقة ونصاها ١٩٨/٦ رقم ١٦٨٧.

(٦) فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : لعن النبي ﷺ، الواسلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة" أخرجه
البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب اللباس، باب المستوشمة ٣٩٣/١٠ رقم ٥٩٤٧، ومسلم (بشرح
النووي) كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواسلة ٣٥٦/٧ رقم ٢١٢٤.

(٧) فعن عامر بن واثلة قال : كنت عند علي بن أبي طالب، فأتاه رجل فقال : ما كان النبي ﷺ يسر
إليك؟ قال : فغضب، وقال : ما كان النبي ﷺ يسر إلى شيئا يكرهه الناس غير أنه قد حدثني
بكلمات أربع قال : فقال ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال : قال لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من
ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض" أي حدودها. أخرجه مسلم
(بشرح النووي) كتاب الأصاحي باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ١٥٥/٧ رقم ١٩٧٨، والحاكم في
المستدرک ١٦٩/٤ رقم ٧٢٥٤ عن حنان بن مولى علي بن أبي طالب، وسكت عنه الحاكم والذهبي.

(٨) فعن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : "لعن الله الخمر وشاربها، وساقها، وبائعها،
ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه" أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأشربة،
باب العنب يعصر للخمر ٣٢٦/٣ رقم ٣٦٧٤، وابن ماجه في سننه كتاب الأشربة، باب لعنت
الخمر على عشرة أوجه ٣١٣/٢ رقم ٣٣٨٠، وأحمد في المسند ٢/٢٥، ٧١، ٩٧، وأبو يعلى في
مسنده ٤٣١/٩ رقمي ٥٥٨٣، ٥٥٩١، والحاكم في المستدرک ٣٧/٢ رقم ٢٢٣٥ وصححه إسناده
ووافقه الذهبي.

والراشئ والمرثئ^(١) ومن حلق أو سلق أو خرق^(٢) ومن مثل بالحيوان^(٣) وغيرهم ممن هو مشهور في الأحاديث الصحيحة^(٤).

فهذه الآيات والأحاديث تبين في صراحة ووضوح جواز لعن من لعنهم الله في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ في سنته المطهرة بصفته دون تحديد أشخاصهم، وهذا الجواز في حق الأنبياء وأممهم على السواء، فهو من اللعن المباح^(٥).

وتأمل الآية السابقة: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٦) فداود وعيسى عليهما السلام، لعنوا الذين كفروا من بني إسرائيل، فإذا لعن رسول الله ﷺ الذين كفروا من قومه لم يكن بدعاً من الرسل: وإذا لعن العصاة من هذه الأمة كما ورد في القرآن الكريم، وكما أوحى إليه ربه بوحى غير متلو. كنحو الذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم بيعة إلا أنفسهم، وكذلك يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، وكنحو الواصلة والواشمة، والسارق، ومن لعن والديه... الخ.

إذا لعن رسول الله ﷺ كل هؤلاء بصفته دون أشخاصهم كما أوحى إليه ربه - بوحى متلو أو غير متلو - لم يكن في ذلك ما يشوه سيرته العطرة، ولا ما يطعن في عصمته في سلوكه

(١) فعن ابن عمرو رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ الراشئ والمرثئ " أخرجه أبو داود في سنته كتاب الأتزية، باب كراهية الرشوة ٣/٣٠٠، رقم ٣٥٨٠، والترمذ في سنته كتاب الأحكام، باب ما جاء في الراشئ والمرثئ في الحكم ٣/٦٢٣، رقم ١٣٣٧، وابن ماجه في سنته كتاب الأحكام، باب التغليظ في الحيف والرشوة ١/٧٢٧، رقم ٢٣١٣، والحاكم في المستدرک ٤/١١٥، رقم ٧٠٦٦ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٢) فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ لعن من حلق أى رأسه أو لحيته لمصيبة أو سلق - أى رفع صوته بالبكاء عند المصيبة، أو خرق أى ثوبه " أخرجه النسائي في سنته الصغرى كتاب الجنائز، باب شق الجيوب ٤/٢١، رقم ١٨٦٧، وأحمد في المسند ٤/٤٠٥، والحديث متفق عليه بلفظ: "إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والخالقة والشاقة" أهد.

(٣) فعن سعيد بن جبیر قال: مررت مع ابن عمر في طريق من طرق المدينة، فإذا فتيه قد نصبوا دجاجة يرمونها قال: فغضب وقال: من فعل هذا؟ فتفرقوا، فقال ابن عمر: لعن رسول الله ﷺ من يمثل بالحيوان " أخرجه الحاكم في المستدرک ٤/٢٦١، رقم ٧٥٧٥ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأخرجه النسائي في سنته الصغرى كتاب الضحايا، باب النهي عن الجمجمة ٧/٢٣٨، رقم ٤٤٤٢.

(٤) ينظر: الكبائر للذهبي ص ١٨٠ - ١٨٧ أرقام: ٤٧٥ - ٥٢٢.

(٥) ينظر: النهاج شرح مسلم ٨/٣٩٥ رقم ٢٥٩٧.

(٦) الآية ٧٨ المائدة.

وهديه وخلقَه. لأن المنهى عنه من اللعن تحديد أسماء من يُلعن، دون صفة فعلهم، وقد جاء التوجيه الرباني لنبيه ﷺ بذلك، لعل الله أن يتوب عليهم، وهو ما حدث مع بعضهم على ما سبق في حديث ابن عمر من رواية الترمذي.

رابعاً : ليس في حديثنا ما يعارض ما ورد في أحاديث أخرى نحو حديث أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله! ادع على المشركين قال : "إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة" وحديث : "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر" لأن هذه الأحاديث مطلقة، وجاء ما يقيدُها، وحمل المطلق على المقيد حينئذ واجب، جمعاً بين ما ظاهره التعارض.

أما حديث أبي هريرة : فقيده ما أخرجه الطبراني في الكبير من حديث كريب بن أسلمة^(١) قال : قيل للنبي ﷺ، العن بني عامر، قال : إني لم أبعث لعاناً^(٢) نعم! لم يبعث لعاناً لأناس بأشخاصهم، وإنما بعث رحمة، ولذا لما قالوا له ﷺ : ادع على دوس، فقال : "اللهم اهد دوساً".

فعن أبي هريرة قال : قدم الطفيل وأصحابه، فقالوا : يا رسول الله! إن دوساً قد كفرت وأبت. فادع الله عليها، فقيل : هلكت دوس فقال : "اللهم اهد دوساً، وائت بهم"^(٣).

أما حديث : "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر" فمقيد بما روى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : لا يرمى رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه^(٤) إن لم يكن صاحبه كذلك^(٥).

(١) صحابي جليل له ترجمة في : أسد الغابة ٤/٤٤٢ رقم ٤٤٤٧، والإصابة ٣/٢٩٣ رقم ٧٤٠٢ .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٨٩/١٩ رقم ٤٢٤ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٢/٨ وفيه من لم أعرفهم، وقال الحافظ في الإصابة ترجمة كريب ٣/٢٩٣ رقم ٧٤٠٢، فيه "الرحال". بمهملتين، لا يعرف حاله، ولا حال أبيه، ولا جده أهد.

(٣) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل غفار وأسلم ٨/٣١٦ رقم ٢٥٢٤ .

(٤) يعنى : رجعت عليه، وفي رواية مسلم : "إلا حار عليه" أى : رجع.

(٥) أخرجه البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن ١٠/٤٧٩ رقم ٦٠٤٥، وفي كتاب المناقب، باب منه ٦/٦٢٣ رقم ٣٥٠٨، ومسلم (بشرح النووي) كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم : يا كافر ١/٣٢٥ رقم ٦١ .

ففى قوله : "إن لم يكن صاحبه كذلك" تقييد لآبد منه، وهو يقرر ما سبق من جواز لعن العصاة بصفة فعلهم دون أشخاصهم، مع التحذير من هذا اللعن، خشية أن يكون صاحبه لا يستحقه بصفة فعله، فيعود اللعن إلى من نطق به .

والمعنى : من قال لآخر أنت فاسق، أو قال له أنت كافر، فإن كان ليس كما قال. كان هو المستحق للوصف المذكور، وأنه إذا كان كما قال، لم يرجع عليه شئ لكونه صدق فيما قال. ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقاً ولا كافراً، أن يكون أثماً فى صورة قوله له : أنت فاسق أو أنت كافر. بل فى هذه الصورة تفصيل :

١- إن قصد نصحه أو نصح غيره، ببيان حاله جاز .

٢- وإن قصد تعبيره وشهرته بذلك، ومحض أذاه لم يجز، لأنه مأمور بالستر عليه، وتعليمه وعظته بالحسن، فمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف، لأنه قد يكون سبباً لإغرائه وإصراره فى ذلك الفعل، كما فى طبع كثير من الناس من الأنفة، لاسيما إن كان الأمر دون المأمور فى المنزلة^(١). وكذلك من لعن آخر، فإن كان أهلاً لها، وإلا رجعت إلى قائلتها يدل على ذلك ما رواه أبو داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساعاً، رجعت إلى الذى لعن، فإذا كان لذلك أهلاً، وإلا رجعت إلى قائلتها"^(٢).

خامساً : ليس فى حديثنا ما يعارض ما ورد عنه ﷺ، أنه لم يكن فاحشاً، ولا لعاناً ولا سباباً^(٣) لأن هذا الحديث مقيد أيضاً بما سبق من الآيات والأحاديث التى تبين مشروعية وجواز أن

(١) ينظر : فتح البارى ١٠/٤٨٠، ٤٨١ رقم ٦٠٤٥ .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأدب، باب اللعن ٢٧٧/٤ رقم ٤٩٠٥ وسنده جيد كما قال الحافظ فى فتح البارى ١٠/٤٨١ رقم ٦٠٤٥، وللحديث شاهد عند أحمد فى المسند ١/٤٠٨، ٤٢٥ من حديث ابن مسعود بسند حسن، كما قال الحافظ فى الأماكن السابقة نفسها، وشاهد آخر من حديث ابن عباس أخرجه أبو داود فى الأماكن السابقة نفسها برقم ٤٩٠٨، والترمذى فى سننه كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى اللعنة ٣٠٩/٤ رقم ١٩٧٨ وقال : حسن غريب، وقال الحافظ فى الأماكن السابقة نفسها رواه ثقات، ولكنه أعل بالإرسال أمه .

(٣) الحديث أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن ٤٧٩/١٠ رقم ٦٠٤٦، وأحمد فى المسند ٣/١٢٦ من حديث أنس، وله شاهد من حديث ابن عمرو أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء ١٠/٤٧٠ رقم ٦٠٣٥ وشاهد عن عائشة أخرجه الترمذى فى سننه كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى خلق النبى ﷺ ٤/٣٢٤ رقم ٢٠١٦، وفى الشمائل المحمدية ص ١٩٧ رقم ٣٣٠ .

يعلن رسول الله ﷺ، من أوحى إليه، لعنهم بصفتهم دون ذكر أسماءهم، سواء بوحى مثل أو غير مثل، على ما سبق، وقد جاء حديثنا مؤكداً لما سبق من الآيات والأحاديث، حيث جاء أيضاً مقيداً، بما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس مرفوعاً : "فأما أحد دعوت عليه من أمتي، بدعوة ليس لها بأهل، أن يجعلها له طهوراً، وزكاة، وقربة يقر به بها منه يوم القيامة" (١).

فقوله ﷺ : "بدعوة ليس لها بأهل" تنقيح يبين المراد بباقي الروايات المطلقة لحديثنا، وأنه إنما يكون دعاؤه رحمة، وكفارة، وزكاة ونحو ذلك، إذا لم يكن المدعو عليه، أهلاً للدعاء عليه، وكان مسلماً، وإلا فقد دعا على الكافرين والمنافقين، ولم يكن ذلك لهم رحمة (٢).
وبالجملة : فكل ما سبق من الآيات والأحاديث - ومن بينها حديثنا - والتي تدل على مشروعية وجواز لعن عصاة الأمة. فيها رد على المخصيصين لعنه وسبه ﷺ على الكافرين والمنافقين فقط (٣).

سلباً : فإن قيل : كيف يدعو رسول الله ﷺ على من ليس هو بأهل للدعاء عليه أو يسبه أو يلعنه أو يجلده؟ فالجواب ما أجاب به العلماء من ثلاثة وجوه :

الوجه الأول : أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى، وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له، فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بأمره شرعية، ويكون في باطن الأمر ليس أهلاً لذلك، وهو ﷺ، مأمور بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر، والأحاديث في الدلالة على ذلك كثيرة، اكتفى منها بما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بعث على بن أبي طالب رضي الله عنه، إلى رسول الله ﷺ، من اليمن بذهبية فقسمها بين أربعة، فقال رجل يا رسول الله، اتق الله. فقال : ويلك! أولست أحق أهل الأرض أن يتقى الله. ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد، يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال : لا لعنه أن يكون يصلي، فقال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال ﷺ : "إني لم أؤمر أن أنتقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم" (٤).

(١) سبق تخريجه ص ٤٩٣ .

(٢) ينظر : المنهاج شرح مسلم للنووي ٤٠٠/٨ رقم ٢٦٠٣ .

(٣) يراجع : نص كلام جعفر مرتضى، وعبد الحسين شرف الدين ص ٤٩٢، ٤٩٣ .

(٤) مختصر من حديث طويل، أخرجه مسلم (شرح النووي) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم

١٧٢/٤ رقم ١٠٦٤، والبخاري (بشرح فتح الباري) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى :

﴿وإلى عاد أخاهم هود﴾ ٤٣٣/٦ رقم ٣٣٤٤ .

ففى قوله : "إنى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم" دلالة على ما أجمع عليه العلماء فى حقه عليه السلام، من الحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر^(١).

والوجه الثانى : أنه أراد أن دعوته عليه، أو سبه، أو جلده، كان مما خير بين فعله له عقوبة للجانى، أو تركه والزجر له بما سوى ذلك فيكون الغضب لله تعالى، بعثه على لعنه وسبه، ولا يكون ذلك خارجاً عن شرعه. ويشهد لصحة هذا الوجه، ما رواه مسلم فى صحيحه بسنده عن عائشة قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، رجلان فكلماه بشئ، لا أدرى ما هو، فأغضباه، فلعنهما وسبهما، فلما خرجا. قلت : يا رسول الله، ما أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان قال : وما ذاك؟ قالت : قلت لعنتهما وسببتهما. قال : أو ما علمت ما شرطت عليه ربى؟ قلت : اللهم! إنما أنا بشر. فأى المسلمين لعنته أو سببته، فاجعله له زكاة وأجراً^(٢).

وفى المسند عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دفع إلى حفصة ابنة عمر رجلاً، فقال لها احتفظى به، قال : ففعلت حفصة، ومضى الرجل، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال : يا حفصة ما فعل الرجل؟ قالت : غفلت عنه يا رسول الله فخرج، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قطع الله يدك، فرفعت يديها هكذا، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : ما شأنك يا حفصة؟ فقالت : يا رسول الله! قلت قبل لى كذا وكذا، فقال لها : ضعى يدك. فباتى سألت الله عز وجل، أيما إنسان من أمتى دعوت الله عز وجل عليه أن يجعلها له مغفرة^(٣).

فتأمل : كيف أن غضبه صلى الله عليه وسلم فى الحديثين السابقين، كان غضبة لله عز وجل، فكان دعاؤه فى تلك الغضبة، مما خير بين فعله عقوبة للجانى، أو تركه والزجر له بما سوى ذلك.

وليس فى ذلك الغضب خروج عن شرعه، وعصمته فى سلوكه وخلقه، بل فى ذلك كمال خلقه، ودلالة على بشريته، كما صرح بذلك فى رواية مسلم عن أنس قال : "إنما أنا بشر. أَرْضَى كما يَرْضَى البشر، وأغضب كما يغضب البشر".

(١) ينظر : تلخيص الحبير ٤/٤٦٥ رقم ٢١٠٠، ونيل الأوطار ١/٢٨٩، والشفا ٢/١٩٦، وشرح

الزرقانى على المواهب ٧/١٨٤.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٩٣.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٩٣.

ولا يفهم من قوله : "وأغضب كما يغضب البشر" أن الغضب حمله على مالا يجب، بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه أو سبه، وأنه مما كان يحتمل، ويجوز عفو عنه، أو كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه^(١).

ومع ذلك، فمن كمال شفقتة، وخلقه على أمته، سأل ربه عز وجل، أن يجعل دعاءه مغفرة ورحمة لمن دعا عليه من أمته.

والوجه الثالث : أن يكون اللعن والسب والجلد، وقع منه ﷺ، من غير قصد إليه، فلا يكون فسى ذلك، كاللعنة، والسب، والجلدة، الواقعة بقصد ونية، ورغبة إلى الله، وطلباً للاستجابة، بل كل ذلك يجرى على عادة العرب في وصل كلامها عند الحرج، والتأكيد للعتب، لا على نية وقوع ذلك نحو قولهم : عقرى حلقى، وتربت يمينك، فأشفق من موافقة أمثالها القدر، فعاهد ربه، ورغب إليه، أن يجعل ذلك القول رحمة وقربة^(٢) وأشار القاضي عياض إلى ترجيح هذا الوجه^(٣) وحسنه الحافظ ابن حجر؛ إلا أنه أخذ عليه أن قوله "جلنته" لا يتمشى فيه، إذ لا يقع الجلد عن غيره قصد... إلا أن يحمل على الجلدة الواحدة فينتج^(٤).

قلت : هي محمولة على الجلدة الواحدة، وسيأتى من حديث أبي السوار عن خاله، وعن ابن عباس، أن الجلدة تقع منه ﷺ، عن غير قصد، وهو ما يرجح عندي هذا الوجه الثالث مع الوجه الثاني ويشهد لرجحان الوجه الثالث ما يلي :

١- ما روى عن أنس قال : "لم يكن رسول الله ﷺ، فاحشاً، ولا لعاناً، ولا سباباً، كان يقول عن المعتبة : ماله ترب جبينه"^(٥).

٢- وعن المغيرة بن شعبة قال : "ضفت^(٦) مع رسول الله ﷺ، ذات ليلة، فأتى بجنب^(٧) مشوى، ثم أخذ الشفرة^(٨) فجعل يحز، فحز لى بها منه. قال : فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فألقى الشفرة

(١) ينظر : الشفا ١٩٦/٢ .

(٢) ينظر : فتح البارى ١٧٦/١١ رقم ٦٣٦١، والمنهاج شرح مسلم ٤٠٠/٨ رقم ٢٦٠٠ .

(٣) الشفا ١٩٦/٢، ١٩٧ .

(٤) فتح البارى ١٧٦/١١ رقم ٦٣٦١ .

(٥) سبق تخريجه ص ٤٩٣ .

(٦) أى : كنت ضيفا عليه .

(٧) أى : قطعة من اللحم المشوى .

(٨) أى : السكين .

فقال : ماله؟ تربت يده؟ قال : وكان شاربہ قد وفى^(١) فقال له : أقصه لك على سواك أو قصة على سواك^(٢) "فترب جبينه" و"تربت يده" فى الحديثين، أصلها من ترب الرجل، إذا افتقر، أى : لصق بالتراب، وهى كلمة جارية على ألسنة العرب، لا يريدون بها الدعاء على المخاطب، ولا وقوع الأمر به، كما يقولون قائله الله^(٣).

٣- وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله. أنؤاخذ بما نقول : قال : "تكلتك أمك يا بن جبل، وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم"^(٤)؟ فقوله : "تكلتك أمك" أى فقدتك. والنكل فقد الولد، هذا أصل الكلمة فهو دعاء عليه بالموت على ظاهره، ولا يراد وقوعه، بل تأليب وتنبيه من الغفلة، لسوء قوله^(٥).

٤- ومن ذلك حديث عائشة رضى الله عنها، لما قيل له ﷺ، إن صفية زوجة - حائض - قال : عقرى حلقى^(٦) فقوله : "عقرى" أى عقرها الله، وأصابها بجرح فى جسدها، وقيل جعلها عاقرا لا تلد، وقيل عقر قومها.

ومعنى "حلقى" أى حلق شعرها، وهو زينة المرأة، أو أصابها وقوع فى حلقها، أو حلق قومها بشؤمها، أى أهلكتهم^(٧).

فهذا أصل هاتين الكلمتين، ثم اتسع العرب فى قولهما، بغير إرادة حقيقتهما، ففى ذلك كله دلالة، على استعمال رسول الله ﷺ لما جرت به العادة فى الخطاب، ولا يراد به حقيقته، فكثيرا

(١) أى : طال وأشرف على فمه.

(٢) أخرجه الترمذى فى الشمائل المحمدية ص ١٠٦ رقم ١٥٧، وأبو داود فى سننه كتاب الطهارة، باب فى ترك الوضوء مما مست النار ٤٨/١ رقم ٨٨ ورجاله كلهم ثقات - فالإسناد صحيح.

(٣) ينظر : النهاية فى غريب الحديث ١٨١/١.

(٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت ص ٣٧ رقم ٦، والترمذى فى سننه مطولا كتاب الإيمان، باب ما جاء فى حرمة الصلاة ١٣/٥ رقم ٢٦١٦ وقال : حسن صحيح، والنسائى فى سننه الكبرى كتاب التفسير، باب قوله تعالى : "تتحاف جنوبهم عن المضاجع" ٤٢٨/٦ رقم ١١٣٩٤، وابن ماجه، فى سننه كتاب الفتن، باب كف اللسان فى الفتنة ٤٨٦/٢ رقم ٣٩٧٣، وأحمد فى المسند ٢٣١/٥، ٢٣٧، والحاكم فى المستدرک ٣١٩/٤ رقم ٧٧٧٤ وقال : على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى.

(٥) ينظر : النهاية ٢١٢/١، ومختار الصحاح ص ٨٥.

(٦) الحديث أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع ٩١/٥ رقم ١٢١١، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحج، باب إذا حاضت المرأة بعدما أفلضت ٦٨٦/٣.

رقم ١٧٦٢.

(٧) ينظر : النهاية ٢٤٦/٣، وفتح البارى ٦٨٩/٣ رقم ١٧٦٢.

ما ترد للعرب ألفاظ، ظاهرها الذم، وإنما يريدون بها المدح، كقولهم : لا أب لك، ولا أم لك، ونحو ذلك. فاشفق ﷺ، على من دعا عليه، بمثل ما سبق، أن يوافق القدر، فسأل ربه عز وجل، أن يجعل ذلك القول رحمة وقربة، وهذا من جميل خلقه العظيم.

٥- وفي المسند عن خال أبي السوار قال : رأيت رسول الله ﷺ، وأناس يتبعونه، فأتبعته معه، قال : ففجنتي القوم يسعون، قال : وأبقى القوم، قال : فأتى على رسول الله ﷺ، فضربني ضربة إما بعسيب أو قضيب أو سواك أو شيء كان معه، قال : فوالله ما أوجعني قال : فبنت بليلة، قال : وقلت ما ضربني رسول الله ﷺ، إلا لشيء علمه الله فيّ، قال : وحدتني نفسي أن أتى رسول الله ﷺ، إذا أصبحت، قال : فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ، فقال : إنك راع، لا تكسرن قرون رعيتك، قال : فلما صلينا الغداة، أو قال أصبحنا، قال : قال رسول الله ﷺ : " اللهم إن إناساً يتبعوني، وإني لا يعجبني أن يتبعوني، اللهم فمن ضربت أو سببت، فاجعلها له كفارة وأجرأ، أو قال مغفرة ورحمة، أو كما قال" (١).

فتأمل : كيف أن ضربه هنا كالجلدة، وقعت منه ﷺ، من غير قصد ولا نية للإيذاء، حيث أقر المضروب؛ أنها لم توجهه، وقد دل الحديث على أن الجلدة، وقعت منه ﷺ، عتاباً. على من تبعه، من قومه في مقام، لم يعجبه ﷺ، أن يتبعوه فيه.

٦- ومن هذا القبيل ما جاء في ضربه ﷺ، لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما، ملاطفة وتأنيساً وحثاً له على سرعة إنجاز ما طلبه منه.

فعن ابن عباس قال : "كنت ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف بلب، قال : فجاء فحطأني - أى ضربني باليد مبسوطة بين الكتفين - وقال : اذهب وادع لى معاوية... الحديث" (٢).

٧- ومن ذلك أيضاً، ما جاء في حديث معاذ، وهل نواخذ بما تكلمت به ألسنتنا يا رسول الله؟ قال : فضرب رسول الله ﷺ، فخذ معاذ، ثم قال : "يا معاذ ثكلتك أمك وما شاء الله أن يقول له من ذلك... الحديث" (٣).

(١) سبق تخريجه ص ٤٩٣ .

(٢) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الر والصلة، باب من لعنه النبي ﷺ... إلخ ٣٩٩/٨ رقم ٢٦٠٤ .

(٣) سبق تخريجه قريباً، وهذا نص الحاكم.

وفى الأحاديث السابقة رد على ما استدركه الحافظ على الوجه الثالث، بأن الجلد لا يقسع عن غير قصد... الخ، فإن ذلك محمول كما هو ظاهر الأحاديث السابقة على الجلدة الواحدة، من غير قصد ولا نية للإيذاء إلا مجرد العادة الجارية أو التأكيد للعتب. وإذا حملت الجلدة فى الحديث على الواقعة بقصد ونية، وأكثر من جلدة، فيحمل الجلد حينئذ على الوجه الأول السابق، فيزول أيضاً اعتراض الحافظ على حسن الوجه الثالث. والله أعلم.

٨- وعن أنس قال : كانت عند أم سليم يتيمة، فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة فقال : أنت هيه! لقد كبرت، لا كبر سنك. فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكى، فقالت أم سليم مالك يا بنيّة! قالت الجارية : دعى على نبي الله ﷺ، أن لا يكبر سنى، فالآن لا يكبر سنى أبداً، أو قالت قرنى، فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها^(١) حتى لقيت رسول الله ﷺ، فقال لها : مالك يا أم سليم؟ فقالت : يا نبي الله! أدعوت على يتيمتى؟ قال : وما ذاك يا أم سليم؟ قالت : زعمت أنك دعوت أن لا يكبر سنّها، ولا يكبر قرنّها، قال : فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال : يا أم سليم! أما تعلمين أن شرطى على ربي، أنى اشترطت على ربي فقلت : إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر. وأغضب كما يغضب البشر، فأيا أحد دعوت عليه، من أمتى، بدعوة ليس لها بأهل، أن يجعلها له طهوراً وزكاة، وقربة يقربه بها منه يوم القيامة^(٢).

٩- وعن ابن عباس رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ بعث إلى معاوية ليكتب له فقال : إنه يأكل، فقال رسول الله ﷺ : "لا أشبع الله بطنه"، زاد البيهقى فى الدلائل : فما شبع بطنه أبداً^(٣).

فما ورد هنا فى حديث أنس من قوله : "لقد كبرت لا كبر سنك" وفى حديث ابن عباس "لا أشبع الله بطنه" الظاهر من هذا الدعاء، أنه وقع منه ﷺ، بغير قصد ولا نية، بل هو مما جرت به عادة العرب فى وصل كلامها بلا نية؛ ومع ذلك أشفق نبي الرحمة من موافقة أمثالها إجابة، فعاهد

(١) أى : تديره على رأسها. المنهاج شرح مسلم ٤٠١/٨ رقم ٢٦٠٣ .

(٢) سبق تخريجه ص ٤٩٣ .

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده ص ٣٥٩ رقم ٢٧٤٦، ومسلم (بشرح النووى) كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه ... الخ ٣٩٩/٨ رقم ٣٦٠٤، والبيهقى فى دلائل النبوة ٢٤٣/٦ .

ربه، كما فى روايات الحديث، أن يجعل ذلك للمقول له زكاة، ورحمة، وقربة، وهذا إنما يقع منه ﷺ، فى النادر الشاذ من الزمان.

وفىما سبق، فيه الكفاية للدلالة على ترجيح الوجه الثالث، فى معنى حديثنا كما أن فى كل ما سبق رد على استغلال بعض الفرق وأشياهم حديث ابن عباس السابق للطعن فى معاوية رضى الله عنه^(١).

وليس فى الحديث ما يساعدهم على ذلك؛ كيف وفى الحديث أنه كان كاتب الوحي لرسول الله ﷺ.

قال الإمام النووى : "وقد فهم مسلم - رحمه الله - من هذا الحديث، أن معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه، فهذا أدخله فى هذا الباب يعنى باب (من أخيه النبى ﷺ، أو سبه، أو دعاء عليه، وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجرأ ورحمة) وجعله غيره من مناقب معاوية، لأنه فى الحقيقة يصير دعاء له"^(٢).

وقال الحافظ ابن كثير : "وقد انتفع معاوية رضى الله عنه، بهذه الدعوة فى دنياه وأخواه، أما فى دنياه، فإنه لما صار إلى الشام أميراً، كان يأكل فى اليوم سبع مرات، بجاء بقصة فيها لحم كثير، وبصل فيأكل منها، ويأكل فى اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول : والله ما أشبع، وإنما أعيا - أى أتعب - وهذه نعمة، ومعدة يرغب فيها كل الملوك، وأما فى الآخرة فقد اتبع المسلمون هذا الحديث، بالحديث الذى رواه البخارى وغيرهما من غير وجه، عن جماعة من الصحابة؛ أن رسول الله ﷺ قال : "اللهم إنما أنا بشر فأيمأ عبد سببته، أو جلده، أو دعوت عليه، وليس لذلك أهلاً فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة"^(٣) فركب مسلم من الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك"^(٤).

(١) ينظر : الصحيح من سيرة النبى الأعظم لجعفر مرتضى العاملى ١٧٠/٦، وأبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين الموسوى ص ١٠٠ - ١٠٤، ومساحة للحوار ص ١١٧، ١١٨، والمواجهة مع رسول الله وآله ص ٢٥٧ - ٢٥٩ كلاهما لحمد حسين يعقوب، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين لصالح الوردانى ص ٢٦٤، ودين السلطان لنيازى عز الدين ص ٤٢١.

(٢) المنهاج شرح مسلم ٤٠٢/٨ رقم ٢٦٠٤.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٩٢.

(٤) البداية والنهاية ١٢٢/٨، ١٢٣.

وبالجملة : فحديثنا ليس فيه ما يعارض عصمة رسول الله ﷺ في سلوكه وهديه، وخلقه العظيم؛ بل فيه كمال شفقتة ﷺ على أمته، وجميل خلقه، وكرم ذاته، حيث قصد مقابلة ما وقع منه، بالجبر والتكرم.

وهذا كله في حق معين في زمنه واضح، وأما ما وقع منه ﷺ بطريق التعميم لغير معين، حتى يتناول من لم يدرك زمنه ﷺ فلا يشملُه^(١).
وبعد :

فهذه نماذج من الأحاديث الصحيحة التي نتناول سيرة سيدنا رسول الله ﷺ، والتي طعن فيها دعاة الفتنة وأدعياء العلم بحجة أنها تطعن في عصمة رسول الله ﷺ في سلوكه وهديه، وتشوه سيرته العطرة؛ هذا في الوقت الذي يطعن فيه بعضهم، بعدم عصمته ﷺ؛ مستدلاً ببعض الآيات المتشابهات.

والحق أن هؤلاء الأدعياء ومحاولة طعنهم في السيرة العطرة الواردة في السنة بحجة أنها تتعارض مع عقولهم الزائغة، أو مع كتاب الله عز وجل، أو مع العلم أو غير ذلك... يكشف عن أنهم لا يعرفون شيئاً أو يتجاهلون ليثبتوا كيدهم للسنة النبوية بل للإسلام! أهـ.

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

(١) وفي ذلك رد على التعميم الذي فهمه وزعمه نيازى عز الدين من حديثنا. ويراجع نص كلامه ص ٤٩٢ .

الخاتمة فى
نتائج هذه الدراسة
ومقترحات وتوصيات

الخاتمة

الحمد لله تعالى على فضله العظيم أن وفقني لإتمام هذه الرسالة، التي ظهر لى من نتائج دراستى فيها التأكيد على ما يلى :

١- عصمة سيدنا رسول الله ﷺ، من كل ما يمس قلبه، وعقيدته بسوء من التمسح بالأصنام، أو الحلف بها، أو أكل ما ذبح على النصب، ونحو ذلك من مظاهر الكفر والشرك، والضلال والغفلة، والشك، قبل النبوة وبعدها، وفى كل حالاته من رضى وغضب، وجد ومزح.

٢- عصمته ﷺ من تسلط الشيطان عليه، وكفائته منه، وما ورد فى القرآن الكريم، والسنة النبوية من تعرض الشيطان له ﷺ بالأذى فى جسمه، أو على خاطره بالسوسة، لا يتعارض مع عصمته ﷺ من الشيطان، حيث عصمه ربه عز وجل بعدم تمكن الشيطان من غوايته ﷺ، أو إلحاق ضرر به يضر بالدين.

٣- عصمته ﷺ من كل ما يمس عقله بسوء حتى كان قبل النبوة وبعدها أكمل الناس عقلاً وفطنة، كما كان ﷺ أكمل الناس إيماناً وخُلُقاً.

٤- عصمته ﷺ من كل ما يمس أخلاقه بسوء حتى استحققت أن توصف بالعظمة. قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) وبلغ من عظمة أخلاقه تكافؤها بنسب متفقة، فحلمه مثل رحمته، ورحمته مثل مروءته... الخ وهو فى كل ذلك فى أول شبابه كآخر حياته ﷺ.

٥- اختصاصه ﷺ بعصمة بدنه الشريف من القتل دون سائر الأنبياء. بدلالة قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا قَالُوا نُوْمَنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢) فالآية تحدى واضح لقتلة الأنبياء والمرسلين من بنى إسرائيل، بأنهم مهما حاولوا قتله ﷺ، فلم ولن يفلحوا، كما سبق منهم مع أنبيائهم؛ لأن رب العزة خص رسوله ﷺ بتلك العصمة فى بدنه الشريف من القتل بدلالة "من قبل" فتأمل.

٦- عصمته ﷺ فى بدنه من القتل لا يتعارض مع ابتلائه بضروب من المحن والشدائد، لأن رسول الله ﷺ، وسائر الأنبياء والرسل من البشر. هم بحسب ظواهرهم يطرأ عليهم ما يطرأ

(١) الآية ٤ القلم.

(٢) الآية ٩١ البقرة.

على سائر البشر من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام، وكل ذلك إظهاراً لبشريتهم، وإظهاراً لشرفهم، ورفعة لدرجاتهم، وتسلياً لأممهم ليتأسوا بهم في صبرهم وشكرهم على البلاء.

٧- عصمته ﷺ في نقل وحى الله تعالى وتبليغه للناس، وعلى ذلك دلائل الكتاب والسنة والسيرة العطرة، وإجماع الأمة فلا يجوز عليه ﷺ خلف فيما أخبر به من الوحي، لا بقصد، ولا بغير قصد، ولا في حال الجد والهزل، ولا في حال الصحة والمرض أو أى حال كان؛ والكلام هنا ليس خاصاً بالنبي ﷺ، بل وغيره من الأنبياء كذلك، إذ لا فرق بينهم في واجب التبليغ.

٨- عصمته ﷺ في اجتهاده في الإسلام، لأنه اجتهاد محروس بوحى الله تعالى، فإن وافق قوله أو فعله مراد الله تعالى، فالأمر كما أخبر رسول الله ﷺ، وإن كان الأمر يحتاج إلى تصحيح أو توضيح أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ بذلك ويصير اجتهاده في النهاية، وحى من الله تعالى، وحجة شرعية إلى يوم الدين.

٩- عصمته ﷺ في سلوكه وهديه، فقد كانت أقواله وأفعاله، وأحواله كلها؛ تشريعاً تقتضى المتابعة والافتداء إلا ما قام به الدليل على أنه من خصائصه ﷺ، وعلى ذلك دلائل القرآن الكريم، والسنة المطهرة، واتفاق السلف وإجماعهم عليه. وذلك أننا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله، والنقة بجميع أخباره في أى باب كانت، وعن أى شئ وقعت؛ وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شئ منها، ولا استثنائات عن حاله عند ذلك، هل وقع فيها عن وحى أو اجتهاد، وهل وقع فيها سهواً أو عمداً، أو رضاً أو سخطاً، أو جداً أو مزحاً، أو صحة أو مرضاً، أو أى حال كان.

١٠- إن شبهات أعداء الإسلام من المستشرقين حول عصمة سيدنا رسول الله ﷺ قائمة على إنكار نبوته ﷺ، إذ لم تكن لدى معظمهم القناعة العلمية، ولا الإيمان الراسخ بهذه النبوة، وبخاصة أولئك الذين جمعوا بين الاستشراق والتبشير، وألبسوا أفكارهم أروية كنسية متطرفة. فقد نشأوا على أديان أخرى، ونفثوا بشئ من العداء لهذه الشخصية النبوية الكريمة، ودفعوا دفعاً مقصوداً للطعن في نبوته، وحملوا حملاً مغرضاً لتجريدته من صفاتها، وعلى رأسها صفة العصمة.

١١- إن شبهات أعداء السنة المطهرة - ممن هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا - حول عصمة سيدنا رسول الله ﷺ قائمة على إعلان الكفر صراحة بالشرط الثانى من الوحي الإلهي وهو سنة سيدنا رسول الله ﷺ وسيرته العطرة الواردة فيها، وزعمهم أن في تلك الأحاديث

المتعلقة بسيرة رسول الله ﷺ تشويه لسيرته، وطعن في عصمته. وهم فيما يزعمون يستترون بعبادة القرآن الكريم، وفاق تسترهم كل حد، إذ تجرأوا على كتاب ربهم عز وجل، ففسروه وأولوه، بما يأتي في النهاية صراحة بردهم على الله تعالى كلامه، وتناولهم عليه عز وجل من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

١٢- إن القرآن الكريم هو شريعة الإسلام قولاً، ورسول الله ﷺ هو شريعة الإسلام عملاً؛ فحياته ﷺ كلها، وما صدر عنه فيها من أقوال وأفعال وتقريرات حتى الحركات والسكنات، هي تفصيل وبيان وترجمة حية لما اشتمل عليه القرآن الكريم من عقائد، أو عبادات، أو معاملات، أو أخلاق، أو حدود، أو أحوال شخصية... الخ. وإن فلم تكن هذه المفتريات التي زعمها أعداء السنة على سيرة رسول الله ﷺ، الواردة في صحيح السنة النبوية، لم يكن مقصوداً بها الرسول لذاته، وإنما كانت غايتها تدمير الشريعة وصاحب الشريعة، ثم يأتي من وراء ذلك تدمير المجتمع الإسلامي كله!

١٣- إن رواية السيرة العطرة وأئمتها، لم تكن وظيفتهم بصدد أحداث السيرة إلا تثبيت ما هو ثابت منها بمقياس علمي، يتمثل في قواعد مصطلح الحديث المتعلقة بكل من السند والمتن، وفي قواعد علم الجرح والتعديل المتعلقة بالرواة وتراجهم.

فإذا انتهت بهم هذه القواعد العلمية الدقيقة إلى أخبار ووقائع، وقفوا عندها ودونوها، دون أن يقحموا تصوراتهم الفكرية أو انطباعاتهم النفسية، أو مألوفاتهم البينية إلى شيء من تلك الوقائع بأي تلاعب أو تحوير.

١٤- ليس في الربط بين القرآن الكريم، والسنة المطهرة في تحديد شخصية وسيرة المعصوم ﷺ شرك وتآليه لرسول الله ﷺ كما يزعم أعداء السنة، لأن الربط هنا ربط إلهي، وطاعة لله عز وجل وطاعة لرسوله ﷺ. وقد دل على هذا الربط عشرات الآيات القرآنية في طاعة الله عز وجل، وطاعة رسوله ﷺ طاعة مستقلة وأنها من طاعته عز وجل.

١٥- إن منكري السنة النبوية في دعواهم التعارض بين سيرته ﷺ في القرآن الكريم، وسيرته ﷺ في السنة المطهرة، مغرضون مفترون في تكلف التعارض، ولو أرادوا الحق لسألوا، أو قرأوا، والأجوبة عن كل استسكالاتهم في كتب الأئمة؛ وهم أدرى بالنص، وعلى غيرهم

أن يحترم رأيهم. فهم رجال قيدهم رب العزة لحفظ دينه، وأمر عباده بالرجوع إليهم. قال تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾^(١).

١٦- إن المتتبع للآيات المتشابهات التي استدل بها أعداء الإسلام، وأعداء السنة، على عدم عصمة رسول الله ﷺ، يرى أنها واردة في مقام المنة على رسول الله ﷺ، وبيان عظيم مكانته وفضله عند ربه عز وجل في الدنيا والآخرة، بأعظم ما يكون البيان ويرى بوضوح وجلاء أن كل آية من تلك الآيات تأتي بنوع من الترفق برسول الله ﷺ، في الخطاب طمأنة لقلبه الطاهر، وتتادى بأن ما ورد من ظاهر تلك الآيات مما يمس عصمته غير مراد، وتتادى بأن ما صدر منه ﷺ من خطأ في الاجتهاد، ووجه إلى الأخذ بالأصوب منه فيما يستقبل من حوادث لم يؤثر على شيء من عصمته، ولا مما ناله من شرف القرب، والرضا عليه من الله عز وجل، مما يمكن أن يقال فيه، إنه مسح بيد الرحمة على القلب الطاهر الرحيم، الذي جعله رب العزة هدى ورحمة للعالمين .

١٧- إن ما استدل به أعداء الإسلام من أحاديث على عدم عصمته ﷺ لا حجة لهم فيها، لأن ما استدلوا به أحاديث مكنوبة، وضعيفة، وأخرى صحيحة مع ضعف دلالتها على ما احتجوا به .

١٨- إن عصمة رسول الله ﷺ، وسائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام مبنية على إرادة كونية، وهى اصطفاء الله عز وجل لهم، وعصمتهم من كل ما يخل بهذا الاصطفاء، قبل نبوتهم وبعدها، وهم فى عالم الغيب لم يخلقوا بعد .

وعليه : فلا معنى لإثارة الخلاف حول عصمة الأنبياء قبل نبوتهم من المعاصى كبائرهما وصغائرهما من حيث الوقوع وعدمه، أو من حيث امتناعه سمعا أو عقلا .

هذه هى أهم نتائج الدراسة فى موضوع : "رد شبهات حول عصمة النبى ﷺ فى ضوء السنة النبوية الشريفة" وإذا كان لى أن أقترح أو أوصى بشئ فى هذا المقام، فإنى أقترح وأوصى بما يلى :

١- دراسة شبهات أعداء السنة قديماً وحديثاً، وبيان بطلانها من خلال تدريس تاريخ السنة وعلومها .

(١) الآية ٤٣ النحل، والآية ٧ الأنبياء .

- ٢- إخضاع الكتابات المتعلقة بما يمس عصمة رسول الله ﷺ للتحقيق والتحيص، وسد منافذ الاجترار على السيرة النبوية بديار المسلمين، وتجريم ذلك في جميع الوسائل .
- ٣- الحكم بالارتداد على منكرى عصمة رسول الله ﷺ، وتنفيذ أحكام الله فيهم بمعرفة القضاء؛ لأن منكر العصمة منكر لوحى الله تعالى .
- ٤- العمل على أن يكون للمحدثين رابطة على مستوى العالم الإسلامى؛ تجمع شملهم، وتقنن أعمالهم، وتلم شعث جهودهم .
- ٥- مواصلة العمل الجاد، وتضافر الجهود، وتشابك الأيدي، وإخلاص النية، كي نبين ما ينطوى عليه الغرض الخبيث الذى يلتقى عليه أعداء الله للنيل من سنة رسول الله ﷺ، وسيرته العطرة الواردة فيها، ومن أئمة السنة الأعلام، ومن ثم وقف هذه الحملة للشرسة المسعورة التى تستهدف الإسلام وهدم كل ما يتصل به من قرآن وسنة وسيرة، وتاريخ، وأمة تتداعى عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها .

وبعد :

فهذا آخر ما فتح الله على به، ووفقتى لكتابته فى هذا البحث الجليل، الذى اعترف فيه بالعجز والتقصير .

ولعلى أكون قد أصبت فى بعض مسائله، وشفيت الغليل فى شئ من مباحثه؛ فإن يكن ذلك حقاً : فبفضل الله، وهدايته، وحسن توفيقه، وعنايته. وإن كانت الأخرى، فذلك من نقصى وتقصيرى، ولتوب إلى الله وأستغفره، وأسأله عز وجل الصفح والغفران، فيما زلت فيه قدمى، وانحرف فيه عن جادة الحق قلمى.

اللهم تقبل هذا الجهد الضئيل خالصاً لوجهك الكريم وانفع به المستفيدين
وارزقنى دعوة صالحة منهم، ينالنى بها عفوك ورضاك. وآخر دعواتنا
أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين
وإمام المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه
والمتمسكين بسنته أجمعين .

الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- ثانياً : فهرس الأحاديث والآثار.
- ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم.
- رابعاً : فهرس الأشعار.
- خامساً : فهرس البلدان والقبائل والفرق.
- سادساً : فهرس المصادر والمراجع.
- سابعاً : فهرس الموضوعات.

أولاً : فهرس الآيات القرآنية (١)

الآية	رقمها	رقم الصفحة	الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة البقرة			﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾	(٣١)	٣٥
﴿فَازْلِهِمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾	(٣٦)	٧١	﴿وَأَنِّي سَمِعْتُهَا مَرِيماً وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾	(٣٦)	٢٠٦
﴿فَاتَّطَمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾	(٧٥)	٣٤٥	﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾	(٤١)	٢٦٩
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾	(٩١)	١٠٣	﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	(٦٦)	—
﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى﴾	(١٠٢)	٣٤٥	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾	(٨١)	٦٨
﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾	(١٠٥)	٣٠٨	﴿كُلِ الطَّعَامَ كَانَ حَلَالِنِي إِسْرَائِيلَ﴾	(٩٣)	١٩٧
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	(١١٣)	٣٦٣	﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَى﴾	(١٠١)	٢٤
﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾	(١١٨)	٣٠٢	﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾	(١٢٨)	٥١٥
﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾	(١٣٩)	١٥٢	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ﴾	(١٤٤)	٣٧٩
﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾	(١٤٢)	٣٨١	﴿لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾	(١٥٢)	٣٨٢
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَاتَكُمْ﴾	(١٤٣)	٣٨١	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾	(١٥٥)	٤٢٠
﴿لَقَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾	(١٤٤)	٣٨١	﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾	(١٥٩)	٤١١
﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾	(١٥٨)	٤٣	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	(١٦٤)	٢٧٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾	(١٦١)	٥١٦	﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا﴾	(١٨٣)	—
﴿وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُتَخَذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	(١٦٥)	٤٠١	سورة النساء		
﴿كَتَبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامَ﴾	(١٨٣)	٣٧١	﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارًا﴾	(١٤)	٣٩٠
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾	(١٨٧)	١٤٦	﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾	(١٩)	٤٨٥
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾	(٢١٧)	١٧٨	﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾	(٢٤)	٣٧١
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾	(٢٢٢)	—	﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾	(٢٥)	٣٧٢
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	(٢٣١)	٣٦٣	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾	(٢٨)	٢٣٢
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	(٢٥٣)	٤٨٨	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾	(٤٠-٤١)	٣٩١
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾	(٢٥٦)	٣٥١	﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾	(٤٦)	٣٤٥
﴿أَوَلَمْ تَوْمُنْ قَالِ بَلَى﴾	(٢٦٠)	٢٣٧	﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	(٥٤)	٢٧٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾	(٢٨٢)	١٣٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾	(٥٩)	٣٨٧
﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَهُ مِنْ رَبِّهِ﴾	(٢٨٥)	١٣١	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾	(٦١)	٣٨٩
سورة آل عمران			﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	(٦٤)	٣٨٨
﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأِمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾	(٢٠)	٣٤٩	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمَكَ﴾	(٦٥)	٣٥٦

(١) هذا الفهرس مرتب على ترتيب السور الكريمة في المصحف الشريف، والآيات الكريمة مرتبة على حسب ورودها في السور الكريمة.

رقم الصفحة	رقمها	الآية	رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٥٠	(٩٩)	﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾	٤٦٦	(٦٩)	﴿ومن يطع الله والرسول﴾
٢٧٨	(١١٠)	﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾	٦١	(٧٨)	﴿فمما هؤلاء القوم لا يكادون﴾
٢٧٠	(١١١)	﴿واذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا﴾	١٩٨	(٨٠)	﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾
—	(١٣٦)	﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله﴾	—	(٨٣)	﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى﴾
		سورة الأنعام	٣٧٧	(١٠٠)	﴿تؤمنوا بالله ورسوله﴾
١٥١	(١٥)	﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾	٣٥٦	(١٠٥)	﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾
٣٠	(٢٣)	﴿فأتهم لا يكذبونك ولكن الظالمين﴾	١٣٨	(١١٣)	﴿وأنزل عليك الكتاب والحكمة﴾
٢٦٢	(٣٨)	﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾	٣٨٦	(١٣٦)	﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله﴾
١٥٦	(٥٢)	﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾	١٣١	(١٥٢)	﴿والذين آمنوا بالله ورسوله﴾
١٦٢	(١٧-١٨)	﴿واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾	٢١٣	(١٥٧-١٥٨)	﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى﴾
١٦٠	(٦٨)	﴿وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد﴾	٣١٦	(١٦٣)	﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح﴾
٢٤١	(٧٥)	﴿وكنك نرى إبراهيم ملكوت السماوات﴾	٢٧٤	(١٦٤)	﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾
٣٥	(٩٠)	﴿والولك الذين هدى الله﴾			سورة المائدة
٤٦٥	(١١٢)	﴿وكنك جعلنا لكل نبي عدو﴾	٢٩٠	(٣)	﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾
٣٥٣	(١١٤)	﴿وهو الذي أنزل إليك الكتاب﴾	٥٠	(٦)	﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى﴾
٨١	(١٢١)	﴿ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾	١٢٢	(١١)	﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله﴾
٦٧	(١٢٤)	﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾	٣٧٢	(٣٣)	﴿إنا جزاء الذين يحاربون الله﴾
٨٥	(١٢٥)	﴿ومن يرد الله أن يضلّه يجعل صدره﴾	٥٣	(٣٨)	﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾
٣٧٥	(١٤٦)	﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي﴾	٣٤٥	(٤١)	﴿ومن الذين هادوا سماعون للكذب﴾
٣٩٥	(١٥٣)	﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾	٤١٦	(٤٢)	﴿فإن جاؤك فاحكم بينهم﴾
١٥٣	(١١٢-١١٣)	﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي﴾	٣٢٦	(٤٨)	﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾
		سورة الأعراف	٥١٥	(٦٤)	﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾
١٥٤	(٣٢)	﴿قل من حرم زينة الله﴾	١٠٤	(٦٧)	﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك﴾
٥١٥	(٤٤)	﴿فإن مؤمن بينهم أن لعنة الله﴾	—	(٧٢)	﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله﴾
—	(١١٦)	﴿قالوا ألقوا فلما ألقوا سحروا﴾	٥١٦	(٧٨)	﴿إن الذين كفروا من بني إسرائيل﴾
—	(١٥٧)	﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾	١٩٣	(٨٧)	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا﴾
٣٥	(١٥٨)	﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾	٤٥	(٩٠)	﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾
٢٩	(١٨٤)	﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة﴾	٣٨٧	(٩٢)	﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾
٧١	(٢٠٠)	﴿وإما ينزغك الشيطان نزغ﴾	٤٥	(٩٣)	﴿ليس على الذين آمنوا وعلوا الصلوات﴾

رقمها	رقم	الآية	رقمها	رقم	الآية
الصفحة	الصفحة		الصفحة	الصفحة	
٢٧٥	(٧٨-٧٧)	﴿ولما جاءت رسلنا لوط﴾	٤٢٥	(٥)	﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾
٤٤٧	(١١٢)	﴿فاستقم كما أمرت﴾	١١١	(٣٠)	﴿واذ يمكر بك الذين كفروا﴾
		سورة يوسف	٢٧٢	(٤٣)	﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً﴾
١٣٩	(٣)	﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾	١٦٧	(١١-١٧)	﴿إما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾
٢٧٢	(٤)	﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت﴾	٧١	(٧١)	﴿وهو الذي أيدك بنصره﴾
١٣٥	(٨)	﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب﴾	٣٧٩	(٧٢)	﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا﴾
١٣٥	(٣٠)	﴿وقال نسوة في المدينة﴾	٩٣	(٧٥)	﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾
٢٣	(٣٢)	﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾			سورة التوبة
١٣٥	(٩٥)	﴿فقالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾	١٦٤	(٢٦)	﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله﴾
٢٧٢	(١٠٠)	﴿ورفع أبويه على العرش﴾	٣٢٣	(٣١-٣٠)	﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله﴾
		سورة الرعد	٣٠٩	(٣٢)	﴿يريدون أن يطفئوا نور الله﴾
٤٨٨	(٣٨)	﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾	١١٨	(٤٠)	﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾
٣٢٤	(٤٣)	﴿ويقول الذين كفروا لست مرسل﴾	١٦٧	(٤٣)	﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾
		سورة إبراهيم	٣٧٤	(٥٢)	﴿قل هل تريبسون بنا إلا إحدى﴾
٣٥٧	(١)	﴿كتب أنزلناه إليك﴾	١٩٨	(٦٢)	﴿يلحفون بالله لكم ليرضوكم﴾
٣٥٥	(٤)	﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾	٣٧٤	(٧١-٧٣)	﴿يا أيها النبي جاهد الكفار﴾
		سورة الحجر	٤١٩	(٨٤)	﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا﴾
٣٤٥	(٩)	﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾			سورة يونس
٢١٥	(٢١-٢٠)	﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم﴾	١٠	(١٦-١٥)	﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا﴾
٧١	(٤٢)	﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾	١٥٨	(٩٥-٩٤)	﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك﴾
١٥٤	(٨١-٨٨)	﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا﴾	١٥٢	(١٠٤)	﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني﴾
١١١	(٩٥-٩٤)	﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾	١٥٨	(١٠٦)	﴿ولا تدع من دون الله مالا ينفك﴾
		سورة النحل	—	(١٠٨)	﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق﴾
٣٥٤	(٣٩)	﴿أبين لهم الذي يختلفون فيه﴾	١٥٤	(١٠٩)	﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر﴾
٥٣٤	(٤٣)	﴿فاسألوا أهل الذكر﴾			سورة هود
٢٨٣	(٤٤)	﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين﴾	٥١٥	(١٨)	﴿إلا لعة الله على الظالمين﴾
٣٥٥	(٦٤)	﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا﴾	١٥٧	(٣٠-٢٩)	﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾
٢٧٠	(٦٨)	﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾	٢٣	(١٢-١١)	﴿يا بني اركب معنا﴾
—	(٨٩)	﴿وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا﴾	٣٠٥	(٤٩)	﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها﴾
٣١٨	(١٠٣)	﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما﴾			

رقم الصفحة	رقمها	الآية	رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٤١	(٥١)	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رِشْدَهُ﴾	٩١	(١٢٥)	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾
٩٨	(٩٨-١٠٠)	﴿إِنَّمَا وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ﴾			سورة الإسراء
٩٨	(١٠٠-١٠١)	﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَى﴾	٧٠	(٦٥)	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾
		سورة الحج	٣٣٣	(٧١-٧٣)	﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتَنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا﴾
٣٤٣	(٥٢)	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا﴾	١٤٥	(٧٥)	﴿إِذَا لَأَذْنُكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ﴾
		سورة المؤمنون	٤٨٩	(٧٩)	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً﴾
٤٦٠	(٥-١)	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾	٢٨٢	(١٠٦)	﴿وَوَقَرْنَا فِرْقَانَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ﴾
١٤٠	(٦٩)	﴿لَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾			سورة الكهف
		سورة النور	٣٥٣	(٥)	﴿عَجِبْتَ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾
٥١٦	(٧)	﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾	١٣٧	(٧٩)	﴿فَارِدْتَ أَنْ أُعِيبَهَا﴾
٥١٦	(٢٣)	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾	١٣٨	(٨٢)	﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾
٥١٢	(٣٦)	﴿فِي بَيُوتِ أَزْوَاجٍ أَنْ تَرْفَعُ﴾			سورة مريم
٣٤٩	(٥٤)	﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾	٢٦٩	(١١)	﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾
٣٨٧	(٥٦)	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾	٢٧٥	(١٧)	﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾
٤٠٤	(٦٢)	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾	٣٠٨	(٦٤)	﴿وَمَا نَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾
٣٩٠	(٦٣)	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾			سورة طه
		سورة الفرقان	٢٢٧	(١٢)	﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾
٢٤٤	(٨)	﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا﴾	٢٢٨	(١٢-١٧)	﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾
٢٩٠	(٤١-٤٢)	﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾	٤٥٩	(٣٩)	﴿وَأَلْقَيْتَ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾
٣٣٧	(٦٠)	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾	٤٥٩	(٤١)	﴿وَأَصْطَنَعْتَكَ لِلنَّفْسِ﴾
		سورة الشعراء	١٣٦	(٥٢)	﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾
٣٣٨	(٤)	﴿إِنَّ نَاشِئَانَ نَجْمٍ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ﴾	٢٥٣	(٦٥)	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى﴾
٢٢٨	(١٤)	﴿وَلَهُمْ عَلَى ذُنُوبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾	٢٤٨	(٦٦)	﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا﴾
١٣٥	(٢٠)	﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾	١٩٩	(٨٤)	﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَرْضَى﴾
١٣٧	(٨٠)	﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَاشْفِينِي﴾	١٩٨	(١٣٠)	﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾
٣٠٦	(١١٧-١١٨)	﴿وَإِنِّي لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾			سورة الأنبياء
٢٤٥	(٢١٢)	﴿إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ﴾	٣٤٦	(٥)	﴿إِبْلِ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾
٣٠	(٢١٤)	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	٥٣٤	(٧)	﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
			٣٩٥	(٢٣)	﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية	رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سورة سبأ			سورة النمل
٢٩	(٤٦)	﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾	٢٩٢	(١٤)	﴿وَجِدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾
١٣٤	(٥٠)	﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾	٢٢٨	(١١-١٠)	﴿وَالْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾
		سورة يس	٩	(٥٩)	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ﴾
١٣٥	(٦٢)	﴿وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا﴾	١٧٣	(٦٠)	﴿مَا كَانَ كَمَا أَنْ تَتَّبِعُوا شَجَرَهَا﴾
		سورة الصافات			سورة القصص
٢٤١	(٨٣)	﴿وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾	٢٠٩	(٧)	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾
٢٤٢	(٨٧-٨٥)	﴿بِمَاذَا تَعْبُدُونَ﴾	١٩٦	(١٢)	﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾
٢٧٢	(١٠٢)	﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ﴾	٧١	(١٥)	﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾
		سورة ص	٢٢٨	(٢١-٢٣)	﴿قُلْ رَبِّي إِنِّي كُنْتُ مِنْهُمْ﴾
٩	(١٧)	﴿وَإِنَّمْ عِنْدَنَا لَمَنْ الْمُصْطَفِينَ﴾	٣٠٦	(٨٦)	﴿وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ﴾
٧٣	(٣٥)	﴿رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا﴾	٣٣١	(٨٧)	﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾
٧٠	(٤١)	﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾	٣٣١	(٨٨)	﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾
٧٠	(٨٢-٨٣)	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ﴾			سورة العنكبوت
		سورة الزمر	٣٠٥	(٤٨)	﴿وَمَا كُنْتُ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾
٣٣٣	(١٥-١١)	﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾			سورة لقمان
٨٥	(٢٢)	﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾	-	(١٤)	﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ﴾
٢٨٥	(٣٣)	﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ﴾	٢١٤	(٣٣)	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَخُشُّوا﴾
١١١	(٣٦)	﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾			سورة الأحزاب
١٥٠	(٦٥)	﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ﴾	١٥٠	(١)	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾
		(سورة غافر)	٤٧٢	(٦)	﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾
١٤٢	(٥٥)	﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾	٦٨	(٧)	﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ﴾
٢٥٤	(٦٠)	﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٢٣	(١٧)	﴿كُلِّ مِنْ ذَا الَّذِي يَعْصُمُكَ﴾
		سورة فصلت	٣٥	(٢١)	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾
٢٧٠	(١٢-١١)	﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾	٢٨٥	(٢٢)	﴿وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾
		سورة الشورى	٢٧٩	(٣٤)	﴿وَاذْكُرْ مَا يَتْلُو فِي بُيُوتِكُنَّ﴾
٣٢٩	(١٣)	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ﴾	١٥١	(٣٩-٣٦)	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا﴾
١٥٨	(٢٤)	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾	٦٩	(٤٥-٤٦)	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾
٣٤٩	(٤٨)	﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾	١٧٣	(٥٣)	﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية	رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٣٢	(٤-١)	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ...﴾	٢٧٣	(٥١)	﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسَلُ﴾
١٤٠	(١١-١٠)	﴿فَلَوْحٍ إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾	١٣٧	(٥٢)	﴿وَأَنَّكَ لِتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ﴾
٢٧٦	(١٤-١٣)	﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾			سورة الزخرف
٦٥	(١٧)	﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾	٣١	(٣١)	﴿وَقُولُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾
٣٣٠	(١٩)	﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾	٣٠٨	(٣٢)	﴿أَأَمُّ يَقْسُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ﴾
٣٣٢	(٢٣)	﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا﴾	١٥٨	(٨١)	﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾
٢١٤	(٣٨)	﴿إِلَّا تَتَرَوُا وَاثِرَةً أُخْرَىٰ﴾			سورة الجاثية
٣٣٧	(٦٢)	﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾	٤٦٥	(٢٣)	﴿أَفَرَأَيْتُمْ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾
		سورة المجادلة			سورة الأحقاف
٣٩١	(٥)	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	١٣١	(٩)	﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾
١٤٦	(١٣)	﴿فَبِذِّ لَمْ تَقْعُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾	٣٢٤	(١٠)	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾
٣٩١	(٢٠)	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾			سورة محمد
		سورة الحشر	٣٨٤	(٢)	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
٣٢٥	(٢)	﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	١٤٣	(٤)	﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾
٤٢٠	(٥)	﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيْنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا﴾	١٠١	(٣١)	﴿وَلَنُبَلِّغَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾
٣٥٢	(٧)	﴿وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾	٣٩١	(٣٢)	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا﴾
٩٣	(٨)	﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾			سورة الفتح
٤٦	(٢١)	﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾	١٤٦	(٣-٢)	﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ﴾
		سورة الجمعة	٣٧٧	(٩)	﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
٣٢٨	(٩)	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَادَىٰ لِلصَّلَاةِ﴾	٣٨٣	(١٠)	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ﴾
		سورة التغابن	٤٠٣	(١٣)	﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
٤٦٥	(٨)	﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	٣٨٤	(١٨)	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٣٤٩	(١٢)	﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ﴾	٢٧٣	(٢٧)	﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْوُحْيَ﴾
		سورة التحريم			سورة الذاريات
١٦٧	(٥-١)	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾	٢٧٥	(٢٨-٢٤)	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾
		سورة الملك	٣١١	(٤٨)	﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾
١٠١	(٢)	﴿لِيُبَلِّغَنَّكُمْ أَيْمَانَ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾			سورة الطور
		سورة القلم	٣١١	(٢٩)	﴿فَذَكَرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ﴾
٩٠	(٤)	﴿وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾	١١١	(٤٨)	﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾
١٥٠	(١٠-٨)	﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمَكِيدِينَ﴾			سورة النجم

رقمها	رقم	الآية	رقمها	رقم	الآية
الصفحة	الصفحة		الصفحة	الصفحة	
		سورة الضحى	١٣٨	(٤٩)	﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾
٣٠٧	(٣-١)	﴿والضحى والليل إذا سجى﴾			سورة الحاقة
١٣٩	(١١-٢)	﴿وما ودعك ربك وما قلى﴾	١٥٥	(١٠-٢٨)	﴿فلا أقسم بما تبصرون﴾
١٩٩	(٥)	﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾	١٤٥	(١٦-١١)	﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾
١٣٤	(٧)	﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾			سورة الجن
١٥٤	(١٠-٩)	﴿فلما ألتيم فلا تقهر﴾	٢٤٥	(٩)	﴿فمن يستمع الآن يجد له﴾
		سورة الشرح			سورة المزمل
—	(١)	﴿ألم نشرح لك صدرك﴾	٤٦	(٥)	﴿إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً﴾
١٤٢	(٣)	﴿ووضعنا عنك وزرك﴾	١٤٦	(٢٠)	﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم﴾
١٤٢	(٤)	﴿ورفعنا لك نكرك﴾			سورة المدثر
١٤٤	(٦-٥)	﴿فإن مع العسر يسراً﴾	٢٢٢	(١)	﴿يا أيها المدثر﴾
		سورة العلق	١٥٥	(٦)	﴿ولا تمنن تستكثر﴾
٢١٨	(٣-١)	﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾			سورة القيامة
١١٣	(١٩-٩)	﴿أرايت الذى ينهى عبداً إلى صلى﴾	٣٦٣	(١٧)	﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾
		سورة النصر	٣٥٣	(١٩)	﴿ثم إن علينا بيانه﴾
١٤٧	(٣-١)	﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾			سورة عبس
		سورة المسد	١٦٧	(١٠-١)	﴿عبس وتولى....﴾
١١٥	(١)	﴿تبت يدا أباى لهب وتب﴾			سورة التكويد
		سورة الفلق	٣٠٦	(٢٥-١٩)	﴿إنه لقول رسول كريم﴾
٢٤٩	(٥-١)	﴿قل أعوذ برب الفلق﴾		(٢٢)	﴿وما صاحبكم بمجنون﴾
		سورة الناس	٢٧٦	(٢٣)	﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾
٢٤٥	(٦-١)	﴿قل أعوذ برب الناس﴾	٢٨٩	(٢٤)	﴿وما هو على الغيب بضنين﴾

ثانياً : فهرس الأحاديث والآثار^(١)

رقم الصفحة	الحديث / الأثر	رقم الصفحة	الحديث / الأثر
٤٢٥	أضل الله عن الجمعة من كان	(١)	أتاني الله عز وجل القرآن ومن الحكمة
١٧٦	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد	٥٣	أتى بسارق إلى رسول الله (أثر)
٤٨٣	أعطيت قوة أربعين في	٣٤٠	أتى جبريل رسول الله فأخبره أن الحارث (أثر)
١٠١	أعقلها وتوكل	٤٣٩	أتى رسول الله بضبط مشوى (أثر)
٧٢	أعوذ بالله منك	٤٤٠	أتى رسول الله بلبن قد شيب (أثر)
٧٣	أعوذ بكلمات الله التامات	٤١	لجعل أرايت باليمن (أثر)
٢٠٩	أفتخوفت عليه الشيطان (أثر)	٤٨	أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس...
٤٩١	أفتقدت رسول الله ذات ليلة (أثر)	٤٣٧	أحلت لكم ميتتان ودمان
١٢٦	أفضالة؟	٣٨٢	احملوا ظهورنا فإن رأيتمونا
٢٩٨	اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج	١١٩	اخف عنا
٥٦	أكل رسول الله آخر أمره لحماً (أثر)	٦٦	أدبنى ربي فأحسن تأديبي
٥٥	أكل رسول الله كنف شاة (أثر)	٩٦	إدنه، فدنا منه قريباً
٤٣٧	أكل الضب على مائدة رسول الله	٥٢٤	أذهب وادع لى معاوية
١٦٥	إكلأ لنا الليل	٣٢	إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به
٤٦٠	ألست تقرأ القرآن (أثر)	٢٦٣	إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب
١٠١	اللهم احفظ أبا أيوب	٤٢٨	أرايت لو مضمضت من الماء
١١٩	اللهم اصرعه	٣٠	أرايتم إن أخبرتكم أن خيلاً
١١٩	اللهم اكفناه بما شئت	١٢٢	أرسله يا عمر
٥١٥	اللهم العن أبا سفيان	١٢٥	ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني
٥٢٤	اللهم إنا ناساً يتبعونى	٧٦	إزارى - إزارى -
٥١٣	اللهم إنما أنا بشر فأيا رجل	٤٨	اسمع صلصل ثم اسكت
٥١٨	اللهم اهد دوساً	٤٣٦	أشهد أن السلف المضمعون (أثر)
٣١٨	إلى أيها الناس	٤٢٥	أشيروا على أيها الناس
١٢٣	إلى الحشر	٢٢٥	اصنعوا كل شئ إلا التكاح
٣١٤	إلى عباد الله		

(١) الفهرس مرتب على حروف المعجم (ألف باء...) والآثار فيه مميزة بكلمة (أثر).

رقم الصفحة	الحديث/ الأثر	رقم الصفحة	الحديث/ الأثر
١٢٥	أنا نبي	٢١٣	أما إن الله ورسوله لغنيان عنها (أثر)
٣١٤	أنا النبي لا كذب	١٢٥	أما إنك لم تكن تستطيع الذي أردت
	الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل	١٦٦	أما لكم في أسوة
٣٥٧	إنا والله لا نريد بالقرآن بدلاً (أثر)	١٥٢	أما والله إني لأتقاكم الله
٥٢٥	أنت هيه لقد كبرت	١١٧	أمر الله ليلة الغار شجرة فنبئت (أثر)
٣٨	أنتم أعلم بأمر دينكم	٢٣	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا
١٧٢	أنتم عائلة	٤٢١	أمروا بقطع النخيل فحاك (أثر)
٤٧٠	أنتم من أحب الناس إلي	٤٣١	امشوا معي إلى رسول الله (أثر)
٥٠٦	أنتم أصحاب رسول الله ومن أهل بدر (أثر)	٩٤	إن أحذركم بجمع خلقه في بطن أمه
٤١	انتهى رسول الله إلى المضيق دون (أثر)	٥٠١	إن حيضتك ليست في يدك
٤٧٧	الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن	١٩٥	إن رسول الله كانت له أمه (أثر)
٤٩٥	أنفست؟	٢٧٢	إن رؤيا الأنبياء وحى (أثر)
١٥٥	إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل (أثر)	١٦٥	إن الشيطان أتى بلالاً وهو قائم
٤١٧	إنكم تختصمون إلي	١٩١	إن الشيطان يبلغ من ابن آدم
٤٣٣	إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشئ	٥١٩	إن العبد إذا لعن شيئاً
١٦٢	إنما أنا بشر مثلكم أنسى	٧٢	إن عدو الله إبليس جاء بشهاب
٤١٢	إنما أنا بشر، وإني يأتيني الخصم	٧٢	إن عفريتاً من الجن جعل يفتك
١٠٢	إنما بعثت لأبئلك وأبئلي بك	١٦٥	إن عيني تئامان ولا ينام قلبي
٣٩٤	إنما مثلي ومثل ما بعثنى الله به	٩٩	إن كل من أحب أن يعبد
١١٥	إنه سيحال بيني وبينها	١١٣	إن الله أمرني أن أحرق قريشاً
٤٢٣	إنه كاذب إنه له عنده حقا	٢٩٥	إن الله بعثنى إليكم فقلتم
١٦٣	إنه ليغان على قلبي	٤٩٠	إن لكل عامل شره، ولكل شره
١٥٤	إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له	٤٨٦	إن من أكمل المؤمنين إيماناً
٧٩	إنه يبعث يوم القيامة أمة	٥٨	إن ناساً يكره أحدهم أن يشرب وهو قائم (أثر)
٢٣٥	إنها كانت وكانت	١٢٥	إن هذا الرجل أقبل فقال
٧٤	إنها من الشيطان وما كان	١٦٤	إن هذا واد به شيطان
٣٢٨	إنهما عيد المشركين فلما أحب أن أخالفهم	٤٢٨	إن وجدتم فلاحاً وفلاحاً فاحرقوهما
٣٩	إني اتخذت خاتماً من	٣٢٤	إن اليهود والنصارى لا يصبغون
٤٧٧	إني أرحمها	٣٢٩	أنا أولى الناس بعيسى بن مريم
١٠٣	إني أوعك كما يوعك رجلان	١٠٣	إن كذلك يشدد علينا

رقم الصفحة	الحديث / الأثر	رقم الصفحة	الحديث / الأثر
٢٧٣	بلى أفأخبرتكم أن نأتية العام	٢٣٥	إني رزقت حبها
٢٨٤	بلغوا عني ولو آية	٢٩٣	إني سمعت محمد (أثر)
٢٢٢	بينما أنا أمشي سمعت صوتاً	٦٩	إني عبد الله وخاتم النبيين
	(ت)	٢٨٧	إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم
١١٦	تشاورت قريش ليلة بمكة (أثر)	١٧٠	إني قد عفوت عنكم عن صدقة
٥٤	توضأوا مما مسمت النار	٢٢٩	إني لأعرف حجراً بمكة كان
	(ث)	٤٨٥	إني لأفعل ذلك أنا وهذه
٤٣١	تكلتك أمك يا عمر	١٦٣	إني لأنسى أو أنسى لأنسى
٥٢٣	تكلتك أمك يا معاذ	٧٩	إني لست أكل مما تنبحون على
٤٠٦	ثم دخلت بيت المقدس فجمع	٣٩	إني لست كهيتكم
	(ج)	٥١٤	إني لم أبعث لعناً
١٧٧	جاء جبريل يوم بدر (أثر)	٥٢٠	إني لم أؤمر أن أنقب عن
٣٩٣	جاءت ملائكة إلى النبي وهو نائم (أثر)	٢٩٨	إني لا أقول إلا حقاً
٥٢	جعل رسول الله ثلاثة أيام وليالهن (أثر)	٣٩٦	أوصيكم بنقوى الله والسمع
٥١٠	جنبوا مساجدكم صبياتكم ومجانيبتكم	٣٣٧	أول سورة أنزلت فيها سجدة (أثر)
	(ح)	٥٢١	أو ما علمت ما شرطت عليه ربي
٢٢٥	حاربت التضير وقريظة (أثر)	٣٣	ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه
٣٨٣	حرق رسول الله نخل بنى النضير (أثر)	٣٦	ألا ليلبلغ الشاهد الغائب
	(خ)	٣٣	ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني
٣٢٤	خالقوا اليهود فأتهم لا يصلون في	٨٢	أي خديجة والله لا أعبد اللات
١٥١	خبرني ربي أني سارى علامة	٤٠٤	أي قوم والله لقد وفدت على الملوك (أثر)
٤٢٤	خرج رسول الله يريد غير قريش	٤٧١	آية الإيمان حب الأنصار
١٨٦	خطب رسول الله زينب بنت عمته	٢٩٥	أيها الناس أفسحوا السلام
٤٨٧	خيركم خيركم لأهله		(ب)
	(د)	٤٤٤	بات رسول الله بذى طوى (أثر)
٤٤٠	دخل رسول الله يوم فتح مكة (أثر)	٤٩٢	بت عند خالتي ميمونة (أثر)
٤٤٤	دخل رسول الله مكة من الثنية العليا (أثر)	٤٤	بنسما قلت يا ابن أختي (أثر)
١٤٧	دخل رسول الله مكة يوم الفتح (أثر)	١٩٤	بل شربت عسلاً
٥٠٧	دعهم. أملاً بلى أرفدة	١٠٨	بل قهدها وتوكل
٥٠٤	دعهما	٤٢٦	بل هو الرأي والحرب والمكيدة

رقم الصفحة	الحديث / الأثر	رقم الصفحة	الحديث / الأثر
٢٨٤	صلى رسول الله يوماً الفجر وصعد (أثر)	٣٩٦	دعوني ما تركتكم
٤٧٦	صلى رسول الله في بيت أم سليم (أثر)	٥٠٤	دونكم يا بني أرفدة
٥٠٠	صلى رسول الله وعليه مرط بعضه (أثر)	(ر)	
٣٣	صلوا كما رأيتموني أصلي	٢٧٧	رأى رسول الله جبريل له (أثر)
٣٢٧	صوموا يوم عاشوراء وخالفوا	٢٧٧	رأيت جبريل عند السدرة له
(ع)		٥١	رأيت رسول الله بال ثم توضأ (أثر)
٥٢٣	عقرى حلقى	٤١	رأيت رسول الله فعل هذا (أثر)
(ف)		٤٤٠	رأيت رسول الله مقعياً يأكل (أثر)
٣٢٧	فإن كان العام المقبل إن شاء الله صمنا	٤٣٩	رأيت رسول الله يأكل الرطب (أثر)
٤٩٠	فإن لجسدك عليك حقاً	٤٣٩	رأيت رسول الله يتتبع الدباء (أثر)
١٦٤	فإن هذا منزل حضرنا فيه	٥٨	رأيت رسول الله يشرب قائماً (أثر)
٨٩	فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة	٣٦٤	رأيت ما تعمل أمتي بعدى
٧٢	فضلت على الأنبياء بخصلتين	١٢٣	رجل من أصحابي قتل رجلين
١٤٩	فضلت على الأنبياء بست	٣٧٢	رجم رسول الله ورجم أبو بكر (أثر)
٤٨٣	فضلت على الناس بأربع	٢٧٢	رويا الأنبياء وحى (أثر)
٣٢٨	فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين (أثر)	(س)	
٧٨	فتودى يا محمد خمر عورتك (أثر)	١٩٥	سأل عمر عن المرائتين اللتين تظاهرا (أثر)
٧٧	فتودى يا محمد غط عورتك (أثر)	٥١٤	سباب المسلم فسوق وقتاله كفر
١٨	فهل كنتم تنهونهم بالكذب (أثر)	٩٥	سبحان الله! فآين الليل
١٥٩	فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه	٣٩٧	سنة لعنتهم ولعنتهم الله
١٢٧	فى أمتى اثنا عشر منافقاً	٥٧	سقيت رسول الله من زمزم (أثر)
(ق)		٨٨	سمعت السلام عليك فظننتها فجأة
٣٥٨	قد تركتكم على البيضاء	٣٦٧	سن رسول الله وولاة الأمر من بعده (أثر)
٢٩٣	قد تعلم يا محمد أنك تصل (أثر)	(ش)	
٤٢٨	قد رأيت الذى صنعتم	٤٢٤	شاور رسول الله حين بلغه إقبال (أثر)
٥٢١	قطع الله يدك	٥٨	شرب رسول الله من فم القرية وهو (أثر)
٣٦٤	قمت على باب الجنة فإذا	(ص)	
٥٧	قى	٣١٣	صار رسول الله ركابة (أثر)
		٤٤٤	صلى رسول الله الظهر والعصر (أثر)

رقم الصفحة	الحديث / الأثر	رقم الصفحة	الحديث / الأثر
١٠٦	كان العباس عم الرسول فيمن يحرسه (أثر)	(ك)	
٤٨٩	كان لسليمان ستون امرأة فقال	٤٤٤	كان ابن عمر إذا رأى أحد ثمن (أثر)
٣٢٧	كان يوم عاشوراء تصومه قريش (أثر)	٤٣٩	كان أحب الشراب إلى رسول الله الطلو (أثر)
٤٩٤	كانت إحدانا إذا كانت حائضاً (أثر)	٥٥	كان آخر الأمرين ترك الوضوء مما (أثر)
٤٧٣	كانت أم سليم تبسط للنبي (أثر)	٤٩٠	كان بشراً من البشر يقلى (أثر)
٤٤٩	كذب أبو السنابل	٣٦٦	كان جبريل إذا نزل بالقرآن (أثر)
٤٤٩	كذب من قال ذلك	٣٦٠	كان خلق رسول الله القرآن (أثر)
١١٨	كلا إن ملائكة تسترنا	٣٦٠	كان خلقه القرآن يرضى لرضاه (أثر)
٥١٢	كل شيء ليس فيه ذكر الله فهو	٥٠١	كان رسول الله إذا أراد من الحائض (أثر)
٥٠٩	كما أنت. وكما أنتن	٤٦	كان رسول الله إذا أنزل عليه كرب (أثر)
٢٧٤	كما أنتم على مصافكم	٤٨	كان رسول الله إذا أنزل عليه الوحي (أثر)
٤٣١	كنا ننقى الكلام والانبساط (أثر)	٤٤٤	كان رسول الله إذا جلس في الصلاة (أثر)
٤٣٠	كنا نعزل على عهد رسول الله (أثر)	٤٥٠	كان رسول الله رجلاً مسقماً (أثر)
٥٠٠	كنت أشرب وأنا حائض (أثر)	٤٩٠	كان رسول الله في مهنة أهله (أثر)
١٩٩	كنت أغار على اللاتي وهبن (أثر)	٤٨٧	كان رسول الله لا يفضل بعضاً (أثر)
٤٧	كنت أكتب الوحي لرسول الله (أثر)	٤٩٥	كان رسول الله يتكى في حجرى (أثر)
٤٩٩	كنت أنا ورسول الله نبيت في (أثر)	٤٣٩	كان رسول الله يحب العسل (أثر)
٢٢٩	كنت مع النبي بمكة فخرجنا في (أثر)	٤٧٩	كان رسول الله يدخل بيت أم سليم (أثر)
٣٨	كيف بك إذا أخرجت من خير	٤٠	كان رسول الله يدركه الفجر وهو (أثر)
٤٠٩	كيف تقضى إذا عرض لك قضاء	٥٠٠	كان رسول الله يدنى إلى رأسه (أثر)
	(ل)	٤٨٣	كان رسول الله يدور على نسائه (أثر)
٣٣	لتأخذوا عني مناسككم	١٤٧	كان رسول الله يرجع في تلاوته (أثر)
٤٠	لست تاركاً شيئاً كان (أثر)	٨٣	كان رسول الله يشهد مع المشركين (أثر)
٥٠٩	لعبت الحبشة فجئت من وراءه (أثر)	٥٠٠	كان رسول الله يصلى بالليل وأنا (أثر)
٥١٦	لعن الله الخمر وشاربيها	٤٩٩	كان رسول الله يضطجع معي (أثر)
٥١٧	لعن الله الراشى	٤٦	كان رسول الله يعالج من التنزيل (أثر)
٥١٦	لعن الله السارق	٤٤٤	كان رسول الله يغتسل بالصاع (أثر)
٥١٧	لعن الله من حلق	٤٥	كان رسول الله يقبل وهو صائم (أثر)
٥١٦	لعن الله من لعن والديه	٤٩٢	كان رسول الله ينام أول الليل

رقم الصفحة	الحديث / الأثر	رقم الصفحة	الحديث / الأثر
٢٥٤	ما سئل سائل بمثلها ولا استعاذ	٥١٧	لعن الله من يمثل بالحيوان
٤٩١	ما صلى رسول الله العشاء قط فدخل (أثر)	٧٦	لقد رأيتني في غلمان من
١١١	ما صنعت شيئاً فقال كفيته	٨٧	لقد سألت ... إني لفي الصحراء
١١٨	ما ظنك باثنين الله ثالثهما	٢٧٧	لم أره على صورته التي خلق
٥٠٥	ما كان أحداً أحب إليّ من (أثر)	١٢٥	لم تراع. لم تراع
١٢٤	ما كان الله ليسطلك على	٥١٩	لم يكن رسول الله فاحشاً (أثر)
٨٠	ما كنت لأكل مما لم يذكر (أثر)	١٩٠	لما تزوج رسول الله زينب قالوا (أثر)
٥٢٣	ما له تربت يداه	٥٠٦	لما قدم رسول الله المدينة لعبت (أثر)
٢٠٦	ما من بنى آدم مولود إلا يمسه	١١٤	لو دنا لاخططفته الملائكة
٣٣	ما نهيتكم عنه فاجتنبوه	٤٤٤	لو رأيت ابن عمر يتبع آثار (أثر)
٣٢٦	ما هذا؟ قالوا هذا يوم	١١٤	لو فعل لأخذته الملائكة
٥٧	ما هذا يا أنس أعراقية (أثر)	٥٢	لو كان الدين بالرأى لكان (أثر)
٨٠	ما هذه	٢٨٩	لو كان رسول الله كاتماً شيئاً (أثر)
٧٥	ما هممت بقبيح	١٧٧	لو كان المطعم بن عدى حياً
٣٩٥	ما من نبي بعثه الله في	٣٨	لو لم تفعلوا لصلح
٧١	ما منكم من أحد إلا وقد وكل به	٤٢٤	لو يعطى الناس بدعواهم
١٠٢	ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة	٤٠	لولا أنى رأيت رسول الله قبلك (أثر)
١٠٢	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب	١٠٧	ليت رجلاً من أصحابي ... يحرسنى
٣٩٥	مثل كمثل رجل استوفد ناراً	٢٧٤	ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا
٤٥	مات رجال من أصحاب النبي قبل أن تحرم (أثر)	(م)	
٤١	مر رسول الله بمكان فحاده عنه (أثر)	٤٤	ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته لم (أثر)
١١٢	مر رسول الله على أناس بمكة (أثر)	٥١	ما أسلمت إلا بعد نزول المائدة (أثر)
٤٠٢	معاذ الله أن أعبد غير الله	٢١٨	ما أنا بقارئ
٣٦	مكاتكم ثم رجع فاغتسل	١٥٢	ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه
٤٣٦	من أسلف في تمر فليسلف	٤٢٦	ما ترون في هؤلاء الأسارى
٤٠٠	من أطاعني فقد أطاع الله	٣٩	ما حملكم على إلقاءكم تعالكم
٤٧٧	من جهز غازياً في سبيل الله	١٠٢	ما رأيت أحداً أشد عليه اثوجع (أثر)
٢٨٩	من حدث أن محمداً كتم شهادة (أثر)	٤١٣	ما رأيت أحداً قط أكثر مشاورة (أثر)
١٢٣	من هذا فقلت حذيفة	٤٩١	ما سئل رسول الله عن شيئاً قط (أثر)

رقم الصفحة	الحديث/ الأثر	رقم الصفحة	الحديث/ الأثر
١٣٨	والخير كله في يديك	(ن)	
٤٧	وحدث أنى قد رايت رسول الله (أثر)	٤٧٤	ناس من أمتي عرضوا على
٣٥٥	وقد تركت فيكم ما لن تضلوا	٤٩٢	نام رسول الله حتى انتصف الليل (أثر)
٨٦	وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط (أثر)	٤٧٩	نام رسول الله فاستيقظ وهو (أثر)
٣٧٦	وكان جبريل يأتي بالنبي في صورة (أثر)	٢٣٩	نحن أحق بالشك من إبراهيم
٤٧	ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في (أثر)	١٥٦	نزلت هذه الآية في خمسة من (أثر)
٣٢٥	والذى نفس محمد بيده لا يسمع فى أحد من	٣١	نضر الله امرأ سمع منا
٤٦٨	والذى نفسى بيده إتكم أحب للناس	٢٧٩	نعم، إن قتلكت فى سبيل الله
٣٧١	والذى نفسى بيده لأقضين بينكما	٤٢١	نعم، حجى عنها
٣٩٤	والذى نفسى بيده لتدخلن الجنة	٤٤٦	نعم الرجل خريم الأسدى
٤٠٦	والذى نفسى بيده لو بدا لكم موسى	١٢٢	نعم فأخذه واستله
٥٢٠	ويك أو لمت أحق أهل الأرض أن	١٤٩	نفسى نفسى
(لا)		٦٠	نهى رسول الله أن تستقبل القبلة لبول (أثر)
٤٧٩	لا	٤٣٨	نهى رسول الله أن يتنفس فى الإماء
٥٢٥	لا أشبع الله بطنه	٥٨	نهى رسول الله أن يشرب الرجل
٣٥٢	لا ألفين أحدكم متكئا	٤٣٨	نهى رسول الله عن الأكل فى صحائف
٣٨٢	لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا	٣٩	نهى رسول الله عن الوصال (أثر)
١٠٩	لا تيكى يا بنية، فإن الله ماتع	(هـ)	
١١٨	لا تحزن إن الله معنا	٤٤٧	هذا نبيكم وخيار أمتكم (أثر)
١٩٥	لا تذكرى هذا لغائشة	٤٣١	هل تدرون ماذا قال ربكم
٨٢	لا تسألنى بالات والعزى	١٢٧	هل عرفتم القوم
٤٣٨	لا تلبسوا الحرير ولا الديباج	١٠٠	هل لك من إيل
٨٠	لا تمسه	٢٥٦	هلم أكتب لكم كتابا
٢٩٤	لا تنزع الرحمة إلا من	٩٣	هلم إلى ثوبا
٤٣٩	لا ولكنه لا يكون بارض قومي	٢٥٥	هو من عمل الشيطان
٢٣٥	لا والله ما أبذلنى الله خيرا منها	(و)	
٤٧٩	لا والله ما مست يد رسول الله يد امرأة (أثر)	٦٨	وآدم بين الروح والجسد
٣٧٢	لا يحل دم امرئ مسلم	٢٩١	وأنتم تسألون عنى
٢٥٤	لا يرد القضاء إلا الدعاء	١٩٨	وجعلت قرّة عينى فى الصلاة
٥١٨	لا يرمى رجل رجلا بالفسوق	١٥٣	وجهت وجهى للذى فطر

رقم الصفحة	الحديث/ الأثر	رقم الصفحة	الحديث/ الأثر
١٠٥	يا عم. إن الله قد عصمني لا حاجة	٣٦٤	لا يسألني الله عن سنة أحدثتها
٢٧٦	يا عمر أتدري من السائل	٢٦٢	لا يصلين أحد العصر إلا في
٤٣٨	يا غلام سم الله	—	لا يشكر الله من لا يشكر الناس
٤٥	يا قدامة بنى جالك (أثر)	٤٤٣	لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه
٣٩٣	يا هؤلاء أستم تعلمون أني رسول	(ي)	
١٨١	يا محمد استننني (أثر)	٢٩٣	يا أبا الحكم أخبرني عن محمد
١٠٧	يا معشر الخزرج إن محمداً منا (أثر)	٧٩	يا ابن أخي إني لا أكل مما ذبح على (أثر)
٤٨٩	يا معشر الشباب من استطاع الباءة	٤٧٠	يا أم فلان. أي السكك شئت
٢٩٣	يا معشر قريش إنه والله قد نزل (أثر)	١٠٤	يا أيها الناس اتصرفوا فقد عصمني ربي
٤٣٠	يا مغيرة خذ الإداوة	٣٥٦	يا أيها الناس إن الرأي إنما كان (أثر)
		٣٦٧	يا أيها الناس إن الله لم يبعث بعد (أثر)
		٢٩١	يا أيها الناس إنما أنا بشر
		١١٦	يا بنيہ انتنى بوضوئي
		٣٠٨	يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا
		٩٥	يا حصين إن أبي وأهلك في النار
		٥١٠	يا حميراء أتحيين أن تنظري إليهم
		٢٢٩	يا خديجة إني أسمع صوتاً
		٣٠	يا صباياه
		٢٤٣	يا عائشة. أشعرت أن الله أفتاني
		١٤٨	يا عائشة. أفلا أكون عبداً شكوراً
		٢٩٧	يا عائشة. أما إنه بلغني كذا وكذا
		١٠٥	يا عم. إن الله قد عصمني من الجن

ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم^(١)

رقم الصفحة	العالم	رقم الصفحة	العالم
-	انبيضاوى = عبد الله بن عمر	(أ)	
٥٥	(ج)	٣٧٠	إبراهيم ابن موسى الشاطبي
-	جابر بن عبد الله	٥١	إبراهيم بن سويد النخعي
٥٠	الجبائي = محمد بن عبد الوهاب	٨٧	أبى بن كعب
١٢٥	جرير بن عبد الله البجلي	١١٧	أبى مصعب المكي
٢٢٠	جده بن خالد بن الصمة	-	ابن الأثير = المبارك بن محمد
٣٤٩	جعفر مرتضى العاملي	٢٥٧	أحمد حسين يعقوب
١١٥	جمال البنا	٣٣١	أحمد حجازي السقا
-	أم جميل	٣٢٥	أحمد بن عبد الحليم بن تيميه
٣١٠	ابن الجوزي = عبد الرحمن بن علي بن محمد	٢٨٨	أحمد بن محمد القسطلاني
٣١٠	جوستاف فايل	٤٨	أحمد بن علي بن حجر
٣١٠	جولد تسيهر	١٩٢	أحمد صبحي منصور
	(ح)	٣٤٩	إسماعيل منصور
٤٣٠	الحارث بن سويد	١٨٧	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير
٤٨	الحارث بن هشام	٥٢	إسماعيل بن عمر ابن كثير
١٦٦	الحارث بن ربيع أبو قتادة	١١٨	أسماء بنت أبي بكر
٤٢٥	الحباب بن المنذر	٩٩	الأقرع بن حابس
٤٨٦	أم حبيبة	-	الأوسى = محمود شكرى بن عبد الله
-	ابن حجر = أحمد بن علي	٩٦	أبو أمامه
١٢٦	حذيفة بن اليمان	٣٠٣	أمية بن أبي الصلت
٤٧٣	أم حرام	٨٦	أنس بن مالك
٤٧٧	حرام بن ملحان	١٠٧	أبو أيوب
-	ابن حزم = علي بن أحمد	(ب)	
٣٦٦	حسان بن عطية	٣١٩	بحيرى الراهب
٣٧٣	الحسن البصري	٤٥	البراء بن عازب
٩٥	حصين بن عبيد	٤٠	أبو بكر الصديق

(١) مرتبة أسماءهم على حروف المعجم باعتبار الاسم الأول، واعتبار الشهرة باللقب محالة إلى الاسم.

العالم	رقم الصفحة	العالم	رقم الصفحة
حفصة بنت عمر	١٩٤	(س)	
الحكم بن كيسان	١٥٨	المدنى الكبير = إسماعيل بن عبد الرحمن	—
أبو حيان = محمد بن يوسف	—	سراقة بن مالك	١١٨
(خ)		سعد بن أبي وقاص	١٠٢
خديجة بنت خويلد	٢١٨	سعد بن مالك أبو سعيد الخدري	٣٩
خريم الأسدي	٤٤٦	سعد بن هشام بن عامر	٤٦٠
(د)		سعيد بن أبي راشد	٩٤
أبو الدرداء	—	سعيد بن المسيب	٢٥٤
دحية الكلبي	٢٧٦	أبو سفيان = صخر بن حرب	—
ابن دحية = عمر بن الحسن		سلمة بن الأكوع	١٢٥
(ذ)		سلمان الفارسي	٦٠
أبو ذر الغفاري	٨٨	سلمة بن صخر البياضي	٤٣١
(ر)		أم سليم	٤٧٣
الفخر الرازي = محمد بن عمر	—	سمرة بن جندب	٢٩١
رافع بن خديج	٤٣٣	سهل بن الربيع	٤٤٦
رشاد خليفة	٣٤٨	السهيلي = عبد الرحمن بن عبد الله	—
ركانة بن يزيد	٢١٣	السيوطي = عبد الرحمن بن أبي بكر	—
أبو ريه = محمود	—	(ش)	
(ز)		الشاطبي = إبراهيم بن موسى	—
الزرقاتي = محمد بن الشيخ	—	الشافعي = محمد بن إدريس	—
الزمخشري = محمود بن عمر	—	أبو شامة = عبد الرحمن بن إسماعيل	—
زينب بنت سيد ولد آدم ﷺ	١٠٩	شبر نجر	٣١٠
زينب بنت جحش	١٨٤	الشوكاتي = محمد بن علي	—
زينب بنت الحارث	١٢٤	(ص)	
زيد بن ثابت	٤٨	صالح الورداتي	٢٤٤
زيد بن حارثة	٧٩	صخر بن حرب أبو سفيان	٢٨
زيد بن خالد الجهني	٤٣١	صفوان بن أمية	١٢١
زيد بن عمرو بن نفيل	٧٩	صفية بنت حي بن أخطب	١٠٧
		صهيب الرومي	١٢٢

رقم الصفحة	العالم	رقم الصفحة	العالم
١٨٩	على بن أحمد ابن حزم	(ط)	
٢٤٠	على بن محمد القارى	—	أبو طالب = عبد مناف
١١٦	عمر بن ياسر	—	الطبرى = محمد بن جرير
٩٥	عمران بن حصين	٣٢	طلحة بن عبيد الله
٢٨٣	عمر بن الخطيب الأنصارى	(ع)	
٢٤٧	عمر بن الحسن بن دحية	٣٩	عائشة بنت أبى بكر الصديق
٣٧	عمر بن الخطاب	١١٩	عالم بن فهيرة
٣٦٧	عمر بن عبد العزيز	٤٦	عبادة بن الصامت
١٢٢	عمرو بن أمية الضمرى	٢٢٠	عبد الحسين شرف الدين
٤٠٥	عمرو بن العاص	٢٤٣	عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة
١٢٢	عمير بن عبيد	١٤٦	عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى
١٧٩	عمير بن قيس	١٧٢	عبد الرحمن بن خنبل
١٢١	عمير بن وهب	١٨١	عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي
٣٧	عياض بن موسى أبو الفضل	١٩٥	عبد الرحمن بن على بن الجوزى
—	(غ)	١٧٨	عبد الله بن جحش
—	الغزالى = محمد بن محمد	٩٨	عبد الله بن الزبيرى
—	(ف)	٢٩٥	عبد الله بن سلام
١١٥	فاطمة بنت سيد ولد آدم ﷺ	٣٠	عبد الله بن عباس
١٢٦	فضالة بن عمير الليثى	٣٩	عبد الله بن عمر
—	أبو الفضل = عياض بن موسى اليحصبى	١٧٢	عبد الله بن عمر البضاوى
—	(ق)	٤٨	عبد الله بن عمرو بن العاص
٣٥٨	قاسم أحمد	٣٦٦	عبد الله بن المبارك
—	أبو قتادة = الحارث بن ربيعى	٧١	عبد الله بن مسعود
٤٤	قدامة بن مطعون	٢٤	عبد مناف أبو طالب
—	القرطبى = محمد بن أحمد بن أبى بكر	١٧٨	عثمان بن عبد الله
—	القسطالى = أحمد بن محمد بن على	٦٩	العرباض بن سارية
—	(ك)	٥٣	عروة بن الزبير بن العوام
٣٠٣	كارل بروكلمان	٤٠٤	عروة بن مسعود الثقفى
—	ابن كثير = إسماعيل بن عمر	٥٠	على بن أبى طالب

رقم الصفحة	العلم	رقم الصفحة	العلم
١٧٢	محمد بن يوسف أبو حيان	٥١٨	كريب بن أسامة
٢٠٦	محمود أبو ريه	—	الكلبي = محمد بن السائب
١٧٢	محمود شمري الألويسي	(ل)	
١٧١	محمود بن عمر الزمخشري	٢٤٣	ليبيد بن الأعصم
١١٧	أبو مصعب المكي	(م)	
٣٥٨	مطرف بن عبد الله بن الشخير	—	المازري = محمد بن علي بن عمر
١٧٧	المطعم بن عدي	٢١٥	ماكس مايرهوف
٢٧٤	معاذ بن جبل	١٩٢	مارية رضي الله عنها
٥٥	ميمونة بنت الحارث الهلالية	٢٤	المبارك بن محمد ابن الأثير
٦٨	ميسرة الفجر	٤٣٠	مجذّر بن زياد
(ن)		٢٦٢	محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي
٤٤٤	نافع مولى ابن عمر	٣٦٢	محمد بن إدريس الشافعي
٣١٩	نسطورا الراهب	٢٤	محمد بن جرير الطبري
—	النوى = يحيى بن شرف الحوراني	٢٠٧	محمد حسين هيكل
٣٣٠	نيزاري عز الدين	٢٤٨	محمد رشيد رضا
(هـ)		٣٤١	محمد بن السائب الكلبي
٢٨	هرقل "ملك الروم"	٣٣٦	محمد بن الشيخ الزرقاني
٤٥٨	هشام آل قطيط	١٧١	محمد بن عبد الوهاب الجبالي
(و)		٢٥٤	محمد عبده
—	الواقدي = محمد بن عمر بن واقد	١٧٥	محمد بن علي الشوكاتي
٢١٨	ورقة بن نوفل	٢٦١	محمد بن علي بن عمر المازري
(ي)		٢٢٥	محمد بن عمر الواقدي
٢٢١	يحيى بن سعيد القطان	٣٠٩	محمد بن عمر الفخر الرازي
٥١	يحيى بن شرف الحوراني النوى	٣١١	محمد بن محمد الغزالي
٤٧	يعلى بن أمية	٥٦	محمد بن مسلمة
		٣٤٨	محمد نجيب

رابعاً : فهرس الأشعار^(١)

الصفحة	رقم	البيت
		(ر)
—	—	هو النعمة العظمى هو الرحمة التى *** تجلى بها الرحمن فى السر والجهر
٢٩٥	—	لو لم تكن فيه آيات مبينة *** لكان منظره ينبئك بالخبر
		(ز)
٥٩	—	إذا رمت تشرب فاقعد نقر *** بسنة صفوة أهل الحجاز
٥٩	—	وقد صححوا شربه قائماً *** ولكنّه لبيان الجواز
		(ف)
١٣٦	—	عجباً لعزة فى اختيار قطيعتى *** بعد الضلال فحبها قد أخلفا
		(ق)
١٣٦	—	هذا الضلال أشاب منى المفرقا *** والعارضين ولم أكن متحققا
—	—	أيروم مخلوق ثناءك بعدما *** أتى على أخلاقك الخلاق؟
		(ل)
١٣	—	كناطح صخرة يوماً ليوهها *** فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
٢٩٢	—	لقد علموا أن ابننا لا مكذب *** لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
٢٥	—	وأبيض يستسقى الغمام بوجهه *** ثمال اليتامى عصمة للأرامل
		(ن)
٢٦	—	صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به *** وإن ذكرت بسوء عندهم أذن
٢٦	—	وإذا العناية لاحظتك عيونها *** نم فالمخاوف كلهن أمان
		(هـ)
١٢٠	—	أيا حكم والله لو كنت شاهداً *** لأمر جوادى إذ تسبخ قرائمه
١٢٠	—	عجبت ولم تشكك بأن محمداً *** نبي وبرهان فمن ذا يقاومه؟
١٢٠	—	عليك بكف الناس عنه فإننى *** أرى أمره يوماً سبّـدو معالمه
		(و)
٢٦	—	إن يسمعوا زلة طاروا بها فزحاً *** منى وما علموا من صالح دفنوا

(١) هذا الفهرس مرتب حسب حروف المعجم باعتبار القافية

خامساً : فهرس البلدان والقبائل والفرق^(١)

رقم الصفحة	رقم الصفحة		
	(أ)		(ش)
أحد	١٠٧	الشام	٦٩
الأزارقة	١٢	الشيعة	١٦٢
الأسكندرية	٣١٩	(ع)	
أمريكا	٣٣٠	العراق	٥٦
الأوس	٥٠٤	عسقلان	٤٨
	(ب)	(ف)	
بدر	١٠٧	الفضيلية	١٢
بلدح	٧٩	فلسطين	٤٨
تيماء	(ت)	(ق)	
	٣١٩	قريش	٢٨
	(ح)	قريظة	٢٢٥
الحبشة	١١٥	(ك)	
حمص	٩٤	الكرامية	١٢
	(خ)	الكعبة	٧٥
خزاعة	٤٤	(م)	
الخزرج	١٠٧	المدينة	٤٤
الخندق	١٠٧	مصر	٣٠٠
الخوارج	١٠٧	معونة	١٢٢
خيبر	٣٧	مكة	٨٨
	(ر)	(هـ)	
الروافض	٥٠	بنو هاشم	١٠٦
الروم	٢٨	هزيل	٤٥
	(س)	(ي)	
السودان	٥٠٤	اليهود	٣١٩
سوريا	٣٠٠		

(١) مرتبة على حروف المعجم (ألف باء...).

سادساً : فهرس المصادر والمراجع

أهمل في الترتيب الألف واللام، وأب، وابن، في أول اسم الكتاب، وكذلك كلمة (كتاب).

١- القرآن الكريم.

(أ)

٢- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، للدكتور عمر إبراهيم رضوان، دار طبية

بالسعودية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣- آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد، للدكتور عويد بن عياد المطرفي،

دار الفكر العربي بمصر، بدون تاريخ.

٤- الابتهاج في أحاديث المعراج، لعمر بن الحسن بن دحية، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة

الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٥- الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية، مختار سالم، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٦- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول، "لقاضى البيضاوى" لعلی

السبکی وولده عبد الرهاب، حققه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٤هـ -

١٩٨٤م.

٧- إتحاف ذوى الفضائل المشتهرة، لعبد العزيز الغماري، ضمن مجموعة الحديث الصديقية،

مكتبة القاهرة بمصر، بدون تاريخ.

٨- إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد، بهامش حاشية محمد الأمير على جوهرة التوحيد،

مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٦٨هـ.

٩- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، لبدر الدين الزركشى، تحقيق محمد سعيد

الأفغانى، دار القلم بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١٠- الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، لمحمد عبد الحى اللكنوى، تحقيق عبد الفتاح أبو

غدة، دار السلام بمصر، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١١- الأحاديث المتواترة في الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، لعبد الرحمن السيوطي،

تحقيق أحمد حسن رجب، هديه مجلة الأزهر الشريف، ١٤٠٩هـ.

١٢- الأحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الظاهري، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب

العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- ١٣- الأحكام فى أصول الأحكام، لعلى بن محمد الآمدى، مطبعة البابى الحلبي بمصر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ١٤- أحكام القرآن، لمحمد بن العربى، تحقيق على محمد البجاوى، مطبعة عيسى الحلبي بمصر، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ.
- ١٥- أخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة، للدكتور أحمد عبد العزيز الحداد، دار الغرب الإسلامى بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١٦- أخلاق النبى ﷺ وآدابه، لعبد الله الأصهبانى، تحقيق عصام الدين الصبايطى الدار المصرية اللبنانية بمصر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ١٧- آداب الإملاء والاستملاء، للسمعانى، دار الكتب العلمية بيروت.
- ١٨- الأدب المفرد، لمحمد إسماعيل البخارى، تحقيق فضل الله الجيلانى، ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية بمصر، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
- ١٩- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن على الشوكانى، تحقيق الدكتور شعبان إسماعيل، دار الكتبي بمصر، بدون تاريخ.
- ٢٠- الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد، لعبد الملك الجوينى، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ٢١- الاستنكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معانى الرأى والآثار، لابن عبد البر، تحقيق على النجدى، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.
- ٢٢- الاستشراق فى السيرة النبوية، لعبد الله محمد الأمين، طبعة المعهد العالمى للفكر الإسلامى، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٣- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر : لعنان محمد وزان، طبعة رابطة العالم الإسلامى، العدد ٢٤، السنة الثالثة.
- ٢٤- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق على محمد البجاوى، دار الجبل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٥- أسد الغابة فى معرفة الصحابة، لابن الأثير، تحقيق على معوض، وعادل أحمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٦- الإسلام بدون حجاب، بحث مسئل من شبكة الإنترنت.

- ٢٧- الإسلام السياسى، لمحمد سعيد العشماوى، طبعة القاهرة ١٩٨٩م.
- ٢٨- الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد (ليبولد فايس) ترجمة الدكتور عمر فروخ، دار العلم بيروت، ١٩٨٧م.
- ٢٩- الإسلام عقيدة وشريعة، لمحمود شلتوت، دار الشروق بمصر، الطبعة السابعة عشر ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٠- الإسلام والرسول فى نظر منصفى الشرق والغرب، لأحمد آل بوطامى، مطابع قطر الوطنية بالدوحة، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ.
- ٣١- الإسلام واستمرار المؤامرة، دفاع عن السنة، للدكتور طه حبيشى، مكتبة رشوان بمصر ١٩٨٨م.
- ٣٢- الإسلام والمستشرقون، لنبذة من علماء المسلمين، عالم المعرفة بجدة ١٩٨٥م.
- ٣٣- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، لمحمد عبده، مطبعة محمد صبيح، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- ٣٤- إشارة التعيين فى تراجم النحاة، لعبد الباقي اليماني، تحقيق عبد المجيد دياب، شركة الطباعة بالرياض ١٤٠٦هـ.
- ٣٥- الأنبياء والنظائر فى القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق الدكتور عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٦- الإصابة فى تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، دار السعادة بمصر ١٣٢٨هـ.
- ٣٧- أصل الشيعة وأصولها، لمحمد آل كاشف، مؤسسة الأعلـمى بـيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ.
- ٣٨- أصول السرخسى، لمحمد بن أحمد السرخسى، تحقيق أبو الوفا الأفغانى، حيدر آباد الدكن بالهند، تصوير الكتب العلمية بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٣٩- أصول السيرة المحمدية، لعبد العزيز بن راشد النجدى، الطبعة الثانية، خال من مكان الطبع وتاريخه.
- ٤٠- أصول الشريعة، لمحمد سعيد العشماوى، طبعة القاهرة ١٩٧٩م.
- ٤١- أصول الفقه، لمحمد الخضرى، دار الحديث بمصر، بدون تاريخ.
- ٤٢- الأصول العظيمة - الكتاب والسنة - رؤية جديدة، لجمال البنا، مطبعة حسان بمصر.

- ٤٣- أضواء على السنة المحمدية، لمحمود أبو ريه، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.
- ٤٤- الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية، وتطهير البخارى منها، للسيد صالح أبو بكر، مطبعة محرم الصناعية ١٩٧٤م.
- ٤٥- إعادة تقييم الحديث، لقاسم أحمد، مكتبة مديولى الصغير بمصر، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ٤٦- إعادة قراءة القرآن، لجاك بيرك، ترجمة وائل غالى شكرى، تقديم أحمد صبحى منصور، دار النديم للصحافة بمصر، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ٤٧- الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار، للحازمى، تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ٤٨- الاعتصام، للشاطبى، تحقيق محمود طعمة، دار المعرفة ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٤٩- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب، والمستعربين، والمستشرقين، للزركلى، دار العلم ببيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.
- ٥٠- أعلام المسلمين بعصمة النبيين، لإسحاق بن عقيل المكي، دار ابن حزم ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- ٥١- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ.
- ٥٢- أعلام النبوة، للماوردي، تحقيق خالد العك، دار النفائس ببيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٥٣- أفعال الرسول ودلائلها على الأحكام الشرعية، للدكتور عمر سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٥٤- الإفصاح فى إمامة على بن أبى طالب، لمحمد بن النعمان العكبرى، دار المنتصر ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٥٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق صلاح عويسة، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٥٦- اكمال اكمال المعلم، شرح صحيح مسلم، لمحمد بن عمر الأبي، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧هـ.

- ٥٧- اكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق الدكتور يحيى حبلوش، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٥٨- الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية، لنصر أبو زيد، مكتبة مديولى الصنير بمصر، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.
- ٥٩- إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأبناء والأموال والخدمة للمقريزى، تحقيق محمد القيسى، دار الثقافة ١٤٠١هـ.
- ٦٠- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقطى الوزير، تحقيق محمد إبراهيم، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٩٥٥م.
- ٦١- الأنبياء فى القرآن دراسة تحليلية، لأحمد صبحى منصور، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٦٢- إنذار من السماء، لنيازى عز الدين، الأهالى للطباعة بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ٦٣- الإنصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال، لابن المنير، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر ١٣٨٥هـ.
- ٦٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوى، دار الفكر ١٤٠٢هـ.
- ٦٥- الأنوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليماني، المكتبة السلفية بمصر ١٣٧٨هـ.
- ٦٦- أهل السنة شعب الله المختار، لصالح الوردانى، كنوته للطباعة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (ب)
- ٦٧- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير، تأليف أحمد محمد شاكر، دار التراث بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٦٨- الباهر فى حكم النبي ﷺ بالباطن والظاهر، للسيوطى، تحقيق الدكتور محمد خيرى، دار السلام بمصر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٦٩- البحر المحيط فى أصول الفقه، للزركشى، تحقيق الدكتور عمر سليمان الأشقر وغيره، دار الصفوة بالغردقة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٧٠- البحر المحيط فى تفسير القرآن الكريم، لأبى حيان الأندلسى، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- ٧١- البداية والنهاية فى التاريخ، لابن كثير، تحقيق الدكتور أحمد أبو ملح و غيره، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٧٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.
- ٧٣- البرهان فى أصول الفقه، للجويني، تحقيق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٧٤- البرهان فى علوم القرآن، للزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابى الحلبي بمصر، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ.
- ٧٥- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.
- ٧٦- بغية الوعاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي بمصر، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٧٧- بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمن، لإسماعيل منصور جودة، خال من مكان الطبع، بتاريخ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٧٨- البيان بالقرآن، لمصطفى كمال المهدوي، دار الآفاق الجديدة بليبيا، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

(ت)

- ٧٩- تاج العروس فى جواهر القاموس، للزبيدي، المطبعة الخيرية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ.
- ٨٠- تاريخ الأدب العربى، لكارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.
- ٨١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، تحقيق الدكتور عمر التتمري، دار الكتاب العربى بيروت ١٩٩٠م.
- ٨٢- تاريخ الإسلام الثقافى والسياسى، لصائب عبد الحميد، مركز الغدير للدراسات بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ٨٣- تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم، لابن شاهين، تحقيق الدكتور عبد المعطى أمين قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٨٤- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م.

- ٨٥- تاريخ الثقات، للعجلي، بترتيب الحافظ الهيثمي، وتضمنات، الحافظ ابن حجر، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- ٨٦- تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، لمحمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م.
- ٨٧- تاريخ الشعوب الإسلامية، لكارل بروكلمان، دار العلم بيروت، الطبعة السادسة.
- ٨٨- تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار، لابن حبان، تحقيق بوران الضناوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٨٩- تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٩م.
- ٩٠- تاريخ العرب، لفيليب حتى، دار الكشاف، الطبعة الثالثة ١٩٦١م.
- ٩١- تأملات في الحديث عند السنة والشيعية، لذكريا عباس داود، دار النخيل بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٩٢- تأملات في الصحيحين، لمحمد صادق النجدي، دار العلوم، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- ٩٣- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٩٤- تبصير الأمة بحقيقة السنة، لإسماعيل منصور جودة، خال من مكان الطبع ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٩٥- تجريد أسماء الصحابة، للذهبي، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.
- ٩٦- تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها، لسليمان الندوي، ترجمها الشيخ عبد الوهاب الدهلوي، المطبعة السلفية بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.
- ٩٧- التحرير في أصول الفقه، لمحمد بن الهمام، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر ١٣٥٠هـ.
- ٩٨- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٩٩- تذكرة الحفاظ، للذهبي، تصحيح عبد الرحمن المعلمي اليماني، حيدر آباد الدكن بالهند، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ١٠٠- تراث الإسلام، لجوزيف شاخنت، ترجمة حسين مؤنس، مطبعة إحسان صدقي.

- ١٠١- التعريفات، للجرجاني، تحقيق إبراهيم الإياري، دار الريان للتراث، بدون تاريخ.
- ١٠٢- التعليق المغنى على الدارقطني، للعظيم آبادي، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني، دار المحاسن للطباعة بمصر ١٣٨٦هـ.
- ١٠٣- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مطبعة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ١٠٤- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية ١٩٨٤م.
- ١٠٥- تفسير جزء عم، لمحمد عبده، المطبعة الأميرية، الطبعة الأولى ١٣٢٢هـ.
- ١٠٦- تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ١٠٧- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم وغيره، مطبعة دار الشعب بمصر بدون تاريخ.
- ١٠٨- تفسير القيم، لابن قيم الجوزية، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ.
- ١٠٧- التفسير الكبير، (المسمى مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ١٠٨- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، دار المنار بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٦٧م.
- ١٠٩- التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة بمصر الطبعة الأولى ١٣٦١هـ.
- ١١٠- تفسير الوسيط، للدكتور محمد سيد طنطاوي، دار المعارف بمصر.
- ١١١- تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، للسيوطي، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة بالإسكندرية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١١٢- التقرير والتحبير، لابن أمير الحاج، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١١٣- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- ١١٤- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلى معوض، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١١٥- تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، لعلي بن أحمد السبتي، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ١١٦- تنزيه الأنبياء، لعلي بن الحسين الموسوي، قم، إيران، بدون تاريخ.
- ١١٧- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، المطبعة المنيرية بمصر ١٩٢٧م.
- ١١٨- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٠٧م.
- ١١٩- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزى، تحقيق شعيب الأرنؤوط، والدكتور بشار عواد، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١٢٠- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، للأمير الصنعاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ.
- ١٢١- تيسير التحرير شرح كتاب التحرير، لابن أنعم، للأمير بادشاه الحنفى، مطبعة عيسى الحلبي بمصر، ١٣٥٠هـ.
- ١٢٢- تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير، للدكتور مروان محمد شاهين، مكتب فوزى الشيمى للطباعة بطنطا، بدون تاريخ.
- (ث)
- ١٢٣- الثقات، لابن حبان البستي، حيدر آباد الدكن بالهند، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (ج)
- ١٢٤- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، المطبعة المنيرية ١٩٧٨، تصوير دار الكتب العلمية.
- ١٢٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.
- ١٢٦- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، للسيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الخامسة.
- ١٢٧- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تصحيح أحمد عبد العليم، الطبعة الثانية ١٩٥٢م.

- ١٢٨- الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد رأفت سعيد، مطبعة الفلاح بدون تاريخ.
- ١٢٩- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، حيدر آباد الدكن بالهند، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ - ١٩٥١م، تصوير دار الكتب العلمية بيروت.
- ١٣٠- جمع الجوامع بحاشية البناتى، للسبكي، مطبعة عيسى البابى الحلبي بمصر.
- ١٣١- الجمع بين رجال الصحيحين، لابن طاهر المقدسى، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م.

(ح)

- ١٣٢- حاشية البدر السارى إلى فيض البارى، لمحمد بدر، دار المعرفة بيروت.
- ١٣٣- حجية السنة، للدكتور عبد الغنى عبد الخالق، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ١٣٤- حد الردة دراسة أصولية تاريخية، لأحمد صبحى منصور، دار طيبة بمصر.
- ١٣٥- الحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام، للألبانى، مطبعة الدار السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.
- ١٣٦- الحسبة دراسة أصولية تاريخية، لأحمد صبحى منصور، مركز المحروسة للنشر بمصر، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- ١٣٧- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، للسيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابى الحلبي بمصر، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
- ١٣٨- حصاد العقل، لمحمد سعيد العشماوى، مكتبة مدبولى الصغير ١٩٩٢م.
- ١٣٩- حضارة العرب، لجوستاف لبون، ترجمة محمد عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابى الحلبي ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م.
- ١٤٠- حقائق ثابتة فى الإسلام، لابن الخطيب، مطبعة الأفق بطهران ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ١٤١- حقوق النبى ﷺ على أمته، للدكتور محمد خليفة التميمي، دار الفتح بالشارقة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ١٤٢- حقيقة الحجاب وحجية الحديث، لمحمد سعيد العشماوى، مكتبة مدبولى الصغير بمصر، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- ١٤٣- حقيقة السنة النبوية، لأحمد حجازى السقا، مكتبة الكليات الأزهرية بمصر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٤٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبى نعيم الأصفهاني، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨، تصوير دار الكتب العلمية.
- ١٤٥- حوار ومناقشة كتاب عائشة أم المؤمنين، لهشام آل قطيط، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ١٤٦- حياة محمد، لدر منعم، ترجمة عادل زعتر، مطبعة عيسى البابى الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.
- ١٤٧- حياة محمد، للدكتور محمد حسين هيكل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.

(خ)

- ١٤٨- الخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة، لصالح الورداني، دار الخليج، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١٤٩- الخصائص الكبرى، للسيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٥٠- الخطوط الطويلة أو دفاع عن السنة المحمدية، لمحمد على الهاشمي، مراجعة وتعليق مرتضى الرضوى، دار الأمير بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ١٥١- خواطر دينية، لعبد الله محمد الصديق، مكتبة القاهرة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ١٥٢- خلاصة تهذيب الكمال، للخزرجي، مطبعة بولاق بمصر ١٣٠١هـ.

(د)

- ١٥٣- دائرة المعارف الإسلامية، نقلها للعربية أحمد الشنتاوى وغيره، دار المعرفة بيروت ١٩٥٧م.
- ١٥٤- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، للسيوطي، طبعة القاهرة، تصوير دار المعرفة بيروت.
- ١٥٥- دراسات أصولية فى السنة النبوية، للدكتور محمد الحفناوى، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

- ١٥٦- دراسات في السنة، للدكتور محمد المنسى، مكتبة الشباب بالمنيرة مصر ١٩٩٦م.
- ١٥٧- دراسات في السيرة وعلوم السنة، للدكتور موسى لاشين، مطبعة الفجر الجديد.
- ١٥٨- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكاي، مكتبة مدبولي الكبير بمصر، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ١٥٩- الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
- ١٦٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد الدكن بالهند، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م.
- ١٦١- دستور الأخلاق في القرآن، للدكتور محمد دراز، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ.
- ١٦٢- دفاع عن الحديث والمحدثين وتفنيدها شبهات خصومه، لجماعة من العلماء، تصحيح زكريا على يوسف، توزيع مكتبة المتنبي بمصر ١٩٧٢م.
- ١٦٣- دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين، لصالح الورداني، الناشر تريدنكو بيروت ١٩٩٧م.
- ١٦٤- دفاع عن السنة، للدكتور محمد أبو شهبة، مكتبة السنة بمصر، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.
- ١٦٥- دفع الشبهات عن الشيخ الغزالي، لأحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية بمصر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٦٦- دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين، لحسين أحمد أمين، دار الشروق بمصر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٦٧- الدولة والمجتمع، لمحمد شحرور، مطبعة الأهالي بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٧م.
- ١٦٨- دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق الدكتور محمد رواس قلججي وغيره، دار النفائس بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ١٦٩- دلائل النبوة ومعرفة صاحب الشريعة، للبيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلججي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٩٧م.
- ١٧٠- دلائل القرآن المبين على أن النبي ﷺ أفضل العالمين، لعبدالله الصديق الغماري، المكتبة المكية بالسعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- ١٧١- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب المالكي، لابن فرحون المالكي، تحقيق مأمون محيي الدين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٧٢- دين السلطان، لينازي عز الدين، دار الأهالي بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ١٧٣- ديوان عبد الله بن رواحة، للدكتور وليد قصاب، دار العلوم، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

(ر)

- ١٧٤- الربا والفائدة في الإسلام، للعشماوي، مكتبة مدبولي الصغير بمصر، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ١٧٥- رجال صحيح البخاري، للكلايذي، تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة بيروت ١٩٨٧م.
- ١٧٦- رجال صحيح مسلم، لابن منجويه، تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة بيروت ١٩٨٧م.
- ١٧٧- الرسل والرسالات، للدكتور عمر سليمان الأشقر، دار الفلاح، بالكويت.
- ١٧٨- الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الفكر بيروت، ١٣٠٩هـ.
- ١٧٩- الرسالة المحمدية، لسليمان الندوي، دار السعودية، جدة، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.
- ١٨٠- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة، للكتاني، تحقيق محمد المنتصر، دار البشائر بيروت ١٩٨٦م.
- ١٨١- الرسول في كتابات المستشرقين، لنذير حمدان، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي جدة.
- ١٨٢- رشاد خليفة صنيعة الصليبية العالمية، وأخطر من سلمان رشدي، للدكتور خالد نعيم، مطبعة المختار الإسلامية، بدون تاريخ.
- ١٨٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للأوسى، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ١٨٤- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، للسهيلي، دار المعرفة بيروت ١٣٩٨هـ.
- ١٨٥- الروضة الندية شرح الدرر البهية، للفتوح، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار التراث بمصر.
- ١٨٦- الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة، ليحيى العامري اليمني، تصحيح عمر أبو حجلة، مكتبة المعارف بيروت ١٩٨٣م.

(ز)

١٨٧- زاد المعاد فى هدى خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(س)

١٨٨- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للأمير الصنعاني، تحقيق إبراهيم عصر، دار الحديث بمصر، بدون تاريخ.

١٨٩- سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحى الشامى، مطابع الأهرام التجارية ١٤٠٤هـ.

١٩٠- السحر والسحرة والوقاية من الفجرة، لتاج الدين نوفل، مكتبة التراث الإسلامى بمصر.

١٩١- السلطة فى الإسلام، لعبد الجواد ياسين، الدار البيضاء، بالمغرب، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

١٩٢- سنن أبى داود، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت.

١٩٣- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابى الحلبي بمصر ١٩٥٤م.

١٩٤- سنن الترمذى، تحقيق أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي وغيرهما، عيسى البابى الحلبي بمصر ١٣٨٥هـ نشر وتصوير دار الحديث.

١٩٥- سنن الدارقطنى، تحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى، دار المحاسن بمصر، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

١٩٦- سنن الدارمى، تحقيق فواز أحمد زمرلى، وخالد العلمى، دار الريان بمصر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩٧- السنن الكبرى، للبيهقى، دار المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م.

١٩٨- السنن الكبرى، للنسائى، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البندارى وغيره، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٩٩- سنن النسائى، (المجتبى) تحقيق الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٠٠- السنة، لابن أبى عاصم، تحقيق ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلامى، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٠١- السنة بياناً للقرآن، للدكتور إبراهيم الخولى، الشركة العربية للطباعة ١٩٩٣م.

٢٠٢- السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث، للشيخ محمد الغزالى، دار الشروق بمصر ١٩٨٩م.

- ٢٠٣- السنة بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم، للدكتور عبد الموجود عبد اللطيف، دار الطباعة المحمدية بمصر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٢٠٤- السنة تشريع لازم ودائم، للدكتور فتحى عبد الكريم، مكتبة وهبة بمصر ١٩٨٥م.
- ٢٠٥- السنة فى مواجهة أعدائها، للدكتور طه حبيشى، مكتبة رشوان بمصر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٢٠٦- السنة مصدر للمعرفة والحضارة، للدكتور يوسف القرضاوى، دار الشروق بمصر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٠٧- السنة المفترى عليها، للمستشار سالم البهنساوى، دار الوفاء بالمنصورة ١٩٩٢م.
- ٢٠٨- السنة النبوية - مكانتها - عوامل بقائها - تدوينها، للدكتور عبد المهدى عبد القادر، دار الاعتصام بمصر.
- ٢٠٩- السنة والتشريع، للدكتور موسى شاهين لاشين، هدية مجلة الأزهر الشريف ١٤١١هـ.
- ٢١٠- السنة ودورها فى الفقه الجديد، لجمال البنا، دار الفكر بمصر، ١٩٩٧.
- ٢١١- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٢١٢- سيرة المصطفى، نظرة جديدة، لهاشم معروف، دار التعارف بيروت ١٩٩٦م.
- ٢١٣- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق الدكتور فتحى أنور، ومجدى فتحى، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٢١٤- سيرة الرسول صورة مقتبسة من القرآن الكريم، للأستاذ محمد عزة دروزة، مطابع الدوحة الحديثة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.
- ٢١٥- سيرة الرسول فى تصورات الغربيين، للدكتور محمد حمدي زقزوق، مكتبة وهبة بمصر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢١٦- السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة، للدكتور محمد أبو شهبة، دار القلم بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م س
- ٢١٧- السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة، للدكتور عبد المهدى عبد القادر، دار المجد للطباعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(ش)

- ٢١٨- شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية، للشيخ محمد محمد مخلوف، دار الفكر.

- ٢١٩- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، لابن العماد، مكتبة القدسى بمصر، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ - ١٩٥١م.
- ٢٢٠- شرح الأصول الخمسة، للقاضى عبد الجبار، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة بمصر، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٢١- شرح ألفية العراقي المسماة التبصرة والتذكرة، للعراقى، دار الكتب العلمية بيروت.
- ٢٢٢- شرح الخريدة البهية، للدريد مع حاشية الصاوى على شرح الخريدة، مطبعة الاستقامة بمصر.
- ٢٢٣- شرح الزرقانى على الموطأ، لمحمد الزرقانى، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ٢٢٤- شرح الزرقانى على المواهب اللدنية، للقسطانى، لمحمد الزرقانى، دار الكتب العلمية ١٩٩٦م.
- ٢٢٥- شرح السنة، للبغوى، تحقيق زهير الشاويش وغيره، المكتب الإسلامى بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٢٦- شرح الشفا، لعلى القارى، مكتبة المشهد الحسينى، بمصر بدون تاريخ.
- ٢٢٧- شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازانى، طبعة تركيا ١٢٧٧هـ.
- ٢٢٨- شرح الموافق، للجرجانى، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ٢٢٩- شعب الإيمان، للبيهقى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠هـ.
- ٢٣٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للقاضى عياض، دار الكتب العلمية بيروت.
- ٢٣١- شفاء الصدر بنفى عذاب القبر، لإسماعيل منصور جودة، خال من مكان الطبع ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٣٢- الشمائل المحمدية، للترمذى، تعليق محمد عفيفى الزعبي، دار المطبوعات الحديثة بالسعودية، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٣٣- شيخ المضيرة (أبو هريرة)، لمحمود أبو ريه، مؤسسة الأعلمى بيروت ١٤١٣هـ.
- ٢٣٤- الشيعة فى عقائدهم وأحكامهم، لأمير القزوينى، دار الزهراء بيروت ١٣٩٧هـ.
- ٢٣٥- الشيعة هم أهل السنة، للدكتور محمد السماوى، مؤسسة الفجر بلندن ١٤١٣هـ.

(ص)

- ٢٣٦- الصلارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب بيروت، ١٩٨٢م.
- ٢٣٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق أحمد العطار، مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٢٣٨- صحيح ابن حبان، بترتيب الأمير ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٢٣٩- صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٤٠- صحيح البخاري، مع (فتح الباري) تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان بمصر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- ٢٤١- صحيح مسلم، مع (المنهاج شرح مسلم) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث بمصر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٤٢- الصمت وحفظ اللسان، لابن أبي الدنيا، تحقيق الدكتور محمد عاشور، دار الاعتصام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٢٤٣- صواعق الحق المرسل على الجنين والكهان والسحرة، لفريق من العلماء، إعداد عبد المجيد صالح، مطبعة العمرانية بمصر.
- ٢٤٤- الصلاة، لمحمد نجيب، دائرة المعارف العلمية بمصر، بدون تاريخ.
- ٢٤٥- الصلاة في القرآن، لأحمد صبحي منصور، مخطوط.

(ض)

- ٢٤٦- الضعفاء، لأبي نعيم، تحقيق الدكتور فاروق حمادة، دار الثقافة بالمغرب، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- ٢٤٧- الضعفاء الصغير، للبخاري، تحقيق إبراهيم زايد، دار الوعي بحلب ١٩٧٦م.
- ٢٤٨- الضعفاء والمتروكين، للنسائي، تحقيق كمال يوسف الحوت وغيره، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٤٩- الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٤م.

٢٥٠- الضعفاء الكبير، للعقيلي، تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٥١- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، مكتبة القدسي بمصر.

٢٥٢- ضلالات منكرى السنة، للدكتور طه حبيشى، مكتبة رشوان بمصر ١٩٩٦م.

(ط)

٢٥٣- الطب النبوى والعلم الحديث، للدكتور محمود النسيمي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٢٥٤- طبقات الحفاظ، للسيوطي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

٢٥٥- طبقات الشافعية، لابن هداية، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٢٥٦- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق محمود الطناحي وغيره، مطبعة عيسى الحلبي بمصر، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

٢٥٧- طبقات علماء الحديث، لمحمد بن عبد الهادي، تحقيق أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٥٨- طبقات الفقهاء، للشيرازي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الرائد العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٥٩- طبقات الفقهاء الشافعيين، لابن كثير، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور زينهم عزب، المكتبة الثقافية بمصر ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٦٠- طبقات القراء، لمحمد بن الجزري، مطبعة السعادة بمصر ١٩٣٢م.

٢٦١- طبقات القراء، للحافظ الذهبي، تحقيق الدكتور بشار عواد وغيره، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٢م.

٢٦٢- الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٦٣- طبقات المعتزلة، لابن المرتضى، تحقيق سوسنة ديفلد، دار المنتظر بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢٦٤- طبقات المفسرين، للداودي، دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ.

٢٦٥- طبقات المفسرين، للسيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ.

- ٢٦٦- طبقات انتحاة واللغويين، لابن قاضي شهبه، طبعة النجف ١٩٧٤م.
٢٦٧- طرح التثريب فى شرح التقريب، للعراقى وولده أبى زرعة، دار إحياء التراث العربى
بيروت.

(ظ)

- ٢٦٨- الظاهرة القرآنية، لمالك بن نبى، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار المعرفة بمصر
١٩٥٨م.
٢٦٩- ظلمات أبى ربه أمام أضواء السنة، لمحمد عبد الرازق حمزة، المطبعة السلفية بمصر
١٣٧٩هـ.

(ع)

- ٢٧٠- العبر فى خبر من غير، للذهبي، تحقيق محمد السعيد بسيونى، زغلول دار الكتب العلمية
بيروت.
٢٧١- عذاب القبر والشعبان الأقرع، لأحمد صبحى منصور، دار طيبة للدراسات بمصر.
٢٧٢- العصريون معزلة اليوم، لن يوسف كمال، دار الوفاء بالمنصورة ١٩٨٦م.
٢٧٣- العصمة، بحث تحليلى فى ضوء المنهج القرآنى، لمحمد القاضى، مؤسسة التقلين بيروت
١٩٩٧م.
٢٧٤- عصمة الأنبياء، لفخر الدين الرازى، مطبعة الشهيد، قم بإيران، ١٤٠٦هـ.
٢٧٥- عصمة الأنبياء فى الكتاب والسنة والرد على الشبهات الواردة عليها، لمحمد الخضر
الناجى، خال من مكان الطبع وتاريخه.
٢٧٦- عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، للدكتور محمد أبو النور الحديدى،
مطبعة الأمانة بمصر، بدون تاريخ.
٢٧٧- العقيدة والشريعة فى الإسلام، لجولدتسيهر، ترجمة على حسن عبد القادر وغيره، دار
الكتب الحديثة بمصر.
٢٧٨- علم الفقه، للدكتور عبد المنعم النمر، مطبعة الخلود بغداد ١٩٩٠م.
٢٧٩- عمدة القارى شرح صحيح البخارى، للعينى، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر ١٣٩٢هـ.
٢٨٠- عون المعبود شرح سنن أبى داود، للعظيم آبادى، تحقيق عبد الرحمن عثمان، المكتبة
السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٩هـ.
٢٨١- عيون الأثر فى فنون المغازى والشمال والسير، لابن سيد الناس، دار المعرفة بيروت.

(غ)

٢٨٢- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم الهروي، دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٨٤هـ.

(ف)

٢٨٣- الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، تحقيق على محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

٢٨٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٣م.

٢٨٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان بمصر ١٩٨٦م.

٢٨٦- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للعراقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة بمصر ١٩٨٨م.

٢٨٧- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، للعراقي، شرح السخاوي، تحقيق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٨٨- الفرق بين الفرق، لعبد القادر البغدادي، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بسيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٨٩- الفرقان، لابن الخطيب، الدار المصرية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

٢٩٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، بمصر.

٢٩١- الفقه الإسلامي، مرونته وتطوره، لجاد الحق على جاد الحق، طبعة الأمانة العامة للدعوة بالأزهر الشريف.

٢٩٢- فقه السنة، للشيخ السيد سابق، دار القبلة بجدة.

٢٩٣- فقه السيرة النبوية، للدكتور محمد رمضان البوطي، دار السلام بمصر الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٩٤- فقه السيرة النبوية، لمحمد الغزالي، دار الريان بمصر، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٢٩٥- الفصول الزكية في سيرة خير البرية، للدكتور عبد الموجود عبد اللطيف، دار ابن لقمان بمصر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٩٦- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تحقيق عادل يوسف العزازي، دار ابن الجوزي بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٩٧- الفكر الإسلامى نقد واجتهاد، لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي - بيروت، ١٩٩٨م.

٢٩٨- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، لعبد العلى محمد بن نظام، بهامش المستنصفي، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢٢هـ.

٢٩٩- فيض البارى على صحيح البخارى، للكشميرى، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.

٣٠٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوى، دار المعرفة بيروت ١٩٧٢م.

٣٠١- فى ظلال القرآن، للسيد قطب، دار الشروق بيروت، الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ.

(ق)

٣٠٢- القاموس المحيط، للفيروز آبادى، المطبعة الأميرية، الطبعة الثالثة ١٣٠١هـ.

٣٠٣- قراءة فى صحيح البخارى، لأحمد صبحى منصور، مخطوط.

٣٠٤- القرآن والحديث والإسلام، لرشاد خليفة، مخطوط.

٣٠٥- قرآن أم حديث، لرشاد خليفة، خال من مكان الطبع وتاريخه.

٣٠٦- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، للدكتور خادم حسين إلهى بخش، مكتبة الصديق بجدة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٠٧- قصة الحديث المحمدية، لمحمود أبو ريه، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

٣٠٨- قواعد فى علوم الحديث، للتهانوى، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار السلام بمصر.

(ك)

٣٠٩- الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة، للحافظ الذهبي، تحقيق محمد عوامة وغيره، دار القبله بجدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣١٠- الكامل فى ضعفاء الرجال، للحافظ ابن عدى، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر بيروت ١٩٨٨م.

٣١١- الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، لمحمد شحرور، شركة المطبوعات - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣١٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، للزمخشري، المكتبة التجارية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ.

٣١٣- كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة ١٩٧٩م.

٣١٤- كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لمحمد العجلوني، تحقيق محمد الخالدي، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧م.

٣١٥- الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد الحافظ التيجاني وغيره، دار ابن تيمية بمصر ١٩٩٠م.

٣١٦- كيف نتعامل مع السنة، للدكتور يوسف القرضاوي، دار الوفاء بالمنصورة، ١٩٩٤م.

(ل)

٣١٧- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.

٣١٨- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣١٩- لماذا القرآن، لعبد الله الخليفة = أحمد صبحي منصور، خال من مكان الطبع وتاريخه.

(م)

٣٢٠- المجددون في الإسلام، من القرن الأول إلى الرابع عشر، لعبد المتعال الصعدي، مكتبة الآداب بمصر.

٣٢٠- المجروحين من المحدثين والضعفاء المتروكين، لابن حبان، تحقيق محمود زايد، دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٣٢١- مجلة أكتوبر، العدد ١٢٤٢ بتاريخ ١٣/٨/٢٠٠٠.

٣٢٢- مجلة روز اليوسف، الأعداد ٣٥٥٩ - ٣٥٦٣ - ٣٥٦٤، مطابع الأهرام بمصر.

٣٢٣- مجلة المسلم المعاصر، العدد الافتتاحي.

٣٢٤- مجلة المنار، لمحمد رشيد رضا، مطبعة المنار.

٣٢٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيتمي، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٢٦- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن النجدي، السعودية ١٤٠٤هـ.

٣٢٧- مجموعة الحديث الصديقية، لآل الصديق الغماري، مكتبة القاهرة بمصر.

٣٢٨- محاسن التأويل، لجمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٧م.

٣٢٩- محبة النبي ﷺ وطاقته بين الإنسان والجماد، للدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر، دار

القلم بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- ٣٣٠- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، من العلماء والحكماء والمتكلمين، لفخر الدين الرازي، تحقيق طه عبد الرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية بمصر .
- ٣٣١- المحصول في أصول الفقه، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨م .
- ٣٣٢- المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول ﷺ، لمحمد المقدسي، تحقيق أحمد الكويتي، مؤسسة قرطبة بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٩٠م .
- ٣٣٣- محمد رسول الله ﷺ، للشيخ محمد الصادق عرجون، دار القلم بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٣٣٤- محمد رسول الله، لاتين دينيه، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، دار المعارف، الطبعة الثالثة .
- ٣٣٥- محمد عبده ومنهجه في التفسير، للدكتور عبد الغفار عبد الحليم، دار الأنصار بمصر .
- ٣٣٦- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، بترتيب محمود خاطر، دار النهضة بمصر .
- ٣٣٧- مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور، تحقيق روحية النحاس ومحمد مطيع، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .
- ٣٣٨- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث بمصر، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٣٣٩- المدخل إلى السنة النبوية، بحوث في القضايا الإسلامية عن السنة، للدكتور عبد المهدي عبد القادر، دار الاعتصام بمصر ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- ٣٤٠- المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق الدكتور محمد الأعظمي، دار الخلفاء .
- ٣٤١- مذاهب التفسير الإسلامي، لجولدسيهر، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٥م .
- ٣٤٢- المراجعات، لعبد الحسين شرف الدين الموسوي، دار الأندلس بيروت، بدون تاريخ .
- ٣٤٢- المراسيل، لأبي داود السجستاني، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الجنان بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٣٤٤- مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المؤمن البغدادي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٣هـ .
- ٣٤٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م .

- ٣٤٦- مساحة للحوار من أجل الوفاق ومعرفة الحقيقة، لأحمد حسين يعقوب، الغدير بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٤٧- المستدرك على الصحيحين، للحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٣٤٨- المستشرقون الألمان - تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، جمع صلاح الدين منجد، دار الكتب الجديدة بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
- ٣٤٩- المستقصى من علم الأصول، للغزالي، المطبعة الأميرية بمصر ١٣٢٢هـ.
- ٣٥٠- المسلم العاصي، هل يخرج من النار ليدخل الجنة، لأحمد صبحي منصور، القاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣٥١- مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود، حيدر أباد الدكن بالهند ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م.
- ٣٥٢- مسند أبي يعلى الموصلي، لأبي يعلى، تحقيق حسين أسد، ودار المأمون ١٤١٥هـ - ١٩٩٠م.
- ٣٥٣- مسند الإمام أحمد، لأحمد بن حنبل، المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٣هـ - ١٨٩٥م.
- ٣٥٤- مسند الحميدي، للحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب بيروت.
- ٣٥٥- مسند الإمام الشافعي، للشافعي، تحقيق سعيد محمد اللحام وغيره، دار الفكر بيروت ١٩٩٦م.
- ٣٥٦- مسند الشاميين، للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥هـ.
- ٣٥٧- مسند الشهاب، للقضاعي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥هـ.
- ٣٥٨- المسودة في أصول الفقه، لآل تيميه، جمع شهاب الدين الحراني، تحقيق محمد محي الدين، دار الكتاب العربي بيروت.
- ٣٥٩- مسيلة في مسجد توسان، للدكتور طه حبيشي، مكتبة رشوان بمصر.
- ٣٦٠- مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان، تحقيق مجدي الشوري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٣٦١- مشروع التعليم والتسامح، لأحمد صبحي منصور وغيره، نشر دار ابن خلدون للدراسات بالمقطم مصر.

- ٣٦٢- مشكلات الأحاديث النبوية وبيئاتها، لعبد الله النجدي القصيمي، دار القلم بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ٣٦٣- مصادر الشريعة الإسلامية مقارنة بالمصادر الدستورية، للمستشار على جريشة، مكتبة وهبة بمصر ١٩٧٩م.
- ٣٦٤- مصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، لأحمد الفيومي، صححه مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٦٩هـ.
- ٣٦٥- المصنف، لابن أبي شيبه، تصحيح عامر الأعظمي، حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٦٦م.
- ٣٦٦- المصنف، لعبد الرزاق، تحقيق حبيب الأعظمي، المجلس العلمي بالهند ١٩٧٠م.
- ٣٦٧- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر، تحقيق حبيب الأعظمي، دار عباس أحمد الباز.
- ٣٦٨- مع الدكتور موسى الموسوي، في كتابه الشيعة والتصحيح، للدكتور علاء الدين القزويني، مركز الغدير قم بإيران، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٦٩- مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جَحْش، للدكتور زاهر الألمعي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ.
- ٣٧٠- معالم الإسلام، لمحمد سعيد العشماوي، طبعة القاهرة ١٩٨٩م.
- ٣٧١- معالم السنن، للخطابي، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨هـ.
- ٣٧٢- معالم المدرستين، لمرتضى العسكري، الدار العالمية بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٩٣م.
- ٣٧٣- المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسين البصري، دار الكتب العلمية بيروت.
- ٣٧٤- المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق طارق عوض وغيره، دار الحرمين بمصر ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٣٧٥- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٣٧٦- المعجم الصغير، للطبراني، تحقيق محمد سمارة، دار إحياء التراث العربي ١٩٩٢م.
- ٣٧٧- المعجم الكبير، للطبراني، صدر منه ٢٥ جزء، وناقص أجزاء ١٥، ١٦، ٢١، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الدار العربية للطباعة ١٣٩٨هـ.
- ٣٧٨- معجم ما أُلِفَ عن رسول الله ﷺ، لصالح الدين المنجد، دار القاضي عياض بمصر، بدون تاريخ.

- ٣٧٩- معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تصحيح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٨٠- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٩هـ.
- ٣٨١- معجم المؤلفين، لعمر كحالة، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٣٨٢- المعين الرائق من سيرة سيد الخلاق، للدكتور سعيد صوابي مصر ١٩٩٠م.
- ٣٨٣- مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث، لمحمد عبد العزيز الخولي، دار الكتب العلمية بيروت.
- ٣٨٤- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للمخاوي، تحقيق عبد الله الصديق وغيره، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٩١م.
- ٣٨٥- الملل والنحل، لمحمد الشهرستاني، تحقيق أحمد فهمي، دار الكتب العلمية بيروت.
- ٣٨٦- ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، لدوزي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٣م.
- ٣٨٧- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، المطبوعات الإسلامية بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٣٨٨- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، لجماعة من العلماء مكتب التربية العربي بالرياض ١٩٨٥م.
- ٣٨٩- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا، للسيوطي، تحقيق سمير القاضى، دار الجنان بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٣٩٠- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٩١- منزلة السنة من الكتاب وأثرها في الفروع الفقهية، لمحمد سعيد منصور، مكتبة وهبة بمصر، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٣٩٢- منع تدوين الحديث أسباب ونتائج، لعلى الشهرستاني، مؤسسة الأعلمي بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٩٣- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، لابن تيمية، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢١هـ.

- ٣٩٤- المنهاج شرح مسلم، للنووي، تحقيق عصام الصباطي وغيره، دار الحديث بمصر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٩٥- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد الرومي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
- ٣٩٦- المواجهة مع رسول الله وآله، لأحمد حسين يعقوب، مركز الغدير ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٩٧- الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، تحقيق عبد الله دراز وغيره، دار المعرفة ببيروت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٩٨- المواقف في علم الكلام، للإيجي، مكتبة المتنبى، بدون تاريخ.
- ٣٩٩- موقف المدرسة العقلية من السنة، للأمين الصادق الأمين، دار الرشد بالرياض ١٩٩٨م.
- ٤٠٠- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد القسطلاني، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٩٩٦م.
- ٤٠١- المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة، والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية مصر ١٩٨٥م.
- ٤٠٢- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوى العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٤٠٣- موطأ الإمام مالك، برواية يحيى الليثي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث بمصر ١٩٩٣م.
- ٤٠٤- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٩٦٣م.

(ن)

- ٤٠٥- الناسخ والمنسوخ من الحديث، لابن شاهين، تحقيق الدكتور محمد الحفناوي، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٤٠٦- النبأ العظيم : للدكتور محمد عبد الله دراز، تخريج وتعليق عبد الحميد الدخاخي، دار المرابطين الأسكندرية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٤٠٧- النبوات، لابن تيمية، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- ٤٠٨- نبوة محمد في القرآن الكريم، للدكتور حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر بيروت ١٤١٠هـ.
- ٤٠٩- نبى الإسلام بين الحقيقة والادعاء، للدكتور عبد الراضى محمد عبد المحسن، الدار العالمية للكتاب بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٤١٠- النبى محمد، لعبد الكريم الخطيب، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٥م.
- ٤١١- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، لابن تغرى، دار الكتب المصرية ١٩٣٠م.
- ٤١٢- نحو تطوير التشريع الإسلامى، لعبد الله أحمد النعيم، دار سينا بمصر ١٩٩٤م.
- ٤١٣- نحو فقه جديد، لجمال البنا، دار الفكر بمصر، بدون تاريخ.
- ٤١٤- نسيم الرياض فى شرح شفاء، القاضى عياض، لشهاب الدين الخفاجى، دار الكتاب العربى بيروت.
- ٤١٥- النص والاجتهاد، لعبد الحسين شرف الدين الموسوى، مؤسسة الأعلمى بيروت ١٩٦٦م.
- ٤١٦- نظرية عدالة الصحابة، والمرجعية السياسية فى الإسلام، لأحمد حسين يعقوب، مطبعة الخيام بالأردن، الطبعة الأولى بدون تاريخ.
- ٤١٧- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لمحمد بن جعفر الكتانى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٤١٨- النفحات الشذية فيما يتعلق بالعصمة والسنة النبوية، لمحمد الطاهر الحامدى مكتبة الآداب بمصر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٤١٩- نقد الخطاب الدينى، لنصر أبو زيد، دار سينا بمصر، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.
- ٤٢٠- نهاية الاغتباط بمن رمى من الرواة بالاختلاط، لعلاء الدين على رضا، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٤٢١- النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، خرج أحاديثه وعلق عليه صلاح عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٤٢٢- نوال المنى فى إثبات عصمة أمهات وأزواج الأنبياء من الزنى، لمحمد نسيب الرفاعى، خال من مكان الطبع بتاريخ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٤٢٣- النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية، لمحمد فتح الله كولن، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٢٤- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الجيل بيروت ١٩٧٣م.

(هـ)

٤٢٥- هدى الساري مقدمة فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تصحيح محب الدين الخطيب، دار الريان بمصر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٤٢٦- أبو هريرة، لعبد الحسين شرف الدين الموسوي، دار الزهراء بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(و)

٤٢٧- الوافي بالوفيات، للصفدي صلاح الدين، نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٥م.

٤٢٨- الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، للدكتور محمود ماضي، دار الدعوة بالإسكندرية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٤٢٩- الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا، المكتب الإسلامي.

٤٣٠- الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، لموسى جار الله العراقي، دار الكتب السلفية بمصر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٤٣١- وركبت السفينة، لمرون خليفات، مركز الغدير للدراسات بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٣٢- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، لعلی المسعودی، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت.

٤٣٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة بيروت.

(لا)

٤٣٤- لا ناسخ ولا منسوخ في القرآن، لأحمد صبحي منصور، مركز المحروسة للبحوث بمصر الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

هذا وقد تركت ذكر بعض المصادر والمراجع، لقلة رجوعى إليها، وهى مبينة عند مواطن النقل منها، أو العزو إليها للاستفادة منها.

سابعا : فهرس الموضوعات

رقم
الصفحة

الموضوع

—	الإهداء .
—	كلمة شكر وتقدير .
٩	المقدمة.....
١٢	أسباب اختيار الموضوع
١٣	خطة البحث
١٧	منهجى فى البحث
٢١	التمهيد :
	المبحث الأول : التعريف بالعصمة، وبيان دلالتها على حجية القرآن الكريم
٢٢	والسنة النبوية، والافتداء بالنبى ﷺ
	أولا : التعريف بالعصمة لغة وشرعا، وبيان مواضعها من حياة
٢٣	الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
٢٣	أ- المعنى اللغوى
٢٥	ب- المعنى الشرعى
٢٧	ج- مواضع العصمة
٣١	ثانيا : العصمة سبيل حجية القرآن الكريم والسنة النبوية
٣٤	ثالثا : العصمة سبيل الافتداء بالنبى ﷺ
٤٢	المبحث الثانى : أهمية السيرة النبوية فى فهم الإسلام قرآنا، وسنة، وحضارة
٤٣	أولا : أهمية السيرة العطرة فى فهم القرآن الكريم
٥٤	ثانيا : أهمية السيرة العطرة فى فهم السنة النبوية
٥٩	ثالثا : أهمية السيرة العطرة فى إثبات أن للمسلمين تاريخا وحضارة.

الباب الأول

عصمة رسول الله ﷺ فى عقله وبدنه ودفع الشبهات

٦٣	الفصل الأول : عصمته ﷺ فى عقله وبدنه كما يصورها القرآن الكريم، والسنة النبوية
----	--

٦٥	تمهيد :
٦٨	المبحث الأول : دلائل عصمته ﷺ في عقله من خلال القرآن والسنة
٧٠	أ- عصمته ﷺ من كيد إبليس وجنوده
٧٤	ب- عصمته ﷺ من الجهالات
٧٥	ج- عصمته ﷺ من التعري
٧٧	• فرية على عصمته من التعري والرد عليها
٧٩	د- عصمته ﷺ من أكل ما ذبح على النصب، ودفع ما يتوهم عكس ذلك
٨٢	هـ- عصمته ﷺ من الحلف بأسماء الأصنام التي كان يعبدونها قومه..
٨٣	و- عصمته ﷺ من استلام الأصنام، وبيان مراد ما يفيد ظاهره عكس ذلك
٨٥	ز- من دلائل عصمته ﷺ شق صدره الشريف
٨٩	ح- من دلائل عصمته ﷺ تكافؤ أخلاقه
٩١	ط- من مظاهر عصمته ﷺ كمال عقله
١٠١	المبحث الثاني : دلائل عصمته ﷺ في بدنه من خلال القرآن والسنة
١٠١	• المراد بعصمة النبي ﷺ في بدنه من القتل
١٠٣	• خصوصية عصمة النبي ﷺ في بدنه من القتل
١١٣	• نماذج من عصمته في بدنه في مكة المكرمة
١٢١	• نماذج من عصمته في بدنه في المدينة المنورة
١٢٩	الفصل الثاني : شبه الطاعنين في سلامة عقله وبدنه والرد عليها
١٣٠	تمهيد :
١٣٢	المبحث الأول : شبهاتهم من القرآن الكريم على عدم عصمة النبي ﷺ فسي عقله وبدنه والرد عليها
١٣٢	تمهيد :
١٣٤	المطلب الأول : شبهتهم حول آيات ورد فيها إسناد "الضلال" و"الغفلة" إلى ضمير خطابيه ﷺ والجواب عنها

المطلب الثاني : شبهتهم حول آيات ورد فيها إسناد "الذنب" و"الوزر" إلى ضمير خطابـه ﷺ والجواب عنها.....	١٤٢
المطلب الثالث : شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله ﷺ بتقوى الله عز وجل، ونهيه عن طاعة الكافرين، ونهيه عن الشرك، والجواب عنها.....	١٥٠
المطلب الرابع : شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله ﷺ بتعرض الشيطان له والجواب عنها.....	١٦٠
المطلب الخامس : شبهتهم حول آيات ورد فيها معاتبة رسول الله ﷺ، والجواب عنها.....	١٦٧
١- الجواب عن قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ الآية..	١٦٩
٢- الجواب عن قوله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ الآية.....	١٧٢
٣- الجواب عن قوله تعالى: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ الآية.....	١٧٩
٤- الجواب عن قوله تعالى: ﴿وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس﴾ الآية.....	١٨٣
٥- الجواب عن قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ الآية.....	١٩١
المبحث الثاني : شبهاتهم من السنة على عدم عصمة النبي ﷺ في عقله وبدنه والرد عليها.....	٢٠٣
تمهيد :	٢٠٤
المطلب الأول : شبهة الطاعنين في حديث "ثشق صدره" ﷺ والرد عليها.....	٢٠٥
المطلب الثاني : شبهة الطاعنين في حديث "فترة الوحي" والرد عليها.....	٢١٨
المطلب الثالث : شبهة الطاعنين في حديث "نحن أحق بالشك من إبراهيم" والرد عليها.....	٢٣٩
المطلب الرابع : شبهة الطاعنين في حديث "سحر رسول الله ﷺ" والرد عليها.....	٢٤٣
المطلب الخامس : شبهة الطاعنين في حديث "أهجر" والرد عليه.....	٢٥٦

الباب الثانى

عصمة رسول الله ﷺ فى تبليغ الوحي ودفع الشبهات

٢٦٥

الفصل الأول : عصمته ﷺ فى تبليغ الوحي كما يصورها القرآن الكريم والسنة النبوية

٢٦٦

تمهيد :

٢٦٧

المبحث الأول : التعريف بالوحي، وكيفية

٢٦٩

أولا : التعريف بالوحي

٢٦٩

أ- من حيث اللغة

٢٦٩

ب- معناه الشرعى

٢٧١

ثانيا : كيفية الوحي

٢٧١

وحى الله تعالى إلى أنبياءه قرآن وسنة

٢٧٨

المبحث الثانى : دلائل عصمته ﷺ فى تبليغ الوحي من خلال القرآن الكريم

٢٨١

والسنة المطهرة

٢٨١

• مجالات البلاغ الذى أمره الله تعالى به

أولا : دلائل عصمته ﷺ فى تبليغ الوحي من خلال القرآن

٢٨٥

الكريم

ثانيا : دلائل عصمته ﷺ فى تبليغ الوحي من خلال السنة

٢٩١

والسيرة

٢٩٨

ثالثا : من دلائل عصمته ﷺ فى تبليغ الوحي إجماع الأمة.

٣٠٠

الفصل الثانى : شبه الطاعنين فى الوحي الإلهى والرد عليها

المبحث الأول : شبهات أعداء الإسلام من المستشرقين حول الوحي الإلهى

٣٠١

والرد عليها

٣٠١

تمهيد :

رقم
الصفحة

الموضوع

- ٣٠٣ **المطلب الأول : شبهة الوحي النفسى والرد عليها**
- **المطلب الثانى : شبهة أن الوحي عبارة عن أمراض نفسية وعقلية**
- ٣١٠ **والرد عليها**
- **المطلب الثالث : شبهة أن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية**
- ٣١٧ **والرد عليها**
- ٣٣٠ **المطلب الرابع : فرية الغرائق والرد عليها**
- ٣٣٦ • **القصة لم يخرجها أصحاب الكتب الصحاح....**
- ٣٣٨ • **الرد على المثبتين للقصة**
- ٣٤٣ • **آية التمنى لا صلة لها بفرية الغرائق**
- ٣٤٧ **المبحث الثانى : شبهات أعداء السنة النبوية حول الوحي الإلهى والرد عليها**
- ٣٤٧ **تمهيد :**
- **المطلب الأول : شبهة أن مهمة رسول الله ﷺ قاصرة على بلاغ**
- ٣٤٨ **القرآن فقط والرد عليها**
- **المطلب الثانى : شبهة أن رسول الله ﷺ ليست له سنة نبوية والرد**
- ٣٥٠ **عليها**
- ٣٦٨ • **حقيقة تمسح أعداء السنة بإيمانهم بالسنة البيانية .**
- ٣٧٠ • **ما يشرعه رسول الله ﷺ لا يخالف كتاب الله...**
- ٣٧٥ • **من كمال عصمته ﷺ أنه يشرع بإذن ربه تعالى..**
- **المطلب الثالث : شبهة أنه لا طاعة لرسول الله ﷺ إلا فى القرآن فقط**
- ٣٧٧ **والرد عليها**
- • **الأدلة من القرآن على أن لرسول الله ﷺ أوامر**
- ٣٨١ ونواهى خارج القرآن تجب طاعته فيها.....
- • **الأدلة من القرآن الكريم على وجوب طاعته ﷺ**
- **فى كل من يبلغ عن ربه عز وجل من كتاب**
- ٣٨٥ **وسنة.....**

- الأدلة من السنة النبوية على وجوب طاعته ﷺ
في كل ما يبلغ عن ربه عز وجل من كتاب
وسنة ٣٩١
- المطلب الرابع : شبهة أن طاعة رسول الله ﷺ تأليه وشرك والرد
عليها ٣٩٨
- الباب الثالث**
- عصمة رسول الله ﷺ في اجتهاده ودفع الشبهات**
- الفصل الأول : عصمته ﷺ في اجتهاده كما بصورها القرآن والسنة ٤٠٧
- المبحث الأول : التعريف بالاجتهاد، وحكمته في حقه ﷺ ٤٠٨
- أولاً : التعريف بالاجتهاد ٤٠٩
- أ- من حيث اللغة ٤٠٩
- ب- معناه الاصطلاحي ٤٠٩
- ثانياً : الحكمة في اجتهاد رسول الله ﷺ ٤٣٠
- المبحث الثاني : دلائل عصمته ﷺ في اجتهاده من خلال القرآن الكريم
والسنة النبوية ٤١٥
- أولاً : الأدلة من القرآن الكريم على عصمته ﷺ في اجتهاده ٤١٥
- ثانياً : الأدلة من السنة النبوية على عصمته ﷺ في اجتهاده ٤٢٢
- ثالثاً : إجماع الأمة على عصمة رسول الله ﷺ في اجتهاده ٤٢٩
- الوحي يراقب رسول الله ﷺ ويراقب الأمة ٤٣١
- الفصل الثاني : شبهة أن اجتهاد رسول الله ﷺ، يؤيد أن السنة ليست كلها وحى
والرد عليها ٤٣٣
- استعراض الشبهة وأصحابها ٤٣٣
- والجواب ٤٣٧
- القائلون بالسنة التشريعية وغير التشريعية لم
يفهموا المعنى الدقيق للتشريع الإسلامي ٤٤١

٤٤٢	• استحباب التأسي بأفعال رسول الله ﷺ الجبيلة ونحوها.....
٤٤٧	• نقض دليل أن السنة المطهرة ليست كلها وحى
٤٥٣	الباب الرابع
٤٥٤	عصمة رسول الله ﷺ في سلوكه وهديه ودفع الشبهات
٤٥٤	تمهيد :
٤٥٦	الفصل الأول : شبهة اختلاف سيرة رسول الله ﷺ في كتب السنة والتاريخ عنها في القرآن الكريم والرد عليها
٤٦٨	الفصل الثاني : شبهة الطاعنين في حديث "خلوة النبي ﷺ بامرأة من الأنصار" والرد عليها.....
٤٧٣	الفصل الثالث : شبهة الطاعنين في حديثي "توم النبي ﷺ عند أم سليم وأم حرام" والرد عليها
٤٨٣	الفصل الرابع : شبهة الطاعنين في حديث "طوافه ﷺ على نسائه في ساعة واحدة" والرد عليها.....
٤٩٤	الفصل الخامس : شبهة الطاعنين في حديث "مباشرة رسول الله ﷺ نسائه في المحيض" والرد عليها
٥٠٤	الفصل السادس : شبهة الطاعنين في حديث "دعوته ﷺ لعائشة رضي الله عنها استماع الغناء والضرب بالدف" والرد عليها.....
٥١٣	الفصل السابع : شبهة الطاعنين في حديث "اللهم فأيمأ مؤمن سببته فأجعل ذلك له - قربة إليك يوم القيامة" والرد عليها
٥٢٩	الخاتمة : في نتائج هذه الدراسة، ومقترحات، وتوصيات
٥٣٧	الفهارس
٥٣٩	أولاً : فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٥٤٧	ثانياً : فهرس الأحاديث والآثار
٥٥٥	ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم
٥٥٩	رابعاً : فهرس الأشعار.....
٥٦١	خامساً : فهرس البلدان والقبائل والفرق
٥٦٣	سادساً : فهرس المصادر والمراجع
٥٩٣	سابعاً : فهرس الموضوعات

تصويب الإحالات

الصحيحة	رقم الهامش	الإحالة الخطأ	الإحالة الصواب
٦٥	١	٢١-١١	٤١-٣١
٨٣	٦	٥٩	٨٠
٨٦	٥	١٩٦-١٨٤	٢١٧-٢٠٥
١٣٠	٢	٣٧٧	٣٩٨
١٣٤	٤	٧،١١	٣١،٢٧
١٣٤	٥	٧٩-٤٤	١٠٠-٦٥
١٤١	٢	٧٩-٤٧	١٠٠-٦٨
١٤٢	٣	١١٣	١٣٤
١٤٢	٥	٦٨-٦٤	٨٩-٨٥
١٤٤	٨	١١٧	١٣٨
١٥٣	٣	٥،٦	٢٦،٢٥
١٥٥	١	١٣٢-١٣٠	١٥٣-١٥١
١٦٠	٣	١٢٩	١٥٠
١٦١	٣	٥٠	٧١
١٦١	٤	٥١	٧٢
١٦١	٥	٥٢-٥٠	٧٣-٧١
١٦١	٧	٥	٢٥
١٦٧	٥	١٧١	١٩٢
١٦٨	٢	١٣٧-١٣٢	١٥٨-١٥٣
١٦٨	٣	١٢٧	١٤٨

تصويب الإحالات

الصحيفة	رقم الهامش	الإحالة الخطأ	الإحالة الصواب
١٧٩	٣	١٥٥	١٧٦
١٨٢	٤	١٥٩	١٨٠
١٨٣	٧	١٤٧	١٦٨
١٨٤	٥	١٤٦	١٦٧
١٨٨	٩	١٣٢-١٣٠	١٥٣-١٥١
٢٠١	٤	١٤٨	١٦٩
٢٠٥	١	٦٨-٦٤	٨٩-٨٥
٢٠٧	٤	٢٨٩	٣١٠
٢٠٨	١	٢٨	٤٨
٢٠٩	١	٤٨	٦٩
٢٠٩	٤	٦٥	٨٦
٢١٠	٣	٦٨-٦٤	٨٩-٨٥
٢١٣	١	٦٨-٦٤	٨٩-٨٥
٢١٣	٥	٦٦	٨٧
٢١٦	٧	٥١	٧٢
٢٢٠	١	١٥٩	١٨٠
٢٢٣	٦	١٩٨	٢١٩
٢٢٤	١	٢١٢	٢٣٣
٢٢٨	٥	٧٩-٤٧	١٠٠-٦٨
٢٢٩	٢	٦٦، ٦٧	٨٧، ٨٨
٢٣٠	١	١٩٨	٢١٩
٢٣٠	٢	١٩٨	٢١٩
٢٣١	٢	٢٨-٢٦	٤٨-٤٦
٢٣٢	١	٢٠١، ١٩٨	٢٢٢، ٢١٩

تصويب الإحالات

الصحيفة	رقم الهامش	الإحالة الخطأ	الإحالة الصواب
٢٣٤	٢	٢١٠	٢٣١
٢٣٤	٣	٩٢، ٩١	١١٣، ١١٢
٢٣٥	١	١٩٩	٢٢٠
٢٣٩	٤	٧٩-٤٧	١٠٠-٦٨
٢٥٠	٣	٨٢-٨٠	١٠٣-١٠١
٢٥١	١	٢٧٨-٢٦٤	٢٩٩-٢٨٥
٢٥٣	٤	٨١	١٠٢
٢٥٤	١	٨١	١٠٢
٢٥٩	٣	٢٧٧	٢٩٨
٢٦٠	٤	٢٣٥	٢٥٦
٢٦١	١	٢٣٦	٢٥٧
٢٦٣	٤	٢٨٩	٣١٠
٢٦٣	٥	٦٢	٨٣
٢٦٣	٦	١٤٢	١٦٣
٢٦٣	٧	١٤٣	١٦٤
٢٧٢	١	١٩٨-١٩٧	٢١٩-٢١٨
٢٧٥	٤	٢٨	٤٨
٢٧٦	٣	٢٠١	٢٢٢
٢٧٧	٦	٢٨، ٢٧	٤٨، ٤٧
٢٧٩	٤	١٤، ١٣	٣٤، ٣٣
٢٨٠	١	٤١٢	٤٣٣
٢٨٣	٤	٣٦٤	٣٨٥
٢٨٤	٣	١٦	٣٦
٢٨٥	٤	٨-١٠، ٢٧٨-٢٧٠	٣١، ٢٩١، ٢٩٩

تصويب الإحالات

الصحيفة	رقم الهامش	الإحالة الخطأ	الإحالة الصواب
٢٨٨	٦	٤٥	٦٦
٢٨٩	٣	١٨١-١٤٨	٢٠٢-١٦٩
٢٩١	٥	٩	٢٩
٢٩٢	٢	١٠	٣٠
٢٩٤	٣	١٩٨	٢١٩
٢٩٦	٢	١٨	٣٨
٢٩٧	٣	١٢	٣٢
٢٩٨	١	٢٣٨	٢٥٩
٣٠٧	٢	٢٩-٢٦	٤٩-٤٦
٣٠٧	٣	١٩٨	٢١٩
٣٠٧	٤	٢٠١	٢٢٢
٣٠٨	٣	٢٧٥	٢٩٦
٣١٢	٣	٤٧-٧٩ ٨٠-١٠٧	٦٨-١٠٠ ١٠١-١٢٨
٣١٣	٢	٢٨	٤٨
٣١٣	٣	٢٥٥	٢٧٦
٣١٣	٤	٢٥٥	٢٧٦
٣١٤	٣	٧٩-٦٩	١٠٠-٩٠
٣١٥	٤	٢٧٢	٢٩٣
٣١٦	٣	٨٠	١٠١
٣١٨	٤	٢٧٧-٢٦٤	٢٩٨-٢٨٥
٣٢١	٢	١٩٧	٢١٨
٣٣٢	١	١١٣٠٢٦٤	١٣٤٠٢٨٥
٣٣٧	١	٣١٠	٣٣١
٣٣٧	٣	٣١	٥١

تصويب الإحالات

الصحيفة	رقم الهامش	الإحالة الخطأ	الإحالة الصواب
٣٣٩	٣	٣١٣	٣٣٤
٣٤٠	٣	٢٧٨-٢٦٤	٢٩٩-٢٨٥
٣٥٥	٤	٢٣٥	٢٥٦
٣٦١	١	١٣	٢٣
٣٦٤	٦	٢٥٥	٢٧٦
٣٦٥	١	١٩	٣٩
٣٦٨	٢	٣٢٨-٣٢٧	٣٤٩-٣٤٨
٣٦٨	٣	٣٣٩	٣٦٠
٣٦٩	٦	٣٤٣، ٣٤٢	٣٦٤، ٣٦٣
٣٧٠	٣	٣٣٩	٣٦٠
٣٧٠	٤	٣٦٤	٣٨٥
٣٩٣	١	١٣	٣٣
٣٩٧	٣	٣٧١، ٣٦٤	٣٩٢، ٣٨٥
٤٠٠	٥	٣٥٥، ٣٥٤	٣٧٦، ٣٧٥
٤٠٤	٤	٣٧٨	٣٩٩
٤٠٦	٢	٣٠٧	٣٢٨
٤١٢	٢	٢٦٨	٢٨٩
٤١٨	١	٣٣٥	٣٥٦
٤١٩	٤	١٥١-١٤٨	١٧٢-١٦٩
٤٢٠	٢	٣٦١	٣٨٢
٤٢١	٢	١٨١-١٧٠	٢٠٢-١٩١
٤٢١	٣	١٥٨-١٥١	١٧٩-١٧٢
٤٢٢	٢	١٨١-١١٣	٢٠٢-١٣٤

تصويب الإحالات

الصحيفة	رقم الهامش	الإحالة الخطأ	الإحالة الصواب
٤٢٣	٢	٢٥٨	٢٧٩
٤٢٧	٣	١٥٨-١٥١	١٧٩-١٧٢
٤٢٩	٢	٤٣١-٤١٢	٤٥٢-٤٣٣
٤٣٨	٢	٤٢٠	٤٤١
٤٤٥	١	٢٠	٤٠
٤٤٥	٦	٧٣-٧٠	٩٤-٩١
٤٤٥	٧	١٧-١٥	٣٧-٣٥
٤٤٦	٧	١٩	٣٩
٤٤٧	٢	٢١-١٩	٤١-٣٩
٤٤٨	٢	٤١٣-٤١٢	٤٣٤-٤٣٣
٤٤٩	١	٤٠٧	٤٢٨
٤٤٠	١	٤١٩-٤١٦	٤٤٠-٤٣٧
٤٥٣	١	٤١٠٧-٤٧ ٤٢٧٨-٢٦٤ ٤٤١١-٣٩٤ ٤٢٩٩-٤٨٥ ٤٣٢-٤١٥	١٢٨-٦٨
٤٥٤	٢	٢١-١٤	٤١-٣٤
٤٦٥	٣	٤٣٦، ٤٣٧	٤٥٨، ٤٥٧
٤٦٦	٥	٣٨٥-٣٣٧	٤٠٦-٣٩٨
٤٧٠	٣	٤٧٣	٤٩٤
٤٨٥	١	٢٠	٤٠
٤٨٨	١	٤٦٢	٤٨٣
٤٨٨	٣	٤٦٢	٤٨٣
٤٨٨	٤	١٦	٣٦
٤٨٨	٥	٢٦٣	٢٨٤
٤٨٨	٦	٤٦٣	٤٨٤

تصويب الإحالات

الصحيقة	رقم الهامش	الإحالة الخطأ	الإحالة الصواب
٤٩٢	٤	٤٥٥	٤٧٦
٤٩٣	١	١٢٧	١٤٨
٤٩٨	١	٢٠٤	٢٢٥
٤٩٩	١	٤٧٤	٤٩٥
٥٠٢	١	٤٧٣	٤٩٤
٥٠٦	٢	٤٨٣	٥٠٤
٥٠٨	٢	٤٨٣	٥٠٤
٥١٠	١	٤٨٤	٥٠٥
٥١١	٤	٤٦٥	٤٨٦
٥١١	٥	٤٦٦	٤٨٧
٥٢٠	١	٤٩٣	٥١٤
٥٢٠	٣	٤٩٣، ٤٩٢	٥١٤، ٥١٣
٥٢١	٢	٤٩٣	٥١٤
٥٢١	٣	٤٩٣	٥١٤
٥٢٢	٥	٤٩٣	٥١٤
٤٢٤	١	٤٩٣	٥١٤
٤٢٥	٢	٤٩٣	٥١٤
٤٢٦	٣	٤٩٢	٥١٣
٤٢٧	١	٤٩٢	٥١٣

تصويب أخطاء

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣٢٨ هامش رقم ١	—	الأزهر	القاهرة
٣٣٧	١٠	عن	في
٣٤٥	٣	المسلمون	المسلمون
٣٤٩	٧	ومنزله	ومنزلة
٣٥٥	١٤	صحيح	تصحيح
٣٦٦	١٣	وقال	قال
٣٦٧	٥	وقال	وأخبر



المنصورة - شارع العرب من الأربعين - جسر السويس
مطبعة الجراج خلف سقراط الفرقة

ت: ٢٩٩٩٥٢٧ - ٠١٠٦٦٩٥٧٤٢ / فاكس: ٢٩٧٨٤٧٤